فلسطين

قبل وبعد

بقلم

الدكتور يوسف هيكل

دكتور فلسفة في العلوم السياسية من جامعة لندن
دكتور في الحقوق من حكومة فرنسا (باريس)
ديبلوم في العلوم الجنائية من جامعة مونبليه
حائز على وسام التفوق من جامعة لندن

دار العلم للملايين
بيروت

الإهداء

الى روح البطل الخالد شهيد فلسطين والجهاد الوطني ، فقيد الامة العربية والعروبة ، الرئيس جمال عبد الناصر ،

الى ارواح الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن فلسطين ، وفي رد العدوان الصهيوني عن البلاد العربية ،

الى أرواح شهداء « المجزرة » في الاردن ،

الى المناضلين من ابناء فلسطين ، ومن ابناء الامة العربية ، الذين يجاهدون في سبيل إعادة الوطن السليب والحقوق المهضومة ،

أهدي هذا الكتاب .

يوسف هيكل

الطبعة الأولى
١٩٧١

كلمة عن المؤلف

الدكتور يوسف هيكل من ابناء عائلة قديمة في مدينة يافا . اتم دراسته الابتدائية في مدينته ، ودراسته الثانوية في الكلية العربية بالقدس . ذهب ، بعد ذلك ، الى فرنسا ودرس الحقوق في جامعة مونبليه اولاً ونال منها شهادة الليسانس ، ثم ذهب الى باريس والتحق بجامعتها ، متابعاً دراسته العليا فيها ، وحاز منها على دكتوراه الدولة في الحقوق والاقتصاد . ولم يكتف الدكتور يوسف هيكل بما اتم من دراسات عالية ، بل تابع الدرس والتحصيل في جامعة لندن (معهد الدراسات الاقتصادية والسياسية) وحاز منها على دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية . ومنحته الجامعة وسام التفوق لسنة ١٩٣٧ ، وهو يمنح كل سنة مرة للمتفوق الاول في الجامعة .

عاد الدكتور يوسف هيكل الى وطنه فلسطين ، فشغل منصب مفتش عام للاوقاف والمدارس الاسلامية ، ثم عين قاضياً في القضاء الفلسطيني . واصبح بعد ذلك ، رئيساً لمدينة يافا ، بعد ان نجح في انتخابات البلدية ، مع جميع اعضاء قائمته ، ونال ٩٢٪ من اصوات الناخبين . فهو ممثل لابناء اكبر مدينة عربية كانت في فلسطين .

ولما حلت النكبة الاولى سنة ١٩٤٨ نزح الى عمـــان . وفي سنة ١٩٤٩ طلب منه المرحوم الملك عبد الله ان يترأس البعثة الديبلوماسية الاردنية في واشنطن . ومنذ تلك السنة ظل يعمل في السلك الديبلوماسي الاردني حتّى سنة ١٩٦٥ . وقد عمل خلال هذه المدة سفيراً للأردن في الولايات المتحدة الامريكية ثلاث مرات مدتها عشر سنوات ، وكان في اثناء ذلك ، مدة سنة ، المندوب الدائم ورئيس الوفد الاردني في الامم المتحدة. وعمل سفيراً لدى بلاط سانت جيمس سنتين . وسفيراً في فرنسا مرتين مدتهما ثلاث سنوات . وفي آخر مركز ديبلوماسي شغله كان سفيراً في الصين الوطنية واليابان اربعة عشر شهراً . ومنذ سنة ١٩٦٥ تفرغ للسفر في جميع انحاء العالم للدراسة والتحدث عن

القضية الفلسطينية ونشر الابحاث عنها ، وتجول في البلاد العربية ، متحدثاً ومحاضراً عن اخطار الصهيونيين على البلاد العربية اجمع .

وللدكتور يوسف هيكل مؤلفات باللغة العربية وباللغة الفرنسية ، مذكورة في نهاية هذا الكتاب ، منها كتابه الشهير عن « رئيس الوزارة وتطور النظام النيابي في فرنسا » وهو يقع في ٥٥٠ صفحة . وهو مرجع في جامعات انكليزية وفرنسية ، وقد وضع له مقدمة ضافية البروفسور الشهير هارولد لاسكي .

قال المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، الكاتب المصري الكبير والمؤرخ القدير ، عن اسلوب الدكتور يوسف هيكل العلمي ، وعن مقدرته في البحث العلمي ، في مقدمته لكتابه « القضية الفلسطينية — تحليل ونقد »[1] ما نصه :

« .. وهو سار في نقده التحليلي هذا على طريقة علمية تاريخية دقيقة غاية الدقة . ومن الحق لذلك ان يقال انه في كتابه هذا محام يترافع في قضية حقه مرافعة نزيهة ، لم يبتغ بها تشويه واقعة من الوقائع ، او اضافة خيالات لتجسيم امر وقع ، او لطعن على خصوم وطنه شفاء لشهوة التشهير والطعن ، بل قصد به الى وجهة الحقيقة كما يراها كل منصف .. » .

« ويزيد الانسان طمأنينة الى الدقة فيما يقرأ من ذلك كله ظهور القصد فيه الى الحقيقة ، والبعد عن التجريح والطعن ، والتنزه عن كل قول تبدو فيه نزوات الغضب . واذا لم يكن هذا كله عجيباً من رجل تثقف ثقافة الدكتور يوسف هيكل وبلغ من العلم مبلغه ، فهو لا ريب عجيب من شاب في مثل سنه . وصدوره من هذا الشاب ادعى الى العجب والامر يتعلق بوطنه ومصير هذا الوطن . هذا المصير المعلق اليوم في كفة القدر والذي يهدد عرب فلسطين باجلائهم عنها او بالقضاء عليهم فيها اذا هم لم يتدبروا الامر بالروية والحزم لانفسهم ولابنائهم بعدهم .

« واشهد لو انني كنت مؤلف هذا الكتاب ، وكان وطني قد اصيب بما اصيبت به فلسطين في الزمن الاخير ، لتعذر علي ان اجد قدراً من ضبط النفس كالقدر الذي وجده الدكتور يوسف هيكل على تفاوت ما بيننا في السن تفاوتاً يجعلني منه في مقام الابوة او العمومة .. وهو من هذه الناحية جدير بأن يهنأ مرتين : مرة لانه عصم شبابه

(١) نشر سنة ١٩٣٧ .

من التحكم في بحثه والتسلط على نتائج هذا البحث ، والثانية لانه خاض غمار هذا الميدان السياسي بنزاهة علمية في الوقت الذي يتعذر على غيره فيه ان يضبط نفسه وان يرعى ما تقضي به النزاهة العلمية » .

وقال المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام عن مكانة الدكتور يوسف هيكل العلمية ، في مقدمته لكتابه « نحو الوحدة العربية » ، الذي نشرته « دار المعارف » بمصر مرتين ، الاولى سنة ١٩٤٣ والثانية سنة ١٩٤٥ ، ما نصه :

« الدكتور يوسف هيكل من علماء العرب المهتمين بأمورهم ، الساعين للتأليف بينهم ، الداعين الى اعادة مجدهم .. »

« وقد استجاب الدكتور يوسف هيكل لدعوة الواجب ، فبادر الى نشر كتابه « نحو الوحدة العربية » ليستيقظ الفكر وينشط البحث في هذا الموضوع الجليل الى ان تتجلى مقاصده وتتضح وسائله . وقد نهج المؤلف نهجاً مستقيماً قاصداً لا غلو فيه ولا تحكم . فهو يعرض آراء متصلة بالحقائق مؤيدة بالوقائع ، ويقترح نظماً للاتحاد لا يفرضها على الباحثين ولكن يجعلها مثلاً لما يمكن ان يوضع من نظم » .

« وبعد ، فقد استجاب المؤلف لدعوة الواجب في هذه الايام العصيبة التي يضطرب فيها العالم ، فله الشكر . ولعل الافكار تتلقف هذه الآراء ، وتتداولها بالبحث السريع لتتفق على الكلمة الجامعة التي يعقبها العمل النافع والسعي المتواصل المؤدي الى الغاية المرجوة ان شاء الله » .

وما قاله المرحومان العالمان الكبيران الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور عبد الوهاب عزام ، قبل عشرات السنين ، عن اسلوب الدكتور يوسف هيكل العلمي في البحث ، ومكانته العلمية ، يمكن ان يعاد اليوم ، مع اضافة ان الدكتور يوسف هيكل اكتسب خلال الثلاثين سنة الفائتة اطلاعاً وخبرة واسعين في الميادين العلمية والسياسة الدولية والسياسة العربية ، تجعلانه واسع الاطلاع خبيراً بالقضية الفلسطينية ، وبالشؤون العربية ، والسياسة الدولية ، ومرجعاً فيها وفي موضوع كتابه « فلسطين قبل وبعد » الذي ننشره له .

الناشر .

المقدّمة

يرجع الفضل في عنوان هذا الكتاب « فلسطين قبل وبعد » الى صديقي الدكتور قسطنطين زريق ، الاستاذ الممتاز للتاريخ العربي في الجامعة الامريكية في بيروت :

اجتمعنا معاً ، وتحدثنا في اوضاع بلادنا ، وما عندنا من عوامل نقص وقوة ، وما عند غيرنا من الامم منها .. واتينا الى ذكر ان ما نراه نقصاً عند امم هو احياناً سر قوتها ، وما نحسبه قوة عندنا هو في الحقيقة ، عامل كبير من عوامل ضعفنا !.. ثم سألني عن عنوان الكتاب الذي كنت آخذاً في وضعه ، فأجبت :

اثر حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، او بالاحرى هزيمة حزيران النكراء ، اخذت افكر في الموضوع وتساءلت : كيف وقعت تلك الهزيمة الهائلة البغيضة ، التي اذلت العرب في جميع انحاء العالم ؟ وما هي اسبابها ؟. وكتبت في الموضوع مقالات يومئذ نشرت في عدد من الصحف والمجلات في البلاد العربية .. ثم فكرت في وضع كتاب عنوانه « هزيمة حزيران (يوليو) ١٩٦٧ » . غير انني اخذت افكر :

ان الهزيمة وقعت ، ولحق العار بالعرب ، فالكتابة عن الهزيمة وحدها غير كافية ، ولابد من التفكير فيما ينبغي عمله لازالة ما لحق بنا من عار ومذلة ولاعادة ما خسرنا من وطن . ووضعت في ذلك مقالات نشرت في عدد من الصحف والمجلات العربية . وقلت لنفسي ليكن عنوان الكتاب « هزيمة حزيران وما ينبغي عمله » .

وفي نيسان (ابريل) ١٩٦٨ قمت برحلة في بعض البلاد العربية في آسيا وفي جميع البلاد العربية في شمال افريقيا ، وفي فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، امتدت سنة كاملة . وكانت الغاية منها الدرس والتحدث عن حقيقة الوضع في الشرق العربي ، وعن اخطار اسرائيل على البلاد العربية جمعاء .. انا اعرف ان الغرب يعتقد

ان فلسطين بلد اليهود ، وانهم منها ، وان العرب طارئون عليها منذ الفتح الاسلامي ، كما اعرف ، ويعرف كل من قرأ التاريخ ، ان اعتقادهم هذا خطأ كبير وان فيه كثيراً من التجني على الحقيقة . ولكن دهشتي كانت شديدة ، عندما رأيت ان كثيرين من العرب يجهلون تاريخ فلسطين ، ولا يعرفون ان العرب كانوا يسكنونها منذ ما قبل التاريخ ، وان اليهود غرباء عن فلسطين ، طارئون عليها ، اعتدوا على سكانها العرب في العصور القديمة ، وان العرب بقوا في فلسطين في اثناء سيادة الدولة اليهودية ومدتها نحو سبعين سنة ، وانه عندما انقسمت هذه الدولة الى دولتين ، واصبحتا تابعتين لدول اخرى هي مصر وبابل وآشور .. كان العرب معهم في فلسطين ايضاً ، وانه عندما هدم الرومان القدس والهيكل سنة ٧٠ م وشردوا اليهود بقي العرب في بلدهم فلسطين .. ثم اصبحت السيادة للعرب خالصة عندما ازال العرب المسلمون سيادة البيزنطيين عنها . واستمر العرب في وطنهم منذ ذلك الزمان ، دون انقطاع ، الى ان قامت دولة يهودية باسم اسرائيل في جزء من فلسطين سنة ١٩٤٨ بقرار من الامم المتحدة ، متجاوزة في ذلك سلطاتها ، ومخالفة ميثاقها والقانون الدولي وحق الشعوب في تقرير مصيرها .. ورأيت ايضاً ان كثيرين من الغربيين ومن العرب لا يرون الخطر الصهيوني على جميع البلاد العربية ، ولا يلمسون ان اسرائيل قلعة للشقاق والاضطراب والحروب في الشرق الاوسط .. امام هذا الجهل بالوقائع رأيت ان اتحدث في الكتاب عن فلسطين في اطارها التاريخي ، وعن اطماع الصهيونيين واهدافهم في البلاد العربية .. وتوسعي في مواضيع الكتاب جعلني افكر في ان يكون عنوانه « فلسطين وهزيمة حزيران وما ينبغي عمله » .

قال الدكتور زريق عندئذ : ما رأيك في ان يكون العنوان : فلسطين قبل وبعد .

تلقفت هذه الجملة شاكراً اذ انها تعبّر بايجاز وقوة عما يحتويه الكتاب ، وهكذا كان العنوان .

* * *

سرت في وضع الكتاب ابتداء من شهر آب (اغسطس) ١٩٦٩ . وضمّنت القسم الثالث منه (ما ينبغي عمله وما هو الحل) لاعتقادي اعتقاداً جازماً ان الصمود العربي ومقاومة اسرائيل حتى النهاية ، هما الطريق الوحيد الذي يوقف العدوان الصهيوني ويزيل آثاره ، دون ثمن يدفع ، ويعيد الحقوق في الاوطان . وقد رأيت في قرار مجلس الامن ، منذ صدوره في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ انه وضع لمصلحة اسرائيل

ولتأمين مكاسب قانونية وساسية واقليمية لها ، كما وضع « تصريح بلفور » قبل خمسين سنة ، ولذا سميت قرار مجلس الامن « تصريح بلفور رقم ٢ » . ونشرت في حينه مقالات بذلك في صحف عدد من البلاد العربية . وحللت القرار وما يحتوي عليه في الفصل السادس من هذا الكتاب . ثم فاجأ سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الامة العربية والعالم اجمع يوم ٢٣ (يوليو) تموز ١٩٧٠ بقبوله اقتراحات روجرز ووقف القتال . فوضعت دراسة عن « الاخطار القانونية والسياسية في اقتراحات روجرز وقرار مجلس الامن » ، قائمة على الحقائق القانونية والواقع ، وارسلت تلك الدراسة الى عدد من رؤساء الدول العربية ، ونشرتها في صحف عدد من العواصم العربية . ثم اضفت الى الكتاب ، بعد ان كنت فرغت منه ، الفصل السابع وضمنته مادة هذه الدراسة . والغاية من ذلك اظهار « الثمن » الذي تدفعه الامة العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة بانسحاب اسرائيل الجزئي او الكلي ، من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، والاخطار الفادحة القريبة والبعيدة على الامة العربية والقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، من الاعتراف باسرائيل وعقد صلح معها ، تسميه الدبلوماسية المغالطة ، في قرار مجلس الامن ، معاهدة سلام دائم ..

واني لأعتقد ان الاتفاق الذي تعقده دول عربية مع اسرائيل ، لا يزيل اخطار اسرائيل عن البلاد العربية ، بل يعطي اسرائيل سلاحاً تتقوى به ، وهو الاعتراف بوجودها الشرعي في قلب العالم العربي ، وما يتبع ذلك من مزايا لاسرائيل تزيدها قوة ، واستعداداً لاعتداءات اخرى ، وهي اقوى ، لتحقيق اسرائيل الكبرى ، من النيل الى الفرات ..

وستجد البلاد العربية نفسها مرة اخرى ، على الرغم من الاتفاق الذي قد يعقد مع اسرائيل ، في مجابهة معها لرد اعتداءاتها ووضع حد لاطماعها .. وما ذكرته في القسم الثالث من هذا الكتاب ، عما ينبغي عمله ، هو الخطة التي يمكن تنفيذها لانقاذ البلاد العربية من اخطار الصهيونيين على البلاد العربية واطماع اسرائيل فيها ..

* * *

ولا بد لي ، قبل ان انهي هذه المقدمة القصيرة ، من ان اشير الى التفريق بين العداء لليهود ، المعروف في الغرب بعداء السامية ، وبين العداء للصهيونيين .

ليس العرب باعداء لليهود وانما هم يحاربون الصهيونيين الذين اعتدوا على بلادهم

وشردوا سكانها .. وقد قلت في مقدمة كتابي « القضية الفلسطينية – تحليل ونقد » الذي نشرته سنة ١٩٣٧ ، اي قبل ٣٤ سنة ، اثر تخرجي من جامعات اوروبية ، ما نصه :

«والعرب ليسوا باعداء لليهود . وتاريخهم يرى انهم كانوا لهم اصدقاء مخلصين . وهم حتّى اليوم لا يناضلون اليهود بل يقاومون المهاجمين باسم الصهيونية . فلو رجع اليهود عن سياستهم الصهيونية لزال كل خلاف بين الفريقين ، ولعاش العرب واليهود بسلام ، ولتمكنوا من العمل سوية في ترقية البلاد وتحسينها » .

« .. انني لست من اعداء اليهود لانهم يهود ، بل درسي الواقعي للقضية الفلسطينية ، المبني على التقارير الرسمية ، وعلى وضعية الحال في فلسطين ، قادني الى التقرير بأن السياسة الصهيونية غير انسانية ، ظالمة خطرة ، تعمل على ابادة شعب او ابعاده عن بلاده . انني ضد هذه السياسة كعربي ، وانني ضدها ايضاً كانساني يبغض العدوان والظلم » .

وتقول المنظمات الفدائية الفلسطينية اليوم مثل هذا القول ، اذ هي لا تنادي برمي اليهود في البحر ، وانما تعمل وتجاهد في سبيل ايجاد دولة فلسطينية ، ديمقراطية ، لا يكون للصهيونية عليها سيطرة ، يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون ، من ابنائها ، معاً في سلام ، وتكون لهم وعليهم حقوق وواجبات متساوية .. وفي اعتقادي ان هذا هو الحل الوحيد الذي يعيد السلام الحقيقي الى « بلد السلام » ، ويمكّن سكان الشرق الاوسط من العيش في هناء بعيدين عن المنازعات والحروب ..

وبينما كنت اوشك ان اسلم مخطوط الكتاب الى الناشر ، نشب الاقتتال فجر يوم الخميس في ١٧/٩/١٩٧٠ بين الجيش الاردني وبين المقاومة الفلسطينية ، في مختلف المدن الاردنية . وتطور الى مجزرة لم يرَ تاريخ العرب الحديث مثيلاً لها ، فرأيت ان اخصص فصلاً لها ، حتّى يقف القارىء ، مدى الاجيال ، على هذه المأساة واسبابها واهدافها . وجعلت عنوانه « المجزرة » ، وهو الفصل الثالث عشر ، ويشكل القسم الرابع من الكتاب .

* * *

لقد كان هدفي من وضع هذا الكتاب ان اسهل على جمهرة القراء العرب ، في مختلف البلاد العربية ، الاطلاع على حقائق تتعلق بفلسطين قبل هزيمة حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ وبعدها ، باسلوب واضح مبسط . وحرصت على ان أُبيِّن ، بشيء من

التوسع ، بالنسبة الى موضوع الكتاب وحجمه ، ان فلسطين عربية منذ ابتداء التاريخ . وعلى ان اظهر ان اخطار الصهيونيين على العالم العربي اجمع .. كما ذكرت ان هزيمة حزيران (يونيو) كانت نتيجة ضعف في الاخلاق وفي الوطنية العربية ، وان لا صلح ولا سلام مع اسرائيل يزيل اخطارها ، وان على العالم العربي ان يواجه حقيقة الخطر الصهيوني ، وأن يعمل بكل قواه لتلافيه وازالته ، دفاعاً عن النفس وحباً بالبقاء في الاوطان .. وأبَنْتُ ، بشيء من التوضيح ، كيف يكون ذلك .

وانني في هذا الكتاب لست مع يمين ولا مع يسار ، ولست ضد بلد او جماعة او رجال لعقيدة يعتقدونها او مذهب يتبعونه ، وانما انا مع حق الفلسطينيين في وطنهم ومع الحق العربي ومن يعملون للوصول اليه ، ومع الامة العربية ، ومن يدينون بحقها في وحدتها وسلامة بلادها ، ويجدون في تحقيق مجدها ضمن الحرية والوحدة والعدالة الاجتماعية ، ويطمحون الى تبوئها مكانة رفيعة بين الامم تمكنها من المساهمة في رقي المدنية وتقدمها ، واعادة مجدها السابق ، ليتصل تاريخها الحديث بما سجله تاريخها القديم ايام استقلالها ضمن وحدتها ، من مجد وعظمة ، ومن مكانة رفيعة في تقدم المدنية ورفع مستوى البشرية ..

فان وصلت هذه الرسالة الى ابناء الامة العربية ، شعرت بارتياح نفسي بقيامي بواجب نحو امتي العربية العزيزة ووطني المفدى . وان لم تصل يظل الجهد الذي بذلته محاولة عمل وطني واجب عليّ .

أول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ **يوسف هيكل**

القِسمُ الأوّل

أهل فلسطين وأطماع الغرب والصهيونيين

الفَصْلُ الأول

فلسطين في إطارها التاريخي

لم يعرف التاريخ منذ القدم حتى يومنا هذا جماعة امهر من اليهود ولا اقدر على الاعلام واستخدام وسائله بأبرع الطرق ، لحمل الرأي العام على ان يصدق ويعتقد ما يريدون ، وفي معظم الاحيان يكون ما يريدون تضليلاً عارياً من الحقيقة . كما انه لم يرَ جماعة امهر من اليهود ولا اقدر على جمع المال والصرف منه بسخاء على الدعاية لقلب الحقائق والحمل على تصديق الاباطيل ... وهم يعتقدون ان الرأي العام ساذج بسيط يتقبل ما يعرض عليه من اقوال وآراء دون تمحيص ، وكلما تكرر عليه ذلك ازداد تصديقه . ان السيطرة على وسائل الاعلام واستعمالها بمهارة ، وحيازة المال ، من امضى الاسلحة في العالم ... واليهود يستعملون هذين السلاحين على احسن وجه في سبيل تحقيق اهدافهم في كل مجال وبلد ...

زرت معظم بلاد الكرة الارضية ، واجتمعت الى كثيرين من ابنائها ، فرأيت ان الدعاية الصهيونية حققت اهدافها ، بين اقسام كبيرة من الرأي العام ، وجعلتها تصدق ما تقوله تلك الدعاية من ان فلسطين بلاد اليهود وان العرب غرباء عنها مغتصبون لها ، وان لليهود الحق في العودة اليها واقامة دولة فيها ... والصهيونيون يدعمون ادعاءهم هذا بثلاث دعائم : الاولى « الحق التاريخي » والثانية « تصريح بلفور » ، والثالثة « قرار التقسيم وانشاء دولة يهودية » .

وسأحاول في هذا الفصل معالجة دعامة « الحق التاريخي » ، وفي رأيي ان خير اسلوب لمعالجة هذه المسألة هو رؤيتها ضمن « فلسطين في اطارها التاريخي » . اذ ان التاريخ حقائق ووقائع لحياة بلاد وشعوب ، لا يزيلها تضليل ولا يبطلها ادعاء .

سأتناول في بحث « فلسطين في اطارها التاريخي » المواضيع التالية :

١ — الموجات العربية بصورة عامة .

٢ — الموجة الآمورية .

٣ — الموجة الكنعانية .

٤ — الموجة الآرامية .

٥ — الحوريون والحثيون والفلسطنيون .

٦ — الاستعمار اليهودي وسياسة الابادة .

٧ — الموجة العربية الاسلامية .

٨ — الحروب الصليبية واطماع الغرب .

— ١ —

الموجات العربية بصورة عامة

يقول لنا التاريخ ان العرق البشري الذي تنتمي اليه الشعوب التي قطنت بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) في العصر الحجري الحديث ، منذ ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، هو العرق الذي يعرف بعرق حوض البحر الابيض المتوسط ، وينتمي الى العرق الابيض القوقاسي . ونزل بين هؤلاء السكان ، في عصور ما قبل التاريخ تلك ، ساميون من الجزيرة العربية التي هي الموطن الاصلي للعنصر السامي . والساميون هم العرب ، والقبائل التي خرجت من الجزيرة العربية باسماء مختلفة لتملأ بلاداً أخرى ، هي قبائل عربية .. وحين نستعمل في هذا العرض التاريخي كلمة ساميين نراها مرادفة لكلمة عرب .. فالعرب نزلوا فلسطين ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، أي قبل نحو ثمانية آلاف سنة .

وثمة حقيقة تاريخية اخرى علينا ان نعيها ، وهي ان ما يسمى بلاد الهلال الخصيب ، وهي العراق وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) ، اصبحت قبل التاريخ بلاداً عربية دماً وحكماً ، تبعاً للموجات العربية التي ملأت هذه البلاد بالسكان الساميين العرب الذين اتوها بأسماء مختلفة ، واسسوا فيها دولاً عظيمة عرفت في التاريخ

بأسماء متعددة .. وان جميع الاقوام التي قطنت الهلال الخصيب منذ فجر التاريخ كانت عربية ما عدا الحثيين الذين سكنوا مدة من الزمن قسماً من شمالي سوريا ، والفلسطينيين الذين اتوا من كريت واستوطنوا جزءاً من فلسطين ، ما بين يافا وغزة .

اخذ الساميون العرب ، منذ ما قبل التاريخ ، ينزحون من جزيرتهم العربية الى البلاد المجاورة في موجات تتفاوت في عدد افرادها ومدى امتدادها ، فأحياناً لا تتعدى البلاد المجاورة ، واحياناً اخرى تكون كبيرة هائلة تغمر بلاداً واسعة بعيدة ، ويسود افرادها البلاد التي يدخلونها ويؤلفون اكثرية تصبغ البلاد بصبغتها السامية العربية ، ولا يلبث ان يندمج فيها سكان تلك البلاد ويصبح الجميع عرباً ....

وقد دلت الآثار المستخرجة من اراضي ما بين الفرات ودجلة على ان هجرة سامية كبيرة حدثت قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة ، اي قبل نحو سبعة آلاف سنة ، وقطن افرادها بلاد العراق ..

ومن الموجات السامية الكبيرة المعروفة ، الموجة التي حدثت في فجر العصر التاريخي ، نحو السنة ٣٥٠٠ ق. م ، حين خرجت القبائل السامية من جزيرتها العربية باعداد هائلة ، وانتشرت في العراق وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) . ومن فلسطين سارت بعض هذه القبائل الى سيناء ومنها الى مصر ، وذهبت منها قبائل الى شمال افريقيا ، والى السودان والحبشة .. واستوطنت هذه البلاد كلها وامتزجت بسكانها ... وفي مصر ، تكوّن من العنصر السامي العربي ومن السكان الاصليين ، المصريون الذين ذكرهم التاريخ ... وكذلك تكوّنت شعوب افريقيا من العنصر السامي العربي ومن السكان الاصليين .

وتبع هذه الموجة السامية العربية الكبيرة التي انتشرت في جميع البلاد الممتدة من العراق الى المحيط ، موجات سامية اخرى من طلائعها الموجة التي حدثت في فجر التاريخ ، نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، حين هاجرت قبائل سامية كبيرة من الجزيرة العربية واستوطنت العراق وبلاد الشام .. فسادت هذه القبائل السامية العربية سكان العراق وبلاد الشام ، ونشرت في اوطانها الجديدة عاداتها ولغتها بلهجتها المختلفة ، واصبح سكان بلاد الشام والعراق ، تبعاً للموجات السامية المتعددة ، ساميين عرباً ... ففلسطين وشرق الاردن ولبنان وسوريا (بلاد الشام) والعراق كلها بلاد عربية منذ قبل التاريخ اي منذ ستة آلاف سنة ... وقد تأسست في هذه البلاد دول بأسماء مختلفة كلها عربية في عنصرها ...

من القبائل السامية التي سكنت العراق في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد «**الاكاديون**» Akkadians و «**الاشوريون**» . فقد نزل الاكاديون جنوبي العراق، ونزل الاشوريون شماليه ، وكوّنوا دولتين شهيرتين في التاريخ القديم لهما حضارة رفيعة في تاريخ التقدم البشري .

وتبع الموجة السامية آنفة الذكر موجتان اخريان ساميتان عربيتان كبيرتان جاءتا نحو ٢٥٠٠ ق . م . وعرفتا بالموجة **الأمورية** والموجة **الكنعانية** ، واتخذتا طريقهما الى بلاد الشام .. استوطن الاموريون القسم الداخلي من البلاد ، فيما يعرف اليوم بسوريا وشرق الاردن ، مع من تقدمهم من سكانها الساميين العرب الذين سبق ان نزلوها . واستقر الكنعانيون في سواحل بلاد الشام ، فيما يعرف اليوم بلبنان وفلسطين ، مع سكانها من الموجات السامية العربية المتقدمة ...

وبعد هاتين الموجتين الامورية والكنعانية بألف سنة ، اي نحو السنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، عمت بلاد الشام موجة سامية عربية جديدة هي الموجة **الارامية** ومعها القبائل **العمونية والمؤابية والآدومية** . استوطن الآراميون شمالي سوريا واواسطها وانشأوا دولاً تجارية مهمة منها دولة مدينة دمشق . واستقر العمونيون والموءابيون والآدوميون جنوبي سوريا ، اي شرق الاردن من شمال البحر الميت حتى العقبة ...

ازدهرت في القرن الثالث عشر **الدولة المعينية** العربية في اليمن وامتد سلطانها الى شمالي الحجاز وجنوبي فلسطين ... وبعد ذلك استوطن **المدينيون** ، وهم قبيلة معينية عربية ، البلاد الواقعة ما بين مصر وفلسطين الى بئر السبع والحجاز ...

وفي اواخر القرن الثامن قبل الميلاد اتت قبيلة **كلدى** الآرامية العربية الى جنوبي العراق واقامت الامبراطورية الكلدانية ، آخر امبراطورية عربية ظهرت في العراق في العصور القديمة .

وفي سنة ٥٠٠ ق . م . جاءت قبيلة **الانباط** العربية واستوطنت جنوبي بلاد الشام ، اي شرق الاردن . واسست دولة لعبت دوراً في تاريخ المنطقة ، وانشأت عاصمتها «البتراء» التي هي من اهم آثار العرب القدماء ... ومن هذه الموجات العربية هجرة **اللخميين** العرب الذين استقروا في العراق ، وهجرة **الغساسنة** العرب الذين استوطنوا بلاد الشام ..

وكانت آخر الموجات العربية الكبرى موجة **العرب المسلمين** في القرن السابع للميلاد.

وقد غمرت جميع البلاد التي جاءتها الموجات السابقة : العراق وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) ، وجميع بلاد شمال افريقيا والسودان ، وبلاداً جديدة اخرى هي ايران ، وقسم من آسيا الوسطى ، وافغانستان وتركستان ، وباكستان وقسم من الهند ، ووصلوا شرقاً الى غربي الصين ، وغرباً الى اسبانيا وجنوبي فرنسا ، وجنوبي ايطاليا ، وجميع جزر البحر الابيض المتوسط ، الذي اصبح ، مدة من الزمن ، بحيرة عربية ... وارى ان من الاسباب التي ادت الى تحول جميع سكان العراق وبلاد الشام وشمال افريقيا والسودان الى العروبة الحديثة واندماجهم في العرب الجدد انهم كانوا عرباً ، وان العنصر العربي كان سائداً فيهم بسبب الهجرات العربية السابقة الذكر ، بينما البلاد الاخرى التي فتحها العرب المسلمون ، لم يكن العنصر العربي قد دخلها واستقر فيها قبل الفتح العربي الاسلامي ، ولذا لم تلبث العروبة ان زالت منها ...

وبعد هذا العرض السريع للموجات العربية التي جعلت من العراق وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) بلاداً عربية في سكانها وثقافتها منذ ما قبل التاريخ ، وادخلت العنصر العربي بنسب كبيرة بين سكان جميع بلاد شمال افريقيا والسودان في العصور القديمة ، نعود ونذكر بشيء من التوضيح ، سكان فلسطين وممن كانت تتألف عناصرهم منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا . واخص بالذكر الموجات العربية الرئيسية الأربع التي غمرت بلاد الهلال الخصيب وشمال افريقيا وهي : الموجة الآمورية ، والموجة الكنعانية ، والموجة الآرامية ، والموجة الاسلامية .

لكن اود قبل ذلك ان اشير الى ان موقع فلسطين الجغرافي جعل منها جسراً بين القارتين : آسيا وافريقيا ، تعبره الجيوش لمقابلة اعدائها واحتلال بلادها ، وكثيراً ما كانت تلك الجيوش تلتحم في الاراضي الفلسطينية وتجري عليها معارك من اعظم المعارك التي عرفها التاريخ ...وكانت فلسطين ايضاً طريقاً تجارياً مهماً منذ فجر التاريخ الى فتح قناة السويس ... فتجارة آسيا تمر فيها الى افريقيا ، وتجارة افريقيا تمر منها الى آسيا ، وتجارة آسيا تمر منها الى اوروبا ... وهذا الموقع الحربي والتجاري المهم جعل الدول الكبرى تعمل لاحتلالها والسيطرة عليها .. على ان كل من غزاها نزح عنها .. وبقي اهلها فيها ...

— ٢ —

الموجة الآمورية العربية

نزح **الآموريون والكنعانيون** نحو السنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد في وقت واحد من اراضي شرقي الجزيرة العربية الواقعة على الخليج العربي واستوطنوا بلاد الشام ... واختص الآموريون بالقسم الداخلي من بلاد الشام (سوريا وشرق الاردن) والفرات الاوسط ، واسسوا فيه دولة كبيرة ... ونحو السنة ١٩٠٠ ق . م . اجتاح قسم من الاموريين العراق واسسوا فيه دولة عظيمة عرفت في التاريخ باسم **الدولة البابلية الاولى** ، دامت من ١٨٠٠ — ١٥٣٠ ق . م . ومنها ظهر « حمورابي » الاموري العربي (١٧٢٨ — ١٦٨٦) ق . م . صاحب التشريع الذي استقى منه اليهود الوصايا العشر .

والذي يهمنا من تاريخ الاموريين هو انهم اسسوا مملكتين على مشارف فلسطين ، واستوطن قسم منهم فلسطين ذاتها مع اخوانهم الكنعانيين العرب .

المملكة الاولى **مملكة الرفائيين** ، وكانت تقع بين نهر الزرقا وجبل الشيخ نحو السنة ١٣٧٥ قبل الميلاد . ومن ملوكها « عوج » وكان جباراً قامة وبأساً . ويقال انه كان له سرير من حديد طوله اربع عشر قدماً وعرضه ست اقدام ... وكان لهذه المملكة عاصمتان : « درعا » و « عشتروت » التي كانت تقع على « تل عشترة » في الجولان ..

والمملكة الثانية هي **المملكة الامورية** . قامت بعد قرن من تأسيس مملكة الرفائيين ، وموطنها بين نهري « الزرقا » و « الموجب » ، وعاصمتها « حشبدُن » وتقع جنوبي غربي عمان ، في مكان قرية « حسبان » ... وعرف من ملوكها « **سيحون** » الذي قاوم اليهود الغزاة المغتصبين مقاومة الابطال ...

ومن القبائل الامورية التي نزلت في شرق الاردن قبيلة **الزمزميين** او «الزوزيين» .. وقبيلة **الايميين** ، واقامت قرب مدينة الكرك ...

ونزل جماعة من الاموريين جنوبي فلسطين وشواطىء البحر الميت ، وانشأوا لهم مدناً منها « تل الحسي » على بعد ١٦ ميلاً الى الشمال الشرقي من غزة ، و « تل النَّجيله» على بعد ١٨ كيلو متراً الى الشمال الشرقي من غزة ، و « شعلبُيم » في الجنوب الشرقي من اللد وتقوم محلها اليوم « سلبيت » ... وقد حصنوا هذه المدن بأسوار حجرية ضخمة ، وسيطروا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على المواقع العسكرية في جنوبي فلسطين .

وكان الاموريون في فلسطين يتاجرون مع مصر باستمرار ، كما فعل الكنعانيون ..

« وقد وجدت صور على جدار مقبرة بني حسن في مصر يعود تاريخها الى اوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد — في عهد الاسرة الثانية عشرة — يظهر فيها الشيخ الاموري ابشا Absha ، وهو على الارجح من جنوبي فلسطين ، وبصحبته ابناء قبيلته ، من نساء واطفال ورجال ، وعددهم سبعة وثلاثون شخصاً ، ومعهم امتعتهم محملة على ظهور الحمير ، وقد اتوا يتاجرون بالروائح العطرية الكثيرة الاستعمال عند المصريين ، واحضروا معهم هدية لحاكم الاقليم: تيتلا (نوع من بقر الوحش) وغزالاً ... »[1]

وليس لهؤلاء الزوار اي علاقة بابراهيم او باخوة يوسف كما ورد في بعض المؤلفات[1] .

— ٣ —

الموجة الكنعانية العربية

الكنعانيون من اهل فلسطين الاوائل الذين عرفهم التاريخ ، وسجل حياتهم في فلسطين ، اتوا في موجة سامية عربية من الجزيرة العربية ، من شواطئها الشرقية على الخليج العربي ، وعرفت هذه الموجة في التاريخ باسم **الموجة الكنعانية** . ونحو السنة ٢٥٠٠ ق . م . غمرت هذه الموجة ، مع الموجة الامورية ، بلاد الشام كلها : فسكن الاموريون القسم الداخلي من بلاد الشام ، كما ذكرنا ، واستوطن الكنعانيون القسم الساحلي من **بلاد الشام** وجنوبها الغربي ، وهو ما يعرف اليوم بلبنان وفلسطين . واطلق **المؤرخون** ، فيما بعد ، على الكنعانيين الذين استوطنوا القسم الشمالي من **ساحل بلاد الشام** ، ما بين نهر العاصي وجنوبي جبل الكرمل اسم **الفنيقيين** .. وظل اسم « **الكنعانيين** » **مطلقاً** على القسم الذي سكن فلسطين ... والاموريون والكنعانيون اتوا **بلاد الشام في وقت واحد** : اذ هما فرعان من قبيلة عربية كبرى ، حتى ان بعض المؤرخين يؤكد ان **الاموريين** هم الكنعانيون ، والكنعانيين هم الاموريون ... وبناء على **ذلك** فالاموريون والكنعانيون والفنيقيون هم شعب واحد ، شعب عربي من قبيلة عربية كبيرة نزحت من الجزيرة العربية ، من قسمها الشرقي على الخليج العربي ، الى **بلاد الشام** ، وامتزجت بمن كان في هذه البلاد من العرب ، الذين اتوا اليها في موجات سابقة ، وصبغت **البلاد بصبغتها** ، واعطتها لغتها وثقافتها ومدنيتها ...

(١) كتاب « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ .

وعرفت البلاد التي استوطنها الكنعانيون في القسم الساحلي من بلاد الشام وفلسطين « بأرض كنعان » . وقد انشأوا فيها دولة ذات شأن ومدنية زاهرة في زمانها... ثم ان هذا اقتصر على القسم الجنوبي الغربي من بـلاد الشام ، فلسطين اليوم ... ويؤكـد ابن خلدون ان « اول ملك في فلسطين كان للعرب » .

وذهب فريق من الكنعانيين الى ليبيا والمغرب العربي (تونس والجزائر ومراكش) عن طريق مصر ، واستقروا فيه مع الساميين العرب الذين سبقوهم في النزوح الى تلك الديار ... ويؤكد ابن خلدون، المؤرخ العربي المغربي ، الذي عني بصورة خاصة بتاريخ المغرب ، ان **الامازيغ** سكان ليبيا والمغرب العربي الاصليين القدماء ، هم من الكنعانيين ، دعوا بالامازيغ نسبة الى جدهم « مازيغ بن كنعان » .. وقد اطلق الغربيون اسماء اخرى على الامازيغ منها « البربر » و « القبيل » وغيرهما ، وذلك للتمييز بينهم وبين السكان العرب الذين اتوا البلاد بعد الموجة العربية الاسلامية ... وان كانوا جميعاً من اصل عربي واحد مرجعه الى الجزيرة العربية ...

وفي القرن الثامن عشر ق . م . تمكن ملوك كنعانيون من توحيد بلاد الشام كلها (سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن) تحت حكمهم ، وعرفوا فيما بعد باسم « **الهكسوس** » ، وكانت « قادش » عاصمتهم في بلاد الشام ، ودام حكمهم قرناً ونصف القرن ، من (١٧٣٠–١٥٨٠) ق . م . والهكسوس من الكنعانيين كما يؤكد ذلك كثير من المؤرخين ... وحدوا تحت سلطانهم بلاد الشام من القبائل الامورية والكنعانية .. وفي نحو السنة (١٦٧٥ ق . م .) فتحوا مصر واسسوا فيها **دولة الهكسوس** التي ضمت مصر وبلاد الشام ، فكان اول اتحاد بين هذين القطرين العظيمين .. على ان جيش الهكسوس المؤلف من الاموريين والكنعانيين ضم جماعات من الحوريين والحثيين غير الساميين بالاضافة الى قبائل « الخابيرو » **Khabiru** الساميّة ، التي كانت تعمل مرتزقة تحارب لكسب اجر او ربح مغنم . شاد الهكسوس **بلدة افاريس** Avaris لتكون عاصمة امبراطوريتهم ، وهي تقع في شمالي شرقي الدلتا ، قرب بحيرة المنزلة في مصر . وشملت امبراطوريتهم جزءاً من آسيا الصغرى شمالي سوريا وشمال العراق ، وبلاد الشام ومصر .

«كان الهكسوس مثقفين ذوي حضارة وعرفان ، فنهلت مصر من موردهم ، واستنارت بمدنيتهم التي انتظمت فنون الحرب ، ونواحي الصناعة ، واخذت عنهم

كثيراً من المخترعات التي لم تعرف قبل في وادي النيل »[١] .

و « الهكسوس هم الذين ادخلوا الخيل الى القطر المصري اول مرة ، ودربـوا المصريين على استعمال العجلات الحربية التي لم تكن معروفة لديهم ، كما علموهم غيرها من الاسلحة الحربية كالدروع التي تلبس فوق الجسم والسيف الحديدي المنحني والقوس، والمركب الذي كان قد عرفه الاكاديون في العراق في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد . وذهب البعض الى ان الهكسوس هم الذين ادخلوا زراعة الرمان والتمرحنا والكثير من الزهور وغير الزهور الى مصر »[٢] .

وبنى الهكسوس مدناً في اواسط فلسطين ، واخذت مدينـة « تل العجول » في جنوبي غزة تزداد اهمية . وكان الهكسوس يحصنون مدنهم بأسوار مستطيلة او مربعة ، ويحفرون حولها الخنادق . وهذه الحصون ظاهرة في « شكيم » (نابلس) و « حاصور » و « أريحا » و « تل العجول » وغيرها ... وكان نزوح يعقوب واسرته من فلسطين الى مصر زمن حكم الهكسوس في مصر الذي دام نحو مائة سنة .

لم يكن المصريون راضين عن حكم الهكسوس لبلادهم . فعملوا على اخراجهم منها واعادة الحكم الى ايديهم ... فتمكن « احمس » Ahmose (١٥٨٠ — ١٥٥٧ ق . م .) مؤسس الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ — ١٣٥٠ ق . م .) ، في مصر من اخراج الهكسوس منها ، فعادوا الى بلاد الشام وطنهم الاصلي ، حيث كانوا على رأس اتحاد امرائها ... على ان المصريين ظلوا في حرب معهم الى ان تمكن « **تحتمس الثالث** » الذي حكم ما بين (١٥٠١ — ١٤٤٧ ق . م .)من التغلب على ملك «**قادش**» الهكسوسي وحلفائه من امراء سوريا وفلسطين .. واصبحت بعد ذلك ، ارض كنعان (فلسطين) ولاية مصرية ، ودام الحكم فيها للمصريين ما يقرب من اربعة قرون ...

وعلى مر الزمن صار الكنعانيون ، الذين استوطنوا السواحل ما بين نهر العاصي وجنوبي جبل الكرمل ، يعرفون ، ابتداء من القرن الثاني عشر ق . م . باسم **الفنيقيين** .. ونظراً الى ان بلادهم ساحلية فقد عنوا بالملاحة واسسوا حضارة قامت على التجارة ... وكان اسطولهم التجاري من اعظم الاساطيل التي عرفها التاريخ القديم ، تعاطى التجارة

---

(١) مصر القديمة : الدكتور سليم حسن ص (د) من مقدمة الجزء الرابع .

(٢) بلادنا فلسطين للاستاذ مصطفى الدباغ ص ٥١٢ .

في جميع موانىء البحر الابيض المتوسط وموانىء غربي اوروبا ، ووصل الى الجزر البريطانية ، وكان يعود منها ببعض المواد الاولية .

ونحو سنة الف قبل الميلاد نزل فريق من الفنيقيين الكنعانيين العرب شواطىء المغرب العربي ، واسسوا فيها مراكز تجارية ، متعاونين في ذلك مع « الامازيغ » الكنعانيين العرب ، الذين سبقوهم الى تلك البلاد ... فاتسعت تجارتهم وانفصلوا في الحكم عن الفنيقيين في المشرق ... واهم مراكزهم كانت مدينة **قرطاجنة** ، (قرب مدينة تونس اليوم) التي اصبحت عاصمة امبراطورية كنعانية فنيقية عربية شملت بلاد شمالي المغرب العربي واسبانيا وقسماً من جنوبي فرنسا .. وقطع قائدها الشهير **هانيبال** جبال الالب في اواخر القرن الثالث ق . م . وكان جيشه اول جيش قطع هذه الجبال ، ووصل مدينة روما وحاصرها ... غير ان قرطاجنة استدعته للدفاع عنها من هجوم الرومان في افريقيا عليها ... وفي معركة **زاما** سنة (٢٠٢ ق . م) انتصر الرومان عليه . وذهب هانيبال سنة (١٩٦ ق . م .) الى صور وحارب الرومان في صفوف جيش سوريا ، على ان الرومان انتصروا . وبعد ذلك انتحر سنة (١٨٣ ق . م .) وهو يقول « ان هذا سيوفر على الرومان قلقهم في انتظار موت رجل مسن مكروه »[1] . وكان هانيبال من اعظم القادة الذين عرفهم تاريخ العالم .. اما قرطاجنة فقد قرر الرومان — الذين كانوا يحسدونها — هدمها ، فاشعلوا فيها النيران مدة ١٧ يوماً في سنة (٤٦ ق. م . ثم حرثوا ارضها ... » ان هذا العمل، وان حكمنا عليه بمقياس تلك الايام ، لعمل اخرق ، وهو لا يزيد الرومان شرفاً »[1] .

اما الكنعانيون الذين استوطنوا فلسطين فقد اعتنوا بالزراعة ، وبنوا القرى والمدن وخصوصاً في الاجزاء الجبلية ، وشادوا حولها الاسوار وبنوا الحصون للدفاع عنها ضد الغزاة والفاتحين ... وقد اتقنوا الزراعة على مختلف أنواعها ، زراعة الحبوب وزراعة الاشجار والفواكه ، ونقلت عنهم ذلك امم اخرى ... وكانوا اصحاب مدنية راقية .. حاربوا اليهود ، الذين نزحوا الى فلسطين ، قروناً عدة ..

وكان الكنعانيون في فلسطين ينقسمون الى قبائل متعددة لكل قبيلة اسمها الخاص ، ودويلتها الخاصة ، نذكر منها :

---

(١) الدكتور فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ١١٦ .

اليبوسيون : دعوا بهذا الاسم نسبة الى جدهم الاعلى « يابوس » ، وكانت منازلهم في مدينة « يبّوس » وما حولها .. ويبوس هو الاسم الكنعاني لمدينة القدس . اقامها اليبوسيون العرب على الجبل الجنوبي الغربي من القدس المعروف اليوم باسم « جبل صهيون » أو جبل « النبي داود » .. وكان اليبوسيون في حروب مستمرة مع اليهود ، فردوهم عن مدينتهم المحصنة مراراً ، غير ان داود تغلب عليهم في النهاية واحتل مدينتهم في القرن العاشر قبل الميلاد ونقل اليها عاصمته .. وظل اليبوسيون يعيشون في بلدهم وان كان الحكم السياسي اصبح في يد داود وابنه من بعده ..

العناقيون : وكانوا يقيمون ما بين الخليل والقدس، ونزلوا ايضاً غزة وجت .. وكانوا مولعين ببناء المدن والحصون كغيرهم من القبائل الكنعانية العربية . فشادوا مدينة « الخليل » عاصمة دولتهم ، زمن ملكهم « اربع » ، ودعيت يومئذ « قرية اربع » بمعنى مدينة اربع . وبنوا مدينة « اشدود » ومعناها بالعربية الكنعانية « حصن » واسمها اليوم اسدود. و « قرية سفر » وبلدة « عناب » .. ولما دخل اليهود البلد من التيه حاربهم العناقيون ... غير انهم في النهاية غلبوا على امرهم وتغلب اليهود عليهم بقيادة يوشع ...

الحويّون : كانت عاصمة ملكهم مدينة شكيم (بلاطة) وهي نابلس اليوم . وانتشروا في شمالي البلد حتى جبل الشيخ وجبل لبنان . وكانت اهم مدنهم « عيون » ، وهي « دبّين » من اعمال مرجعيون جنوبي لبنان . ... واقام فريق منهم شمالي مدينة القدس وانشأوا « قرية بعاريم » ومعناها « مدينة الغابات » وتعرف اليوم باسم « قرية العنب » او قرية « ابو غوش » ... ولما دخل اليهود فلسطين لاغتصابها من سكانها واهلها الكنعانيين العرب ، حاربهم الحويون ، كما حاربهم غيرهم من اهل البلد الكنعانيين ، في معارك متفرقة ... ومن ملوك الحويين المعروفين « حمور الحويّ » الذي باع قطعة من ارضه ليعقوب ..

العمالقة : قال الطبري ، العمالقة والكنعانيون شعب واحد . وقد استوطن العمالقة جنوبي فلسطين ، والاراضي الواقعة الى الغرب والشمال الغربي من « البتراء » وسيناء.. وعرف عنهم ان اجسامهم كانت طويلة ولذلك سموا بالعمالقة .. ويرجح ان **الجرزيين والحشوريين** ، الذين قطنوا الاراضي الواقعة بين جنوبي فلسطين ومصر وبلاد العرب ، يعودون بنسبهم الى العمالقة ، ودعي « جبل جرزيم » ، احد الجبلين اللذين تقوم عليهما مدينة نابلس ، بذلك نسبة الى « الجرزيين » الذين سكنوه . وسكن آخرون

من العمالقة منطقة نابلس وعمروها . وسمي « جبل العمالقة » نسبة اليهم ، واقيمت عليه مدينة « فِرعتون » المعروفة اليوم باسم « فَرعتا » غربي نابلس .

وكان العمالقة حماة الطرق التجارية التي تمر ببلدهم في العقبة وغزة الى مصر . وعادت عليهم تلك التجارة بفوائد كبيرة وارباح عظيمة .. وفي القرن التاسع عشر اكتشفت آثار في « عين القديرات » ، الواقعة بالقرب من الحدود الفلسطينية المصرية ، دلت على على وجود قلعة كنعانية يرجع بناؤها الى الفي سنة قبل المسيح ... وكانت الغاية من اقامتها في تلك الصحراء المحافظة على طريق التجارة بين مصر والبحر الاحمر ، التي كان العمالقة حماتها ...

ويرجح المؤرخون ان عاصمتهم كانت تقع في منطقة « بئر السبع » . وقد حاربوا اليهود الذين مروا بأراضيهم بشدة ... وساعدوا « عِجْلون » ملك المؤابيين « (وهم من العرب مثلهم) على اخراج اليهود من اريحا ... واستمرت الحرب سنين بين العمالقة واليهود ... منها حرب « شاول » (كالوت) معهم وانتصاره في النهاية عليهم . وقال العهد القديم بشأنهم ... « وقال صموئيل لشاول ... اضرب عماليق واحرقوا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً وبقراً وغنماً وجملاً وحماراً »[1] .. ومع ذلك ظلوا يحاربون اليهود. واشتدت الحرب بينهم ايام داود وسليمان .. ونال اليهود انتصارات عليهم ، غير ان العمالقة فازوا بانتصارات على اليهود ، ولم يتمكن المغتصبون من التغلب عليهم في جميع بلادهم ...

الايفيميون : قبيلة من الكنعانيين كانت تسكن السهول الواقعة في الجنوب الغربي من فلسطين الى غزة. ويرجح البعض انهم « العويون » الذين قال فيهم موسى (تثنية ف ٢ عدد ٣) « العويون المقيمون بالقرى الى غزة ، تغلب عليهم الكفتريون الخارجون من كفتور واقاموا مكانهم » ... وكفتور هي جزيرة كريت ، والكفتريون هم الفلسطينيون الذين نزحوا الى فلسطين في القرن الثاني عشر ق.م. واستوطنوا ما بين يافا وغزة .

(١) صموئيل الأول : الاصحاح ١٥ : ١ — ٤ .
هذه هي المدنية اليهودية ، التي يعمل بها الصهيونيون اليوم ويطبقونها في فلسطين . لقد قتلوا نساء ورجالا واطفالا ورضعاً وبقروا بطون الحبالى في دير ياسين وغيرها .. ولما دخلوا أريحا في حزيران ١٩٦٧ ، توجه عدد منهم الى اسطبل شهير لاردني ، فيه عدد كبير من خيرة الجياد العربية ، ولما اقتربوا منها صوبوا اليها رصاص رشاشاتهم ، وانتابتهم نشوة الفرح لما رأوها تسقط على الأرض ودماؤها تتدفق من ثقوب احدثها الرصاص .. !

وكانت القبائل الكنعانية في فلسطين تعيش كلٌّ في دويلتها مستقلة عن الاخرى . ولما داهمهم اليهود القادمون من مصر لاغتصاب بلادهم ، كانت كل دويلة تحارب الغزاة وحدها ، ولا تمدها القبائل الاخرى بالمساعدة ، ولهذا كانت القوة اليهودية الموحدة الغازية تستفردهم واحدة بعد اخرى، وفي النهاية تغلبت على الكثير منهم .. مع ان القوة اليهودية المغتصبة لم تكن قوية في حد ذاتها ، غير ان قوتها كانت في كونها موحدة وبقيادة واحدة تجاه قوى متفرقة .. ولو ان القبائل الكنعانية كونت فيما بينها جبهة واحدة ضد الغزاة لما تمكن المغتصبون من التغلب عليهم مطلقاً ، ولما قام لليهود في فلسطين قديماً وجود ولا دولة ..

وما اشبه عرب القرون الوسطى ، والدول العربية في ايامنا هذه بعرب القرون الاولى .. لما كان عرب القرون الوسطى جبهة واحدة حكموا العالم المتمدن حينذاك وكونوا اكبر امبراطورية عرفها التاريخ ، امتدت من الصين شرقاً الى المحيط غرباً بما في ذلك اسبانيا وجنوبي ايطاليا وجميع جزر البحر الابيض المتوسط ... ولما تفرقوا واصبحوا دويلات في اسبانيا سهل على دويلة الاسبان في تلك الايام التغلب عليهم دويلة بعد اخرى الى ان اخرجوهم من اسبانيا ، بعد ان اقاموا فيها ثمانية قرون ! .. فهل سيعيد التاريخ نفسه ؟ ! فقد قدم الصهيونيون قلة ضعفاء غزاة الى فلسطين ساعدهم في ذلك طبعاً الانكليز اولاً ثم الامريكيون ثانياً .. ولما ثبتت اقدامهم في قسم من فلسطين ، اخذوا ، وهم جبهة واحدة ، يضربون العرب دولة دولة ويتغلبون عليهم . انهم ليسوا تلك القوة الهائلة . انهم اقوياء بالنسبة الى تفرق العرب الذي جعلهم ضعفاء. ولو ان العرب قاتلوا الصهيونيين الغزاة المغتصبين جبهة واحدة ، لما تمكنوا من النصر ابداً ، ولما قامت دولة صهيونية في قلب البلاد العربية ! .. اما آن للعرب ان يتعظوا من دروس التاريخ ؟ ! .. ام انهم لا يقرأون ؟ ... وهل سيستمر المسؤولون في اضاعة البلاد بسبب خلافاتهم ؟ ! ..

* * *

والى جانب القبائل الامورية والكنعانية العربية التي استوطنت فلسطين منذ فجر التاريخ ، سكنتها قبائل عربية اخرى نذكر منها المعينيون والمدينيون :

يرجع **المعينيون** ، الذين سكنوا فلسطين ، الى الدولة المعينية التي هي من اقدم الدول العربية في التاريخ . وقد نشأت في اليمن في الالف الثالث قبل الميلاد على رأي بعض المؤرخين ، وازدهرت ما بين (١٣٠٠ — ٦٣٠ ق.م.) على رأي اكثريتهم ..

وامتدت حدودها الى شمالي الحجاز وجنوبي فلسطين ، وكانت مدينة « معان » مركز سلطتهم وتجارتهم .. ويقول جورج زيدان « وامتد نفوذ المعينين في ابان دولتهم الى شواطىء البحر الابيض المتوسط وشواطىء الخليج العربي وبحر العرب ». وكان المعينيون تجاراً مهرة ، لهم قوافل كبيرة تنقل سلعهم المختلفة من جنوبي بلاد العرب الى شواطىء البحر الابيض المتوسط مارة بمكة المكرمة والمدينة المنورة ومعان الى غزة ، التي كانت الطرف الغربي من الرحلة التجارية .. ويذكر مؤرخون آخرون انهم هم الذين بنو غزة ... ومن المؤكد انهم ساعدوا على تقدمها ونموها ان لم يكونوا بناتها ... ويؤكد المؤرخون ان بطونا معينية استوطنت جنوبي فلسطين ، واقامت دولة في منطقة غزة ، وحافظت على كيانها الى عهد الاسكندر المكدوني ..

اما **المدينيون** فهم في الاصل قبيلة من المعينين ، استوطنوا الاراضي الواقعة ما بين مصر وفلسطين الى بئر السبع والحجاز ، والى الشرق والشمال الشرقي من البحر الميت . وبعضهم نزل في جهات طبريا واستقر فيها ... والنبي « شعيب » ، الذي ظهر في اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، نبي عربي مديني ، قبره في « حطين » ، اما ياقوت فيقول ان قبره في « خياره » قرب حطين . وتوجد جنوبي السلط بركة ماء ، الى جانبها شبه دائرة صغيرة تسمى « مقام النبي شعيب » ، يجلها بدو تلك المنطقة ويأبون القسم كذباً بحق شعيب او برب شعيب امامها ...

عاش المدينيون مع الكنعانيين في هذه البلاد واختلطوا بهم ، واكتسبوا بعض عاداتهم . وقد مارسوا الزراعة ورعي المواشي ، كما اعتنوا بالتجارة كاخوانهم المعينيين ، فكانت لهم تجارة مع لبنان وفلسطين ومصر .. ويرجع الفضل في بقاء يوسف ابن يعقوب حياً الى المدينيين ، اذ هم الذين انتشلوه من الجب الذي القاه فيه اخوته ، وباعوه من قافلة تجارية عربية قادمة من بلاد عجلون في طريقها الى مصر بعشرين شاقلاً من الفضة ، وهو ما يعادل ٢٢٥,٢ غراماً ، اذ الشاقل ١١,٤٦ غراماً .

ولما دخل اليهود شرق الاردن ، في طريقهم الى فلسطين ، حاربهم المدينيون مراراً ، فانتصروا احياناً وهزموا احياناً اخرى ، على انهم ظلوا في بلدهم ، واندمجوا في القبائل العربية الاخرى التي منها تكون اهل فلسطين ... يذكر بعض الباحثين ان عشيرة « اللياثنة » وعشيرة « الحسنات » في بلاد بئر السبع من بقايا المدينيين ... كما ان بعض المؤرخين يرجع نسب قبيلة جُذام الى المدينيين . سكن قسم من جذام مصر قبل الاسلام . ونزلتها جماعة منهم مع عمرو بن العاص . وينسب الى جذام عرب « العائذ »

في سيناء وفي محافظة الشرقية بمصر وكان عليهم درك الحج حتى العقبة ... ونسبة جذام الى القحطانيين ، حسب رأي مؤرخين آخرين ، لا تتعارض مع نسبتهم الى المدينيين لان هؤلاء هم من المعينيين الذين اقاموا دولة كبيرة في اليمن امتدت الى فلسطين .

وما « القَيْنيُّون » الذين سكنوا منطقة مدين بين فلسطين وسيناء وشرقي خليج العقبة الا من المدينيين ومن اقرباء شعيب ..

— ٤ —

الموجة الآرامية العربية

والقبائل العمونية والمؤابية والادومية

وبعد مرور نحو الف سنة على الموجتين الآمورية والكنعانية الكبيرتين خرجت في نحو السنة ١٥٠٠ ق.م. موجة جديدة من الجزيرة العربية ايضاً وغمرت بلاد الشام . وهذه الموجة تألفت من « الاراميين » ومن القبائل « العمونية والمؤابية والادومية » واتخذ الجميع من بلاد الشام موطناً .

والاراميون كانوا قبل ان يسموا بهذا الاسم ، قبائل رحلاً في بادية شمالي الجزيرة العربية ... سكنت هذه القبائل قبل سنة ١٥٠٠ ق.م. ضفاف وادي الفرات الاوسط حيث نشأت قوميتها ولغتها .. ثم امتدت الى سوريا ... وكانت هذه الهجرة الارامية ، بعد الهجرتين الامورية والكنعانية ، ثالث موجة سامية عربية كبرى ، ايام التاريخ ، اتت من الصحراء وغمرت بلاد سوريا ، واندمج بها سكانها من الاموريين ، اما الكنعانيون ، في السهل الساحلي فلم يمس كيانهم ..

واوجد الاراميون دولاً متعددة شمالي نهر اليرموك :

اوجدوا دولة في شمالي سوريا عرفت بدولة « آرام النهرين » بين نهري الفرات ورافده نهر خابور .. ودولة « فدان ارام » وعاصمتها « حاران » (حرّان) ، ومعناها طريق ، وتقع في الصحراء في منتصف الطريق التجاري المهم بين العراق ودمشق ، وكانت من اعظم مراكز الحضارة الارامية ... ودولة « صوبا » وعاصمتها بالاسم نفسه « صوبا » ومكانها الآن « مجدل عنجر » جنوبي زحلة في البقاع من لبنان ... وانتقلت هذه الدولة الى دمشق في اواخر القرن الحادي عشر ، وعرفت في التاريخ

بعد ذلك بمملكة « ارام دمشق » وهي اهم الممالك الارامية ، وامتد ملكها بين لبنان والصحراء والفرات واليرموك .. وكان هؤلاء الاراميون ، خلال قرنين ، ألد اعداء اليهود المغتصبين ...

ومن ملوك « ارام دمشق » بنحدد الاول » (نحو ٨٧٩ — ٨٤٣ ق.م.) اخذ « من ملك يهوذا كنوزاً ثمينة من المعبد ومن القصر الملكي في اورشليم ثم هاجم ملك اسرائيل وجعل جلعاد في شرقي الاردن تحت السيطرة الارامية . والواقع ان مملكة اسرائيل كانت تبدو تابعة اسمياً لارام منذ اواخر ايام ملكها عمرى نحو ٨٧٥ ق.م. »[1]

وتولى « **حزرائيل** » وريث بنحدد، ملك « ارام دمشق » سنة ٨٠٥ ق.م.، وكان اعظم محارب في التاريخ الارامي ، فقد صمد لهجومين قام بهما شلمناصر الاول في ٨٤٢ و ٨٣٨ ق.م. ثم حارب « مملكة اسرائيل » ووسع ملكه في شرق الاردن الى الجنوب حتى نهر « ارنون » (الموجب) الذي يصب في البحر الميت .. وتوسع حزرائيل في فتوحاته الى سهل فلسطين واستولى على طريق التجارة بين مصر والجزيرة العربية ... ثم سار الى اورشليم لفتحها ، ولكن اليهود قدموا له الذهب والكنوز التي كانت في المعبد ، فأبقى عليها ..

وجاء الخطر على مملكة « ارام دمشق » من الاشوريين الذين استولوا على دمشق سنة ٧٣٢ ق.م. فزالت السيادة الارامية ، وظل الاراميون في بلادهم تحت الحكم الاشوري العربي ... وما تبعه من حكم .. الى ان اتى الحكم العربي الاسلامي .

وكان للاراميين نشاط تجاري مشهود به ، فهم لم يكتفوا بالتجارة بين العراق والشام ، بل اخذت قوافلهم تسير الى مصر وفارس والهند وآسيا الصغرى ... ونقلوا معهم الحروف الهجائية التي تعلموها من ابناء عمومتهم الكنعانيين الفنيقيين ، فاصبحت هذه الحروف العربية القديمة حروف الشعوب الشرقية ما عدا الصين واليابان ... وانتشرت لغتهم التي نسميها الارامية ، وهي فرع من العربية ، في بلاد الهلال الخصيب ، وحلت محل اللغة الكنعانية في نهاية القرن الثامن ق.م. وظلت لغة البلاد حتى الفتح العربي الاسلامي ، فحلت اللغة العربية الحديثة محل اللغة العربية الارامية ..

وبعد ان اعتنق كثير من الاراميين الديانة المسيحية عرفوا باسم « السريان » ولغتهم اللغة السريانية ، التي لا تزال لهجات منها باقية ... وبعد الفتح العربي الاسلامي اندمج

(١) الدكتور فيليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٧٩ .

الاراميون (السريان) في العرب المسلمين ابناء امتهم ، الامة العربية ، اذ انهم جميعاً عرب من الجزيرة العربية ..

واستوطنت القبائل **العمونية والمؤابية والآدومية** الجنوب الشرقي من الشام . وعملت في الزراعة ، زراعة الحبوب والكروم ، وشادت المدن العديدة وحصنتها وملكت قطعاناً عديدة من المواشي . وكانت لغتها فرعاً من الارامية ، لا تختلف عنها الا في اللهجات . وفي القرن الثالث عشر ق.م. اسس كل من هذه القبائل دولة في الجهات التي استوطنت فيها .

اقام **العمونيون** دولتهم جنوبي نهر اليرموك ، وحلوا محل « الزوزيين » من الاراميين ، وكانت عاصمتهم « ربة عمون » التي اصبحت ، تخفيفاً للفظ ، « عمون » ، وهي « عمان » الحالية عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية .

اشتغل العمونيون بالزراعة وتربية المواشي ... وحاربوا اليهود مراراً ... وكانوا يعبدون الاصنام كغيرهم من ابناء تلك العهود . ومن طقوسهم الدينية تقديم الضحايا ، من بشرية او حيوانية تبعاً لأهمية الامر الذي يريدون ان يحققه لهم صنمهم . وكان اشهر اصنامهم « مولك » ، المصنوع من النحاس ، والجالس على عرش من نحاس ، ورأسه رأس عجل كبير مزين باكليل ، ويمد ذراعيه الى الامام . وكان العرش والصنم مجوفين ، تشعل النار في الجوف ، ومتى احمر الذراعان من شدة الحرارة كانوا يضعون عليهما قربانهم ... وفي تلك اللحظة تدق الطبول وترتفع اصوات المرتلين الكهنة حتى لا يسمع صراخ الضحية التي تحترق ... ويتفرق الحاضرون وهم يضرعون الى الههم ان يحقق امالهم التي من اجلها قدموا القربان ... وكان الفنيقيون يعبدون « ملكارت » اله مدينة صور بمثل هذه الطقوس ..

واخذ اليهود عبادة « مولك » عن العمونيين ، واستمروا في عبادته مدة من الزمن. وكان « وادي جهنم » في القدس ، من الاماكن التي مارسوا فيها عبادة هذا الصنم .. وسمي ذاك المكان بهذا الاسم لان اليهود كانوا يرمون فيه ضحاياهم وقاذوراتهم ، ويشعلون النار في الوادي باستمرار تلافياً لانتشار الروائح الكريهة الناجمة عن العفونة. فصار الوادي بمثابة جهنم على الارض ..

واسس « **المؤابيون** » دولتهم جنوبي الدولة العمونية، بين نهري الموجب والحسا ، وحلت مكان « الايميين » من الامورين آنفي الذكر . واطلق على بلادهم فيما بعد

اسم « بلاد مؤاب » وهي هضبة زراعية ... ومن المرجح ان عاصمتهم كانت « قير حارسة » التي تقوم مكانها اليوم مدينة الكرك في شرق الاردن .

وكان المؤابيون من اشد الشعوب العربية القديمة حرباً مع اليهود .. اذ حاربوهم اولاً وهم في طريقهم الى فلسطين ... وحاربوهم في « عصر القضاه » بقيادة ملكهم « عجلون » وقهروهم وفرضوا عليهم الجزية ... وقد نقلوا عاصمتهم الى مدينة « اريحا » ..

وقام الملك المؤابي « ميشَع » في القرن التاسع ق.م. فحارب اليهود وتغلب عليهم ، وخلد انتصاراته في الحجر المؤابي الشهير الذي اكتشف في قرية « ديبان » ، على بعد ٦٤ كيـــلو متراً من عمان ، والحجر موجود الآن في متحف اللوفر في باريس ، ومخطوط عليه باللغة المؤابية ، التي هي لهجة من لهجات اللغة الارامية العربية القديمة ...

وانشأ **الادوميون** دولتهم في القرن الرابع عشر ق.م. في البقاع الواقعة بين نهر الحسا وخليج العقبة ، جنوبي الدولة المؤابية ، وبذلك حلوا مكان الحوريين الذين سكنوا هذه البقاع من قبلهم ... وسميت هذه القبيلة العربية بالادوميين نسبة الى « آدو م » . وأدوم كلمة سامية معناها الاحمرار ، اطلقت على هذا البلد لاحمرار تربته وصخوره. وكانت عاصمتهم مدينة « بصره » ، وتسمى القرية التي تقوم مكانها اليوم « البصيرة » ، على بعد عشرين ميلاً الى الجنوب الشرقي من البحر الميت .. وكانت « سالع » (البتراء) اشهر مدنهم الجنوبية ، « وايله » (العقبة) تحت سيطرتهم قروناً عديدة .

واشهر من عرف التاريخ من الادوميين « ايوب » العربي ، ذو الشخصية الفذة والادبية الرائعة ، الذي جاء ذكره في القرآن .

اشتغل ايوب بالزراعة وتربية الاغنام ... وقد لاحقته المصائب وتوالت عليه النوائب ، فدمرت املاكه واهلكت اولاده وانعامه واضاعت امواله ... ومرض بالقروح ، التي تتقزز منها النفس ، فهزل جسمه ، ومع هذه المصائب والنوائب صبر ايوب صبراً جميلاً ، وصار يضرب بصبره المثل . فزع ايوب الى ربه ضارعاً « وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين » ، فاستجاب له ربه ، واعاد عليه صحته وعافيته ، ورزقه الاولاد والاموال ...

وايوب الاديب كتب عنه كبار الادباء الغربيون ، والمؤرخون ، وأشادوا بانتاجه الادبي ، واعتبروا ما انتج « اعظم شعر في التاريخ » واسموه « بطريرك العرب » ..

قال عنه الدكتور فيليب حتي : (وايوب ذاته الذي تغنى بانفس ما انتجته القريحة السامية القديمة من القريض كان عربياً لا يهودياً . يدلك على ذلك بناء اسمه ايوب . ومسرح الحوادث التي يرويها كتابه هو شمالي الجزيرة . اما موطنه « عوص » فهو « عَوْص » من نواحي « ادوم » . اضف الى ذلك ان صديقه « اليفار » كان من اهل « تيماء » . ولعل هذا السِفر وضع اصلاً باللغة العربية. فاذا صح ذلك كان اقدم ما لدينا من مخلفات اداب عرب الشمال) .[١]

وقال عنه الاستاذ خير الدين الزركلي : (وقد لقبه فيكتور هيجو ، الاديب الفرنسي المشهور ، ببطريرك العرب . وقال في كتابه عن شكسبير ، وهو يتحدث عن العباقرة ، ان ايوب كان اديباً وهو اول من ابتدع اسلوب الفواجع Drama . وقد ضاع شعره العربي ولم يبق منه غير الترجمة العبرية المنسوبة الى موسى)[١] .

وقال جورج سارتون (ان كتاب ايوب آية من آيات الادب العالمي . وقد عده « تنيسون » اعظم شعر في التاريخ) . وقال ايضاً (كتاب ايوب قصيدة لا مقالة علمية . والرجل الذي كتبه شاعر عبقري ، وصف باحكام ودقة عجائب الكون وحكمة الله ، وقد جمع بين المعرفة والواقعية في خيال بديع ولغة جميلة جداً[١]) .

قام اليهود بترجمة كتاب ايوب ، مؤلفه الشعري الرائع ، والقطعة الادبية العلمية الخالدة ، الى اللغة العبرية ، وضاع الاصل الذي وضع باللغة العربية !.. ونسب اليهود هذا السفر الرائع النفيس الى رجلهم موسى ، الذي قتل انساناً في مصر وأدى به ارتكابه جرم القتل الى الهرب وجماعته الى سيناء[٢] ...

كان الآدوميون ، كالقبائل العربية الاخرى ، اعداء الداء لليهود المعتدين الغاصبين لبلادهم . حاربوهم عندما ارادوا الاعتداء على بلادهم والمرور منها ، وحاربوهم بعد ذلك مراراً في مختلف العصور ...

في نحو سنة ٥٠٠ ق.م. اتى الانباط العرب الى بلادهم واستوطنوها ، فهاجر قسم

---

(١) جاءت هذه المقتبسات في كتاب « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ .

(٢) ان الواجب نحو « الفكر العربي » يدعو احدى المؤسسات الثقافية الى ان تقوم بترجمة كتاب أيوب من اللغة العبرية الى اللغة التي وضع فيها أصلا، اللغة العربية ، ترجمة متينة ، وطبعه طباعة أنيقة مصورة ، مع ترجمة وافية لحياة أيوب ، المفكر والأديب العربي ، الذي يعتبر كتابه أقدم سفر عربي وصلنـــا من الفكر العربي القديم .

من الادوميين الى فلسطين واستقروا في جنوبها ، واصبحت الخليل من مدنهم ، و « بيت جبرين » من قلاعهم ...

واشتهر من الآدوميين ، أو خر وجود اليهود في فلسطين ، هيرودوس الآدومي ، الذي عينه أغسطس قيصر أميراً على اليهودية ، فقضى على سلطان الميكابيين ، وابتدأت به الدولة الهيرودسية ..

* * *

ملأت القبائل السامية العربية ، التي أتت بموجات الاموريين والكنعانيين والاراميين ، بلاد الشام ، واسست فيها دولاً وامارات ، وعندما كان ابناؤها تحت قيادة واحدة اسسوا امبراطورية كبيرة اطلق عليها امبراطورية الهكسوس في القرن السابع عشر ق.م. غير انهم في معظم القرون كانوا متفرقين الى دول وامارات ، واحياناً كانت كل مدينة تشكل امارة .. ومع ان بلاد الشام خضعت ، من الناحية اليساسية ، قروناً متفرقة للسيادة المصرية احياناً ، وللسيادة البابلية والاشورية العربيتين احياناً اخرى ، الا ان سكان البلاد بقوا في عنصرهم من ابناء القبائل السامية العربية السابق ذكرها وهي جميعها اتت من الجزيرة العربية . وهذه الجزيرة هي مهد الساميين ، وكل من خرج منها سامي عربي .

والشعوب لا تنقرض ، وليس هناك شعب بائد ... وانما الشعوب تندمج بعضها في بعض ، ويسود عنصر منها على آخر فتظهر بأسماء جديدة ... ولكي ينقرض شعب ، مع الزمن ، لا بد له من ان يعيش في عزلة عن الشعوب الاخرى ، وتكون الوفيات فيه اكثر من المواليد ، وهذا قل ان عرفه التاريخ ، ان عرفه حقاً .. والشعوب في كل اقليم ، كحلقات السلسلة ، تأخذ كل حلقة برقاب الحلقة التي امامها ، وتكون السلسلة ، كما تكون الشعوب ، التي تقطن اقليماً في ازمان متلاحقة ، الشعب الاخير لذاك الاقليم..

على ان شعوباً غير سامية ظهرت شمالي بلاد الشام ، وتوغل بعضها في القسم الشمالي من سوريا وحكم تلك المنطقة مدة ثم اخرج منها . وهذه الشعوب هي « الحوريون » و « الحيثيون » . اما في فلسطين فقد اتاها شعب غير سامي من جزيرة كريت عرف باسم « الفلسطينيين » . وفي الصفحات التالية نظرة سريعة الى الحوريين والحثيين والفلسطينيين .

— ٥ —

الحوريون والحثيون والفلسطينيون

كان بين جيوش الهكسوس جماعة من « **الحوريين** » وهم شعب لا يزال اصله مجهولاً ... واتى الحوريون من المرتفعات الواقعة شمالي شرقي الهلال الخصيب بين بحيرة « اورمية » وجبال « زاغروس »، وغزوا شمال بلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق.م . وسكنوها ، ومنها اتجهوا الى سوريا الشمالية واسسوا **مملكة ميثاني** نحو ١٥٠٠ ق.م . ومثلوا دوراً في الشرق الادنى مدة من الزمن . وكانت عاصمتهم « واشوكاني » ويظهر ان موقعها هو الفخارية على الخابور شرقي حران . وقد سكن الاموريون قبلهم بلاد مملكتهم هذه ..

وفي القرن الرابع عشر ضعف امر هذه المملكة .. وانتهى وجودها نهائياً في عهد الملك الاشوري شلمناصر الاول ... ولما نزح الاراميون الى سوريا امتصوا من كان من الحوريين في شرقي سوريا. ولم تمتد يد دولة الحوريين الى فلسطين ابداً . ولم تقم جماعة الحوريين دولة في فلسطين ، ومن سكنها منهم كانوا بقايا من جيش الهكسوس اندمجوا في السكان ...

« ويعتقد ان الحوريين هم الذين اعطوا الاشوريين تلك الملامح التي تميزهم عن ابناء عمهم الساميين في الجنوب ، اي البابليين . والملامح السامية المزعومة التي يتصف بها اليهود هي في الحقيقة حثية حورية »[1] .

والحثيون في الاصل من الشعوب الآرية التي ترجع الى القبائل التي كانت تسكن السهول الواقعة شرقي بحر الخزر والممتدة الى مصب نهر الدانوب ، مارة بروسيا الجنوبية وسواحل البحر الاسود الشمالي ... وقد دجنت هذه القبائل الخيول واستعملتها للركوب وجر المركبات الحربية ... اما الساميون فقد عرفوا الخيول وفوائدها بعد عصر حمورابي . ثم اصبح الساميون العرب اكثر الشعوب ولعاً واهتماماً بالخيول . واشتهرت خيولهم العربية الاصيلة في جميع انحاء العالم ...

وفي القرن العشرين قبل الميلاد اتت جماعة من تلك القبائل الاسيوية الآرية ونزلت

(١) الدكتور فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الأول ص ١٦٥ و ١٦٨ .

ونزلت آسيا الصغرى وتغلبت على قبيلة « خطي » Khatti التي تقطن منطقة نهر « قزيل ايرمق » (النهر الاحمر) شرقي انقره ... ومن امتزاج الفاتحين بهذه القبيلة نشأت الامة الحيثية ... وفي القرن الرابع عشر ق . م . نشأت دولتهم واحتلت آسيا الصغرى وقسماً من شمالي سوريا ، ثم شادوا المستعمرات بين حلب وخليج الاسكندرونة. وبعض العناصر الحيثية لم تأت فلسطين فاتحة لها ، بل للسكنى فيها ، ونزلت « الخليل » و « بتّين » من قرى رام الله . « ولم تكن فلسطين في اي وقت قسماً من الامبراطورية الحيثية ، ولكن عناصر حيثية وجدت فيها »[1] وعاشت بين اهلها من اموريين وكنعانيين وآراميين ... واندمجت فيهم وزال عنصرها ...

وأما **الفلسطينيون** فهم الشعب غير السامي الوحيد الذي استوطن فلسطين ومثل دوراً مهماً ايام اليهود ... واصل اسمهم هو « بليست » Peleset او « بلستي » ، وقد اتوا من جزيرة « كفتور » (كريت) واسسوا دولة لهم ما بين يافا وغزة ، ووصلوا شرقاً الى سفوح الجبال ، وحاربوا اليهود بشدة وضراوة ... وذكرهم العهد القديم باسم « الفلسطينيين » فعرفوا في التاريخ بهذا الاسم . ومن اسمهم اخذ القسم الجنوبي من بلاد كنعان اسمه الجديد فلسطين . وكان « هيرودوس » المؤرخ اليوناني اول من اطلق اسم فلسطيا « فلسطين » على القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام في كتابه الذي وضعه سنة ٤٥٠ ق . م . ، وكان قبله يطلق على القسم الساحلي ما بين يافا وغزة فقط .. واستعمل الرومان هذا الاسم الجغرافي ، وعنهم اخذه الغربيون .

ومن مدن الفلسطينيين المهمة غزة وعسقلان واسدود وعقرون وعراق المنشية — جن — ويبنا ، وكان الكنعانيون قد انشأوها ... اما الفلسطينيون فأنشأوا مدينتي « اللد »[2] و « حقلاع » التي كانت تقوم على « تل خويلفه » على بعد ٢٥ كيلو متراً الى الشمال الشرقي من « بئر السبع » . وكانت كل من هذه المدن مستقلة عن الاخرى ، وان كانت تتحالف عند الخطوب لمواجهة الاعداء صفاً واحداً ... ويبدو ان السيادة

(١) المصدر السابق .

(٢) وفي اللد ولد ودفن القديس « جاورجيوس » وهو الخضر عند المسلمين في رأي البعض . ومن اللد « أبو يعقوب بن سيار اللدي ». ومن فقهائها في القرن الثاني عشر الهجري « يس اللدي » ، ذكره المرادي (٤ / ٢٣٧) بقوله : « الفقيه الشافعي المحدث المفسر المنطقي النحوي الاديب المفنن » ، درس في الازهر ، ودرس في نابلس ، وتوفي في سنة ١١٩٠ هـ . (من « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ ٥٣٧) .

كانت لمدينة « اسدود » وكان حاكمها يلقب بلقب .. « سيرين » Seren وهي تعني « سيد » باللغة الفلسطينية .

واشتهر الفلسطينيون بالتجارة براً وبحراً ، فكانت لهم القوافل التي تجوب البلاد المجاورة ، والمراكب العديدة التي تمخر البحار ... وكان لهم تأثير في تدريب الفنيقيين وتشجيعهم على الاسفار البحرية التي قاموا بها .. وقد اثروا في مدنية فلسطين الصناعية حينما ادخلوا الى البلاد صناعة الحديد ، التي لم تكن معروفة فيها قبلهم ...

وكان الفلسطينيون اعداء ألداء لليهود ، وكانوا متفوقين على اليهود في المدنية والعمارة ، وتدل بقايا منازلهم الفسيحة المرتفعة السقوف على ذلك ، بينما كانت ابنية اليهود بدائية صغيرة بسيطة واطئة السقوف ... كما انهم فاقوا اليهود في مدنية الحياة ، وفي فنون الحروب ... استعملوا العديد من العجلات والفرسان ، ولبس المشاة الخوذ ، التي كانت تسمى في لغتهم « كوبع » وكلمة قبعة العربية فلسطينية الاصل . وحصنوا المدن بأسوار وابراج ...

وعرف التاريخ عدداً من قادتهم ، منهم « اخيش » Achich ملك عراق المنشية ، الذي لجأ اليه داود مرتين هرباً من الملك طالوت (شاول) الذي اراد قتله . ومنهم « جالوت » او جوليات الذي قتل في عراق المنشية . وقد عملت الدعاية اليهودية البارعة من داود بطلاً حينما قتل جوليات في معركة بين الفلسطينيين واليهود ، وزوقوا ذلك حتى اصبح من قبيل الخرافة ...

وحصلت بين الفلسطينيين واليهود معارك عديدة ، انتصر الفلسطينيون في كثير منها ، وانتصر اليهود في عدد منها . ومن اهم هذه المعارك معركة « افيقه » (رأس العين) التي وقعت نحو سنة ١٠٥٠ ق . م . ، والتي انكسر اليهود فيها انكساراً فظيعاً وغنم فيها الفلسطينيون ، بين غنائم كثيرة « تابوت العهد » .. ومعركة « جبل جلبوع » (جبل فقوعه) التي انتصر فيها الفلسطينيون انتصاراً عظيماً آخر على اليهود ، وقتلوا فيها (طالوت) وابناءه الثلاثة سنة ١٠٠٤ ق . م. وقد هزم داود بعد ذلك الفلسطينيين.

واستمر الفلسطينيون يحاربون اليهود منذ دخولهم فلسطين واثناء مملكتهم الموحدة ، وبعد انقسامها الى دولتين ... واشترك الفلسطينيون في القتال الذي وقع بين مصر واشور ، لوقوع بلادهم في طريق القوتين المتحاربتين .. وفي القرن الثامن ق . م . حاصر قائد جيوش « سرجون الثاني » ملك اشور مدينة « اسدود » واحتلها بعد حصار

دام ثلاث سنوات ، واحتلت مصر مدينة غزة ... فزالت سيادة الفلسطينيين السياسية ، واندمجوا في السكان من كنعانيين وغيرهم من القبائل العربية التي كونت اهل فلسطين ..

— ٦ —

الاستعمار اليهودي وسياسة الإبادة

لليهود ثلاثة اسماء : الاول العبرانيون ، وهو الاسم الذي اطلقه الكنعانيون على ابراهيم وأقاربه ، لعبورهم نهر الفرات حين نزوحهم عن وطنهم جنوبي العراق . والثاني الاسرائيليون ، نسبة الى اسرائيل (يعقوب) ابن اسحق ، اطلق اولاً على ذريته ثم شمل اليهود . والثالث اليهود ، نسبة الى دولة يهوذا ، التي اخذت اسمها من « يهوذا » ؛ الابن الرابع ليعقوب ... واننا حين نتكلم عن هؤلاء جميعاً في هذا العرض التاريخي ، نذكرهم باسم اليهود لانه اعم من اسم عبرانيين او اسرائيليين ، لشموله لاولئك وجميع من دخل في الدين اليهودي من مختلف الشعوب والعناصر والالوان ... واليهود ليسوا شعباً ولا عنصراً ، وخصوصاً بعد ان تفرقوا في مختلف انحاء العالم ودخلت دينهم شعوب من عناصر وألوان مختلفة على مدى القرون ... واليهود اليوم هم من يدينون بالدين اليهودي من شعوب وعناصر مختلفة ، كالمسيحيين والمسلمين .

قصة ابراهيم وحفيده يعقوب

وأصل اليهود عشيرة من قبيلة سامية كانت تسكن جنوبي العراق في العهد الاموري الذي اسس دولة بابل الاولى ... ولسبب من الاسباب رحل « آزر بن ناحور » ومعه ابنه ابراهيم وزوجته سارة ، وابن ابنه لوط ، وبقية افراد عشيرته القلائل ، نحو سنة ١٨٠٠ ق . م . من بلدة « اور — Ur » الواقعة على بعد ١٢٠ ميلاً شمالي البصرة ، وساروا في طريق القوافل بين دجلة والفرات ، حتى وصلوا « حاران » (حران) ونزلوا فيها .. وهي مدينة تجارية واقعة على طريق القوافل بين بابل وسواحل البحر الابيض المتوسط .

مكثت هذه العشيرة مدة في حران ، التي كان من سكانها مع الاموريين حوريون وحثيون . ولما توفي آزر بن ناحور رحل ابنه ابراهيم وقسم من جماعته ، وبقي آخرون

منهم في حران ، واخذوا يتنقلون في البلاد السورية ، ولا يستقرون في مكان ... حتى نزلوا « شكيم » (نابلس) في فلسطين ، التي كان اهلها الكنعانيون العرب وقبائل عربية اخرى .... غير انهم لم يلبثوا فيها مدة طويلة اذ نزحوا عنها وساروا جنوباً واخذوا يتنقلون بين مدن فلسطين الجنوبية حتى استقر ابراهيم وعائلته مدة في « بئر السبع » ، وما لبث ان نزح عنها وذهب الى مصر .. وقصته وقصة زوجته ساره (شاراى) الجميلة مع ملك مصر مشهورة :

اوصى ابراهيم زوجه سارة ، عند وصولهما مصر ، بأن تقول انها اخته حتى لا يقتله المصريون رغبة في اغتصابها منه اذا هو قال انها زوجه . وقال لها : « لعل الرب يحسن لنا بسببك » . وكانت سارة جميلة جداً ، فمدحها المادحون لفرعون ، فأخذها الى بيته ، واحسن بسببها الى ابراهيم ، واعطاه إماء وغنماً وحميراً واتاناً وجمالاً ... ثم علم فرعون ان سارة ليست اخت ابراهيم وانما امرأته ، فاستاء من الاسلوب الذي تصرف به ابراهيم واستدعاه ووبخه لفعلته وسأله : لماذا لم تعلمني انها امرأتك وقلت لي انها اختك ؟ ودفع له بسارة قائلاً : ها هي امرأتك خذها وامض . وسمح له بأن يأخذ معه ما انعم عليه من مال واماء وحيوانات[1]. وهكذا أُحْسن الى ابراهيم بسبب سارة ، وعاد بها وبما ربح الى جنوبي فلسطين ، وعاش مع اهلها العرب ...

وتذكر التوراة ، ان ابراهيم تزوج « هاجر » المصرية ذات العقل الراجح والمواهب العظيمة ، وولدت له غلاماً اسمياه « اسماعيل » ، وان سارة غارت منها ومن ابنها الذي كان نجيباً ، وحملت ابراهيم على ابعادهما عن بيته . فأبعدهما الى برية بئر السبع ، ارضاء لزوجه سارة . ثم ذهبت هاجر الى برية « فاران » واقامت فيها ، وتزوج اسماعيل بامرأة من مصر ، بلاد امه ... ثم ولدت سارة ابناً ، وابراهيم كهل في المئة من عمره ، وهي في التسعين من عمرها ! واسمياه اسحق ، ثم إن سارة توفيت فدفنها زوجها في مغارة « مكفيلة » تحت الحرم الابراهيمي في مدينة الخليل ... ولما مات ابراهيم دفنه ولداه اسماعيل واسحق في المغارة قرب زوجه سارة .. وتشير التوراة الى ان اسماعيل توفي في فلسطين ... ولقد جاء في القرآن الكريم ان ابراهيم اخذ هاجر وابنهما اسماعيل الطفل وسار بهما الى مكة ..

---

(١) الاستاذ محمد عزت دروزة : كتاب « تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم » ص ٣٧ — ٥٣ وكتاب : « الجذور القديمة لاحداث بني اسرائيل واليهود وسلوكهم واخلاقهم » ص ٢٣ و ٢٤ .

تزوج اسحق « رفقة » بنت عمه التي كانت تقطن مع اهلها في حران ... ثم عاد وسكن في اقصى الجنوب من فلسطين ، في « عين مديح » ، بين القبائل العربية . وفعل اسحق فعلة ابيه كما تذكر التوراة ، اذ انه قال عن زوجه انها اخته ، لعل الرب يحسن اليه بسببها ، وكانت جميلة ، فاستزارها ملك تلك المنطقة ، وانعم على اسحق بالمال والمواشي والعبيد... غير ان الملك اكتشف فيما بعد ، انها زوج اسحق وليست اخته فأرجعها اليه[1] . وبسببها اصبح اسحق من المنعمين . وولدت رفقة توأمين هما « عيسو » و « يعقوب » ولقب الاخير ، فيما بعد ، بلقب « اسرائيل » .. وذهب يعقوب الى حران واقام فيها مدة طويلة بين اقاربه وهناك تزوج ابنتي خاله « ليئه » و « راحيل » ، ورزق منهما اثني عشر صبياً ، ولدوا جميعهم في حران من سوريا ما عدا بنيامين .. الذي ولدته امه « راحيل » في طريق « بيت لحم » وهم راجعون من حران الى ارض كنعان ، وتوفيت بعد ولادته ، وهي ام يوسف ايضاً .

واولاد يعقوب هم :

(١) راؤوبين (روبين) — (٢) شمعون — (٣) لاوي — (٤) يهوذا — (٥) يساكر — (٦) نربولون— (٧) يوسف — (٨) بنيامين— (٩) دان — (١٠) نفتالي — (١١) حاد — (١٢) اشير[2] .

وقصة « يوسف » الذي رماه اخوته في الجب ، حسداً منه لانه كان محبوباً ومقرباً الى والده ، ثم انقذه من الموت جماعة من المدينيين العرب ، حين نشلوه من الجب وباعوه من قافلة ذاهبة الى مصر ، معروفة تماماً .

اما التاريخ ، في منابعه الواقعية ، فلم يسجل شيئاً عن حياة اليهود الاولى : حياتهم في جنوبي العراق ، ونزوحهم عن وطنهم الاصلي ، ولا عن ابراهيم وتجواله في اقطار عديدة ، ولا عن اولاده ولا عن ذهاب يعقوب الى مصر .. اما المصدر الاول لهذه الحكايات فهو الروايات اليهودية التي سجلت في كتاب « عاشو » بعد العهد الذي يقال انها حدثت فيه بمئات السنين . و « انه ليتضح ان التاريخ الذي كتبه العبرانيون عما سبق الدور القبلي ليس بتاريخ »[3]

(١) المصدر السابق .
(٢) الاستاذ مصفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين . الجزء الاول ص ٤١٩ .
(٣) الدكتور فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين : الجزء الاول ص ١٩٢ .

ومما يجدر ذكره ان من بقي في حران من عشيرة آزر والد ابراهيم ، اندمج في السكان من حوريين وحيثيين ، وهما شعبان غير ساميين ... والنساء اللواتي تزوجن اسحق ويعقوب ، وهما من أقاربهن ، كانت امهاتهن من بنات حران .. فمنذ ابتداء نزوح عشيرة ابراهيم من جنوبي العراق ، امتزجت دماؤها بدماء غير سامية .. «والملامح السامية المزعومة التي يتصف بها اليهود هي في الحقيقة حيثية حورية »[1] وهذه حقيقة رافقت اليهود منذ ابتداء تاريخهم ، تضاف الى الحقيقة الاخرى التي جرت مع القرون ولا سيما في اواسط القرن الثامن للميلاد عندما تهود « الخزر » فاصبح معظم اليهود اليوم ، من مواليد شعوب متعددة غير سامية ...

والسؤال هو : لماذا نزح ابراهيم وعشيرته عن وطنهم الاصلي جنوبي العراق ؟ ولماذا لم يستطع ابراهيم وبعض جماعته التوطن في مكان معين بل ظلوا متنقلين ، شبه مشردين ؟ ... ان القبائل العربية كانت تنزح من الجزيرة باعداد كبيرة جداً للسكنى في بلاد اكثر خصباً من بلادهم . وجنوبي العراق خصيب ، والاموريون ، الذين منهم عشيرة ابراهيم ، لم يمض عليهم وقت طويل في سكنى العراق ، وكانوا آخذين في انشاء دولة بابل الاولى التي مثلت دوراً كبيراً في التاريخ . او ليس الجواب هو ان هذه الجماعة او العشيرة الصغيرة ، كانت في وطنها العراق وبين قبيلتها ، لسبب من الاسباب ، غير مرغوب فيها ، حسب التعبير الديبلوماسي المهذب في هذه الايام ؟ ...

ولسبب من الاسباب ايضاً نزح يعقوب وعائلته ، وكان عددهم سبعين شخصاً الى مصر نحو (١٦٥٦ ق.م.) ، وبقي سكان البلد فيه ، يعتاشون من خيراته في ايام الرخاء وايام القحط الذي هو نسبي . وبقي في فلسطين مع اهلها العرب ، ابناء أقارب يعقوب ، الذين اندمجوا في ابناء فلسطين من كنعانيين وغيرهم من القبائل العربية ، كما بقي عيسو اخو يعقوب واندمج هو وابناؤه في الادوميين العرب . وبقي لوط واقاربه الاخرون واندمجوا في ابناء القبائل العربية القديمة ايضاً .. اما يعقوب فلم يبق ، بل نزح مع عائلته الى مصر . لماذا ؟! أو ليس ذلك لنفس السبب الذي سبق ذكره ، وهو ان هذا الفرع من نسل ابراهيم ، فرع يعقوب ، لم يكن مرغوباً فيه بين اقاربه وبين اهل البلاد من القبائل العربية ، فرحل عنهم الى مصر ؟ .

(١) المرجع السابق ص ١٦٥ .

في مصر والتيه

عاشت عائلة يعقوب في مصر وكثر عددها ... وكان مكان اقامتهم في « غوشن » Goshen قرب « افاريس » Avaris عاصمة الهكسوس ... ولما زال حكم الهكسوس استعبد اليهود في عهد رمسيس الثاني (١٣٠١ — ١٢٣٤ ق.م.) ، وعمل كثيرون منهم خدماً في البيوت المصرية .. وذات يوم قتل موسى اليهودي مصرياً واختبأ ، ثم حرض عشيرته على ان يسرقوا من بيوت اسيادهم المصريين كل ما يستطيعون من ذهب وفضة وجواهر ، وان يتجمعوا في وقت واحد في مكان معين .. ففعلوا ، وقادهم وعددهم نحو (٥٥٥٠) شخصاً وقطع بهم « بحيرة المنزلة » ، وكان ذلك نحو (١٢٢٧ ق.م.) ، في عهد « مرنفتاح » (١٢٣٤ — ١٢١٥ ق.م.) ابن رمسيس الثاني ، متجهين نحو فلسطين . ومن الغريب ان المباني المصرية التي جرت العادة ان تسجل عليها الحوادث المهمة لم تذكر شيئاً عن خروج اليهود ، وكذلك لم يذكر شيء عن خروجهم في الكتابات على ورق البردي . وهذا يعني ان خروج موسى وجماعته كان امراً غير ذي بال حتى يستحق التسجيل ... اما اليهود فقد جعلوا من هربهم من مصر حادثاً هائلاً واعجوبة او معجزة ، وما سجلوه عنه ، في كتاباتهم ، التي وضعوها بعد مئات السنين ، هو اشبه بالاسطورة والخرافة منه بالتاريخ ... وهو انما يدل على « عقدة النقص » التي لازمتهم منذ خروجهم من وطنهم الاصلي في جنوبي العراق ..

وفي سيناء ، مكان التيه ، ثار اليهود على موسى واخيه هارون .. وكان موسى في كل مرة ، يعمل لتهدئتهم بنيل ما يتمناه كل عبد محروم : من املاك واسعة ومواشي عديدة ، ومن تملك ارض كنعان ... ثم ثاروا وعصوه ، فوعدهم بما تصبوا اليه نفوسهم : نفوس المحرومين ، من حكم العالم المعروف آنذاك ، من النيل الى الفرات . وان الاله سيحارب عنهم ويقهر اعداءهم .. او بعبارة اخرى سجل اليهود في توراتهم ، بعد مئات السنين ، ما كان يحلم به اجدادهم الفارين من العبودية التائهين في التيه ، على لسان موسى وربه ..

وصل اليهود الى « مدين » ، في القسم الجنوبي من سيناء . وتزوج موسى ابنة كاهن مدين الذي يعبد « يهوه » ، وعلمه هذه العبادة الجديدة فاتبعها اليهود وهي عبادة اصنام .. ومدين هي بلاد النبي العربي « شعيب » ، كما مر ذكره . ويهوه الاله العربي الشمالي ، اله صحراء كان في الاصل اله القمر ، ومقره خيمة ، وطقوسه تشمل

بعض الاعياد والتضحيات من القطيع .. وتزاوج آخرون من اليهود مع المدينيين وغيرهم من سكان بادية شمالي الجزيرة العربية ...

دخول فلسطين وعهد القضاء

سار هذا الخليط من البدو ، الذي تكون خلال اربعين سنة ، نحو فلسطين لاستعمارها وسكناها ، وعددهم لا يتجاوز ستة او سبعة الاف ... لم يستطيعوا دخول فلسطين من قسمها الجنوبي ، من جهة بئر السبع ، نظراً الى المقاومة العنيفة التي قابلهم بها السكان العرب ... فاتجهوا الى شرق الاردن ، ووصلوا جبل « هور » القريب من « البتراء » ، وهناك مات موسى ودفن ، وتولى القيادة بعده « يشوع » فسار باليهود لدخول فلسطين . وكانت خطته الحربية تهدف الى ابادة اهل فلسطين ابادة تامة ليستولوا على املاكهم وبلادهم ويحلوا فيها مكانهم . وسجل اليهود ذلك في اسفارهم ، منها سفر التثنية ٧ : ١ — ٥ « اذا ادخلك الرب الهك الى الارض التي انت داخل لترثها ، استأصل امماً كثيرة من امام وجهك : الحثيين والجرشاشبيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، سبع امم اعظم واكثر منك واسلمهم الرب الهك وضربتهم فابسلهم ابسالاً — اي لا تبق احداً منهم — . لا تقطع معهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم ... تعملون بهم هكذا : تهدمون مذابحهم وتكسرون انصابهم وتقطعون اشجارهم وتحرقون تماثيلهم بالنار » !!..

هذه هي اسس المدنية اليهودية التي عملوا بها ، ويعملون بها في هذه الايام ... في هذا النصف الثاني من القرن العشرين ، عصر المدنية والعلم والنور والسلام كما يقولون ... وما اعظم الفرق بين هذا الكلام الذي تقوم عليه المدنية اليهودية وبين وصية الخليفة أبو بكر لقواده عندما توجهوا لازالة الحكم الاجنبي عن بلد عربي هو فلسطين ،[1] واعادة الحكم العربي اليه .

كانت اريحا اول مدينة فلسطينية حاصرها اليهود ، واقتحموها عنوة بمساعدة من فيها من عاهرات[2] ، نحو سنة (١١٨٧ ق.م.) فاحرقوا ابنيتها وقتلوا سكانها وما فيها من حيوانات ، ونهبوا الاموال والنفائس التي كانت فيها . وسجل ذلك اليهود

(١) راجع وصية أبو بكر وامان خالد وعهدة عمر بعد صفحات من هذا الكتاب .
(٢) سفر يشوع الاصحاح ٦ .

في أسفارهم : « صعد الشعب الى المدينة – اي اليهود إلى اريحا – واهلكوا كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة مع كل ما فيها . انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب »[١] ، وما اشبه اليوم بالامس ....

وتابع اليهود التقدم في فلسطين ، وكان سكان المدن الفلسطينية يقابلونهم ، كل مدينة منفردة عن الاخرى، ينتصرون عليهم احياناً ، ويغلبون على امرهم احياناً اخرى ... وثبتت اقدام اليهود في بعض نواحي فلسطين ...

وبعد موت يوشع تولى امر اليهود كبار شيوخ قبائلهم . وعرف عهدهم بعهد القضاة الذين كان عددهم ١٤ قاضياً ، ودام حكمهم نحو قرن ونصف القرن حتى سنة (١٠٢٠ ق.م.) حين مُسح شاوول اول ملك على اليهود .. ومن اشهر قضاتهم « جدعون » واشهرهم جميعاً (شمشون) ، الذي اسره الفلسطينيون وحاك حوله القصاصون اليهود هالات من البطولة جعلت حياته خرافة . وقصة شمشون مع الفلسطينيين تروى الحقد بين المعتدين وأهل البلاد . والتاريخ يعيد نفسه ، والمأساة التي حصلت في العصور الاولى تعاد الآن على المسرح الفلسطيني الذي توسع وشمل مسارح عربية اخرى ... وكان آخرهم « صموئيل » ..

ويصف غوستاف لوبون ذلك العصر بقوله : « كان بنو اسرائيل اقل من امة ، كانوا اخلاطاً من عصابات جامحة ، كانوا مجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة أفاقة بدوية ، تقوم حياتها على الغزو والفتح والجدب وانتهاب القرى الصغيرة حيث تقضي عيشاً رغداً دفعة واحدة في بضعة ايام ، فاذا مضت هذه الايام القليلة عادت حياة التيه والبؤس »[٢] .

ومثل هؤلاء اليهود مع سكان القرى والمدن الفلسطينية كمثل الضبع البشع القذر الكريه الرائحة مع الغنم :

يأتي الضبع الجائع الى حظيرة غنم فتضطرب وتنفر وتبتعد عنه ، غير انه يفترس واحدة منها ، ويأخذ في تمزيق جسدها والاكل منه ، والغنم الباقية تنظر اليه واليها

(١) المرجع السابق .
(٢) اليهود في تاريخ الحضارات الاولى ص ٣٢ .

نظرة استغراب وحزن ... وبعد هضم ما اكل يعود الى الحظيرة مرة اخرى ويكون له فريسة ثانية ... وهكذا ثالثة ... وفي كل مرة تقف الغنم وقفتها الاولى .. ولو انها اتجهت برؤوسها الناطحة اول مرة اراد الضبع افتراس احداها مصممة على نطحه لهرب الضبع ولما قدر على افتراس احداها ، ولما جرؤ على الاقتراب من الحظيرة مرة اخرى ... وما اشبه سكان مدن وقرى فلسطين ايام الاعتداء اليهودي الاول عليها ، وما اشبه الدول العربية الآن ، بالغنم في الحظيرة ...

المملكة اليهودية المتحدة

كان الحكم في بلاد الشام في تلك الايام ملكياً ، فكان للعمونيين والمؤابيين والادوميين ملوك ، وللمدن الفينيقية ملوك ، وللفلسطينيين اسياد ، اما اليهود فكانوا اثنتي عشرة قبيلة ، يتولى شؤونهم قاضٍ يجمع القيادة في يده كلما تطلبت الحاجة ذلك . وطلب زعماء اليهود من زعيمهم الديني صموئيل ان يجعل لهم « ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب » ، فاختار صموئيل **شاوول** ومسحه اول ملك على اليهود سنة (١٠٢٠ ق م) ، وكان عليه ان يحكم حسب اوامر « يهوه » كما يعلنها الرجال الصالحون ، وكان شاوول ضعيف الاخلاق سوداوي الطباع يعيش عيشة شيخ بدوي في خيمة في بلدته « جبشه » على بعد اربعة اميال شمالي القدس . وكان يكره داود حامل سلاحه ، واراد قتله ... وقتل الفلسطينيون شاوول واولاده الثلاثة في معركة جلبوع ...

اختار اليهود **داود** ملكاً عليهم (١٠٠٤ – ٩٦٣ ق.م.) . بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين ، غير انه في النهاية تغلب عليهم وعلى غيرهم من الدول المجاورة ... وكان معظم قواد جيشه من غير اليهود ، من الحثيين والمؤابيين وغيرهم .. وفي ايامه وصلت الدولة اليهودية أوج عظمتها . ووصل عدد نفوسها ما بين ستمائة وسبعمائة الف نسمة .[١]

وانتقى داود مدينة يبوس (اورشليم) لتكون عاصمة ملكه بعد ان تغلب على اليبوسيين .. وبنى فيها قصراً من الحجارة وخشب الارز . وكان المهندسون والبناؤون من صور ، اذ ان اليهود لم يكونوا في تاريخهم قط يحسنون البناء .. وبنى بالقرب من قصره معبداً ليهوه ، وجعل اليهودية الديانة الرسمية في دولته .

(١) الدكتور فليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٢٠٤ .

والذي ساعد داود على بناء دولته فترة الفراغ التي كانت تمر بمصر وآشور : كانت الدولة المصرية في تلك السنين ، ضعيفة ، وكذلك كانت مملكة اشور ... فنجا داود من الاهتمام بالدفاع ، وتفرغ الى التوسع والبناء ...

على ان داود كان على اخلاق لا تعتبر في عرفنا حميدة . كانت له علاقات بنساء متزوجات لا يجيزها حتى العرف اليهودي .. وقصته مع « بيتشبع » ، زوجة قائده « اوريا الحثي » معروفة . رأى تلك المرأة الجميلة عارية وهي تغتسل ، فاعجب بها ، واتصل بها فحملت منه ... ونقل زوجها من جبهته التي لا خطر فيها الى جبهة فيها كل الخطر ليموت ... وقتل فعلاً على قمة قلعة عمان ... فضم داود « بيتشبع » الى زوجاته ...

مات داود في سنة (٩٦٣ ق.م.) ويقال انه دفن على جبل صهيون في القدس . ولكن في الحقيقة لا يعرف اين مات ولا اين دفن ، وكذلك حال جميع ملوك وعظماء اليهود وانبيائهم . والنبي الوحيد الذي يعرف مكان قبره بالضبط هو قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الانبياء والمرسلين .

وتولى الملك بعد داود ابنه **سليمان** (٩٦٣ — ٩٢٣ ق.م.) من بيتشبع المار ذكرها. وفي عهده وصلت المملكة اليهودية الى ذروتها من حيث الابهة . ونشط فيها العمران والتجارة والصناعة . وعاش سليمان في ترف هائل وبذخ كبير ... وكان ملكاً مستبداً شهوانياً يستبيح كل شيء لاشباع شهواته ، فالاخلاق كانت عنده كلمة لا معنى لها...

ومن اعماله العمرانية بناؤه الهيكل المعروف باسمه : هيكل سليمان ، والقصر الملكي في القدس الذي قطعت حجارته من محجر يقع الى الشرق من باب العمود في القدس ، اما الاخشاب فمن ارز لبنان .. وسخر سليمان ثلاثين الف عامل في بناء الهيكل مدة سبع سنوات .. والذين وضعوا خرائط المعبد والقصر وبنوه مهندسون فنيقيون من صور على رأسهم المهندس « حيرام ». او « حورام » وتنازل سليمان لملك صور ، لقاء هذه المساعدات ، عن عشرين مدينة في الجليل شرقي عكا ..

« وقد تضافرت الاساطير والقصص الخيالية على جعل اسم سليمان مرادفاً خلال العصور للقوة والفخامة والحكمة »[1] ، ولقب « سليمان الحكيم » ، ونسب كتاب

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

اليهود اليه اعمالاً خارقة فوق قوة البشر ، وامثالاً كثيرة ، وضخموا الكثير منها في التوراة ، « غير ان الوثائق التاريخية لا تدعم هذه الافكار . فالمملكة التي ورثها سليمان كانت اكبر كثيراً من المملكة التي اعطاها لمن اتى بعده . وكانت فلسطين — ما بين يافا وغزة — تعترف بالسيادة المصرية . وحصن « جزر » الكنعاني قد استولى عليه فرعون الذي تزوج سليمان ابنته واعطاه اياه فرعون مهراً لابنته . وكانت هذه الاميرة المصرية احدى افراد حريم سليمان المؤلف من سبعمائة من الزوجات وثلاثمائة من السراري . وقد بنى بتأثير نسائه اماكن مرتفعة قرب اورشليم لعبادة اله صيدا ومؤاب وعمون . وفي اواخر حكمه حرر الملك الارامي « رصين » نفسه ومملكته . وقبل ذلك كان الامير الادومي « حدد » الذي طرده داود من منطقته حيث قضى على كل انسان من الذكور ، قد عاد لازعاج سليمان . وكان سليمان يستخدم العمال في اشغاله العامة بحسب نظام السخرة . وكان هذا التدبير البعيد عن الحكمة بالاضافة الى نفقاته وتبذيره من الاسباب الاساسية التي ادت الى انقسام المملكة في عهد خلفه[1] .

كانت حياة سليمان ، في الحقيقة ، كارثة على المملكة اليهودية . احتاج في نهاية الامر الى المال لاتمام مشاريعه وللصرف على شهواته وحريمه ... ففرض الضرائب الفادحة ... مما دفع القبائل اليهودية الى النقمة عليه ، وعلى حكمه ، وظهر ذلك بعد وفاته سنة (٩٢٣ ق.م.) بانقسام دولته الى دولتين .. فزالت السيادة اليهودية عن فلسطين ، التي لم تدم الا نحو سبعين سنة ..

كان من المعترف به ان يتولى بعد سليمان ابنه **رحبعام** . على ان اليهود كانوا يريدون التخلص من الضرائب التي فرضها ابوه ... ولما اجتمع ممثلو القبائل الاثنتي عشرة في شكيم لتنصيب رحبعام ملكاً اثاروا قضية الضرائب وهل هو مستعد لتخفيضها عنهم ؟ وكان رحبعام يافعاً في السادسة عشرة من العمر ، فاجاب جواباً لا روية فيه ولا حكمة ، بل رعونة وقوة : « ابي ادبكم بالسياط وانا سأؤدبكم بالعقارب » !.. على اثر ذلك رفضت القبائل العشر الاعتراف برحبعام ، وانتخبت « **يربعام** » من قبيلة افرام ملكاً عليهم ، وانشأت مملكة اسرائيل ... وبقيت قبيلتا يهوذا وبنياميين على ولائهما لرحبعام ملكاً ، وتألفت منهما مملكة يهودا ... وهكذا انقسمت دولة داود وسليمان الى دولتين : دولة اسرائيل ودولة يهودا ، اللتين كانتا متخاصمتين ، وعاشتا

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

من دون سيادة اذ خضعتا في اثناء معظم حياتهما ، لسيادة مصر او بابل ، او اشور .. ثم قضي عليهما نهائياً ...

وفي الواقع « كانت حياة العبرانيين في فلسطين تشبه حالة رجل يصر على الاقامة وسط طريق مزدحم ، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار ... ومن الاول الى الآخر لم تكن – مملكتهم – سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسوريا واشور وفنيقيا ، ذلك التاريخ الذي هو اكبر واعظم من تاريخهم » .[1]

المملكة الاسرائيلية

كانت عاصمة اسرائيل ، شكيم ثم تِرصة ، وبعدها السامرة . ودامت هذه المملكة نحو مئتي سنة (٩٢٣ – ٧٢٢ ق.م.) ، وحكمها ١٩ ملكاً شغلوا وقتهم في معالجة مشكلات داخلية ، حتى ان عشرة منهم قتلوا بايدي ابناء رعيتهم ... او في محاولة للتخلص من سيادة الدول الاخرى ... وكان عدد السكان نحو اربعمائة الف نسمة .

وكان اشهر ملوك اسرائيل عُمري (٨٨٥ – ٨٧٤ ق.م.) ويدل اسمه على اصل عربي ، ويرجح ان اصله من الانباط . وهو الذي بنى مدينة السامرة ، وحصنها ، ونقل مركز الحكم من تِرصة اليها .. واتى بعده ابنه اخاب (٨٧٤ – ٨٥٢ ق.م.) الذي تزوج « ايزابل » ابنة « اثبعل » ملك صور وصيدا . وسيطرت ايزابل على زوجها بشخصيتها القوية وارادتها الصارمة ، فحملته على عبادة « بعل » صور ، فاعترف بالديانة الكنعانية ، وعبد « بعل » وتبعه في ذلك معظم رعيته من اليهود . وادى ذلك الى نزاعات دينية ... ثم الى ثورة تزعمها ضابط في الجيش اسمه « ياهو » وقضى على سلالة عمري ، وامر برمي الملكة الوالدة ايزابل المسنة من النافذة واكلت جثتها الكلاب .. واستولى هو على العرش سنة (٨٤٢ ق.م. واعاد عبادة « يهوه » الى اسرائيل ..

وفي اثناء النزاعات الدينية داخل اسرائيل قام ملك مؤاب « مبيشع » (ميشا) ، وحارب اسرائيل وانتصر عليها في مواقع عديدة ، وخلد انتصاراته بالنصب التذكاري الحجري الاسود المعروف بحجر مؤاب ، والموجود في اللوفر ... ثم حاربها الاشوريون وفرضوا عليها الجزية ، واصبحت السيادة العليا فيها لهم ... ولما امتنع هوشع ملك اسرائيل عن دفع الجزية حاربه ملك اشور وحاصر عاصمته ثم سقطت سنة (٧٢٢

---

(١) هـ. ج – ولز : موجز التاريخ : نقلا عن « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ ص ٥٦٤ .

في يد سرجون الثاني الذي أسر احسن رجالها وقدرهم ٢٧٢٨٠ شخصاً ... فزالت اسرائيل واصبحت جزءاً من اشور العربية ... وهكذا زال المعتدون اليهود وانتقل سلطانهم عن هذا القسم من فلسطين الى الحظيرة العربية ..

السامريون

وقد اتى سرجون الثاني بقبائل من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب الاخرى ، واسكنها مكان المسبيين وبين السكان الاخرين من يهود وكنعانيين في السامرة ومنطقتها.. وبذلك اضيفت الى القبائل السامية (العربية) التي كانت تسكن مع الاسرائيليين قبائل عربية متنوعة جديدة ... ومن اختلاط السكان الجدد بسكان اسرائيل تكوّن السامريون. وفي سنة (٤٣٢) بنوا لهم هيكلاً على جبل جرزيم في نابلس ، منافسين به هيكل سليمان ، وكتابهم المقدس اليوم هو الكتاب المقدس الذي كان معروفاً حينذاك وهو يتألف من الكتب الخمسة فقط ، وهم لذلك لا يعترفون بالكتب والاضافات التي اضافها اليهود خلال القرون ، الى الكتب الخمسة من الكتاب المقدس . والسامريون يعتبرون انفسهم اليهود الحقيقيين ويرون أن كتابهم هو الكتاب الصحيح ... وجرزيم لا صهيون هو المكان المقدس بالنسبة اليهم ...

والسامريون المقيمون اليوم في نابلس والبالغ عددهم نحو مئتي شخص ، هم الباقون من ذرية السابقين ، ولا يزال هيكلهم قائماً على جبل جرزيم وكتابهم المقدس الاصلي محفوظاً بكل عناية.. وقد عاشوا بين العرب بسلام، طوال القرون السابقة، حتى الآن ...

المملكة اليهودية

كانت مساحة المملكة اليهودية نصف مساحة المملكة الاسرائيلية ، اي نحو (٣٥٠٠) ميل مربع . وعدد سكانها نحو مئتي الف نسمة وهو نصف سكان اسرائيل ، واستمرت في الوجود ، تابعة لدول اخرى ، (٣٣٧) سنة ، وعاشت بعد اختها اسرائيل (١٣٦) سنة ... وكانت عاصمتها « اورشليم » عاصمة داود وسليمان . وبلغ عدد ملوكها ١٩ ملكاً ، وهو مماثل لعدد ملوك اسرائيل ... وانشغلوا بالخلافات الداخلية حتى ان ستة منهم قتلهم ابناء رعيتهم ، وفي القتال مع اسرائيل ، وفي الحرب مع الدول العربية المجاورة ، وفي محاولة البقاء امام الدول الاخرى ، التي كانت تغير على فلسطين ، من مصرية واشورية وبابلية .

لقد امتد القتال بين يهوذا واسرائيل مدة تزيد على قرن ، في اوقات مختلفة .. ونشبت حروب بين يهوذا والدول المجاورة من عمونية ومؤابية وادومية وفلسطينية . فتغلبت عليها هذه الدول .

اما التي قضت على سيادتها اولاً ثم عليها نهائياً فهي الدول الكبيرة في تلك الايام :

غزا **شيشنق** (شيشق) ملك مصر ، وهو ليبي ، مؤسس السلالة الثانية والعشرين (نحو سنة ٩٢٠ ق.م) مملكة يهوذا ايام رحبعام وهدم المدن ودخل اورشليم واخذ كنوز الهيكل والقصر .. واضحت المملكة اليهودية ، منذ تشكيلها ، خاضعة للسيادة المصرية .. ولما علت يد الدولة الاشورية على يد الدولة المصرية ، وفتح الاشوريون مصر ، اصبحت مملكة يهوذا خاضعة للاشوريين خضوعاً تاماً تدفع لاشور الجزية ... وكان ذلك في عهد **سنحاريب**، ثم في عهد ابنه **اسرحدون** ... وبعد سنين اخرج المصريون الاشوريين من بلدهم وزحفوا على فلسطين واحتلوا مدنا فيها ... وهزم **نخو** ملك مصر جيش **يوشيا** ملك يهوذا في معركة مجدو سنة ٦٠٨ ق . م . شر هزيمة وفيها قتل يوشيا ... ونصب نخو **الياقيم** ابن يوشيا ملكاً على يهوذا تابعاً لمصر يدفع لها الجزية ..

وفي تلك السنين ظهر الكلدانيون في جنوبي العراق، وهم ينتسبون الى قبيلة كلدي السامية العربية، وقاموا بقيادة زعيمهم **نبوبولاصر** بخلع نير الاشوريين عنهم وانشاء الدولة الكلدانية ، او البابلية الثانية ، التي سادت بلاد الهلال الخصيب واقامت امبراطوريتها فيه .

وفي سنة (٦٠٥ ق. م .) انتصر **نبوخذنصر** (بختنصر)قائد جيش ابيه نبو بولاصر على الملك نخو وجيشه في معركة **كركميش** ، الواقعة شمالي سوريا على نهر الفرات ... ودخل جيش نبوخذنصر اورشليم بعد ان هزم اليهود ، وقتل الملك يهوياقيم وطرحت جثته خارج ابواب اورشليم .. وعين ابنه يهوياقيم ، واسمه كاسم والده ملكاً ... وبعد ثلاثة اشهر دخل نبوخذنصر العاصمة ، واخذ الملك اليهودي الشاب ونساءه وامه وموظفيه وسبعة آلاف من جنده والفاً من مهرة صُنّاعه اسرى الى بابل.. وكان حزقيال بين الزعماء الدينيين المأسورين .. وعين نبوخذنصر **صدقيا** سنة ٥٩٧ ق . م . ملكاً على يهوذا التابعة له .

وبعد سنين خرج صدقيا عن الطاعة .... فغضب نبوخذنصر وقاد جيشاً وحاصر القدس ودخلها عنوة في صيف سنة ٥٨٦ ق . م . واحرق المدينة بما فيها الهيكل والقصر

وجعلها اكواماً من الانقاض .. وقتل ابناء صدقيا امامه ، واخذه اسيراً الى بابل مع خمسين الفاً من سكان يهوذا .. وبذلك زالت الدولة اليهودية ، وعادت فلسطين خالصة من اي سيادة اجنبية الى الحظيرة العربية ضمن الامبراطورية الكلدانية العربية ...

اليهود بعد مملكة يهوذا

تمكن **قورش** ملك فارس من فتح بابل سنة ٥٣٩ ق . م . ومن فتح بلاد الشام في السنة التالية ، فتم له حكم بلاد الهلال الخصيب .. التمس منه عدد من يهود السبي ان يسمح لهم بالعودة الى فلسطين ، فسمح لهم بذلك بعد ان اثرت فيه زوجته **استير** التي ترجع الى اصل يهودي ، فعاد منهم نحو خمسين الفاً وبقي الآخرون الاغنياء في العراق وفارس . اعاد اليهود بناء هيكلهم في القدس سنة ٥١٦ ق . م . وعاشوا طائفة دينية مع سكان البلاد واصحابها العرب تحت الحكم الفارسي ..

وبعد عودة اليهود من السبي تمكنوا من وضع قوانين دينية يرجع اصل الكثير منها الى الازمنة الغابرة ، وعرفت قوانينهم بالديانة اليهودية ، وكانوا قبل ذلك ، في اثناء الدولة اليهودية يتبعون ديانة « يهوه » العربية الاصل ، او يعبدون اصناماً ، كما مر ذكره ... وفي وضعهم الجديد اصبحوا جماعة دينها الخاص الدين اليهودي ، ويرئسها كاهن ... واتخذوا اللغة الآرامية ، وهي فرع من فروع اللغة العربية ، اما العبرية فاستعملوها لغة دينية . ولم يجمعوا كتاباتهم وكتابات اجدادهم الدينية في كتاب واحد الا بعد التاريخ المسيحي ، حين اصبح ما جمعوه وسجلوه بالعبرانية التوراة كما هي مطبوعة في هذه الايام ...

ودخلت فلسطين بعد ذلك تحت الحكم اليوناني ما بين سنة ٣٣٢ و ٦٣ ق . م . ثم دخلت تحت الحكم الروماني ... واثناء هذا الحكم الأخير ظهر السيد المسيح ودعا اليهود الى ترك ما عندهم من عادات سيئة وعقائد اباها ، وبشّر بمبادىء انسانية سامية . وقال عن اليهود : « ضلوا كلهم فرذلوا وليس احد منهم يحمل الصلاح . حناجرهم قبور مفتحة وقد غشوا بألسنتهم وسم الاضلال تحت شفاههم . وافواههم مملوءة لعنة ومرارة . وارجلهم سارعة الى سفك الدماء . وفي مسالكهم خصم ومشقة ولم يعرفوا سبيل السلام . وليس مخافة الله امام اعينهم . ام الله لليهود فقط ؟ أليس هو للامم ايضاً بل للامم ايضاً »[1]. نقم اليهود عليه وحملوا الحاكم الروماني **بيلاطس** على قتله صلباً...

(١) الاصحاح الثالث من رسالة بولس الى اهل روما

وهكذا قتل اليهود السيد المسيح ، بحسب اعتقادهم واعتقاد المسيحيين.. وغسل بيلاطس يديه من جريمة قتل السيد المسيح ، اذ كان يعطف عليه ...

وفي اثناء الحكم الروماني ، ظهر هيرودوس الادومي العربي ، وهو من الادوميين المار ذكرهم ، وكان شجاعاً ساعد الرومان على توطيد الامن في البلد ، فتم له ملك ولاية فلسطين تحت حكمهم ...

ولكن اليهود كانوا ينتهزون الفرص ليثوروا على الرومان ... وقد ثاروا سنة ٦٦ م فأعد الرومان لمحاربتهم والقضاء عليهم جيشاً كان من ضمنه جنود عرب بقيادة ملك الانباط « مالك الثاني » : حاصر القائد الروماني طيطوس القدس وفتحها سنة ٧٠ وقتل الكثيرين من اهلها ، وهدم المدينة عن بكرة ابيها ، بما في ذلك الهيكل ، ولم يترك حجراً فيها على حجر ... واخذ الوفاً اسرى الى روما ، وهرب من استطاع ان ينجو بجلده منهم الى العراق وشمالي الحجاز وبرقه ... وتهودت على ايدي من سكن منهم في جوار المدينة المنورة قبائل عربية في تلك المنطقة .. وهكذا وجدت القبائل اليهودية ديناً والعربية عنصراً ، بنو قريظه وبنو قينونة في المدينة ، وخيبر في شمالي المدينة ، وقد قضى عليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم لخيانتها العهد الذي قطعته معه ..

هدم طيطوس القدس فخلت من اليهود ... وفي سنوات لاحقة شرد الرومان اليهود من معظم انحاء فلسطين فخلت منهم ، وبقيت لسكانها الاصليين العرب من اموريين وكنعانيين وآراميين وغيرهم من القبائل العربية ... وسكنت معهم جاليات يونانية جهة الناصرة حيث كان يسكن الآراميون .. الذين منهم السيد المسيح بحسب رأي العالم الفرنسي رينان ...

* * *

ونخرج من هذا كله الى ان ابراهيم وابناء عائلته قدموا فلسطين ، بعد ان تركوا وطنهم مدينة اور في جنوبي العراق ، لاجئين ، وهم غرباء عنها كلياً ، ولم تصبح لهم سيادة على اي جزء منها ... وعاشوا بسلام بين اهلها العرب ، الذين كانوا قبائل بأسماء مختلفة ، وفي سنة ١٦٥٦ هاجر يعقوب وابناؤه الى مصر وعاشت ذريتهم خدماً عند المصريين مدة ٤٢٣ سنة . وهناك تولدت فيهم « عقدة النقص » ، التي لازمتهم وكانت وبالاً عليهم وعلى آخرين .. ومن بقي في فلسطين من اقارب يعقوب اندمجوا في السكان واصبحوا منهم ، ولم تكن لهم اي سلطة في البلد ... وفي سنة ١٢٢٧ ق. م. هرب موسى

مع جماعته من اليهود من مصر ، بعد ان سرقوا ما في بيوت اسيادهم من ذهب وفضة ، الى سيناء في طريقهم الى فلسطين .. واعتدى اليهود على فلسطين سنة (١١٨٧ ق . م .) بدخولهم اريحا وحرقهم اياها وقتلهم من فيها من انسان وحيوان .. واستمرت الحروب بينهم وبين اهل البلد ..

وفي سنة (١٠٢٠) اسسوا دولة لهم في قسم من فلسطين دامت حتى سنة (٩٢٣ ق . م .) ثم انقسمت مملكتهم الى مملكتين : مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا ، واصبحتا تابعتين لدول اخرى ... وقضى الاشوريون على مملكة اسرائيل نهائياً سنة (٧٢٢ ق . م) ، كما قضى البابليون على مملكة يهوذا نهائياً سنة (٥٨٦ ق . م .) ، فانتهى الحكم اليهودي الذي كان معظم الوقت تابعاً اما لمصر او لاشور او لبابل . ولم يكن الحكم لليهود في فلسطين الا نحو سبعين سنة ، زمن داود وسليمان . وفي سنة (٧٠ م) هدم الرومان القدس والهيكل وشتتوا اليهود في مختلف انحاء العالم ..

فوقائع التاريخ تظهر بوضوح ان العرب كانوا في فلسطين منذ قبل التاريخ .. وعند قدوم اليهود اليها كان العرب اصحابها. وفي اثناء وجود اليهود فيها كان العرب يعيشون فيها ايضاً ، وبعد خروج اليهود منها كان العرب العنصر السائد وكان صاحبها الى انتهاء الانتداب البريطاني ... ومعنى ذلك ان العرب هم اهل فلسطين منذ قبل التاريخ ، وهم سكانها طوال القرون ، وما اتاها من شعوب غريبة قد اندمج في اهلها العرب ، او خرج من فلسطين ، كما هو حال اليهود والصليبيين الآتي ذكرهم .

— ٧ —

الموجة العربية الاسلامية

في سنة ٦١٠ م ظهرت الدعوة الاسلامية التي قام بها النبي محمد (صلعم) في قلب مكة المكرمة ، معقل قريش والوثنية قبل الاسلام ، ثم انتقل منها سنة ٦٢٢ الى المدينة المنورة ، وتابع فيها دعوته ... وعرفت سنة انتقاله الى المدينة بالهجرة ، واعتبرها المسلمون بداية عهد جديد ، وبها ابتدأ التقويم الهجري ، ومنها اخذوا يعدون السنين ..
وفي ذلك الحين كانت الجزيرة العربية تتمخض ... وكان العرب يعرفون ما حولهم من بلاد .كانوا يعرفون بلاد الهلال الخصيب : العراق وبلاد الشام ، لما لهم بهما من

اتصالات تجارية ولما لهم فيهما من اهل واقارب بسبب الهجرات العربية السابقة الى هذين القطرين، اللذين كانا عربيين بسكانهما كما هما اليوم ... وان كانت السيادة ، خلال فترات من تاريخهما ، اما لدولة مصر واما لدولة فارس واما لدولة بيزنطيا ... وكان العرب يعرفون فارس وبيزنطيا ومصر والحبشة ، لما كان لهم بها جميعاً من علاقات تجارية واتصالات عرقية ، في مصر على اقل تقدير ...

وفي اواخر حياة النبي العربي محمد صلوات الله عليه وسلامه ، ابتـدأ العرب استرجاع البلاد العربية التي اغتصبها الروم ، فكانت واقعة « تبوك » سنة ٦٣٠ التي قاد حملتها النبي بنفسه .. واستسلمت ايلة (العقبة) ومقنا الواقعة جنوبي العقبة على ساحل الخليج .. ثم الجرباء وغيرها من المدن ..

امتداد الموجة العربية الاسلامية

وبعد وفاة النبي محمد في ٨ حزيران ٦٣٢ م ، وفي عهد الخليفتين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، ابتدأت الموجة العربية الاسلامية واخذت تغمر البلاد الواقعة شمالاً وشرقاً وغرباً ، وتعاظمت في عهد الخلفاء الذين اتوا بعد الصاحبين حتى شملت جميع البلاد التي كانت الموجات العربية الكبيرة السابقة من امورية وكنعانية وآرامية قد غمرتها ، بلاد الهلال الخصيب وجميع بلاد شمال افريقيا . وكان العنصر العربي هو السائد في معظم هذه البلاد ، فتقبلوا العرب القادمين الجدد واندمجوا فيهم ، وكونوا معهم الامة العربية الحديثة ... على ان الموجة العربية الاسلامية امتدت الى بلاد لم تصلها الموجات العربية السابقة . فقد دخلوا شبه جزيرة اسبانيا (ايبريا) ومكثوا فيها ثمانيـة قرون ، ومنها ذهبوا الى جنوبي فرنسا ووصلوا حتى مدينة تور ... كما احتلوا جنوبي ايطاليـا وجميع جزر البحر الابيض المتوسط ، الذي اصبح ، خلال قرون ، بحيرة عربية . هذا شمالاً وغرباً . وغمرت الموجة العربية الاسلامية بلاد ايران ، والنصف الشرقي من آسيا الصغرى ، وبلاد القوقاس ، والقسم الجنوبي الاوسط من سيبيريا المعروف باسم تركستان ، وافغانستان ، وباكستان ، وقسماً من الهند ووصلوا مدينة قشغر في الصين .. وهذا شرقاً . وبذلك اوجدوا امبراطورية عربية متصلة دامت قروناً لم يتسن لأيـة امبراطورية اخرى امتدادها وقدرها ...

وكانت هذه الموجة العربية الاسلامية الهائلة تحمل معها سلاحاً جديداً بالاضافة الى السلاح الذي كانت تحمله الموجات العربية السابقة .. كانت تحمل معها روح القومية

العربية ، والايمان بالتوحيد ، وفكراً وثقافة ، ومدنية جديدة ... ومع هذه الموجة عم الاسلام معظم البلاد التي غمرتها ...

وكان من اسباب الموجة العربية الاسلامية نفس الاسباب الاقتصادية للموجات السابقة ، غير ان هذه الموجة الجديدة كان لديها ، عدا تلك الاسباب ، اسباب اخرى سامية هي الدعوة الاسلامية ، التي وحدت اولاً بين جميع القبائل العربية المتنافرة ، والرغبة في نشر مبادئها الرامية الى التآخي والتسامي ، ومحبة الانسان لاخيه ما يحب لنفسه ، والى تحقيق الحق والعدل بين الافراد بغض النظر عن اللون والعنصر ، وعيش الجميع بسلام ... وكانت مبادىء هذه الدعوة من اكبر الاسباب التي ادت الى نجاح العرب في فتوحهم ، وانشاء الامبراطورية العربية الشاسعة العظيمة ... وما الاسلام ، في نظرنا ، الا صيحة مساواة بين الافراد وتوحيد للشعوب ، وهو في ذلك على عكس اليهودية تماماً ..

استرجاع بلاد الشام

اعد الرسول بعثة حربية بقيادة اسامة بن زيد ، ولم يبلغ العشرين من عمره . على ان النبي انتقل الى جوار ربه قبل سير بعثة اسامة ... وكان من مواقف ابي بكر الصديق (٦٣٢ — ٦٣٤) الحازمة انه اصر على سير جيش اسامة حسب الخطة التي اعدها النبي .. سار اسامة بجيشه في تموز سنة ٦٣٢ م ووصل هدفه مؤتة .. وعاد منتصراً ..

ويهمنا من ذكر بعثة اسامة هنا وصية الخليفة ابي بكر للجيش قبل مسيرته وهي :

« لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكله . وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له » .

ووصية ابي بكر هذه تسجل في التاريخ بأحرف من نور ، وكم البون شاسع بينها وبين اوامر « يشوع » لرجاله حينما دخلوا فلسطين .

ولما استتب الامر في الجزيرة العربية وجه الخليفة ابو بكر الصديق الى بلاد الشام سنة ٦٢٣ ثلاث سرايا لطرد الروم المغتصبين منها واسترجاعها الى الوطن العربي . قاد الاولى عمرو بن العاص، والثانية يزيد بن ابي سفيان، وكان أخوه معاوية حامل اللواء في

سريته ، والثالثة شرحبيل بن حسنة . ثم ارسل الى هذه السرايا امدادات اخرى فارتفع عدد كل منها من ٣٠٠٠ الى نحو ٧٥٠٠ مقاتل . وكان ابو عبيدة بن الجراح ، الذي اصبح فيما بعد امير الجيش في بلاد الشام ، على رأس احدى هذه الامدادات .. سار الجيش العربي في بلاد الشام وفتح اجزاء كبيرة منها ... ثم رأى ابو بكر ان يمد جيش الشام بالقائد العربي المغوار خالد بن الوليد ، الذي لم يخسر معركة في حياته ، فأمره ان يتحرك حالاً من العراق الى الشام ، لينضم الى جيش الشام ، الذي كان يواجه قوات رومانية جديدة ارسلها هرقل لرد العرب واعادة احتلال ما حرروه من بلاد الشام .

سار خالد على رأس فرسانه الذين كان عددهم يتراوح بين ٥٠٠ و ٨٠٠ فارس ، من « الحيرة » وقطع الصحراء غرباً الى « دومة الجندل » . ومنها سار شمالاً قاطعاً الصحارى الى « سُوى » شمال شرقي دمشق ثم وصل جوار دمشق ، بعد مسيرة ١٨ يوماً فقط[1] . وكان عمله هذا من الاعمال الحربية الجريئة العظيمة ... وباغت بذلك مؤخرة الجيش البيزنطي المشاة ، مباغتة مذهلة في ٢٤ نيسان ٦٣٤ ، وحاربهم وانتصر عليهم انتصاراً باهــراً . واقتضى دهاؤه الحربي ان يتابــع هجومه جنوبــاً ليتصل بالجيوش العربية الاخرى التي كانت في وضع حربي حرج ... تم له ذلك ، واجتمع بزملائه القادة الآخرين ، وتم الاتفاق فيما بينهم على ان توحد الجيوش بقيادة خالد ، اذ رأوا ، باخلاصهم وتجردهم عن المصالح الشخصية وابتعادهم عن الانانية ، انه لن يتم لهم نصر على العدو اذا ظلت الجيوش متفرقة تحت قيادات متعددة ...

وضع خالد مع زملائه الخطط الحربية ، واخذت قواتهم تطارد قوات الــروم وتسترد المدن .. انتصر خالد على قائد الروم بانس Baanes في معركة « مرج الصفر » على بعد عشرين ميلاً جنوبي دمشق ، ثم لاحقه فاحتمى الروم بدمشق ، فحاصرها خالد ، وبعد ستة اشهر سلمت المدينة في ايلول ٦٣٥ ، وكان خالد بن الوليد اعطى الامان لأهل دمشق بكتاب هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق ، اذا دخلها اعطاهم اماناً على انفسهم واموالهم وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يهدم ، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء

---

(١) ان الارقام والاسماء المتقدمة مستقاة من كتاب « تاريخ العرب » (المطول) الجزء الاول للدكتور فليب حتى : ص ٢٠٠ – ٢٠٢ .

والمؤمنين . لا يعرض لهم الا بالخير اذا اعطوا الجزية[1] » .

وسار خالد بجيشه البالغ (٢٥) ألفاً ، الى الجنوب ليقابل الجيش البيزنطي الذي تجمع عند ملتقى اليرموك برافده الرقاد ، وعدده زهاء (٥٠) الفا ،[2] ودارت معركة حامية الوطيس بين الجيش العربي والجيش البيزنطي المتفوق عدداً ، وانتهت يوم ٢٠ آب ٦٣٦ ، (رجب سنة ١٥ هجرية) بهجوم العرب هجوماً كاسحاً على اعدائهم ادى الى انتصارهم انتصاراً باهراً ، تقرر به مصير الشام الذي عبر عنه هرقل بقوله « عليك يا سوريا السلام ونعم البلد هذا للعدو »[3] ويقال انه قال : سلام عليك يا سوريا سلام لا لقاء بعده .

وفي أثناء معركة اليرموك توفي ابو بكر الصديق وانتخب خليفة مكانه عمر بــن الخطاب ، (٦٣٤ – ٦٤٤) ، فنحى ابن خاله ، خالد بن الوليد عن امارة الجيش وولى مكانه ابا عبيدة بن الجراح ، وتم ذلك اثناء انتصار خالد الرائع في اليرموك .. وبعد ذلك تابع خالد القتال تحت امرة ابي عبيدة .. ثم تولى امارة قنّسرين الى ان نحّاه عمر نهائياً عن العمل في الدولة ، فانزوى خالد في حمص ، وتوفي فيها سنة ٦٤٢ م ، وعاش في التاريخ قائداً عظيماً ، مذللاً الصعاب ومحققاً للمعجزات ، وهو يعد في مصاف عظام القادة ، امثال هنيبال والاسكندر ونابليون ، والفرق بينه وبينهم انه لم يخسر معركة .. وفي حمص مدفنه في مسجده ، وبجانبه زوجه فضاء ...

أخذت الجيوش العربية بعد معركة اليرموك تسير في اتجاهات متعددة ، وتدخل المدن ، وكانت هذه تفتح ابوابها وتقابل القائد العربي بترحيب وتسهيل . وفي شيزر (سيجر) ، على بعد ١٥ميلاً الى الشمال الغربي من حماة ، خرج الناس « لاستقباله يصحبهم الناقرون على الدفوف والمنشدون ، وانحنوا امامه احتراماً » وفي حمص قال السكان للعرب « لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم »[4] .

ولاغرو في ذلك اذ ان سكان بلاد الشام ، ومنها فلسطين ، عرب منذ فجر التاريخ ،

---

(١) البلاذري ص ١٢٧ و ١٢٨ « كتاب فتوح البلدان » الطبعة الاولى – مطبعة الموسوعات في القاهرة سنة ١٩٠١ .
(٢) الدكتور فليب حتي : تاريخ العرب (مطول) . الجزء الاول ص ٢٠٤ و ٢٠٥ .
وذكر الطبري الجزء الثاني ص ٥٩٢ ان عدد الجيش العربي كان (٤٦) الفاً .
وذكر البلاذري ص ١٤١ ان عدد جيش الروم كان زهاء مائتي الف ، وعدد جيش العرب كان (٢٤) الفاً .
(٣) البلاذري ص ١٤٣
(٤) البلاذري ص ١٤٤ .

والعناصر الاجنبية التي دخلت البلاد ما لبثت ان خرجت منها ، كاليهود ، او ذابت في السكان واستعربت كالفلسطينيين ، وجماعات من الحوريين والحثيين . وشعور بلاد الشام نحو الموجة العربية الاسلامية هو شعور العودة الى الأم ، والاتحاد بأبناء الوطن الذي جاءوا هم منه : الجزيرة العربية .. ولم يكن احتلال اليونان ، ومن بعدهــم الرومان لبلاد الشام ومنها فلسطين سوى احتلال اجنبي لشعب لا رابط بين الحكــام وبينه .. لقد كان احتلال حاكمين لمحكومين وهو ما نعبر عنه اليوم بالاستعمار . ولم يؤثر ذلك الاحتلال في الشعور القومي لاهل البلاد كما انه لم يغير لغتهم ولا عاداتهم ، يضاف الى ذلك ان الشعور بالعداء بين الطبقة الاجنبية الحاكمة وبين الشعب صاحب البلد المحكوم كان شديداً ، كما يكون العداء دائماً بين المستعمِرين والمستعمَرين في جميع العصور ... ولذلك رحب سكان بلاد الشام ، وهم من العرب ، بالعرب الجدد القادمين من الجزيرة العربية ، واعتبروهم منقذين لهم من حكم الاجنبي البيزنطي واستعماره لهم ..

عمر في القدس

على ان مدينة القدس لم تسلم بسرعة ، فحاصرها عمرو بن العاص ... وفي سنة ٦٣٧ (١٧ هجرية) طلب السكان الصلح وتسليم مدينتهم الى الخليفة عمر بن الخطاب . وكان يومئذ في « الجابية » يعقد مؤتمراً حربياً مع قواده دام ثلاثة اسابيع ، ويتفقد احوال الجيش ...

وصل الجابية رسل « صفرونيوس » اسقف بيت المقدس ، ليتموا الصلح مع امير المؤمنين ، ويسلموا المدينة بموجبه . فصالحهم عمر وكتب لهم كتاب امان اسخى من امان خالد لأهل دمشق ، واورد الطبري نصه كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء — القدس — من الامان . اعطاهم أماناً لأنفسهم واموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبرائها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن . وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل

ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويُخلي بيَعهم وصُلُبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيَعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من اهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحْصَد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية »[1] .

وختم عمر الكتاب بتوقيعه ثم شهد عليه خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابي سفيان .

ولا يسع الانسان هنا الا ان يقف ويتأمل الفرق الشاسع بين الخلقين : الخلق العربي النبيل الذي بان للعالم حينما دخلوا بلاد الشام ، الممثل في وصية ابي بكر وفي امان خالد وفي عهد عمر ، والخلق اليهودي الذي اظهرته اعمالهم حينما دخلوا فلسطين معتدين ثم سجلوها في كتابهم المقدس كأنها اوامر من ربهم الى يشوع : « اذا ادخلك الرب الهك الى الارض التي انت صائر اليها لترثها ، استأصل امماً كثيرة من امام وجهك .. سبع امم اعظم واكثر منك واسلمهم الرب الهك وضربتهم فابسلهم ابسالاً — اي أفنهم — لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم .. تعملون بهم هكذا : تهدمون مذابحهم وتكسرون انصابهم وتقطعون اشجارهم وتحرقون تماثيلهم بالنار ». ومثل هذه الاوامر كثيرة في كتابهم المقدس وهي تدل على وحشيتهم وهمجيتهم وهم ينسبونها الى ربهم كأنها اوامر منه ... وما جاء في كتابهم خير دليل على اخلاق اليهود الاوائل ، ومنه اكتسب الصهيونيون اخلاقهم مع ان اكثريتهم الساحقة من شعوب لا تمت بصلة عرقية الى اليهود السابقين الذين وضعوا الكتاب ...

ذهب الخليفة عمر لزيارة بيت المقدس راكباً راحلته في ثيابه البسيطة ، دون ابهة ولا عظمة ، وهو رئيس دولة قهرت دولتي الروم والفرس.. وكان في استقباله الاسقف « صفرونيوس » ورجاله واعيان المدينة ... دخل عمر القدس مع الاسقف وتوجه الى كنيسة القيامة لزيارتها ، ولما وصل قبر السيد المسيح وقف اجلالاً واحتراماً وقرأ الفاتحة ، ثم زار اقسام الكنيسة . وفي اثناء ذلك حان وقت الصلاة ، فأعلم الاسقف انه

(١) الطبري الجزء الثالث ص ١٠٥

يريد الصلاة ، فأشار الاسقف بالصلاة في الكنيسة . على ان عمر سار وخرج من الكنيسة وعلى بعد منها صلى وصلى خلفه رجاله ... ثم عاد الى الكنيسة . وقال للاسقف :

لقد شعرت انك لم ترتح لاني لم اصل داخل الكنيسة. لقد قمت بذلك حرصاً على ان تبقى هذه الكنيسة كنيسة خاصة بالمسيحيين ، لانه لو صليت هنا لقال المسلمون : هنا صلى عمر ونريد الصلاة في المكان ذاته، ولاتخذوا من الكنيسة مسجداً . وهذا ما لا اريده ، واود بقاءها للمسيحيين وحدهم .

عندئذ نظر الاسقف الى هذا الرجل ، الذي لا توحي ثيابه بعظمة ولا علو ، شاكراً حسن صنيعه ونبل نيته وسمو تصرفه ...

وبالفعل شاد المسلمون ، بعد ذلك ، مسجداً صغيراً في المكان الذي صلى فيه عمر على بعد قليل من كنيسة القيامة ...

ثم توجه عمر الى المكان الذي فيه الحرم الشريف اليوم : جامع الصخرة ومسجد الاقصى ، فوجد المكان خلواً من كل شيء الا من القاذورات ، وكانت تعلو الصخرة، فأخذ يزيلها بنفسه عنها ، وتبعه بذلك المسلمون ، فنظفوا المكان ، ثم شادوا المسجد الاقصى ، وبعد ذلك بنوا جامع الصخرة ... وهذا المكان هو اولى القبلتين وفيه ثالث الحرمين ، وهو مكان مقدس عند المسلمين اجمعين ، والقدس مقدسة عندهم جميعاً ايضاً ...

في اثناء عملي سفيراً في واشنطن ولندن وباريس ، كنت اذكر ، في المناسبات ، لمن اتحدث اليهم من سفراء اجانب ، ومن رجالات تلك البلاد ، قصة عمر في كنيسة القيامة وصلاته خارجها ، حرصاً منه على بقائها كنيسة للمسيحيين ، فكانوا يستغربون ذلك ولا يكادون يصدقون ، لما في اذهانهم من صور مشوهة عن المسلمين واحترامهم للاديان السماوية من يهودية ومسيحية .. ثم يعجبون بهذا الخليفة العربي الكبير ... ولاحاديث التاريخ اللبقة في الاوساط الديبلوماسية والسياسية اثرها المفيد ...

وهنا ينبغي الوقوف لحظة لمقارنة تصرف العرب . عندما عادوا الى فلسطين ايام عمر مع السكان وفي الاماكن المقدسة ، بتصرف الصهيونيين مع السكان العرب وفي الاماكن المقدسة عندما احتلوا القدس في حزيران سنة ١٩٦٧ .. ذلك يحتاج الى اكثر من كتاب ، ولكن يكفي ان اذكر انهم دنسوا القيامة والحرم الشريف ، دخلت الشابات والشبان والكلاب هذه الاماكن المقدسة واتوا بأعمال تدل على اقل تقدير ان ليس عند القائمين

بها اخلاق ... ثم سرقوا مجوهرات السيدة العذراء من كنيسة القيامة ، التي لم تمسها يد طوال نحو ألف سنة خلال الحكم العربي الاسلامي للبلد ... وحرقوا جامع الاقصى عمداً ... حقداً وطمعاً .. وهدموا ابنية قديمة تاريخية في القدس القديمة وشردوا سكانها..

العرب في فلسطين منذ ما قبل التاريخ

ومع الموجة العربية الاسلامية عادت فلسطين عربية تماماً ... منذ دخول عمر القدس الى ايام اعتداء الصهيونيين وتأسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، بمساندة الولايات المتحدة الامريكية، وذلك مدة ١٣١٠ سنوات، ولم يعكر هذا الصفو العربي سوى الحروب الصليبية الآتي ذكرها .. اما الحكم العثماني في البلاد العربية الذي دام نحو ٤٠٠ سنة ، فلم يؤثر مطلقاً في عروبة البلد ونوع السكان اذ بقوا عرباً شركاء في الحكم مع الاتراك . والحكم العثماني لم يكن حكماً استعمارياً بما في هذا الاصطلاح من معنى ، ولكنه كان شراكة بين الاتراك والعرب لحكم الامبراطورية العثمانية ... وخلاله ظل العرب في بلادهم اسياداً ، وكان الاتراك في بلادهم آسيا الصغرى . وكان من رؤساء الوزراء في الحكومة العثمانية عرب ، وفي مجلس النواب ، ممثلون عرب عن بلادهم .. والمهم في بحثنا ان سكان فلسطين كانوا عنصراً عربياً صرفاً .

وهكذا ، فان العرب كانوا في فلسطين منذ ما قبل التاريخ ومن ابتداء التاريخ ، ومع وجود اليهود المعتدين حقبة من الزمن في فلسطين ، وبعد خروجهم منها ، وفي اثناء الحكم اليوناني والروماني الى ان اتت الموجة العربية الاسلامية ، وزال معها ماكان في البلد من عناصر غير عربية ، فصارت فلسطين عربية خالصة الى ان قام العدوان الصهيوني الاخير بمساعدة الدول الاستعمارية .. وما الصهيونية الا حركة استعمارية استيطانية اتخذت الدين اليهودي اداة لتحقيق غاياتها .

— ٨ —

الحروب الصليبية وأطماع الغرب

البواعث سياسية اقتصادية

كانت جميع بلاد شواطيء البحر الابيض المتوسط ، قبل الموجة العربية الاسلامية وقيام الامبراطورية العربية ، خاضعة للسيادة الاوروبية ، للامبراطورية الرومانية ، ثم خضع قسم من تلك البلاد للامبراطورية الرومانية البيزنطية ... واتت الموجة العربية

الاسلامية واخرجت الغاصبين المحتلين من جميع شواطىء جنوبي البحر الابيض المتوسط وشرقيه اي من بلاد الشام ... غير ان اوروبا عندما عاد اليها كيانها السياسي ، ونشأت فيها دول مستقلة ومدن ذات سيادة ، واخذت التجارة تنشط بين الشرق والغرب ، عن طريق العرب ، وممرها من فلسطين ومن مصر ، اخذت تلك الدول الاوروبية تفكر في اعادة سيادة اوروبا على بلاد جنوبي البحر الابيض المتوسط وشرقيه ، لاستعمارها والاستيلاء على طرق التجارة فيها ، تحقيقاً لمنافع سياسية واقتصادية .. وقد اتخذت الدول الغربية التي نشأت فيها الروح الاستعمارية ، من الدين وسيلة لجمع كلمة المواطنين الاوروبيين تحت راية المسؤولين فيها ، لتحقيق تلك الاطماع السياسية الاقتصادية .. واتخذ هؤلاء شعار « تخليص قبر المسيح » وسيلة لالهاب الحماسة وجمع الكلمة نحو استعمار الشرق العربي وشمال افريقيا ... ورأت الكنيسة ان في هذه الحركة وسيلة لتحقيق اهدافها هي ايضاً ، باعادة نفوذ الكنيسة الى هذه البلاد ، فباركت حركة غزو الشرق العربي وشمال افريقيا ، واقامة دول مسيحية فيها . ومن الحملات الصليبية ما لم تذهب الى فلسطين بل الى شمال افريقيا لاستعمارها وللاستيلاء على طريق المواصلات التجارية بين الشرق والغرب عن طريق في الاراضي المصرية بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط ...

وهكذا نشأ صراع مرير بين الغرب والشرق عرف « بالحروب الصليبية » لاتخاذ الغزاة الصليب راية لهم .. وعلى الرغم من ان الشرق العربي كان تحت حكم دويلات متعددة متنافسة واحياناً متخاصمة ، فان النتيجة كانت ان تمكنت القوى العربية في الشرق ، خلال القرون الوسطى ، من دحر الاعتداءات الاستعمارية الغربية والتغلب عليها نهائياً ، بعد صراع شديد أليم دام ما بين سنة ١٠٩٨ و ١٣٠٢ . وفيما يلي اهم نواحي ذلك الصراع بايجاز سريع :

التجمع في القسطنطينية وانشاء دويلات

في اواخر القرن الحادي عشر ميلادي نشطت الروح العسكرية في اوروبا كما نشط حب المغامرة والقتال والتسلط على البلاد العربية ... ووضع بلاد جنوبي البحر الابيض المتوسط وشرقيه تحت السيادة الاوروبية والتحكم في طرق التجارة بين الشرق والغرب ، التي كان يستفيد منها العرب ويثرون ... وانتهز البابا « اوربانوس الثاني » هذه الروح ليستفيد منها في اعادة نفوذ الكنيسة الى تلك البلاد . وكان البابا في تلك العهود رجل دنيا

وسياسة الى جانب كونه رجل دين ... فألقى سنة ١٠٩٥ خطاباً حماسياً حث المسيحيين فيه على الذهاب الى الشرق العربي واستخلاص قبر المسيح ووضع ايديهم على تلك البلاد...

واتخذ اصحاب المصالح من ملوك وامراء الدول الغربية ، وتجار جنوا والبندقية وبيزا ، من شعار « تخليص قبر المسيح » وسيلة لتحقيق مآربهم السياسية والاقتصادية . وقد تجمع سنة ١٠٩٧ نحو (١٥٠) ألفاً من الافرنج والنورمنديين ، وكان ملتقاهم مدينة القسطنطينية .. ولما عبروا جبال طورس اختلفوا في غاياتهم ووسائل تحقيقها ، فرأى « بلدوين » ، وهو احد قادة اللوثرنجيين القادمين من بلاد الراين ، ان يحتل بلاداً ويؤلف دولة فيها ، والا يتعب نفسه بالذهاب الى القدس والقتال هناك ، فتحول شرقاً واحتل بلاداً للنصارى ومدينة « الرها » وسكانها من الارمن ، سنة ١٠٩٨ وانشأ الدولة اللاتينية الاولى ، « دولة الرها » ، ونصب نفسه اميراً عليها ، وتزوج من أميرة ارمنية . اما « تانكرد » ، وهو احد قواد النورمنديين القادمين من جنوبي ايطاليا وصقلية ، فتحول غرباً ، ودخل كيليكيا ، وسكانها من الارمن ، واحتل مدينة طرسوس . وسار « بوهمند » ، نسيب تانكرد وقائد الحملة النورمندية ، نحو انطاكية وحاصرها مدة طويلة ولم يفلح في احتلالها الا بعد ان خان قائد ارمني كان مسؤولاً عن الدفاع عن احد ابراجها ، فأدت تلك الخيانة الى سقوط المدينة في يد الصليبيين .. وانشأ بوهمند في انطاكية وما جاورها الدولة اللاتينية الثانية وولى نفسه اميراً عليها ...

وتابع الكونت « ريمند » صاحب تولوز وزعيم اغنياء جنوبي فرنسا ، السير بجيشه نحو الجنوب ، فأحرق معرّة النعمان ، مدينة ابي العلاء المعري ، واحتل حصن الاكراد ، ثم سار جنوباً والتقى بقوات « غودوفري دي بويون » اخي بلدوين عند جبلة .. وسارت القوات الصليبية نحو القدس .. وفي ٧ حزيران ١٠٩٩ ضربوا الحصار عليها .

سقوط القدس

كانت القوات الصليبية التي حاصرت القدس اربعين الفاً ، بقيادة غودفري وريمند وتانكرد ، وكانت القوة المصرية المدافعة عن القدس ألف رجل فقط .. ودام حصار المدينة المقدسة شهراً ، سقطت بعده في ١٥ تموز ١٠٩٩ (٤٩١ هـ) في يد الصليبيين الذين فتكوا بأهلها دون مراعاة لجنس او سن ، وبلغ عدد ضحاياهم (٧٠) الفاً ... ومن المناظر التي اوجدها المحتلون اكوام من الرؤوس والايدي والاقدام البشرية في الطرق وفي الساحات العامة .. والفرق شاسع بين استعادة العرب للقدس في ايام عمر وبين اغتصاب الغربيين لها ... عمر لم يقبل ان يصلي في كنيسة القيامة حفاظاً منه على ان

تبقى كنيسة للمسيحيين وحدهم ... فان المسلمين يقدسون عيسى ويعتبرونه نبياً وامه مريم عذراء ... والعرب لم يريقوا دم شخص واحد من سكان القدس بل حافظوا على سكانها واملاكهم ولم يمسوها .. والغربيون شنعوا بسكان القدس وقتلوا (٧٠) الفاً منهم ، واتخذوا من الاقصى اسطبلاً ومن جامع الصخرة كنيسة ..

وانشأ الصليبيون في القدس الدولة اللاتينية الثالثة... تولى الحكم فيها « غودفري » ، وبعد سنة نصب اخوه « بلدوين » امير الرها ملكاً على منطقة فلسطين في عيد الميلاد سنة ١١٠٠ .. واخذ الصليبيون يتوسعون وينشرون نفوذهم في القسم الجنوبي والغربي من بلاد الشام .. الى ان اخذت موجتهم في الارتداد ابتداء من سنة ١١٤٤ على ايدي زنكي ونور الدين زنكي ، ومن ثم صلاح الدين الايوبي .

آل زنكي

كان مما ساعد الصليبيين على احتلالهم القسم الكبير من بلاد الشام بسرعة وسهولة ، وهدم المدن وقتل السكان ، تفرق كلمة العرب في بلاد الشام ومصر والعراق . فقد كانت في بلاد الشام امارات متنافسة واحياناً متحاربة .. حتى انه وجد في تلك السنين من المسؤولين في بلاد الشام من قبل بالتسليم لمشيئة الغربيين المغتصبين والتعاون معهم .. غير ان ذلك لم يدم الا نحو ٤٥ سنة .. اذ اخذت الروح الوطنية تعود الى امراء البلاد وابنائها ... وظهر ذلك حين تولى حكم حلب والموصل اتابك زنكي فحاول جمع الكلمة ، وقام بمناجزة الصليبيين وتسديد الضربات الشديدة إليهم . فحمل اولاً على « الرها » وحاصرها سنة ١١٤٤ اربعة اسابيع واحتلها واعادها الى الحظيرة العربية . وكانت الرها اسبق الدول اللاتينية الى الظهور واسبقها الى السقوط ... وادى سقوطها الى ارسال نجدات صليبية جديدة عرفت في التاريخ بالحملة الصليبية الثانية .

وانتقلت بطولة استرداد البلاد الشامية المغتصبة من زنكي الى ابنه نورالدين .. فعمل على توحيد الامارات العربية المتصلة بالقدس . فضم دمشق سنة ١١٥٤ الى امارته ، فامتدت البلاد الخاضعة له من الموصل الى حوران ، واتصلت بالمملكة الصليبية بالقدس. وكان نور الدين يرى ، ببعد نظره ، ان التخلص من الصليبيين واستعادة ما احتلوه من الوطن العربي يتطلب اولاً نشر نفوذه على مصر ، لوضع القدس بين حجري رحى ... فأرسل الى مصر قائداً باسلاً من قواده هو « اسد الدين شيركوه » ... فاز بعد انتصارات سياسية وعسكرية ، بتولي الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد ، ولما توفي بعد شهرين من ذلك ، انتقلت الوزارة الى ابن اخيه صلاح الدين بن ايوب .

مخطط صلاح الدين

كان ايوب ، والد صلاح الدين ، قائداً لحامية بعلبك التابعة لامارة زنكي ... ورافق صلاح الدين عمه في حملته على مصر ... ولما تولى الوزارة فيها وضع لنفسه مخططاً لتحقيق هدفه الاعلى الا وهو محاربة الصليبيين وتخليص القدس من ايديهم ، واعادة البلاد التي استولوا عليها الى الحظيرة العربية ، وارجاع الصليبيين من حيث أتوا ، لانه لا يمكن ان يسود السلام والطمأنينة في البلاد ما دامت اقسام منها في ايادي المغتصبين الغرباء . وكان مخططه لتحقيق هذه الغاية ، مؤلفاً من قسمين : الاول توحيد المذهب ، وذلك باعادة المذهب السني الى مصر مكان المذهب الشيعي ، الذي اوجده الفاطميون . اذ ان تعدد المذاهب عامل من عوامل الضعف في الامة ... والثاني توحيد مصر وبلاد الشام تحت سلطة واحدة ، لان تعدد السلطات عامل من عوامل ضعف الامة ايضاً ، ومنه ينفذ المغتصب الى صفوفها او يعمل بواسطته على اضعافها .

وكان صلاح الدين (١١٦٩ — ١١٩٣) جريئاً في تنفيذ المخططات السياسية جرأته في تنفيذ مخططاته الحربية ... وما ان تولى الوزارة حتى امر سنة ١١٧١ بالمناداة باسم الخليفة العباسي ... « المستضيء » في صلاة الجمعة ، مكان « العاضد » ، الخليفة الفاطمي الذي كان لا يزال حياً مسجى على فراش الموت . وامر بتدريس المذهب السني واتباعه ، والغاء كل ما يتعلق بالمذهب الشيعي ... وهكذا تم له توحيد المذهب ... وأصبح صلاح الدين الحاكم في مصر ... وحقق القسم الثاني من مخططه سنة ١١٧٤ بعد وفاة سيده نور الدين زنكي ، اذ انتزع سوريا من اسماعيل بن نور الدين ، وهو في الحادية عشرة من عمره ، ووحدها مع مصر تحت سلطانه ، وبذلك نشأت الدولة الايوبية ، وحقق ماكان يصبو اليه نور الدين .. وبعد ذلك اخذ صلاح الدين يعد الخطط العسكرية لتخليص القدس وطرد المعتدين ...

معركة حطين واستعادة القدس

أعد صلاح الدين خططه العسكرية لتخليص القدس من المعتدين .. وقاد الجيش بنفسه ، وحاصر طبريا واحتلها يوم الخميس اول تموز ١١٨٧ (الموافق لسبع بقين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ)[1] ومنها اتجه نحو « حطين » ، وهي قرية على مرتفع قرب

(١) ابن الاثير — المجلد ١١ (ص ٥٣٢ — ٥٣٨) مطبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦ .

طبريا ، وجرت فيها المعركة الفاصلة الشهيرة بين الافرنج والعرب يوم السبت في الثالث ويوم الاحد في الرابع من تموز (الموافق لخمس واربع بقين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ)[١] ، انتصر فيها صلاح الدين انتصاراً باهراً على الغربيين المعتدين ... وكان عددهم عشرين الفاً لم ينج منهم الا من فر او وقع في الاسر .. وكان على رأس الاسرى ملك القدس « غي ده لوسيان » فعامله السلطان الكبير الشهم معاملة حسنة تليق بمقامه ، واطلق سراحه بعد ان اخذ منه عهداً بألا يشترك في حرب ضده . اما زميله « رجينالد » حاكم الكرك فعومل معاملة اخرى ، فقُتل بالسيف ، لأنه كـان ينقض العهد ويخرق الاتفاقات ويعتدي على الحجاج في طريقهم الى الحج .

وبعد هذه المعركة الفاصلة فتحت طريق القدس امام جيش صلاح الدين ، الذي وصلها دون مقاومة وحاصرها اسبوعاً ، ثم استولى عليها في ٢ تشرين الاول ١١٨٧ (الموافق يوم الجمعة ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣ هجرية)[٢] . استعاد الجيش العربي القدس ... لم يؤذ سكانها « وكان الفرق جلياً بين معاملة صلاح الدين للمدنيين من الافرنج ومعاملة الافرنج للمسلمين قبل ذلك بثمان وثمانين سنة . فمن استطاع ان يؤدي الفدية عن نفسه فقد فعل ، وسمح للفقراء منهم بفرصة عشرين يوماً يجمعون خلالها مبلغاً يفتدون به نفوسهم »[٣] وقد افتدى صلاح الدين من ماله الخاص ألفـاً من الفقراء المعدمين الذين لم يستطيعوا جمع شيء يفتدون به انفسهم .. « اما الاراضي التي اخلاها الافرنج فقد ابتاعها الجنود والنصارى من المواطنين »[٤] .

وتابع جيش صلاح الدين استعادة المدن العربية من الصليبيين ، فاستعاد الشوبك والكرك في الجنوب ، وقلعـة الكوكب والشقيف وصهيون في الشمال ، وبعد ذلك عسقلان وعكا وصفد وطرطوس وجبلة واللاذقية قبل نهاية سنة ١١٨٩ . وبقي في يد الافرنج صور وطرابلس وانطاكية .

على ان استعادة العرب للقدس أثارت الغرب ، فأعد حملة صليبية ثالثة لاحتلال القدس ، ترأسها اقوى ملوك اوروبا الغربية وهم ثلاثة : فردريك بربروسا ملك المانيا ،

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ص ٥٤٩ .
(٣) الدكتور فليب حتي — تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الثاني ص ٢٣٨ .
(٤) المرجع السابق

وفيليب اغسطس ملك فرنسا ، وريكاردوس الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد .

اما بربروسا فقد غرق وهو يعبر نهراً في كيليكيا وعـاد جنده الى بلادهم ... ويروي التاريخ قصصاً عن المعارك التي اشترك فيها البطلان صلاح الدين وريكاردوس ، هي نسيج من التاريخ والاساطير ... ولكنها تدل على بطولتهما وشهامتهما .. وفي ٢ تشرين الثاني سنة ١١٩٢ تم الصلح بينهما على ان يكون الساحل من مدينـة صور الى الجنوب للافرنج وان يبقى الداخل للعرب ، والا يعترض احد سبيل الحجاج القادمين الى القدس ... وبعد تقسيم فلسطين هذا عاد ريكاردوس الى بلاده ... وفي أوائل آذار من العام التالي ، سنة ١١٩٣ ، توفي صلاح الدين وله من العمر خمس وخمسون عاماً ، ودفن في دمشق قرب الجامع الاموي ..

العودة الى الانقسامات والضعف

بعد ان اشتدت الموجة العربية ، التي ابتدأت بهمة زنكي ووصلت اوجها ايـام صلاح الدين ، اخذت تفتر بعد موته وتنحدر ، وان كانت الموجة الصليبية لم تقوَ ايضاً في تلك الفترة ، على انها استفادت من انقسام الدولة الايوبية بعد الملك العادل ، اخي صلاح الدين ، الى ثلاث دول : دولة مصر ، واخرى في سوريا ، وثالثة في شمالي العراق ... واخذت تتنافس فأدى ذلك الى اضعاف الوضع العربي الاسلامي .. فاستعاد الصليبيون بيروت وصفد وطبريا وعسقلان... وتخلى الملك الكامل ، ابن العادل ، عن القدس سنة ١٢٢٩ لفردريك الثاني ملك صقلية بموجب معاهدة عقدت لعشر سنوات ، تعهد بها فردريك ان يعين الملك الكامل على اعدائه ، وهم من ابناء عمومته من الايوبيين ... « ولا يعرف التاريخ معاهدة بين الافرنج والمسلمين قبل العهد العثماني اغرب وابشع من هذه المعاهدة »[١] على ان الملك الصالح نجم الدين ابن اخي الملك الكامل استعاد القدس من الافرنج سنة ١٢٤٤ .

موجة همة جديدة مع المماليك

بعد موت الملك الصالح نجم الدين سنة ١٢٤٩ اصبحت زوجه « شجرة الدر » صاحبة النفوذ الحقيقي في الدولة وشاركها فيه مملوك زوجها « ايبك » .. وفي سنة ١٢٥٠ اسس دولة المماليك ..

(١) الدكتور فليب حتي — تاريخ العرب (مطول) ص ٧٧٤ .

وكان الملك « الظاهر بيبرس » ، رابع ملوك المماليك (١٢٦٠ — ١٢٧٧) اعظم ملوكهم واقواهم . فقد سدد الضربات القاصمة الى الافرنج ، وقضى تماماً على مملكة كيليكيا ، واعاد توحيد مصر وسوريا ، واصبح قادراً على ملاحقة الافرنج وضربهم دون مجابهة انقسامات داخلية . احتل الكرك سنة ١٢٦٣ ، وبعد سنتين استعاد قيسرية ، ثم ارصوف . وفي سنة ١٢٦٦ سلمت صفد ، ولا تزال اسوار المدينة تحمل العبارة المنقوشة « اسكندر زمانه وعماد دينه » . وتابع بيبرس استرداد المدن من ايدي الافرنج فعادت يافا الى الحظيرة العربية سنة ١٢٦٨ ، ثم شقيف ارنون . واستسلمت له انطاكيا ، مركز الدولة اللاتينية الثانية ومعقل الافرنج الحصين . وكان سقوط انطاكيا عاملاً هادماً لمعنوياتهم .. واستسلم سنة ١٢٧١ حصن الاكراد المنيع وهو اشد الحصون واروعها ، فقد حمى سنين طويلة الطريق الذي يصل ساحل لبنان الشمالي بسوريا ، كما كانت قلعة الشقيف تحرس الطريق الجنوبي ... وبعد استيلاء بيبرس على حصون وقلاع عديدة اخرى سارعت طرطوس وقلعة المرقب الى عقد الصلح ...

ان انتصارات الملك الظاهر بيبرس على الافرنج المعتدين المغتصبين بلاداً عربية ، قد مهدت السبيل لخليفتين من خلفائه من ملوك المماليك وهما « قلاوون » و« الاشرف » ومكنتهما من القضاء الاخير على الافرنج المستعمرين في بلاد الشام وفي مصر ...

فقد تابع قلاوون (١٢٧٩ — ١٢٩٠) ، وهو السابع من ملوك المماليك ، الملقب عن جدارة بالملك المنصور ، حرب الافرنج ومطاردتهم بضراوة ... حاصر قلعة المرقب فاستسلمت له في ٢٥ ايار سنة ١٢٨٥ ، وكانت طرابلس ، اكبر مدينة لا تزال في حوزة المغتصبين ، فحاصرها قلاوون ودك معالمها واستولى عليها سنة ١٢٨٩ . وبقيت عكا آخر معقل حربي مهم في يد الافرنج .. وبينما كان قلاوون يزحف عليها لاحتلالها ادركته المنية ، فتولى الملك والقيادة ابنه الاشرف (١٢٩٠ — ١٢٩٣) ، فكان له شرف تنظيف بلاد الشام من الافرنج المعتدين .

سار الاشرف نحو عكا ونشب قتال شديد دام اكثر من شهر . وحاصر جنده المدينة وضربوها باثنين وتسعين منجنيقاً ... وفي ١٨ ايار ١٢٩١ حمل الملك عليها بجنده حملة شديدة واحتلها ونظفها من المغتصبين ... وبسقوط عكا اصبحت المدن الصغيرة الاخرى التي كانت لا تزال بيد الافرنج غير قادرة على المقاومة ، فأخليت صور يوم سقوط عكا ، وصيدا في ١٤ تموز ، واستسلمت بيروت في ٢١ منه ، واما طرطوس فكان تسليمها في ٣ آب ، وغادر الصليبيون عتليت في ١٥ آب ١٢٩١ .

وهكذا بعد حرب ضارية دامت نحو مئتي سنة (١٠٩٨ — ١٢٩١ او ١٣٠٢) بين اهل البلاد وبين المغتصبين من الافرنج المستعمرين الذين غزوا بلاد الشام وشمالي العراق ومصر وتونس ... باسم « تخليص قبر المسيح » .. تمكن جند القطر المصري والقطر الشامي من اخراج آخر جندي غربي مستعمر من بلاد الشام سنة ١٢٩١ . اما جزيرة ارواد فقاومت احدى عشرة سنة اخرى وكان شرف اقصاء الصليبيين عن هذه الجزيرة للملك المنصور ، تاسع ملوك المماليك ، الذي تولى الملك ثلاث مرات ..

ان الحروب الصليبية الاستعمارية الاستيطانية تعطي كل عربي وطني درساً بليغاً ، وهو ان تخليص فلسطين من ايدي المعتدين لم يتم سابقاً الا باتحاد مصر وبلاد الشام ، وعمل جيوشهما معاً بقيادة واحدة ، ضد المعتدي ..

ولا يسع المرء ، ونحن في هذا الصدد ، الا ان يذكر ان ابناء الامة العربية المخلصين للوطن العربي ، اعتزوا وتفاءلوا حينما قامت الوحدة بين سوريا ومصر في كانون الثاني سنة ١٩٥٨ ، بناء على طلب المسؤولين الوطنيين في سوريا يومئذ ، وان اسرائيل رأت في ذلك خطراً يهددها ويضعها بين حجري رحى ... فقامت الصهيونية العالمية والدول الاستعمارية ، اعداء العرب ، بكل ما يمكن عمله ، لاحباط هذه الوحدة ، التي بنى عليها الوطنيون آمالاً كبيرة .. ومما يؤسف له ان مساعيهم اتفقت مع مساعي بعض المسؤولين في بلاد عربية ، وبعض المتزعمين في سوريا ، فأدت اعمال الأعداء في الخارج ، وأعمال بعض العرب في الداخل ، الى احباط الوحدة العربية بين مصر وسوريا بدافع مباشر من رجال سوريين . فكان الانفصال يوم الخميس ٢٨ ايلول سنة ١٩٦١. وهكذا ، في جميع العصور ، يوجد بين العرب من يوقع الاضرار بالأمة وبمصيرها ، في سبيل ارضاء روح عداء ، أو مصالح ذاتية آنية .. ولو بقيت الوحدة العربية المصرية السورية ، وعمل لجعلها وحدة صحيحة ... لما جرؤت اسرائيل على اشعال نار حرب حزيران ١٩٦٧ ، او لكانت نتائجها ، على الاقل ، غير النتائج المشينة التي وقعت ..

اطماع الغرب وحروبه الصليبية الجديدة

انتهى اعتداء الغرب على بلاد الشام وشمال افريقيا ، وسعيهم لاستعمارهما واستيطانهما بكل ما اوتوا من قوة ، باسم الحروب الصليبية . وبفضل ابطال كصلاح الدين والظاهر بيبرس وقلاوون والاشرف ، بقيت بلاد الشام وشمال افريقيا عربية ، بعد ان كان الغرب يريد جعلها غربية دماً وثقافة ..

على ان الغرب لم يكف عن العمل لتحقيق اطماعه في البلاد العربية ، بعد هزائمه آنفة الذكر فتابع حروبه الاستعمارية في البلاد العربية في شمال افريقيا خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، غير انه خرج من الاقسام التي احتلها في تلك البلاد ، ببطولة ابنائها ، ونضالهم المستمر ضد المعتدي ...

وظهرت في القرن التاسع عشر حركة استعمارية قوية لدى بعض الدول الغربية ، ووجهت بريطانيا وفرنسا نظرهما الاستعماري الى البلاد العربية ، وعملتا لتحقيق اهداف اوروبا خلال القرون الوسطى من وراء الحروب الصليبية التي قامت بها ، وهي وضع جميع بلاد جنوبي البحر الابيض المتوسط وشرقيه تحت السيطرة الاوروبية الكاملة كما كانت ايام الرومان .. وعملت بريطانيا وفرنسا ، لتحقيق اطماعهما في هذه البلاد بالقوة ، بقوة النار والحديد ، كما استعمل الصليبيون القوة من قبلهم ...

هاجمت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ واحتلتها ، ثم جعلتها جزءاً من فرنسا ،وعملت على اسكان فرنسيين فيها لتصبح الجزائر قطعة من فرنسا ملكاً ودماً وثقافة ..

واحتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ ، ولكن بطرق ملتوية ، على الطريقة الانكليزية ، وبأقل النفقات الممكنة من أرواح وأموال ...

ثم احتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨١ ووضعتها تحت حمايتها ، وجعلت منها مستعمرة لها ولابنائها ... وكذلك احتلت المغرب سنة ١٩١٢ ووضعته تحت حمايتها ، أي تحت سيطرتها الكلية .. فكانت أول مرة في التاريخ يقع المغرب تحت حكم دولة أجنبية .

وقامت ايطاليا بالاعتداء على ليبيا سنة ١٩١١ ثم ضمتها اليها ..

وبذلك وقعت جميع البلاد العربية في جنوبي البحر الابيض المتوسط ، أي شمال افريقيا ، تحت حكم دول اوروبية ، فتحقق لها ، بصورة موقتة ، حلمها الذي كثيراً ما راودها باعادة جنوبي البحر الابيض المتوسط الى الحكم الاوروبي ، كما كان في زمن الرومان الوثنيين ثم الرومان البيزنطيين المسيحيين .

غير ان الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد البحر الابيض المتوسط بقي بلاداً عربية تركية ، تحت الحكم العثماني . وتابعت الدول الاستعمارية جهودها للاستيلاء على

هذه البلاد ، حتى تجعل جميع بلاد جنوبي البحر الابيض المتوسط وشرقيه تحت الحكم الاوروبي . وتبعد بذلك السيطرة والمدنية العربية الاسلامية عنها جميعاً ... وقد تم لها احتلال بلاد الهلال الخصيب (بلاد الشام والعراق) في السنة الاخيرة من الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ ... ولما اقبل الجنرال اللنبي قائد الجيش البريطاني على القدس، أواخر سنة ١٩١٧ ، دخل المدينة القديمة وسار نحو كنيسة القيامة ووقف امامها وقال : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .. وقرعت اجراس كنائس اوروبا ، حتى في المانيا حليفة تركيا ، ابتهاجاً باحتلال جيش غربي مدينة القدس ... ومثل فعلة اللنبي فعل الجنرال غورو قائد الجيش الفرنسي ، فانه حين دخل دمشق ذهب الى ضريح البطل صلاح الدين ووضع قدمه عليه وقال « ها نحن قد عدنا ثانية يا صلاح الدين » ..

وبذلك تم تحقيق حلم اوروبا وأطماعها الى حين .

قاوم ابناء البلاد العربية في شمال افريقيا الاحتلال الاجنبي بكل ما لديهم من وسائل المقاومة والقتال ، وسخوا بالارواح .. وكان كلما اخمدت الدول المحتلة المستعمِرة المستعبدة مقاومة لا تلبث ان تندلع نيران مقاومة اخرى ... واشتدت المقاومة للمعتدين المحتلين في جميع البلاد العربية ... فنالت مصر والعراق استقلالهما قبل الحرب العالمية الثانية ... واستمرت المقاومة العربية للدول الغربية المغتصِبة للبلاد والمعتدية على الحرية الوطنية لابنائها بعد الحرب العالمية الثانية ، وظهرت انواع من البطولة الخارقة في الجزائر التي ضحت بمليون من ابنائها في سبيل نيل استقلالها ... فنالت جميع البلاد العربية الواقعة على البحر الابيض المتوسط استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية . وبذلك خرجت الدول الغربية من البلاد العربية ، وعادت السيادة فيها الى ابنائها ... وعادت بلاد جنوبي البحر الابيض المتوسط وشرقيه عربية خالصة مستقلة ، لا سلطان لأجنبي فيها ... الا في فلسطين ، التي تابع فيها الغرب حرباً صليبية من نوع جديد ، وقصتها في الفصل التالي .

وقبل قلب آخر صفحة من هذا الفصل ، اود ان اسجل حقيقة على كل عربي من مسلم ومسيحي ، وعلى كل مسلم ، ان يعيها وهي :

ان الغرب ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية اليوم ، يبغض العرب والمسلمين ، ولا يريد لهم ولا لبلادهم خيراً ولا تقدماً . وهذا البغض وحب ايقاع الضرر هو في البلاد البروتستانية ، الولايات المتحدة وبريطانيا ، اكثر مما هو في البلاد اللاتينية اي الكاثوليكية .. وان ملأنا قلوبنا بهذه الحقيقة عرفنا كيف نتقي شرهم ..

ويرجع ذلك الى أمرين :

الاول هو ان اهل دين ما يبغضون ، البغض كله ، اهل دين جديد ، ويقاومون رؤساءه ويشنعون عليهم ويبطشون بهم ان تمكنوا من ذلك ... ولهذا قاوم اليهود الدين المسيحي وقتلوا المسيح وشنعوا عليه وعلى امه مريم.. وعلى اصحابه .. اما الدين الجديد فيحترم الدين او الاديان السماوية السابقة .. فالدين الاسلامي يحترم الدين اليهودي والدين المسيحي ويعتبر موسى وعيسى نبيين على المسلمين احترامهما احترامهم لنبيهم محمد ويعتبرون ام عيسى مريم عذراء ..

والثاني هو ان الروح الاستعمارية الغربية التي اشتد ظهورها منذ الحروب الصليبية ، ورثتها ، بعد الحرب العالمية الثانية ، الولايات المتحدة الامريكية ، تشد ازرها في ذلك الحكومة البريطانية ، التي انما تخلت عن مستعمراتها مرغمة ، ولكنها لم تتخل عن روح الاستعمار ، ومنها حب رؤية الآخرين يعيشون في آلام وعذاب .. فالحكومة الامريكية والحكومة البريطانية ، تبغضان العرب ، من مسلمين ومسيحيين ، والمسلمين بغضاً لا حد له .. وقد ايدتا الصهيونية واوجدتا دولة اسرائيل ، في قلب العالم العربي ، تمشياً مع هذا البغض ، واشباعاً لروح استعمار البلاد العربية وايقاع الضرر بها بطريقة مبتكرة .. وما الصهيونية الا موجة استعمار استيطاني افنائي غربي من نوع جديد ..

الفصل الثاني

اطماع الصهيونيين واهدافهم

يوم السبت الموافق ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ ركبت طائرة ذات محركين من مطار طرابلس الى بلدة « غدامس » من اعمال ليبيا ، الواقعة على مقربة من الحدود الليبية التونسية الجزائرية . وكان في الطائرة خليط من الزائرين ، من امريكيين وفرنسيين وايطاليين ... ولو كان بين الزائرين كاتب روائي لوضع رواية عن هذا الخليط من ابناء الكرة الارضية وعن تصرفاتهم ... ولنالت روايته رواجاً كبيراً ... اما غدامس هذه فبلدة قديمة جداً ، يقول اهلها ان تاريخها يرجع الى اربعة الاف سنة ...

نزلنا في فندق تابع لوزارة الانباء والثقافة الليبية ... وهو الفندق الوحيد في البلدة ، وقد حافظ منشئوه على الطابع الشرقي فيه حتى يلائم جو غدامس التاريخية القديمة ... وفي هذا الفندق تعرفت ، من ضمن من تعرفت عليهم ، على صحفي فرنسي من ضيوف وزارة الانباء والثقافة .. وفي مساء وصولنا جلست معه في ساحة الفندق تحت شجرة نخيل ، والقمر يسطع بنوره اللطيف فيداعب ظلام الليل ويخفف من حدته ، ويجعل سكان الارض ، من الجهة التي يطل عليها نور هذا الكوكب الذي وطأته اقدام الانسان ، يرون بوضوح ما امامهم وما حولهم على بعد ليس بقليل . والنور جميل على مختلف انواعه ، وما ابشع الحياة في الظلام ! وجلس آخرون هنا وهناك ، في الساحة يتمتعون بنور القمر وبنسيم الهواء الصحراوي العليل ، في ليلة مقمرة ، وبعد نهار اتعب الجميع حره الشديد ...

تحدثت مع الصحفي الفرنسي ، وحديثي ، اينما اذهب واينما احل ، هو عن فلسطين ، وأخطار الصهيونيين على جميع البلاد العربية وعلى السلام في الشرق الاوسط خاصة وفي العالم عامة ... واثناء الحديث قال لي :

ليس لاطماع الصهيونيين في العالم العربي حدود

ثم تابع القول قائلاً :

— في سنة ١٩٥٥ ، قبيل شروع الحكومتين الانكليزية والامريكية في انشاء « حلف بغداد » ، المسمى اليوم « الحلف المركزي » بعد خروج بغداد منه ، ارادت بريطانيا التي تساندها امريكا حل قضية فلسطين وانهاء النزاع العربي الاسرائيلي ، قبل انشاء ذلك الحلف ، كيما يتسنى لها ان تقيمه على اسس متينة باشراك الدول العربية فيه . وانهاء النزاع العربي الاسرائيلي كان يتطلب تعيين حدود نهائية بين اسرائيل والدول العربية ، بالتفاهم بين الطرفين تفاهماً نهائياً ، وضمانة الدول الكبرى والامم المتحدة لتلك الحدود .

ولتخطيط الحدود ارادت بريطانيا وامريكا معرفة رأي اسرائيل في الحدود التي تعتبرها حدوداً نهائية لها . اتصلت الحكومتان بحكومة اسرائيل وافهمتاها انهما تريدان ايجاد تسوية نهائية للقضية الفلسطينية وان لهما نفوذاً في البلاد العربية (في تلك الايام) تستطيعان معه حمل حكوماتها على قبول حدود نهائية بينها وبين اسرائيل لايجاد سلم دائم في المنطقة ، وانهما ، قبل مفاتحة الدول العربية بذلك ، تريدان معرفة الحدود النهائية التي تريدها اسرائيل ؟ ثم سألني :

— اتعرف ماذا كان جواب المسؤولين في اسرائيل ؟ . أجبت :

— كلا لا اعرفه . قال :

— اجابوا بأن « ليس لاسرائيل حدود » !؟...

وذكرني حديث الصحفي الفرنسي بما قاله لي في سنة ١٩٥٥ السير انطوني ايدن (الذي صار فيما بعد ايرل اوف ايفون) وزير خارجية المملكة المتحدة يومئذ ، اثناء حديث معه عن الاوضاع في الشرق الادنى ، اجريته عندما كنت سفيراً للمملكة الاردنية الهاشمية في المملكة المتحدة . قال :

— اننا مهتمون بايجاد سلام دائم في تلك المنطقة ، واننا جادون في الوصول اليه بالطرق الديبلوماسية الهادئة ، وهي اسلم الطرق للوصول الى حل دائم ، كما توصلنا ، بهذه الطريقة ، الى حل مشكلة تريستا ...

لكن اطماع اسرائيل ، التي لا حدود لها في البلاد العربية ، والتطورات التي جرت

فيما بعد ونجمت عن تلك الاطماع ، حالت دون تمكين اصدقاء اسرائيل من متابعة تلك الجهود ..

هل صحيح أن اسرائيل لا حدود لها ؟ وان كانت لها حدود فاين تقع ؟ ومن يعينها ؟ وكيف ؟

هذا سؤال متشعب نضعه الآن جانباً ثم نعود اليه لنجيب عنه في مكان آخر من هذا الكتاب .

لا ريب أن اطماع اسرائيل في البلاد العربية لا حدود لها . وأن اهداف اسرائيل في البلاد العربية تتغير بالنسبة الى اوضاع هذه البلاد ذاتها .. وهدف اسرائيل ، في الاوضاع الحاضرة ، تحقيق « اسرائيل الكبرى » وهي تضم ، بحسب تصاريح مسؤولين صهيونيين ودعوة مفكرين بينهم ، البلاد الواقعة من النيل غرباً الى الفرات شرقاً ، وجميع البلاد العربية الواقعة شمال خط يمتد من جنوبي الكويت الى جنوبي المدينة المنورة ! .. وهذه هي البلاد التي يعتبرها الصهيونيون وطناً لهم ، يعملون على اسكان ما لا يقل عن عشرة ملايين من اليهود فيه ! . وسيحملون اكثرية اصحاب هذه البلاد العرب على مغادرتها ، كما فعلوا بأهل فلسطين ! .. وهم يهدفون ايضاً الى الاستيلاء المباشر او غير المباشر على موارد التجارة فيها ، وبالتالي وضع وصايتهم السياسية على العالم العربي كله ..

والسؤال هو : هل رافقت هذه الاطماع احلام اليهود طوال الألفي سنة الماضية ، بعد ان اخرجهم الرومان من قسم فلسطين الذي كانوا يسكنون في سنة ٧٠ ميلادية ، ام أن هذه الاطماع هي وليدة حركات متأخرة نشأت في أواخر القرن التاسع عشر وترعرعت في القرن الذي نعيش فيه ؟ ..

وللجواب عن هذا السؤال أتناول بحث الاطماع اليهودية والصهيونية في ادوار ثلاثة وهي :

١ — اطماع اليهود قبل نشوء الحركة الصهيونية .

٢ — اطماع الصهيونيين في القرن التاسع عشر الى صدور قرار تقسيم فلسطين .

٣ — اطماع الصهيونيين واهدافهم من تقسيم فلسطين الى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

— ١ —

أطماع اليهود قبل نشوء الحركة الصهيونية

ان ما كان يحدثه اليهود من اضطرابات وفتن حمل الرومان على محاربتهم في سنة ٧٠ ميلادية ، فحاصر طيطوس القدس وخربها ثم هدمها عن بكرة ابيها كما هدم الهيكل ولم يترك له أثراً . وقتل من قتل من السكان وأخذ ألوف الأسرى منهم الى روما .. أما اليهود الذين تمكنوا من النجاة من القتل أو الأسر فقد هربوا ونجوا بأرواحهم الى بلاد ما بين النهرين ، والى الجزيرة العربية ، والى مصر وبرقة ، وعاشوا فيها مع سكانها بسلام .. ولم يذهب من يهود الشرق آنذاك الى اوروبا الا من اسر وبيع في روما عبداً ..

ولما انتشر الدين المسيحي في الامبراطورية الرومانية اعتنقه عدد من اليهود وبقي أكثرهم على دينهم في تلك الاقطار .. لا هم لهم الا العيش بسلام مع سكانها وتعاطي أعمالهم التجارية والمالية .. ولم يفكروا ، ايام الامبراطورية الرومانية ، في العودة الى فلسطين واقامة دولة يهودية فيها .. وكان تعلقهم بالقدس روحياً ، يذكرونها في عباداتهم ذكراً دينياً لا سياسياً ..

وجاء الاسلام في سنة ٦١٠ ميلادية .. وقامت الامبراطورية العربية الاسلامية ، وشملت من البلاد ، بين ما شملت ، جميع بلاد جنوبي البحر الابيض المتوسط ، واجزاء من البلاد الأوروبية الواقعه في شماليه مثل اسبانيا ، وجنوبي كل من فرنسا وايطاليا .. وجميع الجزر الواقعة في هذا البحر ، الذي اصبح مدة قرون ، بحيرة عربية .. والاسلام يعترف بالديانة اليهودية كما يعترف بالديانة المسيحية ويحترمهما . وهو يطلب من تابعيه ان يحترموا موسى وعيسى كما يحترموا محمداً .

وعاش اليهود المسالمون ، وعاش المسيحيون بين المسلمين في هذه البلاد ، كل يتبع دينه ويقوم بشعائره دون اي تدخل من السلطات العربية الاسلامية .. وكثيرون من يهود ومسيحيي الشرق الادنى هم من قبائل عربية اصيلة ، كيهود المدينة واليمن وغيرهما ، وكمسيحيي قبائل الشام ، الغساسنة ، وقبائل فلسطين .. وقد سمح المسلمون لليهود بسكنى فلسطين بعد ان كان ذلك محرماً عليهم ، غير ان القليل منهم اتوا للعيش فيها ، لأنهم فضلوا العيش في اوطانهم حيث يسكنون ، متابعين اعمالهم ، ومؤدين شعائرهم الدينية بحرية ، في ظل الحكم العربي الاسلامي الذي يحترم دينهم ولا

يمس حريتهم . انهم لم يأتوا الى فلسطين لسكناها في تلك الايام ، لأن نظرتهم اليها كانت نظرة روحية فقط لم تستغلها السياسة الاستعمارية العنصرية إذ لم تكن قد امتزجت بعد بالدين عندهم .. وهكذا عاش اليهود في الشرق الاوسط بين العرب والمسلمين ، في حرية وهناء وسلام ، وظل ابناء « بلد السلام » يعيشون معاً في سلام ، رغم اختلاف الاديان ..

حتى اواسط القرن الثامن للميلاد كان معظم اليهود من اصل سامي ، إذ نشأ الساميون منهم كما رأينا ، جنوبي العراق وليس في فلسطين .. غير ان هذا الوضع قد تغير خلال القرن الثامن للميلاد باعتناق الخزر ، وهم من اصل تتري او فينلادي[1] ، الدين اليهودي ، فأصبح معظم من يدينون بالديانة اليهودية في العالم من عنصر غير سامي لا صلة له بالشرق الادنى ابداً ، ولم ير اجدادهم فلسطين ، ولم يسمعوا بها قبل اعتناقهم الدين اليهودي .

سكن الخزر في النصف الشمالي من البلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الاسود بما في ذلك شبه جزيرة القرم ، وشملت دولتهم مقاطعة الفولكا وامتدت شمالاً الى مقاطعة الاورال وغرباً الى كييف . وكانت عاصمتهم مدينة اتيل **Atil** الواقعة على دلتا نهر الفولكا . وكانت لهم دولة كبيرة قوية في القرون الثامن والتاسع والعاشر ميلادية .. وكان من اهم ملوكهم الملك بولان **Bulan** وابنه عبادية **Obadiah** ، وابنه جوزيف . وقد حارب الخزر المسلمين والروس مراراً .. وقضى الروس على دولتهم نهائياً سنة ١٠١٦ ميلادية ، واخذوا منهم ألوف الاسرى الى مدينة كييف وغيرها ، وعاش ألوف منهم ايضاً في شبه جزيرة القرم ، ثم انتشروا في بلاد الروس وفي اوروبا الشرقية .. وبعد ذلك في بلاد غربي اوروبا ثم في الولايات المتحدة الامريكية .. وذهب عدد كبير من افراد العائلة المالكة الخزرية والنبلاء ، بعد زوال دولتهم ، الى الاندلس العربية ، وعاشوا هناك بين العرب بأمان واعزاز .. وعليه فكثيرون من يهود اسبانيا غير ساميين ولا صلة لاجدادهم بفلسطين . يهود روسيا واوروبا وامريكا يرجعون في اصلهم الى الخزر ، والى من تهود من سكان روسيا واوروبا الشرقية على ايدي اليهود الخزر ويهود بيزنطية .. وهم من العنصر السلافي ، وجميع هؤلاء غير ساميين ولا صلة لهم ولا لاجدادهم بفلسطين ..

---

(١) **The Standard Jewish Encyclopedia** ص ١١٢٤ .

وقصة اعتناق الخزر الديانة اليهودية وردت في مؤلفات مؤرخين من العرب واليهود ، وفيما يلي موجزها :

ذكر المسعودي في كتابه « مروج الذهب » الذي تم وضعه سنة ٩٤٧م (٣٣٦هـ)، أنه كان في مدينة أتيل Atil عاصمة الخزر الواقعة على نهر الفولكا ، مسلمون ومسيحيون ويهود ووثنيون . وان اليهود كانوا حاشية ملك الخزر الذي تهود في عهد الخليفة هارون الرشيد . وقال المسعودي انه لا يذكر في مؤلفه « مروج الذهب » الطريقة التي تهود بها ملك الخزر وحمل شعبه على اتباع دينه الجديد ، لأنه ذكر ذلك في مؤلف سابق . غير ان هذا المؤلف لم يعثر عليه ، ولذلك فان قصته عن طريقة تهويد الخزر لم تصل الينا ..

وبحسب رواية البكري الاندلسي المتوفى سنة ١٠٩٤ م (٤٨٧ هـ) يرجع سبب اعتناق ملك الخزر الديانة اليهودية الى ان الملك اعتنق الديانة المسيحية اولاً . ثم شعر بعدم الارتياح اليها ، واخذ يحدث بذلك احد ولاته ، فقال له :

— ايها الملك ، ان اتباع الكتاب هم من ثلاثة اديان . فادعهم واستفسر منهم عما تريد ، ثم اتبع الدين الذي تعتقد ان عنده الحقيقة .

وهكذا ارسل الملك يطلب من المسيحيين ارسال اسقف اليه . وكان عنده يهودي ماهر بالمناظرة والمجادلة . وصل الأسقف وجادله اليهودي سائلاً اياه :

— ماذا تقول عن موسى ابن ابراهيم ، وعن التوراة التي اوحيت اليه ؟ فأجاب الاسقف :

— ان موسى نبي ، والتوراة كتاب حق .

فالتفت اليهودي الى الملك قائلاً :

— لقد اعترف بصحة ديني . فاسأله الآن عن دينه

سأل الملك الاسقف عن ذلك فاجاب :

— ان المسيح ، عيسى ابن مريم ، هو الكلمة ، وانه اوضح الخفايا باسم الله .
قال اليهودي للملك :

— انه جاء بمذهب لا اعترف به ، بينما هو اعترف بعقيدتي .
ولم يكن الاسقف من البارعين في الجدل ومقارعة الحجة بالحجة ، فعجز عن

دحض حجة اليهودي ولم يستطع الدفاع عن عقيدته ..

فأرسل الملك يطلب من المسلمين عالماً ، فارسلوا له عالماً قديراً ذكياً ، يعرف كيف يجادل ويفحم الآخرين . ولما علم اليهودي بذلك خشي على وضعه فارسل من يسم العالم المسلم وهو في طريقه الى الملك ، ليتخلص منه ، فتم له ذلك .. وهكذا تمكن اليهودي من ربح الملك الى دينه . فاعتنق الديانة اليهودية ، وامر شعبه باعتناقها ..

ومهما يكن من أمر هذه القصة ، فانها تعطينا صورة عن المناظرة الدينية التي سبقت اعتناق الخزر الديانة اليهودية .. ومن الجدير ملاحظته هو ان الذي اقترح اجراء المناظرة كان خزرياً مهماً من اتباع الملك ، لا الملك نفسه ، وجرى ذلك في سنة ٨٠٠ م[1] .

اما الرواية اليهودية عن تهود الخزر فيذكرها « يهوداهاليفي » الاندلسي Jehudahha — Levi في كتابه « الخزر » The Khazar الذي وضعه باللغة العربية سنة ١١٤٠ م ، وترجمه الى اللغة العبرية « ابن تيبون » Ibn Tibbon بعنوان خزرى Kuzari ، وسجل المؤلف افكاره الدينية ، مدافعاً عن اليهودية التقليدية Rabbinic Judaism ، بصورة حوار جرى في بلاد الخزر وقع كما تصوره قبل اربعمائة سنة من وضعه كتابه ، اي سنة ٧٤٠ م .

يقول المؤلف ان ملك الخزر ، وكان وثنياً ، رأى في منامه ان نواياه مقبولة من خالق الكون لا اعماله ، وانه امر في منامه ان يبحث عن الاعمال المقبولة . واستوضح من فيلسوف من رعيته عن حقيقة وضع دينه . وتبع ذلك حوار بين الملك وبين ذلك الفيلسوف . ثم فكر الملك في ان يستدعي عالماً مسيحياً وآخر مسلماً على التوالي ، ودار حوار بينه وبين كل منهما منفرداً عن الدين المسيحي وعن الدين الاسلامي .. واخيراً استدعى عالماً يهودياً ودار بينه وبين اليهودي حوار عن الاديان ... وادى ذلك في النهاية الى اتباع الملك وحاشيته الدين اليهودي ، ثم امر شعبه بالحذو حذوه .. وهكذا اصبح سكان اقليم الخزر يهوداً . والخزر كما قلنا شعب لا صلة له بالساميين ولا علاقة له بفلسطين (الارض المقدسة) مطلقاً ..

ويرى المستشرق « د.م.دانلوب » انه يمكن التوفيق بين صحة التاريخين المذكورين

(١) راجع ص ٨٩ و ٩٠ و ١٠٢ .
The History of the Jewish Khazars. by D. N. DunloP .

٧٤٠ و ٨٠٠ م لاعتناق الخزر الديانة اليهودية : فقد انتصرت الجيوش العربية سنة ٧٣٧ م (١١٩ هـ) على الجيوش الخزرية ، غيرانها ما لبثت ان انسحبت . واثر ذلك اعتنق خاقان الخزر ديانة يهودية محورة ، بعد حوار ديني جرى في سنة ٧٤٠ م كما ذكر هاليفى في كتابه عن الخزر . وبعد جيلين ، اي سنة ٨٠٠ م اتبع حفيد الخاقان الديانة اليهودية التقليدية [١]

والمهم في اعتناق الخزر الديانة اليهودية بالنسبة الى بحثنا هذا هو أن اكثرية اليهود الساحقة اليوم ليست من اصل سامي ، وانما من اصل خزري لا علاقة له البتة بفلسطين . واليهود الخزر هم الذين انتشروا في روسيا ، واعتنق الديانة اليهودية على ايديهم من اعتنقها من الروس وغيرهم من ابناء بلاد شرقي اوروبا ، ثم انتشروا في اوروبا وامريكا ... ويهود الخزر ويهود اوروبا ، ويهود العالم ، لم يكن عندهم ، قبل الحركة الصهيونية السياسية العنصرية ، اي تفكير في فلسطين الا من الناحية الروحية ، ولم يخطر لهم ببال مغادرة اوطانهم لسكنى بلد ليس لهم صلة سابقة به ، ولا نظرة لهم اليه الا مجرد نظرة عاطفية دينية .. وكان اليهود سعداء في أوطانهم بين ابناء جنسهم وظلوا كذلك حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين افسدت عليهم الحركة الصهيونية الحياة ، كما افسدتها على ابناء الشرق الادنى ، وادت الى التوتر الشديد في العلاقات بين البلاد العربية وبعض البلاد الغربية . وقبل الحركة الصهيونية كان اليهودي الذي يفكر في سكنى فلسطين ، انما يفكر في ذلك تفكيراً دينياً لا سياسياً ، وكان هدفه العيش في فلسطين بين اهلها وفي ظل حكامها .

وهناك حادث واقعي يلقي ضوءاً على هذه الحقيقة :

جاء نابليون بونابرت الى مدينة عكا سنة ١٧٩٩ في اثناء زحفه الى الشمال لاحتلال سوريا وما وراءها .. غير ان هذه المدينة امتنعت عليه ، واشتركت في الدفاع عنها حاميتها المؤلفة من عرب وأتراك ، وسكان المدينة على اختلاف اديانهم بما فيهم رجال الطائفة اليهودية . وكان من ابنائها رجل ثري اسمه « حايم فارحي » وضع ماله للدفاع

(١) المرجع السابق ص ١٧٠ .

عن المدينة مما ساعد على صمودها .. عمل نابليون على اضعاف صمود المدينة بمحاولة اجتذاب هذا الثري وابناء دينه اليه ، وذلك باثارة النعرة الدينية القومية عند اليهود[١] . فدعا اليهود الى التعاون معه والانطواء تحت لوائه واعداً اياهم جعل القدس بلداً يهودياً ، ومعترفاً بأنهم الورثة الشرعيين لفلسطين ! .. غير ان دعوته هذه لم تلق اذناً صاغية عند حايم فارحي وغيره من اليهود . فشل نابليون في دعوته الرامية الى ايجاد انشقاق .. وفشل في فتح عكا .. واضطر الى العودة الى مصر .. ومنها الى فرنسا . وكان امتناع اسوار عكا عليه بادرة أفول نجمه ..

فشل نابليون في دعوته لاقامة دولة يهودية في القدس في آخر القرن الثامن عشر ، لان اليهود ، كما ذكرنا لم يكونوا يفكرون في القدس تفكيراً سياسياً بل كانت نظرتهم اليها روحية دينية . وعاشوا بين العرب بسلام ، وشاركوهم جميع المسؤوليات.. ولكن بريطانيا نجحت في اوائل القرن العشرين من حيث فشل نابليون . نجحت بريطانيا سنة ١٩١٧ بنيل مساعدات اليهودية العالمية لها في الحرب العالمية الاولى لقاء « تصريح بلفور » .. نجحت في ذلك لان الحركة الصهيونية التي قادها هرتزل ورفاقه طورت التعلق اليهودي بفلسطين من تعلق ديني الى تعلق سياسي استعماري عنصري استيطاني .

والغريب في الامر هو ان الذين قاموا بالحركة اليهودية الصهيونية السياسية الاستعمارية مطالبين بفلسطين دولة يهودية بحجة انها وطنهم الاصلي ، هم من اليهود الاوروبيين ، ابناء اليهود الخزر ومن تهود من ابناء اوروبا ، الذين لا صلة لهم بالسامية ولا بفلسطين . وان من يحكم اسرائيل اليوم ، من اليهود ، هم من ابناء أولئك ايضاً ! واليهود الاوروبيون في اسرائيل ، وهم من عنصر غير سامي ، ينظرون الى اليهود الساميين الشرقيين بعين الاحتقار ، ولا يمكّنونهم من الوصول الى مناصب رفيعة في الدولة !..

ونخرج من هذا كله بأن التفكير اليهودي في فلسطين كان قبل الحركة الصهيونية تفكيراً دينياً روحياً لا سياسة فيه ، ولا اعتداء ولا استعمار ..

(١) ناحوم سوكولوف . الجزء الأول من كتابه « تاريخ الصهيونية » (History of Zionism) لندن . لونغمان غرين وشركاه ١٩١٩ .

وفلسطين بالنسبة الى ما يزيد كثيراً على ألف مليون من المسلمين والمسيحيين بلد مقدس يتعلقون به تعلقاً دينياً روحياً ، بينما هي للعرب من مسلمين ومسيحيين وطن لهم منذ فجر التاريخ ، وجزء لا يجوز ان يتجزأ من الوطن العربي الكبير ...

— ٢ —

اطماع الصهيونيين في القرن التاسع عشر الى صدور قرار تقسيم فلسطين

شهد العالم خلال القرن التاسع عشر والثلث الاول من القرن العشرين، كما سبق ان ذكرنا، موجة استعمار شديدة من الدول الاوروبية في جهات مختلفة من العالم وخصوصاً في البلاد العربية .

وكانت الدول الاستعمارية الاوروبية ترى أن بلاد جنوبي البحر الابيض المتوسط وشرقيه يسكنها شعب واحد ذو حضارة قديمة ومدنية عريقة .. وان وجود هذا الشعب الواحد في منطقة استراتيجية مهمة ومتصلة وغنية يحول دون تحكم الدول الاستعمارية فيها ، ولذا عملت فرنسا على فرنسة الشعب العربي في الجزائر منذ احتلالها لها سنة ١٨٣٠ واعتبارها اياها جزءاً من فرنسا .. كما ان ايطاليا رسمت خطة لابادة الشعب العربي الليبي واسكان ما لا يقل عن خمسة ملايين من الايطاليين فيها .. وبذلك يقطعون اوصال الشعب العربي في شمالي افريقيا .. ولكن النضال الوطني وحروب التحرير أفسدت على المستعمرين خططهم .

ان فلسطين ، في مخطط الاستعمار الاوروبي ، مركز مهم جداً . وكانت بريطانيا تهدف الى الاستيلاء عليها ، مباشرة او غير مباشرة ، للاستفادة من مركزها الستراتيجي العام، والستراتيجي الخاص بالنسبة الى قناة السويس، الشريان الحيوي في الامبراطورية البريطانية .. وكانت المنافسة بين الدول الاستعمارية ، في تلك الايام ، لا تمكن بريطانيا من الاستيلاء على فلسطين بالقوة .. ففكر عدد من بناة الامبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر ، وقبل حركة هيرتسل الصهيونية ، منهم اللورد شافتسبري ولورانس اوليفات ، تشجيع هجرة اعداد كبيرة من اليهود لسكنى فلسطين ، يزيد تعدادهم على السكان العرب فيها فتزول عروبتها. ورأى ذلك ايضاً عدد من القادة العسكريين البريطانيين منهم الكولونيل تشارلز هنري تشرشل والكولونيل كوندر

والكولونيل غولر ، والهدف من ذلك الاستيلاء على فلسطين بصورة غير مباشرة ، وبواسطة أكثرية يهودية فيها .. تأميناً لمصالح الامبراطورية البريطانية .

ونتج عن هذا التفكير ان دعت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر دولي ، يضم خبراء واساتذة جامعيين ، لإعداد دراسة عن الدول الاوروبية والمستعمرات .. عقد هذا المؤتمر الاستعماري سنة ١٩٠٧ ، وحضره ممثلون عن بريطانيا وفرنسا وهولندا واسبانيا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا .. ووضع المؤتمر تقريراً خطيراً جاء فيه :

« ان الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط والذي يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، وبما في اراضيه من كنوز وثروات، تتيح لاهلها مجال التقدم والرقي في طريق الحضارة والثقافة. »

واوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر بان تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والابقاء على تفككها .. واقترح ، كوسيلة عاجلة ، العمل على فصل الجزئين الافريقي والاسيوي ، في هذه المنطقة ، احدهما عن الآخر ، واقامة حاجز بشري قوي وغريب في نقطة التقاء الجزئين ، يمكن للاستعمار ان يستخدمه اداة في تحقيق اغراضه [١] .

وهكذا فان بين الاستعمار الغربي وبين الحركة الصهيونية ترابطاً وثيقاً منذ البداية . ولنر الآن كيف نشأت الحركة الصهيونية ومدى اطماعها .

المشكلة اليهودية والمناداة بحلها

وعاصرت الموجة الاستعمارية الاوروبية العنيفة، آنفة الذكر، حركة اضطهاد لليهود، ولاسيما في بلاد اوروبا الشرقية، عرفت « بالمشكلة اليهودية » . وهي ناجمة عن ابتعاد اليهود عن الاندماج في المجتمع الذي يعيشون فيه ، والعيش مجتمعين معاً في احياء خاصة بهم اينما حلوا ، والنظر الى انفسهم نظرة التعالي عن الشعوب الاخرى مهما كانت متقدمة راقية ! .. وهم في حياتهم لا يتعاطون الاعمال المختلفة التي يتعاطاها افراد الشعوب في كل مجتمع .. بل ينصرف اغنياؤهم، في كل بلد ، الى تعاطي الربا ، والتحكم في الامور المالية .. كما قام فقراؤهم بالاندماج في منظمات ثورية تعمل ضد

(١) الاستاذ صالح مسعود ابو يصير . « جهاد شعب فلسطين » . ص ٦٧ .

نظام الحكم في البلاد .. فتعاليهم عن المجتمعات الاخرى ، وطرق معيشتهم الخاصة ، وتصرفاتهم التي انفردوا بها ، قد جعلت ابناء المجتمعات الاخرى ينظرون اليهم نظرة فيها مقت وكره .. ولا بد لنا ، ونحن في هذا الصدد ، من ان نسأل :

لماذا يتصرف اليهود في العالم ، وهم ليسوا من جنس واحد بل من ابناء اجناس متعددة والوان مختلفة، وليسوا شعباً واحداً بل من شعوب متعددة لا رابط بينها سوى الدين ، لماذا يتصرفون تصرفاً واحداً حيثما وجدوا ، ومهما اختلفت اجناسهم والوانهم ؟ !

هذا سؤال يتطلب جواباً مسهباً ، وتحليلاً مستفيضاً ، ليس مكانه صفحات هذا الكتاب . ولكنه يقودنا الى سؤال آخر :

هل الثقافة الدينية اليهودية هي التي تعطي اليهود في العالم طابعاً خاصاً في مختلف انواع تصرفاتهم ؟ ...

وعلى ذكر أن اليهود ليسوا من جنس واحد ولا ابناء شعب واحد أروي القصة التالية :

طلب مني بعض اعضاء البرلمان البريطاني سنة ١٩٥٥ ، عندما كنت سفيراً للمملكة الاردنية الهاشمية في المملكة المتحدة ، القاء محاضرة عن العلاقات العربية الاسرائيلية ، في قاعة المحاضرات في مجلس العموم (مجلس النواب البريطاني) ، وافهمت ان ممن سيحضر لسماع المحاضرة نحو ثلاثمئة من اعضاء المجلس المهتمين بالموضوع من البريطانيين .. وبينما انا اتحدث الى المستمعين اشرت ، اشارة عابرة، الى ان اليهود ليسوا شعباً واحداً ، ولا جنساً واحداً ، وانما هم من ابناء شعوب متعددة ، واجناس مختلفة ، منهم الابيض ومنهم الاسود ومنهم الملون ومنهم الأصفر ، ووضعهم كوضع المسيحيين والمسلمين في العالم ، ابناء شعوب متعددة من اجناس مختلفة ، يعتنقون ديناً واحداً . ولذا فالمسيحيون لا يؤلفون شعباً واحداً ولا جنساً واحداً ، وكذلك المسلمون .

وبعد انتهاء الحديث اتى دور الاسئلة ، فنهض رجل متقدم في السن ، وقال : قبل ان القي سؤالي احب ان اعرف المحاضر بنفسي : انا نورمان بنتويتش (وكان في ذلك العام استاذاً في جامعة اكسفورد . وكان قد شغل ايام الانتداب على فلسطين مركز النائب العام ووضع القوانين التي من شأنها تسهيل تحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين ..) ثم اخذ يتحدث مطولاً محاولاً اثبات أن اليهود شعب واحد ومن عنصر واحد . ثم سألني هل اوافقه على ذلك ؟ .

التفتّ الى المستمعين وقلت :

انني سعيد بأن اتعرف في هذا المساء الى البروفسور بنتويتش . وكنت قد سمعت عنه الكثير ايام كان نائباً عاماً في فلسطين . وانني اقترح ان اجيب عن سؤاله بسؤال اوجهه اليكم ، وجوابكم عن سؤالي هو جوابي عن سؤاله .

ثم قلت موجهاً كلامي الى المستمعين :

لنأخذ جماعة من الناس ، كثر عددها او قل ، سواء عدت بالملايين ام بالالوف ، تقطن القارات الخمس ، في مختلف بلادها . وان هذه الجماعة فيها الابيض مثلكم ، وفيها الاسود من ابناء افريقيا ، وفيها الملون من ابناء الهند ، وفيها الاصفر من ابناء الصين . وهذه الجماعة تؤمن بعقيدة واحدة . فهل يمكن اعتبار هذه الجماعة من الناس شعباً واحداً ومن جنس واحد لانها تدين بدين واحد ؟ ! .

انتظرت الجواب . وكان الجواب ان ضحك الجميع . فقلت :

ان ضحككم هذا هو جوابكم المقنع بأن هذه الجماعة التي وصفناها لا يمكن اعتبارها شعباً واحداً ولا من عنصر واحد وان ربطت بينها عقيدة او دين .. وجوابكم هذا هو جوابي للبروفسور بنتويتش ...

ولنعد الى موضوعنا :

حل « المشكلة اليهودية » قام عدد من المفكرين اليهود ، بدافع ديني ، وعدد من المسيحيين بدافع ديني أو استعماري ، وطالبوا بانشاء مستعمرات يهودية في فلسطين ، يرحل اليها كل من يناله اضطهاد ، او كل من يريد سكنى فلسطين من اليهود ..

وكان من المفكرين اليهود الاوائل الذين قاموا بنشاط واسع في هذا المضمار ، بطريقة منظمة ، ودعوة مطالبة بالتنفيذ ، متخذاً الحجج الدينية اليهودية حافزاً لتحقيق دعوته ، هو **زفي هيرش كاليشر** (١٧٩٥ — ١٨٧٤) .

وضع كاليشر كتاب « البحث عن صهيون » ، وقال ان خلاص اليهود لا يكون على يد « مسيح » منتظر وانما عن طريق اليهود ذاتهم لتخليص انفسهم بالمبادرة الى استعمار فلسطين ، وجمع ما يمكن جمعهم من اليهود فيها . واعتمد في حججه على التلمود . وخطا في ندائه خطوات عملية ، بان حث اغنياء اليهود على انشاء جمعية تتولى

استعمار فلسطين ، وتشجيع اليهود من شرقي اوروبا والمانيا على الهجرة اليها ، واقامة مدرسة زراعية لتدريب شباب اليهود وشاباتهم على الاعمال الزراعية ، تلك الاعمال التي لا يتعاطونها حيث يقيمون ، وتكوين حرس من الشباب اليهودي لحماية هذه المستعمرات .

ولم يكتف كاليشر بالنداء بل قام بجهود عملية ، فتمكن من تأسيس « جمعية استعمار ارض اسرائيل » سنة ١٨٦٤ . وقامت هذه الجمعية ، بالتعاون مع الجمعية اليهودية الفرنسية « الاتحاد الاسرائيلي العالمي » بانشاء اول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين قرب مدخل مدينة يافا عن طريق يافا — القدس ، وكانت تعرف هذه المدرسة في فلسطين باسم « نيتر » . وقدم البارون روتشيلد الأموال اللازمة لانشائها ..

فحل « المشكلة اليهودية » في نظر كاليشر كان قائماً على عودة اليهود الى فلسطين عن طريق الاستعمار والهجرة ، متخذاً الحجج الدينية اساساً لدعوته العملية[1] ذات الطابع السياسي . ويمكن القول ان دعوة كاليشر مهدت السبيل للدعوة الصهيونية السياسية الاستعمارية التي قام بها هرتزل فيما بعد . والفرق بينهما ان دعوة كاليشر قامت على اسس دينية عملية وان كانت توصل الى السياسة ، اما هرتزل ، كما سنرى ، فان دعوته قامت على اسس سياسية وان كانت اتخذت الدين وسيلة لتحقيق الاهداف الصهيونية السياسية الاستعمارية ..

ودعوة كاليشر تختلف عن دعوة « الصهيونيين الدينيين » الذين يريدون هم ايضاً عودة اليهود الى فلسطين ، ولكن حسب العقيدة الدينية وفي الوقت الملائم . ولذا فهم يعيشون على الامل لا على العمل ، خلافاً لما نادى به كاليشر . وهم يتوقعون مجيء المسيح المنتظر وعودة اسرائيل الى ميراثها ، ولكنهم يأبون التدخل في سير التدبير الرباني واستعجاله لئلا يصبح تدخل الانسان مخالفة لله . « والصهيونيون الدينيون » يختلفون في وجهة نظرهم هذه عن « الصهيونيين العلمانيين » الذين طالبوا ببناء اسرائيل على أسس سياسية استعمارية عنصرية .. على ان هذه الاختلافات خفت بدخول مختلف الجهات الصهيونية « المنظمة الصهيونية العالمية » ، ومن ثم بقيام اسرائيل وعملها لتحقيق الاهداف والمطامع الصهيونية المتنوعة ..

وقد كان القرن التاسع عشر ، بالاضافة الى كونه عصر استعمار قومي ، عصر

(١) اسرائيل كوهين : الحركة الصهيونية The Zionist Movement . لندن ١٩٤٥ ص ٥١ .

القوميات ايضاً . وقد أثرت الحركات القومية الاوروبية في عدد من المفكرين اليهود ومنهم **موسس هيس** (١٨١٢—١٨٧٥) الذي تأثر بالدعوة القومية الايطالية ونجاحها في توحيد ايطاليا . فقام بوضع كتابه : « روما والقدس » ، دعا فيه الى ايجاد قومية يهودية واكد أنه « ما من شعب معاصر يناضل من اجل بلاد اجداده يستطيع ان ينكر حق الشعب اليهودي في ارضه الخاصة به دون ان يوقعه ذلك في تناقض صارخ »[1] . وطالب الداعية اليهودي اقامة مستعمرات يهودية من السويس الى القدس ومن الاردن الى البحر الابيض المتوسط ، وهو بذلك نادى باستعمار شبه جزيرة سيناء ايضاً ..

واخذت فكرة القومية اليهودية تشتد في اوساط يهودية وذلك اثر اغتيال اسكندر الثاني قيصر روسيا سنة ١٨٨١ ، الذي دعا الى ازدياد اضطهاد اليهود .. وحفز هذا الوضع **ليوبينسكر** (١٨٢١ — ١٨٩١) الى وضع كتاب عنوانه « التحرير الذاتي » طالب فيه بالحل القومي « للمشكلة اليهودية » عن طريق خروج اليهود من البلاد التي يعيشون فيها مضطهدين الى فلسطين او غيرها من البلاد ، والعيش معاً في مجتمع يهودي بعيدين عن الاضطهاد . واهاب باليهود ان يعملوا بجد لتحقيق ذلك كي يحلوا مشكلتهم بأنفسهم .

ونداء بينسكر قائم على اعتقاده أن التقدم الانساني في العالم لايغير من وضع اليهود في مختلف البلاد ، اذ ان اللاسامية ، في رأيه ، لا تزول ما دام اليهود لا يملكون وطناً قومياً خاصاً بهم . وهو يعتقد ان الشعور بالكراهية نحو اليهود متأصل في النفسية البشرية[2] . ولكن بينسكر لم يسأل :

لماذا كان الشعور بالكراهية نحو اليهود متأصلاً في النفسية البشرية ؟ وانني ارى انه ليس من المعقول ان تكون هذه الكراهية لليهود قد ولدت مع ولادة النفسية البشرية ! بل انها طارئة عليها .. ان تصرفات اليهود الشاذة نحو الشعوب التي يعيشون بينها ولدت كراهية ابناء تلك الشعوب لهم ..

وفي الوقت الذي كان بينسكر ينادي فيه بآرائه الصهيونية القومية ، نشأت جمعيات

(١) عبد الوهاب كيالي : المطامع الصهيونية التوسعية ص ١٧ . منقولة عن كتاب « الحركة الصهيونية » .

(٢) ناحوم سوكولوف : تاريخ الصهيونية History of Zionism . لندن ١٩١٩ الجزء الاول ص ٥٢ .

« حب صهيون » ونادت هي ايضاً بعودة اليهود الى فلسطين واستعمار اراضيها . وقد شارك بينسكر في جهود هذه الجمعيات ، فأدت آراؤه اليهودية القومية وتنظيمات الجمعيات الصهيونية الى قيام الحركة « الصهيونية العلمانية » السياسية الاستعمارية العنصرية العالمية فيما بعد ، والتي تزعمها هرتزل ومن بعده الدكتور حاييم وايزمن ..

على ان حركة بينسكر الصهيونية القومية ، واعمال جمعيات حب صهيون ، لم تُزِل الصهيونية الدينية بين اليهود ، وان كانت قد أضعفتها عند كثيرين منهم . وقد قام من المفكرين اليهود من انتقد حركة بينسكر وآراءه واعمال جمعيات حب صهيون . ومن هؤلاء احد كبار المفكرين السياسيين اليهود **« غينزبورغ »** (١٨٥٦ — ١٩٢٧) المعروف باسم **« احد هاعام »** ، ومعناه « احد الناس » او « واحد من الشعب » . رأى احد هاعام ان حل المشكلة اليهودية لا يتم بنقل اليهود من مكان الى آخر ، وانما يتم عن طريق الحفاظ على الروح اليهودية وتطويرها . وتحقيق ذلك يكون بايجاد مركز روحي ثقافي يهودي في فلسطين . لقد رأى ان يبقى اليهود في اوطانهم التي يعيشون فيها ، مواطنين مخلصين ، وان يحسنوا اوضاعهم بين المواطنين ومعاملاتهم لهم ، ويحافظوا في الوقت نفسه على روحهم اليهودية ، ويذهب من تمكن منهم الى فلسطين لينهل من الروح الثقافية اليهودية في مركزها الثقافي . فأحد هاعام نادى بحل « المشكلة اليهودية » عن طريق الاحياء الروحي والثقافي لليهود ، وبذلك اوجد « الصهيونية الروحية » او الثقافية . وصهيونيته هي ، في واقع الحال ، تطور للصهيونية الدينية ، تتمشّى مع العصر الحديث والفكر المتمدن .

زعامة تيودور هرتزل

لكن الصهيونية التي كان لها المركز المهم دولياً ، ادت جهودها الى ايجاد اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، هي « الصهيونية العلمانية » السياسية العنصرية الاستعمارية الاستيطانية التي نفخ فيها الحياة والقوة « تيودور هرتزل » ، الذي عُرف بأبي الحركة الصهيونية .

ولد تيودور هرتزل في مدينة « بودابست » بالمجر سنة ١٨٦٠ . وهو من اليهود الاوروبيين الذين يرجع اصلهم الى العنصر السلافي ، ولا صلة له بالعنصر السامي . درس الحقوق في جامعة فينا ، غير انه امتهن الصحافة ، واصبحت له فيها مكانة كبيرة . ولم يكن هرتزل من اليهود المتدينين ، ولم يظهر رأيه في عداء المجتمع لليهود الا بعد قضية الضابط الفرنسي دريفوس ، الذي كان يهودياً اتّهم بالتجسس لحساب

المانيا ، وأدين بذلك في سنة ١٨٩٤ . فقام المفكرون الاحرار في فرنسا بحملة شديدة على الحكومة الفرنسية ، تزعمها الكاتب الفرنسي الشهير « اميل زولا » ، وادت جهودهم الى اعادة النظر في قضية « دريفوس » وتبرئته ..

استغل هرتزل الشعور الذي رافق قضية دريفوس واخذ يستخدمه لاغراض الصهيونية .. وينادي بأن الشعور العدائي لليهود هو شعور متأصل في النفسية البشرية ، كما قال بذلك « ليوبينسكر » ، وان ذلك الشعور العدائي سيستمر مدى العصور ، وان اليهود الذين يعيشون اقليات بين الشعوب لن يتمكنوا من النجاة من الاضطهاد الى ان يجدوا حلاً سياسياً للمشكلة اليهودية .

وفي سنة ١٨٩٦ دون افكاره هذه في كتاب صغير لا يعدو المئة صفحة عنوانه « الدولة اليهودية » ، نشره في فينّا ، وما لبث ان ترجم الى لغات اخرى واصبح « الكتاب المقدس » للحركة الصهيونية . وذكر في كتابه اسباب اللاسامية عند البشر ، وهي في نظره عديدة ، اهمها ان اليهود غير قادرين على الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها ، لأنهم يتعاطون الربا ، ولان جهودهم منصرفة الى السيطرة المالية في البلاد التي يسكنونها ، ولان فقراءهم يعملون في الاحزاب الثورية ضد الحكم القائم .. ووضع منهاجاً لحل « المشكلة اليهودية » .

ويتلخص منهاجه في ضرورة حصول اليهود على ارض تكون كافية ليعيشوا فيها امة واحدة وليقيموا عليها دولة . وذكر في كتابه لدعم فكرته ما نصه :

« ان المشكلة اليهودية كائنة حيث يوجد اليهود باعداد ظاهرة . وحيث لا توجد فانها تأتي مع اليهود المهاجرين .. وهذه هي الحالة في كل بلد ، وستبقى كذلك ، حتى في البلاد المتقدمة في التمدن — مثل فرنسا — الى ان يوجد حل للمشكلة اليهودية على اساس سياسي . واليهود الذين لا حظ لهم يحملون في هذه الايام بذور اللاسامية الى انجلترا ، وقد سبق أن أدخلوها الى أمريكا »[1] .

ومما تجدر ملاحظته ان هرتزل يعترف في قوله هذا بان اليهود هم الذين يحملون اللاسامية معهم ، ويزرعونها في المجتمع الذي يأتون اليه ، وان كان لا يشعر قبل مجيئهم بكراهية لليهود ، كما حملوا بذور اللاسامية الى بريطانيا ، ايام هرتزل ، وكما

(١) تيودور هرتزل « الدولة اليهودية » ص ١٤ و ١٥

حملوها الى امريكا قبل ذلك ، حسب قوله . وبعبارة اخرى فان هرتزل يناقض اعتقاده بان « الشعور العدائي لليهود شعور متأصل في النفس البشرية » ، ذلك الاعتقاد الذي اخذه عن « ليوبينسكر » . وقوله المتقدم يدعم اعتقادنا بانه ليس من المعقول ان تكون الكراهية لليهود ولدت مع النفسية البشرية ! ، بل انها طارئة عليها ، وان تصرفات اليهود الشاذة نحو الشعوب التي يعيشون بينها هي التي ولدت كراهية ابناء تلك الشعوب لهم ..

ويتابع هرتزل دعم فكرته بقوله :

« اننا شعب واحد — واعداؤنا جعلوا منا شعباً واحداً على الرغم منا ، كما يحدث ذلك مراراً في التاريخ . الشدائد ربطتنا معاً ، وهكذا اكتشفنا بالاتحاد قوتنا فجأة . نعم اننا اقوياء الى حد كاف يمكننا من انشاء دولة ، دولة نموذجية فعلاً . اننا نملك جميع المصادر البشرية والمادية اللازمة للوصول الى الهدف . [1] لتعط لنا السيادة على قسم من الكرة الارضية ، يتسع اتساعاً كافياً لتلبية الحاجات المشروعة للأمة ، والباقي نكون قادرين على تحقيقه بأنفسنا .. ان حكومات جميع البلاد المبتلاة باللاسامية يهمها مساعدتنا في الحصول على السيادة التي نريد » [2] .

والرأي عندي أن العامل الحقيقي الذي ادى بهرتزل الى القيام بحركته الصهيونية السياسية العنصرية الاستعمارية الاستيطانية إنما هو روح العصر الاوروبي الذي كان يعيش فيه ، وهو عصر الاستعمار ، لا اللاسامية ، او الشعور بالشفقة على اليهود . فدول اوروبا كانت في ذلك العصر تتزاحم على وضع يدها على اقسام متعددة من الكرة الارضية تستعمرها وتستغلها لمصلحة مواطنيها .. فرأى هرتزل ان يقوم بحركته الصهيونية السياسية الاستعمارية ويطالب بقسم من الكرة الارضية يكون خاصاً باليهود. وكما أن عصر هرتزل كان عصر استعمار فانه كان ايضاً عصر قوميات . فرأى هرتزل ان ينادي ، كما نادى قبله بينسكر ، وقرر مؤتمر بازل بعد ذلك ، بأن اليهود (الذين هم من شعوب مختلفة واجناس متعددة) شعب واحد ، من عنصر واحد ، يؤلفون امة واحدة ، لها الحق في ان تكون لها دولة ذات سيادة على الأرض المطالب بهــا . فالفكرة عند هرتزل هي اقامة دولة صهيونية ، وهي فكرة سياسية اصلاً وليست

(١) تيودور هرتزل « الدولة اليهودية » ص ٢٧ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٨

دينية، ولكن حركته الصهيونية نادت ، بعد تردد ، بأن تكون فلسطين ارضاً للدولة الصهيونية للارتكاز على اساس مساعد قوي لايجاد الدولة ، وهو مكانة فلسطين الدينية عند اليهود ، اذ أن اسمها يسهل جمع كلمتهم ، ويساعد على توحيد صفوفهم للتعاون على ايجاد الدولة فيها . فالناحية الدينية في الحركة الصهيونية هي وسيلة لتحقيق العنصر السياسي في تفكير ايجاد الدولة الصهيونية السياسية الاستعمارية العنصرية ..

ومنذ ان نشر تيودور هرتزل افكاره الصهيونية في كتابه « الدولة اليهودية » تفرغ للعمل في سبيل تحقيق الدولة اليهودية على ارض كافية لانشاء دولة عليها .

غير ان آراء هرتزل وما دعا اليه من صهيونية سياسية عنصرية استعمارية قابلت معارضة واسعة في الاوساط اليهودية في بلاد مختلفة . وقد ابان البروفسور هانز كوهن في بحثه عن الصهيونية في « الموسوعة البريطانية » اتجاهات المعارضة للصهيونية التي دعا اليها هرتزل وقسمها الى ثلاث فئات :

الاولى « فئة الاندماجيين » ، وهي ترى أن اليهودية ديانة كغيرها من الديانات ، لا علاقة لها بقومية معينة او حركة عنصرية ، وان من يدينون باليهودية هم من ابناء امم مختلفة ، ينبغي ان يكون ولاؤهم السياسي للدولة التي ينتمون اليها ، وان تكون علاقاتهم بالمجتمع الذي يعيشون فيه . وارى ان من هؤلاء « المجلس اليهودي » « Jewish Council » في الولايات المتحدة الامريكية ، الذي يناهض الصهيونية ويرى في انشاء اسرائيل ضرراً على اليهود في العالم .. واقول انه لو اتبع اليهود « فئة الاندماجيين » من مفكريهم لما حلت بهم المــآسي في اوطانهم التي يعيشون فيها ، ولما اوجدوا المــآسي لغيرهم في فلسطين وفي البلاد العربية الاخرى ، ولما سببوا ما سيأتي من آلام وشدائد لهم ولابناء الامة العربية في الشرق الادنى .

والثانية هي « الصهيونية الدينية » القائلة ان عودة اليهود الى فلسطين هي عودة دينية لا تتم الا بالمشيئة الالهية وبحسب التعاليم الدينية ، وان الصهيونية التي يدعو اليها هرتزل تخالف تلك التعاليم ..

والثالثة هي فئة القائلين بالقومية اليهودية في المنفى ، والمنادين بتكتل اليهود حيثما وجدوا كأقلية قومية يهودية في المجتمع الذي يعيشون فيه .

على ان هذه المعارضة لم توقف هرتزل عن الاستمرار في جهوده لتحقيق برنامجه الرامي الى ايجاد « الدولة اليهودية » . وقد ادت هذه الجهود الى نجاحه في عقد اول

مؤتمر صهيوني عالمي برئاسته ما بين ٢٩ – ٣١ آب (اغسطس) ١٨٩٧ في مدينة « بازل » بسويسرا ، حضره ١٩٧ مندوباً ، وادى الى تكوين « المنظمة الصهيونية العالمية » ، ووحد الافكار والحلول الصهيونية وجعل منها عقيدة صهيونية ذات اهداف ثابتة وخطوط استراتيجية وتكتيكية ، واوجد الادوات والوسائل البشرية والمادية لتحقيقها . وقرر المؤتمر .

« ان غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام . ان المؤتمر يرى في الوسائل التالية الطريق الى تحقيق هذه الغاية :

١ – العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق اسس صحيحة .

٢ – تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد .

٣ – تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته .

٤ – اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية » .

بهذه المقررات اعلن المؤتمر الصهيوني الاول ان اليهود شعب يشكل وحدة دينية عنصرية ، وله الحق في الحياة كأمة على أرض خاصة به ، وهي ارض الميعاد : فلسطين. واعتبرت الصهيونية ان الوطن القومي اليهودي وطناً لجميع اليهود بحكم انتماء كل يهودي إلى « الأمة اليهودية »(١) . وبهذا الاعتبار ابعدت الصهيونية اليهودي عن الولاء لوطنه الذي يعيش فيه ، وحملته على ان يكون ولاؤه « للامة اليهودية » التي تبحث عن وطن في ذاك الوقت ، ولاسرائيل بعد ان اوجدتها الحركة الصهيونية . وبهذا الاعتبار ايضاً دفعت الصهيونية ابناء البلاد التي يعيش فيها اليهود وحكوماتها الى النظر الى اليهود نظرة ريبة وعدم اطمئنان ، لان ولاءهم ليس لها وانما « للأمة اليهودية » ومن ثم لاسرائيل . والعقيدة الصهيونية كانت عاملاً مهما في حمل دول اوروبا الشرقية على اضطهاد اليهود ، ومن حمل هتلر على اخراج الكثيرين منهم من المانيا قبل الحرب

(١) المطامع الصهيونية التوسعية : عبد الوهاب كيالي ص ٢٢ و ٢٣ .
واسرائيل الكبرى : الدكتور اسعد رزوق ص ٢١ .

العالمية الثانية ، وقتل العديد منهم مع العديد من المسيحيين الذين لم يثق بولائهم لالمانيا في اثناء الحرب ..

ورأى هرتزل في مقررات مؤتمر « بازل » اساساً لتحقيق اهدافه فسجل في مذكراته :

« لو اردت ان اختصر مؤتمر بازل بكلمة واحدة – وهذا ما لن اجاهر به صراحة – لقلت : في بازل اسست الدولة الصهيونية . ولو قلت هذا يومئذ لقابلني العالم بالسخرية والضحك . ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال ، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى العالم كله هذه الدولة . ان الدولة تقوم على ارادة الشعب باقامتها . حتى على ارادة شخص قوي بمفرده » . (١)

والارادة المقرونة بالتنظيم والاعمال الصائبة تؤدي الى نجاح كل عمل مهما عظم .. وضعف العرب في عصرنا الحاضر ناجم عن فقدانهم الارادة المقرونة بالأعمال المنظمة الصائبة ..

اراد هرتزل اقامة الدولة اليهودية ، ووضع منهاج العمل لايجادها في مؤتمر « بازل » واخذ يسعى بكل قواه لتنفيذ ما جاء في المنهاج لايجاد الدولة اليهودية حتى وفاته سنة ١٩٠٤ . ففي سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ حاول اقناع السلطان عبد الحميد بجعل فلسطين وطناً لليهود ، فلم يفلح ، رغم الرشوات التي دفعتها الصهيونية العالمية ، ووعدت بدفع المزيد منها . رفض السلطان عبد الحميد طلب هرتزل وامر الا يسمح لغير العثمانيين بامتلاك الاراضي في فلسطين ، حتى لا يتمكن اليهود من شرائها بطريق أو آخر ، وبالتالي الاستيلاء على فلسطين ..

وكان جواب السلطان عبد الحميد عن مساعي هرتزل « ان فلسطين ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي ، الذي رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وان عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من ان ارى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا امر لا يكون » .

ولما فشل هرتزل في الحصول على فلسطين مباشرة ، اتخذت السياسة الصهيونية اسلوباً آخر للحصول عليها ، وهو اسلوب تطويقها بممتلكات يهودية . وقال **دافيد تريتش** في ذلك سنة ١٨٩٩ :

(١) مذكرات تيودور هرتزل . الجزء الثاني ص ٥٨١ .

« يجب التمسك بفكرة فلسطين الكبرى على ان تكون البداية متركزة على الاطراف – هذه هي الصهيونية الواقعية الممكنة » .

وتريتش زعيم صهيوني متحمس ، وهو احد كبار اعضاء المنظمة الصهيونية العالمية .

وفي سنة ١٩٠٢ قام هرتزل بالسعي مع بريطانيا لاسكان اليهود في قبرص . وقال في ذلك :

« ان قبرص ليست سوى خطوة الى فلسطين . »

كما ان تريتش قال :

« ان قبرص هي جزء من فلسطين الكبرى » .

وسعى هرتزل ايضاً لاسكان العديد من اليهود في العراق ، وبالحصول على موافقة من بريطانيا على استعمار سيناء والعريش . قال هرتزل :

« ان ارض سيناء والعريش ارض اليهود العائدين الى وطنهم »!.

وفي حديث دار بين هرتزل وتشمبرلن سنة ١٩٠٣ قبل هرتزل ان تكون «اوغندا»، وهي مستعمرة بريطانية في افريقيا الشرقية ، مكاناً لليهود، ونصب عينه هدف اليهود الحصول على فلسطين . وكتب في مذكراته :

« اجل ان قاعدتنا يجب ان تكون في فلسطين او بالقرب منها ، وبعد ذلك سيكون بامكاننا ان نقيم جاليات في اوغندا وذلك لان جماهيرنا مستعدة للهجرة والاستعمار . ولكن يجب علينا ان نبني على اسس قومية . وقد كان الجاذب السياسي هو الذي شدنا الى مشروع العريش »(١) .

وقال **ماكس نوردو** في ذلك :

« ان اوغندا هي معسكر ليلي لليهود .. محطة في منتصف الطريق الى فلسطين »(٢) .

وفي المؤتمر الصهيوني العالمي السادس ، الذي عقد سنة ١٩٠٣، ايد هرتزل قبول هجرة اليهود الى اوغندا ، كخطوة اولى مؤدية الى فلسطين ، وتبقى اوغندا بعد تأسيس

---

(١) مذكرات هرتزل . الجزء الرابع ص ١٤٧٣ .

(٢) المطامع الصهيونية التوسعية . عبد الوهاب كيالي ص ٤٤ .

الدولة اليهودية في فلسطين مستعمرة يهودية افريقية للتوسع الصهيوني . على ان اقتراحه واجه معارضة شديدة ، وخصوصاً من اعضاء المؤتمر القادمين من روسيا ، وحجتهم ان وطن اليهود الاول ينبغي ان يكون « فلسطين » . ومن الجدير ملاحظته ان التشديد على فلسطين اتى من اليهود الروس الذين يرجعون بأصلهم الى الخزر ، والذين لا صلة لهم ولا لاجدادهم بفلسطين مطلقاً ولا بالسامية اصلاً ... على ان المؤتمر السادس لم يأخذ قراراً نهائياً في هذا الموضوع . غير ان المؤتمر السابع الذي عقد سنة ١٩٠٥ ، بعد وفاة هرتزل ، رفض فكرة اوغندا كوطن لليهود ، ولو كان ذلك خطوة اولى للوصول الى فلسطين .

لا ريب ان تيودور هرتزل هو المؤسس العملي للصهيونية العلمانية السياسية الاستعمارية . وهو في منهاجه وسياسته ، قد وضع بذور الصراع الاسرائيلي العربي وجعله حتمياً لا مفر منه . وفي الوقت الذي كانت فيه الصهيونية تشدد في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ، كان يعيش في فلسطين من اليهود خمسون الفاً ، استوطنها اكثرهم بدوافع روحية ولغايات دينية ، في مدن مقدسة: القدس وصفد وطبريا والخليل ، وان كان بينهم عدد من الشبان الصهيونيين الذين اتوا الى فلسطين ليعيشوا في المزارع اليهودية التي انشئت بمساعدة البارون روتشيلد . كانت فلسطين في تلك الايام بلاد تسامح ديني وهدوء ، وكانت في الواقع ، خلال قرون عديدة ايام الحكم العربي الاسلامي ، بلاداً ساد فيها السلام الديني بين سكانها المسلمين وبين من كانوا يعيشون بينهم من اقلية مسيحية واقلية اخرى يهودية . وكان الجميع يحترم ما بينهم من خلاف في العقائد(١) .

كان لهرتزل اطماع واسعة بالنسبة الى جغرافية « الدولة اليهودية » . غير انه كان رجلاً علمانياً سياسياً لا تتحكم العواطف الدينية في شعوره ، ولا تملي عليه تصرفاته ، وان اتخذ من العقيدة اليهودية ، والتاريخ اليهودي ، وسيلتين يدعم بهما اطماعه في توسيع « الدولة اليهودية » . وكان عندما يريد ان يكون بلد ضمن « الدولة اليهودية » يدعي ان اليهود كانوا في ذلك البلد ، او انه كان من دولة اسرائيل في التاريخ .. او ان اليهود مروا فيه .. وهكذا فعل زعماء صهيونيون آخرون ، وان كان التاريخ يعلم ان ما

---

(١) جون ديفس : السلام المراوغ The Evasive Peace ص ٤ .

يقولونه ليس صحيحاً بل افتراء على الحقيقة وتضليلاً . وبالاضافة الى ذلك كان مؤسس الصهيونية السياسية العنصرية الاستعمارية يريد ان تكون « للدولة اليهودية » مستعمرات في افريقيا ايضاً كما مر ذكره ..

فما هي الحدود الجغرافية لاطماع هرتزل الصهيونية ؟

ان من يطالع مذكراته يستطيع ان يكون من أقواله المبعثرة خريطة جغرافية لأطماعه الصهيونية السياسية الاستعمارية . كان هرتزل في احاديثه وخطبه لا يظهر ما يضمر من اطماع ، بل يبدي منها ما يلائم الموقف فقط ، مثال ذلك ما دونه في مذكراته عن الحديث الذي دار بينه وبين مستشار الامبراطور الالماني الامير هوهنلوهي :

« وسألني ايضاً عن الارض التي نريد وما اذا كانت تمتد شمالاً حتى بيروت او ابعد من ذلك . وكان جوابي سنطلب ما نحتاجه ، وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد عدد السكان » .

ومن هنا يرى ان الصهيونية كانت منذ نشأتها تنوي توسيع دولتها تبعاً لتزايد السكان ، فكلما كثر عددهم قاموا بالتوسع بمختلف الطرق والأساليب ..

وفلسطين ، في نظر هرتزل ، هي الاساس في « الدولة اليهودية » . وأما فلسطين التي يريدها فهي فلسطين داود وسليمان . وتحت هذا الشعار تصور هرتزل ان ما يريده من بلاد هي التي كانت ضمن فلسطين داود وسليمان ! . وقد رأينا ، في صفحات متقدمة ، انه طالب بجميع سيناء ، على انها جزء من فلسطين ، ودعاها « فلسطين المصرية » ، وهي بحسب قوله ، « ارض اليهود العائدين » ! كما أنه سعى للحصول على « قبرص » وتهويدها مدعياً انها جزء من « فلسطين الكبرى » .. ويذكر هرتزل في مذكراته :

« ان الحكومة التركية طلبت اربعين مليون فرنك (فرنسي) ، وعرضت ان تعطينا مقابل ذلك امتياز انشاء خط حديدي بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي ، بالاضافة الى حق اقامة جاليات ومستعمرات في فلسطين ضمن مساحة قدرها سبعون الف كيلو متر مربع »[١] .

اذن يظهر من هذا النص ان مساحة فلسطين في نظر هرتزل ، وغيره من الصهيونيين

(١) مذكرات هرتزل الجزء الاول ص ١٣٣ .

هي سبعون ألف كيلو متر مربع ! ويمكننا تصور ما تضم هذه المساحة من بلاد ، اذا علمنا ان مساحة فلسطين الجغرافية ، التي كانت تحت الانتداب البريطاني هي (٢٦) الف كيلو متر مربع . اي ان مساحة « فلسطين » بالنسبة الى الصهيونيين هي ثلاثة أضعاف مساحة فلسطين الجغرافية ! ..

ثم لا يلبث هرتزل ان يظهر البلاد التي يتخيل انها واقعة ضمن « الدولة اليهودية » فيسجل في مذكراته ما يلي :

« المساحة : من نهر مصر الى الفرات . لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا ويكون فيها الحاكم يهودياً ... وما ان تصل نسبة السكان اليهود الى الثلثين حتى تفرض الادارة اليهودية نفسها سياسياً »[١] .

انها لجملة صريحة تبين اطماع الصهيونية في مخيلة مؤسسها ، تلك الاطماع التي لم تقل مع الزمن بل اخذت في الازدياد ، وان كانت سياسة تحقيقها تقوم على مراحل . وهرتزل وزملاؤه وورثتهم يريدون إسكان اليهود في « الدوله اليهوديه » . وقد أجاب ماكس نوردو ، في المؤتمر الصهيوني الخامس ، ايام هرتزل ، على المعترضين بأن فلسطين لا تتسع لاستيعاب اليهود بقوله :

« يدعي خصومنا ان فلسطين غير قادرة على استيعاب اليهود . بلى انها قادرة على استيعاب ١٢ او ١٥ مليوناً من البشر ، على ان يكون من الواضح ان فلسطين تشمل الاراضي المجاورة »[٢] .

وفلسطين التي تشمل الاراضي المجاورة هي ، كما قال هرتزل ، « من نهر مصر الى الفرات » مضافاً اليها قبرص ! .. وتحقيق ذلك ، في نظر رجال اسرائيل اليوم ، ليس الانتظار حتى يصبح ثلثا السكان من اليهود ، كما قال هرتزل ، ولكن بالحديد والنار ، بالحروب والاغتصاب ، كما تفعل حكومة اسرائيل في هذه السنين ...

انها لاطماع واسعة مملوءة بالاخطار الجسام على جميع ابناء منطقة الشرق الادنى .. ولا يزيلها الا ارادة ابناء الأمة العربية القائمة على التنظيم السليم والتنفيذ الصحيح ..

(١) مذكرات هرتزل الجزء الاول ص ٧١١ .

(٢) المطامع الصهيونية التوسعية . عبد الوهاب كيالي ص ٥٥ .

قيادة الدكتور حاييم وايزمن

وتولى زعامة الصهيونية العالمية بعد هرتزل الدكتور **حاييم وايزمن**، وهو من مواليد روسيا ، من اليهود الذين لا علاقة لهم بفلسطين ولا هم من الساميين .. وكان في صباه قد ذهب الى مدينة بينسك Pinsk ، وعاش في مجتمع يهودي كبير ، ومن هناك ذهب الى المانيا وتخصص بالكيمياء واصبح فيها عالماً معروفاً . وكان وايزمن ممن يعتقدون ان اليهود « شعب » وانه ينبغي ان تكون لهم « دولة » ، وان الدولة يجب ان تكون « فلسطين » . وذهب وايزمن الى بريطانيا وعاش فيها ، وتمكن من دخول الاوساط البريطانية العليا ، والفوز بثقة زعماء سياسيين امثال لويد جورج ، وبلفور ، وتشرشل ، وصموئيل ، وكري ، وسيسل ، وميلز ، وكبار افراد عائلة روتشيلد[1] . ومن صفات اليهود انهم يساعدون بعضهم بعضاً ، وخصوصاً كل من يتوسمون فيه النباهة والمقدرة على التقدم وافادة القضية اليهودية ، على خلاف الوضع عند العرب الذين يحارب بعضهم بعضاً ويقاومون كل ذكي نبيه خوفاً منه على مراكزهم ! ..

وعمل وايزمن على الفوز بتأييد الحكومة البريطانية لايجاد دولة يهودية في فلسطين ، على اساس مصالح متبادلة بين الامبراطورية البريطانية وبين الصهيونية . ثم عمل ايضاً لنيل تأييد حكومة الولايات المتحدة الامريكية للحركة الصهيونية . وبذل جهوداً كبيرة خلال سنين في سبيل تحقيق ذلك . ويمكن القول ان النجاح في ايجاد دولة اسرائيل يرجع اليه اكثر منه الى اي رجل آخر .

وجاءت الحرب العالمية الاولى ، ووجدت بريطانيا ان الدولة العثمانية دخلت الحرب مع المانيا ضد الحلفاء . فعملت بريطانيا لتحقيق اهدافها في استعمار بعض البلاد العربية في الشرق الادنى ، واستغلت الشعور القومي العربي ومطالبة العرب بالاستقلال ، واتصلت بالشريف حسين ، شريف مكة ، ليحمل العرب على الثورة على تركيا ، واعدة باعطائهم الاستقلال بعد نجاح الحلفاء في الحرب . وعرف هذا الوعد باتفاق مراسلات مكماهون — حسين الذي تم سنة ١٩١٧[2] . لم تكن بريطانيا صادقة فيما اتفقت عليه مع الشريف حسين ، شريف مكة يومئذ ، لانها كانت قد عقدت اتفاقاً سرياً في خريف سنة ١٩١٦ مع فرنسا وروسيا ، عرف باتفاق سايكس — بيكو ، وعين

(١) جون ديفس : السلام المراوغ : The Evasive Peace ص ١ .

(٢) في كتابي (القضية الفلسطينية) الذي طبع سنة ١٩٣٧ في يافا فصل عن هذا الموضوع .

اجزاء من الدولة العثمانية التي ستنالها كل دولة بعد انهاء الحرب . وبين الاتفاقين تضارب ظاهر . فبينما سوريا وفلسطين داخلتان ضمن البلاد العربية التي تنال الاستقلال العربي حسب اتفاق مكماهون — حسين ، فان سوريا دخلت ضمن البلاد التي ستكون لفرنسا ، وفلسطين ، تحت ادارة دولية ، بحسب الاتفاق الآخر .

من اهداف السياسة البريطانية الا تقوم دولة قوية في الشرق الادنى . وهي تعرف ان العنصر العربي ، ان استقل ضمن وحدة ، فان الدولة العربية الموحدة تصبح دولة قوية مهمة ، لا تستطيع معها بريطانيا إملاء ارادتها لتحقيق مصالحها كما تشاء . ولهذا رأت غرس عنصر غريب عن المنطقة لديه الحيوية والاطماع ، فتستعمله او تتعاون معه على اضعاف العرب ، الذين وعدتهم بالاستقلال ، وعلى حفظ شريان الامبراطورية ، قناة السويس ، في امان من السيطرة العربية عليه . ولهذا قررت تجزئة البلاد العربية ، بعد انتصار الحلفاء ، وانشاء « مسكن قومي لليهود في فلسطين » ، ملبية بذلك المساعي التي كان يقوم بها الدكتور حاييم وايزمن لدى المسؤولين في لندن . وكانت تهدف ايضاً الى نيل مساعدة اليهود في الولايات المتحدة الامريكية على اقناع الحكومة الامريكية بدخول الحرب مع الحلفاء ضد المانيا ..

واتخذت موافقة بريطانيا على انشاء مسكن قومي لليهود في فلسطين صيغة «تصريح» ضمنه وزير الخارجية البريطانية كتابه المؤرخ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ الذي وجهه الى اللورد روتشيلد ، من المؤيدين للحركة الصهيونية ، وليس الى الدكتور حاييم وايزمن زعيم الحركة الصهيونية . وذلك تحفظاً منها للمستقبل ، ولترك الباب مفتوحاً امام بريطانيا لتتصرف بحسب الظروف المقبلة . ونص الكتاب هو :

وزارة الخارجية

٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧

عزيزي اللورد روتشيلد

« يسرني جداً ان ابعث اليكم ، بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ، بالتصريح الذي ينم عن العطف على اماني اليهود الصهيونيين ، والذي رفع الى الوزارة ووافقت عليه .

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير الحقوق المدنية والدينيــة التي تتمتع بها الطوائف غير

اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الاخرى .

« وسأكون شاكراً اذا أطلعتم الاتحاد الصهيوني على هذا التصريح » .

المخلص

أ . ى جيمس بلفور .

جاء هذا النص الاخير لتصريح بلفور بصيغته الغامضة ، بعد اتصالات عديدة بين زعماء اليهود ووزارة الخارجية البريطانية ، وبعد تعديلات عديدة لنصوصه الاصلية ، واجتماعات عقدت لوضع صيغته النهائية[1] . ومما تجدر ملاحظته ان ما جاء في كتاب بلفور الى روتشيلد ليس « وعداً » كما هو متداول في الكتابة عنه ، وانما « تصريح » Declaration كما هو النص ، وليس « وطناً » كما ترجمت الكلمة Home الى اللغة العربية وانما « مسكن » كما هي الترجمة الصحيحة .

اتخذ الصهيونيون من هذا الكتاب مستنداً قانونياً يدعمون به مطالبهم باقامة « الدولة اليهودية » ، في حين ان « التصريح » ليس معاهدة ولا قيمة قانونية له[2] لان بريطانيا لم تكن تملك فلسطين يومئذ ، وسكان فلسطين وهم العرب ، رفضوا « التصريح » وقاوموا مطالب الصهيونيين بالقوة منذ ان وقفوا عليها سنة ١٩١٩ ، ثم ان الحكومة التركية التي كانت لها السيادة على فلسطين ، رفضت « تصريح بلفور » ولم تعترف بحق اليهود في فلسطين . وكان ذلك برفض المجلس الوطني التركي لبعض مواد معاهـــدة « سيفر » التي عقدت في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠ ، ومنها « تصريح بلفور » . كما ان العهد التركي الجديد الذي قام بقيادة «مصطفى كمال» ، كمال اتاتورك ، عقد معاهدة « لوزان » مع الحلفاء في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٣ ، بدلاً من معاهدة سيفر . ومن المهم تأكيده ان معاهدة لوزان لم تذكر تصريح بلفور اذ أن الحكومة التركية لم تعترف به ، ورفضت ان يكون لأحد حق تقرير مصير فلسطين غير اهلها العرب[3] .

---

(١) راجع كتاب « اسرائيل الكبرى » للدكتور اسعد رزوق ، وفيه فصول وافية عن اتصالات الصهيونيين بالحكومة البريطانية والنصوص المتقدمة ليحتوي عليها تصريح بلفور . وكتاب « القضية الفلسطينية : تحليل ونقد » . للدكتور يوسف هيكل – ص ٦٦ – ٨٣ .

(٢) راجع قرار محكمة العدل العليا في القدس ، سجل سنة ١٩٣٢ صفحة ١١ .

(٣) راجع معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ وخصيصاً المادة ١٦ .

قال اللورد بلفور في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ « لا استطيع ان اصد نفسي عن القول بأن هذه التجربة (الوطن القومي اليهودي في فلسطين) تجربة عظمى ، لأن العالم لم يجرب واحدة مثلها من قبل ، ولأنها بحذافيرها بدعة » .

وما تصريح بلفور الاوثيقة بمقتضاها « قطعت امة تصريحاً رسمياً لأمة اخرى بمنحها بلد امة ثالثة .. صحيح ان العرب في فلسطين عاشوا تحت سيطرة تركية ، ولكنهم كانوا يعيشون هناك منذ قرون ، وكان البلد بلا ريب بلدهم بالمعنى المقبول عامة لهذه الكلمة»[1]

و « ان تصريح بلفور ، فيما يتعلق ببريطانيا وسمعتها ، كان تصريحاً ظاهره البراءة وباطنه الخداع . وهذا امر يجب على كل انكليزي ان يتذكره عندما يتأمـــل الموقف الحالي في الشرق الاوسط ، وهو الموقف الذي ساهم تصريح بلفور في تعقيداته مساهمة فعالة .

وان تصريح بلفور ، فيما يتعلق باسرائيل ، كان الحجر الاساسي للدولة اليهودية القائمة الآن في فلسطين . وهذا بدوره امر يجب على جميع الصهيونيين ان يضعوه نصب اعينهم اذا همّهم ان يتفهموا تصرفات جيرانهم العرب ويتفاهموا معهم[2]» .

« .. واذا قيس تصريح بلفور بالنسبة الى المصالح البريطانية فانه كان اكبر خطأ ارتكبته بريطانيا في تاريخ الامبراطورية »[3] . ومساعدة الحكومة البريطانية للصهيونيين منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم ، كان السبب في خروجها من البلاد العربية ، وفي زوال ما تبقى لها من نفوذ ومصالح في عدد قليل منها ..

على ان الصهيونيين حملوا تصريح بلفور ، مع علمهم انه ليس معاهدة ولا قيمة قانونية له ، باليد اليسرى ، والمدفع باليد اليمنى ، وعملوا بكل قواهم لتحقيق الدولة اليهودية ..

---

(١) ص ٤ . Arthur Koestler. Promise and Fulfilment

(٢) من مقال نشره الكاتب الانجليزي ميكل آدمز عن تصريح بلفور وصلته بالصراع بين العرب والصهيونيين ، في جريدة « الكارديان » في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ .

(٣) اليزابيت مونرو Britain's Moment In The Middle East ص ٤٣ .

وقبل صدور « تصريح بلفور » قام الصهيونيون، بزعامة الدكتور حاييم وايزمن، بحملة واسعة ، عن طريق الصحافة والتصاريح والاتصالات بمسؤولين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية ، الغاية منها بيان حدود فلسطين التي ستقام فيها « الدولة اليهودية » ، وذلك للتأثير في مضمون التصريح الذي ستصدره وزارة الخارجية البريطانية . وتلك الحدود التي نادوا بها تشمل فلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني ، وشرقي الاردن ، وشمال الحجاز ، وجنوب لبنان، وجنوب سوريا . وبعبارة اخرى جميع البلاد الواقعة جنوب خط يبدأ من جنوبي بيروت ويمتد شرقاً ويضم مدينة دمشق ، ويتابع الامتداد شرقاً ، ثم يتجه جنوباً حتى يضم نهر اليرموك ومنابعه، ويسير جنوباً شرقي خط سكة الحديد وشرقي معان وينتهي عند خليج العقبة[1] .

ومن الذين اهتموا ، اهتماماً كلياً ، بتعيين حدود « الدولة اليهودية » على اسس دينية مستقاة من التوراة ، هو الحاخام « **صموئيل ازاكس** » ، الذي ضمن آراءه كتابه « الحدود الحقيقية للأرض المقدسة » .

ولد صموئيل ازاكس في بولونيا سنة ١٨٢٥ . وهو من اليهود الاوروبيين الذين يرجع اصلهم الى العنصر السلافي (الخزر) لا الى العنصر السامي .. وهاجر الى نيويورك سنة ١٨٤٧ ، وترأس معهد التلمود — التوراة ، وكتب عن حق اليهود التاريخي في فلسطين ، واهتم بجغرافية الاراضي المقدسة لبيان حدود دولة اسرائيل ! ، ووضع كتابه « الحدود الحقيقية للارض المقدسة » والذي يقع في ١٢٠ صفحة . وتوفي في اوائل كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ . اما كتابه فقد نشرته ابنته بعد اسبوعين من صدور « تصريح بلفور » . والغاية من نشر الكتاب في ذلك الوقت هو افهام اليهود بصورة خاصة والرأي العام بصورة عامة ، أين تقع حدود فلسطين ، التي اشار اليها « تصريح بلفور » ، لأن التصريح لا يذكر لفلسطين حدوداً ، كما ان فلسطين ، من الناحية الجغرافية ، لم تكن معينة على الخريطة في تلك الايام .

وليسهل علينا فهم الحدود التي عينها الحاخام ازاكس لفلسطين ، نشير الى ان

---

(١) راجع كتاب « المطامع الصهيونية التوسعية » عبد الوهاب كيالي ص ٥٥ — ٩٣
وكتاب اسرائيل الكبرى: الدكتور اسعد رزوق فيه ابحاث تتضمن بياناته وتصاريح عدد من الصهيونيين المتعلقة بحدود فلسطين التي يريدون ان تشاد عليها دولة اسرائيل ص ٢٧٣ — ٣٨٩ .

الحركة الصهيونية كانت تضم الجناح الارثذكسي المتدين من اليهود ، والجناح العلماني منهم . والمتدينون طالبوا بالحدود المثالية التي جاء ذكرها في التوراة « من نهر النيل الى نهر الفرات » . بينما العلمانيون كانوا يرون الاكتفاء اولاً بالرقعة التاريخية الاصغر « من دان الى بئر السبع » مضافاً اليها المناطق التي تؤمن للبلاد اقتصاداً عصرياً ودفاعاً استراتيجياً منيعاً . والمناطق التي نادوا بضمها هي البلاد الواقعة الى الجنوب والشرق من فلسطين ، أي سينا وشرق الاردن ، والى الشمال البقاع وجنوب لبنان بحيث تقع جميع روافد نهر الليطاني ونهر الاردن وجبل الشيخ في ارض اسرائيل ، والى الشرق حوران ونهر اليرموك بحيث يكون نهر اليرموك وروافده ، والخط الحديدي الحجازي ، في دولتهم ايضاً .

والجناحان الديني والعلماني في الحركة الصهيونية العالمية يتمم في الواقع احدهما الآخر من حيث الاطماع الصهيونية في البلاد العربية، والترابط وثيق بين تصورهما لأرض « اسرائيل الكبرى » . ويأتي الحاخام ايزاكس فيجمع الحركتين في شخصه كما عبرت عن ذلك آراؤه في « الحدود الحقيقية للارض المقدسة » .

يرى ايزاكس ان لليهود اسرائيلين: اسرائيل الصغرى ، واسرائيل الكبرى ، ولكل منهما ، في نظره ، حدود معينة جاءت في التوراة .

والحدود التي يختارها الحاخام ايزاكس للارض المقدسة ، اسرائيل الصغرى ، هي التي ورد وصفها في الاصحاح ٣٤ من سفر العدد : ١ — ١٢ من العهد القديم[1] . ولكنه عندما يضع اسماء التخوم التي جاءت في التوراة على الخريطة يرى انها لا تشمل جميع الاراضي التي يريدها ان تدخل في الارض المقدسة ، فيخطىء كتب الجغرافيا ليحصل على الحدود التي يريدها ! ، ويرسم خريطة لها ويدخل فيها لبنان كله وشمالي غربي سوريا وقسماً من جنوب تركيا ! .. « ولكي لا يقع في تناقض مع قوله بانعدام التناقض يلجأ الى تذكيرنا بأن الارض الموعودة، بامتدادها وتخومها ليست هي نفسها المحتلة او التي تم فتحها والاستيلاء عليها[2] .

ولتبسيط الموضوع فان خريطة الحاخام ايزاكس تبين حدود الاراضي التي وعد الاسرائيليون انفسهم بها عندما كانوا تائهين في سيناء ! « وكلم الرب موسى قائلاً :

---

(١) اسرائيل الكبرى : الدكتور اسعد رزوق ص ٣١٨ و ٣٢٨ .
(٢) إسرائيل الكبرى : الدكتوراسعد رزوق ص ٣٣٤ .

اوص بني اسرائيل وقل لهم انكم داخلون الى ارض كنعان . هذه هي الارض التي تقع لكم نصيباً . ارض كنعان بتخومها » . ومع العلم بأن الاسرائيليين عندما دخلوا فلسطين احتلوا جزءاً منها وسكنوه مستقلين فترة قصيرة لكن مع اصحاب البلد الذين ظلوا فيه ، ثم عاشوا مع الآخرين اتباع دول كبرى تتناوب حكم البلد الى ان شتتوا في مختلف انحاء العالم سنة ٧٠ م فانهم لم يحتلوا غير جزء صغير من « ارض كنعان » التي وعدوا انفسهم بها وهم في التّيه . ويريد ايزاكس ، ومن تبع نظريته من اليهود، ان يحتلوا ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، بلاداً بحجة ان اليهود القادمين من التيه وعدوا انفسهم بها ، على لسان موسى ، ولم يتمكنوا من تحقيق ما وعدوا انفسهم به في ذلك الزمان !

واما حدود اسرائيل الكبرى فيأخذها ايزاكس من التوراة ايضاً ، وهي البلاد التي منحها اله اسرائيل لبني اسرائيل بالشرط المتضمن في سفر التثنية ١١ : ٢٢ « لانه اذا حفظتم جميع هذه الوصايا التي انا اوصيكم بها لتعملوها ، لتحيوا الرب الهكم وتسلكوا في جميع طرقه وتلتصقوا به » ، لكافأكم الرب بالمنحة الثانية المتضمنة في سفر التثنية ١١ : ٢٣ — ٢٤ .

« يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من امامكم فترثون شعوباً اكبر واعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم »(١) .

ويقول ايزاكس ان مطلب اليهود في وطنهم لا يجوز ان يكون محصوراً ضمن حدود « اسرائيل الصغرى » ، ارض كنعان ، بل على العكس من ذلك يجب ان يمتد الى حدود « اسرائيل الكبرى » لأن « وعود الله المشروطة لا تلغى ابداً ، بل يحتفظ بها لكي تتحقق .. في زمن مستقبل »(٢) .

وهكذا فان الحاخام ايزاكس قد جمع ، ضمن ما ينادي به ، بين طرفي الصهيونية ، الطرف المتدين والطرف العلماني . فهو مع الطرف العلماني الذي ينادي بتحقيق «اسرائيل الصغرى » ، ارض كنعان ، مع ما يلزمها من اراض لتحيا الدولة حياة اقتصادية سليمة ، ولتكون لها حدود آمنة ، ورسم لهم خريطة اسرائيل هذه . وهو أيضاً مع الطرف المتدين

(١) اسرائيل الكبرى : الدكتور اسعد رزوق ص ٣٢٨ .

(٢) اسرائيل الكبرى : الدكتر اسعد رزوق ص ٢٢٨ .

الذي ينادي « باسرائيل الكبرى » ، من النيل الى الفرات ، ولكن تحقيقها يكون على خطوات وعلى مرّ الزمن في المستقبل ، ورسم لها ايضاً خريطة « اسرائيل الكبرى » ، التي منح الاسرائيليون انفسهم اراضيها وهم في التيه ، ولم تطأ اقدامهم اراضيها ابداً .

« وحين نتطلع الى مشروع الحاخام ايزاكس اليوم ، بعد مرور خمسين عاماً على صدور آرائه في كتاب — الحدود الحقيقية لأرض اسرائيل — تطالعنا تلك المطالب التي ينادي بها حاخامات اسرائيل الآن بمثابة اصداء تتردد كلما وجدت الى ذلك سبيلا . وقد جاء عدوان الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ليتيح لخلفاء ايزاكس فرصة الالحاح في المطالبة بخلق « اسرائيل كبرى » بالاستناد الى تلك النصوص نفسها وبتلاوتهـا في صوت جهوري على مسامع المصلين في الكنيس . فالصهيونية الدينية ، بجذورها البعيدة المدى ، لا تتخلف كثيراً عن قرينتها العلمانية او حليفتها الشيوعية والاممية من حيث المطالب التوسعية وفي الدعوة الى « اسرائيل الكبرى » ، وان تعددت الاسباب التي تلجأ اليها كل منها لتبرير مزاعمها وتكريس مطالبها »(١) .

ما دمنا في هذا البحث فلا بد للمفكر من ان يتساءل :

لماذا وعد الاسرائيليون انفسهم ، وهم في التيه ، اثر خروجهـم من مصر ، بالاستيلاء على « ارض كنعان » اولاً ، ثم منحوا انفسهم الاستيلاء على البلاد المعمورة المعروفة في ذلك الزمان وهي « من النيل الى الفرات » ؟ . او لماذا وعدهم موسى ذلك على انه قول ربه ؟.

والجواب عن ذلك يتطلب بحثاً مستفيضاً ، ولكن المجال لا يتسع للاطالة ، وعليه أجيب بايجاز :

عاش الاسرائيليون في مصر مستضعفين لا يملكون شيئاً ، لا ارضاً ولا متاعاً ، ويعملون ليل نهار في خدمة اسيادهم المصريين في البيوت وفي الحقول .. واعز شيء عند العبد هو ان يرى نفسه سيداً يملك الاطيان والمواشي ولديه ذرية كبيرة تعينه وتؤنسه وتعزه ، اي انه يتمنى ما لم يكن يملك . ولما وجدوا انفسهم في سيناء احراراً ، متجهين الى ارض كنعان ، تلك البلاد الغنية الجميلة ، اخذوا يتمنون الوصول اليها واحتلالها والعيش فيها اسياداً . وموسى يعرف دخائل نفوس جماعته ، فقد كان عبداً مثلهم وفي نفسه ما في نفوسهم .

(١) المرجع ذاته ص ٣٣٩ .

ولكن حين تاهوا في سيناء، دب اليأس في نفوسهم واخذوا يتمردون على موسى . واوردت التوراة قصة ذلك باسهاب .. فرأى موسى ان يحيي الامل في قلوبهم بالوصول الى ما يتمنون ، فقال لهم ان الرب يقول « انهم داخلون الى ارض كنعان . هذه الارض التي تقع لكم نصيباً . ارض كنعان بتخومها » . وعدهم موسى بوصولهم الى ما يأملون ، والى تحقيق ما كانت « عقدة النقص» تدفعهم الى نيله .. مضت سنين وسار اليهود ولكنهم لم يصلوا فخارت قواهم وخافوا مما ينتظرهم من قتال ، فأخذوا يتمردون على موسى من جديد، ويعصون تعاليمه ولا يخضعون لقيادته وطلبوا العودة منه الى مصر .. فعمد موسى من جديد الى استغلال « عقدة النقص » التي في نفوسهم ، عقدة حب التملك والسيادة والسيطرة على العالم ، وعقدة الخوف من الاعداء . فرأى ان يزيد على ما وعدهم به سابقاً ، فقال لهم ان الرب يقول انكم اذا عملتم بالوصايا التي اوصيكم بها واحببتموني وسلكتم طريقي ، فانه « يطرد جميع هؤلاء الشعوب من امامكم فترثون شعوباً اكبر واعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . من النهر ، نهر الفرات ، الى البحر الغربي يكون تخمكم » . وبذلك غذى موسى طموحهم من جديد الى نيل ما يشتهون ، لا ارض كنعان فحسب ولكن العالم ، والعالم المعروف المعمور يومذاك هو من النيل الى الفرات ، أملهم انهم واصلون الى ذلك من غير قتال ، اذ ان الرب سيقاتل عنهم ويطرد جميع الشعوب من امامهم .. اذا هم اطاعوا وعملوا بما يقول لهم على لسان موسى ..

فعقدة النقص في الواقع هي التي كونت في نفوس الاسرائيليين حب التملك والسيطرة على مختلف انواعها .. ولما مضت قرون ولم يكن في امكانهم خلالها تملك البلاد واتباع حب السيطرة في نفوسهم ، عمدوا الى اشباع حب السيطرة عندهم عن طريق الاستيلاء على المال والسيادة بواسطته .. فكان لهم ذلك في كثير من العواصم الغربية ومدنها حتى ايامنا هذه .. غير ان الصهيونية ، وهي وليدة « عقدة النقص » لدى الاسرائيليين ، عاودها الطموح والسيطرة عن طريق الاستيلاء على بلاد ، والسيطرة عليها ، واستعباد سكانها ! . واتخذوا من الشعور الديني اليهودي سنداً لتأسيس دولة في فلسطين ، والعمل على امتدادها الى البلاد التي وعد الاسرائيليون انفسهم بها ايام التيه ، ولم تطأها اقدامهم .. ثم ان ما يعانيه اليهود من صعاب ، وما يوقعونه من مآس بالآخرين ما هو الا وليد « عقدة النقص » الاسرائيلية . وما الاعمال الاجرامية التي يقوم بها الاسرائيليون في هذه الايام في الاراضي المحتلة ، الشبيهة بأعمال النازية ، الا نتيجة ثقافة

ما كتبه اجدادهم في كتبهم الدينية من الشدة والبطش بالغير .. ونصوص ذلك عديدة في التوراة، الذي هو تاريخ بني اسرائيل ومصدر ثقافتهم .. وليس ما كتبه اولئك الاجداد الا صدى «لعقدة النقص » في نفوسهم .. والتوراة من وضع اسرائيليين بعد موسى بمئات السنين ، والتاريخ لا يعرف حقيقة حياته ...

اما مسألة « شعب الله المختار » فهي ايضاً وليدة « عقدة النقص » عند الاسرائيليين. لقد كانوا عبيداً في مصر .. وقبل ذلك ، ولسبب من الأسباب ، خرجت عشيرة ابراهيم من موطنها الاصلي « اور الكلدانيين » في جنوبي العراق ، وسارت شمالاً ، غير انها لم تستطع الاستقرار في اي جزء من العراق ، لأن السكان كانوا ينظرون اليها نظرة « الشخصية غير المرغوب فيها » بحسب التعبير الديبلوماسي المهذب في هذه الايام .. وتابعت سيرها في سوريا ، والنظرة اليها هي ذاتها فلم تستطع ان تستقر في سوريا .. ثم اتت الى فلسطين فحاربها اهلها ، الى ان جلت الى مصر ، حيث استعبدت وامتهن ابناؤها مهنة « العبيد » ... هذه هي الجماعة ، التي كانت غير مرغوب فيها ، في وطنها الاصلي ، وفي كل بلد مرت به ، والتي عاش ابناؤها عيشة العبيد في مصر ، فتأصلت في نفسها « عقدة النقص » .. وكان رد الفعل لذلك ان نظرت الى نفسها على انها خير الشعوب ، وأن الشعوب الاخرى همجية لا تستحق الحياة ! ومن هنا سجل أبناء اسرائيل في كتابهم انهم « شعب الله المختار » ! ..

ومن المؤسف حقاً ، ان نرى عقول من وصلوا الى القمر ، يلتزمون « عقدة النقص » الاسرائيلية ، ويساعدون الصهيونيين على تحقيق احلام راودت اجداد اليهود الساميين قبل آلاف السنين ، ولم يتمكنوا من تحقيقها في زمانهم ولا في القرون التي تلت ذلك ...

« وسيظهر التاريخ ان المحاولة الصهيونية لاحتلال ارض الميعاد ، وما تبعها من ضروب العنف ، واغتصاب الارض وتشريد السكان ، ومن اساليب التضليل والتسلط على الافكار في العالم ، سيظهر التاريخ ان محاولة خمسة عشر مليوناً من الصهيونيين العودة بثلاثة مليارات من البشر الى ثلاثة آلاف سنة الى مرحلة من ادمى المراحل واكثرها تقهقراً وتناقضاً واذلالاً للانسانية .

« ونحن من اعالي هذه القمم المتفتحة على الآفاق ماضياً ومستقبلاً ، والتي نصمد فيها لأمواج العنف مداً وجزراً ، نسرح الطرف بعيداً فنحس بألم واسف اذ نرى

بعض الناس ومن اعاظم الدنيا قد فقدوا حريتهم امام سلطان الصهيونية . واما نحن فلن نصل الى هذا الحد اذ ندرأه بما هو ارخص ، ندرأه بالحياة » (١) .

ولنعد الى استعراض نشاط الصهيونيين في بيان البلاد التي يريدون الاستيلاء عليها :

قام الصهيونيون ، قبل عقد مؤتمر الصلح في باريس في ١٧ كانون الأول (يناير) ١٩١٩ ، بجهود ترمي الى بيان حدود فلسطين التي يريدونها . ففي شهر كانون الثاني (يناير) من العام المذكور عقد عدد من الأعضاء البارزين في المنظمة الصهيونية اجتماعاً خاصاً لوضع سياسة رسمية يواجهون بها الحكومة البريطانية قبل انعقاد المؤتمر. وكلف المجتمعون « هربرت صموئيل » (الذي اصبح فيما بعد اول مندوب سام على فلسطين اي اول رئيس لدولة فلسطين) بوضع صيغة البرنامج الصهيوني لتقديمه الى وزارة الخارجية البريطانية . وفي نهاية الشهر ابلغت وزارة الخارجية البريطانية المنظمة الصهيونية بان تتقدم ببرنامجها مباشرة الى مؤتمر الصلح ، بعد ان ترفع منه الاصرار على ان يكون رئيس حكومة فلسطين يهودياً واكثرية موظفي الحكومة المسؤولين من اليهود . اجريت تلك التعديلات ورفعت المذكرة الى « المجلس الأعلى في مؤتمر الصلح » في ٣ شباط (فبراير) ١٩١٩ بعنوان « تصريح المنظمة الصهيونية بصدد فلسطين » طالبة من « الفرقاء المتعاقدين الساميين » ان يعترفوا بالحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين وبحق اليهود في اعادة وطنهم القومي فيها . وجاء في المذكرة ان حدود فلسطين مبينة في البيان الملحق بالمذكرة . والنص الحرفي لبيان الحدود هو :

« ان حدود فلسطين يجب ان تسير وفقاً للخطوط العامة المذكورة ادناه :

تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الابيض المتوسط بجوار مدينة صيدا وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل الى جسر الفرعون فتتجه منه الى البيرة ، متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ (حرمون) حتى جوار بيت جن ، وتتجه منها شرقاً متبعة مفارق المياه الشمالية لنهر مغنية حتى تقترب من سكة حديد الحجاز الى الغرب منها .

---

(١) من خطاب الرئيس الاستاذ شارل حلو الذي القاه يوم ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ ، يوم عيد الاستقلال اللبناني .

وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة سكة حديد الحجاز والى الغرب منها حتى ينتهي في خليج العقبة .

وفي الجنوب حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية .

وفي الغرب البحر الابيض المتوسط .

اما تفاصيل تخطيط الحدود ، او اي تعديلات تفصيلية لها قد تستدعيها الضرورة ، فسوف تسوى بواسطة لجنة خاصة يمثل اليهود فيها » (١) .

وذكرت المنظمة الصهيونية في مذكرتها الاسباب والدوافع التي ادت بها الى رسم حدود فلسطين بالشكل المتقدم ، وهي كما يلي :

« ان الحدود المرسومة اعلاه هي ما نعتبره جوهرياً للاساس الاقتصادي الضروري للبلد . وفلسطين يجب ان تكون لها منافذها الطبيعية على البحار والسيطرة على انهارها وعلى منابع تلك الانهار . ولقد جرى رسم معالم الحدود على اساس اعتبار الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلد . وهي اعتبارات يتحتم على اللجنة الخاصة ان تراعيها حين تقوم بتعيين الحدود ورسم خطوطها المضبوطة . كما يجب على هذه اللجنة ان تتذكر ان من المرغوب فيه جداً ، لمصلحة الادارة الاقتصادية ، جعل المساحة الجغرافية لفلسطين اكبر ما يمكن ، بحيث تستطيع فيما بعد استيعاب عدد كبير من السكان ينعمون بالرخاء ، ولكي يصبح بمقدورها ان تتحمل اعباء الحكومة العصرية المتمدنة ، اكثر مما يتحمله بلد صغير محدود السكان بالضرورة .

وتعتمد الحياة الاقتصادية لفلسطين ، شأن اي بلد نصف جاف آخر ، على كميات المياه المتوفرة . لذلك يصبح من الاهمية الجوهرية بمكان ، تأمين جميع موارد المياه التي تغذي البلد حتى الآن ، وكذلك القدرة على المحافظة والسيطرة عليها عند منابعها .

ان جبل الشيخ (حرمون) هو « اب المياه » الحقيقي لفلسطين ، ولا يمكن فصله عنها دون توجيه ضربة قاصمة الى جذور حياتها الاقتصادية بالذات . وجبل الشيخ لا يحتاج الى اعادة تحريج وتشجير فحسب ، بل ايضاً الى اعمال اخرى قبل

---

(١) اسرائيل الكبرى : الدكتور اسعد رزوق ص ٤٠١ و ٤٠٢ .

ولكن حين تاهوا في سيناء، دب اليأس في نفوسهم واخذوا يتمردون على موسى . واوردت التوراة قصة ذلك باسهاب .. فرأى موسى ان يحيي الامل في قلوبهم بالوصول الى ما يتمنون ، فقال لهم ان الرب يقول « انهم داخلون الى ارض كنعان . هذه الارض التي تقع لكم نصيباً . ارض كنعان بتخومها » . وعدهم موسى بوصولهم الى ما يأملون، والى تحقيق ماكانت « عقدة النقص» تدفعهم الى نيله.. مضت سنين وسار اليهود ولكنهم لم يصلوا فخارت قواهم وخافوا مما ينتظرهم من قتال ، فأخذوا يتمردون على موسى من جديد، ويعصون تعاليمه ولا يخضعون لقيادته وطلبوا العودة منه الى مصر .. فعمد موسى من جديد الى استغلال « عقدة النقص » التي في نفوسهم ، عقدة حب التملك والسيادة والسيطرة على العالم ، وعقدة الخوف من الاعداء . فرأى ان يزيد على مـــا وعدهم به سابقاً ، فقال لهم ان الرب يقول انكم اذا عملتم بالوصايا التي اوصيكم بها واحببتموني وسلكتم طريقي ، فانه « يطرد جميع هؤلاء الشعوب من امامكم فترثون شعوباً اكبر واعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . من النهر ، نهر الفرات ، الى البحر الغربي يكون تخمكم » . وبذلك غذى موسى طموحهم من جديد الى نيل ما يشتهون ، لا ارض كنعان فحسب ولكن العالم ، والعالم المعروف المعمور يومذاك هو من النيل الى الفرات ، أملهم انهم واصلون الى ذلك من غير قتال ، اذ ان الرب سيقاتل عنهم ويطرد جميع الشعوب من امامهم .. اذا هم اطاعوا وعملوا بما يقول لهم على لسان موسى ..

فعقدة النقص في الواقع هي التي كونت في نفوس الاسرائيليـــين حب التملك والسيطرة على مختلف انواعها .. ولما مضت قرون ولم يكن في امكانهم خلالها تملك البلاد واتباع حب السيطرة في نفوسهم ، عمدوا الى اشباع حب السيطرة عندهم عن طريق الاستيلاء على المال والسيادة بواسطته .. فكان لهم ذلك في كثـــير من العواصم الغربية ومدنها حتى ايامنا هذه .. غير ان الصهيونية ، وهي وليدة « عقدة النقص » لدى الاسرائيليين ، عاودها الطموح والسيطرة عن طريق الاستيلاء على بلاد ، والسيطرة عليها ، واستعباد سكانها !. واخذوا من الشعور الديني اليهودي سنداً لتأسيس دولة في فلسطين ، والعمل على امتدادها الى البلاد التي وعد الاسرائيليون انفسهم بها ايام التيه ، ولم تطأها اقدامهم .. ثم ان ما يعانيه اليهود من صعاب ، وما يوقعونه من مآس بالآخرين ما هو الا وليد « عقدة النقص » الاسرائيلية . وما الاعمال الاجرامية التي يقوم بهـــا الاسرائيليون في هذه الايام في الاراضي المحتلة ، الشبيهة بأعمال النازية ، الا نتيجة ثقافة

ما كتبه اجدادهم في كتبهم الدينية من الشدة والبطش بالغير .. ونصوص ذلك عديدة في التوراة، الذي هو تاريخ بني اسرائيل ومصدر ثقـــافتهم .. وليس ما كتبه اولئك الاجداد الا صدى «لعقدة النقص » في نفوسهم .. والتوراة من وضع اسرائيليين بعد موسى بمئات السنين ، والتاريخ لا يعرف حقيقة حياته ...

اما مسألة « شعب الله المختار » فهي ايضاً وليدة « عقدة النقص » عند الاسرائيليين. لقد كانوا عبيداً في مصر .. وقبل ذلك ، ولسبب من الأسباب ، خرجت عشيرة ابراهيم من موطنها الاصلي « اور الكلدانيين » في جنوبي العراق ، وسارت شمالاً ، غير انها لم تستطع الاستقرار في اي جزء من العراق ، لأن السكان كانوا ينظرون اليها نظرة « الشخصية غير المرغوب فيها » بحسب التعبير الديبلوماسي المهذب في هذه الايام .. وتابعت سيرها في سوريا ، والنظرة اليها هي ذاتها فلم تستطع ان تستقر في سوريا .. ثم اتت الى فلسطين فحاربها اهلها ، الى ان جلت الى مصر ، حيث استعبدت وامتهن ابناؤها مهنة « العبيد » ... هذه هي الجماعة ، التي كانت غير مرغوب فيها ، في وطنها الاصلي ، وفي كل بلد مرت به ، والتي عاش ابناؤها عيشة العبيد في مصر ، فتأصلت في نفسها « عقدة النقص » .. وكان رد الفعل لذلك ان نظرت الى نفسها على انها خير الشعوب ، وأن الشعوب الاخرى همجية لا تستحق الحياة ! ومن هنا سجل أبناء اسرائيل في كتابهم انهم « شعب الله المختار » ! ..

ومن المؤسف حقاً ، ان نرى عقول من وصلوا الى القمر ، يلتزمون « عقدة النقص » الاسرائيلية ، ويساعدون الصهيونيين على تحقيق احلام راودت اجداد اليهود الساميين قبل آلاف السنين ، ولم يتمكنوا من تحقيقها في زمانهم ولا في القرون التي تلت ذلك ...

« وسيظهر التاريخ ان المحاولة الصهيونية لاحتلال ارض الميعاد ، وما تبعها من ضروب العنف ، واغتصاب الارض وتشريد السكان ، ومن اساليب التضليل والتسلط على الافكار في العالم ، سيظهر التاريخ ان محاولة خمسة عشر مليوناً من الصهيونيين العودة بثلاثة مليارات من البشر الى ثلاثة آلاف سنة الى مرحلة من ادمى المراحل واكثرها تقهقراً وتناقضاً واذلالاً للانسانية .

« ونحن من اعالي هذه القمم المتفتحة على الآفاق ماضياً ومستقبلاً ، والتي نصمد فيها لأمواج العنف مداً وجزراً ، نسرح الطرف بعيداً فنحس بألم واسف اذ نرى

بعض الناس ومن اعاظم الدنيا قد فقدوا حريتهم امام سلطان الصهيونية . واما نحن فلن نصل الى هذا الحد اذ ندرأه بما هو ارخص ، ندرأه بالحياة » [1] .

ولنعد الى استعراض نشاط الصهيونيين في بيان البلاد التي يريدون الاستيلاء عليها :

قام الصهيونيون ، قبل عقد مؤتمر الصلح في باريس في ١٧ كانون الأول (يناير) ١٩١٩ ، بجهود ترمي الى بيان حدود فلسطين التي يريدونها . ففي شهر كانون الثاني (يناير) من العام المذكور عقد عدد من الأعضاء البارزين في المنظمة الصهيونية اجتماعاً خاصاً لوضع سياسة رسمية يواجهون بها الحكومة البريطانية قبل انعقاد المؤتمر . وكلف المجتمعون « هربرت صموئيل » (الذي اصبح فيما بعد اول مندوب سام على فلسطين اي اول رئيس لدولة فلسطين) بوضع صيغة البرنامج الصهيوني لتقديمه الى وزارة الخارجية البريطانية . وفي نهاية الشهر ابلغت وزارة الخارجية البريطانية المنظمة الصهيونية بان تتقدم ببرنامجها مباشرة الى مؤتمر الصلح ، بعد ان ترفع منه الاصرار على ان يكون رئيس حكومة فلسطين يهودياً واكثرية موظفي الحكومة المسؤولين من اليهود . اجريت تلك التعديلات ورفعت المذكرة الى « المجلس الأعلى في مؤتمر الصلح » في ٣ شباط (فبراير) ١٩١٩ بعنوان « تصريح المنظمة الصهيونية بصدد فلسطين » طالبة من « الفرقاء المتعاقدين السامين » ان يعترفوا بالحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين وبحق اليهود في اعادة وطنهم القومي فيها . وجاء في المذكرة ان حدود فلسطين مبينة في البيان الملحق بالمذكرة . والنص الحرفي لبيان الحدود هو :

« ان حدود فلسطين يجب ان تسير وفقاً للخطوط العامة المذكورة ادناه :

تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الابيض المتوسط بجوار مدينة صيدا وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل الى جسر الفرعون فتتجه منه الى البيرة ، متبعةً الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ (حرمون) حتى جوار بيت جن ، وتتجه منها شرقاً متبعة مفارق المياه الشمالية لنهر مغنية حتى تقترب من سكة حديد الحجاز الى الغرب منها .

---

(١) من خطاب الرئيس الاستاذ شارل حلو الذي القاه يوم ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ ، يوم عيد الاستقلال اللبناني .

وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة سكة حديد الحجاز والى الغرب منها حتى ينتهي في خليج العقبة .

وفي الجنوب حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية .

وفي الغرب البحر الابيض المتوسط .

اما تفاصيل تخطيط الحدود ، او اي تعديلات تفصيلية لها قد تستدعيها الضرورة ، فسوف تسوى بواسطة لجنة خاصة يمثل اليهود فيها » [1] .

وذكرت المنظمة الصهيونية في مذكرتها الاسباب والدوافع التي ادت بها الى رسم حدود فلسطين بالشكل المتقدم ، وهي كما يلي :

« ان الحدود المرسومة اعلاه هي ما نعتبره جوهرياً للاساس الاقتصادي الضروري للبلد . وفلسطين يجب ان تكون لها منافذها الطبيعية على البحار والسيطرة على انهارها وعلى منابع تلك الانهار . ولقد جرى رسم معالم الحدود على اساس اعتبار الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلد . وهي اعتبارات يتحتم على اللجنة الخاصة ان تراعيها حين تقوم بتعيين الحدود ورسم خطوطها المضبوطة . كما يجب على هذه اللجنة ان تتذكر ان من المرغوب فيه جداً ، لمصلحة الادارة الاقتصادية ، جعل المساحة الجغرافية لفلسطين اكبر ما يمكن ، بحيث تستطيع فيما بعد استيعاب عدد كبير من السكان ينعمون بالرخاء ، ولكي يصبح بمقدورها ان تتحمل اعباء الحكومة العصرية المتمدنة ، اكثر مما يتحمله بلد صغير محدود السكان بالضرورة .

وتعتمد الحياة الاقتصادية لفلسطين ، شأن اي بلد نصف جاف آخر ، على كميات المياه المتوفرة . لذلك يصبح من الاهمية الجوهرية بمكان ، تأمين جميع موارد المياه التي تغذي البلد حتى الآن ، وكذلك القدرة على المحافظة والسيطرة عليها عند منابعها .

ان جبل الشيخ (حرمون) هو « اب المياه » الحقيقي لفلسطين ، ولا يمكن فصله عنها دون توجيه ضربة قاصمة الى جذور حياتها الاقتصادية بالذات . وجبل الشيخ لا يحتاج الى اعادة تحريج وتشجير فحسب ، بل ايضاً الى اعمال اخرى قبل

---

(١) اسرائيل الكبرى : الدكتور اسعد رزوق ص ٤٠١ و ٤٠٢ .

ان يصبح موءهلاً ليكون خزان مياه البلد . لذلك يجب ان يخضع كلياً لسيطرة اولئك الذين تحدوهم الرغبة الشديدة ويملكون القدرة الكافية لاستغلال امكاناته الى اقصى الحدود . كما يجب التوصل الى اتفاق دولي تحمى بموجبه حقوق المياه للشعب القاطن جنوبي نهر الليطاني (اي اليهود في فلسطين الكبرى) حماية تامة . اذ ان منابع المياه هذه ، فيما لو حظيت بالعناية اللازمة ، تستطيع ان تخدم تنمية لبنان مثلما تخدم تنمية فلسطين .

ان السهول الخصبة الواقعة الى الشرق من نهر الاردن كانت منذ اقدم ايام التوراة ، مرتبطـة اقتصادياً وسياسياً بالارض الواقعة غربي نهر الاردن . وهذه البلاد الضئيلة السكان حالياً ، سبق لها ايام الرومان اعالة اعداد ضخمة من السكان. ويمكنها ان تصبح الآن بصورة مدهشة حقلاً للاستعمار التوطيني على نطاق واسع . ثم ان المراعاة العادلة للحاجات الاقتصادية لدى كل من فلسطين وشبه جزيرة العرب تتطلب اعطاء حكومات الطرفين الحق في حرية الوصول الى سكة حديد الحجاز على طول امتدادها .(١)

ان تنمية الزراعة الكثيفة وغيرها من الفرص والمرافق الموفورة في شرقي الاردن تحتم ان يكون لفلسطين منفذ على البحر الاحمر وفرصة لانشاء موانىء جيدة على خليج العقبة . والعقبة ، كما نعيد إلى الذهن ، كانت نهاية طريق تجاري هام لفلسطين منذ ايام سليمان . فالمرافىء التي يجري تطويرها في خليج العقبة يجب ان تكون مرافىء حرّة ، تمر فيها تجارة البلاد الداخلية على اساس المبدأ نفسه الذي اهتدينا به في اقتراحنا اعطاء حرية الوصول الى سكة حديد الحجاز » .(٢)

ان ما تقدم هو المطالب الرسمية المعتدلة التي تقدمت بها المنظمة الصهيونية الدولية الى موءتمر الصلح في باريس ! ، وحاولت ان تكون تلك المطالب في غاية من التواضع حتى يتقبلها الموءتمرون ! . وفي ذهن المنظمة الصهيونية ، انه متى تحققت لها تلك المطالب فان الصهيونيين يقومون بعدئذ بتحقيق مطالبهم الهادفة الى ان تكون حدود « اسرائيل الكبرى ، من النيل الى الفرات » . ومما يجدر الانتباه اليه ان المنظمة الصهيونية لم تربط نفسها رسمياً بحدود فلسطين مع مصر ، وتركت ذلك مفتوحاً للمفاوضات ..

(١) اي الحق للحكومة الصهيونية بحرية الوصول الى المدينة المنورة التي ينوي الصهيونيون استعمارها وسكناها.
(٢) اسرائيل الكبرى : الدكتور اسعد رزوق ص ٤٠٣ و ٤٠٤ .

ولاقى مضمون هذه المذكرة انتقادات من كثيرين من رجال الصهيونية ، لاعتبارهم انها كانت متواضعة ولم تشمل جميع البلاد التي لليهود فيها « حق تاريخي » ، والتي ينبغي ان تكون ضمن دولة اسرائيل حسب ادعاءاتهم . وكتبوا في ذلك كثيراً ، اكتفي ، في هذا البحث الموجز ، بذكر ما كتبه احد مفكريهم فيما يتعلق بالاطماع والحدود ، الذي لعب دوراً في ادارة حكومة فلسطين ايام الانتداب البريطاني :

جاء الكابتن **نورمان بنتويتش** مع القوات البريطانية من مصر الى فلسطين في الحرب العالمية الاولى ، وشغل ، اثناء ادارة الانتداب البريطاني ، مركز النائب العام في فلسطين سنوات عديدة ، وضع خلالها القوانين التي تسهل على الصهيونيين امتلاك الاراضي ، وتحمل العرب على بيعها ... وكان الكابتن نورمان بنتويتش قد اصدر في اوائل سنة ١٩١٩ كتاباً بعنوان « فلسطين اليهود : الماضي والحاضر والمستقبل » . وفي بحثه يذكر « فلسطين في التاريخ اليهودي » التي كانت تمتد ، بحسب رأيه ، من بيروت الى خليج العقبة . وعندما تحدث عن مستقبل الارض والشعب ، تحدث عن « فلسطين المستقبل » ، وهو يرى أنه :

« لا حاجة بفلسطين المستقبل ان تبقى محصورة ضمن حدودها التاريخية ، فالاستعمار الاستيطاني يمكنه ان يمتد حتى يشمل تلك الرقعة باكملها التي تضمنها الوعد (من الفرات الى النيل) : من البحر الابيض المتوسط الى نهر الفرات ، ومن جبال لبنان الى نهر مصر — هذه هي الارض التي اعطيت للشعب المختار »(١).

ثم يقول الكابتن بنتويتش ان هذه المساحة هي « فلسطين الكبرى » التي :

« تستصرخ مزيداً من السكان لافتدائها وتخليصها من اهمال القرون وانحطاطها ، وكلها ملأى بالذكريات التاريخية في نظر اليهود . فالسهول المرتفعة (النجاد) في جلعاد وموءاب والسهول الممتدة حتى دجلة والفرات يمكن استصلاحها بالجهد والكد اليهوديين ، تماماً كما يمكن استصلاح تلال اليهودية والسامرة ومنحدرات الجليل الخضراء »(١) .

هذا كلام رجل ليس بالمتحمس الاهوج ، ولكنه مفكر عالم ، يرى ما تريده الصهيونية ، ويدعو الى تحقيق ما تريد ، على خطوات حتى تخطو الصهيونية خطوتها

(١) اسرائيل الكبرى : الدكتور اسعد رزوق ص ٤١١ .

الاخيرة فتضع رجلاً في قلب العراق واخرى في قلب مصر ... وتحكم الشرق العربي كما تريد وتشاء ، وتسكن فيه خمسة عشر مليوناً من اليهود . والكابتن نورمان بنتويتش هو اليوم البروفسور بنتويتش في جامعة اكسفورد . يؤلف ويحاضر ، ويدعو الى تحقيق اهداف الصهيونية واطماعها ، التي هو احد العاملين في انشائها . فهل للمسؤولين في البلاد العربية ان يعملوا معاً لايقاف هذه الاخطار ، بازالة الوجود الصهيوني من فلسطين ؟! ..

الانتداب البريطاني على فلسطين

وانتهت الحرب العالمية الاولى بانتصار الحلفاء ، ومعهم العرب ، على المانيا وتركيا ، واحتل الجيش البريطاني فلسطين بقيادة الجنرال اللنبي سنة ١٩١٨ .. وانشأ فيها ادارة عسكرية مؤقتة .. ثم جاء الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٢ فاقامت الحكومة البريطانية ادارة مدنية في فلسطين .

وفلسطين من الناحية الجغرافية لم تكن لها حدود معينة ، لانه ، في التاريخ ، ليس هناك بلد ذو كيان جغرافي خاص يطلق عليه اسم فلسطين . وما فلسطين وما يجاورها من بلاد الا جزء من « بر الشام » اي سوريا . واسم فلسطين اطلق على قسم من بر الشام الممتد ما بين يافا وغزة ، الذي قطنه الفلسطينيون ، وعرف باسمهم ، وذلك قبل مجيء اليهود من مصر ، وظلوا مع اليهود في حروب مستمرة .. وحدود فلسطين ، التي جرى عليها الانتداب البريطاني ، تم تعيينها بين الانكليز والفرنسيين ، ولم يرض عنها الصهيونيون الذين كانوا يريدون ان يضموا اليها شرق الاردن وجنوبي سوريا وجنوبي لبنان ، بحيث تضم جميع البلاد التي يطمعون في الاستيلاء عليها ، كخطوة اولى ، استناداً الى « تصريح بلفور » ، والتي كان الاسرائيليون في التيه قد وعدوا انفسهم بها باسم « ارض كنعان » ولم ينالوا جميع ما وعدوا انفسهم به حينذاك !..

ولما أنشأت الحكومة البريطانية الادارة المدنية في فلسطين عينت اول رئيس لدولة فلسطين ، المعروف باسم « المندوب السامي » ، اليهودي الصهيوني السير **هربرت صموئيل** ، وذلك ارضاء للشعور اليهودي ، وان كانت قد طلبت من المنظمة الصهيونية حذف ما كانت قد اوردته في مذكرتها التي رفعتها الى مؤتمر الصلح في باريس ، طالبة ان يكون رئيس الحكومة الفلسطينية يهودياً .. كما عين اليهودي الصهيوني الكابتن نورمان بنتويتش نائباً عاماً ، أي رئيساً للادارة التي تسن القوانين .

وقد قام الكابتن بنتويتش بدور كبير في وضع القوانين اللازمة لتسهيل انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ومنها القوانين التي تسهل استيلاء اليهود على الاراضي في البلد ، ووضع المزارع العربي في حالة اقتصادية تضطره الى بيع بعض او كل ما يملك من ارض .. ومنها ايضاً تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين .. وهذه امور مهمة في القضية الفلسطينية ، ادت الى قيام العرب ابناء فلسطين بالاحتجاج ، والثورات ، والقتال . وليست صفحات هذا الكتاب مكاناً لبيانها . وقد سبق ان عالجت هذه الامور في كتابي « القضية الفلسطينية : تحليل ونقد » . كما ان الاستاذ صالح مسعود ابويصير عالج « جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن » في كتابه القيم بالاسم المذكور[1] .

ومن المهم الاشارة اليه ان عرب فلسطين ، رغم القوانين التي وضعت لحملهم على بيع اراضيهم ، لم يبيعوها ، كما يقول من يجهل الامر او من كان في نفسه مرض ، بل تحملوا الصعاب ، وتراكمت على الكثيرين منهم الديون ، ومع ذلك لم يبيعوا ما يملكون ، الا القليل الذي لا أثر له في مجرى قضية فلسطين[2] .

والارقام افصح تعبيراً :

ان مساحة فلسطين هي ٢٦٣٢٣٠٢٣ دنماً . والدنم يعادل الف متر مربع .

ففي سنة ١٩١٨ كان اليهود يملكون ٥٣٠٠٠٠ دنماً اي نحو ٢ ٪

وفي سنة ١٩٤٥ اصبح ما يملكون ١٤٩١٧١٦ دونماً اي ٥,٦٦ ٪ فقط من مجموع ارض فلسطين . هذا على الرغم من ان ادارة الانتداب البريطاني وضعت البلاد في حالة تساعد على تحقيق وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومما يجدر بيانه ان اليهود لم يشتروا جميع الدونمات المذكورة من الفلسطينيين ، بل اشتروا ٨٤٢١٠٠ دنماً منها ، أي ما يزيد على ثلثيها ، من الاقطاعيين اللبنانيين والسوريين المالكين لها والعائشين خارج فلسطين ... اما الاراضي التي باعها الفلسطينيون

---

(١) راجع كتاب « جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن » . للاستاذ صالح مسعود ابو يصير ، دار الفتح للطباعة والنشر . بيروت . الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ .
وكتاب « القضية الفلسطينية : تحليل ونقد » للدكتور يوسف هيكل . نشر في يافا سنة ١٩٣٧ .

(٢) راجع « القضية الفلسطينية : تحليل ونقد » للدكتور يوسف هيكل ، وبحثه عن « مشكلة الاراضي » ص ١٣٠ - ١٦٢ .

فمساحتها (٤٠٠٠٠٠) دونماً فقط ، رغم التشاريع التي وضعها الانتداب ، لحمل العرب على بيع اراضيهم الى المشترين اليهود ..

وقد ذكرت في صفحة ١٤٥ و ١٤٦ من كتابي « القضية الفلسطينية — تحليل ونقد » ما نصه :

« والمزارع الفلسطيني لا يبيع ارضه من اعدائه الا بعد ان تسد جميع ابواب الرزق في وجهه . على ان الذين اوقعوا بالعرب عامة ، وبالمزارعين خاصة ، خسائر عظيمة لا تعوض ، واضراراً فادحة لا يمكن تلافيها ، هم كبار الملاكين من غير الفلسطينيين ، فهم الــذين باعوا اليهود مساحات شاسعة من اخصب الاراضي الفلسطينية .

ولنوضح ذلك بثلاثة امثلة :

اولاً — يعد مرج بن عامر من اخصب سهول فلسطين ، واهم مصدر للغلال فيها ، مساحته (٤٠٠) الف دونم ، باع آل سرسق اللبنانيين من الصهيونيين بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٥ اكثر من (٢٠٠) الف دونم منه ، تشتمل على ٢٢ قرية ، تقطنها (١٧٤٦) عائلة ، مؤلفة من (٨٧٣٠) شخصاً . وكانت نتيجة ذلك أن بادت القرى ، واجلي اهلها وشتتوا ، وتألب عليهم البرد والجوع ، وفتكت فيهم الامراض ، واضطر كثيرون منهم إلى الجلاء النهائي ، فهاجروا الى امريكا ، وحل اليهود في المرج مكانهم ..

ثم عاد آل سرسق فباعوا بعد ذلك صفقات اخرى من هذا المرج من الصهيونيين ، حتى لم يبق منه في يد العرب الا القليل .

ثانياً — وادي الحوارث قسم من السهل الساحلي ، واراضيه خصبة جداً باعها آل التيان ، وهم من لبنان ، سنة ١٩٢٩ ، ومساحتها (٣١) الف دونم ، من اليهود بمبلغ (٤١) الف جنيه فلسطيني ...

ثالثاً — سهل الحولة ثالث الاراضي الخصبة في فلسطين .. وتقدر مساحة هذه المنطقة بـ (١٦٥) الف دونم تقريباً . ويقال ان بعض السوريين غير المقيمين في فلسطين يملكون منها (٦٥) الف دونم باعوها من اليهود .. »

ولذا فان على من يظن أن الفلسطينيين باعوا اراضيهم من اليهود وخرجوا منها ، ان يصحح معلوماته ان كان جاهلاً والا يقول ما لا يعلم ..

* * *

جهاد الفلسطينيين والكتاب الأبيض

مضى نحو ثلاثين سنة من ١٩١٩ الى ١٩٤٨ وعرب فلسطين يقاتلون وحدهم البريطانيين والصهيونيين ، دون ان ينالوا مساعدة من البلاد العربية ... وكانت الحكومة البريطانية ترسل اثر كل اضطرابات او ثورة يقوم بها اهل فلسطين العرب لجنة تحقيق . وكانت هذه اللجان تضع تقارير وافية ،[١] وتصدر الحكومة البريطانية اثر كل تقرير بياناً سياسياً تحاول فيه تفسير معنى « الوطن القومي » وتضع سياسة لاتباعها في فلسطين. وكان اهم تلك البيانات ثلاثة :

الاول صدر اثر الاضطرابات التي قام بها العرب في سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢١ احتجاجاً على سياسة « تصريح بلفور » وعرف بمفكرة تشرشل لحزيران (يونيو) ١٩٢٢ ، وجاء فيه انه لم يقصد اطلاقاً « ان تصبح فلسطين يهودية كما ان انكلترا انكليزية » .

والثاني صدر اثر الاضطرابات التي حدثت سنة ١٩٢٩ ، وعرف بمذكرة باسفيلد او الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ . واقرت فيه الحكومة البريطانية انها مسؤولة عن المحافظة على حقوق الطوائف غير اليهودية ، وأن عليها ان توليها من العناية قدر ما تولي حقوق اليهود . وقررت ان الوقت قد حان للتقدم خطوة اخرى في سبيل منح اهالي فلسطين درجة من الحكم الذاتي تتلاءم مع احكام صك الانتداب ، وانشاء مجلس تشريعي في البلاد . اثار الكتاب الابيض ثائر الصهيونيين على الحكومة البريطانية .. فهاب رئيس الوزراء المستر ماكدونالد الامر ، وارسل الى الدكتور وايزمن كتاباً فسر فيه الكتاب لأبيض ، وقضى على ما جاء فيه لصالح العرب ، والغت الحكومة البريطانية قرارها في انشاء المجلس التشريعي ، الذي أبانت فائدته وضرورته جميع اللجان الرسمية ! ..[٢]

---

(١) لجنة بالين سنة ١٩٢٠ ، ولجنة هايكرافت سنة ١٩٢١ ، ولجنة شو سنة ١٩٣٠ ، ولجنة بيل (اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ ، ولجنة وود هد سنة ١٩٣٨ . عرض المؤلف في كتابه « القضية الفلسطينية — تحليل ونقد » آراء هذه اللجان التي جاء في تقاريرها .

(٢) راجع كتاب « القضية الفلسطينية — تحليل ونقد » للمؤلف ص ٩٨ — ١٠١ وللتوسع في موضوع الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ ، وكتاب المستر ماكدونالد الى الدكتور وايزمن راجع في كتاب « الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين » من منشورات جامعة الدول العربية . الوثيقة رقم ٣١ وهي نص « الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ » ص ١٦٧ — ١٨٧ ، والوثيقة رقم ٣٢ وهي نص « كتاب المستر ماكدونالد الى الدكتور وايزمن » ص ١٨٨ — ١٩٥ .

والثالث كان البيان المعروف بالكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ . ومن الضروري قبل ذكر محتواه ان نشير الى الظروف التي ادت اليه .

شهدت فلسطين ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ اضراباً عاماً دام ستة اشهر ، وثورة فلسطينية ضد السياسة البريطانية الرامية الى ايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين . اتخذ القتال فيها بين العرب من جهة والبريطانيين والصهيونيين من جهة ثانية ، اشكالاً متعددة ، ليست صفحات هذا الكتاب مجال عرضها [١] .. وفي اثناء الثورة ارسلت الحكومة البريطانية لجنة ملكية عرفت بلجنة « بيل » ، صدر تقريرها وبيان الحكومة عنه في ٧ تموز (يوليو) ١٩٣٧ . واوصى التقرير بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : عربية ويهودية وانكليزية . وايد البيان ما جاء في التقرير واشار « الى ان من الواجب كتدبير موقت اتخاذ اجراءات لمنع المعاملات في الاراضي التي قد تمس المشروع بسوء « اي منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود في المنطقة التي حظر التقرير فيها ذلك ، وحدد الهجرة اليهودية بثمانية آلاف شخص من اليهود ، من جميع الفئات خلال مدة ثمانية اشهر ، من آب (اغسطس) ١٩٣٧ الى آذار (مارس) ١٩٣٨ ، شرط الاّ يتجاوز مقدرة البلد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين » . وذكر البيان ان «العرب سينالون استقلالهم القومي ، وبذلك يتمكنون من التعاون على قدم المساواة مع عرب البلاد المجاورة في سبيل الوحدة العربية وتقدم العرب » .

زاد ما جاء في تقرير اللجنة الملكية وبيان الحكومة البريطانية بتقسيم البلد حدة الثورة الفلسطينية ، اذ رفض العرب « التقسيم » ورأوا ألاّ سبيل لهم الا المقاومة والقتال ...

واصبحت الحكومة البريطانية ترى ان الحرب العالمية الثانية لا بد آتية ، وانها ستكون بحاجة الى جيوشها المنهمكة في قتال العرب في فلسطين الى القتال في ميادين قتال اهم ، والى ان تكون ساحة فلسطين هادئة ، فارسلت الى فلسطين « لجنة فنية » لدرس الوضع في البلد وامكانات نجاح مشروع التقسيم او عدمها . وصلت هذه اللجنة ،

(١) للوقوف على نضال أهل فلسطين راجع كتاب « جهاد فلسطين خلال نصف قرن » للاستاذ صالح مسعود ابويصير .
وكتاب « المقاومة العربية في فلسطين » للأستاذ ناجي علوش (سلسلة كتب فلسطينية ٦٠٠)
وكتاب « القضية الفلسطينية : تحليل ونقد » للدكتور يوسف هيكل .

برئاسة السير جون وود هد الى القدس في ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٣٨ ، وبقيت في فلسطين الى اوائل شهر آب (اغسطس) .. ولما عادت الى لندن اصدرت تقريرها الذي ابانت فيه المحاذير والعوائق المتعددة المتنوعة التي تحول دون امكان تحقيق مشروع التقسيم . اما عضو اللجنة المستر « ريد » فقد عبر عن رأيه في مشروع التقسيم بصراحة ووضوح في مذكرة مستقلة عن تقرير اللجنة قال فيها :

« ان تركنا الآراء جانباً جابهتنا الحقيقة الواقعة التالية وهي ان اعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات في فلسطين الى ثورة عربية قومية ، ساهم فيها العرب من بعض الاقطار العربية . لقد وفى الانتداب بوعد اعطي تحت ضغط ظروف الحرب ، اما اقتراح تقسيم البلد فهو امر آخر بالمرة ، اي انه انقلاب لا يجوز ان يجريه الاوصياء دون موافقة شعب فلسطين الذي هو ليس بالساذج المفتقر الى وصي ، ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار في هذا الشأن » .[١]

وعلى اثر هذا التقرير اصدرت الحكومة البريطانية في اوائل تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ بياناً اعلنت فيه عدولها عن مشروع التقسيم ، وانها تنوي عقد مؤتمر في لندن تدعو اليه ممثلين عن الدول العربية ، وعن عرب فلسطين ، وعن اليهود ، لدرس القضية من جميع نواحيها ، وايجاد حل لها .

عقد مؤتمر لندن ، الذي عرف بـ « مؤتمر المائدة المستديرة » في ٧ شباط (فبراير) ١٩٣٩ ، ودعي اليه من الحكومات العربية : مصر ، والعراق ، والمملكة السعودية ، واليمن ، وامارة شرق الاردن ، وممثلون عن عرب فلسطين ، وعن اليهود . وكانت الحكومة البريطانية تجتمع مع العرب في صباح اليوم ، ومع اليهود في مسائه .. وانفض المؤتمر في ١٧ آذار (مارس) ١٩٣٩ ، واصدرت الحكومة البريطانية بيانها المعروف « بالكتاب الابيض » في ايار (مايو) ١٩٣٩ او « بمذكرة ماكدونالد » رئيس الوزارة البريطانية ذلك الحين الذي ترأس المؤتمر ، واعلنت فيه الحكومة البريطانية :

« انه لا تعهداتها للعرب ، ولا مصالح بريطانية وطنية ، تبرر وجوب استمرارها في تنمية الوطن القومي اليهودي الى ابعد من المرحلة التي تم الوصول اليها . ولذلك فان الحكومة قررت :

(١) « جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن » للاستاذ صالح مسعود ابو بصير ص ٢٥١ .

١ — ان الوطن القومي اليهودي كما توخاه تصريح بلفور ، وكما توخته البيانات السابقة للسياسة البريطانية قد انشيء .

٢ — ان تنميته اكثر من ذلك ضد رغبات العرب تكون بمثابة خرق لعهود بريطانية للعرب ، وانه لا يمكن تنفيذ سياسة كهذه الا باستخدام قوة لا مبرر لها .

٣ — لذلك ، وبعد دخول الدفعة الاخيرة من المهاجرين اليهود الجدد وعددهم ٧٥ الف نسمة خلال خمس سنوات يجب ايقاف الهجرة .

٤ — خلال فترة السنوات الخمس هذه يجب ان يوضع حد لاستملاك اليهود أراضي جديدة بفلسطين .

٥ — في نهاية فترة السنوات الخمس ستنشأ مؤسسات للحكم الذاتي في البلد .

واكدت الحكومة البريطانية عزمها على تنفيذ ما جاء في الكتاب الابيض سواء قبله الطرفان ، العرب واليهود ، ام رفضاه ، وربطت ذلك بشرفها . واصدرت حكومة الانتداب في شباط (فبراير) ١٩٤٠ انظمة « منع انتقال الاراضي » التي حرمت بيع الاراضي لليهود في « القطاع أ » وتقييده في « القطاع ب » والسماح به في «القطاع ج».

ومما يجدر ذكره هنا ان الظروف الدولية وتأهب بريطانيا لدخول حرب عالمية ، ورغبتها في التقرب من العرب وكسب مودتهم ، في تلك الظروف ، هي التي دفعت الحكومة البريطانية الى اصدار « الكتاب الابيض » والتعهد بتنفيذ ما جاء فيه .

وقد انقسم العرب تجاه سياسة الحكومة البريطانية الجديدة في فلسطين ، التي عبر عنها الكتاب الابيض الى قسمين : قسم وهو الدول العربية كان ينصح بقبول « الكتاب الابيض » والتعاون مع الحكومة البريطانية في فلسطين على اساسه ، ومال الى ذلك ممثلو عرب فلسطين الذين حضروا المؤتمر ، اما القسم الثاني فهو « زعيم فلسطين » في ذلك الحين ، وكان خارج فلسطين ، فقد رفض ذلك .. رغم نصيحة الدول العربية ومعاونيه الذين حضروا المؤتمر ، بالقبول ..

اما موقف اليهود من السياسة البريطانية الجديدة في فلسطين ، التي تضمنها « الكتاب الابيض » ، فكان ثورة عارمة ضدها في جميع الميادين .. وليست صفحات هذا الكتاب مكاناً لبيان ما قام به الصهيونيون من قتل وارهاب للانجليز في فلسطين ،

باشراف « الوكالة اليهودية » ، التي اصبحت فيما بعد « حكومة اسرائيل » .. غير انني اذكر بعض المواقف الصهيونية السياسية التي رمت الى قتل سياسة « الكتاب الابيض » والى اقامة « دولة اسرائيل » .

حملت الصهيونية العالمية على السياسة البريطانية الجديدة في فلسطين ، ونقلت مركز ثقلها من بريطانيا الى الولايات المتحدة الامريكية .. وكما استغل الصهيونيون الحرب العالمية الاولى للحصول على اعتراف من الدول الغربية بحقهم في ايجاد وطن قومي في فلسطين ، فانهم انتهزوا الحرب العالمية الثانية للضغط على بريطانيا وحملها على الغاء سياسة الكتاب الابيض ، وتأييد دول الحلفاء لهم في اقامة « دولة يهودية » في فلسطين . وكان الضغط على بريطانيا في ميادين اهمها ميدان استعمال القوة ضد حكومة الانتداب في فلسطين ، وقتل بريطانيين من مدنيين وجنود ، لحمل بريطانيا على التخلي عن الانتداب ، لينشئوا « الدولة اليهودية » بالقوة، وميدان الضغط عليها بواسطة حكومة الولايات المتحدة الامريكية ...

ففي أيار (مايو) ١٩٤٢ عقد الصهيونيون مؤتمراً في فندق « بلتيمور » بنيويورك واصروا « على تنفيذ برنامج بازل تنفيذاً كاملاً » .. واتخذوا في ١١ ايار قرارات تتعلق بالسياسة الواجب اتباعها لتحقيق قيام دولة اسرائيل ، عرفت باسم « برنامج بلتيمور » دعوا فيه الى :

« تأسيس كومنولث يهودي فوراً في فلسطين يكون جزءاً لا يتجزأ من العالم الديمقراطي الجديد ، ورفض الكتاب الابيض الذي صدر في سنة ١٩٣٩ ، واباحة الهجرة اليهودية دون قيود الى فلسطين والاستيطان فيها ، وتكليف الوكالة اليهودية بالاشراف على الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها ، وانشاء قوة يهودية عسكرية معترف بها تكون لها رايتها الخاصة » (١) .

تبنت المنظمات الصهيونية « برنامج بلتيمور » . وفي ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ وافق المجلس العام للمنظمة الصهيونية العالمية عليه باعتباره السياسة الرسمية للصهيونية .

---

(١) ESCO Foundation, Palestine : A Study of Jewish Arab & British Policies ص ١٠٨٤ .

الضغط الصهيوني على امريكا

واخذ الصهيونيون يضغطون على **الرئيس روزفلت** لنيل مساعدته في تحقيق برنامجهم في فلسطين .. فأرسل الرئيس روزفلت مندوباً شخصياً له الى الشرق الاوسط هو **الجنرال باتريك ج هارلي** ، فقام باتصالاته .. وكتب الى روزفلت في ٣ ايار (مايو) ١٩٤٣ تقريراً جاء فيه :

« لقد اظهرت المنظمة الصهيونية في فلسطين التزامها ببرنامج واسع يرمي الى :

١ ــ ايجاد دولة يهودية ذات سيادة تضم فلسطين وربما فيما بعد شرق الاردن .

٢ ــ نقل السكان العرب فيما بعد من فلسطين الى العراق .

٣ ــ تحقيق الزعامة اليهودية على الشرق الاوسط بكامله في مجالات التنمية الاقتصادية والسيطرة »[1] (!؟) ...

ولا بد لنا هنا من ان نذكر ، ونحن بصدد الضغط الصهيوني على الرئيس روزفلت مقابلة الرئيس روزفلت **للملك عبد العزيز آل سعود** :

زار الرئيس روزفلت في اثناء الحرب العالمية الثانية ، الشرق الاوسط .. وفي ١٤ شباط (فبراير) ١٩٤٥ اجتمع مع الملك عبد العزيز آل سعود على ظهر الطراد الامريكي كوينسي في البحيرة المرّة في قناة السويس . وتحدث الزعيمان عن الشؤون الدولية ذات العلاقة بالبلاد العربية بصورة عامة ، وبفلسطين بصورة خاصة .. ويقال انه جرى ، خلال ذلك ، حديث بينهما عن المدينة المنورة واليهود ، اضع فحواه بالشكل التالي :

سأل الرئيس رزوفلت الملك عبد العزيز :

ــ متى ستسمحون لليهود بالقدوم الى المدينة وسكناها ؟

استغرب الملك عبد العزيز السؤال وأثار شعوره فأجاب :

ــ ما معنى هذا السؤال ، وما علاقته بموضوع فلسطين ؟

اجاب الرئيس روزفلت موضحاً :

---

(١) United States : Foreign Relations of the U. S. : Near East and Africa (Washington D. C. 1964 Vol. IV P. 776 and 777.)

ــ سكن اليهود اقساماً كبيرة من المدينة وملكوا اجزاء من شمالي الحجاز ، ومن حقهم ان يعودوا الى المدينة والى تلك الاجزاء من الحجاز . متى ستمكنونهم من ذلك ؟

دهش الملك عبد العزيز من كلام الرئيس روزفلت واستغربه واستهجنه واثار شعوره واغضبه وقال :

ــ هذا كلام لا ينبغي ان يقال ولا اريد ان اسمعه .

وبذلك اوقف الحديث فيه ..

ومطالب الرئيس روزفلت ، الذي كان يعيش في القرن العشرين ورئيس دولة عصرية متمدنة .. ينبغي ان يفتح اعين من يظنون ان بلادهم في مأمن من اطماع الصهيونيين ومن شرهم .. وكذلك القول الذي جاء في تقرير الجنرال هارلي الى الرئيس روزفلت بأن الصهيونية العالمية تريد « تحقيق الزعامة اليهودية على الشرق الاوسط بكامله في مجالات التنمية الاقتصادية والسيطرة » . هذا اذا نظر الى الموضوع نظرة اقليمية ولم يؤخذ بعين الاعتبار ان البلاد العربية جميعاً وطن عربي واحد .. وهل بعد ذلك القول من حدود للاطماع الصهيونية في البلاد العربية ؟!..

ويذكر التاريخ ان الرئيس روزفلت تأثر بحديث الملك عبد العزيز آل سعود عن قضية فلسطين وحق العرب فيها ، وعما ستنجمه الصهيونية من اخطار في المنطقة . وقد طمأن الرئيس روزفلت محدثه . وقبل وفاته باسبوع ارسل الى الملك عبد العزيز كتاباً تأريخه ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ ، أكد فيه ما قاله للملك شفاهاً وهو :

١ ــ انه شخصياً ، كرئيس للولايات المتحدة الامريكية لن يقوم بعمل ما يمكن ان يكون عدائياً للعرب .

٢ ــ وان حكومة الولايات المتحدة الامريكية لن تحدث تغيرات في سياستها الاساسية في فلسطين دون مشاورات سابقة وافية مع الفريقين اليهود والعرب .

وبعد وفاة الرئيس روزفلت اشتد الضغط الصهيوني على الحكومتين البريطانية والامريكية . وتقدمت الوكالة اليهودية من الحكومة البريطانية في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٤٥ بالمطالب التالية :

١ ــ اعلان قرار فوري باعتبار فلسطين « دون تجزئة او نقصان » دولة يهودية .

٢ ـ تخويل الوكالة اليهودية حق الاشراف على الهجرة اليهودية الى فلسطين .

٣ ـ تأمين قرض دولي لتمويل هجرة « أول مليون » يهودي الى فلسطين .

٤ ـ منح تعويضات عينية من المانيا للشعب اليهودي كي « يعيد بناء » فلسطين — وكدفعة اولى — تستعمل جميع الممتلكات الألمانية في فلسطين لاعادة اسكان اليهود من اوروبا .

٥ ـ تأمين جميع التسهيلات الدولية الحرة لخروج ونقل جميع اليهود الراغبين الاستيطان في فلسطين .[١]

تقدمت الوكالة اليهودية بمطالبها هذه التي تنم عن روح الغطرسة والعزم على السيطرة واليهود لا يشكلون في فلسطين سوى ٣١٪ ولا يملكون الا ٥,٥٪ من اراضيها !. والذي شجعها على ذلك ما توصلت اليه من نفوذ على حكومة الولايات المتحدة الامريكية ...

وبوفاة الرئيس روزفلت تولى الرئاسة المستر هاري ترومان في ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ وله مع الصهيونيين علاقات وثيقة اذ كان شريكاً ليهودي في « دكان » ملبوسات .. فكان مطواعاً لرغبات الصهيونيين والعمل حسب مشيئتهم . وقد حملوه بسهولة على ان يطلب من الحكومة البريطانية ادخال مئة الف يهودي الى فلسطين حالاً ، خلافاً لما جاء في الكتاب الابيض .. فاضطرت الحكومة البريطانية امام الضغط الأمريكي ان تعلن في ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ ان باب الهجرة سيظل مفتوحاً بعد انتهاء المدة التي حددها الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ ، وان لجنة بريطانية امريكية ذاهبة الى فلسطين لاجراء تحقيق في القضية !..

وكان جلياً أن الغاية من تأليف هذه اللجنة هو وضعها تقريراً عن قضية فلسطين يؤدي الى الغاء ما جاء في الكتاب الابيض ، والى فتح ابواب الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وحرية بيع الاراضي من الصهيونيين ، وهما الدعامتان اللتان يقوم عليهما انشاء الوطن القومي اليهودي وبالتالي الدولة اليهودية ، وكان الكتاب الابيض قد

---

(١) ص ١٣٩ و ١٤٠ من Royal Institute for International Affairs. Great Britain and Palestine 1915 - 1945.

حددهما تحديداً لا يسمح لليهود بأن يصبحوا اكثرية في فلسطين ولا ان يستولوا على اراضيها بطرق مشروعة ...

قدمت اللجنة البريطانية الامريكية الى فلسطين في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ ، وسمعت شهادات من العرب واليهود .. ووضعت تقريرها في نيسان (ابريل) ١٩٤٦ الذي نص على :

١ ـ ادخال مئة الف مهاجر يهودي جديد (وهو ما طالب به الرئيس ترومان)

٢ ـ رفع الحظر عن انتقال الاراضي الى اليهود .

٣ ـ بقاء الانتداب حتى يصبح في الامكان قيام دولة او دول فلسطينية .

وبهذا تم للصهيونيين الغاء ما جاء في « الكتاب الابيض » ، والعودة الى حرية الهجرة اليهودية والاستيلاء على الاراضي ...

ولم يكتف الصهيونيون بذلك ، اذ كانوا يريدون تحقيق قيام « الدولة اليهودية » ، فاستمروا في جهودهم الرامية الى الوصول اليها . استمروا في ثورتهم والقيام بأعمال العنف ضد الانتداب البريطاني في فلسطين للتخلص منه ، بعد ان مكن ذاك الحكم اليهود في فلسطين ، وتابعوا مساعيهم السياسية للحصول على قرار دولي بايجاد « الدولة اليهودية » ...

وقد قامت الحكومة البريطانية بآخر مسعى لتسوية قضية فلسطين فاقترحت على العرب واليهود استمرار الوصاية البريطانية على فلسطين خمس سنوات اخرى تعد خلالها البلد للاستقلال . فتقدم العرب بمقترحات لم تقبلها الحكومة البريطانية ، اما الوكالة اليهودية فرفضت الاقتراح كلياً ، وتابعت اعمالها الارهابية والتخريبية ضد حكومة الانتداب بنشاط اشد ، وقوة اعظم ، لتحملها على الخروج من فلسطين[١].

وامام ثورة الصهيونيين على حكومة الانتداب في فلسطين ، وفقدان ثقة العرب بها وعدم تعاونهم معها ، وامام ضغط الحكومة الامريكية على الحكومة البريطانية لمصلحة الصهيونيين ، رأت الحكومة البريطانية انها لا تستطيع الاستمرار في انتدابها على فلسطين فأعلن وزير الخارجية البريطانية ، في ١٨ شباط (فبراير) ١٩٤٧ ، في مجلس العموم ان حكومة صاحبة الجلالة تبينت « ان الانتداب اثبت انه غير قابل للتنفيذ من ناحية

---

(١) Cmd. 7088 « Proposals for the Future of Palestine »

عملية ، وانه اتضح ان الالتزامات المقطوعة لكلا الطائفتين غير قابلة للتوفيق [1] » ، ولذلك فانها تعلن نيتها في التخلي عن هذا الانتداب في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ .

القضية الفلسطينية امام الامم المتحدة

تم للصهيونيين التغلب على الحكومة البريطانية بحملها على الخروج من فلسطين ، وأخذوا يعملون لدى الرئيس الامريكي ، ولدى الامم المتحدة ، التي وضعت قضية فلسطين بين يديها ، لتحقيق قيام « الدولة اليهودية » ، وبالتالي اخراج اهل فلسطين العرب من ديارهم ، وفقاً للبرنامج الصهيوني المرسوم ...

شكلت الجمعية العامة للأمم المتحدة « لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين » وعهدت اليها بالذهاب الى فلسطين والتحقيق في قضيتها وتقديم تقرير عن ذلك ...

قامت اللجنة بما عهد اليها ، وقدمت تقريرها في ٣١ آب (اغسطس) ١٩٤٧ ، وهو يحتوي على مشروعين :

الاول مشروع الاكثرية ، وهومشروع التقسيم ، ويقضي بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما يهودية والاخرى عربية ، مع وحدة اقتصادية فيما بينهما ، والى منطقة ثالثة دولية تحتوي على القدس وما حولها من قرى واراض ..

والثاني وهو مشروع الاقلية اوصى بايجاد دولة اتحادية ..

اعطي قسم « الدولة اليهودية » ٥٦,٣٥٪ من مجموع مساحة فلسطين ، اي (١٤٥٠٠٠٠٠) دونم من اصل (٢٦٣٢٣٠٢٣) دونمـاً ، في حين ان اليهود كانوا لا يملكون الا نحو ٥,٦٦٪ من مساحة فلسطين أي (١٤٩١٧١٦) دونمـاً فقط ! وكان يسكن القسم الذي خصص للدولة اليهودية ٤٩٩٠٢٠ من اليهود و ٥٠٩٧٨٠ من العرب . وقد عمل الصهيونيون فيما بعد على طرد واخراج أكثر من ٩٠٪ من هؤلاء العرب من مدنهم وقراهم واراضيهم في القسم المخصص للدولة اليهودية في سنة ١٩٤٨ ...

وأبقي للعرب ، اصحاب البلد ، ٤٣٪ من مساحة فلسطـين ، أي (١١٨٠٠٠٠٠)

(١) ص ٢٧ Palestine : Supplementary Memorandum to U N S C O P وجاء ايضاً في ملف القضية الفلسطينية ص ٤٢ .

دونماً فقط ، ليقيموا عليها « الدولة العربية » ، مع انهم يملكون ٩٤٪ من مساحة فلسطين . وكان في هذا القسم من السكان (٧٢٥) الفاً من العرب وعشرة آلاف من اليهود . على أن اليهود ضموا الى قسمهم سنة ١٩٤٨ ، اكثر من نصف القسم الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ، وشردوا نحو مليون ومئتي الف من اهل فلسطين العرب .

والقسم الدولي يؤلف من ٠,٦٥٪ أي أقل من واحد في المئة من أراضي فلسطين وفيه بقية سكان فلسطين ، وتتولى ادارته الامم المتحدة حسب مشروع التقسيم .

وعلى اثر صدور تقرير اللجنة بتقسيم فلسطين ، جندت الصهيونية العالمية جميع قواها من فكرية ومالية وجنسية .. وخلقية .. لينال تقرير التقسيم الاكثرية اللازمة لنجاحه في الهيئة العامة للأمم المتحدة .. وقام الرئيس ترومان بدور كبير غريب في سبيل تحقيق ذلك ، فضغط بثقل الولايات المتحدة الامريكية على كثير من الدول الاعضاء وحملها على اعطاء اصواتها لمشروع التقسيم ، على الرغم من انها كانت لا تؤمن بصوابه ولا بعدالته .. ولم يكن تصرفه هذا تصرف رئيس أكبر دولة في العالم مسؤول ، وانما اشبه بتصرف رئيس عصابة تغتصب ضمائر الناس ..

وأقرت الهيئة العامة للامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ مشروع تقسيم فلسطين ، باكثرية صوتين على العدد اللازم لنجاحه[1] . وبقرارها هذا خرقت الامم المتحدة ميثاقها ، اذ لا حق لها مطلقاً في تقسيم البلاد ضد رغبة سكانها ، واقرت انها ليست سوى اداة طيعة في يد الولايات المتحدة الامريكية ، تسيرها كما تشاء .

(ومما لاحظه بيتان ب. بوتر « ان الولايات المتحدة ، كانت تستخدم نفوذاً بغير حق لكي يتم اقرار مشروع التقسيم » . وانتقد الدكتور ستيفن ب.ل. بنروز رئيس جامعة بيروت الامريكية الضغط الامريكي الذي تم التوسّل به للوصول الى اقرار مشروع التقسيم قائلاً :

(١) صوتت ٣٣ دولة مع التقسيم ، وصوتت ١٣ دولة ضده ، وامتنعت عشر دول عن التصويت ، ونجاح مشروع القرار يتطلب ثلثي اصوات المقترعين . وكان من الظاهر قبل التصويت ببضعة ايام ان مشروع التقسيم لا يظفر بأغلبية الثلثين ، فعملت الحكومة الامريكية ، بأمر من الرئيس ترومان على تأجيل الاقتراع عدة مرات ، وخلال ذلك ضغط الرئيس ترومان على : الصين واثيوبيا واليونان وهاييتي وليبيريا والفلبين ، التي كانت عازمة على رفض التقسيم . فأذعنت هذه الدول لمشيئته عدا اليونان التي اصرت على موقفها وصوتت ضد التقسيم ..

« ان المناورة السياسية التي ادت الى موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة نهائياً على تقرير اغلبية لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين إنما تعدّ صفحة من اسود الصفحات في تاريخ السياسة الدولية الامريكية . وليس ثمة شك في ان الضغط الامريكي هو الذي ادى الى قبول توصية تقسيم فلسطين مع وحدتها الاقتصادية عندما اقترعت عليها الجمعية العامة في يوم ٢٩ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . وان هذا الضغط الامريكي الفعال لاقرار التقسيم هو الذي يعزى اليه عامةً سبب الانهيار الفظيع الذي تعرضت له السمعة الامريكية في جميع انحاء العالم العربي والاسلامي » [١] .

ولا بد للمفكر من ان يتساءل ونحن في هذا الموضوع : ماذا يكون موقف رجل البيت الابيض ، وموقف الشعب الامريكي ، فيما لو اتخذت الامم المتحدة قراراً بانشاء دولة صينية في كاليفورنيا ، تضم من فيها من صينيين الآن ، وثلاثين مليوناً من الصين نفسها ، بداعي ان لدى الولايات المتحدة اراضي شاسعة غير مأهولة ، وأن بلادها تتسع لما يزيد على خمسمائة مليون من السكان ، في حين ان الصين بلاد مكتظة بالسكان ، وأن اخراج ثلاثين مليوناً منهم واسكانهم في كاليفورنيا ضمن دولة مستقلة لهم فيها ، عمل انساني حكيم ؟!

هل يوافق رئيس الحكومة الامريكية على ذلك ؟ وهل يقبل الشعب الامريكي ، المحب للانسانية العطوف على الشعوب ، بقرار الامم المتحدة ويدعو الى تنفيذه ؟ ام ان الرئيس الامريكي والشعب الامريكي يثوران ، ويريان في قرار الامم المتحدة عملاً جنونياً خارجاً عن صلاحياتها ، ولا يتضمن اي عنصر من القانونية ؟. وقرار كهذا تأخذه الامم المتحدة هو كالقرار الذي اتخذته في تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية في قسم مهم منها !..

فاز الصهيونيون بالقبض بأيديهم على قرار من الامم المتحدة بانشاء دولة يهودية ، ذلك القرار غير قانوني ، ومغاير لكل عدالة ، ومناهض لكل انسانية ، ويحتوي على بذور لأعمال عنف وحروب لا يعرف ما ستجلب من مآسٍ للناس وللانسانية الا صفحات التاريخ المقبل ، بالاضافة الى ما سجله منها حتى الآن .

وقرار التقسيم كتصريح بلفور ، كل منهما لا يعطي أي حق ، ولكن من لا

---

(١) فلسطين في ضوء الحق والعدل : للأستاذ هنري كتن ص ٢٨ .

يحمل حقاً يحمل هاتين الوثيقتين غير القانونيتين ، ليحقق ما جاء فيهما بالقوة ! !

قال هرتزل : اعطونا السيادة على ارض ، والباقي نحن مسؤولون عن تحقيقه بأنفسنا ..

وفي مساء ١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨ انسحب المندوب السامي البريطاني وادارته من فلسطين ، واعلنت الوكالة اليهودية قيام « دولة اسرائيل » ، واعترفت بها على الفور حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، وتلا ذلك اعتراف الاتحاد السوفياتي ودول اخرى ..

فما الذي قام به الصهيونيون من اعمال للوصول الى بعض اهدافهم اثر قرار التقسيم ، وبعد قيام دولة اسرائيل ؟.

— ٣ —

أطماع الصهيونيين وأهدافهم منذ قرار التقسيم الى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧

اعطى قرار التقسيم الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ السيادة لليهود على ما مساحته ٥٦٪ من ارض فلسطين .. وكان ذلك اليوم اهم يوم في تاريخهم منذ الفي سنة .. حققوا فيه احلاماً راودتهم طوال تلك القرون .. فهل اقتنع اليهود بما حققوه عن طريق الرئيس الامريكي والامم المتحدة ؟ كلا . انه كان الاساس الذي ارادت الصهيونية ان تجعل منه « قلعة » « الدولة اليهودية »، التي تنطلق منها بالتوسع في البلاد العربية حتى تشيد « اسرائيل الكبرى » ما بين النيل والفرات .. لقد حصلت سياسة هرتزل على « السيادة على ارض » ، ومنها قام الصهيونيون يعملون لتحقيق الباقي بأنفسهم ..

الصهيونيون يحتلون ويرحّلون

وفي اليوم التالي لقرار التقسيم حدثت اضطرابات بين العرب واليهود في فلسطين.. واخذ الصهيونيون ينفذون خططهم المرسومة ، بارغام العرب على الرحيل عن مزارعهم وقراهم ومدنهم في مختلف انحاء فلسطين بقوة الحديد والنار ، بالارهاب والتعذيب والتشنيع والقتل .. حتى يستولوا على اراضيهم وقراهم ومدنهم خالية من العرب .. فالدولة اليهودية التي تقرر انشاؤها فيها من العرب ٥٠٩٧٨٠ نسمة اي فيها من

السكان العرب ما يزيد على السكان اليهود ، وهذا ما لا يرضي الصهيونيين ، فعمدوا الى حملهم على الرحيل .. والصهيونيون لا يكفيهم ما خصصه لهم « التقسيم » من فلسطين ، فعمدوا الى الاستيلاء على القسم الذي قررت الامم المتحدة ان يبقى عربياً ، وعلى قطاع القدس الذي قررت ان يصبح دولياً .. وكانت وسيلتهم الى ذلك الارهاب والقتال واخراج العرب من فلسطين كلها حتى تصبح يهودية صافية للصهيونيين ، ومن ثم يقومون بالتوسع في البلاد العربية الاخرى حتى ينالوا ما منحوه لانفسهم وهم في التيه ، من البلاد العربية ، من النيل الى الفرات ..

واعمال الصهيونيين التي قاموا بها ضد العرب اثر قرار التقسيم لحملهم على الرحيل عن وطنهم يطول عرضها . ولكنني اذكر المهم منها باختصار لإعطاء صورة سريعة عنهـــا .

ومما تجدر ملاحظته ، بادىء ذي بدء، أن عرب فلسطين في تلك الايام كانوا غير مسلحين ، وغير مدربين على القتال . وكانت الحكومة البريطانية تزج بالسجون كل من وجدت لديه « رصاصة » ناهيك عن السلاح .. بينما كان اليهود قد تدربوا على القتال ، في الفرقة اليهودية التي اشتركت في الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء ، وفي قواتهم العسكرية الضاربة المعروفة باسم « البالماخ » ، وقواتهم العسكرية «الهاغناه» وقواتهم الارهابية مثل « ارغون زفاي ليومي » و « شترن[1] » ... ولم تكن لدى الفلسطينيين آنذاك قيادة سياسية فعالة .. ولا قيادة عسكرية منظمة ذات دراية وخبرة .. بينما كانت عند اليهود « الوكالة اليهودية » ، وهي تشبه حكومة رسمية ، في امكانها ان تتسلم حكم البلاد في ساعة واحدة وتسيرها بدقة وانتظام .. وكانت عندهم قيادة عسكرية منظمة مدربة ، ترجع في تعليماتها الى الوكالة اليهودية ، وتنفذ خططها بطاعة وانتظام ..

اما موقف العرب ، فليست صفحات هذا الكتاب مكاناً لعرضها ، غير ان من الضروري القول بسرعة ان اهل فلسطين العرب ، امام الخطر الداهم ، قد ألفوا في مدنهم « لجاناً قومية » لتشرف على الدفاع ، ولكن كان وضعها ضعيفاً ، وادارتها غير منظمة ، ولا رابط بينها ، اذ تعمل كل منها في دائرتها دون تنسيق مع الدوائر الأخرى. وطبيعي ألا تستطيع هذه اللجان القيام بالمهمات المنتظرة منها .. كذلك الفت في فلسطين

---

(١) كان عدد جنود الهاغناه نحو ثمانين الف ، وعدد عصابة ارغون زفاي ليومي نحو عشرة آلاف مقاتل .

على عجل قوات دفاع من المواطنين الفلسطينيين ، غير انه لم تكن عندها خطة عمل منظمة ، ولم يكن هناك تنسيق بين مختلف فئاتها الضعيفة المتفرقة .. وألفت بعض الدول العربية قوات من متطوعين سوريين وعراقيين وغيرهم باسم « جيش التحرير العربي »[1] دخلت فلسطين لصد اعتداءات الصهيونيين .. غير ان هذه القوات وتلك المنظمات لم تستطع الحفاظ على المزارع والقرى والمدن العربية من السقوط في ايدي الصهيونيين في اثناء وجود الانتداب البريطاني في فلسطين المسؤول عن الامن فيها .

ولقد قمت ، بصفتي رئيس مدينة يافا ، ما بين صدور قرار التقسيم واعلان انشاء « دولة اسرائيل »، بسفرات عدة الى العواصم العربية: القاهرة، وعمان ، ودمشق ، وبيروت ،وبغداد ، اجتمعت خلالها بملوك ورؤساء جمهوريات ، وبرؤساء حكومات ووزراء خارجية ، ورؤساء قوات مسلحة ، وبرجال سياسة ، بينت لهم جميعاً الخطر الذي يهدد فلسطين كلها، وقلت انه اذا لم ترسل الدول العربية قوات مسلحة نظامية، لصد هجمات الصهيونيين ومنعهم من احتلال المدن والقرى العربية وطرد سكانها منها ، احتل الصهيونيون جميع انحاء فلسطين وطردوا اهلها ، وتمكنوا من ايجاد دولة اسرائيل في جميع فلسطين كخطوة اولى .. ومن ثم اتجهوا نحو البلاد العربية الاخرى لتحقيق « اسرائيل الكبرى » ..

قررت دول عربية ارسال قوات نظامية الى فلسطين لانقاذ القسم من فلسطين الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ، ولدرء الارهاب الصهيوني عن السكان .. غير ان الحكومة البريطانية ، منعت الدول العربية من ارسال قوات نظامية الى فلسطين قبل انتهاء الانتداب في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وقالت، منذرة، ان القوات البريطانية في فلسطين ستمنع بالقوة دخول جيوش عربية اليها ! .. وهكذا بقي المجال مفتوحاً امام القوات الصهيونية لطرد العرب من القسم من فلسطين الذي قررت الامم المتحدة انشاء دولة يهودية فيه ، ولتوغلها في القسم الذي تقرر ان يبقى عربياً ، واخراج سكانه منه .. حتى يتم لها احتلال فلسطين كلها ..

وفي تلك الاثناء ، اي قبل انتهاء الانتداب وقيام دولة اسرائيل ، قام الصهيونيون بأعمال همجية وحشية ضد العرب لارهابهم واخراجهم من بلادهم والاستيلاء عليها .

---

(١) قدر عدد قواته بسبعة آلاف مقاتل .

وذكر تلك الأعمال الهمجية يطول[١] ، غير انني اكتفي بذكر الجريمة البربرية التي ارتكبها الصهيونيون في « **دير ياسين** » :

في مساء ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ قامت منظمتا ارغون وشترن الارهابيتان اللتان تعملان بالتفاهم مع الوكالة اليهودية وبالتعاون مع « الهاغناه » ، وهي القوة العسكرية للوكالة اليهودية ، بجريمة وحشية بربرية في قرية « دير ياسين » ، القريبة من القدس ، والتي يعيش سكانها بسلام مع سكان المستعمرات اليهودية . طلب الصهيونيون ، بمكبرات الصوت ، من سكان القرية الخروج من منازلهم . ولما خرج السكان العزل من السلاح اعمل الصهيونيون فيهم القتل والتشنيع والتمثيل . فقتلوا الرجال والنساء والاطفال ... وبقروا بطون الحبالى من النساء ، وذبحوا الاطفال في احضان امهاتهم وأمام أعينهن .. وكان عدد القتلى في تلك الليلة السوداء (٢٥٠) قتيلاً .. واخذوا اسرى من نساء وبنات وجردوهن من ثيابهن ووضعوهن في سيارات شحن مفتوحة ، وطافوا بهن في الشوارع اليهودية في القدس لتسخر منهن جماهير اليهود !.. حدث هذا في القرن العشرين وعلى ايدي من يدعون المدنية ويطالبون العرب بالاعتراف بهم والتعاون معهم ! ؟ .. حدث هذا وحكومة الانتداب البريطانية لا تزال في فلسطين مسئولة عن الأمن فيها ! .. وكأن معنى حفظ الأمن في نظرها .. تكبيل فريق ومنعه من الدفاع عن نفسه ، واطلاق الحرية للفريق الآخر ليعتدي كما يشاء ..

هزت هذه الجريمة المروعة الضمير العالمي وطالبت جمعية الصليب الاحمر ان تطلع على الحقيقة . طلب مندوبها السيد جاك ريجينير من الوكالة اليهودية السماح له بزيارة « دير ياسين » ، فماطلت الوكالة يوماً كاملاً ، حتى تأخذ وقتاً لازالة آثار جريمتها . جمع الصهيونيون جثث واشلاء ضحايا اعمالهم الاجرامية ورموها في بئر القرية وقفلو بابه ، وحاولوا تغيير معالم المكان كيلا يعثر عليه ممثل الصليب الاحمر . غير انه عثر على البئر ووجد فيها (١٥٠) جثة مشوهة لنساء واطفال ..

ذهل مندوب الصليب الأحمر مما رأى .. وعلاوة على الجثث التي وجدها في البئر وجد غيرها في الطرق وفي خرائب البيوت المدمرة .. ووجد طفلة تبلغ من العمر ست سنوات ، مصابة بجروح ولكن لا يزال فيها رمق من الحياة ، تحت جثث فارقتها الحياة ، فانتشلها واخذها بنفسه الى المستشفى .. وقد وصف ممثل الصليب الاحمر

(١) يمكن مراجعة ذلك في كتاب « اعتداءات اسرائيل » الذي اصدرته الامانة العامة للجامعة العربية .

همجية مذبحة دير ياسين في تقرير مفصل ..

ولما تناقلت الانباء اخبار هذه المذبحة الاجرامية الشنيعة ، عن مصدر رسمي ، صرح وزير الدولة لشؤون المستعمرات يوم ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ في مجلس العموم قائلاً :

« لقد كان هذا العدوان البربري دليلاً على الوحشية ، وهو بمثابة جريمة جديدة اضيفت الى سلسلة طويلة من الآثام الفظيعة التي ارتكبها اليهود حتى اليوم ، والتي تعجز الكلمات عن وصف ما تنطوي عليه من بواعث الاشمئزاز والحزن العميق » .

واخذت الصحافة العالمية والكتاب ، وبعضهم من اليهود ، يندددون بعمل الصهيونيين الاجرامي في « دير ياسين » .

وقال جون كيمشي اليهودي الصهيوني البريطاني الجنسية في كتابه « الأعمدة السبعة المنهارة » عن مذبحة دير ياسين ما نصه :

« يوم الجمعة التاسع من ابريل ١٩٤٨ ، قامت قوة من فرق الكومندوز ، وكانت مؤلفة من جنود عصابتي ارجون وشتيرن ، بالاغارة على القرية ، ولم تكن هناك مناسبة واضحة تدعوهم الى القيام بهذا العمل ، ولم يكن فيما قالوه ثمة ما يوضح الاسباب التي ادت الى مقتل (٢٥٠) من العرب الابرياء من بينهم اكثر من مائة امرأة وطفل ، ولم يكن ما اعقب ذلك من قيام عصابة ارجون باستعراض علني لعدد من الاسرى العرب التعساء في شوارع القدس باقل اثارة للاشمئزاز مما حدث .

لقد كانت مذبحة دير ياسين نقطة سوداء في سجل التاريخ اليهودي خلال سني القتال كلها ، ومما يبرر ذلك انها ادت الى هرب من تبقى من العرب في منطقة الدولة اليهودية بسبب ما انتابهم من فزع ، ومن ثم قلت الخسائر في الجانب اليهودي »[١] .

وذكر المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي في كتابه « دراسة للتاريخ » ما نصه :

« ان رد فعل اليهود المباشر لتجربتهم الخاصة هو ان يصبحوا ظالمين بدورهم اول

(١) جون كيمشي : كتاب « الاعمدة السبعة المنهارة » ص ٢٢٧ و ٢٢٨ .

مرة منذ سنة ١٣٥ بعد الميلاد ، وذلك بمجرد ان لاحت لهم اول فرصة لكي يوقعوا بغيرهم من بني البشر – ممن لم يقترفوا اي اثم في حقهم وانما شاءت الاقدار ان يكونوا اضعف منهم – بعض المظالم والمعاناه التي الحقت باليهود على ايدي الكثيرين من مضطهدين من الحكام الغربيين غير اليهود خلال عشر قرناً . ذلك أن ٦٨٤ الف مواطن عربي ، من مجموع السكان العرب البالغ عددهم ٨٥٩ الفاً كانوا يعيشون في المناطق الفلسطينية التي احتلها اليهود الصهاينة بقوة السلاح في سنة ١٩٤٨ ، قد فقدوا ديارهم وممتلكاتهم ، واصبحوا من الاشخاص المعدمين المعزولين .

ان من الأفعال الشريرة التي اقترفها اليهود الصهاينة ضد عرب فلسطين ، الشبيهة بالجرائم التي ارتكبت ضد اليهود على ايدي النازيين ، كان ذبح الرجال والنساء والاطفال في قرية دير ياسين في التاسع من ابريل ١٩٤٨ ، وهي المذبحة التي عجلت بهرب اعداد ضخمة من السكان العرب من الأحياء التي تقع داخل نطاق مرمى القوات المسلحة اليهودية ، وما تبع ذلك من طرد متعمد للسكان العرب من الأحياء التي اعتدت عليها القوات المسلحة اليهودية فيما بين الخامس من مايو ١٩٤٨ واواخر ذلك العام ..

وعلى هذه المذبحة وعمليات الطرد ، تقع مسؤولية نفي المعزولين من عرب فلسطين من الاراضي التي تعرضت للغزو الاسرائيلي ، هؤلاء الذين فروا من هذه الاراضي او طردوا منها عقب التاسع من شهر ابريل ١٩٤٨ .

ان مسؤولية الدماء التي اريقت في دير ياسين في التاسع من ابريل ١٩٤٨ تقع على عاتق عصابة ارجون ، اما مسؤولية عمليات الطرد التي جرت بعد الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ فانها تقع على عاتق اسرائيل كلها »[1] .

وقد ضرب الصهيونيون المدن العربية بالقنابل لحمل السكان على الرحيل عنها تمهيداً لاحتلالها .. وفي اثناء احتلال الصهيونيين مدينة حيفا في ٢٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ كنت في بغداد، اقابل المسؤولين فيها سعياً وراء السلاح والرجال للدفاع عن مدينة يافا .. فحملتني اخبار حيفا على الاسراع في العودة الى يافا . وفي ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ اخذت كتاباً من الفريق اسماعيل صفوت باشا موجهاً الى الفريق طه باشا الهاشمي القائد الاعلى لجيش التحرير ومقره دمشق ، ليساعدني في الدفاع عن

---

(١) ارنولد توينبي : كتاب « دراسة للتاريخ » ، المجلد الثالث ص ٢٨٩ و ٢٩٠ .

يافا ، التي اخذ الصهيونيون يضربون احياءها الآهلة بالسكان بالقنابل ، لارهابهم وحملهم على الرحيل .. وفي حديث مع طه باشا اقتنع بضرورة ارسال قوة لنجدة الحامية التي في يافا ولصد الاعتداءات الصهيونية واصدر تعليماته بذلك .. وتابعت سيري بالسيارة الى يافا عن طريق عمان .. وعندما وصلت مركز البوليس القريب من بيت دجن في ٢٨ نيسان (ابريل) ، اذا بأفراد من الجيش البريطاني يحولون بيني وبين متابعتي السير الى يافا . اوقفتهم على اسمي ومركزي ، فأجابوا بأن تعليمات مدير البوليس لهم صريحة بان يمنعوا اياً كان من دخول يافا، ولكنهم يسهلون الخروج منها ! . طلبت من الضابط البريطاني الاتصال بصاحب الامر واعلامه ان رئيس بلدية يافا يريد دخول المدينة ، وانه يصر على ذلك . فعاد الضابط قائلاً لي : يمكنك دخول يافا ولكن انت وحدك مسؤول عما يصيبك من ضرر .. تابعت السير ودخلت مدينة يافا . وكانت قوة الميجر ميشيل العيسى ، التي امر بارسالها طه باشا الهاشمي قد وصلت المدينة قبل وصولي بساعات . وجدت أن القنابل اليهودية قد عملت مفعولها وحملت على الرحيل معظم سكان يافا البالغ عددهم مائة الف عربي .. وان اليهود قد احتلوا الحي الشمالي من المدينة المعروف باسم المنشية ..[1]

وهكذا تمكن الصهيونيون من تحقيق بعض اهدافهم ، الرامية الى احتلال فلسطين كلها وطرد سكانها العرب منها في اثناء الانتداب وقبل قيام « دولة اسرائيل » ..

ففي القسم الخاص بالدولة اليهودية استولى الصهيونيون على مئات القرى العربية وعلى مدن عربية مهمة : استولوا على طبريا في ١٩ (ابريل) ١٩٤٨ ، وعلى حيفا في ٢٢ منه وعلى بيسان في ٨ ايار (مايو) ، وعلى صفد في ١٠ منه .

وفي القسم المقرر للدولة العربية استولى اليهود على عديد من القرى منها قزازة وسلمه ويازور وسريس والقسطل وبيار عدس، وعلى مدينة عكا في ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ . اما مدينة يافا فاستولوا في ٢٨ نيسان (ابريل) على القسم الشمالي منها المسمى بالمنشية ، وعلى سائر المدينة يوم انتهاء الانتداب .

وفي قطاع القدس الدولي استولوا على القسم العربي الحديث منها في ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، وكانوا قد قاموا بمذبحة دير ياسين في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ .

---

(١) في كتابي « مأساة مدينة الزهور » وهو مخطوط ، ابحاث مفصلة عن مدينة يافا وسقوطها بايدي الصهيونيين .

وقد طرد الصهيونيون في الأشهر الستة التي بين التقسيم وبين قيام دولة اسرائيل اربعمائة الف عربي من ديارهم ، بينما كان الانتداب البريطاني قائماً ومن واجباته المحافظة على الامن .. وهذا في حد ذاته تكذيب واضح للادعاءات اليهودية الصهيونية التي تقول أن العرب خرجوا من ديارهم عندما دخلت الجيوش العربية فلسطين بعد ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ بناء على طلب زعمائهم ، ذلك ليسهل على تلك الجيوش قتال الصهيونيين ! ..

قيام الدولة اليهودية

وجاء ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ الذي انتهى فيه الانتداب رسمياً على فلسطين وانسحب المندوب السامي البريطاني السير الن كننكهام وادارته من البلد ، وأعلن الصهيونيون « الدولة اليهودية » وتألفت الحكومة الاسرائيلية من اعضاء الوكالة اليهودية .. وتابعت هذه الحكومة الأعمال الارهابية ضد عرب فلسطين بغية «التوسع » في فلسطين وحمل العرب على الرحيل .. وكان لا بد ، والحالة هذه ، للدول العربية من ان تتدخل ما دامت الامم المتحدة لم تعمل شيئاً لاستتباب الامن في فلسطين . وابرق الامين العام للجامعة العربية في ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، الى الامين العام للامم المتحدة يعلمه أن الدول العربية « كانت مضطرة الى التدخل لا لشيء سوى اعادة السلام الى نصابه واقرار الامن والنظام في فلسطين .. ومنع انتشار الفوضى في الاراضي العربية المجاورة وملء الفراغ الذي خلفه انهاء الانتداب . »

ارسلت خمس دول عربية وهي : مصر والاردن وسوريا ولبنان والعراق ، قوات عسكرية الى فلسطين ، هي في حكم الواقع رمزية ، عددها نحو عشرين الف مقاتل .. بينما كان عدد القوات الاسرائيلية المتنوعة لا يقل عن مئة الف مقاتل . والغاية من ارسالها صد العدوان الاسرائيلي عن القسم الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً .. وحفظ الأمن فيه ..

جرى قتال بين القوات الاسرائيلية المهاجمة وبين القوات العربية المدافعة ، تمكنت فيه الاخيرة من صد اعتداءات القوات الاسرائيلية .. ومن هذه الاعتداءات محاولة الصهيونيين الاستيلاء على القدس القديمة وما فيها من مقدسات عربية اسلامية ومسيحية بعد ان استولوا على القدس الجديدة العربية . ولولا مقاومة المناضلين الفلسطينيين داخل السور ، ونجدة الجيش العربي الاردني لهم ، لدخل الصهيونيون القدس العربية القديمة..

واذكر هنا حديثاً سمعته من المرحوم الملك عبد الله في ١٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ :

« كنت بالامس قلقاً متكدراً ، لقد اتصل بي فاضل بك قائد حامية القدس (وهو عراقي) عند منتصف ليلة ١٧ — ١٨ ، فايقظني من النوم وقال : لقد انتهينا ، ستسقط القدس بيد اليهود وسيفتكون بنا جميعاً . فقلت له : ماذا تقول اصبر اصبر ساعات . اصبر حتى العصر ، اين الشهامة والرجولة ؟ سيأتيك كل شيء . الفوز لنا والظفر مكتوب لنا فاصمد بضع ساعات . ثم تركت التلفون ، فشعرت بانقباض شديد ووجدت نفسي أبكي بكاء الأطفال .. ثم لبست ثيابي ، وخرجت بنفسي ، وكانت الساعة الثالثة صباحاً ، وذهبت الى دار الرئاسة (رئاسة الوزراء) ، واعطيت الأوامر للجيش بنفسي ان استعدوا لدخول القدس عصر اليوم ، وانقاذ المدينة المقدسة ومن فيها من المناضلين والاهلين ، واعطيت الأوامر لارسال الذخائر والمعدات والسلاح الى المناضلين فيها على وجه السرعة » ..

دخلت قوة اردنية القدس في ١٨ ايار (مايو) وحاربت مع المناضلين الفلسطينيين داخل القدس القديمة الصهيونيين المتمركزين في اماكن منيعة والمتصلين بالقوات الاسرائيلية من ممر في السور . وبعد قتال مرير تمكنت القوات الفلسطينية والاردنية من سد الممر وأسر الصهيونيين الذين كانوا داخل السور ، (وقد اعيدوا فيما بعد الى اسرائيل) .. والمحافظة على بقاء القدس القديمة المقدسة عربية .. ولكن بعد نحو عشرين عاماً ، في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ترك الجيش الاردني القدس ومن فيها من سكان ، وما فيها من مقدسات ، ليستولي عليها الصهيونيون دون قتال يذكر ! ؟ ..

ومن المهم تأكيده هنا أن قوات الدول العربية التي دخلت فلسطين ، بعد انتهاء الانتداب ، كانت تهدف الى صد الاعتداءات الاسرائيلية عن قسم فلسطين الذي تقرر بقاؤه عربياً . ولم يكن من مخططها اصلاً قتال اسرائيل ودخول القسم الذي قررت الامم المتحدة انشاء دولة يهودية فيه . وتبعاً لذلك حدثت وقائع تؤيد هذا الاعتقاد ، منها أن قوات الدول العربية لم تتخط خطوط التقسيم حتى حينما كان ذلك ميسوراً لها . ومن الامثلة على ذلك :

احتل الاسرائيليون قرية « شويكة » الواقعة قرب مدينة « طولكرم »، وكلتاهما في القسم العربي بحسب التقسيم . وكانت في طولكرم قوة عراقية . جاء جماعة من سكان شويكة الى قائد القوة العراقية وطلبوا منه ان يضرب مراكز الاسرائيليين في شويكة المحتلة ، بالقنابل وهم بعد ذلك يهجمون ويستخلصون قريتهم من ايدي المحتلين .

وهكذا كان ، وبقيت شويكة في الضفة الغربية الى ان « ضاعت » الضفة الغربية كلها..
وقرب مدينة طولكرم قرية اخرى تدعى « قاقون » واقعة في الجهة الغربية من الخط الحديدي ، وفي القسم المقرر للدولة اليهودية . ولما رأى سكان قاقون ، الذين اخرجوا من قريتهم حين احتلال الصهيونيين لها ، ما تم لابناء قرية شويكة ، ذهب جماعة منهم الى قائد القوة العراقية طالبين منه ضرب مراكز الاسرائيليين في قريتهم بالقنابل ، وهم يقومون بالباقي لاعادة قريتهم الى الحظيرة العربية . فكان جواب قائد القوة العراقية « ماكو اوامر » ! .. اي ليس لديهم أوامر .

وما حدث لقريتي شويكة وقاقون في المنطقة التي كانت فيها قوات عراقية حدث لقريتي سدود ويبنا الواقعتين شمالي المجدل ، في المنطقة التي كانت فيها قوات مصرية . الاولى واقعة في القسم العربي والثانية في القسم اليهودي بحسب التقسيم . لقد ساعدت المدفعية المصرية اهل قرية سدود بان ضربتها ببضع قنابل، وداهم رجال القرية اليهود واخرجوهم منها وعاد سكانها اليها . ولما ذهب فريق من اهالي قرية يبنا، وهي ضمن القسم اليهودي، وطلبوا من قائد القوات المصرية ضرب مراكز اليهود في قريتهم بالقنابل ليتمكنوا من اخراجهم منها وعودة سكانها اليها ، اجاد قائد القوة المصرية : « ليست لدي تعليمات » ! ..

ويمكن للمؤرخ ان يؤكد ، ان الجامعة العربية في تلك الايام كانت على تفاهم مع دول الغرب ، بواسطة الحكومة البريطانية ، بأن القوات العربية التي تدخل فلسطين ، لن تتخطى حدود التقسيم ، وانما مهمتها الدفاع عن القسم العربي والمحافظة على الأمن فيه ، كما جاء في برقية الامين العام لجامعة الدول العربية آنفة الذكر.. ويضاف الى ذلك أن الجنرال « كلايتون » كان مقيماً في القاهرة وعلى مقربة من الجامعة العربية، وعلى اتصال مستمر بها ...

وذكر الجنرال كلوب باشا ، قائد الجيش العربي الاردني في ذلك الحين ، أن القوات الاردنية لم تدخل قسم فلسطين الذي قررت الامم المتحدة انشاء دولة يهودية فيه ، وانما كانت مهمتها ان تدافع عن القسم الذي قررت الامم المتحدة انشاء دولة عربية فيه ..[1]

كما انه يمكن للمؤرخ ان يؤكد ايضاً ، انه لولا دخول القوات العربية القسم الذي

(١) الجنرال كلوب باشا : ازمة الشرق الاوسط ص ٣٩ .

قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ، لتمكن الصهيونيون من احتلال جميع فلسطين وتشريد سكانها العرب منها ، لتحقيق ما رسموه من خطة . ولكن القوات العربية والمناضلين الفلسطينيين ، تمكنوا سنة ١٩٤٨ من المحافظة على عروبة ما سمي فيما بعد بالضفة الغربية وقطاع غزة .. ولكن القوات العربية تركت هذا القسم من فلسطين يستولي عليه الاسرائيليون سنة ١٩٦٧ دون قتال يستحق الذكر ..

كان القتال بين القوات العربية والقوات الاسرائيلية غير حاسم .. وكان اليهود في القدس في ضيق شديد . ولو ان القتال استمر لسقطت القدس كلها في ايدي العرب .. علماً أن مجلس الامن اصدر في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٤٨ قراراً دعا فيه « جميع الحكومات والسلطات — دون المساس بحقوق الاطراف المعنية او مطالبها او مواقفها — الى الكف عن الأعمال الحربية العدوانية في فلسطين، والى اصدار الامر ، تحقيقاً لهذه الغاية ، الى قواتها العسكرية وشبه العسكرية ، بوقف اطلاق النار » .

وكان ذلك اليوم يوم عيد عند اليهود في القدس الجديدة ، التي كانت توشك ان تسقط في ايدي العرب .. وكذلك في المدن والقرى الاخرى التي يسيطرون عليها .. اذ مكنهم قرار ايقاف اطلاق النار ، من البقاء حيث هم ، وحال دون قيام القوات العربية باعادة الاجزاء التي احتلها الصهيونيون من القسم العربي الى الادارة العربية .. توسع الاسرائيليون في القسم العربي من فلسطين واتى القرار المذكور وسمح لهم بالمحافظة على الاراضي التي توسعوا فيها ، اذ انه لم يطلب الانسحاب الى حدود التقسيم ...

وفي ٢٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ اصدر مجلس الامن قراراً ثانياً ، دعا فيه الاطراف المعنية الى هدنة مدتها اربعة اسابيع والتعهد بعدم ادخال عناصر مقاتلة الى المنطقة خلال الهدنة .. وبالامتناع عن استراد او تصدير المواد الحربية .

جهود الكونت برنادوت

وقام الكونت برنادوت ، الذي عينته الجمعية العمومية للامم المتحدة ، بقرارها في ١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وسيطاً لايجاد حل سلمي لمستقبل فلسطين، بترتيب هدنة ما بين ١١ حزيران (يونيو) و ٧ تموز (يوليو) ١٩٤٨ .

اطاعت الدول العربية اوامر مجلس الامن وعملت بموجبها ! .. اما اسرائيل فلم تلتفت اليها، واستغلت مدة الهدنة لمصلحتها . وبذلت الحكومة الاسرائيلية جميع قواها

في جلب السلاح باسرع وقت وعلى احسن وجه « وطاف المبعوثون الاسرائيليون جميع انحاء اوروبا وامريكا بحثاً عن المدد العسكري . وتبرع يهود امريكا بسخاء بدولاراتهم اذ أن تجار الأسلحة كانوا مستعدين للبيع مقابل الدفع بالدولار . وكان التشيكيون اكثر الناس مساعدة في هذا الصدد . وبدأ جسر جوي منتظم بالعمل من براغ الى عاقر في جنوبي فلسطين . واخذت البنادق والذخائر تتدفق على الاسرائيليين . وكذلك تم تهريب قاذفات قنابل من انكلترا ... وعندما انتهت الهدنة كان هناك جيش يهودي متماسك وله قوة جوية صغيرة ولكنها فعالة ، واسطول بحري صغير ولكنه جريء ومستعد لدخول المعركة » (١) .

ولكن جون كمشي ، صاحب الكلام المتقدم ، اغفل ذكر حقيقة اخرى ، وهي ان متطوعين عسكريين ، اختصاصيين امريكيين من طيارين وغيرهم ، تدفقوا على اسرائيل وحاربوا في صفوف قواتها العسكرية العرب في تلك الايام ايضاً ...

قال بن غوريون رئيس حكومة اسرائيل في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، والهدنة لا تزال قائمة « لقد اتسعت حدودنا وتضاعفت قواتنا ونحن نتولى الآن ادارة الخدمات العامة ، وتصل جموع جديدة يومياً .. وكل ما اخذناه سنحتفظ به . وخلال الهدنة سننظم الادارة بهمة اقوى ، ونعزز موقفنا في المدن والقرى ، ونسرع في الاستعمار والهجرة ، ونتطلع الى الجيش » (٢) .. وقوله صريح في أن اسرائيل تعمل لتوسيع حدودها وتوسعها في البلاد العربية ..

ولدى انتهاء مدة الهدنة ، في ٧ تموز (يوليو) ، استؤنف القتال بين القوات الاسرائيلية ، التي تسلحت خلال الهدنة ، وبين القوات العربية . وكانت القوات الاسرائيلية تهاجم القوات العربية في القسم من فلسطين الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ، بغية التوسع الذي يهدف الاسرائيليون دائماً اليه في اعتداءاتهم وحروبهم . وتمكنت القوات الاسرائيلية من الاستيلاء على اراضي وقرى ومدن عربية جديدة ...

ولم يدم القتال ، هذه المرة الا نحو عشرة ايام ، اذ ان مجلس الامن امر ، في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٤٨ بايقاف الأعمال الحربية ، وعليه ابتدأت الهدنة الثانية في ١٨ تموز ، دون تحديد مدة لها . وكلف المجلس في قراره، الكونت برنادوت بالاشراف على تنفيذ ما جاء في القرار .

---

(١) جون كيمشي ، كتاب « الاعمدة السبعة المنهارة » ص ٢٤٩ .
(٢) بن غوريون Rebirth and Destiny of Israel ص ٢٤٧ .

درس الكونت برنادوت القرارات المتعلقة بقضية فلسطين ، وتجول فيها ، ودرس أحوال اهل البلد . ورأى أن قرار التقسيم بحدوده غير عملي ، فوضع مشروعاً لتقسيم فلسطين بصورة جديدة ، كانت فيه القدس في عهدة الامم المتحدة ، وجميع جنوبي فلسطين بما فيه النقب كله ضمن القسم العربي ، ويافا وجميع الجليل بما فيه الجليل الغربي ضمن القسم اليهودي ..

لم يرق تقسيم برنادوت للاسرائيليين ، واغضبهم .. ثم ان الكونت برنادوت وضع تقريراً رفعه الى الامم المتحدة قبل اغتياله بيوم واحد أكد فيه انه : « ما من تسوية تكون عادلة وكاملة الا اذا تم الاعتراف بحق اللاجىء العربي في العودة الى دياره التي اخرج منها يسبب المخاطر واستراتيجية الصراع المسلح بين العرب واليهود في فلسطين ». وانه « من الجرم بحق مبدأ العدالة الأساسية ان يحرم ضحايا الصراع الابرياء حق العودة الى ديارهم بينما يتدفق المهاجرون اليهود على فلسطين . فهذا يمثل على الاقل تهديداً بالحكم على اللاجئين الذين استقروا في البلد منذ قرون ، بالتشرد الدائم » .

وانتقد الكونت برنادوت تصرفات عديدة للاسرائيليين ، ووصفها « بالعمليات الصهيونية الواسعة النطاق من النهب والسلب والسرقة ، وتدمير القرى دون مبرر عسكري واضح » ، وأكد « ان مسؤولية حكومة اسرائيل المؤقتة في ضرورة اعادة الممتلكات الخاصة الى اصحابها العرب وفي تعويض الملاكين الذين دمرت ممتلكاتهم دون مبرر ، واضحة لا تحتاج الى بيان »(١) .

ومشروع تقسيم الكونت برنادوت ، وما جاء في تقريره من نظرة انسانية نحو اهل فلسطين العرب ، قد اثار ثائرة الحكومة الاسرائيلية ، فقررت ازالة مفعول مشروعه وما جاء في تقاريره ، بازالة هذا الرجل من الوجود ! .. والتاريخ يعيد نفسه .. ففي ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ اغتاله رجال من الجيش الاسرائيلي واغتالوا مرافقه الفرنسي الكولونيل سيرو ، في القدس الجديدة التي تحتلها اسرائيل ! .. وهكذا طويت صفحة رجل شريف يريد العدل وينظر الى المعاملات بين البشر نظرة « انسانية » .. واغتيال الحكومة الاسرائيلية للكونت برنادوت السويدي ورفيقه الكولونيل سيرو الفرنسي ، لم يثر ضجة في اوساط الامم المتحدة ، ولا في الاوساط الدولية !..

---

(١) ص ١٤ U. N. Document A / 648 : Report of U. N. Mediator. Page 14

وقال موشي مينوحيم تعليقاً على اغتيال الكونت برنادوت : « وهكذا انجزت اسرائيل عملية القتل . وقد طالبت الامم المتحدة اسرائيل بمحاكمة القتلة ، فكان جوابها انها لم تتمكن من العثور عليهم . وكان الكونت برنادوت اول شهيد في خدمة المساعي الدولية للتوفيق في فلسطين . وكان قديساً في اعين العرب ، وربما كان كما هي الحال دائماً عدواً للسامية في اعين السياسيين المتعصبين من اليهود . وأسوأ ما في هذه القضية هو ان مشروع الكونت برنادوت كان الجواب الوحيد للحرب العالمية الاسرائيلية » (1)

قبلت اسرائيل الهدنة التي قررها مجلس الامن في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، ولكنها كانت في قرارة نفسها عازمة على التوسع .. قتلت الكونت برنادوت وأخذت تتوسع : ففي ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ خرق الاسرائيليون الهدنة وقاموا بهجوم في الجنوب على الجبهة المصرية فاحتلوا « بئر السبع » في ٢١ منه وبيت حنون في ٢٢ ، وبعد ذلك « بيت جبرين » .

تدخلت الامم المتحدة وحملت الطرفين على قبول ايقاف اطلاق النار في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ . قبلت اسرائيل ذلك لتقوم بهجوم جديد . انها تقبل ايقاف النار او الهدنة لتعد لاعتداء آخر ... ففي ٣١ من الشهر المذكور تحدت انذار رئيس قوات الطوارىء للامم المتحدة وهاجمت الحدود اللبنانية واحتلت ١٥ قرية داخل الاراضي اللبنانية ! .. ولم يكتف الصهيونيون بذلك بل قاموا ، خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ ، بالتوغل في النقب تجاه خليج العقبة « وفي ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ قاموا باعتداء جديد ، واحتلوا « العوجا » ودخلوا اراضي سينا .. كل هذا حدث بعد ان قبلت اسرائيل الهدنة وايقاف اطلاق النار ... ولم يطلب منها مجلس الامن الرجوع الى الحدود التي حددها لها وخلقها ضمنها ! .. واذن ما دام الاعتداء يربح ، ومجلس الامن لا يحاسب ، فلماذا لا تستمر اسرائيل في الاعتداء ؟.

اتفاقات هدنة رودس

وفيما كانت اسرائيل تنشط في اعتداءاتها ، اتخذ مجلس الامن قراراً في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ دعا فيه الفرقاء الى توقيع هدنه تتضمن :

---

(1) Moshe Menuhim : The Decadence of Judaism in our time ص ١٢٩ و ١٣٠ .

١ — تعين خطوط هدنة دائمة تمنع القوات المسلحة لهذه الاطراف من تخطيها .

٢ — تخفيض القوات المسلحة وسحبها الى حد يضمن صيانة الهدنة خلال فترة الانتقال الى سلام دائم في فلسطين.

وعلى اثر ذلك جرت في جزيرة رودس مباحثات ادت الى توقيع اتفاقات هدنة بين اسرائيل ومصر في ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٩ ، وبين اسرائيل ولبنان في ٢٣ آذار (مارس) ، وبين اسرائيل والاردن في ٣ نيسان (ابريل) ، وبين اسرائيل وسوريا في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٤٩ .

وعينت اتفاقات الهدنة خطوطاً فاصلة بين العرب واليهود في فلسطين . وهذه الخطوط ليست حدوداً دولية ، وانما خطوط هدنة ، اذ ان الوضع الدولي بين العرب واسرائيل ظل « حالة حرب » لا حالة سلم دائم قائم على الأمر الواقع كما ادعى الاسرائيليون . وادت الهدنة الى توسع الصهيونيين في المنطقة التي كان مقرراً ابقاؤها عربية ، واصبحوا يسيطرون على (٢٠٨٥٠٠٠٠) دونماً من مجموع مساحة فلسطين الذي يبلغ (٢٦٣٢٣٠٢٣) دونماً .

ومعنى ذلك أن اسرائيل زادت رقعتها من (١٤٥٠٠٠٠٠) دونماً التي خصصها لها قرار تقسيم فلسطين وهو ٥٦٪ من مساحة فلسطين الى (٢٠٨٥٠٠٠٠) دونماً هو ما يقرب من ٨٠٪ من مساحة فلسطين . وفي نفس الوقت نقص ما قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً من (١١٨٠٠٠٠٠) دونماً الى (٥٤٠٠٠٠٠) دونماً ، اي الى اقل من النصف .

وكان ما يملكه الصهيونيون من المساحة من فلسطين التي استولوا عليها لا يزيد عن (١٤٤٣٧٦٤) دونماً من أصل (٢٠٨٥٠٠٠٠) دونماً اي ما نسبته ٧,٢٣٪ فقط !.

وقعت اسرائيل اتفاقات الهدنة هذه ، بعد ان اكسبتها اعتداءاتها المتكررة ، وخرقها لاتفاقات الهدنة وايقاف اطلاق النار السابقة ، اراضي شاسعة من القسم الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ، ومكنتها من طرد السكان العرب من ديارهم وتشريدهم خارج الاراضي والمناطق العربية التي وضعت يدها عليها ... وقعت اسرائيل اتفاقات الهدنة وهي في الوقت نفسه عازمة على الاستمرار في الاعتداء والتوسع .

ففي ١٠ آذار (مارس) ١٩٤٩ ، اي بعد ١٣ يوماً فقط من توقيع الهدنة ،

تابعت القوات الاسرائيلية اعتداءها على القوات المصرية في جنوبي النقب وزحفت واحتلت النقب الجنوبي حتى وصلت الى خليج العقبة ، واحتلت قرية ام الرشراش العربية ، وطردت اهلها واخذت ممتلكاتهم . وفي ذلك المكان انشأت اسرائيل ميناء « ايلات » في ارض عربية ، واشرفت على خليج العقبة والبحر الاحمر .. وانشاء ايلات ووجود اسرائيل فيها هو اعتداء على الهدنة المذكورة ..

ونصت اتفاقات الهدنة مع مصر وسوريا على اربعة قطاعـــات مجردة من السلاح . ثلاثة منها على الحدود السورية ، والرابعة في العوجا على حدود سيناء المصرية . كما نصت الاتفاقية مع الاردن على اقامة مناطق حرام ، في جبل المكبر ، وفي القدس ، وقرب اللطرون ، واراضي تلك القطاعات المجردة من السلاح ، وكذلك مناطق الحرام هذه ، هي ملك للعرب .

وكان هم حكومة اسرائيل بعد قيامها ، التوسع في هذه المناطق والقطاعات ، وقد اعتبرتها جزءاً من اسرائيل لها حق التصرف فيها كما تشاء ! . فقامت بالاستيلاء على اكثرها والتصرف فيها .. وكان عملها هذا سبباً للقتال مرات عديدة مع القوات السورية ، ومن ثم مع الاردنية ، ثم مع المصرية ، في تواريخ متعددة .. في حين ان لا حق لاسرائيل في استغلال الاراضي العربية في هذه المناطق والقطاعات كما انه لا يجوز لها مطلقاً وضع قوات عسكرية فيها . وقد ذكر ، في هذا الصدد ، الجنرال بنيكيه رئيس المراقبين الدوليين في فلسطين ، في تقرير له ما جاء في بيان للدكتور رالف بانش امام مجلس الامن الدولي في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٥١ ، قوله : « ولذلك بطبيعة الحال وبموجب نصوص اتفاقية الهدنة ، لا يحق لاي من الطرفين ان يدعي حرية السيطرة في المنطقة المجردة من السلاح على النشاط المدني ، اما النشاط العسكري فيستبعد عنها كلياً »[1] .

ولم تكتف اسرائيل بان ضمت اليها مناطق مجردة من السلاح ومناطق حرام ، اراضيها ملك للعرب ، خلافاً لشروط الهدنة ولقرارات مجلس الامن ، بل اخذت تجتاز خطوط الهدنة على الحدود السورية والاردنية والمصرية وتقتل الكثير من السكان الأبرياء وتهدم البيوت ، وذلك ارهاباً لهم ولحملهم على الرحيل عنها ، حتى تستولي عليها خالية من السكان متى قررت اسرائيل التوسع ، ولإبقاء المنطقة في حالة توتر

(١) تصريح الجنرال بنيكيه امام مجلس الامن في الجلسة التي عقدها في ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣

وذعر لارهاب الدول العربية ... ولتأمين مصالح اسرائيلية داخلية .. واعمالها هذه عديدة يطول ذكرها . وقد جاء في كتاب « العنف والسلام » للاستاذ ابراهيم العابد جدول يبين عدد الاعتداءات الاسرائيلية على الدول العربية ما بين ١٩٤٩ و ١٩٦٤ وهو كما يلي :

على الاردن	١٤٩٠٣	اعتداءات
وعلى سوريا	٤٤٢١٠	اعتداءات .
وعلى لبنان	٠١٩٣٦	اعتداءاً .
وعلى ج.ع.م	٠٢١١٢	اعتداءاً .
ومجموعها	٦٣١٦١	اعتداءاً .

وهذه الاعتداءات قد زاد عددها كثيراً واشتد عنفها بعد سنة ١٩٦٤ ..

ومن المدن والقرى التي اعتدت عليها اسرائيل بعد توقيعها لاتفاقيات الهدنة ، وقتلت عدداً من اهلها وهدمت بيوتاً ومساكن فيها : قبية في ١١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ ، ونحالين في ٢٨ / ٢٩ آذار (مارس) ١٩٥٤ ، وقطاع غزة في ٨ شباط (فبراير) ١٩٥٥ ، وخان يونس في ٣١ آب (اغسطس) ١٩٥٥ ، والبطيحة في ١١ / ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٥ ، وقلقيلية في ١٠ / ١١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ ، والتوافيق في ١ شباط (فبراير) ١٩٦٢ ، والسموع في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ ، وتحصينات الجولان في ٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ..

وكانت اسرائيل تتذرع ، في اعتداءاتها على بعض هذه الاماكن وغيرها ، بأن متسللين عرباً يذهبون منها الى اسرائيل ! ؟ ..

وفي هذا الصدد ذكّر الشاعر الاسرائيلي « ناتان الترمان » اليهود بدخولهم فلسطين بطرق غير مشروعة بقوله :

« ان اليهود كانوا دائماً متساهلين في موقفهم تجاه عبور الحدود بصورة غير مشروعة . فقد استعملت جوازات سفر مزورة وارتكبت مخالفات رسمية حقيرة اخرى ضد الدولة ، غير ان هذه الامور كلها لم يكن ينظر اليها كقضايا خلقية ، وبالطبع لم ينظر اليها كجرائم يعاقب عليها بالموت » . ويرفع الترمان بعد ذلك صوته ويقول « يا أعضاء الكنيست ، ايها المزورون السابقون لجوازات السفر ، ايها المتسللون

واحفاد المتسللين ، ما اسرع ما تعلمتم الخلقية الجديدة العسكرية »[1] .

لجنة التوفيق وموقف اسرائيل منها .

في اثناء اعتداءات اسرائيل المتكررة ، اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة القرار رقم ١٩٤ ــ ٣ في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، الذي تبنت فيه توصية الكونت برنادوت المتعلقة باعادة اللاجئين الى ديارهم ، وتعديل الحدود . وعينت ، لتحقيق ذلك ، لجنة توفيق من ثلاثة اعضاء يمثلون كلاً من الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وتركيا .

اتخذت لجنة التوفيق مقراً لها ، في بادىء الامر ، مدينة لوزان ، وارسلت الدول العربية المجاورة لاسرائيل وفوداً ، كما ارسلت اسرائيل وفداً لها ، والفلسطينيون وفداً خاصاً بهم . وكانت اجتماعات اللجنة مع الفريقين كل على حدة .. وبعد مداولات تمكنت لجنة التوفيق من الوصول الى توقيع الفرقاء ، في ١٢ ايار (مايو) ١٩٤٩ ، على اساس للعمل عرف « ببروتوكول لوزان » .

وينص البروتوكول على أن قرار تقسيم فلسطين ، الذي اتخذته الجمعية العامة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، هو اساس لمناقشة الحدود بين اسرائيل والبلاد العربية ، وان قرار الجمعية العامة الصادر في ١١ كانون الاول (ديسمبر). ١٩٤٨ ، بشأن عودة اللاجئين واحترام حقوقهم وصون ممتلكاتهم ، هو اساس لبحث هذه المواضيع وحلها . وبعبارة اخرى فإن إسرائيل ، في توقيعها « بروتوكول لوزان » ، قبلت بحدود تقسيم فلسطين مع اجراء تعديلات عليها ، وبتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بعودة اللاجئين وحقوقهم في ممتلكاتهم وتعويضهم مما لحق بهم من اضرار .

ومما تجدر ملاحظته أن تاريخ ١٢ ايار (مايو) ١٩٤٩، الذي وقعت فيه اسرائيل « بروتوكول لوزان » ، هو التاريخ ذاته الذي قبلت فيه اسرائيل عضواً في الامم المتحدة . وكان هناك ما يقرب من نهار بين توقيع البروتوكول ومناقشة قبول اسرائيل عضواً في المنظمة الدولية . وقد اتخذت اسرائيل ومؤيدوها توقيعها البروتوكول دليلاً على حبها للسلام ! . وكان توقيعها البروتوكول من الاسباب التي سهلت قبولها ورفع علمها بين اعلام الدول الاعضاء .

---

(١) وردت في (صوت نفور) لمؤلفه و.زوكرمان – نيويورك ١٩٦٤ . ص ٣٣ و ٣٤ .

على ان اسرائيل ما لبثت ان تنكرت للاسس التي وافقت عليها ، بتوقيعها بروتوكول لوزان ، بعد قبولها عضواً في الامم المتحدة :

لقد رفضت اسرائيل اعتبار قرار تقسيم فلسطين اساساً للمباحثات برفضها قبول تعديل خطوط الهدنة لمصلحة اصحاب البلد العرب ، بل ألحت ايضاً بالمطالبة بضم قطاع غزة اليها ، بالاضافة الى ما ضمته من اقاليم عربية بموجب اتفاقات هدنة رودس .

ولقد رفضت اسرائيل رفضاً باتاً قبول المبدأ الوارد في قرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ ــ ٣ الصادر في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، بعودة اللاجئين الراغبين في العودة الى ديارهم . وامام هذا الرفض تقدمت الوفود العربية باقتراح يهدف الى عودة لاجئي المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل زيادة على القسم من فلسطين الذي خصصته لها الامم المتحدة ، عودة فورية . وهذه المناطق هي : الجليل الغربي ، ويافا ، واللد ، والرملة ، والقدس ، وقرى الخليل ، وبئر السبع ، والقسم الساحلي الواقع شمالي غزة الذي يضم المجدل وقراها . وهذه المناطق كلها كانت ضمن القسم من فلسطين الذي قررت الامم المتحدة اقامة دولة عربية فلسطينية فيه . غير أن اسرائيل رفضت هذا الاقتراح واصرت على رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين الى اسرائيل ، سواء اكان الى اسرائيل حسب قرار التقسيم ، او الى الاقاليم التي ضمتها اليها من القسم الذي قررت الامم المتحدة اقامة دولة عربية فيه[1] .

وموقف اسرائيل هذا ادى الى فشل لجنة التوفيق في مهمتها ، الامر الذي وضع هذه اللجنة ، على الرف ، كما هو حال جميع قرارات الامم المتحدة التي لا ترضى اسرائيل عنها ! ..

ان رجوع اسرائيل عما وافقت عليه بتوقيعها بروتوكول لوزان ، وتنكرها ، بعد ان حققت ما تريد ، لما تضمنه ذلك البروتوكول ، واعتداءاتها المستمرة على الحدود العربية بعد ان وقعت اتفاقات رودس ، دليل ساطع على انها لا تحترم أي اتفاق توقعه ، وانه من العبث والغباوة التعاقد معها على اي امر ..

حض مسؤولين على التوسع

لم تحترم اسرائيل اتفاقات هدنة رودس وبروتوكول لوزان ، لان مخططها هو

---

(١) راجع وثيقتي الامم المتحدة رقم ٩٢٧ – A في ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٤٩ ، ورقم ١٣٦٧ – A في ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ .

التوسع دائماً .. وهذا المخطط قائم منذ قيام اسرائيل . لم يقبل الصهيونيون بتقسيم فلسطين الا ليصبحوا دولة في اي قسم من فلسطين ومن ثم يعملون على تحقيق اهدافهم في تعيين حدود دولتهم التي يريدونها ، دولة « اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات ، كما نادى بها هرتزل وكما نادى بها زعماء صهيونيون آخرون ، كما وعد اليهود انفسهم بها وهم في التيه ! ..

وقد قال الدكتور حاييم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية واول رئيس لدولة اسرائيل ، لمن تحدث اليهم في اول كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ في القدس ، وكان بينهم من هم غير راضين عن حدود التقسيم :

« لا تقلقوا لأن جزءاً من القدس ليس الآن ضمن الدولة . سيتم ذلك بسلام . واعود فاوصيكم بالصبر ... لا تخافوا يا اصدقائي فان الكنيس القديم سيعاد بناؤه وسيفتح من جديد الطريق الى حائط المبكي . فبدمائكم وتضحياتكم جددتم البيعة القديمة . والقدس لنا بفضل الدماء التي ضحى بها ابناؤكم في الدفاع عنها »[١] .

وبعد ١٩ سنة يتحقق ما وعدهم به وايزمن ، اذ اخذ الصهيونيون القدس العربية والضفة الغربية من الاردن بانهزام دون قتال يذكر ..

وقال دافيد بن غوريون :

ان الدولة « بعثت في الجزء الغربي من ارض اسرائيل » وان الاستقلال قد اعلن « في جزء من بلادنا الصغيرة » . وقال « تتكون كل دولــة من ارض ومن شعب . وليست اسرائيل الوحيدة في ذلك . الا أنها دولة ليست طبق الاصل لأرضها وليست طبق الاصل لشعبها ... يجب ان يعلن الآن انها انما تأسست على جزء فقط من ارض اسرائيل . حتى اولئك الذين يشكون في استعادة الحدود التاريخية ، كما حددت وجسدت منذ بدء التاريخ ، لا يستطيعون ان ينكروا شذوذ حدود الدولة الجديدة »[٢] .

وفي ١٢ شباط (فبراير) ١٩٥٢ اعلن موشي دايان رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي من راديو اسرائيل « على الشعب ان يتهيأ للحرب ، وعلى الجيش الاسرائيلي ان يقوم بالقتال ، وهدفه الاسمى هو بناء الامبراطورية » ! وهذا كلام صريح ،

---

(١) ص ٣٣٢ Joseph Dov , The Faithful City ; The Seige of Jerusalem

(٢) ص ٦٤ Israel Government Yearbook 1951 — 1952

على العرب الذين لا يرون اخطار اسرائيل ومطامعها ان يتمعنوا فيه .. ان منطقة الشرق الاوسط العربي كلها ، في نظر الصهيونيين ، هي مجال الامبراطورية الاسرائيلية ...

وفي ١٢ تشرين الاول (اكتوبر)١٩٥٥ قال مناحيم بيغن، رئيس حزب حيروت وعضو البرلمان والحكومة ، في الكنيست : « أؤمن ايماناً عميقاً بشن حرب وقائية على الدول العربية دونما ابطاء . فاذا فعلنا ذلك احرزنا هدفين : الاول محو القوة العربية ، والثاني توسيع اراضينا » . وقوله هذا تعبير صحيح واضح عن خطط اسرائيل واهدافها الرامية الى محو القوة العربية ، والتوسع في البلاد العربية ، لبناء الامبراطورية الاسرائيلية التي نادى بها زميله دايان ..

وطالب متحدث باسم حزب حيروت في نيويورك سنة ١٩٥٦ ، قبل حرب السويس باشهر قليلة « ان تبدأ اسرائيل الهجوم فوراً ، للاستيلاء على النقاط الاستراتيجية على الحدود بما في ذلك قطاع غزة ، ثم عليها ان تستولي على مملكة الاردن التي تساندها بريطانيا »[١] .

وفي اجتماع لحزب المابـــاي سنة ١٩٥٢ ، طالب الاعضاء بن غوريون ان يتولى الحكم فأجاب « اوافق على تشكيل الوزارة بشرط واحد وهو : استعمال كل الجهود للتوسع في الجنوب » .

ومنذ ان تولى بن غوريون الحكم سنة ١٩٥٢ اخذ يعمل مع دايان وغيره من القادة العسكريين على اعداد الجيش ، الذي ناداه دايان بان يكون مستعداً للحرب لبناء الامبراطورية الاسرائيلية . وكان هدف بن غوريون الاول هو الهجوم على مصر ، اكبر الدول العربية ، وتحطيم قواها العسكرية ، التي هي الخطر الحقيقي عليها ، واحتلال سيناء والوصول الى قناة السويس ، وفتح طريق خليج العقبة ، ومن ثم يسهل عليها تحقيق التوسع الذي تريده في البلاد العربية الاخرى ، دون عناء .. غير أن ابن غوريون لم يجرأ على القيام وحده بتنفيذ مخططه الخطير هذا . فتآمر لتحقيق ذلك مع فرنسا ، وجرا معهما بريطانيا . ولاول مرة في التاريخ تتبع الحكومة البريطانية مخططات سياسية وحربية غير صادرة عنها .. وبعبارة اخرى تكون تابعة لا قائدة في مخاطرة سياسية عسكرية ... لقد وقع مخطط بن غوريون عند الحكومة الفرنسية يومئذ موقع القبول ، لأنها ظنت ان في القضاء على نظام الحكم في مصر قضاء على الثورة العربية في الجزائر ..

---

(١) نيويورك تايمس في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٦

ورأت الحكومة البريطانية حينذاك في الخطة انتقاماً من الرئيس جمال عبد الناصر لتأميمه قناة السويس ، واعادة القناة الى الحظيرة الدولية ...

وفي ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ هاجمت القوات الاسرائيلية قطاع غزة وسيناء واحتلتهما ، واستولت على مواقع شرم الشيخ واخذت تتحكم في خليج العقبة ، كما أن قوات بريطانية وفرنسية هاجمت مصر في بور سعيد..

واعلن بن غوريون اثر ذلك « لقد ماتت الهدنة مع مصر ، كما ماتت خطوط الهدنة ، وليس في وسع السحرة او المشعوذين بعثهما الى الحياة من جديد[1] » .. وشرح مسؤول في وزارة الخارجية الاسرائيلية بيان حكومتهم عن الاعتداء على مصر مؤكداً ان « هذه ليست مجرد غارة تأديبية وأن القوات الاسرائيلية ستبقى في سيناء[2] » وقال بن غوريون امام الكنيست : « ان الجيش لم يكلف نفسه مؤونة احتلال ارض العدو وفي مصر بالذات (!) واقتصر في عملياته على تحرير المنطقة من شمالي سيناء الى طرف البحر الاحمر » . واشار الى احتلال شرم الشيخ ووصف جزيرة تيران بأنها « جزيرة يوتفات » الى الجنوب من خليج ايلات الذي حرره الجيش الاسرائيلي »[3] . وهناك اقوال عديدة لمسؤولين اسرائيليين توضح بجلاء ان غزو سيناء كان قد أُعد له منذ مدة ، وان هدفه كان التوسع الاسرائيلي في اراضي البلاد العربية ، توسعاً ليس له حدود .

على أن اسرائيل وحليفتيها قد اضطروا الى الانسحاب من الاراضي المصرية ومن قطاع غزة ... وسبب ذلك هو موقف الرئيس ايزنهاور من الاعتداء الثلاثي على مصر ، وموقف الاتحاد السوفيتي ضده ايضاً .

لقد وقف رئيس الولايات المتحدة الامريكية يومئذ ، الجنرال ايزنهاور ، موقفاً صارماً ضد اعتداء حليفتي بلاده بريطانيا وفرنسا ، وضد اعتداء اسرائيل ، على الرغم من النفوذ الصهيوني الكبير في الولايات المتحدة الامريكية واثره في الانتخابات فيها ، وكان مقبلاً على اعادة انتخابه رئيساً للمرة الثانية ، وذلك لثلاثة اسباب :

اولاً : ان بريطانيا وفرنسا قبلتا التواطؤ مع اسرائيل والاعتداء على مصر بسرية تامة عنه ودون علمه .

---

(١) نيويورك تايمس في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦

(٢) الجنرال بيرنز : بين العرب والاسرائيليين : نيويورك ١٩٦٣ ص ١٨٠

(٣) نيويورك تايمس في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ .

ثانياً : ان الرئيس ايزنهاور ، وهو عسكري كبير ، كان يحمل في قلبه الكبير مبادىء انسانية . وكان يرى أن عصر الاستعمار والاعتداء على بلاد الناس واحتلال اراضيها قد انتهى ... وان ما قامت به الدول الثلاث المعتدية مخالف لمبادئه ..

ثالثاً : ان الرئيس ايزنهاور كان يرى ايضاً ان منطقة الشرق الاوسط هي منطقة نفوذ للولايات المتحدة الامريكية ، ولا يسمح لبريطانيا وفرنسا او غيرهما التدخل فيها عسكرياً ...

ولهذه الاسباب قاوم الرئيس ايزنهاور الاعتداء الثلاثي ، واصر على المتـآمرين بالانسحاب .. وهددت حكومة الاتحاد السوفيتي المعتدين وطالبتهم بالانسحاب ... واصدر مجلس الامن قراراً بذلك . فتم الانسحاب ...

وادى فشل الاعتداء على مصر الى استقالة السيد انطوني ايدن رئيس الحكومة البريطانية يومئذ ، والى ضياع مكانته السياسية في بلاده وفي العالم ، وكانت كبيرة ... فعينته الملكة في مجلس اللوردات باسم « ايرل اوف ايفون » ، كما ادى الى استقالة بن غوريون من الحكومة الاسرائيلية ...

مذبحة كفر قاسم

وقبيل غروب شمس يوم ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ ، وهو اليوم الذي هاجمت فيه القوات الاسرائيلية قطاع غزة وسيناء ، دخل جند من قوة الحدود الاسرائيلية قرية « كفر قاسم » الواقعة في « المثلث » على الحدود مع الاردن . وفرض ضابط تلك القوة منع التجول بعد نصف ساعة ، وكان الوقت قريباً من الغروب ، وامر جنده باطلاق النار على كل عربي خارج بيته دون تردد او انذار ... واعلم بذلك مختار القرية ، فأبان المختار للضابط أن كثيرين من اهل القرية خارجها يعملون في حقولهم ، والوقت المحدد لابتداء منع التجول وهو نصف ساعة ، غير كاف عملياً لاعلام السكان بالتزام بيوتهم . والقادمون اليها ممن هم خارج القرية لا يعرفون ان منع التجول طبق في قريتهم ، وأن هذا الوضع سيؤدي إلى مذبحة ... اجاب الضابط : هذا شغلك وليس هناك اي تغير في التعليمات التي اعطيتها للجند بقتل كل من هو خارج البيوت في اثناء منع التجول ...

مضت مهلة النصف الساعة ، وابتدأ أهالي القرية يعودون الى منازلهم وهم على غير علم بمنع التجول . ففوجئوا بنيران الجند الاسرائيلي تطلق عليهم ، وتقتل منهم

٥١ شخصاً وتجرح ١٣ آخرين ! وكان من بين القتلى ١٢ امرأة وفتاة وعشرة صبيان بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة ، وسبعة اطفال بين الثامنة والثالثة عشرة ...

حاولت الحكومة الاسرائيلية كتمان هذه الجريمة النكراء ... غير ان اخبارها تسربت الى الخارج ... وهز الرأي العام هذا العمل البربري الذي لم يسبق له مثيل في تطبيق « منع التجول » في اي بلد في العالم مهما كانت قلوب ابنائه متحجرة ، وتناول عدد من دور الانباء العالمية ومن الصحافة حوادث هذه الفاجعة المسجلة في صفحة سوداء من تاريخ اسرائيل ، الذي كله صفحات سوداء ، قديمة وحديثة ملطخة بالدماء ... ومنها الصفحة التي عليها دماء السيد المسيح عليه السلام ... ومهما حاول كثيرون ازالتها عنها فان تلك الدماء الزكية لن تزول ، اذ ليس بالامكان محو التاريخ او تغييره ... وامام النقد والتقريع العالمي اجرت الحكومة الاسرائيلية محاكمة صورية هزلية لمقترفي الاعمال الهمجية في « كفر قاسم » ... تشبهها المحاكمة التي قامت بها الحكومة الاسرائيلية لعميلها دنيس روهين المسيحي الاسترالي ، الذي دفعته الى احراق المسجد الاقصى في ٢١ آب (اغسطس) ١٩٦٩ ، وانتهت ببراءته بداعي انه مختل العقل . وهل من الممكن للجاني ان يحاكم نفسه ولا يخرج بريئاً ؟ ! ...

وظهرت في اثناء المحاكمة تفاصيل عن فظائع مجزرة « كفر قاسم » ... وكذلك الاحكام التي اصدرتها المحكمة الاسرائيلية ، باسم العدالة الصهيونية ، بمثابة هزء وسخرية بحقوق الانسان وبالعدالة ، وهي لا وجود لها بين جماعة عقيدتها تدعو الى القتل والذبح وسفك الدماء وهدم البيوت وقتل الحيوانات ... لكل من هو ليس على عقيدتها ! مسكين هتلر بجانبهم ! لقد كان رقيق القلب ، خيراً بالنسبة اليهم ! .. ورب شر تتعاظم بشاعته او تقل عند مقابلته بشر آخر ..

وكتبت جريدة « ها آرتس » العبرية في ١١ نيسان (ابريل) ١٩٥٧ تقول :

« ان الضباط والجنود الاحد عشر الذين يحاكمون بسبب مذبحة كفر قاسم نالوا جميعاً زيادة في مرتباتهم قدرها ٥٠٪ ، وتوجه موظف خاص الى القدس لاحضار الحوالات للمتهمين في الوقت المناسب لصرفها لهم . ومنح عدد من المتهمين اجازة ... وان المتهمين يختلطون بحرية بالحرس ، فيبتسم هؤلاء لهم ويربتون على اكتافهم وبعضهم يصافحهم . ومن الواضح ان الذين يحاكمون ، سواء ثبتت ادانتهم او براءتهم ، فانهم لا يعاملون كمجرمين بل كابطال » ! ..

ونشرت « الجويش نيوز لتر » كلمة ابانت فيها ما يكنه الاسرائيليون من بغض

وحقد وكراهية للعرب سواء من هم منهم في اسرائيل او خارجها . وذكرت أن الشرطي دافيد غولد فيلد ، احد الجناة القتلة – استقال من سلك الشرطة احتجاجاً على اجراء المحاكمة ، ولو كانت صورية ! وقال في شهادته امام المحكمة :

« اشعر بأن العرب اعداء لدولتنا ... وعندما توجهت الى كفر قاسم شعرت بانني ذاهب ضد العدو ، فلم اكن اميز العرب في اسرائيل من العرب خارج حدودها » ! وعلى سؤال للقاضي : ماذا كان يفعل فيما لو التقى بامرأة عربية تريد دخول بيتها وهي لا تشكل بحال من الاحوال خطراً على الامن ، اجاب : « اطلق النار عليها دون ان اشعر بأي عطف . كانت لدي اوامر على ان انفذها[1] » .

وبعد سنتين واربعة اشهر من مذبحة كفر قاسم حكمت المحكمة على قائد شرطة الحدود الذي اعطى الأوامر بالقيام بالمذبحة « بغرامة رمزية قدرها سنتان فقط (اي سبعة فلوس) لتجاوزه الصلاحيات وفرض نظام منع التجول على قرية عربية في اسرائيل سنة ١٩٥٦ »[2] ! .. وعلق الكاتب جيمس ويربرغ على معاملة اسرائيل للسكان غير اليهود بقوله :

« لا يوجد ما هو افجع من رؤية خلق دولة يهودية تعامل الاقليات غير اليهودية فيها معاملة مواطنين من الدرجة الثالثة .. وخلق ملجأ هناك (اي في فلسطين) للمضطهدين والمعذبين شيء ، وخلق نعرة قومية ودولية قائمة على تعصب ديني من مخلفات القرون الوسطى وعلى اسطورة وجود جنس يهودي استغلها النازيون ، شيء آخر »[3] .

ويمكن القول بحق ان هذه الدولة الصهيونية ، التي قامت على الاعتداء ، ومن غير ان يكون لها اي حق في فلسطين ، قامت بأعمال اجرامية همجية بربرية ضد العرب وستستمر في القيام بها .. ومن الغريب في هذا العصر ان يسمح لها بالبقاء . فلا يجوز ، باسم الانسانية ، ان كانت العدالة الدولية قد زالت عن المعمورة ، ان تبقى .. والشرق

---

(١) جويش نيوزلتر في ٨ تموز (يونيو) ١٩٥٨ .
(٢) جريدة نيويورك هيرالد تربيون في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٥٩
(٣) من خطاب القي في كنيس بشكا في نيوهافن كونكتكات في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٩. جاء في كتاب « ملف القضية الفلسطينية ص ٨٤ » .

الاوسط لن يعرف الامن والسلام ما دامت الصهيونية ، وليدة العنصرية الدينية البغيضة ، موجودة في جزء منه ...

« ان الدولة الاسرائيلية بدعة ، شيء ضد الطبيعة . لا يمكن ان يكون لها وجود . نحن لسنا معادين للسامية ، ولا نُكن اي شيء ضد اليهود ، ضد اتباع الدين العبري . ألسنا انفسنا ساميين ؟ ولكن مفهوم الوطن القومي اصطناعي » [1] .

من العرض السريع السابق لأعمال اسرائيل نرى أنها توسعت اثر اعلان قيامها فيما وراء خطوط التقسيم ، أي في القسم العربي الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً .. بعد ذلك فيما وراء خطوط الهدنة .. وأعلن قادتها أن تلك الخطوط اصبحت قديمة لاغية ، لاعطاء انفسهم الحرية ، دون تقيد قانوني بخطوط الهدنة ، بالتوسع في البلاد العربية .

ولم يثن اسرائيل فشلها في حربها مع مصر سنة ١٩٥٦ ، بل اخذت تعد ، بعد ساعة الفشل ، لاعتداء جديد اكبر واوسع ...

وفي ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قامت بذلك الاعتداء ، بعد ان مهدت له بمناورات سياسية وعسكرية ... فاتلفت في ساعات قليلة قوات طيران الجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، وسوريا ، وزحفت جيوشها على سيناء والضفة الغربية والجولان ، واحتلتها كلها دون قتال يستحق الذكر ..

فما هي دوافع اسرائيل من اشعالها نيران حرب ٥ حزيزان (يونيو) ١٩٦٧ ؟

موجز البحث

١ ـ قضى الرومان على الوجود اليهودي في القدس سنة ٧٠م . واخذوا منهم الوفاً من الاسرى الى روما ... وهربت جماعات منهم تمكنت من النجاة الى برقة وشمالي الحجاز والعراق ... ومنذ ذاك التاريخ الى القرن التاسع عشر كان تفكير اليهود في القدس تفكيراً روحياً لا تشوبه اطماع سياسية استعمارية ...

٢ ـ في اواسط القرن الثامن للميلاد اعتنق « الخزر » الدين اليهودي ... والخزر من

(1) من حديث اجراه الرئيس شارل حلو مع جريدة « الفيغارو » الفرنسية اثناء وجوده في باريس في طريقه الى مؤتمر القمة في الرباط . جريدة النهار في ٢١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ .

اصل تركي (تتري) او فنلندي ، وهم غير ساميين . ودولة الخزر كانت في النصف الشمالي من البلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الاسود ، وامتدت شمالاً في الاورال وشرقاً حتى « كيف » . وباعتناق الخزر الدين اليهودي ، وبتهود العديد من العنصر السلافي في روسيا وشرقي اوروبا ، اصبحت الأكثرية الساحقة من اليهود من عناصر غير سامية . لا علاقة لها بفلسطين ... واليهود اليوم ليسوا شعباً ولا عنصراً ، وانما هم جماعات من شعوب مختلفة ، وعناصر متنوعة ، تدين بالدين اليهودي ، من بينهم الابيض والاصفر والاسود والملون .. وهم كالمسيحيين والمسلمين جماعات من شعوب مختلفة وعناصر متنوعة تدين بالدين المسيحي او بالدين الاسلامي ...

٣ ـ ظهرت ، في القرن التاسع عشر ، حركات صهيونية ، منها الدينية والثقافية والقومية . وكان اعظمها الحركة الصهيونية القومية السياسية الاستعمارية التي قام بها تيودور هيرتزل متبنياً حركة روح ذاك القرن ! الروح الاستعمارية والروح القومية . وقد اتخذ من الدين اليهودي قومية وعنصراً ! . فحركته هي في الواقع العنصرية القومية الدينية . اي انه جعل من الدين عنصرية وقومية ! .. ونشر سنة ١٨٩٦ كتابه الذي اسماه « الدولة اليهودية » . ودعا سنة ١٨٩٧ الى اول مؤتمر صهيوني عالمي اتخذ قرارات لايجاد « الدولة اليهودية » في فلسطين ، وأنشأ « المنظمة الصهيونية العالمية ».. وتقوم السياسة الستراتيجية الصهيونية لانشاء الدولة اليهودية على دعامتين الاولى السياسة والدبلوماسية ، والثانية العنف والارهاب والحرب ...

٤ ـ يستند الصهيونيون في دعواهم باقامة دولة يهودية في فلسطين الى ما يدعونه « الحق التاريخي » . ويزعمون ان فلسطين لهم لانها كانت بلادهم .. وهذه « الدعامة » التي يستندون اليها « واهية »، لأن اليهود دخلوا فلسطين غزاة لاجئين، وخرجوا منها كما خرج غزاة آخرون .. وأصل اليهود ليس من فلسطين ، وانما هم من جنوبي العراق ، عشيرة كانت « غير مرغوب فيها » في وطنها فطردت منه ، وكانت حيث تحل تحارب الى ان اتت الى فلسطين فحاربها اهلها ، وهم قبائل عربية باسماء مختلفة وأخرجوهم منها ، فذهبوا الى مصر وعاشوا فيها عبيداً . ثم أخرجهم موسى الى سيناء ومنها دخلوا فلسطين ، وظل اهل البلد العرب في حروب مستمرة معهم ... انشأوا دولة في قسم من فلسطين ما لبثت ان زالت ... وشردهم

الرومان سنة ٧٠ ميلادية . فاليهود دخلاء على فلسطين، وكان العرب فيها قبل مجيئهم اليها، وفي اثناء وجودهم فيها ، وبعد زوالهم منها ... فدعامة « الحق التاريخي » دعامة ليس لها وجود صحيح ، وهي باطلة . ولو اتبعت دولياً لكان على سكان كل بلد في هذه الايام ان يخرجوا من اوطانهم ليحل محلهم اقوام آخرون ! ؟ ..

٥ ــ تولى زعامة الحكومة الصهيونية بعد هيرتزل الدكتور حاييم وايزمن .. وكان يعلم أن دعامة (الحق التاريخي) ليست صحيحة ... فعمل على الوصول الى دعامة اخرى . اراد الحصول على مستند يعطي اليهود حقاً في فلسطين ... فتمكن في اثناء الحرب العالمية الاولى من الحصول على « تصريح بلفور » من الحكومة البريطانية ، في « تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ... على الا يوتى بعمل من شأنه ان يضير بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين » . اعتبرت الصهيونية هذا المستند قانونياً يعطيها حق اقامة دولة في فلسطين . هذه « الدعامة » واهية أيضاً لأن فلسطين ليست ملكاً لبريطانيا ، ولا حق لها في التصرف فيها .. وهي لا تستطيع نقل ملكية ما لا تملك الى الآخرين . يضاف الى هذا أن الحكومة البريطانية اعلنت مراراً أن تصريح بلفور لا يعطي حقاً باقامة دولة يهودية في فلسطين ، كما اعلنت سنة ١٩٣٩ ان التصريح استكمل الغاية التي من اجلها اعطي ، وانه بات غير موجود ، وأن للعرب حقوقاً في فلسطين لا ينبغي نكرانها ، وأنه يجب اقامة دولة فلسطينية يشترك فيها العرب واليهود بنسبة السكان وهي ثلثان من العرب وثلث من اليهود .

٦ ــ وبعد صدور الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ اخذ الصهيونيون يتبعون استراتيجية « العنف والارهاب والحرب » الى يومنا هذا .. وفي الوقت نفسه يستندون في ذلك الى ما لهم من نفوذ وسيطرة في الاوساط الامريكية ، وتأييد الحكومة الامريكية لهم .. وادت هذه الستراتيجية الى ان قررت الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ « تقسيم فلسطين » بين العرب واليهود .. واتخذ الصهيونيون هذا القرار « دعامة » ثالثة لحقهم في اقامة الدولة اليهودية ... وهذه الدعامة هي ايضاً واهية .. اذ أن قرار التقسيم غير قانوني ، ولا يحق للامم المتحدة تقسيم بلد واقامة دول فيه ...

٧ ــ وبما أن الدعائم الثلاث : الحق التاريخي وتصريح بلفور وقرار التقسيم حجج واهية ،

لا تعطي حقاً قانونياً للصهيونيين باقامة الدولة اليهودية في بلد عربي ، يعتمد الصهيونيون في اقامة دولتهم على القوة ، وبواسطة « العنف والارهاب والحرب » يريدون الحصول من العرب اصحاب الحق في فلسطين ، وفي اي جزء من البلاد العربية ، على مستند يعطي صيغة قانونية لوجود « الدولة الاسرائيلية » في فلسطين واجزاء من بلاد عربية ، وذلك بالمطالبة والالحاح باجراء مفاوضات مع الدول العربية تؤدي الى الاعتراف بالدولة الاسرائيلية ضمن الحدود التي يتفقون عليها .. والوصول الى هذا المستند القانوني لوجود اسرائيل يعطيه العرب ، هو سر الحاح اسرائيل على المفاوضات مع الدول العربية .. ان اي تسوية مع الصهيونيين تؤدي الى الاعتراف بالدولة الاسرائيلية ، خيانة لا تغتفر وكارثة على العالم العربي كله ..

٨ ــ والاعتراف باسرائيل ، في اي قسم من فلسطين أو حتى في فلسطين كلها ، لا يزيل اخطارها عن البلاد العربية . انها تريد الاعتراف للحصول على « شرعية وجودها » عند العرب انفسهم ، فتزداد قوة تساعدها على تحقيق اطماعها في البلاد العربية . تلك الاطماع التي لا حدود لها .. قال هيرتزل ، وقال زعماء صهيونيون عديدون ان بلادهم يجب ان تمتد من النيل الى الفرات ، وتشمل على جميع البلاد الواقعة شمالي خط يمتد من جنوبي الكويت الى جنوبي المدينة المنورة ، وتحتوي على العراق ومصر ايضاً .. وقال مسؤولون إسرائيليون ان بلادهم لا حدود لها ! .. وقال ايبان مراراً ان الشرق الاوسط وخيراته ليست للعرب وحدهم ! .. وبعث الجنرال هارلي مندوب الرئيس روزفلت في الشرق الاوسط تقريراً الى رئيسه سنة ١٩٤٣ ذكر فيه : ان الصهيونيين يصرون على تحقيق الزعامة الصهيونية للشرق الاوسط بكامله في مجالات التنمية الاقتصادية والسيطرة عليه ! ..

٩ ــ وما شن اسرائيل الحرب في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ على مصر والاردن وسوريا الا خطوة من خطوات التوسع الاسرائيلي الهادف الى تحقيق اسرائيل الكبرى ... والى الضغط على العرب بالحديد والنار ، لاعطائها المستند القانوني لشرعية وجودها في البلاد العربية ... لقد مكنت حرب حزيران الصهيونيين من رفع علم اسرائيل على « قبة الصخرة وعلى كنيسة القيامة » ... فهل ستمكنهم الخلافات بين المسؤولين العرب ، من رفع علم اسرائيل على المسجد الذي يضم قبر « محمد » صلى الله عليه وسلم ، في المدينة المنورة ، كما مكنتهم تلك الخلافات من رفعه على الكنيسة التي تضم قبر « عيسى » عليه السلام في القدس ! ؟ .. هل مات الشعور في الشعوب العربية ، ام ان خلافات زعمائها شلت قواها ؟ ! ..

القِسمُ الثاني

حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧
وموقف الولايات المتحدة الامريكية

الفصل الثالث

دوافع حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧

في صباح يوم الاثنين الموافق ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ اخذت الطائرة من الكويت متوجهاً الى عمان . فقد كنت في ذاك اليوم اتممت رحلة دراسية حول العالم دامت سنة كاملة واسبوعاً . ولما مضى على وجودنا في الجو نحو ساعة ونصف الساعة ، وهو الوقت اللازم للوصول الى مطار عمان ، نظرت من النافذة لأرى معالم عمان فلم أر سوى الصحراء . استفهمت من مسؤول في الطائرة عن سبب ذلك ، فأجاب بأن قائد الطائرة حين اقتربنا من عمان ، تسلم تعليمات بالعودة الى الكويت والبقاء فيها الى اشعار آخر ، لأن الحرب قد ابتدأت بضرب اسرائيل مطارات الجمهورية العربية المتحدة في الساعة ٨,٤٥ بحسب توقيت القاهرة الصيفي .

ضربت الطائرات الاسرائيلية الطائرات المصرية وهي جاثمة في المطارات ... ودامت هذه العملية الحربية ما يقرب من ثلاث ساعات ... ثم ضربت طائرات اسرائيلية مطار عمان ، ومطار سوريا ... وبعد ان قضت اسرائيل على الطيران المصري ، اصبحت نتيجة الحرب واضحة ... ولهذا يمكن تسمية هذه الحرب بحرب « الساعات الثلاث » لا بحرب الايام الستة ، كما هو متداول .

وتلا القضاء على طيران الدول العربية الثلاث ، زحف جيوش اسرائيل على قطاع غزة وسيناء من الجمهورية العربية المتحدة ... وعلى الضفة الغربية (بما فيها القدس) من الاردن ... وعلى هضبة الجولان من سوريا ... واحتلالها لها ..

ولا يستطيع الباحث الا ان يتساءل :

هل قامت اسرائيل بحربها هذه منفردة دون سابق تخطيط طويل لها ، ودون سابق تفاهم عليها مع الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ؟ ام قامت بها بعد تخطيط دقيق خلال سنين وبتفاهم تام مع امريكا وبريطانيا ؟ .. وان كان ذلك فما هي دوافع هذه الحرب ؟ ..

ولكن قبل الاجابة عن ذلك، اشير الى ان اعتداء اسرائيل على مصر في سنة ١٩٥٦، وخوضها تلك الحرب ، كان بعد تخطيط دقيق ، وبعد مؤامرة محبوكة مع بريطانيا وفرنسا اخذ إحكامها مدة طويلة . على ان الفرقاء الثلاثة في مؤامرة سنة ١٩٥٦ ضد مصر ، انكروا يومئذ انه كانت بينهم مؤامرة ما ، وظلوا على انكارهم سنين عديدة ، الى ان ظهرت معالمها على أيدي الكتاب ، وعلى ألسنة مسؤولين في تلك المؤامرة في السنوات الاخيرة . ؟

اني ممن يؤمنون أن اسرائيل كانت قد أعدت لحربها في سنة ١٩٦٧ منذ سنين ، وانها اوقفت امريكا وبريطانيا على بعض نواياها ، وما اوقفت امريكا عليه منها كان اكثر مما اوقفت عليه بريطانيا .. ولم تقدم اسرائيل على اعتدائها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الا بعد ان نالت موافقة الحكومة الامريكية على ذلك ، وضمنت مساعداتها لها ، كما ابان ذلك الكاتب الامريكي « لويس فليمنج » في مقال له اشرنا اليه في صفحات سابقة .

وقد استفادت حكومة الولايات المتحدة الامريكية من الاخطاء التي كانت قد وقعت فيها بريطانيا وفرنسا في حرب ١٩٥٦ ، واهمها الاشتراك المباشر في الحرب مع اسرائيل ، والتآمر المفضوح معها، مما ادى الى ثورة الرأي العام العالمي يومئذ على حرب « الدول الثلاث » ضد مصر ... ولذلك كانت الحكومة الامريكية اكثر حذراً في سنة ١٩٦٧ من الحكومتين البريطانية والفرنسية في سنة ١٩٥٦ .. فتفاهمت اسرائيل مع حكومة الولايات المتحدة الامريكية على خطوط عديدة من خطوط حربها سنة ١٩٦٧.. وايدت الحكومة الامريكية ذلك ، وان بقيت على غير صلة رسمية مباشرة بها.

وليس هناك « عاقل » يمكن ان يوافق على أن اسرائيل اقدمت على حربها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ دون سابق تفاهم مع الحكومة الامريكية ، ودون نيـل تأييدها ! .. وسيذكر التاريخ كيف تم التفاهم بين اسرائيل والحكومة الامريكية على

حرب حزيران ١٩٦٧ ، اكثر مما ذكره « لويس فليمنج » في مقاله السابق الذكر ، ومقدار المساعدات التي قدمتها الحكومة الامريكية لاسرائيل وانواعها ، على الرغم من انكار ذلك في هذه الايام .. كما ابان التاريخ المؤامرة الثلاثية التي تمت في سنة ١٩٥٦ ، واوضح فصولها ، رغم انكار المسؤولين في البلاد المتآمرة يومذاك ... وما موقف الحكومة الامريكية مع اسرائيل على طول الخط ، بعد الحرب ، وضد العرب ، ومقاومتها لميثاق الامم المتحدة في سبيل تحقيق بعض اهداف اسرائيل في البلاد العربية ، الا دليل على تفاهم سابق بين الحكومتين ، قبل الشروع في الحرب .

اما الجواب عن سؤال : ما هي دوافع حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ فينقسم الى قسمين : الاول يتعلق بدوافع الحكومة الامريكية الى تغلب اسرائيل على البلاد العربية، والثاني يتعلق بدوافع اسرائيل الى حربها ضد البلاد العربية .

وسأتناول القسم المتعلق بدوافع الحكومة الامريكية ، الى تغلب اسرائيل على البلاد العربية ، في الفصل الثامن من هذا الكتاب .

اما اسرائيل فقد اشعلت نيران الحرب في ثلاث بلاد عربية ، لأنها كانت تريد الحرب ، التي خططت لها منذ سنين واوجدت جوها الملائم ، لأربعة اهداف اساسية هي :

١ ــ التوسع الاقليمي .

٢ ــ القضاء على القوات العسكرية العربية ، وعلى حكم جمال عبد الناصر .

٣ ــ تصفية قضية فلسطين .

٤ ــ حل المشاكل الاقتصادية داخل اسرائيل .

التوسع الاقليمي

رأينا في بحث متقدم كيف أن الصهيونيين خططوا لاقامة دولة اسرائيل الكبرى ، من النيل غرباً الى الفرات شرقاً ، بحيث تشتمل جميع البلاد العربية الواقعة شمالي خط يمتد من جنوبي الكويت الى جنوبي المدينة المنورة . هذه هي البلاد التي يريد الصهيونيون ان يستوطنوها بحيث لايقل عددهم فيها عن عشرة ملايين ..

وعقب حرب ٥ حزيران نادى اشكول رئيس الحكومة الاسرائيلية يومئذ بتوسيع اسرائيل وذلك بضم الاراضي التي احتلها الجيش الاسرائيلي من البلاد العربية ليتمكن

خمسة ملايين يهودي من سكانها . وكل حرب تقوم بها اسرائيل ضد دول عربية تكون غايتها الرئيسية التوسع الاقليمي حتى تحقق مخططها التوسعي ، الذي يشمل البلاد العربية آنفة الذكر ..

وينادي الصهيونيون بأن لهم حقاً في البلاد التي يطالبون بها تارة بموجب « الحق التاريخي » الذي يزعمونه، وتارة اخرى بموجب «الحدود المقدسة» التي تضم البلاد التي جاء ذكرها في التوراة ، وهي الاقوال التي كان اليهود يشجعون بها بعضهم بعضاً ايام التيه ليستعيدوا نشاطهم على المسير الى فلسطين ، وسجلها في كتابهم آخرون بعد مئات السنين .. واحياناً بالنواحي الستراتيجية والحدود المثالية للدفاع عن دولتهم ، واحياناً اخرى بالمتطلبات الاقتصادية من مصادر مياه واراضي زراعية .. واخيراً ابتدعوا اصطلاح « الحدود الآمنة » لتبرير توسعهم وبقائهم في الاراضي العربية التي احتلوها بعد ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وهم يعتقدون ان اعذارهم التوسعية هذه تنطلي على الرأي العام لانه ، بحسب اعتقادهم ، بسيط جاهل يتقبل الامور دون تمحيص او تدقيق ، ولا سيما اذا رافقت هذه الاعذار التوسعية دعاية واسعة منظمة ، يسندها المال وشراء ضمائر بعض اصحاب النفوذ في دول كبرى ..

وتعتقد اسرائيل انها ، بحربها التي شنتها على ثلاث دول عربية يوم ٥ حزيران حققت خطوة واسعة من اهداف الصهيونية التوسعية ، وذلك باحتلالها قطاع غزة وسيناء من الجمهورية العربية المتحدة ، وجميع الضفة الغربية بما فيها مدينة القدس من المملكة الاردنية الهاشمية ، وهضبة الجولان الستراتيجية المهمة الغنية من سوريا ..

فقد قامت اسرائيل في ٥ حزيران بحرب خاطفة واحتلت ما احتلته من بلاد عربية، بعد ان اقنعت دعايتُها الواسعة الرأي العام الغربي بأن العرب هم الذين يريدون الحرب والقضاء عليها .. وبعد ان هيأت الجو داخل اسرائيل وفي البلاد العربية لتوقع هذه الحرب ، هيأت الجو في اسرائيل بقولها إن العرب يريدون شن حرب واسعة للقضاء على اسرائيل وسكانها ، فجعلت شعبها يتقبل الحرب ، ويخوض غمارها بكل ما لديه من قوة .. واظهرت للعرب انها ستقوم بالاعتداء على سوريا ودخول « الشام » لحملهم على ملء الاجواء بضوضاء الاستعداد للحرب ، لاظهارهم للرأي العام الدولي بأنهم المعتدون وأن اسرائيل في خطر الزوال ، تستجدي العطف والمساعدة . وقامت في سبيل ذلك ، بدعاية واسعة في العالم اجمع وبمختلف الطرق والاساليب ... اكتفي بذكر ظاهرة بسيطة لكن مفعولها قوي عظيم :

قبل الحرب بنحو شهرين ، غادر اسرائيل رجال ونساء يصطحبون اطفالاً ، وكثيرون منهم ليسوا من ابنائهم ، الى بريطانيا وسويسرا والمانية الغربية ، والى دول اخرى من اوروبا الغربية ، واخذوا يقرعون ابواب العائلات ذات النفوذ في الاوساط الاجتماعية ، ويتقدمون منها قائلين لها ما معناه :

ان الدول العربية الكبيرة العديدة تريد شن حرب ضد اسرائيل الصغيرة الوحيدة وقتل جميع سكانها . نحن الرجال والنساء لا نخاف الموت في سبيل الدفاع عن وطننا ، ولكن نخشى ان يذبح العرب هؤلاء الاطفال الصغار وينكلوا بهم . ولهذا أتينا اليكم راجين حفظ هؤلاء الاطفال في بيوتكم حتى نهاية الحرب التي سيشنها العرب علينا . فان بقينا في قيد الحياة عدنا واخذنا اطفالنا ، وان ذهبنا ضحية الاعتداء العربي نرجو تسليمهم الى الجمعيات الخيرية لاعالتهم وتربيتهم ، والله لن ينسى لكم هذا العمل الانساني العظيم ! ؟ ..

بمثل هذه الاقوال والاساليب ، وبأساليب عديدة اخرى ، تمكنت الدعاية الصهيونية من تأليب الرأي العام العالمي على الدول العربية ، وكسب عطفه على اسرائيل .

ومما لا ريب فيه أن اسرائيل قامت بشنها حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ ، لتحقيق التوسع الاقليمي ، بعد ان خططت له منذ سنين . ومن قول ابا ايبان « انه ليس من السخف ان نتصور قادة العرب يطالبون في المستقبل بالحاح العودة الى حدود ١٩٦٦ او ١٩٦٧ ، كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ »[1] . يظهر جلياً أن اسرائيل خططت للحرب الاخيرة مع العرب قبل سنة ١٩٦٥ ، وانها كانت تنتظر وقوعها اما سنة ١٩٦٦ او ١٩٦٧ ، وانها عزمت على ان تضم ، نتيجة لذلك الحرب ، اراضي من البلاد العربية ، تغير بموجبها الحدود القائمة بينها وبين البلاد العربية سنة ١٩٦٧ .

وهناك اقوال عديدة لمسؤولين اسرائيليين تثبت ذلك ايضاً ، ومنها قول «مردخاي هود » قائد السلاح الجوي الاسرائيلي : « ان تخطيط ١٦ سنة وراء تلك الدقائق الثمانين الاولى – يشير الى الغارات الجوية يوم ٥ حزيران – لقد عشنا الخطة وكنا ننام على الخطة ونأكل الخطة . وكنا نعدها باستمرار »[2] . انه قول صريح ، لا يترك مجالاً للجدل بأن اسرائيل اعدت حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ منذ سنين عديدة.. وهذا القول

(١) مجلة الشئون الخارجية Foreign Affairs سنة ١٩٦٥ عدد ٤ ص ٦٣٠

(٢) رادولف تشرشل : صندي تايمس ، ١٦ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

وغيره ، ينفي ما ذهب اليه السفير شارل يوست في بحثـه الذي نشره في مجلة « الشؤون الخارجية » الأمريكية ، من أن اسرائيل لم تكن تريد الحرب، ولم تعد لها ، ولكن الحوادث افلتت من يدها فأدى ذلك الى الحرب ! .

ان سياسة اسرائيل ، منذ قيامها ، تهدف الى تحقيق « التوسع الاقليمي » بالقوة الحربية على خطوات .. تعمل بعد كل حرب على هضم الاقاليم التي اغتصبتها من البلاد العربية ، وعلى اسكان الصهيونيين فيها ، ومن ثم تقوم بعدوان جديد ، لتحقيق توسع جديد ، الى ان يشمل ذلك جميع البلاد الداخلة في خريطة اسرائيل الكبرى .. وهي في تخطيطها هذا تعتقد أن العرب سيرضخون للقوة ويستسلمون للامر الواقع ، كما استسلموا بعد التوسع الذي قامت به في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، حين وسعت اسرائيل الرقعة الخاصة بالدولة اليهودية ، كما وضع حدودها قرار التقسيم ، من (١٤٣٠٠) كيلومتر مربع الى (٢٠٨٠٠) كيلومتر مربع . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وسعت الرقعة التي تحتلها الى (١٠٢٤٠٠) كيلومتر مربع . وما دامت الحرب والعدوان يجزيان اصحابهما ، فلم اذن الكف عنهما ؟[1] . واعتقادها هذا قائم على ان المسؤولين في البلاد العربية سيظلون في خلاف فيما بينهم ، وأن الامة العربية ، تبعاً لذلك ، ستظل منقسمة ، والانقسامات العربية هي اساس ضعف العرب ، واساس قوة اسرائيل .

قامت اسرائيل باحتلال الاقسام المذكورة من ثلاث بلاد عربية ، وهي تعمل على هضمها ، واعمارها بالصهيونيين ، واخلائها من معظم سكانها العرب ، غيرمبالية بما ستجلبه هذه السياسة من اخطار .. وغـير عابئة بقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، الذي يصر على انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب ٥ حزيران .. واقوال المسؤولين في اسرائيل واعمالهم لا تترك مجالاً للشك في السياسة الاسرائيلية التوسعية هذه .

وهذه التصاريح عديدة ، صرحوا بها اثر انتصارهم في ٥ حزيران . وهم لا يزالون يؤكدون انهم لن يتخلوا عما احتلوه من بلاد . ولست اريد زيادة صفحات هذا الكتاب بذكر العديد من هذه التصاريح ، بل اكتفي بتسجيل نماذج لها . على انني اشير ، قبل ذلك ، الى أن الكنيست دعي في اول آب (اغسطس) ١٩٦٧ للتصويت

(١) الاستاذ هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ص ١٣٠ .

على اقتراح بشأن المناطق المحتلة وسياسة الحكومة الاسرائيلية ، فأقر الاقتراح بأغلبية ساحقة ، وجاء فيه ما يلي :

« يصادق الكنيست على موقف الحكومة في تحبيذها للخطوات المؤدية الى محادثات مباشرة بين اسرائيل والدول العربية حول توقيع اتفاقيات الصلح ، ويؤكد من جديد انه ما لم يتم الوصول الى السلام فإن اسرائيل ستستمر في ابقاء الوضع على حاله كما اوجدته اتفاقيات وقف اطلاق النار »[1] .

ومعنى هذا القرار هو أن اسرائيل عازمة على عدم الانسحاب من المناطق المحتلة ، لأنها تعلم جيداً أن الدول العربية لن تجري معها محادثات مباشرة ، كما انها لن تعقد معها اتفاقيات صلح ، لاسباب عديدة سأذكرها في صفحات تالية .

تصاريح مسؤولين

ان **ليفي اشكول** رئيس وزراء اسرائيل السابق قد عبر عما تضمره الحكومة الاسرائيلية من اطماع توسعية ، بقوله اثر الحرب مباشرة انه « نشأت حقيقة جديدة في الشرق الاوسط ... وتعتزم اسرائيل الاحتفاظ بالقسم الاردني من القدس وبقطاع غزة وبالجولان . فاسرائيل بغير القدس تكون بمثابة اسرائيل بغير رأس »[2] . وقال في مؤتمر للشباب ان المناطق المحتلة « تساعدنا على ان نضمن في المستقبل حدوداً لن تكون مرة ثانية من النوع الذي يدعو جيراننا الى القيام بمهاجمتنا »[3] ! ..

وفي خطاب القاه امام بعثة « ابناء العهد » الى اسرائيل ، في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ ، أكد سياسة اسرائيل الرامية الى تحقيق « اسرائيل الكبرى » ، وأن خطوة في تحقيق هذه السياسة تتمثل في ضم المناطق المحتلة من اراضي الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا . وناشد يهود العالم ارسال المهاجرين والمستوطنين لملء ما احتلوه من اقاليم عربية .. وتحدث عن « المجالات الجديدة التي تواجه الامة عقب انتصارها » فقال « لو سألتموني عن المطلوب لتحقيق هذه المجالات الجديدة لكان جوابي بكلمة واحدة بسيطة : نحن في حاجة الى مزيد من اليهود » .. وعلق مراسل الهرالد تربيون في مقال له على تصريح اشكول بقوله :

(١) جيروزاليم بوست — ٣ آب (اغسطس) ١٩٦٧ .
(٢) جيروزاليم بوست — ١٠ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .
(٣) جيروزاليم بوست — ٦ آب (اغسطس) ١٩٦٧ .

« على الرغم من مقترحات المستر اشكول وغيره من الزعماء الاسرائيليين في السابق ، بتوطين اليهود في اقسام من المناطق المحتلة ، بغية التأثير في محادثات الحدود المحتملة ، فإنّ اشارته الى « اسرائيل الكبرى » بدت وكأنها اشد الاقتراحات صراحة حتى الآن » [١] .

وفي ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ ، شرح اشكول امام الكنيست سياسة اسرائيل الرامية الى « تعيين حدود قومية آمنة ومتفق عليها في اطار معاهدات الصلح » ، و « ان اسرائيل ستستمر في الابقاء على الوضع الراهن ، كما عينته اتفاقيات وقف اطلاق النار ، وستقوم بتعزيز مركزها وفقاً لاحتياجاتها الحيوية للأمن ، بسبب رفض العرب اجراء مفاوضات صلح . وسنواصل تعزيز قوتنا وتحصين امننا ، ما دام الخطر علينا باقياً ، وما دمنا عرضة لخطر التدمير »[٢] ! ..

وتصاريح ليفي اشكول الدالة على سياسة اسرائيل التوسعية كثيرة . مات ليفي اشكول يوم الاثنين الموافق ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، وخلفته في رئاسة الوزراء كولدا مايير سكرتيرة حزب العمل .

وكولدا مايير تتشدد في تصاريحها ، سواء اكانت قبل توليها رئاسة الوزراء او بعده ، بالمحافظة على الاقاليم العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ضمن الحدود الاسرائيلية . ومما قالته عندما كانت سكرتيرة حزب العمل يوم ١٨–٣–١٩٦٨ : « ان القضية ليست ما اذا كان يجوز لنا ، من الناحية الادبية ، البقاء في هذه الاراضي التي احتلها الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران ، ولكنها اننا لا نريد مليون عربي آخر ، والمشكلة هي كيف نستطيع اخذ هذه الاراضي بدون المليون عربي . والجواب عن ذلك هو هجرة الملايين من اليهود » . وهي في ذلك تقول ما قاله اشكول بضم الاراضي المحتلة الى اسرائيل وطرد سكانها العرب منها . وهذه هي سياسة الصهيونيين دائماً قبل ايجاد اسرائيل وبعده .

وتابعت كولدا مايير قولها : « اشك في اننا نوشك ان نتوصل الى السلام. علينا ان نعود انفسنا على اننا سنبقى في المناطق سنوات كثيرة ، فالحدود هي افضل مما كانت

---

(١) هرالد تربيون – باريس – ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ .
(٢) هرالد تربيون – باريس ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ .

عليه في الماضي عندما كانت تحرسها قوات الامم المتحدة »[١] .

وبعد ان تولت رئاسة الوزراء صدرت عنها تصاريح عديدة تظهر أن الحكومة الاسرائيلية لا تريد الانسحاب من الاراضي المحتلة ، معتمدة في ذلك على تأييد الحكومة الامريكية لها في هذه السياسة ، ومتخذة الدعوة الى الوصول الى السلام غطاء لبقائها في البلاد المحتلة ووضعها ضمن حدود اسرائيل السياسية . ومن ذلك قولها في اجتماع للطلبة في حيفا يوم ٤ – ٩ – ١٩٦٩ :

« يطالبوننا بالانسحاب قبل ان يكون سلام ، ولكن حكومة الولايات المتحدة الامريكية تقف من ورائنا في هذه المسألة مؤيدة لنا في عدم التحرك من اية حدود كانت ، ما دامت لا توجد تسوية سلمية »[٢] .

وقالت في اجتماع للتكتل العمالي (المواخ) في تل ابيب يوم ٥ – ٨ – ١٩٦٩ متابعة إصرارها على البقاء في الاراضي المحتلة : « ليس عندي ادنى شك في انه عندما يأتي اليوم الذي يكون فيه امكان حقيقي للسلام ، لن يتنازل احد منا عن شبر واحد من الارض التي يمكن ان تضمن حدوداً آمنة للدولة ، وعندئذ تختفي جميع الخرائط التي ترسم الآن »[٣] . وحدود ايقاف النار الحالية في نظر المسؤولين الاسرائيليين هي الحدود الآمنة ، التي تريد اسرائيل تثبيتها وجعلها حدودها السياسية ! ..

اما **ابا ايبان** وزير خارجية اسرائيل ، الذي يعتبره الغربيون الرجل المعتدل في اسرائيل ، فله من التصاريح ما لا يقل في جوهره عن تصاريح اشد الصهيونيين مغالاة في مطالبهم من العرب ، وعداوتهم لهم ، وان اختلف مع زملائه في الاسلوب الذي يضع فيه اقواله ، اذ هو رجل ديبلوماسي مثقف ، يقول أشد الاقوال واعنفها لكن باسلوب ناعم ... قال في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ : « حتى لو اقترعت الجمعية العامة ، على عودة اسرائيل الى خطوط الهدنة فاقرتها بـ ١٢١ صوتاً مقابل صوت واحد فان اسرائيل سترفض الامتثال لهذا القرار ، ولن تنسحب من الاراضي التي احتلتها[٤] » وقال « لا يستطيع المرء احياناً ان يظفر بالسلام والأمن دون مكاسب اقليمية[٥] » وقال

---

(١) جريدة دافار في ١٩ – ٣ – ١٩٦٨
(٢) جريدة دافار في ٥ – ٦ – ١٩٦٩ .
(٣) جريدة دافار في ٦ – ٨ – ١٩٦٩
(٤) نيويورك تايمس في ١٩ – ٦ – ١٩٦٧ .
(٥) مقابلة تلفزيونية المانية في ٥ – ٧ – ١٩٦٧ .

« ان النصر العسكري لا يستقر ولا ينجح الا اذا دعمه صلح . فقد حدث ما حدث سنة ١٩٦٧ لأن اسرائيل في سنة ١٩٥٧ اقنعت بالتخلي عن ثمار النصر . اما هذه المرة فستكون هناك خريطة مختلفة لاسرائيل ... ولا تحتاج اسرائيل الى الاعتراف بها ، فهي قائمة موجودة »(١) .

وقال في محاضرة القاها امام جماعة من حزب المعراخ في تل ابيب يوم ١٨–٧–١٩٦٨ ما يلي : « منذ اكثر من سنتين ونحن نسعى لاحلال السلام، ولكن هذه المرة لم نفرط بمتر واحد من مقتنياتنا ، وسنحافظ على هذه المقتنيات كأرصدة حتى نحولها الى وقائع امن وسلام »(٢) .

وقال في شرم الشيخ يوم ٢٢ – ٥ – ١٩٦٩ « ان كل تسوية يجب ان تضمن سيطرة اسرائيل على شرم الشيخ لكي نستطيع ان نضمن حرية الملاحة . وبدون وجود اسرائيل في هذه المنطقة لن يكون اي امكان لضمان كيان هذه الثروة الدولية »(٣) .

ومن اكثر زعماء اسرائيل تصريحاً واظهاراً لحقيقة السياسة التوسعية الاسرائيلية في الاقوال والاعمال ، هو **الجنرال موشى دايان** وزير الدفاع الاسرائيلي . وهو كالزعماء الاسرائيليين الآخرين يعبر عن حقيقة السياسة التوسعية ، ويزداد صراحة في ذلك كلما مرت الايام . لقد قال في ١٢ – ٦ – ١٩٦٧ ، اثر انتهاء الحرب « ان قطاع غزة لاسرائيل ، وسنتخذ الخطوات لجعله جزءاً من هذا البلد » . وقال « على اسرائيل الا تعود الى حدودها كما كانت في سنة ١٩٤٨ ، وعلينا ان ننظر الى واقع سنة ١٩٦٧ والى خريطة سنة ١٩٦٧ . اننا لا نحتاج الى حدود دائمة فقط ، بل الى حدود تضمن السلام »(٤) وقال « هناك مليون عربي لا نريدهم مواطنين في اسرائيل في القسم الاردني – الضفة الغربية – وطبعاً لا نريد عودة مصر الى قطاع غزة ، ولا الى سيناء .. لا اعتقد أن على اسرائيل ان تتنازل بحال من الاحوال عن قطاع غزة لمصر او عن الجزء الغربي من الاردن للملك حسين »(٥) . وقال « لن نسمح لأنفسنا بحال من

---

(١) الديلي ستار – بيروت في ١٩ – ٩ – ١٩٦٧ .
(٢) جريدة دافار في ٢٠ – ٧ – ١٩٦٨ .
(٣) جريدة دافار في ٢٥ – ٥ – ١٩٦٩ .
(٤) جريدة جروزاليم بوست في ١٠ – ٨ – ١٩٦٧
(٥) من تصريحاته في تلفزيون C.B.S. نيويورك .

الأحوال ، بالخروج مثلاً من الخليل . هذا برنامج سياسي ، ولكن ما هو اهم من ذلك هو انه تحقيق لحلم اجداد الشعب »(١) .

وقال في رابطة طلبة العهد الجامعي في القدس في ١٩ – ٣ – ٦٩ ، لقد « تبنينا هدفين سياسيين بعد حرب الايام الستة ، اولهما تحقيق حدود جديدة ، اي دولة اسرائيل ضمن حدود جديدة ، في خريطة جديدة . وثانيهما صيغة علاقات اخرى مع العرب ، علاقات سلم طبيعي يتم احرازها بالجلوس حول مائدة المفاوضات ... اننا لا نريد ضمانات من الاتحاد السوفيتي ولا من الولايات المتحدة الامريكية . لا نريد ان يضمننا الآخرون ، ولا ان تحرس قوات الامم المتحدة حرية الملاحة وتضمنها(٢) » .

والقى موشي دايان محاضرة في الجلسة الافتتاحية لمجلس حركة المستوطنات في تل ابيب يوم ٢٦ – ٦ – ١٩٦٩ ، قال فيها :

« على اسرائيل ان تنشىء قرى ومستوطنات في الضفة الغربية ، قرب القرى العربية .. لو كانت مصر مستعدة لعقد صلح مع اسرائيل على شرط ان نعود الى حدود ٤ حزيران .. فانني شخصياً افضل الوضع الحالي بدون سلام مع وجود اسرائيل في شرم الشيخ ، على السلام المقيد بالانسحاب الى الحدود القديمة » .

« ينبغي التمييز بين احتلال اماكن لاجل الامن فقط ، واماكن اخرى لاجل الامن والاستيطان معاً . فلو كانت المشكلة مشكلة امن فقط لكان من الممكن وضع كتائب الدبابات او مظليي الناحال دون حاجة الى زراعة الطماطم .. » .

« هناك ثلاثة اسباب للتوطين في مناطق المتسوطنات هي :

« سبب سياسي أمني : في الاماكن التي لا ننوي ان نتحرك منها ، ولذا نحفر فيها الآبار ونزرع فيها الاشجار ، ففي مثل هذه الاماكن من الاهمية بمكان ان نزرع ونفلح » .

« نظرة تاريخية : في الاماكن التي يرتبط بها شعب اسرائيل بروابط شعب بوطنه ، لا لمجرد دواع استراتيجية » .

« والمقياس الثالث في اختيار اماكن الاستيطان هو المقياس الاقتصادي . اذ من

---

(١) وكالة الانباء U.B.I. في ٩ – ٨ – ١٩٦٧ .
(٢) جريدة دافار في ٢٠ – ٣ – ١٩٦٩ .

« ان النصر العسكري لا يستقر ولا ينجح الا اذا دعمه صلح . فقد حدث ما حدث سنة ١٩٦٧ لأن اسرائيل في سنة ١٩٥٧ اقتنعت بالتخلي عن ثمار النصر . اما هذه المرة فستكون هناك خريطة مختلفة لاسرائيل ... ولا تحتاج اسرائيل الى الاعتراف بها ، فهي قائمة موجودة »[1] .

وقال في محاضرة القاها امام جماعة من حزب المعراخ في تل ابيب يوم ١٨–٧–١٩٦٨ ما يلي: « منذ اكثر من سنتين ونحن نسعى لاحلال السلام، ولكن هذه المرة لم نفرط بمتر واحد من مقتنياتنا ، وسنحافظ على هذه المقتنيات كأرصدة حتى نحولها الى وقائع امن وسلام »[2] .

وقال في شرم الشيخ يوم ٢٢ – ٥ – ١٩٦٩ « ان كل تسوية يجب ان تضمن سيطرة اسرائيل على شرم الشيخ لكي نستطيع ان نضمن حرية الملاحة . وبدون وجود اسرائيل في هذه المنطقة لن يكون اي امكان لضمان كيان هذه الثروة الدولية »[3] .

ومن اكثر زعماء اسرائيل تصريحاً واظهاراً لحقيقة السياسة التوسعية الاسرائيلية في الاقوال والاعمال ، هو **الجنرال موشي دايان** وزير الدفاع الاسرائيلي . وهو كالزعماء الاسرائيليين الآخرين يعبر عن حقيقة السياسة التوسعية ، ويزداد صراحة في ذلك كلما مرت الايام . لقد قال في ١٢ – ٦ – ١٩٦٧ ، اثر انتهاء الحرب « ان قطاع غزة لاسرائيل ، وسنتخذ الخطوات لجعله جزءاً من هذا البلد » . وقال « على اسرائيل الا تعود الى حدودها كما كانت في سنة ١٩٤٨ ، وعلينا ان ننظر الى واقع سنة ١٩٦٧ والى خريطة سنة ١٩٦٧ . اننا لا نحتاج الى حدود دائمة فقط ، بل الى حدود تضمن السلام »[4] وقال « هناك مليون عربي لا نريدهم مواطنين في اسرائيل في القسم الاردني – الضفة الغربية – وطبعاً لا نريد عودة مصر الى قطاع غزة ، ولا الى سيناء .. لا اعتقد أن على اسرائيل ان تتنازل بحال من الاحوال عن قطاع غزة لمصر او عن الجزء الغربي من الاردن للملك حسين »[5] . وقال « لن نسمح لأنفسنا بحال من

(١) الديلي ستار – بيروت في ١٩ – ٩ – ١٩٦٧ .
(٢) جريدة دافار في ٢٠ – ٧ – ١٩٦٨ .
(٣) جريدة دافار في ٢٥ – ٥ – ١٩٦٩ .
(٤) جريدة جروزاليم بوست في ١٠ – ٨ – ١٩٦٧
(٥) من تصريحاته في تلفزيون C.B.S. نيويورك .

الأحوال ، بالخروج مثلاً من الخليل . هذا برنامج سياسي ، ولكن ما هو اهم من ذلك هو انه تحقيق لحلم اجداد الشعب »[1] .

وقال في رابطة طلبة العهد الجامعي في القدس في ١٩ – ٣ – ٦٩ ، لقد « تبنينا هدفين سياسيين بعد حرب الايام الستة ، اولهما تحقيق حدود جديدة ، اي دولة اسرائيل ضمن حدود جديدة ، في خريطة جديدة . وثانيهما صيغة علاقات اخرى مع العرب ، علاقات سلم طبيعي يتم احرازها بالجلوس حول مائدة المفاوضات ... اننا لا نريد ضمانات من الاتحاد السوفيتي ولا من الولايات المتحدة الامريكية . لا نريد ان يضمننا الآخرون ، ولا ان تحرس قوات الامم المتحدة حرية الملاحة وتضمنها[2] » .

والقى موشي دايان محاضرة في الجلسة الافتتاحية لمجلس حركة المستوطنات في تل ابيب يوم ٢٦ – ٦ – ١٩٦٩ ، قال فيها :

« على اسرائيل ان تنشىء قرى ومستوطنات في الضفة الغربية ، قرب القرى العربية .. لو كانت مصر مستعدة لعقد صلح مع اسرائيل على شرط ان نعود الى حدود ٤ حزيران .. فانني شخصياً افضل الوضع الحالي بدون سلام مع وجود اسرائيل في شرم الشيخ ، على السلام المقيد بالانسحاب الى الحدود القديمة » .

« ينبغي التمييز بين احتلال اماكن لاجل الامن فقط ، واماكن اخرى لاجل الامن والاستيطان معاً . فلو كانت المشكلة مشكلة امن فقط لكان من الممكن وضع كتائب الدبابات او مظليي الناحال دون حاجة الى زراعة الطماطم .. » .

« هناك ثلاثة اسباب للتوطين في مناطق المتسوطنات هي :

« سبب سياسي أمني : في الاماكن التي لا ننوي ان نتحرك منها ، ولذا نحفر فيها الآبار ونزرع فيها الاشجار ، ففي مثل هذه الاماكن من الاهمية بمكان ان نزرع ونفلح » .

« نظرة تاريخية : في الاماكن التي يرتبط بها شعب اسرائيل بروابط شعب بوطنه ، لا لمجرد دواع استراتيجية » .

« والمقياس الثالث في اختيار اماكن الاستيطان هو المقياس الاقتصادي . اذ من

(١) وكالة الانباء U.B.I. في ٩ – ٨ – ١٩٦٧ .
(٢) جريدة دافار في ٢٠ – ٣ – ١٩٦٩.

المؤكد أن اهالي القرى سيدركون أن الاستيطان لا يمكن ان يكون مجرداً من العوامل الاقتصادية » .

« ينبغي ان تقام مراكز استيطان جديدة قرب معسكرات الجيش ... ومن الممكن ان تكون هذه المعسكرات قواعد للاستيطان المدني ، حيث تتوافر الخدمات الاساسية للاهالي المدنيين مثل العيادات الطبية ، والاطباء ، والتلفونات » . وخرج من تحليله هذا لدوافع اختيار اماكن الاستيطان ، اي التوسع والاستعمار ، بقوله :

« ان اسرائيل لن تعود الى حدود ما قبل الحرب ، والوضع الحالي افضل من تسوية ضمن الحدود السابقة »(١) .

وقال دايان ، في اجتماع عقده حزب « رافي » في تل ابيب يوم ١٧–٨–١٩٦٩ ، ان « المشكلة تتمثل بسؤالين اولهما ما الذي نعتقد انه ينبغي علينا فعله في البلد ؟ وثانيهما ما في مقدورنا ان نفعله ؟ .

وجوابي على السؤال الاول هو : « ان نعين فعلاً خريطة جديدة لاسرائيل ، على اي شيء الححنا خلال عامين ؟ ولاي شيء سفكت دماء كثيرة ؟ هل من اجل المفاوضات المباشرة فقط ؟ او اننا نصر على اننا نريد اسرائيل جديدة ، وعندما نجلس للمفاوضات يكون حديثنا عن اسرائيل جديدة » .

« وبما أن العرب لا يبدون استعداداً للتفاوض معنا ، ينبغي علينا ان نخلق اسرائيل جديدة بانفسنا ، ومعنى ذلك ان نقيم مستوطنات ومستعمرات مدنية وعسكرية ومدناً وقرى في جميع المناطق التي احتلتها اسرائيل : في مرتفعات الجولان ، وقطاع غزة ، وشرم الشيخ ، والقطاع الذي يربطه باسرائيل ، والضفة الغربية .. »(٢)

ويتنافس **الجنرال بيكال الون** نائب رئيسة الوزراء ، مع زميله الجنرال موشي دايان وزير الدفاع في المناصب وفي التصاريح التي تظهر بجلاء سياسة التوسع الاسرائيلية. ومن تصاريح الون العديدة ما قاله في مؤتمر حزب العمل يوم ٤–٨–١٩٦٩ :

« ينبغي ان يكون نهر الاردن على امتداده كاملاً ، او معظم امتداده ، الحدود السياسية الشرقية لاسرائيل . انني اعترض على الصيغة التي تعتبر نهر الاردن حدود

---

(١) جريدة معاريف في ٢٧ – ٦ – ١٩٦٩ .
(٢) جريدة دافار ١٨ – ٨ – ١٩٦٩ .

أمن ، اذ بواسطة هذه الصيغة ندعو الى فصل الضفة الغربية لتصبح تحت حكم الاردن . فحدود الأمن التي لا تتفق مع الحدود السياسية ليست حدود أمن ، والحدود السياسية التي لا يعيش على امتدادها يهود لن تكون حدوداً سياسية » .

« اتخذت الحكومة قرارات مهمة في حقل الاستيطان العسكري . وقد غيرت هذه القرارات خريطة المستقبل . وخريطة ١٩٦٩ ليست خريطة ١٩٦٧ ، ولن تعود لتكون كذلك » .

« يجب ، على اي حال ، تفضيل الحدود الآمنة ، حتى لو لم تكن متفقاً عليها ، على حدود متفق عليها ولكنها ليست آمنة . ينبغي الا نيأس من تحقيق السلام ، لان يأس اسرائيل هو عبارة عن انتصار ادبي للعناصر العسكرية في المجتمع العربي »(١).

وقال **الجنرال اسحق رابين** رئيس اركان الجيش الاسرائيلي ايام حرب حزيران ، وسفير اسرائيل في واشنطن بعدها: « ان اسرائيل ترتكب غلطة تاريخية اذا هي تخلت عن المكاسب الاقليمية التي حققتها في حرب حزيران ضد الدول العربية ... لقد وصلنا في حرب حزيران الى خطوط عسكرية مثالية تعتبر ، في الوقت الحاضر ، اهم ما حققناه »(٢) .

وصرح **مناحيم بيغن** الوزير في الحكومة الاسرائيلية، قائلاً : « ان حقنا في ارض اسرائيل وفي الامن القومي لا يقبل الاعتراض . ولهذا السبب يجب المحافظة على السيطرة الاسرائيلية على جميع المناطق التي استخدمها العدو قواعد للعدوان . انني اقول هذا الكلام كأحد ممثلي كتلة « غاحال » وكعضو حكومة التكتل الوطني .. فلو كان القرار النهائي في يد غاحال لضم الى دولة اسرائيل ، والى الابد ، جميع المناطق التي احتلت في اثناء حرب الايام الستة ، وخصوصاً شبه جزيرة سيناء برمتها »(٣) .

وصرح وزير الشؤون الدينية في اسرائيل بقوله « ها قد عدنا الى ارضنا وسنبقى هنا الى الأبد » .

وكذلك قام الحاخام الاكبر في القدس وصرح تصريحاً دينياً بمثابة فتوى ، قائلاً :

---

(١) جريدة دافار في ٤ – ٨ – ١٩٦٩ .
(٢) جريدة النهار – بيروت في ٣١ – ١٠ – ١٩٦٧ .
(٣) جريدة دافار في ٨ – ١ – ١٩٦٩ .

«لا يملك احد من اليهود حق تسليم ذرة واحدة من هذه الاراضي – التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران – الا اذا كان كافراً » .

وهل بعد هذه الصراحة في تصاريح المسؤولين في اسرائيل ، من حاجة الى التدليل على أن اسرائيل قامت بحربها في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ للتوسع في البلاد العربية ، وانها لا تريد الانسحاب من الاقاليم التي احتلتها ؟ ! ..

اعمال تغيير وتهويد

انه لمن الاكيد ان الدافع الرئيسي لاسرائيل لشنها حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كان التوسع الاقليمي والسياسي والاقتصادي في البلاد العربية ... والمسؤولون في اسرائيل كعادتهم لا يكتفون بالاقوال ، بل يقرنونها بالأعمال لتحقيق اهدافهم والأعمال التي قاموا بها في المناطق العربية المحتلة اقوى بياناً لعزمهم على ضم البلاد المحتلة الى اسرائيل من اقوالهم ، وان كانت تلك الاقوال في حد ذاتها صريحة واضحة !

لم تنتظر الحكومة الاسرائيلية انتهاء الحرب حتى تقوم بتلك الاعمال ، بل شرعت ببعضها في اليوم الثاني من الحرب حسب المخططات المرسومة منذ سنين .. واثر احتلالها لمدينة القدس العربية يوم الثلاثاء الموافق ٦ حزيران قامت بهدم ابنية عديدة اصحابها عرب وبعضها اماكن دينية مقدسة ، تقع قرب حائط المبكى ... وشرعت في اجراء حفريات تحت المسجد الاقصى من خارج السور ، واتخذت اجراءات ادارية وتشريعية ضمت بموجبها القدس العربية وما يجاورها من الضفة الغربية ، الى اسرائيل ، وجعلت سكانها خاضعين للقوانين الاسرائيلية ، كجميع سكان اسرائيل ، والغت كل التشاريع الاردنية المعمول بها قبل حرب حزيران ... وهي تعمل لاخضاع الاماكن المقدسة المسيحية والاسلامية لسيطرتها ، وتهويد القدس تهويداً تاماً ، غير عابئة بالشعور المسيحي والاسلامي ولا بالرأي العام الدولي . وفي القدس كنيسة القيامة ، اهم كنيسة في العالم المسيحي ، التي تضم قبر السيد المسيح . والقدس هي اولى القبلتين ، وفيها ثالث الحرمين بالنسبة الى المسلمين ، وليس فيها من المعالم الدينية اليهودية شيء يذكر . كما ان ما فيها من ابنية واراضٍ ملك لمسلمين ومسيحيين ، وللاوقاف الاسلامية والمسيحية . بينما اليهود لا يملكون فيها سوى القليل جداً من الابنية الصغيرة ..

احتجت الدول العربية على تصرفات اسرائيل في القدس الرامية الى تهويد المدينة المقدسة ، فأصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارين رقم ٢٢٥٣ (ES – ٧)

و ٢٢٥٤ (ES – ٧) في ٤ و ١٤ تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، معلنة ان الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع القدس هي اجراءات باطلة ، وطالبت بالكف فوراً عن اتخاذ اجراءات من شأنها تغيير وضع المدينة المقدسة . ومن المؤسف جداً ان الحكومة الامريكية وقفت من هذين القرارين العادلين والمنبثقين من ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي ، موقف المؤيد لتصرف اسرائيل اللامبالي بمستقبل الاماكن المقدسة ومدينة القدس ، وذلك بامتناعها عن التصويت مع القرارين اللذين اتخذتهما الجمعية العامة للامم المتحدة بما يشبه الاجماع ، للمحافظة على وضع القدس.. وكان موقف الولايات المتحدة هذا مشجعاً لاسرائيل على الاستمرار في تماديها في تغيير وضع القدس فتابعت الحكومة الاسرائيلية هدم كثير من الابنية ذات القيمة التاريخية والدينية داخل القدس القديمة ، واستملكت اراضي شاسعة حولها ، واقامت عليها أبنية شبه عسكرية واسكنت فيها منظمات عسكرية ..

وقد اقلقت التصرفات الاسرائيلية هذه ، ورفضها الامتثال لقراري الجمعية العامة للامم المتحدة آنفي الذكر ، الرأي العام العربي والاسلامي .. وانعقد مجلس الامن ... واتخذ في ٢١ ايار (مايو) ١٩٦٨ القرار رقم ٢٥٢ الذي اعاد فيه تأكيد ان الاستيلاء على اراضٍ بالفتح أمر لا يجوز السماح به ، واستنكر امتناع اسرائيل عن الامتثال لقراري الجمعية العامة آنفي الذكر ، واعلن ان المجلس « ينظر الى جميع التشريعات والاجراءات الادارية والتصرفات التي اتخذتها اسرائيل ، بما في ذلك نزع ملكية الاراضي والممتلكات القائمة عليها ، والتي من شأنها تغيير الوضع القانوني للقدس ، ويعتبرها باطلة لا يمكن ان تغير هذا الوضع . ودعا مجلس الامن اسرائيل الى الاسراع في الغاء جميع الاجراءات التي اتخذتها فعلاً والامتناع فوراً عن القيام بأي عمل آخر من شأنه تغير الوضع في القدس

ومن المؤسف ايضاً ان الحكومة الامريكية قد اتخذت موقفاً سلبياً من هذا القــرار المعتدل العادل ، كموقفها من القرارين السابق ذكرهما ، بالامتناع عن التصويت ، وفي ذلك تشجيع لاسرائيل على الاستمرار في اعمالها الرامية الى تهويد القدس . وما قيمة قرارات الجمعية العامة ومجلس الامن ما دام لا يتبع اتخاذ القرارات تنفيذها ، ولا تقوم دولة تأخذ على عاتقها تنفيذ قرار الامم المتحدة ، نيابة عنها ، اذا لم تعمل شيئاً لتنفيذ قراراتها .

تجاهلت الحكومة الاسرائيلية قرار مجلس الامن ولم تأبه بما طالبها به ، واستمرت في اعمالها المؤدية الى تهويد القدس ، على الرغم من ان القدس مدينة مقدسة ، في نظر ما يزيد على الف مليون من مسيحيين ومسلمين ، فيها مقدساتهم وكنائسهم ومساجدهم ..

واسرائيل انما تركب رأسها في تحديها هذا لانها لم تجابه بعدُ القوة اللازمة لايقافها عند حدها ، ولاخراجها من القدس ، والمحافظة على اوضاعها التي كانت قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، كما طالبت قرارات الامم المتّحدة ..

ان موقف الضعف الذي يقفه العالم بصورة عامة ، والدول العربية والاسلامية بصورة خاصة ، تجاه اعتداءات اسرائيل على اوطانهم وتماديها في انتهاك حرمة مقدساتهم ، قد شجع الحكومة الاسرائيلية على ان تخطو خطوات اخرى في ازالة المعالم الاسلامية الكبيرة في بيت المقدس ، فدبرت مؤامرة حرق المسجد الاقصى .. ولتبعد الشبهة عنها ، في هذه الجريمة ، عهدت بها الى رجل مسيحي استرالي يدعى دنيس روهان يعيش في احدى مستعمرات الكابوتس في اسرائيل . فقام في ٢١ آب (اغسطس) ١٩٦٩ بحرق المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين ، واوقع فيه اضراراً بالغة .. فأثار هذا العمل الاجرامي مشاعر المسلمين في العالم وغضبهم على اسرائيل ، واستياء الرأي العام العالمي ... وتجاه ذلك القت السلطات الاسرائيلية القبض على دنيس روهان لتدلل على ان ليس لها يد في الامر . وقدمته الى « محاكمة صورية » ، فأقر بحرق المسجد، ولكن المحكمة برأته لعلة في عقله! ووضع في المستشفى مدة قصيرة ، واخرج منه ، بعد ذلك حراً طليقاً ! .. ولا ندري ما مقدار المكافأة التي نالها على الجريمة الشنعاء التي نفذها ... وبراءة الحكومة الاسرائيلية من حرق المسجد الاقصى كبراءة السلطات الاسرائيلية من قتل الكونت برنادوت ..

تقدمت ٢٥ دولة عربية واسلامية بشكوى الى مجلس الامن ... واتخذ المجلس قراراً في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، اكد فيه مضمون ما سبق ان صدر عنه وعن الجمعية العامة من قرارات تتعلق بالاجراءات والتدابير التي اتخذتها اسرائيل لتغيير الوضع في القدس . وذكر ان كل عمل تخريبي للاماكن المقدسة ، او اي انتهاك لحرمتها في مدينة القدس ، او اي تشجيع ، او اشتراك في ذلك ، يمكن ان يعرض السلام والامن العالميين للخطر تعريضاً جدياً ، ونص على ان انتهاك حرمة المسجد الاقصى المقدس يؤكد ضرورة عدول اسرائيل فوراً عن خرق القرارات المشار اليها ، وضرورة الرجوع عن الاجراءات والتدابير التي اتخذتها والتي ترمي الى تبديل الوضع في مدينة القدس . وادان القرار اسرائيل لامتناعها عن تنفيذ تلك القرارات وطلب منها تنفيذ احكامها فوراً .

غير ان الحكومة الاسرائيلية لم تعبأ بهذا القرار ، كما لم تعبأ بقرارات الامم المتحدة السابقة معتمدة في ذلك على ان الحكومة الامريكية لا تطالبها بتنفيذها ! ..

وادى حرق المسجد الاقصى الى عقد مؤتمر اسلامي في مدينة الرباط يوم ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، حضره رؤساء وملوك ٢٥ دولة عربية واسلامية وممثلون عن منظمة التحرير الفلسطينية . وان من المحزن ان يسجل ان المؤتمرين لم يتفقوا فيما بينهم على اتخاذ قرارات تتناسب وعظم الخطب واهمية الموضوع . ويرجع ذلك الى ما بين عدد من المسؤولين المؤتمرين من خلافات شخصية وسياسية ... وكل ما اتفقوا عليه هو ان اصدروا في ٢٥ ايلول (سبتمبر) « اعلاناً » ، وليس « قراراً » ، ذكروا فيه ان احراق المسجد الاقصى المبارك اثار اعمق مشاعر الحزن عند اكثر من ستمئة مليون مسلم ، « وان هذا الانتهاك لحرمة مقام من اقدس مقامات الانسانية ، واعمال تدنيس الاماكن المقدسة التي وقعت في ظل الاحتلال العسكري الاسرائيلي في مدينة القدس ، التي يقدسها المسلمون والمسيحيون واليهود ، قد زاد التوتر في الشرق الاوسط واثار سخط شعوب العالم بأسره » . وطالب « الاعلان » اعادة وضع القدس الى ما كان عليه قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وناشد جميع اعضاء الاسرة الدولية ان تكفل انسحاب القوات الاسرائيلية العاجل من جميع الاراضي التي احتلتها نتيجة حرب حزيران، وايد شعب فلسطين في استرداد حقوقه المغتصبة وفي كفاحه من اجل تحرير وطنه .

انه من المحزن ان نرى مؤتمر الرباط ، وهو أول مؤتمر إسلامي يحضره رؤساء ٢٥ دولة اسلامية وممثلون عنها ، يتمخض عن اعلان فيه رجاء ودعاء ... ولا يحتوي على عمل ايجابي يحمل اسرائيل على التفكير ! ..كنت احس عندما احتل الصهيونيون القدس واخذوا يفعلون فيها ما فعلوا ان الارض ستهتز ، وان العالم العربي والاسلامي سيحمل اسرائيل على الانسحاب كلياً ، ويضع الحكومة الامريكية في موضع ترى فيه ان مصلحة بلادها تتطلب منها الا تتمادى في التواطؤ مع اسرائيل ، وان يحملها على تنفيذ جميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بفلسطين وبحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ... ولكن المؤتمر الاسلامي اتى بما خيب آمال كل عربي وكل مسلم ، ومس عزته وكرامته بين الشعوب ! ..

وقامت اسرائيل ، الى جانب اعمالها في القدس ، بهدم قرى عربية عديدة برمتها .. وهدم اجزاء كبيرة من مدن وقرى عربية وشوهت معالمها .. ثم انها انشأت مستعمرات استيطانية وحربية في آن واحد يسكنها المنتسبون الى « الجدناه » والى « نحال » والى منظمات شبه عسكرية اخرى . لقد انشأت السلطة العسكرية الاسرائيلية بعد قيام اسرائيل

منظمة « الجدناه » ، وهي شبه عسكرية تابعة لوزارة الدفاع والتربية ، ينضم اليها الشباب من الجنسين بين سن ١٢ و ١٨ سنة ، ويتلقون دروسهم الثقافية وتدريبهم العسكري في آن واحد .. « ونحال » ذات طابع عسكري أوضح ، ينضم اليها الشبان والشابات الاقوياء ، ويتدربون على الاعمال العسكرية والزراعية معاً ، وهم من عناصر جريئة وقوية ، يرسلون لاقامة مستعمرات الحدود ، والمستعمرات في الاقاليم المحتلة .. وبين هذه المنظمات والجيش الاسرائيلي تنسيق قوي ودقيق .. فالقوات الاسرائيلية لم تقم للدفاع ، وانما للاعتداء والاحتلال وتوطين الصهيونيين في البلاد العربية المحتلة ..

وفي اوائل شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ قررت الحكومة الاسرائيلية اسكان الوف من اليهود في مدينة الخليل العربية لتهويدها تدريجياً ، بالاضافة الى المستعمرات التي انشأتها على الجبال ما بين بيت لحم والخليل ..

الامم المتحدة واعمال اسرائيل المخالفة لاتفاقات جنيف :

تريد اسرائيل الاحتفاظ بما احتلت من بلاد في حرب حزيران ، ولكن خالية من السكان العرب قدر الامكان، لاسكان صهيونيين تعمل الحكومة الاسرائيلية على تشجيعهم على ترك بلادهم والهجرة الى اسرائيل. وكان دايان صريحاً في ذلك، عندما تتطرق الى وضع العرب في المناطق المحتلة .. وكان في الضفة الغربية وقطاع غزة من عرب فلسطين قبل حرب حزيران، نحو مليون ومائتي الف عربي. وعملت الحكومة الاسرائيلية فعلاً على حمل كثيرين منهم على الرحيل من قراهم ومخيماتهم ومدنهم الى الضفة الشرقية من الاردن بطرق مباشرة او غير مباشرة ، واحياناً قسراً .. وقد بلغ عدد من هاجر من ابناء فلسطين اثر حرب حزيران ما يزيد على الاربعمئة الف عربي، ولا يدخل في هذا العدد من رحل من الجولان ، ويبلغ عددهم نحو مئة الف نسمة .

وتقوم الحكومة الاسرائيلية ، على مرأى ومسمع من العالم ، وعلى علم من الامم المتحدة ، بقتل واعتقال وتعذيب الالوف من ابناء فلسطين، في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بداعي انهم من الفدائيين او ممن يساعدون الفدائيين او يعطفون عليهم . وقد بلغ عدد من قتلت من المدنيين ، حتى اوائل نيسان (ابريل) ١٩٧٠ (٦٠٠٠) ستة آلاف شهيد . بالاضافة الى (١٢٠٠) الف ومائتي شهيد من الفدائيين . وبلغ عدد من اعتقلت من عرب فلسطين المحتلة وزجتهم في السجون (١٧٠٠٠) سبعة عشر الف عربي[1] .

(١) الارقام المذكورة من حديث للسيد ياسر عرفات نشرته جريدة الاهرام في ٤ – ٤ – ١٩٧٠ .

وهي ، بالاضافة الى تعذيبهم بصور وحشية ، تهدم بيوتهم.. وقد بلغ ما هدمت من بيوت لهذا السبب ما يزيد على (٧٠٠٠) سبعة آلاف بيت .

ثم ان السلطات الاسرائيلية تقوم باضطهاد السكان العرب في المناطق المحتلة بطرق متنوعة تتنافى مع حقوق الانسان كانسان ، ومع القوانين الدولية .. وغايتها من ذلك حمل ابناء البلد على مغادرته ليخلو للصهيونيين .. على ان وطنية الفلسطينيين ، من ابناء الضفة الغربية وقطاع غزة ، جعلتهم يصمدون على الرغم من كل ما يقاسون .. والصمود عامل وطني عظيم في احراز النصر النهائي .. ان متطلبات تأمين المصير تدعو الحكومات العربية الى مساعدة ابناء فلسطين على الاستمرار في الصمود الى النهاية ومهما كانت الظروف ، وذلك بجانب المساعدات السخية اللازمة للمنظمات الفدائية ..

واني ممن يرون انه لم يكن من المصلحة الوطنية سماح الحكومة الاردنية لمن حُملوا على النزوح من الضفة الغربية وقطاع غزة بدخول الضفة الشرقية في اثناء حرب حزيران وبعدها . وكان من الافضل لهؤلاء وللمصلحة الوطنية ان ترى اسرائيل انه ليس من السهل عليها ترحيل ابناء الضفة الغربية وقطاع غزة الى الضفة الشرقية ، او الى اي بلاد عربية اخرى ..

ادت معاملة اسرائيل اللاانسانية لسكان المناطق المحتلة الى اجتماع مجلس الامن ، واتخاذه في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ القرار رقم ٢٣٧ الذي ناشد فيه اسرائيل ضمان السلامة والرفاهية والامن لسكان المناطق التي تحتلها ، واوصى الحكومات المعنية باحترام المبادىء الانسانية التي ينبغي ان يعامل بموجبها اسرى الحرب والمدنيون زمن الحرب ، كما تنص على ذلك اتفاقات جنيف بتاريخ ١٢ آب (اغسطس) ١٩٤٩ . وطلب المجلس من الامين العام للامم المتحدة ان يقدم له تقريراً عن نتيجة تنفيذ القرار .

تجاهلت اسرائيل هذا القرار ، كعادتها في تجاهل قرارات الامم المتحدة ، ورفضت استقبال الممثل الخاص الذي عينه الامين العام لهذه المهمة ، وكعادتها ربطت رفضها بطلب من الامين العام ان يزور الممثل الخاص البلاد العربية للتحقيق في معاملة اليهود فيها، وهي متجاهلة انه لا رابط بين الموضوعين ، اذ ان اليهود في البلاد العربية مواطنون لتلك البلاد ويحملون جنسياتها ، اما العرب في البلاد المحتلة فبلادهم محتلة من عدو لهم ، وهم يحملون جنسية لا صلة لها بجنسية العدو ... واتفاقات جنيف وضعت لمن هم في حالهم ، ولا علاقة لها بالاقليات الدينية او العنصرية في بلاد ما . على ان هذه الحجة الواهية التي

تذرعت بها اسرائيل لتبرير رفضها قبول الممثل الخاص، المنوط به ما جاء في القرار السابق الذكر ، لم ترق لمجلس الامن ، فأصدر في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٨ قراراً رقمه ٢٥٩ استهجن فيه عدم تنفيذ قراره الصادر في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وطلب من الامين العام ثانية ارسال ممثل خاص الى الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتقديم تقرير عن تنفيذ ما جاء في القرار السابق للمجلس . وطالب القرار اسرائيل باستقبال الممثل الخاص للامين العام والتعاون معه وتسهيل عمله . ومع ذلك فان اسرائيل رفضت طلب مجلس الامن ولم تستقبل ممثل الأمين العام .. والغاية من ذلك هي منع الهيئة الدولية من التحقيق في معاملتها للعرب في المناطق المحتلة ، وفي الشكاوى المتعلقة بانتهاكها حقوق الانسان ، ومخالفاتها لاتفاقات جنيف . وتبع ذلك ان قررت الجمعية العامة للامم المتحدة ، في ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨ ، تأليف لجنة للتحقيق في تصرفات اسرائيل المخالفة للحقوق الانسانية للسكان في المناطق المحتلة .. وتألفت اللجنة من مندوبي سيلان والصومال ويوغوسلافيا في الامم المتحدة . ولكن اسرائيل رفضت في هذه المرة ايضاً السماح للجنة بدخول الاراضي المحتلة للقيام بمهماتها .. على ان اللجنة زارت البلاد العربية وسمعت شهادات .. وقدمت تقريراً اظهرت فيه انه من الشهادات التي سمعتها يبدو ان اسرائيل لا تسير في معاملتها لسكان المناطق المحتلة بحسب اتفاقات جنيف لحقوق الانسان ..

وفي شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ تابعت اللجنة اعمالها في الشرق الادنى وزارت لبنان وسوريا والاردن والجمهورية العربية المتحدة . وسمعت بيانات وافادات وقابلت عدداً ممن عذبتهم اسرائيل .. وان في البيانات والافادات والوثائق التي قدمت لهذه اللجنة معلومات وافية ثابتة عن مخالفات اسرائيل لاتفاقات جنيف وحقوق الانسان.. واستمرت اسرائيل في رفض الاعتراف بهذه اللجنة وعدم السماح بدخولها اسرائيل والمناطق المحتلة !..

وفي ٢-١١ — ١٩٧٠ قدمت اللجنة تقريراً من ٦٥ صفحة الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، قالت فيه « ان الطريقة المثلى التي يمكن بها وقف انتهاك حقوق الانسان هي إنهاء الاحتلال الإسرائيلي ذاته » . وذكرت اللجنة في تقريرها ،سلسلة من التوصيات ، لمطالبة اسرائيل بتنفيذها ، ومنها :

السماح لجميع الذين نزحوا ، او طردوا ، بالعودة الى ديارهم — ايقاف العقوبات المشتركة من تدمير ممتلكات ومنع تجول واعتقالات جماعية — منع الاعتقال غير المحدود

دون محاكمة ، والافراج عن المعتقلين او تقديمهم للمحاكمة — الكف عن اقامة مستعمرات اسرائيلية في الاراضي المحتلة وسحب جميع سكان المستعمرات التي اقيمت — الامتناع عن مضايقة المثقفين والزعماء وعن ابعادهم من الاراضي المحتلة — الغاء جميع الاجراءات التي اتخذت لتغيير وضع القدس .

وفي اعتقادي ان الجمعية العامة ومجلس الامن هما اعجز من اتخاذ اي اجراءات عملية لتنفيذ توصيات اللجنة ، كما اظهرا عجزهما عن تنفيذ قراراتهما ، بسبب موقف الولايات المتحدة الامريكية المؤيد لاسرائيل ! وبسبب عدم وجود قوة تقوم بتنفيذ القرارات ، نيابة عن الامم المتحدة ، ما دامت عاجزة عن تنفيذها . ان الامم المتحدة تحت نفوذ الولايات المتحدة ، وهذه بدورها تحت النفوذ الصهيوني !..

لا تريد اسرائيل سلماً ولا حدوداً نهائية :

نرى مما تقدم ان اقوال المسؤولين الاسرائيليين واعمالهم واضحة وظاهرة . لقد قاموا بحرب حزيران للتوسع .. وما توسعوا فيه انما هو خطوة نحو تحقيق اسرائيل الكبرى .. ولكنهم في الوقت نفسه يتبعون اساليب ميكيافيلية في سياسة العنف والسلام ، حتى لا يقطعوا جميع خيوطهم دفعة واحدة ، وليحتفظوا ببعض العطف الغربي عليهم . ولذلك يقول مسؤولون منهم ، للتمويه والتضليل ، انهم يريدون السلام ، وانهم لا يبغون الاحتفاظ بجميع المناطق التي احتلها الجيش الاسرائيلي في حرب الايام الستة ، وانما يريدون الاحتفاظ فقط بما يؤمن السلام! يريدون الاحتفاظ بمنطقة الجولان من سورية، وبالقدس وضواحيها وبمدينة بيت لحم ومدينة الخليل والمرتفعات الواقعة بينهما ، وبمنطقة اللطرون وباماكن استراتيجية اخرى من الضفة الغربية . وبقطاع غزة ، وبشرم الشيخ واماكن اخرى من سيناء ، وانهم على استعداد للتفاوض مع المسؤولين في الدول العربية لاجراء صلح معها تفتح بموجبه جميع الطرق المائية الاقليمية العربية لسفنهم وبواخرهم ، والاسواق العربية لتجارتهم ، وتتبادل اسرائيل والدول العربية الاعتراف السياسي والتبادل الدبلوماسي ، ومتى تم ذلك تنسحب القوات الاسرائيلية الى « الحدود الآمنة » ، التي تضم ما تريد اسرائيل من الاقاليم المحتلة ، ويوقع العرب شروط الصلح المؤمن للسلام ! ؟ ..

والغريب ان هذا المنطق يروق لرجال الحكم في الولايات المتحدة الامريكية ، فقد تقدم الرئيس الامريكي المستر نيكسون بموجبه باقتراحات لتسوية سلمية يراها عادلة ، ومحلة للسلام في الشرق الاوسط !..

والحقيقة ان الاسرائيليين لا يريدون تسوية سلمية بينهم وبين الدول العربية ، ولا تعيين حدود نهائية . لانهم لو كانوا يريدونها حقاً لقبلوا بقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، وهو في صالحهم ، ولاطاعوا قرار الجمعية العمومية رقم ٢٢٥٣ (ES V) ورقم ٢٢٥٤ (ES — V) الصادرين في ٤ و ١٤ تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، ولنفذوا ما جاء في قرار مجلس الامن ، الصادر في ٢١ ايار (مايو) ١٩٦٨ ، المتعلق بالمحافظة على وضع ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ في القدس العربية ، ولعملوا بميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي القائلين بأنه لا يجوز الحصول على مكاسب اقليمية بواسطة الحرب . وذلك بأن ما يريده الاسرائيليون ليس السلم ، بل استسلام الدول العربية لمشيئة اسرائيل ، والاعتراف بشرعية وجودها ، واعطاءها ما تريد من اقاليم عربية وامتيازات متعددة متنوعة في بلادها ..

ومما يحسن تأكيده تكراراً ان ليس في الامكان الوصول الى حل سلمي عادل بين اسرائيل والدول العربية ، بين غالب ومغلوب ، لا يكون فيه رابح ولا خاسر . يمكن للمرء ان يفهم ان ينادي زعيم عربي بالحل السلمي وفي الوقت نفسه يستعد عسكرياً للوصول الى حقوق العرب بالقوة ان لم يصل اليها عن طريق سلمي . والخصم يرضخ للحل السلمي عندما يرى ان ليس في امكانه المحافظة على ماكسب بالقوة .. أما التمني بالحلول السلمية ، دون العمل بجد وبجميع الوسائل لتقوية البلاد وقواتها العسكرية ، بمختلف الطرق ومن مختلف الجهات ، ركوناً الى وساطة دولة كبرى ، هي في واقع الامر متواطئة مع اسرائيل ، فأمر لا يوصل الى حل سلمي ولا الى حل عسكري ، بل يشجع اسرائيل على التمادي في مغالاتها بمطالبها وامعانها في اذلال العرب ..

والاسرائيليون يصرخون ويؤكدون ، في سبيل عرقلة جميع المساعي للوصول الى تسوية سلمية ، بأنهم محتفظون بالاقاليم والمدن آنفة الذكر ، ومن ثم يطالبون ويصرون على اجراء مفاوضات مباشرة مع العرب ، واجراء صلح دائم بينهم وبين الدول العربية ! وهم يتبعون هذه الستراتيجية السياسية لتغطية هدفهم الحقيقي وهو ضم ما احتلوه من البلاد العربية الى اسرائيل . وجعل خطوط ايقاف اطلاق النار حدود اسرائيل لسنة ١٩٦٧ كما جعلوا من خطوط هدنة رودس حدود اسرائيل لسنة ١٩٤٩ .. وللوصول الى هذا الهدف تصر اسرائيل في هذه الايام (سنة ١٩٧٠) على وجوب احترام اتفاقات ايقاف النار ، ويطالب الرئيس نيكسون بذلك ايضاً ، بكل شدة ، دون ذكر شيء عن سحب قوات اسرائيل الى حدود ما قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ !.

ان تمادي اسرائيل في تعجرفها وتشددها في مطالبها من العرب ناجم عن عاملين رئيسيين :

الاول : انها ترى ان معظم المسؤولين في البلاد العربية على خلاف فيما بينهم ، وان اهدافهم متضاربة ، وانهم لا يعملون لتعبئة القوى العربية لمقاومتها ، وان الدول العربية ضعيفة من جراء ذلك وبالتالي فاسرائيل اقوى منها .

والثاني : انها معتمدة على مساندة الحكومة الامريكية لها في موقفها من الدول العربية ، وعلى تأييدها السياسي الدولي ، ومدها بما تريد من السلاح والمال ..

والحكومة الامريكية تساند اسرائيل ضد العرب ، لأنها لاتخشى على مصالح امريكا في بلاد عربية ، لتفرق كلمة المسؤولين العرب ، ولعدم وقوفهم معاً صفاً واحداً تجاه اسرائيل ومن يساند اسرائيل ..

وموجز القول ان اسرائيل شنت حرب حزيران للتوسع الاقليمي في البلاد العربية ، وانها عازمة على البقاء في الاقاليم التي احتلتها من دول عربية ثلاث . والسؤال هنا هو : هل سيدوم لاسرائيل ما حققته في حرب الايام الستة ؟

والجواب على ذلك هو ان النتيجة تتوقف على « الارادة العربية » ، وعلى رؤية المسؤولين ، جميع المسؤولين ، للاخطار التي تهدد الامة العربية والوطن العربي من الامبريالية الصهيونية ، وعلى عملهم ، بجد واخلاص ، عملاً مشتركاً لاستعادة الاوطان ووضع حد لاطماع اسرائيل واخطارها ...

— ٢ —

القضاء على القوات العسكرية العربية

جاء في مذكرات الجنرال دايان ، التي نشرت سنة ١٩٦٦ ، عن الحرب التي قادها سنة ١٩٥٦ ضد الجمهورية العربية المتحدة في سيناء ، بتآمر اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا آنذاك ضد البلاد العربية ، ان تلك الحرب كانت لها من وجهة النظر الاسرائيلية ، ثلاثة اهداف وهي : تحقيق حرية الملاحة للبواخر الاسرائيلية في خليج العقبة ، ووضع نهاية للاعمال الفدائية الارهابية ، وابطال مفعول خطر القيادة الموحدة المصرية السورية الأردنية على اسرائيل . ولم يذكر الجنرال دايان الهدف الرئيسي وهو التوسع الاقليمي لأنه سبب

دائم لا يذكر علناً .. ولقد ارادت اسرائيل آنذاك ان تحقق التوسع الاقليمي في رفضها الخروج من قطاع غزة وسيناء ، وهي لم تخرج الا اثر تهديد الرئيس الامريكي « ايزنهاور يومئذ » ، والاتحاد السوفيتي لها .

والقضاء على القوات العسكرية العربية ، والتوسع الاقليمي ، هما دائماً من اهم الاسباب التي تقوم اسرائيل من اجلها بالاعتداء على البلاد العربية . واعتداؤها في حرب ٥ حزيران (يونيو) لم يكن الاول ولن يكون الاخير ، الا اذا عمل قادة العرب باخلاص وجد لايجاد قوة عسكرية عربية مشتركة تكون رادعة لاسرائيل عن الاعتداء ...

كذلك كان من اسباب اعتداء اسرائيل على مصر سنة ١٩٥٦ ضرب القوات العسكرية العربية، واضعاف البلاد العربية بذلك ، لتكون دائماً تحت رحمة القوات الاسرائيلية ، فقد كان من اسباب اعتدائها وشنها حرب ٥ حزيران (يونيو) ، القضاء على القوات العسكرية العربية قبل ان تستكمل استعداداتها، لان الصهيونيين يعرفون جيداً ان اسرائيل ما وجدت إلا بالقوة ، ونتيجة ضعف الدول العربية يومئذ وانقسامها ، وان وجودها في بلد عربي يقع موقع القلب من العالم العربي ويفصل قسميه الرئيسين ويمنع الاتصال بينهما براً ، لن يدوم الا بالقوة ، وبابقاء العالم العربي ضعيفاً بضرب قواته العسكرية كلما نمت ، وبمنعه من الاتحاد ، وبابقاء الخلاف بين قادته ...

وقد كانت اسرائيل تعلم ان قراراً اتخذ في مؤتمر الملوك والرؤساء الثالث في الدار البيضاء في ١٣ — ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥ مؤداه انه يلزم ثلاث سنوات حتى تتم التشكيلات العسكرية الجديدة وتصبح القوات العربية معادلة للقوات الاسرائيلية ، قادرة على الوقوف امام اعتداءات العدو ، وثلاث سنوات اخرى للتفوق على قواته . لذلك عملت اسرائيل لايجاد الظروف التي تمكنها من ضرب القوات العسكرية العربية قبل مرور السنوات الثلاث المذكورة ، وفي الوقت نفسه تظهر للرأي العام الغربي انها تدافع عن نفسها ضد الذين يريدون ازالتها من الوجود ..

وعندما يفكر الاسرائيليون في القوات العسكرية العربية، التي يمكن ان تكون خطراً عليهم فهم يفكرون ، قبل كل شيء ، في القوات العسكرية للجمهورية العربية المتحدة. وفي الواقع ان الذي يخيف اسرائيل هو مصر لما لها من امكانات متعددة .. ولما لها من مكانة عربية وعالمية .. وفي نظرهم ان اي حرب تكون مع العرب ينبغي ان توجه اولاً الى مصر ، اذ يعتقدون انهم اذا قضوا على القوات المصرية فقد تمكنوا من تحقيق مآربهم

في البلاد العربية الاخرى دون قتال ، او بقتال يكاد لا يذكر .. ولهذا كان من دوافع حرب ٥ حزيران القضاء على القوات المصرية وتغيير نظام الحكم فيها ..

وقد اتفقت سياسة اسرائيل هذه مع سياسة الولايات المتحدة الامريكية ونالت منها تأييداً وتعاوناً ومساعدة .. لأن الولايات المتحدة الامريكية كانت تريد بكل شدة ، منذ زمن حكم الرئيس جونسون ، وتصر على ازالة نظام الحكم في مصر ، للتخلص من المضايقات التي يسببه لسياستها الامبريالية في البلاد العربية وفي افريقيا ... والولايات المتحدة تعتقد انها، اذا زال نظام الحكم الحاضر في الجمهورية العربية المتحدة، تستطيع هي السيطرة على جميع البلاد العربية ، وتتمكن اسرائيل من تحقيق مآربها الخطيرة في البلاد العربية واطماعها التوسعية فيها . وسنرى كيف ان اسرائيل عندما أقامت ضجة على سوريا وهددت باحتلالها ، لم يكن قصدها الحقيقي ذلك ، بل كان استدراج مصر الى الحرب لتنفيذ مخططها الواسع الرامي اولاً الى القضاء على القوات المصرية .. وسأتناول هذه المسائل المهمة في بحث موسع في الفصل التالي .

إن أول عمل قامت به إسرائيل فعلاً يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هو اعتداؤها على الجمهورية العربية المتحدة، وتدميرها الطيران العربي والآليات الحربية ووضعها الجيش المصري في حالة جعلته يتيه في سيناء . ثم احتلت الضفة الغربية والجولان ... وظنت اسرائيل انها وصلت بذلك الى هدف مهم من أهدافها المستمرة ، وهو القضاء على القوات العسكرية العربية . ولكن روح الصمود التي ظهرت بصورة لا مثيل لها في الجمهورية العربية المتحدة ، وروح المقاومة التي اشتدت عند ابناء فلسطين ، والأعمال الفدائية الفلسطينية التي تعاظمت ، كل هذه حرمت اسرائيل جني ثمار القضاء على القوات العسكرية « الآلية » العربية ، ناهيك بالقوة الروحية الوطنية ..

قام الرئيس جمال عبد الناصر بأعمال عظيمة في بلاده خلال الثلاث سنوات التي تلت « كارثة ٥ حزيران » . وليس في هذه الصفحات مجال لبيانها ، ولكن الذي يهمنا منها ، ان قيادة الجمهورية العربية المتحدة ، ابتدأت تعمل منذ ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في تخطيط إعادة بناء القوات العسكرية الآلية ، واعادة تنظيم الجيوش باساليب وبروح غير الأساليب وغير الروح التي كانت سائدة في مصر قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . فأعادت بذلك المعدات الحربية التي خسرتها في حرب الأيام الستة ، وكونت جيشاً جديداً يختلف في اعداده وروحه المعنوية والحربية عن الجيش الذي كان قائماً قبل حرب ٥ حزيران (يونيو) ...

وقد قام بعض الدول العربية الاخرى ، ومنها الاردن وسوريا والعراق باعادة تنظيم جيوشها وتوفير السلاح لها ، ولكن الحقيقة ينبغي ان تقال ، وهي ان ما جد في هذه البلاد لا يماثل نسبياً ما جد في الجمهورية العربية المتحدة .. ولا يسد حاجة الدفاع الفعال لتلك البلاد .

أما المنظمات الفدائية الفلسطينية فقد ازداد عدد رجالها وحسن تدريبهم ، وتنوع سلاحهم الجيد . واصبحت اعمالهم الفدائية تزعج اسرائيل وتقلق الولايات المتحدة الأمريكية .. واخذ عدد من القادة العرب الوطنيين يعتزون بالفدائيين ويثنون على أعمالهم ويؤيدونهم مالياً ومعنوياً .

ومن هذه الأوضاع نرى ان اسرائيل لم تقض فعلاً على القوة العربية العسكرية ، من نظامية وفدائية ، في شنها حرب الأيام الستة ، ولا على نظام الحكم في مصر ، وانما جعلت بعض القادة العرب ينتبهون الى اخطار اسرائيل ويعملون لمقاومتها بالطرق والأساليب التي يفهما الصهيونيون ، وهي الصمود والاستعداد الحربي بكل ما في الكلمة من معنى ، وتحويل الحرب الخاطفة ، التي تعتمد عليها اسرائيل في حروبها ، الى حرب مستمرة ، لا تنتهي إلا بانسحاب القوات الاسرائيلية الى مراكزها قبل حرب حزيران ١٩٦٧ . وباعادة حقوق الفلسطينيين اليهم في وطنهم .. ومن أراد ، وكان صاحب حق ، وعمل لما يريد ، باخلاص وجد ، وصل الى ما يريد .

— ٣ —

تصفية قضية فلسطين

عندما قررت الامم المتحدة تقسيم فلسطين وانشاء دولتين فيها ، احداهما دولة يهودية تضم ٥٧٪ من مساحة فلسطين ، والاخرى دولة عربية تضم ٤٣٪ من فلسطين ، قبلت اسرائيل يومئذ بذلك لتبني في قسمها « قلعة الاعتداء » ولتتمكن من تحقيق أهدافها خطوة خطوة حسب المخطط الصهيوني المرسوم لايجاد اسرائيل الكبرى .. وفي الوقت الذي قبلت فيه بتقسيم فلسطين عملت لتوسيع رقعتها فاعتدت على القسم المقرر ان يبقى عربياً ، سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، وضمت منه الى قسمها ما نسبته ٢٤٪ من مساحة فلسطين فاصبح مجموع ما تحتله من فلسطين عند توقيع اتفاقيات الهدنة

سنة ١٩٤٩ ٨٠٪ من مساحة فلسطين ، والباقي وهو ٢٠٪ عرف فيما بعد بالضفة الغربية من الأردن وتشمل القدس ، وقطاع غزة .. وبعبارة اخرى وسعت اسرائيل رقعتها في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ من (١٤٣٠٠) كيلومتر مربع الى (٢٠٨٠٠) كيلومتر مربع .

على أن ما اخذته اسرائيل سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ من القسم العربي ، وقضية عودة اللاجئين وتعويضهم عما لحقهم من أضرار ، أي موضوع قضية فلسطين ، بقي معلقاً دولياً ، يأتي في جدول أعمال الأمم المتحدة سنوياً ، ويتصارع عليه ضمن جدرانها كل من ممثل اسرائيل وممثلي الدول العربية الاعضاء في المنظمة الدولية .

لم تكن اسرائيل راضية عن هذا الوضع المزعج لها كل عام ، وقد حاولت دون جدوى ، منع إدراج قضية فلسطين سنوياً في جدول أعمال الدورات السنوية للامم المتحدة ... ولكنها تريد باصرار تصفية قضية فلسطين وازالتها نهائياً من جدول أعمال الامم المتحدة ، ومن الوجود ايضاً . فكيف يتم لها ذلك ؟

رأى مخططو السياسة الصهيونية أن إتمام ذلك يكون بوضع العالم العربي أمام أمر واقع جديد ، ينسي العرب فيه قضية فلسطين ، ويحملهم على عدم المطالبة بحدود التقسيم وبتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الاخرى المتعلقة بفلسطين ، بل الاكتفاء باعادة ما خسروه في الوضع الجديد . وهذا بعض ما عناه ابا إيبان بقوله سنة ١٩٦٥ « أنه ليس من المستبعد ان نرى الدول العربية غداً تطالب بالعودة الى حدود ١٩٦٦ او ١٩٦٧ كما تطالب اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ » .

ومن مخططات اسرائيل في حربها هذه ان تحمل الدول العربية على عقد صلح معها تكون شروطه ملغية لجميع قرارات الأمم المتحدة السابقة المتعلقة بفلسطين ، وان تضع أسساً جديدة لعلاقات اسرائيل بالدول العربية ، تعترف الدول العربية بموجبها بشرعية وجود اسرائيل ضمن حدود جديدة ، وبأمور أخرى تمليها اسرائيل عليها في شروط الصلح . والنتيجة العملية والقانونية لمثل هذا الصلح ، بالنسبة الى وجهة نظر اسرائيل والامم المتحدة ، تكون التصفية التامة لقضية فلسطين ، والالغاء العملي الضمني لكل ما صدر عن الامم المتحدة من قرارات سابقة تتعلق بفلسطين وأهل فلسطين .. ولقد قالت كولدا مايير رئيسة وزراء اسرائيل، اكثر من مرة ، انه لا توجد قضية اسمها قضية فلسطين ، ولا شعب اسمه الشعب الفلسطيني ! وهي

معتمدة في قولها هذا على احتلال اسرائيل لفلسطين كلها ، ولاقسام من بلاد ع بية أخرى ، وعلى اعتقادها ان سياسة حكومتها ستوصل الى عقد الصلح الذي تبغيه اسرائيل والذي يؤدي الى ما نادت به .

ولكن الوقائع حتى الان ، وستبقى دائماً ، مخيبة لآمال المسؤولين في اسرائيل ولمؤيدي سياستها من الدول الاستعمارية ، لان العرب ، بعد ٩ و ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، صمدوا وبنـوا سياستهم على الصمود الدائم ، وعلى الا مفاوضات مع اسرائيل ، ولا اعتراف بها ، ولا صلح معها ، كما نادى بذلك مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم في ٢٩/٨ – ١/٩/١٩٦٧ ، وعلى استعادة ما اغتصبت إسرائيل من أوطانهم ، بالقوة ان لم يتم ذلك سلماً .

ويضاف الى ذلك ايضاً أمر مهم جداً ، وهو انه بعد حرب الأيام الستة ، دبت روح جديدة في نفوس ابناء الشعب الفلسطيني ، الذي حُمل على الاستكانة الى حد ما خلال ثماني عشر سنة ، وظهر الى الميدان الواسع بروح جديدة وعزم جديد ، لاستعادة وطنه المسلوب فلسطين . وهو في عمله هذا لا يعتمد على الخطب الجوفاء الرنانة ، ولا على الالتماس والرجاء من أي جهة كانت ، ولكن على ثورة الشعب الفلسطيني ، التي يدعمها جميع ابنائه ، بمختلف الامكانات ، وعلى رأسها الفداء بالأرواح .

نظم الفلسطينيون ثورتهم ... وهي تعتمد في قاعدتها على الشعب الفلسطيني وعلى الشعوب العربية الاخرى ، وترفض ، رفضاً باتاً ، ان تكون تابعة لجهة ما او تحت نفوذ أي دولة أو زعيم ..

وايقنت الثورة الفلسطينية انه لا يمكن ان يكون سلام في الشرق الأوسط ما دامت الصهيونية موجودة . ولتحقيق السلام واجراء عدالة للجميع ، نادى الفلسطينيون باقامة دولة فلسطينية ديمقراطية في فلسطين ، يشترك فيها ابناؤها من مسلمين ومسيحيين ويهود . وهم بذلك اثبتوا نضوجاً سياسياً ، وابانوا ان ثورتهم لا تقوم على عداء لليهود ، ولا على مبادىء عنصرية ، وإنما على اسس ديمقراطية انسانية ، وانهم في دعوتهم ينهجون سياسة مناقضة للسياسة الصهيونية القائمة على العنصرية الدينية اليهودية المعادية للعرب والمسلمين والمسيحيين ..

بعث الجنرال كلوب باشا برسالة الى جريدة « لندن تايمز » نشرتها له في ٨ كانون

الثاني (يناير) ١٩٦٩ قال فيها : « ان مشكلة الشرق الأوسط ليست مشكلة حرب بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا ، إنما هي مسألة أعمق من ذلك . ان المشكلة الرئيسية تكمن في طرد مليون ونصف المليون عربي من سكان فلسطين الأصليين وبعثرتهم في العالم . فتشرد هذا الشعب الذي لم يصنع سوءاً ، واحضر مكانه مهاجرون يهود . وبما انه لا يوجد حكومة تمثل هؤلاء اللاجئين وتدافع عن مصالحهم ، وجد هذا الشعب المشرد مؤخراً ان طريق الكفاح هي طريقه إذا أراد أن يسمع العالم صوته . وكفاحه هذا قد غيّرَ مجرى الأزمة . فحتى لو تم الاتفاق بين اسرائيل وجيرانها ، فان الاستقرار لا يتم إذا أُهمل الشعب الفلسطيني ثانية ، وان لم يُؤخذ الشعب الفلسطيني بعين الاعتبار فسيواصل في زيادة عدم التوازن بين القوى العالمية حتى ولو اتفقت هذه الدول كلها فيما بينها . ومن غير الحكمة دفع شعب الى اليأس ، اذ ان هذا يدفع ابناءَه الى التضحية بأرواحهم ، لأنه لا يترك لهم اي شيء يعيشون من أجله » .

وهكذا نرى ان اسرائيل في حربها التي شنتها في حزيران على دول عربية لتصفية فلسطين ، وللوصول الى امور اخرى ، لم تحقق في انتصارها العسكري ما أرادت الوصول اليه من تلك الحرب . بل ان حربها وضعت قوة جديدة في قضية فلسطين وحياة شابه مصممة في الشعب الفلسطيني . ونالت قضية فلسطين اليوم تفهماً اكثر عند الرأي العام الدولي مما نالته قبل انتصار اسرائيل في حرب الأيام الستة ، كما اصبحت الثورة الفلسطينية وسياستها الحكيمة تتمتع بتأييد الدول العربية والاسلامية والاشتراكية ، ودول ومؤسسات غربية ايضاً .. وظهرت على المسرح الدولي قضية فلسطين شابة فتية ، وشعب فلسطين ثائراً مناضلاً مصمماً على الوصول الى حقوقه في وطنه ، مهما طال الزمن وعظمت التضحيات .. والبون شاسع بين قول كولدا مايير وبين الوقائع .. فالوقائع لا تزول بالادعاءات والأقوال ..

— ٤ —

حل المشاكل الاقتصادية

كان من دوافع حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بالاضافة الى التوسع الاقليمي ، والقضاء على القوات العسكرية العربية ، وتصفية قضية فلسطين ، حل اسرائيل

لمشاكلها الاقتصادية التي واجهتها في ١٩٦٦ و ١٩٦٧ :

ان فلسطين بلد مقدس، ولكنه غير غني بموارده الطبيعية . ولقد اكد الخبراء مراراً أنه لا يستطيع ان يعيل بموارده الا نحو مليونين من السكان .. غير ان إسرائيل نجحت خلال السنوات الممتدة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٥ في تحقيق معدل نمو اقتصادي يلي مباشرة ما حققته اليابان ويبلغ نحو ١١٪ سنوياً . ويتخذ الصهيونيون من ذلك موضوعاً للتحدث عن المعجزة التي أتت بها اسرائيل ! غير ان الاقتصاد لا يعرف المعجزات ، والظواهر الاقتصادية لها تفسيرها في الواقع الاقتصادي ذاته . وتفسير المعجزات الاسرائيلية ، هو في الموارد المالية الطائلة التي حصلت عليها الدولة الصهيونية ، وهي موارد لم يسبق لأي دولة في العالم ان حصلت على مثيلها . وهذه الموارد على أنواع مختلفة ، اشير اليها اشارة فقط ، إذ ليست هذه الصفحات مخصصة لتفصيل ذلك .

قامت اسرائيل في بلد لا تملكه ، ووضعت يدها على املاك سكانه الذين طردتهم من مدنهم وقراهم ، ومن مزارعهم وأراضيهم بطرق متنوعة .. واستولت بذلك سنة ١٩٤٨ على أموال منقولة وغير منقولة تقدر قيمتها بنحو اثني عشر الف مليون (١٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠) دولار امريكي . يضاف الى ذلك واردات هذه الأملاك منذ سنة ١٩٤٨ الى اليوم ، بمعدل مائتي مليون (٢٠٠٠٠٠٠٠٠) دولار في السنة ، اي اربعة آلاف مليون (٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠) مليون دولار خلال عشرين سنة ماضية .

وتلا هذه الأموال الطائلة ، التي وضعت اسرائيل عليها يدها ، انها تلقت مبالغ هائلة تحت اسماء مختلفة دون اي التزام بردها كلها او بعضها ، وتقدر تلك المبالغ التي حصلت عليها في الفترة الكائنة ما بين سنة ١٩٥٠ وسنة ١٩٦٤ بمبلغ (٣٤٤٠) مليون دولار : منها (١٦١١) مليون دولار التعويضات الالمانية و (١٥٣٥) مليون دولار التبرعات اليهودية و (٢٩٤) مليون دولار هبات من الحكومة الامريكية .

وبالاضافة الى الموردين السابقين للاموال الطائلة التي تدفقت على اسرائيل في المدة آنفة الذكر ، فانها نالت، خلال تلك المدة ايضاً ، قروضاً واستثمارات . نالت اسرائيل من القروض الطويلة الاجل ما قيمته (١٢٢٦) مليون دولار ، ومن الاستثمارات ما مقداره (٧٧٩) مليون دولار ، قامت بمعظمها احتكارات امريكية مثل فورد وكيز رفريزر وكوكا كولا وغيرها ، وبعض الاحتكارات الالمانية والفرنسية .

« بهذه الموارد الضخمة وحدها امكن لاسرائيل معدل نمو مذهل طوال الفترة المذكورة ، وان تستوعب موجات متتالية من المهاجرين ، وان تحافظ بعد تلك الموجات على زيادة في السكان لا يقل معدلها عن ٤ ٪ ، وان تحقق مع ذلك ارتفاعاً منتظماً في مستوى دخل الفرد . وهكذا كان من الممكن ان تعيش الدولة الصهيونية مؤقتاً دون توسع اقليمي . ولكن الأمور بدأت تتغير منذ سنة ١٩٦٤ . فقد استنفدت إسرائيل التعويضات الإعانية . وبدأت أقساط القروض الخارجية تلقي عبئاً إضافياً على ميزان المدفوعات . كما ان جمع التبرعات كان من المستحيل ان يستمر الى الابد على نفس المعدلات . وبالفعل هبطت نسبة رأس المال الوافد من الخارج الى الدخل القومي الصافي من ٤٣,٣ ٪ سنة ١٩٥٢ الى ٢٤,٣ ٪ سنة ١٩٦٤ ، وتوالى الهبوط بعد ذلك . فقد انخفض اجمالي رأس المال الوافد من ٦٢٩ مليون دولار سنة ١٩٦٤ الى ٥٠٥ ملايين دولار سنة ١٩٦٦ . وكان التقدير السائد ان الانخفاض سيستمر حتى يصل الى ٣٠٠ مليون دولار فقط سنة ١٩٦٨ . وانعكس هذا الوضع فوراً على كل المؤثرات الاقتصادية . فقد انحدر معدل النمو من ٧ ٪ سنة ١٩٦٥، الى ١,٢ ٪ سنة ١٩٦٦ . ولاول مرة منذ نشأة اسرائيل ، انخفض مستوى متوسط دخل الفرد ، لأن عدد السكان زاد في نفس السنة بنسبة ٢,٥ ٪ ، وارتفعت نسبة البطالة من ٣,٣ ٪ في سنة ١٩٦٤ الى ٦,٦ ٪ في سنة ١٩٦٦ ثم الى ١٠,٥ ٪ في ربيع سنة ١٩٦٧ [1] ، ولقد ذكر جون كيمشي رئيس تحرير مجلة « الجويش اوبزيرفر » في مقال نشره في عدد صدر في شهر مارس ١٩٦٧ ان « عدد العاطلين عن العمل بلغ (٩٦) الف عامل ..

وفي اوائل ١٩٦٧ كثرت حوادث الافلاس الاحتيالي . وذكرت صحيفة « ها آرتس » في ١٧ ايار (مايو) ١٩٦٧ ان ادارة « التحقيق الاقتصادي في دائرة الشرطة العامة كانت تصادف عشرة افلاسات تحمل مسؤولية جزائية سنوياً ، في حين صادفت من الاشهر الاربعة الاولى من سنة ١٩٦٧ ثلاثين افلاساً جزائياً ، وان العدد في ازدياد مستمر » . وهذه الزيادة في الجرائم الاقتصادية قد حملت المفتش العام للسجون « ريس ينر » على التصريح بقوله : « لم تبق اماكن في السجون لاستيعاب موجة الزائرين الجدد » ! .

وكتبت مجلة « اكسبرس » الفرنسية في نيسان (ابريل) ١٩٦٧ مقالاً تصف فيه

---

(١) الدكتور اسماعيل صبري عبد الله : في مواجهة اسرائيل . ص ٣٣ و ٣٤ .

الوضع الاقتصادي في اسرائيل جاء فيه : « لقد افلست بنوك في اسرائيل ، واقفلت المعامل ابوابها ، واصبح عشرات الالوف من العمال دون عمل . اذن فهناك حادث مريع قد اخذ يجتاح الحياة في الدولة الاسرائيلية اول مرة في السنوات الاخيرة ، فسيل الهجرة يتوقف الى اسرائيل وفي الوقت نفسه يتدفق سيل الهجرة منها . في كل شهر يهاجر من اسرائيل آلاف الاشخاص هم في الغالب من المهندسين والفنيين ويهيمون في الخارج بحثاً عن العمل . وقد اشتدت الأزمات الاجتماعية ، واتخذت اشكالاً رهيبة من مظاهر هامة تشهدها المدن الاسرائيلية من مظاهرات تجتاحها صباح مساء ، كرد فعل للجوع الذي راح يعض الكادحين الاسرائيليين بنابه » .

ولكن الأمر الخطير ، في نظر قادة الصهيونية كان ازدياد عدد المهاجرين من اسرائيل بحيث تجاوز سنة ١٩٦٦ عدد المهاجرين اليها . ونشرت مجلة « تايم » الامريكية في ٧-٤-١٩٦٧ تحقيقاً عن الوضع الاقتصادي في اسرائيل جاء فيه : ان سيل الهجرة الى اسرائيل قد توقف ، وغادرها (١٢٠٠٠) شخص الى الخارج بحثاً عن العمل . » وفي هذه الظاهرة ضربة قوية لكل الايديولوجية الصهيونية : فاليهود يغادرون بمحض ارادتهم ارض الميعاد . ولم يتخيل قادة اسرائيل للأزمة مخرجاً سوى الحرب بهدف التوسع الاقليمي »[1] ذلك أن الارض التي كانت تحتلها حتى حزيران ١٩٦٧ لم تعد كافية لاعاشة جميع السكان .

واسرائيل دائماً على اهبة الحرب مع الدول العربية ، وتخطيطها لها مستمر وقابل التنفيذ في اي وقت . ولقد اختارت سنة ١٩٦٧ لاشعال نار الحرب لحل المشكلات الاقتصادية بالتوسع الاقليمي ، لتأكدها من ان الدول العربية لاهية عنها بحربها في اليمن ، وبالخلافات الشخصية القائمة بين قادتها .

وهكذا ، فان سياسة قادة اسرائيل ، في بناء كيانها ، تؤدي دائماً الى الحرب مع البلاد العربية بقصد التوسع الاقليمي .. فهي تحشد المهاجرين من مختلف انحاء العالم ، حتى تصبح ارض اسرائيل غير قادرة على استيعابهم اقتصادياً . فتنشأ الأزمة الاقتصادية فيها ، وهذا بالتالي يؤدي الى الحرب مع البلاد العربية بقصد التوسع الاقليمي ... والعجلة تدور وتدور .. الى ان يصحو العرب ويتمكنوا من ايجاد قوة عربية مشتركة قادرة على الوقوف في وجه القوات الاسرائيلية ، واسترداد ما سلبته من البلاد العربية ..

---

(١) المرجع السابق .

وان لم يفعلوا ذلك فستنهب بلادهم قطعة قطعة ، وسيشرد سكانها ويصبحون تعساء .. والمسؤولون عن ذلك هم المسؤولون في جميع البلاد العربية .

* * *

وللتذكير بدروس التاريخ اسجل ، في نهاية هذا الفصل ، ما ختمت به بحثاً عن العرب في الاندلس ، نشرتــه مجلة « العربي في عددها ٩٣ الصادر في شهر آب (اغسطس) ١٩٦٦ ، وذلك قبل كارثة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ :

« حكم العرب اسبانيا ، مدة ثمانية قرون ، واوجدوا فيها مدنية كانت ارقى مدنية عرفتها القرون الوسطى . على انهم ، للاسف ، لم يستطيعوا المحافظة على ذلك الفردوس ، بسبب التنافس الشخصي ، والتعصب القبلي ، والتطاحن المذهبي ، وكيد بعضهم لبعض .. حتى اضعفوا أنفسهم فتغلب عليهم في النهاية سكان القسم الصغير من شمالي غربي اسبانيا الذين لم يهتم بهم العرب عند نشوة فتوحهم .

والناظر الى تاريخ العرب في الاندلس ، والى اوضاع العرب اليوم ، يأسف لما بين الوضعين من تشابه . ويتساءل : اما آن للعرب ان يتخذوا من تاريخ اجدادهم في الاندلس عظة وعبرة ، يتعظون به ويعتبرون بما حل بأولئك الاجداد ، بسبب التنافس الشخصي ، والتعصب الاقليمي ، والتطاحن العقائدي .. واما آن لهم ان يستفيدوا من الدرس القاسي الاليم ، الذي يحتم على الامة ان لا تترك جزءاً من البلاد في قبضة اعداء لها !

لو أن العرب قضوا على الاسبان الذين تحصنوا في شمالي غربي اسبانيا ، لما وجدوا من يتابعهم ويخرجهم من فردوسهم العظيم . واسرائيل اليوم ، هذا البلد الصغير ، اخطر على العالم العربي مما كان سكان شمالي غربي اسبانيا على العرب في الاندلس ، ومع ذلك رأينا ماذا كانت النتيجة ..

وهل لعرب فلسطين ، متعاونين مع الدول العربية ، ان يعملوا جميعاً بجد على ازالة خطر اسرائيل قبل ان يستفحل ويعم بلاؤه البلاد العربية ؟ .. هذا ما آمل ان نراه ، اذ لا سلام ولا راحة ولا تقدم لأبناء الامة العربية في جميع بلادهم ، واسرائيل موجودة .. » .

الفصل الرابع

الأحداث التي سبقت حرب ٥ حزيران

من يود اعلان حرب لا بد له من ان يمهد لها دائماً داخل بلده وخارجها : وقد قام قادة اسرائيل في الداخل بإيهام قومهم ان كيانهم مهدد ، وانه لا مناص لهم من الدفاع عن النفس ، ومن وسائل ذلك الهجوم والاعتداء ، وتقديم التضحيات اللازمة . اما في الخارج فقد حملت الدعاية الصهيونية الرأي العام العالمي على الاعتقاد بان الدول العربية ، التي تعد مائة مليون من الانفس ، تريد الاعتداء على اسرائيل والقضاء على المليونين ونصف المليون من سكانها اليهود . واستشهدت في سبيل تأييد ذلك ، بتصاريح بعض الزعماء غير المسؤولة .

وطبيعي ان تسبق كل حرب احداث ، فما هي الاحداث التي سبقت حرب ٥ حزيران ؟

— ١ —

الأحداث حتى الاعتداء على السموع

الجبهة الاردنية

ان الدولة التي تريد الاعتداء وشن حرب على دولة او دول اخرى تختلق لذلك المبررات . لقد اوجد هتلر لاعتدائه على تشيكوسلوفاكيا مبررات تسيغ له ، حسب رأيه ؛ اعتداءه على ذلك البلد وضمه الى المانيا .. كما انه نادى بان بولونيا تتصرف ضد المانيا تصرفات لا تستطيع المانيا الوقوف مكتوفة اليدين امامها ، وجعل من ذلك ذريعة

لشن حرب خاطفة على بولونيا واحتلالها ، وبذلك اشعل نيران الحرب العالمية الثانية .. وهكذا اسرائيل وقفت من اعمال فدائية كانت بسيطة قبل حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ ، واتخذت منها ذريعة لاعتداءات كثيرة محدودة على الاردن اولاً ، وعلى سوريا ثانياً ، ثم سعت الى تكوين احداث مهدت الى هجومها الكبير الجوي والبري يوم ٥ حزيران .

انتظر الفلسطينيون ١٦ عاماً بعد تقسيم فلسطين وخلق دولة اسرائيل ، آملين ان تحمل الامم المتحدة اسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بالتقسيم وبعودة اللاجئين الى املاكهم وبلادهم وتعويضهم مما لحق بهم من اضرار ، وتعويض من لا يريد العودة عما له من املاك . غير انهم رأوا ، بعد ذلك الانتظار ، ان لا فائدة من إنصافهم واعطائهم ، على الاقل ما قررته الامم المتحدة من حقوق . ولهذا قاموا سنة ١٩٦٤ وألفوا منظمة التحرير الفلسطينية ، واوجدوا لهم كياناً فلسطينياً مستقلاً عن البلاد العربية .. ثم رأى فريق من ابناء فلسطين الوطنيين ان لا فائدة من نيل حقوق شعب فلسطين بالطرق السياسية ، وان من واجبهم الوطني النضال ضد المعتدي على وطنهم وعلى حقوقهم فيه ، ذلك الوطن الذي اخرجهم المعتدى منه ، واسسوا منظمة « حركة تحرير فلسطين » (فتح) ، وذلك سنة ١٩٦٥ .

وكانت الاعمال الفدائية قبل حرب الايام الستة قليلة ضعيفة .. وكانت سوريا يومئذ من اكثر البلاد العربية تأييداً للفدائيين والسماح لهم بالعبور من حدودها الى اسرائيل . واخذت اسرائيل تهدد البلاد العربية وتخص بالذكر منها سوريا .. وادى ذلك الى عقد « معاهدة دفاع مشترك » بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ ، مؤلفة من ١١ مادة تتضمن تنسيق الاعمال العسكرية بين البلدين في حالة الاعتداء على اي منهما .

وتبع معاهدة الدفاع هذه ان اخذت اسرائيل تزيد في تهديداتها وانذاراتها بالضرب ، وكان المراقبون يعتقدون ان ضربتها ستكون موجهة الى سوريا .. غير انها قامت مع فجر يوم الاحد الموافق ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ بضرب الاردن في السموع ، أي بعد تسعة ايام من توقيع المعاهدة آنفة الذكر .

خطط الصهيونيون الاعتداء على الاردن في السموع قبل ايام من تنفيذه . وفي فجر اليوم الآنف ذكره تحركت قوة اسرائيلية مؤلفة من لواء مشا ةمحمول ، ومن ٨٠ دبابة من طراز م — ٤٨ باتون الامريكي ، وأكثر من ٨٠ مصفحة نصف مجنزرة و ١٢

طائرة من طراز ميراج ، واخترقت خط الهدنة الى الجنوب من مدينة الخليل ، وضربت ثلاث قرى اكبرها قرية السموع البالغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة ، وقريتين صغيرتين قريبتين منها ، ومخفر « رجم المدفع » للبوليس الذي تصدى للقوات المهاجمة قبل ان تصل التعزيزات الاردنية .

فزع السكان ، وهم عزل من السلاح ، وهرعوا الى المرتفعات ، تاركين وراءهم كل ما يملكون . وقام الجنود الاسرائيليون بنسف عدد من البيوت ، بما فيها من اثاث وامتعة، وضربت المدافع والدبابات المنطقة بقنابلها ، ورشت المرتفعات التي لجأ اليها الاهالي بوابل من رصاص الرشاشات .. كما انها قتلت ما وجدته امامها من انسان وحيوان .. وفي تلك الاثناء اتت نجدة اردنية بسيارات مفتوحة ، فتصدت لها القوة الاسرائيلية بنيران مدافعها ، فترجل الجند ، ودارت معركة بين قوتين غير متكافئتين . ودامت المعركة اربع ساعات قتل خلالها عدد من الجنود الاردنيين ، ودمرت ١٥ سيارة اردنية حاملة للجنود .. وكانت الطائرات الاسرائيلية في تلك الاثناء تحوم فوق المنطقة وتضرب بقذائفها القرية والجنود الاردنيين .. ولما أتم الاسرائيليون مهمتهم من الغارة العسكرية المخططة ، رجعوا آخذين معهم ثلاثة جنود اردنيين اسرى احدهم برتبة رائد وهو محمد ضيف الله الهباهبه ، الذي ما لبث ان فارق الحياة متأثراً بجراحه ، كما أن الطائرات الاسرائيلية اسقطت طائرة اردنية من نوع « هوكر هنتر » ، استشهد قائدها الملازم بدر السلطي .

وذكر اللفتنانت جنرال اودبول كبير المراقبين الدوليين على خطوط الهدنة في فلسطين في التقرير الذي رفعه الى الامين العام للامم المتحدة ، ان القوة العسكرية الاسرائيلية قامت بنسف وتدمير ١٢٥ منزلاً و ١٥ كوخاً حجرياً ، وعيادة طبية ، ومدرسة ، وورشة ميكانيكية ، كما اوقعت اضراراً بمسجد قرية السموع ، واطلقت النار على سيارة اسعاف اردنية كانت تقل احد المصابين في الهجوم على مخفر البوليس . وذكر ايضاً ان عدد اصابات الاردنيين من مدنيين كانت ٣ قتلى و ١٧ جريحاً ، ومن العسكريين ١٥ قتيلاً و ٣٧ جريحاً . اما المندوب الاردني لدى الامم المتحدة فصرح بان الخسائر الاردنية كانت ٣٦ قتيلاً و ٥٤ جريحاً . وزعمت اسرائيل ان جندياً واحداً من جنودها قتل في غارتها على السموع وجرح عشرة .

لقد واجه جنود الجيش الاردني وضباطه الذين ارسلوا في سيارات مكشوفة وباسلحة صغيرة دبابات العدو في معركة السموع ببسالة وشجاعة ، تدعوان الى

الافتخار . ان عدم التكافؤ في العدد ونوع السلاح بين الفريقين قد ادى الى وقوع اصابات وضحايا عديدة بين افراد الجيش الاردني ، وبين أهالي القرى التي اعتدى عليها الاسرائيليون ، اكثر كثيراً من الاصابات والضحايا التي اعلن عنها ..

استغرب العالم اعتداء اسرائيل على الاردن ، صديق الغرب ، المجرد سكانه من السلاح .. ولما رفعت الاردن قضية ضد اسرائيل لدى مجلس الامن قرر المجلس في ٢٥-١١-١٩٦٦ ، ادانة اسرائيل باربعة عشر صوتاً وامتنع صوت واحد وهو صوت نيوزيلاند . وجاء في القرار ما يلي :

١ ـ استنكار الخسائر التي اوقعها الإجراء الذي اتخذته اسرائيل في ١٣-١١-١٩٦٦ ، في الارواح والممتلكات .

٢ ـ لوم اسرائيل على قيامها بهذه العملية العسكرية الواسعة النطاق على نحو يشكل خرقاً لميثاق الامم المتحدة واتفاقية الهدنة العامة بين الاردن واسرائيل .

٣ ـ التشديد على انه لا يمكن التغاضي عن الاعمال العسكرية الانتقامية ، وانه اذا تكررت مثل هذه الاعمال فان مجلس الامن سيضطر الى درس اتخاذ تدابير اكثر فعالية كما ينص على ذلك الميثاق ، لضمان عدم تكرار مثل هذه الاعمال .

٤ ـ الطلب من الامين العام مراقبة الوضع وتقديم تقرير الى مجلس الامن وفق ما هو مناسب .

ولكن الواقف على نفسية الصهيونيين والمتتبع اساليب اسرائيل ، لا يستغرب اعتداءها على الاردن في السموع :

ان اسرائيل عندما تريد القيام بضربة محلية معينة تختار دائماً الحدود غير المحصنة الخالية من الجند ، والمجرد سكانها من السلاح ، ولهذا فان الاكثرية الساحقة لضرباتها المحلية على طول خطوط الهدنة كانت في الضفة الغربية الاردنية ، رغم صداقة الاردن للغرب ، لان تلك الخطوط غير محصنة ولا قوات عسكرية تذكر فيها ، ولان سكانها مجردون من السلاح ... ضربت اسرائيل الاردن في السموع ، ولم تضرب سوريا مصدر شكواها ، لانها تعلم ان الحدود السورية محصنة ، ولو اعتدت على مكان منها لما نجحت النجاح الكامل الذي تتوخاه من الاعتداء ، كما تم لها في اعتدائها على السموع في الاردن ...

وعندما تريد اسرائيل القيام بحرب كبيرة خاطفة على بلاد عربية لغايات عديدة ، ذكرنا اهمها فيما تقدم ، لا تشن حربها على دولة عربية ضعيفة ، وانما تشنها على أقوى دولة عربية ، وهي الجمهورية العربية المتحدة . ولهذا رأيناها في حربها ضد البلاد العربية سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ قد ركزتها على الجمهورية العربية المتحدة . لأنها تعتقد انها اذا قضت على القوات العسكرية والسياسية في الجمهورية العربية المتحدة ، تنال ما تريد من البلاد العربية الاخرى دون حرب ، او دون قتال يذكر ..

ثم ان اسرائيل ضربت الاردن في السموع لتحقيق مآرب اخرى لا صلة لها بالأعمال الفدائية :

كانت اسرائيل تعلم في ذلك الوقت أن الاردن في شبه عزلة عن البلاد العربية الاخرى ، وانه في خصومة حادة مع الجمهورية العربية المتحدة، ومع سوريا والعراق. ويضاف الى ذلك ان سكان الضفة الغربية من ابناء فلسطين كانوا غير راضين عن وضعهم في المملكة ، وانهم مستاؤون من الحكومات الاردنية المتعاقبة التي لا تحصن الخطوط الامامية وتمنع السلاح عن السكان للدفاع عن النفس حين الحاجة ، وما اكثرها .. وباعتدائها على الاردن في السموع أرادت اسرائيل ان تزيد في شقة الخلاف بين الاردن والبلاد العربية الاخرى لتعزله تماماً عنها ، آملة في ذلك تقسيم الجبهة العربية المحيطة بها ، لتكون اسرائيل اكثر حرية في التصرف العدواني المقبل ضد دولة او اكثر من الدول العربية من جهة ، ولتزيد في الفرقة بين سكان الضفة الغربية من ابناء فلسطين وبين الحكومة الاردنية من جهة اخرى .

وبالفعل فإن الخلاف بين الاردن ، وبين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق ، قد اشتد بعد اعتداء اسرائيل على السموع ، واخذ الفريقان يتراشقان التهم بالاذاعات والخطابات والصحف ، بشكل يسر العدو ايما سرور ويحزن الصديق ايما حزن .. وفي هذا المجال ، ومن الامور التي كان لها اثر في تردي الاوضاع بين الاردن وبين بلاد عربية اخرى ، وفي حوادث سبقت ٥ حزيران ١٩٦٧، ما جاء في المؤتمر الصحفي الذي عقده رئيس الوزراء الاردني السيد وصفي التل في ٢١–١١–١٩٦٦ ، الذي اتهم فيه ، في نوبه تأثر وانفعال ، الجمهورية العربية المتحدة وسوريا بعدم القيام بما يتوجب عليهما من المجابهة مع اسرائيل ، وطالب بسحب الجيوش المصرية من اليمن وارسالها الى سيناء ، وبسحب قوات الطوارىء الدولية الواقفة وراء الحدود المصرية مع اسرائيل . ومما قاله رئيس الوزراء الاردني في مؤتمره ان الخطوط الامامية

غير معززة باسلحة ثقيلة « لاسباب فنية » ، « وان من السخف ان نتوقع من الدفاع المحلي اكثر مما بذل في السموع » ..

ويضاف الى ذلك ان رئيس الوزراء الاردني السيد وصفي التل مس القيادة العربية الموحدة صراحة في بيانه الصحفي ، وادلى ببيانات اعتبرتها القيادة العربية الموحدة غير صحيحة ، مما دعا الفريق عبد المنعم رياض القائد العام للقيادة العربية الموحدة بالنيابة ورئيس اركان القيادة العربية الموحدة ، الى ان يبعث في ٢٢–١١–١٩٦٦ برسالة الى الامين العام لجامعة الدول العربية ، شرح فيها وجهة نظر القيادة مع ملحق يتضمن الوثائق المؤيدة لما جاء في الرسالة ، طالباً اليه الاتصال بالحكومة الاردنية لتصحيح معلوماتها ، واحالة الرسالة الى الدول العربية الاعضاء في الجامعة العربية بياناً للحقيقة .

ابتدأ الرسالة بذكر اربع نقاط وردت في البيان الصحفي الذي ادلى به السيد وصفي التل وهي :

١ – ان الحكومة الاردنية كانت تريد ان يؤمن لها الغطاء الجوي فوق السموع ، وان الغطاء الجوي جنوبي القدس هو من مسؤولية الجمهورية العربية المتحدة .

٢ – انه لو فتحت الجبهات العربية النار بجد او بصورة محدودة لخف الضغط على الاردن اثناء معركة السموع .

٣ – فيما يتعلق بموضوع دخول قوات عربية الى الاردن للدفاع عنها قال رئيس الوزراء الاردني « ان هذا الامر من اختصاص القيادة العربية الموحدة التي تأمر القوات بالتحرك الى الاردن في حالة وقوع حرب موسعة » .

٤ – ان معركة السموع بوجهها العربي كانت اختباراً للقيادة العربية الموحدة .

وجاء في الرسالة الرد المدعم بالوثائق على اقوال رئيس الوزراء الاردني السيد وصفي التل اوجزها بما يلي :

(١) فيما يختص بالغطاء الجوي :

١ – اكدت القيادة العربية الموحدة ان الدفاع الجوي يجب ان ينبع من ارض الدولة ذاتها لقصر مدى عمل الطائرات المقاتلة المختصة . وبما ان الدفاع الجوي الأردني ناقص نقصاً كاملاً ، وللتمكن من الدفاع عن الأردن من الجو طلبت القيادة العربية الموحدة ، وكررت طلبها في كل مؤتمر للقمة واجتماع لرؤساء

الحكومات ان تتمركز المقاتلات العربية في اراضي المملكة الاردنية ، غير ان الحكومة الاردنية كانت ترفض ذلك دائماً .

٢ ـ عرضت القيادة العربية الموحدة على الحكومة الاردنية تزويدها بطائرات مقاتلة جديدة من احدث طراز في العالم فوراً ، ولكن الحكومة الأردنية رفضت عرض القيادة ، واصرت على التعاقد على نوع امريكي من المقاتلات قديم مصلح يبلغ ثمنه ثلاثة اضعاف ما عرضته القيادة عليها ، مع العلم ان المقاتلات الامريكية لا يتم توريدها الا بعد سنتين او ثلاث سنوات من التعاقد ولم تصل منها طائرة واحدة حتى معركة السموع .

٣ ـ تبين للقيادة العربية الموحدة عدم توفر القواعد الجوية الصالحة للمقاتلات الجوية في الاردن ، فأقرت انشاء قاعدة جوية في الاراضي الاردنية ، دفعت معظم تكاليفها للحكومة الاردنية مقدماً في حزيران (يونيو) ١٩٦٤ ولم تبدأ الحكومة الأردنية العمل في هذه القاعدة الا في حزيران (يونيو) ١٩٦٦ .

٤ ـ ان تخطيط القيادة العربية الموحدة يعتبر مسؤولية الدفاع الجوي في الدولة من مسؤوليات تلك الدولة ، وليس صحيحاً ما ورد في تصريح رئيس الوزراء الاردني السيد وصفي التل من ان التغطية الجوية جنوبي القدس من مسؤولية الجمهورية العربية المتحدة ، لاستحالة ذلك عملياً من قواعد المقاتلات في سيناء .

(٢) فيما يختص بفتح النيران من باقي الجبهات العربية :

١ ـ ابلغت الحكومة الاردنية القيادة العربية الموحدة بالعدوان الاسرائيلي على السموع في الساعة ١٤ والدقيقة ٤٠ مع العلم بأن العدوان انتهى في الساعة العاشرة صباحاً .

٢ ـ من دراسات القيادة العربية الموحدة تبين بجلاء ان القوات الاردنية غير كافية للدفاع عن الحدود الاردنية الطويلة ، ولهذا ألحت على الحكومة الاردنية في كل مؤتمر عقد، سواء أكان على مستوى الملوك والرؤساء ام رؤساء الحكومات ، ام مجلس الدفاع ، بالسماح للقوات السعودية والعراقية بالدخول الى الاراضي الاردنية للاشتراك في الدفاع عنها عند الضرورة . وقد رفضت الحكومة الاردنية، في كل مرة ، السماح بدخول تلك القوات الى اراضيها . فأظهرت

القيادة العربية الموحدة ان منع دخول تلك القوات يشل قدرة القيادة العربية الموحدة على رد العدوان في حين ان الموقف على الجبهة الأردنية ذاتها خطير ، لما قد يتطور اليه موقف العمليات الحربية وعدم كفاية القوات الأردنية لمجابهتها .

٣ ـ ان مخطط القيادة العربية الموحدة الذي وافق عليه مجلس الدفاع ينص على ان كل دولة مسؤولة عن رد غارات العدوان عليها ، ما دام ذلك لم يؤد الى احتلال جزء من اراضيها .

(٣) فيما يتعلق بتصريح السيد وصفي التل عن دخول القوات العربية للاشتراك في الدفاع عن المملكة الاردنية الهاشمية بأوامر القيادة العربية الموحدة :

لقد طلبت القيادة العربية الموحدة ، مراراً، دخول قوات عربية الى الاردن للدفاع عنه ، وأبانت بالدراسة الواضحة خطورة الوضع في الجبهة الاردنية وعدم فاعلية اي قوات عربية تطلب لمعاونة الجبهة الاردنية وهي بعيدة مئات الاميال عن مسرح عملياتها. ومع ذلك رفضت الحكومة الاردنية طلب القيادة العربية الموحدة المتكررة . وحرصاً على الدفاع عن الاردن من اطماع اسرائيل في الضفة الغربية ، حشدت القيادة العربية الموحدة قوات عراقية في الرطبة (هـ ـ ٣) ـ الجفور ـ خارج الحدود الاردنية، وقوات سعودية في تبوك داخل الاراضي السعودية . وبقيت هذه القوات هناك في عرض الصحراء ما يزيد على العام ولم تسمح لها الحكومة الاردنية بدخول الاردن، مما دعا الى سحب القوات العراقية الى داخل العراق بقرار من مجلس الملوك والرؤساء الثالث المنعقد في الدار البيضاء في ١٣ ـ ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥، بعد ان اصاب معداتها التلف وهبطت روح رجالها المعنوية .

وجاء في تقرير القائد العام للقوات العربية الموحدة الى مؤتمر رؤساء الحكومات في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ ما نصه :

« ... ولم تسمح (اي الحكومة الاردنية) بدخول القوات الى اراضيها مما اضطر القيادة الى حشد هذه القوات في هـ ـ ٣ (الجفور) للقوات العراقية وفي تبوك للقوات السعودية . وما زالت القيادة ترى ان وجود هذه القوات على مسافات شاسعة من مسرح عملياتها يشكل خطراً على الموقف العسكري في المملكة الاردنية، اذ ان إجراء تحركات لهذه القوات، عند العمليات في حالة حدوث موقف جدي قد لا يكون من صالحنا .

وترى هذه القيادة ان هذا الوضع يشكل خطراً على الجبهة الاردنية، وما زالت ترى انه من الاصلح لسلامة الموقف العسكري في الجبهة الأردنية ان ترابط التشكيلات المعاونة لها من العراق والسعودية في أراضيها » .

(٤) وفيما يتعلق بما ورد في تصريح رئيس الوزراء الاردني من ان معركة السموع كانت اختباراً للقيادة العربيـــة الموحدة ، ذكر قائد القوات العربيـــة الموحدة في رسالته ما نصه :

« وبناء على ما ذكرته عاليه فانني اود ان اذكر ، في هذا المقام ، ان هذه الاحداث المؤسفة لكل عربي ، هي شاهد حي على نتيجة عدم الاخذ بالاستنتاجات والوصايـــا العسكرية التي قدمتها هذه القيادة ولم يؤخذ بها ، اكثر من ان تكون اختباراً لهذه القيادة ذاتهـــا » .

ومما يؤسف له ان الحكومة الاردنية ، رغم ذلك كله ، ورغم اعتداء اسرائيل على السموع ، ظلت ترفض دخول قوات عربية الى الاراضي الاردنية حتى قبيل انفجار القنابل يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ .. ولما سمحت الحكومة الاردنية بدخول القوات العراقية الاردن كان الوقت قد فات لقيام هذه القوات بواجباتها على الحدود مع اسرائيل ، لأن الطيران الاسرائيلي تتبعها ، وهي في طريقها من بغداد الى الاردن ، وضربها بقنابله ، واتلف الكثير من معداتها ، كما ازهق ارواح رجال مخلصين كان في مقدورهم ان يقوموا بأعمال حربية مفيدة لو كانوا متمركزين في ميادين القتال قبل ابتداء القتال . وهكذا انتهت الحرب ولم تدخل بعد جميع القوات العراقية التي ارسلت للدفاع عن الضفة الغربية ، عن القدس .. وعن الحدود الاردنية .. وتحقق ما كانت القيادة العربية الموحدة تخشى وقوعه من رفض الحكومة الاردنية دخول القوات العربية ميادين اعمالها الحربية في اوقات السلم ...

ولا يستطيع الباحث الموضوعي الا ان يرى فيما قاله رئيس الوزراء الاردني السيد وصفي التل في مؤتمره الصحفي انه كان في غير محله .. وانه اضر بجلالة الملك حسين وبمصلحة الاردن .. وكان عاملاً كبيراً على زيادة التفرقة بين الاردن وبعض البـــلاد العربية ، وبذلك اضعف الجبهة الاردنية .. ورجل الدولة ينبغي ان يكون قادراً على ضبط عواطفه ونزوات نفسه ، حفاظاً على مصلحة البلد الذي يتولى حكمه ، وان يكون قادراً على جلب الخير له والاكثار من اصدقائه ، لا ان يزيد في مصاعبه ويعزلـــه عمن

هو بحاجة الى مساعدته ..[1]

وهكذا حققت اسرائيل هدفاً من اهدافها في ضرب الاردن في السموع ، الا وهو زيادة التصادم بين الاردن والبلاد العربية الاخرى ، واضعاف الجبهة الاردنية ...

اما فيما يتعلق بأبناء الضفة الغربية فقد تأثروا التأثر كله بما وقع لاخوانهم من سكان السموع .. فقاموا بمظاهرات في جميع مدن الضفة الغربية ، احتجاجاً على الحكومـــة لعدم تحصينها الخطوط الامامية ، ولحرمان السكان من السلاح للدفـــاع عن انفسهم وعائلاتهم واطفالهم ... واستمرت هذه المظاهرات عدة ايام .. وطالب ابناء الضفة الغربية الحكومة الاردنية بتمكينهم من التسلح وبضرورة اتباع سياسة منسقة مع الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى المحيطة باسرائيل .

وقد قابلت الحكومة الاردنية هذا الشعور الوطني ، بمنع المظاهرات وقمعها بقوة

---

(١) وصف السيد سعد جمعه ، وهو رئيس وزراء اردني سابق ، اقطاب العمل السياسي في الاردن ، في كتابه « المؤامرة ومعركة المصير » صفحة ١٨٠ و ١٨١ ، ونص ما ذكره هو : « وكان اقطاب العمل السياسي في الاردن ، كزملائهم في بقية البلاد العربية ، فيهم المغامر الصلف غير المؤتمن ، وفيهم ادعياء معرفة ومروءة ووطنية لا يساوون ثمن هذا الورق الذي اكتب فيه ... خير ما فيهم، اتقانهم نهش الاعراض ، وتجريح الحرائر ، والتشدق بهجر القول ، والتمدح بوقاحة السمت .. يغشون المجالس بالنكت السمجة ، والظل الثقيل ، ويغطون الصفاقة بالتدليس والنفاق .. وفيهم ذوو نفوس رخيصة في سوق النخاسة، بدراهم معدودة تستطيع ان تصطفي من تشاء منهم عملاء واذناباً .. وقد جهلوا – لتعاستهم – ان الاصالة تنبع من الذات ولا تشترى بالعمالة ، ولو ارتدوا الف ثوب من الوطنية الزائفة ، وجاءوا من الخارج بمليون شهادة حسن سلوك ، يوارون بها خزيهم وصغارهم ، وعورات انفسهم ، ويشترون بها ما يقترفونه في الداخل من جرائم خلقية ، وفساد وسرقة ، وتشجيع على التآمر ، والمتاجرة بمصلحة البلد كلها . ذلك أن الشرف لا يتجزأ ، والخلق لا يتجزأ ، والوطنية لا تتجزأ ، وهي صفة نفس لا بضاعة تشترى وتباع ، فمن كان متهماً في ذمته ، حقيراً في مروءته ، خائناً في انتمائه الداخلي وعمله المسلكي ، لا يكون كبيراً في انتمائه الخارجي وعمله القومي » .

وقال ايضاً « والاردن بالرغم من انعدام المجتمع الطبقي فيه ، فان طبقة من البرجوازية الجشعة قد اخذت في النمو والتكوين ، بسبب تطور البلد واتساع القطاع الصناعي وتهاون المسئولين . وهناك مساوىء لا تخفى في توزيع الثورة .. وبعض رجال الحكومات المتعاقبة قد سايروا وهادنوا .. بل شجعوا المحتكرين والمهربين والمشتغلين ، على حساب مصلحة الدولة ومصلحة الجمهور ، وبعض القوانين قد شرعت لمصلحة شخص بعينه او اشخاص ، وبعض شركات عرفت كيف تستهوي ذوي السلطة لمساعدتها على الاحتكار والغنى الفاحش ، وتكديس الثروات الطائلة .. وفي قوانين الشركات ذوات الامتياز ، نقائص وثغرات وسقطات مخيفة ، نظر المشرع فيها الى مصلحة الافراد على حساب الجماهير من ذوي الدخل الصغير » .

جيش البادية . فقام هذا الجيش وخصوصاً في القدس ، بضرب المتظاهرين من الرجال والنساء والصبيان ، واطلاق الرصاص عليهم .. وتحطيم المخازن واتلاف الكثير مما كان فيها .. كما ان الحكومة الاردنية اعتقلت عدداً من رجالات الضفة الغربية .. ولا ينبغي ذكر اكثر من ذلك .. ولكن الذي ينبغي قوله ، للعبرة والاستفادة من الاخطاء ، ان تصرف الحكومة الاردنية في تلك الفترة كان سياسة ، اقل ما يمكن ان يقال فيها ، انها غير حكيمة ..

ان تصرف الحكومة الاردنية تجاه ابناء الضفة الغربية ، بعد اعتداء اسرائيل على السموع ، قد وسع وعمق الهوة القائمة بين الشعب والحكومة الاردنية .. وبذلك حققت اسرائيل هدفاً آخر من اعتدائها على السموع ..

— ٢ —

الأحداث التي تلت السموع حتى ١٥ ايار (مايو)

الجبهة السورية

لم تهدأ الاحوال على خطوط الهدنة بعد الغارة على السموع . ولقد كانت الحدود الاسرائيلية السورية مضطربة قبل تلك الغارة وبعدها . ووصلت حدها الاقصى في ٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٧ . وحدثت خلال تلك المدة سلسلة من الحوادث تصاعدت من رصاص القناصة الى لغم يتلف جراراً ، والى تبادل الدبابات النيران ، والمدافع والقذائف ، والطائرات القنابل فيما بينها ، وضربها التحصينات والقرى بها .

والنزاع بين سوريا واسرائيل في الجبهة السورية قديم ، لا يرجع الى الاعمال الفدائية ، كما تريد اسرائيل تصويره ، اذ هو اقدم منها . قال ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية يوم ٥ — ٤ — ١٩٦٧ امام الكنيست الاسرائيلي « ان سوريا ترتكب افدح الاخطاء اذا ما اعتقدت انها اكتشفت وسيلة للهجوم على اسرائيل دون ان ينالها عقاب ، وان الحكومة الاسرائيلية ستتخذ جميع الخطوات التي تراها ضرورية لحماية حدودها والحفاظ على ارواح مواطنيها » . وقوله هذا تمهيد للاعتداء الاسرائيلي على سوريا حسب خطته المرسومة .

وفي قول لزعيم اسرائيلي آخر تفسير لحقيقة النزاع الاسرائيلي السوري في الجبهة السورية . تحدث الجنرال بيجال آلون وزير العمل الاسرائيلي في خطاب القاه في ٨ — ٤ — ٦٧ في المؤتمر الصهيوني الذي عقد في بريطانيا ، عن التوتر الذي كان قائماً على خط الهدنة بين سوريا واسرائيل ، فقال : « ان النزاع بين سوريا واسرائيل لا يتعدى كونه نزاعاً على زراعة الاراضي المجاورة للحدود » . وفي التاريخ نفسه ذكر ليفي اشكول رئيس حكومة اسرائيل ووزير الدفاع « انه ليس ثمة ما يمنع الاسرائيليين والسوريين من زراعة الاراضي على جانبي خط الهدنة ، على الرغم من ان معاهدة الصلح لم توقع » . فما هو موضوع الخلاف على تلك الاراضي بين الفريقين ؟.

لا اريد الاطالة في هذا الموضوع ، اذ ان مكانه ليس في هذا البحث ، ولكن من الضروري لتفهمه والوقوف على حقيقته الرجوع الى منشئه :

ان اتفاق الهدنة المعقود بين سوريا واسرائيل في ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٤٩ قد اقام منطقة مجردة من السلاح بين الحدود السورية وبين فلسطين المحتلة . وينص الاتفاق على ان تنسحب قوات الطرفين منها ، ولا يجوز لها العودة اليها ، وانه يحق لسكان قرى المنطقة المجردة من السلاح — وهم من العرب — العودة الى قراهم وممارسة اعمالهم الزراعية وغيرها في اراضيهم .

غير ان الحكومة الاسرائيلية ، بعد ان وقعت اتفاق الهدنة المشار اليه ، خالفت نصوصه ، ورفضت تنفيذ ما توجب عليها ان تقوم به . رفضت السماح بعودة المدنيين العرب الى قراهم التي غادروها في اثناء القتال سنة ١٩٤٨ . وبالاضافة الى ذلك، اجبرت العرب الذين بقوا في قراهم في تلك المنطقة ولم يغادروها ، على مغادرة مساكنهم ومزارعهم واللجوء الى البلاد العربية ، ومكنت اليهود من استغلال اراضيهم وحمتهم بقوات عسكرية دخلت المنطقة لحراستهم والدفاع عنهم.. كما انها حصنت مواقع متعددة في المنطقة المجردة من السلاح . وفي كل عمل من ذلك مخالفة صارخة لاتفاق الهدنة السورية الاسرائيلية .

رفعت الحكومة السورية تقريراً بالمخالفات الاسرائيلية العديدة في تلك المنطقة الى لجنة الهدنة المشتركة اولاً ، ثم الى مجلس الامن في الامم المتحدة .. وادانت لجنة الهدنة المشتركة اسرائيل ، كما ادانها مجلس الامن باعتداءاتها المتعددة ، وطالبها باحترام شروط اتفاق الهدنة والعمل بموجبها .. غير ان اسرائيل لم تمتثل لذلك ..

ومن قرا ات مجلس الامن الاولى التي ادان بها اسرائيل لمخالفتها اتفاق الهدنـة السورية الاسرائيلية قراره رقم ٩٣ الصادر في ١٨ ايار (مايو) ١٩٥١ ، وجاء فيه:

ان رئيس لجنة الهدنة السورية الاسرائيلية طالب اسرائيل بأن توقف شركة استثمار الاراضي الفلسطينية (وهي يهودية) أعمالها في اراضي المنطقة المجردة من السلاح . ووجد مجلس الامن ان الاعمال الجوية التي قام بها سلاح الجو الاسرائيلي في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٥١ كانت مخالفة لنصوص اتفاق الهدنة والواجبات التي ينص عليها ميثاق الامم المتحدة . واشار مجلس الامن في قراره ايضاً الى طرد الحكومة الاسرائيلية المزارعين العرب من اراضيهم في المنطقة المجردة من السلاح ، وقرر وجوب السماح لهم بالعودة حالاً الى بيوتهم ومزاولة اعمالهم في اراضيهم ، وان على لجنة الهدنة المشتركة ان تشرف على اعادتهم وتوطينهم بالطريقة التي تعينها اللجنة ..

على ان الحكومة الاسرائيلية لم تعمل بموجب قرار مجلس الامن ، ورفضت تنفيذ ما جاء فيه ، ومنعت العرب من العودة الى دورهم واملاكهم في المنطقة المجردة من السلاح .. ولم يتخذ مجلس الامن اية اجراءات لحمل اسرائيل على احترام قراره وتنفيذه .

وتكررت اعتداءات اسرائيل على المنطقة المجردة من السلاح .. ورفعت الحكومة السورية الامر الى مجلس الامن ، فاصدر قرارات يدين بها الحكومة الاسرائيلية ويطالبها بالتوقف عن مخالفاتها لاتفاق الهدنة والعمل بما جاء فيه .. غير ان اسرائيل لم تصغ ابداً الى قرارات مجلس الامن واستمرت في اعتداءاتها ..

ونتيجة لذلك ، وجدت الحكومة السورية ان من واجبها ان تحول دون دخول الجرارات الاسرائيلية وقواتها العسكرية بقوة السلاح . وتلا ذلك اصطدامات مستمرة بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية بسبب اصرار اسرائيل على استغلال الاراضي العربية في المنطقة المجردة من السلاح ، ودخول قواتها العسكرية فيها ، خلافاً لاتفاق الهدنة ولقرارات مجلس الامن ..

ومن الجدير بالذكر ان مجلس الامن لم يدن سوريا قط بالاعتداء على اسرائيل او بدخول المنطقة المجردة من السلاح خلافاً لاتفاق الهدنة .. ومع ذلك فان الدعاية الاسرائيلية صورت سوريا بأنها معتدية ، وانها سبب الصدامات التي كانت تحدث على الحدود ، بمنعها المزارعين الاسرائيليين من زرع اراضيهم .. في حين ان كل ما كانت تقوم به سوريا هو منع الاسرائيليين من وضع يدهم على الاراضي العربية في المنطقة المجردة من

السلاح .. وفي هذا الصدد قال الجنرال فون هورن رئيس هيئة المراقبة الدولية في فلسطين ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٣ في كتابه « جنود السلام » ، ان المدافع السورية الواقعة على الهضبة المشرفة على المنطقة المجردة من السلاح ، ماكانت تطلق قنابلها لولا استفزازات الاسرائيليين بقيامهم بأعمال في المنطقة المجردة من السلاح ، خلافاً لشروط اتفاق الهدنة ..[1] وكي لا يكشف المراقبون هذه المخالفات الاسرائيلية المتتابعة بالطرق الرسمية فان اسرائيل قاطعت لجنة الهدنة المشتركة ابتداء من سنة ١٩٥١ ، ومنعت مراقبي الأمم المتحدة من دخول المنطقة المجردة من السلاح لإجراء التحقيقات في اعمالها .. وقد سجل القائد هتشنسون ، الذي كان احد اعضاء هيئة المراقبة الدولية للهدنة في فلسطين ، ان الوضع على الحدود السورية الاسرائيلية قد « تفاقم بسبب استمرار محاولات اسرائيل وضع يدها على المنطقة المجردة من السلاح التي تفصل بين البلدين في بعض المواقع »[2] .. والسياسة الاسرائيلية كانت تعمل على اعتبار جميع المناطق المجردة من السلاح والمناطق الحرام ، التي انشئت لتكون فاصلاً بين الطرفين المتنازعين، العرب والاسرائيليين ، في بعض المناطق الحساسة، مناطق واقعة ضمن السيادة الاسرائيلية، ولها حق استغلالها، مع ان معظمها املاك عربية .. وبذلك افسدت الغاية التي من اجلها اوجدت تلك المناطق واصبحت مجال احتكاك ومكان قتال ، بدلاً من ان تكون فاصلاً بين الطرفين ومساعداً على السلام في تلك المناطق الحساسة ..

وفي ٣ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ قررت الحكومة الاسرائيلية استغلال جميع اراضي المنطقة المجردة من السلاح ، الواقعة بين سوريا واسرائيل ، ومعظمها اراض عربية ... فأوصلت بذلك الوضع الى معركة يوم ٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ، وهي اهم المعارك التي وقعت في تلك المنطقة قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وكانت بمثابة رفع لستار حرب الايام الستة :

في الساعة ٩ والدقيقة ٤٥ من صباح ذلك اليوم ، حسب توقيت دمشق ، دخلت المنطقة المجردة من السلاح المتنازع عليها ، قرب مستعمرة « هاؤن » جنوب شرقي بحيرة طبريا ، جرارات اسرائيلية لزراعة تلك الاراضي ، التي هي ملك للعرب ، مصحوبة

---

(١) General Carl Von Horn ; Soldiering for Peace, p. 116

(٢) القائد هتشنسون : « الهدنة المضطربة » Violent Truce ص ١٠٧ .

بقوة عسكرية اسرائيلية لحمايتها . فأنذرت السلطات السورية الاسرائيليين باخراج الجرارات والقوة العسكرية من المنطقة ، غير ان الاسرائيليين اصروا على البقاء والقيام بالاعمال ، وفي ذلك عدوان على اتفاقية الهدنة .. على اثر ذلك اطلقت القوات السورية النار على الجرار ، وتبعه قتال بين الطرفين دام حتى الساعة ١٩ والدقيقة ٣٠ من مساء ذلك اليوم ، اشتركت فيه المدفعية السورية والاسرائيلية ، وطيران الدولتين :

بدأ القتال بالاسلحة الخفيفة ، ثم تطور الى قتال بالدبابات ومدافع الهاون والمورتر .. ولما كانت المواقع السورية محصنة تحصيناً متيناً ، ولم تستطع المدافع الاسرائيلية التأثير فيها ، فقد ارسلت اسرائيل طائرات قصفت تلك الاماكن « بالقنابل ذات الانفجار الشديد وقنابل النابالم » ، ثم توغلت الطائرات الاسرائيلية داخـــل الاجواء السورية وحلقت في اجواء دمشق ، فتصدت لها طائرات سورية واشتبكت معها في ثلاث معارك جوية في اماكن واوقات مختلفة ..

وتقول المصادر السورية انها خسرت اربع طائرات ، وتدعي اسرائيل انها اسقطت ست طائرات سورية ، ثلاث منها سقطت في الاراضي الاردنية . وتقول المصـــادر السورية انها اسقطت خمس طائرات اسرائيلية ، واذاعت اسرائيل ان جميع طائراتها عادت سالمة . اما الخسائر الاخرى فأقوال الطرفين فيها متضاربة تضارباً كبيراً ..

ومن يتتبع سياسة اسرائيل في اعتداءاتها على الحدود العربية يرى ان هناك سياسة خاصة ومنهجاً معيناً يهدفان الى اضعاف المعنويات العربية ، وحمل الدول العربية المعتدى على اراضيها ، على الرضوخ لمشيئة اسرائيل ، والقبول باستيلائها على اراض جديدة . وفي هذا يقول موشه بريليانت المعلق العسكري الاسرائيلي : « قلما تكون حوادث الحدود مجرد مصادفة . انها جزء من سياسة الانتقام ، وجزء من خطة واضحة لاجبار العرب على قبول السلام مع اسرائيل ... ان سياسة الاعتداءات هذه هي نتاج تفكير سياسي وسيكولوجي بارد غير عاطفي » .

وعلى كل حال ، لقد قامت اسرائيل خلال ستة اشهر باعتداءات اهمها الغارة على السموع في الاردن ، ومعركة ٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ مع سوريا ، مما ادى الى اثارة اعصاب عدد من رجال الاردن ومن رجال سوريا ، وانتقادهم الشديد للقيادة العربية الموحدة بأنها لم تتخذ اجراءات ضد اسرائيل ، حسب رأيهم . غير ان القيادة العربية الموحدة كانت تنصح دائماً بضبط النفس وعدم الانسياق وراء ما تريده اسرائيل مـــن

اشتباكات تؤدي الى حرب ، لأن القوات العسكرية في البلاد العربية لم تكن قد اكتملت بعد بحيث تكون قادرة على الدفاع عن البلاد العربية المجاورة لاسرائيل . يضاف إلى ذلك ان مخطط القيادة العربية الموحدة ، الذي وافق عليه مجلس الدفاع ، ينص على ان تكون كل دولة مسؤولة عن رد غارات العدوان عليها ، ما دام انه لم يؤد الى احتلال جزء من اراضيها .

وادعت اسرائيل انها تقوم بضربها اماكن في البلاد العربية لتردع العرب عن استمرار اعمال الفدائيين في اسرائيل .. ولكن اسرائيل اتخذت اعمال الفدائيين عذراً لاعتداءاتها ، ولم تكن السبب الحقيقي لها ، كما ان اسرائيل كانت تنتحل اعذاراً اخرى لاعتداءاتها المتكررة العديدة على الاردن قبل انشاء حركة « فتح » سنة ١٩٦٥ .. وهي بطبيعة الحال لا بد لها من ان تختلق عذراً لكل عدوان تقوم به . ومن الاسباب التي اوجدت الهيئات الفدائية هي اعتداءات اسرائيل ، وعدم قيام الدول العربية باجراءات رادعة لهـــا ، بالاضافة الى المطالبة بحق الفلسطينيين في وطنهم السليب . واعتداءات اسرائيل لم تضعف الاعمال الفدائية وانما زادتها عدداً وقوة .. وهكذا دفعت اسرائيل كرة الثلج تتدحرج من قمة الجبل الشاهق المغطى بالثلوج ...

وبينما كان المسؤولون في اسرائيل يدلون بتصاريح يهددون فيها البلاد العربية متذرعين بالاعمال الفدائية ، وبينما كان الجو السياسي في الاردن غير هادىء من جراء تذمـــر السكان من مواقف الحكومة الاردنية ، غير جلالة الملك حسين حكومة السيد وصفي التل وعين السيد سعد جمعه ، الذي كان يشغل مركز وزير البلاط ، رئيساً للوزارة الجديدة .. وذلك في ٢٣ – ٤ – ١٩٦٧ .

على ان تصاريح المسؤولين في اسرائيل وتهديداتهم ازدادت شدة ، ثم إنه في يوم ١١–٥–١٩٦٧ صرح اشكول رئيس الوزارة الاسرائيلية ووزير الدفاع في خطاب القاه في اجتماع لحزب الماباي قال فيه : ان حكومته تنظر الى موجة الاعمال الفدائية والتسلل نظرة خطيرة ، نظراً الى الاربعة عشر حادثاً التي وقعت في الشهر المنصرم ، وانه اصبح من الضروري لها ان تقوم بعمل ضد سوريا لايقل عنفاً عن اشتباكات ٧ نيسان (ابريل) . وصرح بعد يومين في مقابلة اذاعية « انه لواضح للحكومة الاسرائيلية ان مركز اعمال الفدائيين هو في سوريا » ولكننا قررنا مبدأ وهو ان نختار الوقت والمكان والوسائل لمجابهة المعتدي » . ومضى اشكول يقول : « انه مصمم على جعل القوات الاسرائيلية من القوة اللازمة لردع الاعتداء ، ولرده وضربه ضربة قاسية داخل اراضي العدو » .

ويمكن للمراقب السياسي ان يرى في هذا التصريح لرئيس الوزارة الاسرائيلية ان ضربة اسرائيل القادمة ستكون على دولة اكبر من سوريا للقضاء على القوات العربية الرئيسية قبل استكمالها ..

وفي ١٢ — ٥ — ١٩٦٧ اصدر الجنرال « رابين » رئيس اركان الجيش الاسرائيلي تصريحاً خطيراً نبه العرب الى الاخطار الداهمة ، ومفاده ان الجيش الاسرائيلي سيقوم بهجوم على سوريا واحتلال دمشق والاطاحة بحكومتها وهدم النظام القائم فيها .. وقال : انه يعتقد ان مصر لن تتحرك لنجدة سوريا ، وأنها لن تخاطر بشن حرب على اسرائيل..

ومما لا ريب فيه ان الجنرال رابين قصد بتصريحه هذا « تحريك » مصر ، وحملها على اتخاذ اجراءات عسكرية ، تتخذها اسرائيل ذريعة لتحقيق اهدافها ... والعارفون بسياسة التضليل التي يتبعها المسؤولون الاسرائيليون ، تغطية لحقيقة نواياهم العدوانية ، وإبعاداً للانظار عن المكان او الدولة التي يريدون الاعتداء عليها ، يرون في تصريح الجنرال رابين الصريح هذا ، ان ضربة اسرائيل المقبلة لن تكون لسوريا وانما لدولة اهم من سوريا بكثير ، وذلك لازالة خطر معاهدة الدفاع المشترك بين مصر وسوريا عن اسرائيل ، ولضرب الامة العربية جمعاء بضرب تلك الدولة ..

وقد اشار الرئيس جمال عبد الناصر الى تصريح الجنرال رابين في خطابه يوم ٢٢—٥—١٩٦٧ حين قال : ان العدو صرح تصريحاً خطيراً في ١٢ أيار (مايو) مؤداه ان القادة العسكريين الاسرائيليين اعلنوا انهم سيقومون بأعمال حربية ضد سوريا لاحتلال دمشق والاطاحة بالحكومة السورية ، وان هذه التهديدات كانت تهدف الى تنفيذ خطة مرسومة ومؤكدة ، اذ ان اسرائيل حشدت قوات تقدر بما بين ١١ و ١٣ لواء ، وكان يوم ١٧ أيار (مايو) محدداً لعملية غزو سوريا وتهديد دمشق .. فقررنا ان نتحرك .. وتحركنا فعلاً يوم ١٤ ايار (مايو) ..

وفي يوم ١٣ — ٥ — ١٩٦٧ دعا وزير خارجية سوريا سفراء الدول الاعضاء في مجلس الامن يومئذ ، وقال لهم : ان مؤامرة ضد سوريا قد حيكت في دوائر الامبرياليين والصهيونيين ، وترتكز على عدوان اسرائيلي كبير يتذرع بمختلف الحجج الواهية ، ضمن اطار المؤامرة .. وقد كشف عنه تصريح رئيس اركان الجيش الصهيوني رابين .

وعلى كل حال فان تهديدات الصهيونيين هذه بالحرب ضد العرب اوجدت مخاوف حقيقية في دمشق والقاهرة ، وأدت الى اتخاذ الاجراءات الحاسمة في الاسبوع التالي ..

واسرائيل هدفت بهذه التصريحات الحربية الى حمل البلاد العربية ، وخصوصاً الرئيس جمال عبد الناصر ، على اتخاذ اجراءات عسكرية تتخذ منها اسرائيل وسيلة لدعايتها بأنها في خطر الزوال ، فتنال بذلك عطف الرأي العام الدولي عليها ، وذريعة لهجوم مباغت على الجمهورية العربية المتحدة ، لان اسرائيل ، كما سبق ان اشرنا ، حينما تريد حرباً شاملة لا تهاجم بلداً عربياً صغيراً وانما تهاجم اكبر دولة عربية ... وهكذا نجحت اسرائيل في تنفيذ تخطيطها الحربي العدواني على بعض الدول العربية ..

وقد اشار الرئيس جمال عبد الناصر ، في خطابه الشهير الذي القاه يوم ٩ حزيران (يونيو) الذي قدم فيه استقالته ، الى عناصر الانفجار بقوله : « اننا نعرف جميعاً كيف بدأت الازمة في الشرق الاوسط في النصف الاول من شهر ايار (مايو) الماضي . كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا . وكانت الأدلة متوفرة على وجود التدبير . كانت مصادر اخواننا السوريين قاطعة في ذلك . وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكد ذلك . وقام اصدقاؤنا في الاتحاد السوفياتي بإخطار الوفد البرلماني الذي كان يزور موسكو في مطلع الشهر الماضي بأن هناك قصداً مبيتاً ضد سوريا . ولقد وجدنا واجباً علينا الا نقبل ذلك ساكتين . ففضلاً عن ان ذلك واجب الاخوة العربية فهو ايضاً واجب الامن الوطني . فان البادىء بسوريا سوف يثني بمصر ... »

ومهما يكن من امر فان تصاريح اشكول الاستفزازية ، وتصاريح القادة العسكريين الاسرائيليين التي بينت بوضوح نوايا الاعتداء الاسرائيلي ، قد اقنعت قادة سوريا وقادة الجمهورية العربية المتحدة بان اعتداء على سوريا قد رسم وخطط وانه واقع قريباً ، واقنعت بذلك أيضاً رجال الاتحاد السوفييتي : قال السيد كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي في خطاب ألقاه يوم ١٩ — ٦ — ١٩٦٧ في الامم المتحدة ؟ « في تلك الايام ابتدأت الحكومة السوفياتية ، وحكومات اخرى كما اعتقد ، تتسلم معلومات تفيد بأن الحكومة الاسرائيلية عينت نهاية شهر ايار (مايو) موعداً لضرب سوريا ضربة سريعة حتى تحطمها ، ومن ثم تتابع الحرب في اراضي الجمهورية العربية المتحدة » .

ومما يجدر الاشارة اليه ان الامين العام للامم المتحدة ذكر في تقريره الى مجلس الأمن المؤرخ في ١٩ ايار (مايو) ما نصه : « ان التصاريح الحماسية المثيرة ... هي ، مما يؤسف له ، روتينية في كلا الجانبين من الخطوط في الشرق الادنى . غير انه ، في الاسابيع الاخيرة افادت تقارير قادمة من اسرائيل ان بعض كبار المسؤولين في تلك

الدولة القوا تصاريح غاية في التهديد الى درجة تجعلها نارية تؤدي الى تسخين العواطف ، وبذلك تزيد التوتر في الجانب الآخر من الخطوط » . ولقد كانت الاقوال والتصاريح الاسرائيلية مثيرة الى درجة ان المسؤولين في وزارة الخارجية الاميركية شعروا بعنفها ، فأظهروا الى السلطات الاسرائيلية انزعاجهم منها !..

فتصاريح كبار المسؤولين الاسرائيليين الحربية النارية ما بين ١١ و ١٣ ايار (مايو) كانت بمثابة الشرارة التي وقعت على برميل البارود ... والاسرائيليون كانوا يقصدون النتيجة التي ادت إليها تصاريحهم . انهم، في واقع الامر ، لم يكونوا يهدفون الى اقتحام الحدود السورية ودخول دمشق ، نظراً لقوة تحصينات تلك الحدود، التي يكلفهم اختراقها خسائر كبيرة في العتاد وضحايا كثيرة في الانفس ، وانما كانوا يرمون من تلك التصاريح الى حمل الرئيس جمال عبد الناصر على اتخاذ اجراءات عسكرية ، يتخذونها وسيلة دعاية وذريعة للاعتداء على الجمهورية العربية المتحدة .. ولو انهم كانوا حقاً يريدون الاعتداء على سوريا اولاً ، لقاموا بذلك دون القاء تلك التصاريح النارية ، ولأقدموا عليه والعالم لا ينتظر منهم ذلك الاقدام .ولقد اظهر تاريخ العدوان الاسرائيلي ، خلال تلك العشرين سنة من حياة اسرائيل ، ان الاسرائيليين لا يظهرون حقيقة نواياهم في الأعمال العدوانية التي يريدون القيام بها ، وانما يموهون عنها بأقوال خادعة او بأعمال غايتها ابعاد الانظار عما يريدون القيام به فعلاً ..

ولقد نجح الصهيونيون في مناوراتهم التمهيدية للحرب العامة التي قرروا شنها .. وكان من نتيجة تلك التصاريح والفزع الذي ساد سوريا مطالبة المسؤولين فيها الرئيس جمال عبد الناصر باتخاذ الاجراءات العسكرية اللازمة لردع اسرائيل عن اعتدائها الوشيك عملاً بمعاهدة الدفاع بين البلدين ، ووفقاً للدفاع العربي الموحد . وفي هذه الاوضاع وجد الرئيس عبد الناصر أن لا بد له من القيام بعمل ، رغم انه كان يعتقد ان الوقت لم يحن لمجابهة القوات الاسرائيلية . غير ان الانتقادات العنيفة التي وجهت اليه من المسؤولين الاردنيين بعد السموع ، ومن المسؤولين السوريين بعد اعتداء ٧ نيسان (ابريل) حملت المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة على القيام ، هذه المرة، باتخاذ الاجراءات . ففي يوم ١٤ ايار (مايو) طار رئيس اركان الجيش المصري الى دمشق . وكانت مهمته ، بناء على قول المتحدث الرسمي السوري ، ان يدرس مع القيادة السورية « مسائل مهمة تتعلق بالدفاع المشترك ضد اسرائيل » .

وبانتهاء النصف الاول من شهر ايار (مايو) ابتدأ القسم الثالث من الاحداث التي سبقت الحرب . وهي تلك الاحداث التي كانت اسرائيل تترقب وقوعها في الجبهة المصرية ، وبرعت في الحمل على اجرائها .

— ٣ —

الأحداث من ١٥ ايار (مايو) الى ٢٢ منه

التحركات العربية :

في ١٥ ايار (مايو) ابتدأت جيوش الجمهورية العربية المتحدة تدخل سيناء ... وفي ١٦ منه ذكرت اذاعة القاهرة ان الجمهورية العربية المتحدة اعلنت ان قواتها العسكرية في حالة طوارىء بسبب « الوضع المتوتر على خطوط الهدنة السورية الاسرائيلية ، وتعبئة قوات حربية اسرائيلية كبيرة ، وتهديدات اسرائيل وبيانها الصريح بالقيام بهجوم على دمشق » . وتبعاً لاذاعة القاهرة ايضاً في اليوم نفسه ، استقبل السيد محمود رياض وزير الخارجية المصرية سفراء الاتحاد السوفييتي وسوريا والعراق ، كلاً على انفراد ، كما استقبل السيد بدران وزير الدفاع السفير السوفييتي مصطحباً ملحقه العسكري .

وفي الساعة ٢٢ من مساء اليوم نفسه ، ١٦ ايار (مايو) ، تسلم الميجر جنرال اندراجيت ريكي Rikky قائد قوات الطوارىء الدولية في سيناء ، كتاباً من الفريق اول محمد فوزي رئيس اركان هيئة حرب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة يقول فيه : « احيطكم علماً انني اصدرت تعليمات الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فورقيامها بعمل عدواني ضد أية دولة عربية .

وتنفيذاً لهذه التعليمات تجمعت قواتنا في سيناء على حدودنا الشرقية ، ولضمان امن قوات الطوارىء الدولية المتمركزة في نقط المراقبة على حدودنا اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فوراً .

وقد اصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن . ارجو

افادتي بتنفيذ هذا الطلب »[1] .

تسلم اوثانت الامين العام للامم المتحدة تقرير الجنرال ريكي في الساعة ١٧ والدقيقة ٣٠ حسب توقيت نيويورك من ذلك المساء . وبعد ساعة وربع الساعة ، اي في الساعة ١٨ والدقيقة ٤٥ وبناء على طلبه العاجل ، استقبل ممثل الجمهورية العربية المتحدة لدى الامم المتحدة السفير محمد القوني ، وقدم اليه وجهات النظر التالية :

١ – ان الجنرال ريكي لا يستطيع تسلم اوامر من اي كان غير الامين العام .

٢ – ان كان الفريق فوزي يطلب انسحاباً مؤقتاً لقوات الطوارىء الدولية من الخط ، فان ذلك غير مقبول ، لان قوات الطوارىء الدولية لا يمكن ان يطلب منها الوقوف جانباً لتمكن الجانبين من متابعة الحرب من جديد .

٣ – ان كان الفريق اول فوزي يطلب انسحاباً عاماً لقوات الطوارىء الدولية من غزة وسيناء ، فالطلب كان ينبغي ان يكون موجهاً من حكومة الجمهورية العربية المتحدة الى الامين العام .

٤ – ان لحكومة الجمهورية العربية المتحدة الحق في سحب الموافقة التي اعطتها سنة ١٩٥٦ على تمركز قوات الطوارىء الدولية في اراضي الجمهورية العربية المتحدة .

٥ – اذا وجهت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مثل هذا الطلب الى الامين العام ، فانه يستطيع ان يصدر امر الانسحاب الى جميع قوات الطوارىء الدولية من غزة وسيناء ، وفي الوقت نفسه يعلم الجمعية العمومية بما عمله وبسببه .

٦ – ان طلب الجمهورية العربية المتحدة الانسحاب المؤقت لقوات الطوارىء الدولية من الخط يمكن ان يعتبره الامين العام طلباً معادلاً لطلب الانسحاب الكلي لقوات الطوارىء الدولية من غزة وسيناء ، ما دام ذلك يجعل قوات الطوارىء الدولية عديمة الجدوى .

وفي صباح اليوم التالي ١٧ ايار (مايو) اخذت القوات المصرية تتحرك الى خطوط وراء مراكز قوات الطوارىء الدولية على خطوط الهدنة . وفي ظهر ذاك اليوم طلب الفريق اول فوزي من الجنرال ريكي ان تنسحب الكتائب اليوغسلافية التابعة لقوات

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ – مؤسسة الدراسات الفلسطينية صفحة ١٧٤ .

الطوارىء الدولية من المراكز التي تحتلها على قسم من خط الهدنة في سيناء خلال ٢٤ ساعة ، وان تنسحب قوة الطوارىء الدولية ايضاً من شرم الشيخ خلال ٤٨ ساعة . ومما تجدر ملاحظته ان القيادة المصرية لم تحدد في طلبها هذا سحب جميع قوات الطوارىء الدولية من جميع خطوط الهدنة بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل .

وفي اليوم نفسه استدعى السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة سفراء الدول السبع المساهمة في قوات الطوارىء الدولية ، وطلب موافقة حكوماتهم على سحب قواتها من الاراضي المصرية . وحصل على موافقة فورية على ذلك من الهند ويوغوسلافيا . واعلم مندوبا هاتين الدولتين لدى الامم المتحدة المستر اوثانت بأن حكومتيهما ستأمران قواتهما بالانسحاب في الحال وفق طلب الجمهورية العربية المتحدة .

وبعد ظهر ذاك اليوم تشاور الامين العام للامم المتحدة في نيويورك مع ممثلي الدول التي اشتركت قوات منها في قوة الطوارىء الدولية وهي : البرازيل ، كندا ، الدانمارك ، الهند ، يوغوسلافيا ، النرويج والسويد . وعلى اثر هذه المشاورة قدم الامين العام ، بعد ظهر ذاك اليوم ايضاً ١٧ ايار ، الى ممثل الجمهورية العربية المتحدة مذكرة ضمنها النقاط التي ذكرها له خلال اجتماعه معه مساء ١٦ ايار ، الآنف بيانها ، وختمها بقوله : انه اذا كانت تحركات جيوش الجمهورية العربية المتحدة لا تزال سائرة حتى خط مراكز قوات الطوارىء الدولية ، فانه « لاخيار له ألاّ يأمر قوات الطوارىء الدولية بالانسحاب من غزة وسيناء بأقصى سرعة ممكنة » .

وفي صباح اليوم التالي ، ١٨ ايار (مايو) ، اعلم السيد محمود رياض وزير الخارجية المصرية ممثلي الدول التي لها قوات مشتركة في قوات الطوارىء الدولية ، ان تلك القوات قد أنهت مهماتها في الجمهورية العربية المتحدة وفي قطاع غزة ، وانه ينبغي ان تغادر هذه الاراضي حالاً . وفي ظهر ذلك اليوم تسلم الامين العام في نيويورك من وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة طلباً بذلك[1] . وبناء عليه اجتمع مع اللجنة الاستشارية

(١) نص الرسالة التي ارسلها السيد محمود رياض الى المستر اوثانت في ١٨ – ٥ – ١٩٦٧ .
« تتشرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة بافادتكم انها قررت انهاء وجود قوة الطوارىء الدولية في اراضي الجمهورية العربية المتحدة وفي قطاع غزة ، فرجاء التفضل باتخاذ الاجراءات اللازمة لترحيل هذه القوات باسرع وقت ممكن » .

الخاصة بقوات الطوارىء الدولية ، وادى هذا الاجتماع الى قرار الامين العام بأنه طالما لا يوجد اقتراح بدعوة الجمعية العامة ، فانه ليس لديه بديل من الموافقة عـلى طلب الجمهورية العربية المتحدة . وفي مساء ذلك اليوم نفسه تم تنفيذ ذلك بارسال رسالة بالموافقة الى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة، وباعطاء تعليمات الانسحاب الى قائد قوات الطوارىء الدولية .

وتدخلت اسرائيل في هذا الموضوع ، وهي التي كانت قد رفضت سنة ١٩٥٦ ان تتمركز قوات الطوارىء الدولية في اراضيها ، على خط الهدنة بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة . وبناء على ذلك تمركزت قوات الطوارىء الدولية في اراضي الجمهورية العربية المتحدة وقطاع غزة فقط وراء خطوط الهدنة ، بموافقة حكومة الجمهوريـــة العربية المتحدة .كانت اسرائيل تود انسحاب قوات الطوارىء من الحدود المصرية كيما يسهل عليها تنفيذ خططها الرامية الى الهجوم على مصر واحتلال قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ... ولكنه للتمويه اجتمع ممثل اسرائيل لدى الامم المتحدة صباح يوم ١٨ ايار (مايو) بالامين العام للامم المتحدة في نيويورك مقدماً له وجهة نظر حكومته ومفادها : « ان انسحاب قوات الطوارىء الدولية ينبغي ان لا يتم بناء على طلب من الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، مؤكداً ان لاسرائيل الحق في ان يكون لها رأي بالموضوع » .. فرد الامين العام للامم المتحدة على ذلك بان اثار موضوع امكان وضع قوات الطوارىء الدولية في الجانب الاسرائيلي من خطوط الهدنة . فكان جواب ممثل اسرائيل بـــأن « حكومته ترفض ذلك كلياً وبصورة قاطعة » .

وفي ١٩ ـــ ٥ ـــ ١٩٦٧ قدم اوثانت الامين العام للامم المتحدة تقريراً الى مجلس الامن حول التطورات في الشرق الاوسط . وحذر من ان الوضع في المنطقة « بات اكثر خطراً من اي وقت مضى منذ ازمة السويس » .. وذكر في التقرير التصاريح النارية التي صدرت عن المسؤولين الاسرائيليين وزادت خطورة الوضع وحدّة الانفعال ، وقد اشرنا اليها في صفحات متقدمة .. ولمح اوثانت في تقريره الى انتقاد قراره الخـــاص بالموافقة على سحب قوات الطوارىء بقوله : ان من الواضح ان هناك سوء فهم لطبيعة عمليات حفظ السلام الدولية وقوات الطوارىء بشكل خاص ، فهذه القوات تعمل على حفظ السلام لا فرضه ، وذلك يعني ان وجودها يرتكز بصورة كاملة على موافقة الدول صاحبة الشأن .

ومن المهم الاشارة اليه في هذا الموضوع ان اوساط الامم المتحدة ذات الاختصاص

تعتقد ان للجمهورية العربية المتحدة الحق في تنقل جيوشها حيث تريد في داخل اراضيها ، وفي طلب سحب قوات الطوارىء الدولية منها في اي وقت تشاء ، كما ان لاسرائيل الحق في رفض قبولها في اراضيها .

وفي ٢٠ ـــ ٥ ـــ ١٩٦٧ اعلنت اسرائيل تعبئة الاحتياطي ، واخذت تجمّع قواتها الحربية في امكنة قريبة من حدود الجمهورية العربية المتحدة ..

وهكذا بانسحاب قوات الطوارىء من سيناء وقطـــاع غزة ، تواجهت القوات العربية والقوات الاسرائيلية .. وهو الامر الذي كثيراً ما نادى به مسؤولون في الأردن وسوريا وغيرهما من البلاد العربية ، لا عن تخطيط وبعد نظر ، وانما تلبية لشعور ذاتي وارضاء لغضب ، بعيد عن المصلحة العربية العامة ..

— ٤ —

الأحداث من ٢٢ ايار الى ٥ حزيران

قضية مضايق تيران ـــ حماسة وخطب وتأييد .

بعد ان تمركزت قوة من قوات الجمهورية العربية المتحدة في مضايق تيران ، اخذ الناس يتساءلون : هل سيترك الرئيس جمال عبد الناصر البواخر الاسرائيلية تمر من المضيق ، ام انه سيعيد فرض الحصر على ايلات كما كان الموضوع قبـــل حرب سنة ١٩٥٦ ؟ .

وجاء الجواب عن هذا التساؤل في الخطاب الذي القاه الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٢ (مايو) في مركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية واعلن فيه اغلاق خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية وان المواد الستراتيجية لا تستطيع المرور من الخليج الى اسرائيل ولو على سفن غير اسرائيلية ، واشار الى ان هذه القواعد هي القواعد ذاتها التي كانت تطبقها مصر قبل حرب السويس سنة ١٩٥٦ .

ومما لا جدال فيه ، ان كانت الغاية المتوخاة من البحث هي الوصول الى الحقيقة ، ان الاجراءات التي اتخذها الرئيس جمال عبد الناصر والمؤديـــة الى حصر اسرائيل في مضايق تيران هي ، من الناحية القانونية ، صائبة وله الحق في اتخاذها ... ولكن الكثيرين

يتساءلون : هل كان الوقت مناسباً والظروف ملائمة لاتخاذ ذلك القرار ؟ في حين ان من المعلوم ان اسرائيل خلقت التوتر في الجبهتين الاردنية والسورية لحمل حكومة الجمهورية العربية المتحدة على اتخاذ اجراءات تظهر اسرائيل في موقف المهدد وتمهد بذلك الى الاعتداء على الجمهورية العربية المتحدة ، وتنال تأييد الرأي العام الدولي ؟.

انتهز رئيس الوزراء اشكول الفرصة السانحة لتنفيذ مخطط اسرائيل العدواني ، وصرح في ٢٣ ايار (مايو) امام البرلمان الاسرائيلي قائلاً : « البرلمان يعرف ان اي تدخل في حرية الملاحة في الخليج وفي الممرات يؤلف خرقاً فاضحاً للقانون الدولي ، وضربة لحقوق سيادة الدول الاخرى ، وعملاً عدوانياً موجهاً ضد اسرائيل » ... وفي اليوم نفسه صرح في واشنطن الرئيس جونسون ، المؤيد لاسرائيل : « ان الولايات المتحدة الامريكية تعتبر الخليج ممراً مائياً دولياً وتشعر بأن حصر اسرائيل بحرياً غير قانوني ، يحمل مصائب على قضية السلام، وان حق حرية المرور البريء بالممرات المائية الدولية هو مصلحة حيوية تهم المجموعة الدولية بأسرها » . وناشد الرئيس جونسون جميع الأطراف المعنية « ان تلتزم بمسؤولياتها طبقاً لميثاق الامم المتحدة واتفاقات الهدنة العامة .. حتى يمكن احلال سلام عادل ومشرف من خلال جهود المجموعة الدولية »، كما اكد « ان الولايات المتحدة الامريكية ملتزمة كل الالتزام بدعم الاستقلال السياسي والسيادة الاقليمية لجميع الدول في منطقة الشرق الاوسط » . ومن المؤسف ان يرى المراقب انه لما تمت الغلبة لاسرائيل لم ينفذ الرئيس جونسون هذا الالتزام الذي اكده بشدة ، بل قام بعكسه تماماً اذ انه عارض في انسحاب القوات الاسرائيلية من اراضي الدول العربية الثلاث التي احتلتها اثر اعتدائها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ؟ ..

وفي مساء ٢٣ ايار (مايو) وصل اوثانت الامين العام للامم المتحدة الى القاهرة . واجتمع صباح ٢٤ ايار بالسيد محمود رياض وزير الخارجية المصرية، ثم اجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر بحضور وزير الخارجية والدكتور محمود فوزي نائب رئيس الحكومة للشؤون الخارجية ، ودار الحديث عن قضية حرية المرور بمضايق تيران وايجاد حل سلمي لها ... وقد أكد له الرئيس جمال عبد الناصر رغبته في التعاون معه في المهمة التي قرر من اجلها ان يجيء بنفسه الى القاهرة ... وقد غادر اوثانت القاهرة في اليوم التالي بعد ان عقد في صباحه اجتماعاً آخر مع السيد محمود رياض وزير الخارجية للجمهورية العربية المتحدة .

وقد بذلت المساعي لاقناع اسرائيل بعدم اتخاذ اجراءات منفردة لفتح طريق

المضيق، وان تترك ذلك لجبهة الدول البحرية التي اصدرت بيا ناً تؤكد فيه حرية الملاحة في مضايق تيران ، وانه اذا استمر منع المرور فيها ، فستتخذ اجراءات مشتركة لفتحها.

ولكن اسرائيل لم تكترث بتلك المساعي ولم تقدر تلك الاجراءات المنوي اتخاذها. ففي ٢٩ — ٥ — ١٩٦٧ القى ليفي اشكول خطاباً امام الكنيست الاسرائيلي قال فيه : « ان اسرائيل لن تتراجع عن اصرارها على حرية الملاحة في مضايق تيران ولن تقبل بحل وسط ، وان على اسرائيل ان تعمل بمفردها لتأمين مصالحها » . ومع ذلك فان الجمهورية العربية المتحدة اظهرت حسن نواياها باستمرارها في المحادثات الثنائية بينها وبين الولايات المتحدة الامريكية ، رغم وقوفها مع اسرائيل ، للوصول الى حل سلمي. ومن ذلك انه أعلن يوم ٤ — ٦ — ١٩٦٧ ، اي قبل اعتداء اسرائيل بيوم واحد ، عن اتفاق بموجبه يزور نائب الرئيس السيد زكريا محي الدين واشنطن ، ويرد نائب الرئيس المستر روبرت همفري الزيارة حالاً الى القاهرة ، سعياً وراء ايجاد حل سلمي لازمة المرور في مضائق تيران .

وبعد ان اكد الرئيس جونسون يوم ٢٣ — ٥ — ١٩٦٧ ان حكومته ملتزمة بدعم الاستقلال السياسي والسيادة الاقليمية لجميع دول منطقة الشرق الاوسط ، اجتمع به ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل يوم ٢٦ ايار ساعة و٢٥ دقيقة ، بعد ان اجرى مباحثات مفصلة مع دين راسك وزير الخارجية الاميركية ومع روبرت مكنمارا وزير الدفاع . وفي ذلك اليوم دعا الرئيس جونسون مجلس الامن الامريكي ، الى جلسة طارئة بحث فيها موضوع التوتر في الشرق الاوسط من كافة نواحيه ، وخصوصاً من الناحية العسكرية ، وان الرئيس اطمأن لدى سماعه تقارير المسؤولين بأن اسرائيل قادرة على مواجهة الموقف بمفردها ، اذا اتيحت لها فرصة الضربة الاولى المفاجئة .

وكانت مهمة ابا ايبان في زيارته الى واشنطن ما بين ٢٤ — ٢٦ حزيران ١٩٦٧ كما اخبر الصحفي الامريكي « لويس فليمنج » في حديث اجراه معه ، ونشره في ٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ في جريدة « نيويورك تايمس » و « الهرالد تريبيون » ، هي :

التأكد من ان الولايات المتحدة الامريكية لن تعارض في مبادأة اسرائيل بالهجوم على مصر ، وانها لن تشترك في ارغام اسرائيل على الانسحاب من الاراضي التي تكون قد احتلتها من البلاد العربية ، من جهة ، والتأكد من ان مجلس الامن لن يكون في وضع

يسمح له بأن يصدر قراراً بوقف اطلاق النار ، مقروناً ، كما يفعل عادة ، بعودة القوات المتحاربة الى المراكز التي كانت عليها قبل بدء القتال ، من جهة ثانية ، وان الحكومة الامريكية تفعل ما في وسعها لتحول دون تدخل الاتحاد السوفياتي ، من جهة ثالثة .

عاد ابا ايبان الى اسرائيل متأكداً من ان الحكومة الامريكية مع اسرائيل في هذه الامور وفي جميع حربها مع العرب ..

ويذكر « لويس فليمنج » في بحثه : « ان هناك ادلة قاطعة على أن الزمرة العسكرية في اسرائيل لم تكن واثقة من حسن فهم ابا ايبان لمقاصد السياسة الامريكية، ولهذا فقد بعثت مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية ليتحقق تماماً من وجهة النظر الامريكية . وعاد مدير المخابرات من واشنطن وقابل ليفي اشكول صباح يوم ٤ حزيران (يونيو) وابلغه ان الحكومة الامريكية لا تضع اي قيد على حرية اسرائيل في الضرب ، بل ان بعض المسؤولين الامريكيين قالوا له : « ما الذي تنتظرونه اكثر من ذلك لتوجهوا ضربتكم ؟ » .

ويذكر « لويس فليمنج » انه بعد ان تأكدت الحكومة الاسرائيلية من ان الحكومة الامريكية مؤيدة لها في حربها مع العرب ، اصدر مجلس الوزراء الاسرائيلي، في ٤ حزيران (يونيو) قراره بالمضي قدماً في العمليات العسكرية صباح اليوم التالي ، اي ٥ حزيران ..

يوم ٢٦ ايار (مايو) المفعم بالاحداث، وجه الرئيس جونسون رسالة عاجلة الى الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة سفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن ، حثه فيها على ضرورة ضبط النفس والتزام الهدوء ، وعدم المبادأة بالحرب .

وبعد منتصف ليلة ذلك اليوم، اي في الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي، استقبل الرئيس جمال عبد الناصر السفير السوفياتي في القاهرة فسلمه رسالة مستعجلة من الكسي كوسيجين رئيس حكومة الاتحاد السوفياتي ، يشدد فيها على الجمهورية العربية المتحدة الا تبدأ بالحرب .

وفي ٢٨ — ٥ — ١٩٦٧ اوضح اوثانت الامين العام للامم المتحدة في تقريره لمجلس الامن نتيجة زيارته للقاهرة خلال ٢٣ — ٢٥ ايار (مايو) ، ان الجمهورية العربية المتحدة لن تكون البادئة بالحرب ، وانها راغبة في اعادة الوضع الى ماكان عليه قبل حرب السويس ، واستئناف لجنة الهدنة المشتركة اعمالها .

وفي اثناء تلك الاحداث ادى دخول الجيوش المصرية اراضي سيناء ، وانسحاب قوات الطوارىء الدولية منها ومن قطاع غزة ، الى موجة حماسة وفرح في جميع البلاد العربية ، من العراق الى المغرب . والقى عدد من المسؤولين في بلاد عربية مختلفة ، خطباً نارية لا مجال للاطالة في تسجيل مقتطفات منها . وعدم القائها كان افضل للقضية العربية. ثم ان برقيات التأييد تدفقت على القاهرة .. ووعدت العراق والكويت والسودان بارسال جيوش للاشتراك مع جيوش الجمهورية العربية المتحدة ضد عدو العرب جميعاً ...

وفي اثناء موجة الحماسة تلك فوجىء العالم بانقلاب كلي في السياسة الاردنية ،التي كانت تقف موقف الخصومة من الجمهورية العربية المتحدة .. وشوهد الملك حسين يهبط بطائرته مطار القاهرة صباح يوم ٣٠ — ٥ — ١٩٦٧ ، ويعقد معاهدة دفاع مع الجمهورية العربية المتحدة ، تلك المعاهدة التي ابرمت بعد ايام قليلة مع العراق . هذه المفاجأة السارة لكل عربي وطني تستحق بعض البيان :

في النصف الثاني من شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ ساد الاعتقاد بأن الحرب لا بد واقعة بين اسرائيل من جهة ، والجمهورية العربية المتحدة وسوريا من جهة ثانية . وود الملك حسين احياء الدفاع العربي المشترك واعادة القيادة العربية الموحدة الى سابق عملها ، فأرسل في ٢١ — ٥ — ١٩٦٧ رئيس اركان جيشه الى القاهرة ليجتمع بزملائه في القيادة العربية الموحدة ، بغية تنسيق الجهد العسكري ، والوقوف جميعاً في وجه اسرائيل ، ورجع في اليوم التالي حاملاً رأي القيادة العربية الموحدة وهو ان لا شأن لها فيما يجري من امور عسكرية في تلك الايام ...

وفي صباح يوم ٢٥ ايار استدعي « سفراء الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا لمقابلة الملك حسين الذي طلب منهم ان ينقلوا الى حكوماتهم استعداد الاردن المطلق للتعاون والتنسيق ، وتوحيد القيادة العسكرية اذا اقتضى الحال ، ومناشدتها باسم القومية والشرف والدين ان توحد معاً وتقابل العدو — اذا حم القضاء — بخطة واحدة وقيادة واحدة وشمل مجتمع »[١] .

مضت ايام ثلاثة لم يسمع الاردن جواباً مباشراً لندائه . وكان الرئيس جمال عبد

(١) المؤامرة ومعركة المصير : سعد جمعة ص ١٨٦ و ١٨٧ .

الناصر قد القى كلمة في ٢٦ ايار (مايو) ١٩٦٧ ، امام الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب قال فيها : « اننا لن نتنازل عن حقوقنا ، واننا مستعدون ، والجيش السوري والجيش المصري يمثلان جبهة واحدة ، ونتمنى لو ان جميع الجبهات التي حول اسرائيل تكون جبهة واحدة ، ولكن هناك عقبات في الوقت الحاضر تحول دون ذلك » ..

وفي الساعة ٢٢ من مساء ٢٨ ايار استدعي السيد عثمان نوري سفير الجمهورية العربية المتحدة في عمان لمقابلة الملك حسين، وزود بما لدى الحكومة الاردنية من معلومات عن موقف العدو وطلب منه « ان يتصل بالرئيس المصري مباشرة ، هذه المرة تحوطاً من التلكؤ والتأخر ، وتجاوز الروتين ، ويعلمه برغبة جلالته في زيارة القاهرة من الغداة ، ليبحث مع اخوانه الوضع الخطير ، واضعاً كل ما يملك من طاقات وامكانيات في سبيل المعركة المشتركة قيد اوامر الرئيس ، والقيادة المصرية »[1] .

وخلال بضع ساعات جاء رد الرئيس جمال عبد الناصر مرحباً بزيارة الملك حسين. وكان في استقباله في مطار القاهرة صباح ٣٠ ايار ١٩٦٧ . جرت خلال اليوم اجتماعات بين الملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر انتهت ، بعد تناول طعام الغداء ، بتوقيع الملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر « ميثاق الدفاع المشترك » مدته خمس سنوات قابلة للتجديد ، وهو على غرار « ميثاق الدفاع المشترك » بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ، وينص على تشكيل مجلس دفاع مشترك وعلى انشاء قيادة مشتركة لقوات البلدين تتكون من مجلس لرؤساء الاركان وهيئة مشتركة للاركان ، كما ينص على تولي رئيس اركان قوات الجمهورية العربية المتحدة قيادة العمليات العسكرية في البلدين في حالة نشوب الحرب .

وبعد توقيع الميثاق عاد الملك حسين الى عمان منشرح الصدر فرحاً بما انجز من عمل فيه خدمة للوطن ...

لقد تساءل الكثيرون عن السبب او الاسباب التي دعت الملك حسين الى تغيير موقفه السابق من الرئيس جمال عبد الناصر وذهابه المفاجىء الى القاهرة وعقد ميثاق دفاع مشترك معه ؟ .

يختلفون الباحثون ورجال السياسة في بلاد متعددة في تلك الاسباب . فبعضهم

(١) المرجع السابق ص ١٨٦ و ١٨٧ .

يذكر أسباباً طيبة ، والبعض الآخر يرى في المفاجأة التي فاجأ بها جلالة الملك حسين العالم اسباباً اخرى ... ولكنني ارى انه مهما كانت تلك الاسباب ، فان عمل جلالته في حد ذاته عمل طيب يشكر عليه ، اذ لا يجوز لدولة عربية ، وخصوصاً دولة مجاورة لاسرائيل ، ان تقف موقف المتفرج واسرائيل تعد العدة للاعتداء على دولة عربية اخرى ، وتقوم بتنفيذ ذلك الاعتداء ... اما الاعتذار بضعف الجيش وقلة المعدات ، فاعتذار لا يمكن للامة ان تقبله ، اذ من التقصير في حق ذلك البلد ، وفي حق الامة العربية جمعاء ، بقاء بلد عربي شبه مجرد من السلاح ، واسرائيل مدججة بالسلاح ومناهجها العدوانية التوسعية في جميع بلاد الشرق العربي معروفة ...

ولا بد من القول في هذا المجال انه كان من واجب الحكومات الأردنية المتعاقبة ، طوال العشرين سنة من حياة اسرائيل ، ان تقوم بتحصين الحدود الاردنية الاسرائيلية على طول خطوط الهدنة في الضفة الغربية ، تلك الحدود التي هي من حيث استراتيجيتها مواقع مهمة جداً لرد العدوان الاسرائيلي المتوقع في كل وقت ، وخصوصاً انه وقع مرات عديدة على القرى الامامية في الضفة الغربية . وكان ينبغي لتلك الحكومات الا تترك تلك المواقع والمراكز مفتوحة تدخلها اسرائيل بسهولة في اي وقت تشاء دون دفاع او مقاومة تذكر ... وكان من واجب تلك الحكومات ايضاً ان تسلح سكان البلد وتدربهم على حمل السلاح والقتال ، ليكونوا عوناً للجيش ، لا ان تسجن كل من وجدت معه قطعة سلاح من سكان الضفة الغربية ... ثم القدس .. القدس ، ألم يكن من الواجب المقدس تحصين مواقعها ، ووضع قوة كبيرة فيها تستطيع الدفاع عنها .. ان الحكم الذي لا يطمئن الى الشعب يضيع البلد ...

والقول في هذا المجال لا ينضب ولا تجف منابعه ...

وفي اليوم الذي كان فيه الملك حسين في القاهرة ، يوم ٣٠ ايار ، عقد ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل، مؤتمراً صحفياً في القدس الجديدة قال فيه : « منذ اقل من اسبوعين حدث تغيير في ميزان القوى في هذه المنطقة . وان اعظم دليلين ساطعين على هذا التغيير هما المحاولة غير القانونية لايجاد الحصر في الممر المائي الدولي في مضيق تيران وخليج العقبة ، وتجميع الجيش المصري على الحدود الاسرائيلية بصورة غير عادية . ان الحكومة الاسرائيلية والشعب الاسرائيلي عازمان على ازالة هذين التغييرين ، في اقرب وقت

ممكن » . وهذا اعلان واضح عن قرار اسرائيل القيام بأعمال حربية ، لا لإزالة الأمرين اللذين ذكرهما ابا ايبان ، وانما لتحقيق هدف اسرائيل الاساسي وهو التوسع الاقليمي ، كما ذكرنا فيما سبق ...

وفي اول حزيران (يونيو) ١٩٦٧ عين الجنرال « موشي دايان » وزيراً للدفاع ، فكان ذلك ايذاناً بتصميم الحكومة الاسرائيلية على القيام بالعدوان الواسع . وفي اليوم نفسه اعلنت الحكومة الاسرائيلية التعبئة العامة ، وهي تتم ، في اسرائيل ، في ٤٨ ساعة . والتعبئة العامة في اسرائيل تعني ان يصبح كل اربعة مدنيين من خمسة في عداد القوات المسلحة ، وهذا ، بطبيعة الحال ، يؤدي الى شل المرافق العامة . ولذا فان اسرائيل حريصة على ان تكون حربها ، دائماً ، حرباً خاطفة . اذ انها لا تستطيع تحمل الحرب الطويلة ، لانها لا تستطيع تحمل التعبئة العامة مدة طويلة ..

ومما لا ريب فيه ان الرئيس جمال عبد الناصر قام بالاجراءات التي اتخذها لا للاعتداء على اسرائيل ، وانما لردعها عن الاعتداء على سوريا ، وان لم ترتدع يقوم بواجبه نحو بلد عربي تهاجمه اسرائيل وتعتدي عليه .. وتصاريحه في هذا الشأن عديدة . ومنها جوابه عن سؤال طرحه عليه كرستوفر ميهيو عضو مجلس العموم البريطاني في مقابلة بينهما جرت في ٢ حزيران (يونيو) ، والسؤال هو : « اذا لم يهاجموا ، هل تتركونهم وشأنهم ؟ » . فأجاب الرئيس جازماً : « نعم . اننا نتركهم وشأنهم ، وليس في نيتنا مهاجمة اسرائيل » . ومثل هذه التأكيدات اعطاها كبار المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة الى الولايات المتحدة الامريكية .

قال الجنرال اسحق رابين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي اثناء حرب ٥ حزيران (يونيو) في جريدة لوموند الصادرة في ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ : « علمنا في شهر حزيران ان علينا ان نعتمد على انفسنا في حفظ أمننا . اما اليوم فحدودنا مكونة من حصون طبيعية : السويس ونهر الاردن ومرتفعات الجولان . انه ، كما دلت التجربة ، لا يكفينا لاتقاء اعدائنا جيش قوي فحسب . ففي المعركة التي فرضت علينا ، كنا مستعدين ، وعرفنا كيف نستخدم آلياتنا ، وكانت استراتيجيتنا جيدة ، اذ وجهنا الضربات القاصمة بواسطة طيراننا . ربما لم يكن عبد الناصر يريد الحرب ، ولكنه فعل كل شيء لاستدراجها ، بحشد قواته الاساسية في سيناء ، واغلاق مضايق تيران في خليج

العقبة . وحين طرد قوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة ، ارتكب خطأ فادحاً ، لاعتقاده اننا لن نجابه هذا الوضع الخطير » .

ومهما يكن من امر فان اشعال نار الحرب كان بيد اسرائيل وحدها ، التي اوجدت الأزمة السابقة لحرب ٥ حزيران ، واخذت توجهها نحو مصر .. ولما وجدت أسباباً ظاهرية تستطيع بها تضليل الرأي العام الغربي قامت بضربتها صباح يوم الاثنين الموافق ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، تلك الضربة التي جرؤت على القيام بها بعد ان ضمنت تأييد حكومة الولايات المتحدة الامريكية لها ، ومساندتها ، ومساعدتها[1] ...

موجز البحث

في نهاية هذا القسم من البحث يجدر بنا ان نوجز النقاط الرئيسية فيه :

١ – تأسست منظمة « فتح » سنة ١٩٦٥ ، واسرائيل كانت تعتدي باستمرار ومنذ توقيع الهدنة سنة ١٩٤٩ ، على القرى الامامية في الضفة الغربية من الاردن ، « وفتح » لم تكن موجودة في تلك السنين . والاعمال الفدائية لرجال « فتح » كانت قبل حرب ٥ حزيران قليلة وبسيطة .. ومن الاكيد انها لم تكن السبب الحقيقي الذي حمل اسرائيل على الاعتداء على السموع في الاردن يوم ١٣ – ١١ – ١٩٦٦ ، وعلى سوريا يوم ٧ – ٤ – ١٩٦٧ .

٢ – اعتداء اسرائيل على السموع كان يهدف الى عزل الاردن عن البلاد العربية ، والى توسيع شقة الخلاف بين الفلسطينيين وبين الحكم في الاردن ، اما اعتداؤها في ٧ ابريل على تحصينات الجولان فكان يرمي الى امتحان تلك التحصينات ، والى حمل سوريا على مطالبة الجمهورية العربية المتحدة بالقيام بواجبها نحو الدفاع عن سوريا . وغاية ذلك جر الجمهورية العربية المتحدة الى القتال .

٣ – قامت اسرائيل بحملة دعائية واسعة تظهر انها عازمة على شن حرب على سوريا والاطاحة بالحكم القائم فيها .. لم تكن اسرائيل تنوي ذلك فعلاً ، بل كانت غايتها من تلك

---

(١) نشر السفير شارل يوست Charles W. Yost مقالا في مجلة « الشئون الخارجية » عدد ٠٠٠/٣١ ١٩٦٨ ، عن الحرب الاسرائيلية العربية وكيف بدأت . وكانت رسالته فيه ان اسرائيل لم تكن تريد الحرب ولم تعد لها ، ولكن الحوادث أفلتت من يد المسؤولين في اسرائيل وفي مصر ، وادى ذلك الى الحرب . والمستر يوست عينه الرئيس الجديد نيكسون مندوباً دائماً لدى الامم المتحدة .

الدعاية توريط الجمهورية العربية في الدخول في النزاع ، وقد كانت حتى ذلك الوقت تقف موقف الحذر من التورط ، لأن الاستعدادات العسكرية العربية لم تكن تامة . وادت الاساليب الصهيونية ، في تحريك الازمة ، الى دخول الجمهورية العربية المتحدة فيها .

٤ – ان من حق الجمهورية العربية المتحدة تحريك جيوشها في جميع اراضيها كما تشاء ومنها سيناء . كما ان من حقها ، الذي لا ينازعها فيه القانون ، ان تطلب من قوات الطوارىء الدولية الخروج من اراضيها ، كما ان من حق اسرائيل الا تقبلها في اراضيها .

٥ – ان مياه مضائق تيران مياه اقليمية عربية . ومن حق الجمهورية العربية المتحدة القانوني ان تفرض حصاراً على اسرائيل في مضائق تيران . ولكن الكثيرين من رجال الفكر والسياسة يرون ان الوقت لم يكن ملائماً وان الظروف لم تكن مؤاتية لاتخاذ ذلك القرار ، الذي اعطى اسرائيل وسيلة تستعملها لنيل عطف الرأي العام الدولي الغربي ، وعذراً لاستعمال القوة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وهو العذر الذي كانت تسعى اليه وتسيِّر اتجاه الازمة نحو الجمهورية العربية المتحدة لتمكنها من نيله .

٦ – ان قضية مضائق تيران كانت عذراً لاسرائيل للقيام باعتدائها ، ولو انها لم تتمكن من هذا العذر لتذرعت بعذر آخر لتنفيذ الاعتداء على مصر ، ذلك الاعتداء الذي وضعت خططه منذ مدة، واتُفق عليه مع المسؤولين في الولايات المتحدة الامريكية ..

٧ – ان ذهاب الملك حسين الى القاهرة يوم ٣٠ – ٥ – ١٩٦٧ ، وعقد ميثاق دفاع مع الرئيس جمال عبد الناصر عمل يشكر جلالته عليه . ولكن كان من الضروري ان تقوم الحكومات الاردنية ، طوال العشرين سنة الماضية ، بتحصين خطوط الهدنة بين الاردن واسرائيل في الضفة الغربية لا أن تتركها مفتوحة ، وان تضع في القدس قوة كبيرة تستطيع الدفاع عن اقدس ما في الاردن ، وان تسلح ابناء الضفة الغربية وتمرنهم على القتال ليكونوا عوناً للجيش ...

٨ – لم يكن الرئيس جمال عبد الناصر يريد حرباً مع اسرائيل ، وكذلك جميع الدول العربية الاخرى ، وهم لم يكونوا مستعدين لحرب معها .. وفي صباح ٥ حزيران ١٩٦٧ اعلنت اسرائيل الحرب على الدول العربية بضربها المطارات العربية وبدخول جيوشها الاراضي العربية . وانتصرت انتصاراً غريباً ، لان الدول العربية التي لم تكن مستعدة لحرب مع اسرائيل ، كانت غير مستعدة للدفاع ايضاً .. لأسباب متعددة متنوعة .. مع علمها بأن اسرائيل تريد التوسع في البلاد العربية ، وعلى أهبة دخول الحرب معها في اي وقت !..

الفصل الخامس

الهزيمة وأسبابها

كان يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ اشأم يوم في تاريخ العرب الحديث . ففيه ضربت اسرائيل الطيران المصري واجهزت عليه ، وتقرر بعد ثلاث ساعات مصير الحرب بين اسرائيل والبلاد العربية .. ولذلك يمكن تسمية حرب حزيران حرب الساعات الثلاث . وتلا ذلك ان احتلت القوات العسكرية الاسرائيلية ، في ستة ايام ، قطاع غزة وسيناء ، والضفة الغربية بما فيها القدس الشريف ، والجولان . ولما تم لاسرائيل ما خططت للوصول اليه ، منذ سنين ، قبلت بوقف اطلاق النار ، الذي امر به مجلس الامن في اليوم الثالث من الحرب ! .

ولا يسع الانسان ، امام الاكتساح الاسرائيلي لبلاد عربية واحتلالها اقاليم منها مهمة شاسعة ، الا ان يتساءل : هل كانت هناك حرب ام هزيمة دون قتال ؟ وان كان ذلك فما هي اسباب هذه الهزيمة النكراء ؟

اجيب عن هذه التساؤلات في قسمي هذا الفصل :

١ – هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٢ – اسباب الهزيمة .

– ١ –

هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧

وضع كتاب غربيون وشرقيون كتباً عديدة عن حرب حزيران ، ونشروا المقالات

المطولة . منها ما هو ضالع مع اسرائيل ، ويمثل وجهة نظرها ، ومنها ما حاول واضعوه ان يكونوا واقعيين موضوعيين في ابحاثهم قدر ما يستطيعون . وانني لا اهدف الى تتبع وقائع الحرب بتفصيل ، وانما اشير فقط الى معالمها الرئيسية التي تبين الحقيقة وتعطي فكرة صائبة عما حدث .. وقصدي من هذا الفصل ، كما هو في جميع فصول الكتاب ، محاولة اظهار الحقيقة ، كما هي ، وان كانت مؤلمة ، والابتعاد عن التحدث عن بطولات ليس لها وجود . او تحميل جهة مسؤولية امر ليست هي مسؤولة عنه ، او ليست مسؤولة عنه وحدها . واتحدث في عرض ذلك ، اولاً عن الوضع العسكري في اسرائيل والبلاد العربية ، ثم اشير الى معالم الحرب في الجبهات الثلاث : المصرية والاردنية والسورية . وقبل ذلك لا بد من ايراد ملاحظة : دخلت الجيوش العربية الحرب وهي عازمة على ان تقف موقف الدفاع فيها ، وعليه فان الكاتب في هذا الموضوع مضطر ، في بحثه ، الى اتباع التحركات العسكرية الاسرائيلية وذكر اثرها في مواقع الدفاع العربية.

١ – الوضع العسكري

قامت الدعاية الصهيونية العالمية ، المتسلطة على وسائل الاعلام في بلاد الغرب ، بدعاية واسعة ، بعد انتصار اسرائيل ، قائلة ان دولة اسرائيل الصغيرة المؤلفة من مليونين ونصف المليون من السكان ، انتصرت على اربع عشرة دولة عربية فيها مئة مليون من العرب !؟ .. كما سبق ان قالت هذه الدعاية ، سنة ١٩٤٩ ، ان اسرائيل الوليدة ، انتصرت على سبع دول عربية .. ولقد اثبتُّ ، في فصول هذا الكتاب ، ان الدول العربية لم تدخل فلسطين سنة ١٩٤٨ لتحارب اسرائيل ، وانما لتمنع اعتداءاتها على القسم من فلسطين الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ! .. وهي في سنة ١٩٦٧ ، حُملت على دخول الحرب وفي عزمها الا تحارب ، لانها لم تكن في وضع يمكنها من الحرب لأسباب عسكرية وسياسية ، ولاسباب اخرى اشير اليها في القسم الثاني من هذا الفصل . اما الوضع العسكري لاسرائيل والبلاد العربية الثلاث : مصر والاردن وسوريا ، التي اشتركت في حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ فكان كما يلي :

القوات الاسرائيلية

القوة الجوية

٣٢٠ طائرة من انواع مختلفة : منها ٢٥ فوتور ، و ٤٨ سكايهوك قاذفات للقنابل ،

و ٧٢ ميراج ٣ ، و ٢٠ سبيرميستير مقــاتلة ، و ٤٥ ميستير ٤ واوراكان قاذفات قنابل مقاتلة ، و ٦٠ ماجستير للتمرين .

٢٠ طائرة للنقل .

٢٥ هليوكبتر .

يضاف الى ذلك انه كان لدى اسرائيل كتيبتان من صواريخ هوك من الارض الى الجو .

٨٠٠٠ عدد العاملين مع القوة الجوية .

القوات البرية :

٢٦٤٠٠٠ القوات الاسرائيلية النظامية عند التعبئة العامة . غير ان اسرائيل عبــأت ١٥٠٠٠٠ جندي فقط في حرب حزيران ١٩٦٧ . وحين هجوم قوة على اسرائيل يجابهها من القوات المقاتلة ما مقداره نصف مليون من المقاتلين ، لأن جميع المستعمرات قائمة على اساس قلاع دفاعية ، وسكانها مقاتلون ، رجالاً كانوا أم نساء .

٨٠٠ دبابـــة .

قوات الجمهورية العربية المتحدة

القوات الجوية

٤٥٦ طائرة من انواع مختلفة : ٣٦ قاذفة قنابل متوسطة ، و ٤٠ قاذفة قنابل خفيفة ، و ١٠٠ ميك ٢١ ، و ٨٠ ميك ١٩ ، و ٢٠٠ ميك ١٥ و ميك ١٧ .

٦٠ طائرة نقل .

٦٠ هليوكبتر .

يضاف الى ذلك مدافع مضادة للطائرات ، و ١٥٠ S-A2 من الصواريخ من الارض الى الجو .

٢٠٠٠٠ عدد الرجال الذين يعملون مع القوة الجوية .

القوات البرية :

١٥٠٠٠٠ عدد الجيش المصري النظامي ، يضاف اليه الاحتياطي من الحرس الوطني الذي لم يشترك في الحرب . وضعت القيادة المصرية ٨٠ الف مقاتل في سيناء ، وكان قسم مهم من جيش مصر مع معداته المتنوعة يقاتل في اليمن نقص عدده ، قبيل حرب حزيران ، الى نحو ٥٠ ألف مقاتل في اليمن . وكان نحو خمسة آلاف جندي من جيش التحرير الفلسطيني متمركزين في قطاع غزة . فالقوات الاسرائيلية جابهت في حرب سيناء ٨٠ ألف جندي مصري وقوة جيش التحرير الفلسطيني .

١٢٠٠ دبابـــة .

١٠٠ صاروخ من الارض الى الارض .

القوات الاردنية

القوة الجوية

٢٨ طائرة من نوعين ، ١٢ منها من نوع هنتر و ١٦ من نوع فامباير .

٢٠٠٠ عدد الرجال الذين يعملون مع القوة الجوية . اما عدد الطيارين فكان ١٦ طياراً فقط ..

القوات البرية :

٥٦٠٠٠ جندي نظامي .كان منهم ٤٠ الف مقاتل في الضفة الغربية .

١٧٦ دبابة باتون م ٤٨[1] . ويذكر مستر بيتر يونك أن عدد الدبابات الأردنية كان ٢٥٠ دبابة[2] .

القوات السورية

القوة الجوية

١٠٦ طائرات من نوع ميك منها ٦ قاذفات قنابل خفيفة ، و ٢٠ ميك ٢١ مقاتلة ،

(١) حربنا مع اسرائيل – ص ٤٧ .
(٢) الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ ص ١٦٦ .

و ٢٠ ميك ١٩ مقاتلة ، و ٦٠ ميك ١٧ قاذفة قنابل ومقاتلة .

٩٠٠٠ عدد الرجال الذين يعملون مع القوة الجوية . وكان عدد الطيارين الصالحين اقل من عدد الطائرات .

القوات البرية

٤٥٠٠٠ جندي نظامي . كان منهم ١٥ الف مقاتل فقط في جبهة القتال ، وهم وحدهم جابهوا الهجوم الاسرائيلي .

٣٠٠ دبابة ، منها ٢٠٠ دبابة فقط كانت صالحة للاستعمال .

هذه هي قوات الدول العربية الثلاث التي كان عليها ان تجابه القوات الاسرائيلية[1] . اما القوات العراقية التي ارسلت لمساعدة الاردن يوم ٤ حزيران (يونيو) ، فقد ضربتها الطائرات الاسرائيلية وهي في طريقها ، وما وصل منها نهر الاردن ، كان وصوله بعد انتهاء المعركة ، ولذا لم تتمكن القوة العراقية من الاشتراك في الحرب اشتراكاً فعلياً . كما ان القوة السعودية التي كانت في الجنوب ، لم تتح لها الفرصة للاشتراك في الحرب .. وهذا دليل واقعي مؤلم يبين اخطاء السياسة التي منعت القوات العربية من التمركز في اماكنها القتالية ضد اسرائيل في الاردن ، ايام السلم ، كما طالبت القيادة العربية الموحدة بذلك مراراً ..

ومن الارقام السابقة يتبين ان مجموع القوات العربية التي كانت تواجه القوات الاسرائيلية في حرب حزيران هو نحو ١٤٥ جندي مقابل ١٥٠ الف جندي اسرائيلي . وبالاضافة الى الفرق في العدد ، كان هناك فرق شاسع في التدريب والروح والاهداف.. كانت القوات الاسرائيلية ذات تدريب واحد ، تديرها سياسة واحدة ، تهدف الى هدف واحد ، ولها روح معنوية قوية وقوة قتالية فائقة .. بينما كانت الجيوش العربية تحت قيادات متعددة ، تديرها سياسات متنازعة متنافرة متخاصمة ، ذات اهداف متنوعة متضاربة ، مما جعل الروح المعنوية لدى الجيوش العربية ضعيفة .. وعلاوة على ذلك فان القوات الاسرائيلية لم تشتبك مع القوات العربية في وقت واحد ، بل انها ضربتها الواحدة بعد الاخرى ، كما سنرى في مجرى حوادث الحرب . وليس قصدي

---

(١) الارقام المذكورة مأخوذة من كتاب «الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧» لمؤلفه بيتر يونك . ومن كتيب السيد احمد سامح وليد الخالدي «الحرب العربية الاسرائيلية ١٩٦٧» ومن كتاب « حربنا مع اسرائيل » . ومن مراجع اخرى.

من ذلك تبرير الانهزام وانما اظهار الواقع ، الذي يري ايضاً ان الدول العربية لم تستعمل ما لديها من قوات لمحاربة القوات الاسرائيلية المعتدية ! ..

ومما ينبغي تأكيده انه بالاضافة الى القوات الاسرائيلية المعروفة ، زودت الولايات المتحدة الامريكية اسرائيل ، قبل الحرب ، بمعدات حربية متنوعة ، كما ان طيارين وخبراء امريكيين ، من يهود وغير يهود ، ذهبوا الى اسرائيل متطوعين في قواتها العسكرية ، واشتركوا في القتال ضد العرب ، وليس في ذلك شك ولا ريب .. ناهيك بباخرة التجسس « ليبرتي » الامريكية ، التي كانت راسية قرب الشواطىء المصرية ، فقد افادت اسرائيل في نواحي مختلفة ، منها افساد عدد من اجهزة الرادار المصري .. وطائرات التجسس الامريكية أعلمت اسرائيل بجميع التحركات المصرية ، ساعة فساعة .. بالاضافة الى « جيش » التجسس الامريكي ، او الذي يعمل لحساب امريكا في البلاد العربية ، فقد اوقف اسرائيل على المعلومات التي تهمها .. بالاضافة الى ما لاسرائيل من جواسيس يهود وغير يهود في مصر وغيرها من البلاد العربية ..

٢ ــ الجبهة المصرية

على اثر تهديد اسرائيل لسوريا ، ذلك التهديد الذي كانت الغاية منه جر مصر الى الظهور بمظهر المحارب ، ارسلت القيادة المصرية قوات عسكرية الى سيناء ، بلغ عددها ٨٠ الف جندي في اوائل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، قسمت الى خمس فرق مشاة ، وفرقتين مدرعتين . وبلغ عدد الدبابات التي عملت مع هذه الفرق نحو ٨٥٠ دبابة . وتمركزت في غزة الفرقة الفلسطينية العشرون التي تضم نحو خمسة آلاف جندي فلسطيني . وفي العريش الفرقة السابعة ، وفي ابو عجيلة والقسيمة الفرقة الثانية ، وفي لبنى الفرقة الثالثة ، وفي الكونتيلا ونخال الفرقة السادسة ، كما تمركزت الفرقة الرابعة المصفحة في الصحراء بين القسيمة ونخال ، والفرقة المصفحة الخاصة في متيلا . وكانت القوات المصرية في سيناء وغزة مجهزة بمدافع ثقيلة من عيار ١٢٢ و ١٥٢ مليمتراً بمعدل كتيبة مدفعية لكل فرقة . وكان معظم الدبابات من النوع الكبير ٣٤ــ٥٨ الروسية الصنع ، ومن نوع ت ٥٤ و ت ٥٥ المتوسطة الحجم . وكان في سيناء أربعة اسراب جوية ...

الهجوم الجوي

وجاء يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وكانت القيادة المصرية متأكدة من ان

الهجوم الاسرائيلي سيكون في هذا اليوم ، وسيبدأ بهجوم جوي كاسح .. فماذا جرى يوم ٥ حزيران ؟ .

في الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ ، بتوقيت القاهرة ، كانت الطائرات الاسرائيلية تقصف قصفاً شديداً عشر مطارات مصرية في هجومها الجوي الاول .. وفي نحو ثلاث ساعات قضى الاسرائيليون على ثلثي القوة الجوية المصرية وهي جاثمة على الارض ! .. وبذلك تقرر مصير الحرب بين اسرائيل والبلاد العربية ، اي تقررت الهزيمة العربية في جميع الجبهات دون قتال يذكر ! ..

والسؤال كان ولا يزال على لسان كل عربي متألم ، وكل باحث عن الحقيقة هو : كيف ولماذا وقعت كارثة القوة الجوية المصرية بهذه الصورة الاليمة؟ في حين ان القيادة المصرية كانت عالمة بان اسرائيل ستقوم باعتدائها هذا اليوم وبهجومها على الطيران المصري ؟ .

يحاول الباحثون تعليل ذلك بأمور عدة :

يقولون ان الاسرائيليين كانوا بارعين في توقيت ضربتهم للطيران المصري :

لقد درسوا بدقة اوضاع الطيران المصري وحركاته وتصرفات الطيارين في مختلف الامور . فتأكدوا من أن حالة التأهب المصريـــة تكون على حدها الادنى وقت ضربتهم الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ . ومن دراستهم وجدوا أن التأهب المصري يكون على اشده حين الفجر وحتى الساعة الثامنة والنصف . وبعد هذا الوقت يتأكد المصريون من انه لا هجوم في ذلك اليوم ، لاعتقادهم أن الهجوم يكون مع الفجر ، فتنزل الطائرات الى مراكزها في مطاراتها ، ويعكف رجال القوات المصرية على اعمالهم الروتينية اليومية ..

ورأى الاسرائيليون انه في الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ يكون كبار الضباط المصريين في طريقهم الى اماكن اعمالهم ، وكبار المسؤولين في المطارات غائبين عنها .. ثم ان الرؤيا تكون على احسنها بانقشاع الضباب فوق النيل ومناطق القناة ..

ويقولون ان الاسرائيليين احسنوا التكتيك في هجومهم الجوي :

لقد تجنبوا ظهور طائراتهم على شاشات الرادار المصري ، وذلك بدخولها الاجواء المصرية وهي تطير على ارتفاع منخفض يبلغ نحو ١٥ متراً ، لان الرادار لا يكشف

الطائرات وهي على مثل هذا الارتفاع المنخفض .. وهم ، كي يتجنبوا الرادار المصري ايضاً ، الموجه الى الشرق ، جاءوا مصر من البحر من الشمال الغربي ، حيث لا يتمكن الرادار المصري من اكتشاف مسيرتهم ! ..

وهناك سؤال آخر على لسان كل عربي متألم او كل من يريد معرفة الحقيقة هو :

طالما ان الرئيس جمال عبد الناصر اعلم القيادة المصرية العسكرية ، بأن الهجوم الاسرائيلي سيكون يوم ٥ حزيران (يونيو) ، فلماذا ذهب ، صباح هذا اليوم ، القائد الاعلى للقوات المسلحة المصرية المشير عبد الحكيم عامر مصحوباً بقائد السلاح الجوي المصري صدقي محمود وبقية اعضاء القيادة المصرية العليا ، في طائرة في جولة تفتيشية في سيناء ؟ .

وفي الواقع انه مما زاد في مأساة هذا اليوم ، ان المشير عبد الحكيم عامر ، ذهب صباح ٥ حزيران في طائرة مع اعضاء القيادة المصرية العليا ، من القاهرة متجهاً الى جفجافة لعقد اجتماع مع قادة الفرق في سيناء . وعندما وجهت الطائرات الاسرائيلية ضربتها الاولى للمطارات المصرية ، كانت طائرة المشير في الجو ، وكان قادة الفرق السبع في سيناء في جفجافة ، بعيدين عن مراكز قياداتهم ، لاستقبال المشير واعضاء القيادة العليا !؟ .. هذا في اليوم المعلوم أن اسرائيل ستقوم فيه بهجومها الكاسح ، مبتدئة بضرب المطارات المصرية ، وما فيها من طائرات ؟ ! ..

ورحلة المشير التفتيشية مع القيادة العليا في مصر ، ادت الى نتائج وخيمة :

ظل المشير والقيادة العليا في الجو ساعتين ، فوق سيناء ، ومنطقة القناة ، اذ لم تستطع طائرته الهبوط في اي مطار ، لان المطارات كانت تضربها الطائرات الاسرائيلية. وبعبارة اخرى كانت القيادة العليا العسكرية في مصر ، بعيدة عن مراكز قياداتها ، حينما بدأ الهجوم الاسرائيلي ، جواً وبراً ، فشلّ ذلك الاجراء العسكري اللازم في حينه ..

وظل قادة الفرق في سيناء مجتمعين في جفجافة ، لاستقبال المشير والقيادة العليا ، غائبين هم ايضاً عن قياداتهم مدة ساعتين ، بينما المواقع العسكرية المصرية والمطارات تهاجم من الجو ، دون مقاومة ، لان التعليمات كانت قد صدرت بان لا تضرب المدفعية المصرية وبطاريات الصواريخ في سيناء اية طائرة في الجو خشية اصابة طائرة المشير والقيادة العليا ؟ ! ..

وهكذا دبت الفوضى في مراكز القيادات العسكرية المصرية . المشير والقيادة العليا في الجو مدة ساعتين لا يعرفون حقيقة ما يجري في ساحات القتال .. والقادة في المطارات تضرب مطاراتهم ولا يستطيعون ضرب الطائرات المغيرة بحسب التعليمات .. وقادة الفرق السبع في سيناء مجتمعون لاستقبال المشير ، ولا يعرفون ، مدة ساعتين ، هل يعودون الى مراكزهم قبل نزول طائرة المشير ام يظلون في جفجافة لاتمام مراسيم الاستقبال ؟ ! .. وظلت فرقهم طوال ذاك الوقت مشلولة لان القائد الذي يعطي الاوامر غير موجود ؟ ! ..

ويتساءل العربي المتألم : لماذا جمع المشير عبد الحكيم عامر كبار القادة العسكريين في مصر ، في الطائرة وفي جفجافة، واعطيت التعليمات بالا تضرب اية طائرة في الاجواء ، فشلّ بذلك كل مقاومة للهجوم الاسرائيلي مدة ساعات ، كانت كافية للقضاء على الطيران المصري ، وبالتالي على المقدرة القتالية في الجبهات الثلاث : المصرية والاردنية والسورية ؟ ! ..

لم يظهر الجواب الصحيح عن هذا السؤال بعد .

يذهب البعض الى الاعتقاد ان الامر كان مدبراً ، وليس نتيجة عدم تقدير او غباوة . والهدف من التدبير هو انهزام الجيش المصري ، وايجاد ثورة في مصر ضد نظام الرئيس جمال عبد الناصر ، يتولى مدبروها الامر في مصر ، ويحكمونها متعاونين مع الغرب .. وبعبارة اخرى ان من يرى هذا الرأي يعتقد انه كانت هناك خيانة وطنية كبرى ! ..

انا لا ارى هذا الرأي . والامر كما يتراءى لي ابسط من ذلك كثيراً . المشير ممن يحبون المظاهر ، عفوي في آرائه وترتيباته ، وممن لا ينظرون في الامور الى بعيد . يضاف الى ذلك أن الرأي السائد في مصر ، كان في تلك الايام ، ان نيران الحرب لن تندلع ، وان تحرك الجيوش المصرية الى سيناء انما كان مناورة ليس الا ، الغاية منها الضغط على اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، حتى تظل اسرائيل هادئة ، بعد ان استردت مصر حقها في حرية التصرف في مضيق تيران ! .. بتلك العقلية ، وذلك الاعتقاد ، لم ير المشير عامر ما يمنع من اجراء جولة تفتيشية برفقة اعضاء القيادة العليا ، وفي طائرة واحدة ، يستقبله باحترام وتبجيل في جفجافة قادة الفرق السبع في سيناء وكبار الضباط ! .. ثم علينا الاّ ننسى ان نظام الحكم في مصر ، كما هو الحال

في كل بلد عربي آخر ، وبنسب مختلفة ، لا يسمح بان يبدي من هو ادنى رتبة ، رأياً يعارض فيه رأي من هو اعلى رتبة ! .. ولذلك اطاع كبار رجال القيادة العليا رئيسهم المشير وذهبوا معه في الطائرة .. ولذلك كان على قادة الفرق السبع في سيناء ان يتركوا مراكز قياداتهم ويذهبوا لاستقبال المشير وتقديم الاحترام والتبجيل ، ولو كانت الساعة ساعة الصفر في الميدان ! ..

فالامر في الواقع اهمال وعدم تقدير للعواقب .. وكم من اهمال هو أسوأ من خيانة ! .. والدول الراقية تعاقب الاهمال الاجرامي بما لا يقل عن عقاب الخيانة ! ..

هناك بالاضافة الى ذلك مسألة اخرى مهمة تلفت النظر وتدعو الى التساؤل :

بينما كان قائد السلاح الجوي الاسرائيلي الجنرال هود في غرفة العمليات الحربية في تل ابيب يراقب ، على شاشة الرادار ، الطائرات الاسرائيلية في طريقها الى ضرب المطارات المصرية ، رأى نقطة سوداء تتحرك ببطء نحو سيناء ، وتبين له انها طائرة نقل . وكانت هذه الطائرة في الواقع ، طائرة المشير عبد الحكيم عامر ورفاقه من كبار القيادة العسكرية العليا .

والسؤال هو : هل كانت القيادة العسكرية الاسرائيلية تعرف ان هذه الطائرة هي طائرة المشير عبد الحكيم عامر ورجال القيادة العسكرية العليا ؟ . فان كانت تعرف ذلك فلماذا لم تضربها ؟ !

ليس من المعقول ان تكون القيادة العسكرية الاسرائيلية غير عالمة بخطة المشير التفتيشية والوقت الذي يبدأها بطائرته ، بواسطة استخباراتها ، واستخبارات الولايات المتحدة الامريكية . وليس من المستبعد ان رحلة المشير كانت من اهم اسباب توقيت الهجوم الجوي على مطارات مصر في الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ ، والمشير ورجال القيادة العليا في الجو ، وقادة فرق سيناء مجتمعون لاستقباله في جفجافة ، والتعليمات لدى جميع القوات المدافعة حول المطارات ، الا تطلق على اية طائرة في الجو ! .. وهل من وقت وظروف مؤاتية لضرب المطارات المصرية خير من هذا الوقت وهذه الظروف ؟ .

اما لماذا لم تضرب الطائرات الاسرائيلية طائرة المشير وتسقطها وهي حائرة في الجو مدة ساعتين ، فان كثيرين يرون ان الجواب لا يزال مجهولاً .

ولكن أليس في الامكان القول ان اسرائيل لم تر فائدة لها من اسقاط طائرة المشير وقتل من فيها ، لان ذلك يؤدي الى اعادة تنظيم القيادة العسكرية المصرية العليا ، وقد تكون خيراً ممن كان في الطائرة ، بينما بقاء المشير وجماعته يبقي الضعف المعلوم في القيادة العسكرية المصرية ، ويؤدي الى انشقاق بين القيادة العسكرية ، بعد الهزيمة ، وبين القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة ؟ ..

ومهما يكن من امر فلقد كانت رحلة المشير المشؤومة ، عاملاً مهماً في الهزيمة ..

وبينما كانت القيادة العسكرية المصرية مشلولة هاجمت الطائرات الاسرائيلية المطارات المصرية على ثلاث موجات ، كل موجة مؤلفة من اربع طائرات ، وبين الموجة والموجة عشر دقائق فقط . وكان توقيت اقلاع الطائرات الاسرائيلية من مطاراتها المختلفة الابعاد عن اهدافها ، بحيث تصل جميعها الى المطارات المصرية في وقت واحد ، وتضرب المطارات وما فيها من طائرات في وقت واحد ، فتشل الطيران المصري ولا تترك مجالاً للقوات المصرية بالرد على الضربات القاصمة ، وقد شملت الغارات الجوية الاسرائيلية ١٩ مطاراً وقاعدة جوية .

ضربت الطائرات الاسرائيلية المطارات بنوعين من القنابل ، الاول عادي تزن كل قنبلة ٥٠٠ رطل انكليزي (باوند) والثاني نوع خاص صنع لتدمير مدارج المطارات ، وجعلها غير صالحة للاستعمال ، كما ان الطائرات الاسرائيلية رمت المطارات ، فيما بعد ، بقنابل الغاية منها منع المصريين من اصلاح المدارج ..

على ان هذه الكارثة ، التي لم تكن في الحسبان ، والكوارث لا تأتي بحساب ، لم تحل دون قيام عدد من الطيارين المصريين بأعمال حربية جريئة ، اذ ان من نجت طائراتهم من الضرب ، قاموا بما مجموعه ١٣٣ رحلة شبه انتحارية ، واظهروا شجاعة ومقدرة فاستشهد منهم ٤٠ طياراً وهم يقومون بواجباتهم . و « لكن يبدو انه لا فائدة من تمجيد دور السلاح الجوي المصري خلال الحرب . والواقع ان قادة السلاح الجوي المصري يجب ان يدانوا بالاهمال الكبير بالنسبة الى توزيع الطائرات والى الافتقار الى الدوريات الجوية في وقت كان من المعروف أن الهجوم الاسرائيلي اصبح وشيكا »[1] .

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ — صفحة ٦٠٧ .

وقد خسر السلاح الجوي المصري في اليومين الاولين من الحرب ٣٠٩ طائرات على الارض وفي الجو . اما الاسرائيليون فخسروا في المدة ذاتها ٢٦ طائرة و ٢١ طياراً[1] .

الهجوم البري

اما الهجوم الاسرائيلي البري فبدأ في الوقت الذي بدأ فيه الهجوم الجوي ، اي في الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ ، بينما كان قادة الفرق السبع في جفجافة ، في انتظار قدوم المشير عبد الحكيم عامر والقيادة العسكرية العليا ، فتعرضت فرقهم للضرب وهم عنها بعيدون ! .. لن أعرض تطور المعارك ، لانه لم تحدث في واقع الامر معارك ذات بال ، بل يمكن القول بصورة عامة انه جرى انسحاب دون قتال ، وهزيمة دون حرب ، في حين انه كان في الامكان التحام القوى المدافعة مع قوات العدو المهاجمة ، على الرغم من تلاشي الطيران المصري .. ولذلك اسباب عدة اذكر بعضها في القسم الثاني من هذا الفصل .

ودام الانسحاب في سيناء ، ولا اقول القتال ، خمسة ايام ، اي حتى العاشر من حزيران (يونيو) وهي الايام اللازمة لقطع سيناء وعبور القناة الى ضفتها الغربية . على انه ينبغي ذكر بعض حوادث تلك الايام :

في اليوم الاول من الهجوم الاسرائيلي عزلت القوات الاسرائيلية قطاع غزة عن بقية القوات المصرية ، واخذت تضربه بوابل من القنابل . وتابعت هجومها على القوات المصرية .. وفي اليوم التالي هاجمت القوات الاسرائيلية قوات جيش التحرير الفلسطيني الذي اخذ يقاوم ببسالة على الرغم من الهجمات الجوية الشديدة عليه ، وادى ذلك الى وقوع خسائر عظيمة بين الجنود الفلسطينيين تقدر بنحو الفي قتيل ، لصمودهم . وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ دخل الاسرائيليون غزة .. واستمرت القوات الاسرائيلية في مهاجمة القوات المصرية في مواقع متعددة في سيناء ..

وظهر يوم الثلاثاء ٦ حزيران (يونيو) ، اصاب الذعر القيادة المصرية فأمرت بالانسحاب العام لجميع القوات المصرية من سيناء .. مما ادى الى الدهشة والتساؤل عما اذا كان هذا الامر قد أُعطي فعلاً ! لان معظم القوات المصرية ، وهي محصنة في

(١) كتاب « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ » للمؤلف بيتر يونك — لندن ١٩٦٧ صفحة ٨٩ .

مواقعها الدفاعية ، لم تكن قد التحمت بعد مع القوات الاسرائيلية ؟ ! . كما ان القوتين المصفحتين الرئيسيتين في متيلا وفي منطقة بير حسنة ، لم يهاجَما بعد ، وكانتا قادرتين على الدفاع بقوة . ثم ان سحب القوات المصرية من تحصيناتها الى الصحراء العارية يجعل هذه القوات عرضة لضرب الطيران الاسرائيلي المتحكم في الاجواء .. ومهما كانت الاسباب التي حملت القيادة المصرية العليا على اعطاء امر الانسحاب لجميع قواتها في سيناء ، بعد ٢٧ ساعة من الهجوم الاسرائيلي ، فان تصرفها هذا كان كارثة فظيعة ، ادت الى جعل حرب الايام الستة ، انسحاباً دون قتال ، وهزيمة دون حرب ..

« ولعل قصة الفرقة المصرية المدرعة الرابعة في متيلا خير مثال للمأساة التي نزلت بالجيش المصري في سيناء . اذ انه في يوم الثلاثاء ، ووفقاً لامر الانسحاب العام ، تحركت الفرقة من مواقعها الى الشمال والشمال الشرقي من متيلا وتراجعت نحو القناة . لكن صدر يوم الاربعاء — ٧ حزيران (يونيو) — امر الى الفرقة بالعودة الى مواقعها السابقة ، حيث وصلت في الوقت الذي استطاع معه لواء يوفي — قائد فرقة اسرائيلية مدرعة — ان يسد عليها طريق التراجع في الطرف الغربي من ممر متيلا . وعندما حاولت الفرقة يوم الخميس ان تتراجع مرة اخرى سدت عليها طريق التراجع ، وخسرت ٨٠ بالمئة من معداتها .. وبذلك عرضت القيادة المصرية العليا واحدة من اهم فرقها للدمار ، دون ان تستطيع هذه الفرقة الالتحام بالجيش الاسرائيلي عملياً » .[١]

ويقول الاستاذ محمد حسنين هيكل « وفي اليوم الرابع واجهت الفرقة الرابعة المدرعة عدوها في ظرف مادي ونفسي هو اقل الظروف ملاءمة لها ، ويكفي انها اشتبكت بينما كان قائدها بعيداً عنها في القاهرة ! » . « لقد فقدت الفرقة الرابعة ٧٥ في المئة من معداتها ، لكن خسائرها في الافراد لم تزد عن اربعة في الالف ، ومعنى ذلك انه لم تكن هناك علاقة على الاطلاق بين المعدات والافراد . كان كل منهما بعيداً عن الآخر ، ولهذا لم يكن هناك تناسب بين الخسائر في المعدات وفي الافراد[٢] » .

وفي نهاية يوم الاربعاء كانت الجيوش المصرية المنسحبة في وضع سيء في ممر متيلا وجفجافة ، وكانت الطائرات الاسرائيلية تقصفها بقنابلها بشراسة .. فقام المصريون

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٦١٣ .

(٢) جريدة الاهرام في ٢١ — ٦ — ١٩٦٨ .

يوم الخميس في ٨ حزيران (يونيو) بهجوم مضاد بقوة ٤٠ دبابة قطعت القناة الى سيناء ، الغاية منه مساعدة حامية شرم الشيخ المنسحبة من مواقعها على الوصول الى القناة ، ومساعدة انسحاب القوات المصرية من متيلا وجفجافة .. لكن هذا الهجوم المضاد لم ينجح ، على الرغم من انه كبد الاسرائيليين خسائر في الارواح . وإثر اخفاق الهجوم المضاد اصبح الطريق الى الاسماعيلية والسويس مفتوحاً امام القوات الاسرائيلية .. ورأت القيادتان في مصر السياسية والعسكرية ، انه لا جدوى من متابعة القتال فقررت القيادة المصرية العليا ، ليلة الخميس ، قبول وقف اطلاق النار ..

دخل المصريون هذه الحرب دون استعداد نفسي لها ، ودون خطة عسكرية ترمي الى هدف تسعى الى تحقيقه .. ومع ذلك فقد اظهرت اقسام من الجيش شجاعة في قتالها ، كما اظهرت اقسام اخرى جبناً بفرارها ، وتقدم هؤلاء عدد كبير من الضباط .

لقد خسر المصريون ١١ ٥٠٠ قتيل ، ذهبت اكثريتهم الساحقة ضحية الجوع والعطش والشمس المحرقة في سيناء في اثناء الانسحاب ، ولم يستشهد منهم في القتال سوى عدد قليل .. « ان الدراسات الدقيقة تكشف ان كل خسائر القوات المصرية في سيناء خلال الايام الثلاثة الاولى من القتال لم تزد على مائتين وخمسين شهيداً .. واما بقية الخسائر فلقد وقعت كلها بعد صدور قرار الانسحاب في جو كوابيس الليل المفزعة المرعبة ! »[١] ..

وكانت خسائر الاسرائيليين بحسب قولهم ٢٧٥ قتيلاً و ٦١ دبابة[٢] .

أما خسائر المصريين في اعتداتهم الحربية فكانت مرتفعة جداً ، ذكرت أرقامها في قسم الخسائر التالي من هذا الفصل .

٣ — الجبهة الاردنية

كان الجيش الأردني يوم ٥ حزيران (يونيو) مؤلفاً من ٥٦ الف جندي نظامي ، منهم ٤٠ الف في الضفة الغربية ، وكان مقسماً الى ٩ الوية مشاة ولواءين مدرعين . كان منها لواءان من المشاة في منطقتي نابلس وجنين ، ولواء مشاة في منطقة القدس ،

(١) الاستاذ محمد حسنين هيكل : الاهرام في ٢١ — ٦ — ١٩٦٨ .

(٢) اسرائيل والعالم العربي : ازمة عام ١٩٦٧ (معهد الدراسات الاستراتيجية — لندن ١٩٦٧).

آخور في منطقة رام الله ، ولواء مشاة في جبال الخليل ، وكتيبة مشاة على طريق اريحا القدس . وتمركز لواء مشاة واحد في الضفة الشرقية من نهر الأردن ، مع اللواء المدرع الاربعين . اما اللواء المدرع الستون فكان في جنين .

« ويتبين من هذا التوزيع ان الجيش الأردني لم يكن في مواقع هجومية جدية . فالالوية في منطقة اريحا القدس تستطيع بسهولة القيام بهجمات موضعية ضد جبل المكبر ، لكن الافتقار الى حشود اردنية مدرعة قرب طولكرم (حيث يبلغ عرض اسرائيل ١١ ميلاً فقط) او قلقيلية يقوي الاعتقاد بأن القيادة الأردنية لم تكن تأخذ جدياً بعين الاعتبار احتمالات القيام بهجوم واسع النطاق يهدف الى قطع اسرائيل الى شطرين في طولكرم ناتانيا ، كما كان بوسعها ان تفعل »[١] . وقال الملك حسين : « لم يكن لدينا في الاردن سوى خطة دفاعية »[٢] .ومما يحز في النفس ويؤلم ان الخطة الدفاعية لم تتخذ الاستعدادات اللازمة القوية للدفاع عن القدس ..

وكان الطيران الأردني ضعيفاً جداً ، مؤلفاً من ٢٢ مقاتلة و١٦ طياراً لقيادتها ! وكان لدى الاردن ٦ طائرات « ستارفايتر ١٠٤ » لم تشترك في القتال ، اذ ابعدت عن مطارات الاردن قبيل الحرب . فقوة السلاح الجوي الاردني العملية كانت ١٦ مقاتلة في سربين أحدهما في مطار عمان والآخر في مطار المفرق .

وقبل ذكر الحرب والانسحاب لا بد لي هنا من القول ان الجنرال اود بول رئيس هيئة الرقابة الدولية السابق في الشرق الأوسط ، الذي استقال من منصبه في مطلع شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، ذكر في مقابلة صحافية أجرتها معه جريدة « افتنبوستن» في اوسلو في ٢٢ – ٨ – ١٩٧٠ ، انه صباح ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ استدعي الى وزارة الخارجية الاسرائيلية فوصلها الساعة التاسعة وطلب منه ان ينقل رسالة الى الملك حسين والحكومة الاردنية ، وكان مضمون الرسالة : « إذا حافظ الاردن على موقف سلبي خلال الحرب فإن اسرائيل لن تفعل شيئاً ضده . لكن إذا انضم الاردن الى مصر فان اسرائيل ستستخدم جميع الوسائل المتوفرة لديها لمحاربة الاردن .. وقد جرى نقل الرسالة عن طريق جهاز الرقابة الدولي . وكما علمت فقد وصلت الرسالة الى

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٦١٧ .
(٣) « حربنا مع اسرائيل » ص ٤٤ .

الملك حسين في الساعة العاشرة والنصف صباحاً ، وبدأ تبادل اطلاق النار في القدس بعد ذلك بنحو ساعة واحدة »[١] ، اي في الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ من صباح ذلك اليوم .

انا لا أعتقد ان اسرائيل كانت جادة في اقتراحها ، بل ارادت بذلك ايقاع شقاق بين العرب ، يساعدها في حربها ضدهم جميعاً . ومخططها الحربي ، الذي اعدته منذ سنين ، وقامت بتنفيذه صباح ٥ حزيران (يونيو) كان يهدف الى احتلال الاراضي التي تم لها احتلالها خلال ستة ايام ، بما فيها القدس والضفة الغربية .

واشير هنا ايضاً الى ما نشرته جريدة « واشنطن بوست » في عددها الصادر في ١٩ – ٦ – ١٩٦٧ ، نقلاً عما نشرته جريدة « مانشستر كارديان » الانكليزية لمراسلها في تل ابيب . قال ذلك المراسل ما موجزه : كان الاتفاق قد تم بين اسرائيل والاردن على الا تقوما بحرب فيما بينهما ولكن بضوضاء حرب ! هل هذا صحيح ؟ ..

وتأتي حوادث الحرب .. فيؤكد العقلاء من سكان القدس وسكان مدن اخرى في الضفة الغربية ان قصف المدفعية الاردنية للجانب الاسرائيلي من القدس وضواحيها كان شديداً، مما حملهم على الاعتقاد أن أبنية تلك الاماكن قد هدمت عن بكرة ابيها . كما انهم سمعوا المدافع الاسرائيلية تنصب على الاماكن في القدس وعلى مدن مجاورة للقدس فاعتقدوا أن احياء عديدة لا بد وان تكون قد دمرت . ولما وقف القتال ، واخذ السكان ينتقلون ويذهبون الى الاحياء اليهودية لم يروا اثراً لضرب المدافع الاردنية في تلك الاحياء ، كما ان ما أُصيب من ابنية في القدس والمدن العربية المجاورة كان قليلاً وخفيفاً . وقد لاحظوا على جدران ابنية في الاحياء اليهودية من القدس ، آثار « بقع هباء » سوداء مستديرة ، اكدت لهم أن القنابل التي كانت تعطي ضوضاء شديدة لم تكن قنابل حية ، وانما من نوع قنابل المناورات العسكرية ! ..

والسؤال هنا : هل دخلت الاردن الحرب وهي عازمة حقاً على قتال العدو والدفاع عن القدس والضفة الغربية بكل ما لديها من قوة ، وما عندها من عزم ، ام

(١) جريدة النهار – بيروت – في ٢٤ – ٧ – ١٩٧٠ .

ارادت بدخولها الحرب ان تظهر للرأي العام العربي انها مع الصف العربي مراضاة لشعوره ؟ ..

ولكن الذي لا شك فيه أن دخول الاردن الحرب كان دون استعداد سابق او تخطيط . وكانت التصرفات العسكرية التي يتوقف عليها مصير الوطن ومستقبل الامة ، ارتجالية .. فبعد ان كانت الحكومات الاردنية ترفض دائماً دخول قوات عربية الى الاردن ايام السلم ، للتمركز في المواقع الحربية ضد العدو وتكون مستعدة لقتاله اذا اعتدى ، وعدوانه يجيء دوماً مفاجئـاً ، اخذت تطالب ، قبيل الحرب بيومين او ثلاثة ايام ، بارسال القوات ، كما طالبت ، في اثناء الحرب ، سوريا بارسال قوات الى الضفة الغربية .. والطلب المتأخر ادى الى ضرب الطائرات الاسرائيلية القوات العراقية في اثناء سيرها الى الاردن ، وما وصل منها نهر الاردن كان وصوله بعد فوات الاوان .. لانسحاب القوات الاردنية من مراكزها في الضفة الغربية ..

وقبلت الاردن ان يتولى قيادة الاعمال العسكرية الفريق عبد المنعم رياض ، الذي وصل عمان اول حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وهو بطبيعة الحال على غير خبرة بأوضاع البلاد وأحوال الجيش الاردني . ولو انه كان على علم بذلك وخبرة منذ مدة ، ولو ان الجيوش العربية ، التي من المقرر ان تشترك في القتال في الاردن ضد العدو ، كانت متمركزة في اماكنها في اوقات السلم ، وكان هناك تنسيق بين اجراءات الجبهات العربية ضد العدو ، لما وقعت الكارثة .. او على الاقل لما وقعت بالصورة المشينة التي رأيناها .

وقد اكد ضباط من الجيش الاردني أن الاردن دخل الحرب دون خطة معينة مرسومة ، او هدف يعين الغاية .. ويتفق ذلك مع قول الملك : « انه لم يكن لدينا في الاردن سوى خطة دفاعية » .. وهذا الوضع كان من العوامل التي دفعت بكثيرين من ضباط وقادة الجبهات اما الى الهرب من الميدان ، واما الى الانسحاب ، قبل اوامر الانسحاب ، هرباً من القتال ..

وكم ادت المنازعات بين المسؤولين الى ضياع الفرص على الامة العربية لتحرير الاوطان ، او الى اضاعة اوطان اخرى .. والى تمريغ الكرامة العربية في الاوحال ..

المعركة الجوية

ابتدأ القتال .. وسمع الملك حسين صباح يوم الاثنين ٥ حزيران نبأ الهجوم الاسرائيلي على مصر من الاذاعة ، فذهب الى غرفة العمليات الحربية ، حيث كان الفريق عبد المنعم رياض ، ليراقب الاوضاع ويدير العمليات الحربيـة ... وفي الساعة التاسعة وصلت برقية بالشيفرة من المشير عبد الحكيم عامر يقول فيها : [1]

١ — خسر السلاح الجوي الاسرائيلي ٧٥ بالمئة من الطائرات التي ارسلها لقصف المطارات المصرية .

٢ — ان السلاح الجوي المصري يهاجم اهدافاً في اسرائيل ، والجيش المصري في سيناء في حالة الهجوم .

٣ — هل يبدأ الاردنيون اذن العمليات على جبهتهم ويبدأون الهجوم كما هو متفق عليه ؟

وكان الاتفاق بين مصر والاردن وسوريا ينص على ان يقصف الطيران الاردني ، بالاشتراك مع الطيران السوري والعراقي ، المطارات الاسرائيلية حين هجوم اسرائيل ونشوب الحرب .

ومما يجدر ملاحظته انه حين صدور هذه البرقية كان المشير عبد الحكيم عامر معلقاً في الجو ، لا يعرف بالضبط ماذا يجري في الجبهات المصرية ، فهي اذن لا بد من ان تكون قد صدرت عن غيره .. كما ان محتواها لا يتفق مع الواقع .. المؤلم . ولعل من ارسلها كان هو أيضاً لم يعرف بعد حقيقة ما كان يجري في ميادين القتال ..

بناء على ما جاء في البرقية أمر الفريق عبد المنعم رياض المدفعية الاردنية بضرب الاهداف المعينة لها ، فاطلقت المدافع نيرانها في الساعة ١١ و ٣٠ ، كما جاء في تصريح الجنرال اود بول رئيس هيئة المراقبين الدولية .

واتخذ الفريق رياض الاجراءات لضرب المطارات الاسرائيلية فاتصل مع القيادة السورية لتقوم طائراتها بالاشتراك مع الطائرات الاردنية والعراقية بضرب المطارات الاسرائيلية . فطلبت القيادة السورية مهلة لاستعداد طيرانها . ثم طلبت مهلة اخرى ..

---

(١) « حربنا مع اسرائيل » ص ٤٩ .

ولما طال الانتظار قرر الاردنيون في الساعة ١١ مهاجمة المطارات الاسرائيلية مع الطيران العراقي ، فهاجم الاردنيون مطار ناثانيا ثلاث مرات ودمروا اربع طائرات على المدرج ، وكانت الطائرات الوحيدة المرئية فيه . وهاجم العراقيون مطار اللد . وفي الساعة ١٢ قصفت الطائرات السورية مطاري مجدو ورامات دافيد .

اضاع تأخير قصف المطارات الاسرائيلية فرصة اتلاف تلك المطارات ، اذ لم يكن في اسرائيل ، لحماية اجوائها ، في تلك الساعات ، سوى ١٢ طائرة ، لأن جميع الطائرات الاسرائيلية الاخرى كانت منهمكة في قصف المطارات المصرية . ولقد كان في امكان الطيران الاردني والسوري والعراقي اتلاف المدارج في المطارات الاسرائيلية ، والاشتباك بنجاح مع الطائرات الاسرائيلية العائدة من مصر لافتقارها الى الوقود والذخيرة .. ولكن عدم الثقة بين البلاد العربية تفوت دائماً الفرص الذهبية ..

وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ وصلت الموجة الاولى من الطائرات الاسرائيلية فوق مطار عمان ، بينما كانت الطائرات الاردنية تتزود بالوقود ، بعد غارتها الثالثة ، فضربتها الطائرات الاسرائيلية واحرقتها .. ووجدت الطائرات الاردنية الاخرى ، التي عادت الى قاعدتها في المفرق ، أن الطائرات الاسرائيلية تضرب مطار المفرق فاشتبكت معها ، وانتهى القتال باسقاط الطائرات الاردنية واحدة بعد الاخرى .. وفي الساعة ١٣ (الواحدة بعد الظهر) لم يعد وجود للطيران الاردني .. غير ان طياراً أردنيا واحداً قتل ..[1]

القتال في منطقة القدس

وفيما يتعلق بالقتال البري ، قامت قوة اردنية بمهاجمة جبل المكبر لاحتلاله .. وعلى الجبل بناء كان مقر المندوب السامي البريطاني في ايام الانتداب على فلسطين ، واصبح مقر هيئة الرقابة الدولية بعدئذ . ويقول الجنرال اودبول انه أقنع قائد القوة الاردنية بألا يحتل البناء ، وفيه نساء واطفال ، وتم له ذلك .. على أن الاسرائيليين اطلقوا نار مدافعهم على الجبل الساعة ١٥ تمهيداً لاحتلاله . وفي الساعة ١٥ والدقيقة الخمسين احتلوا المنطقة كلها بما فيها المبنى الذي فيه هيئة الرقابة الدولية .. وفي تلك الساعات

(١) « حربنا مع اسرائيل » صفحة ٦٠ .

ضربت المدفعية الاردنية جبل سكوبس (الذي تقوم عليه الجامعة العبرية) ، دون اي محاولة للهجوم عليه واحتلاله ..

وتقدم الاسرائيليون الى موقع شمالي مقر الامم المتحدة ، تحرسه قوة اردنية صغيرة ، وتمكنوا من احتلاله . وتقدموا نحو صور باهر ، ثم نحو موقع جرس واحتلوهما ، كما احتلوا رامات راحيل ، فكونوا خطاً عسكرياً يواجه الاردنيين من الجنوب .

وفي الساعة ١٩ وصل لواء مظلي اسرائيلي الى منطقة القدس للهجوم ، صباح اليوم التالي الثلاثاء ٦ حزيران (يونيو) ، على المواقع الدفاعية الاردنية الحصينة في تل « اميونيشن » والتلة الفرنسية شمالي المدينة القديمة .

وكانت تلة اميونيشن اهم مركز دفاعي اردني عن القدس ، ومفتاح منطقة الشيخ جراح الشمالية من المدينة المقدسة ، وهي تغطي الحي الامريكي في المدينة ومدخل التلة الفرنسية وجبل سكوبس . وكانت حامية هذه التلة المهمة والمركز الدفاعي الرئيسي للمدينة مؤلفة من ٢٠٠ جندي فقط ! مسلحين بمدافع رشاشة ثقيلة والبازوكا والبنادق . ضربت الطائرات الاسرائيلية هذا المركز بقنابلها ، لكنها لم تؤثر فيه لانه محصن تحصيناً قوياً .

وفي الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ اخذت كتائب المظليين الاسرائيليين تهاجم هذه المدافع الاردنية ، وترد الحامية الاردنية الصغيرة المهاجمين ببسالة ، غير انه بعد سبع ساعات من القتال الضاري استطاع الاسرائيليون تمزيق الدفاعات الاردنية ، واحتلالها ، بعد ان انسحب الاحياء من الحامية الاردنية ..

وكان هذا اليوم الثاني من الحرب يوم انهيار المواقع الاردنية في الضفة الغربية ، كما كان يوم انهيار المواقع المصرية في سيناء .. وفي ظهر هذا اليوم رأى الملك حسين والفريق رياض أن مصير القدس والضفة الغربية قد تقرر ، وان لا فائدة من متابعة الدفاع ، فارسل الملك حسين برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر يطلب منه رأيه في اتباع احد امور ثلاثة :

١ — اللجوء الى وقف اطلاق للنار تضعه الدول الكبرى ومجلس الامن.

٢ — اخلاء الضفة الغربية .

٣ ـ الاستمرار في القتال ، مع العلم بأن ذلك يؤدي الى القضاء على الجيش الاردني كله .

وبعد نصف ساعة تلقى الملك حسين جواب الرئيس عبد الناصر بموافقته على اخلاء الضفة الغربية . وفي تلك اللحظة ارسلت الأوامر بسرعة الى جميع القوات الاردنية في الضفة الغربية بوقف اطلاق النار والانسحاب الى الضفة الشرقية .. وكانت القوات الاردنية ، في واقع الامر ، قد تلاشى التماسك بينها ، اذ كان كثيرون من قادتها وضباطها قد تركوا مراكزهم ، عائدين الى الضفة الشرقية .. وهذا الامـر بالانسحاب غطى مسؤولية الضباط الذين كانوا قد انسحبوا من ميادين القتال قبل الامر الرسمي بالانسحاب .

وبعد الامر بالانسحاب اخذت القوات الاسرائيلية تسير في البلاد وتحتلها دون مقاومة .

وكان يوم الاربعاء ٧ حزيران (يونيو) يوم سقوط القدس بيد الاسرائيليين ، يوم خزي وعار على الاردنيين والعرب والمسلمين اجمعين .

كانت الحكومة الاردنية قد وضعت في القدس القديمة داخل السور ، حامية اردنية مؤلفة من فصيلتين فقط ! (Platoons) ، مجهزتين بمدافع هاون من عيار ٨٠ ملليمتراً ومدافع بازوكا وبنادق ، ورجالها من ابناء الضفة الشرقية ، وقد هرب معظم افراد هذه القوة الصغيرة ابتداء من مساء يوم الاثنين وصباح يوم الثلاثاء ... وبقيت القدس من غير حامية في داخلها ! ..

وفي الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ قصفت الطائرات الاسرائيلية الحي الاسلامي في المدينة المقدسة مدة عشر دقائق .. ثم تقدمت المصفحات الاسرائيلية عبر باب الاسباط ، ودخل جنود اسرائيليون آخرون المدينة من باب المغاربة ، متجهين نحو المسجد الاقصى من الجنوب . وكان سيرهم في الشوارع الضيقة على غاية من الحذر لانهم لا يعلمون ان المدينة بلا حامية ، وان الاهالي غير مسلحين .. وفي الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ وصل الاسرائيليون الى المسجد الاقصى وحائط البراق (المبكى) ، وانتهت معركة القدس دون قتال يذكر ، وتم الاحتلال الصهيوني لها ..

وفي هذا اليوم ايضاً ، احتل الاسرائيليون بيت لحم وبيت جالا والخليل ، كما احتلوا رام الله والبيرة وجميع قرى هذه المدن ، وكذلك اريحا دون قتال ، اذ كانت القوات الاردنية قد انسحبت عنها جميعاً ..

حديث امين القدس

حدثني امين القدس (رئيس البلدية) السيد روحي الخطيب ، وهو من ابنـاء القدس ، وقد عاش مأساة المدينة الخالدة ، حديثاً طويلاً عن سقوط القدس واحتلال الاعداء لها ، سجلته في حينه ، واذكر هنا بعضه باقتضاب .

لم تسلح الحكومة الاردنية الأهالي ، ولو سلحتهم لما وقعت القدس والضفة الغربية بيد الاسرائيليين بالسهولة الغريبة دون قتال يذكر . ويبدو ان الجهات العليا في الاردن لم تكن واقفة على هذه الحقيقة . ومن قبيل ذلك :

قبل اسبوعين من الاحتلال طالبت اللجنة الاهلية في القدس المحافظ ، السيد انور الخطيب (وهو من ابناء مدينة الخليل) بتزويد السكان بالسلاح ، فوعد بذلك ، غير ان الحكومة لم تقدم السلاح . وقد علمت انه في صباح ٤ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ وزعت الحكومة نحو اربعمائة قطعة سلاح على مخاتير الاحياء .. وفي ذلك اليوم عقد اجتماع في القصر الملكي ، وكنت بين الحاضرين . اشتكى احدنا للملك عن امور متعددة منها ضآلة ما وزع على السكان من السلاح . استغرب الملك ذلك ، وقال ان المعلومات التي لديه تفيد ان ما وزع في القدس وحدها هو اربعون الف قطعة سلاح ! .. استشهد المشتكي بي ، فقلت للملك : يبدو ان المعلومات التي وصلتكم غير صحيحة ، لأن ما وزع لا يزيد على اربعمائة قطعة سلاح ! ..

وابتداء من الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ من يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) اخذنا نسمع ازيز الرصاص . واخذت الاذاعة الاردنية تتحدث عن انتصارات عربية ، وتذكر انتصار الجيش الاردني في جبل المكبر واحتلاله له . وفي الساعة ١٧ سمعنا دوي المدافع ، وعلمنا أن الاسرائيليين قاموا بهجوم معاكس واحتلوا جبل المكبر ومقر الامم المتحدة فيه .. ونحو الساعة الثانية من صباح الثلاثاء ٦ حزيران (يونيو) وردتني اشارة تلفونية من مركز اطفائية البلدية ، في وادي الجوز ، تقول ان العدو بدأ ينزل مظليين في وادي الجوز ، وعقبة الصوان ، والشيخ جراح ، ونقلت هذه المعلومات للقيادة العامة . وفي الساعة الثالثة اتصل بي مركز الاطفائية مرة ثانية ، واعلمنا أن الاسرائيليين استولوا على الدور العالية في منطقة وادي الجوز ، وان كل جندي يحمل بيده اذاعة لاسلكية ، وانهم اخذوا يطلقون النار على المارة ، فاتصلت بالقيادة العسكرية في القدس فأجابني عامل التلفون بحرارة :

«عمي ابو هاني انا الوحيد الباقي في القيادة ، الجميع هرب ، ودبابات العدو في طريقها اليها» . وعلمت فيما بعد أن عامل التلفون قد قتل ..

وفي الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ اتصل بي اخي من مدرسة دار الطفل العربي ، في الحي الحسيني قرب الكولونية الامريكية ، ما بين باب الساهرة والشيخ جراح ، وأعلمني أن فئة من جنود العدو قد احتلت الحي منذ ساعات الصباح الاولى ، وانهم يطرقون باب كل بيت داعين للاستسلام ، وانهم يطلقون النار على اصحاب البيوت الذين يتلكأون في فتح ابواب بيوتهم .. وفي الساعة ٨ كان العدو يستولي على شوارع باب الساهرة وطريق نابلس والمصرارة ، ولما حلت الساعة ١٠ كان العدو قد استولى على دائرة البريد الواقعة امام باب الساهرة وباب العمود من الجهة الشمالية ..

وفي الساعة ١٥ والدقيقة ٣٠ دعا محافظ القدس الى اجتماع في دار المجلس الاسلامي الأعلى (سابقاً) والاوقاف حالياً ، المطل على ساحة الحرم الشريف . وفي الرابعة كنت هناك مع مساعدي السيد انطون صافية ومهندس المدينة السيد يوسف البديري. ووجدنا عند المحافظ كلاً من قائد اللواء العسكري الاردني الزعيم عطا علي ، وقائـــد منطقة محافظـــة شرطة القدس العقيد محمد العريف ، ومدير دائرة السياحة بالقدس السيد حازم الخالدي ، وفضيلة الشيخ اسماعيل صبري قاضي القدس الشرعي ، والسادة عبد الغني النتشة وموسى البيطار من اعضاء امانة القدس .

قال المحافظ انه استدعانا واستدعى عدداً آخر من رجالات البلد ، بما فيهم اعضاء لجنة الدفاع الشعبي ، ليتحدث الينا ويتشاور معنا في الوضع الذي آلت اليه المدينة ، وخير الطرق الممكن اتباعها لتخليص الأهالي من القتل والمدينة من الدمار ..

ونظراً الى تغيب اكثر من نصف المدعوين اخذ الحديث يدور بصورة غير رسمية. واذكر ان مما قاله المحافظ أن الجيش مني بخسارة كبيرة في جبل المكبر ، وفي الشيخ جراح ، وأن الكتيبة الموجودة على التل الفرنسي محاصرة ، وان احد قادة كتائب الجيش الأردني في القدس قد فرّ منذ ظهر امس ٥ حزيران (يونيو) يوم ابتداء القتال .. ورأيت ان اقف على رأي قائد الجيش الزعيم عطا علي ، فاجاب انه ما زال يتوقع نجدة آلية من عمان مساء اليوم (٦ حزيران) ، ويفضل الا يعطي رأياً قبل وصول هذه النجدة . (ومما يجدر ملاحظته ان قائد اللواء في القدس ينتظر نجدة دبابات بعد ان كانت الاوامر العليا قد صدرت بانسحاب جميع القوات الاردنية الى الضفة

الشرقية) . واخذت استفسر منه عن امور ، فأجاب بانه لا يستطيع الاجابة ، لأن اللاسلكي بينه وبين عمان قد توقف لهرب المسؤول عن اجهزة اللاسلكي داخل السور . فقال احدنا انه يمكن الاستعاضة عنه بمأمور اللاسلكي الخاص بقيادة بوليس المنطقة. وكانت دهشتنا بالغة الشدة عندما سمعنا انه قد هرب ايضاً ، وانه لا يوجد في قيادة المنطقة داخل السور أي مسؤول ، باستثناء قائدهم وبعض الضباط الذين لا يستطيعون ادارة اجهزة اللاسلكي .. تقرر تأجيل الاجتماع الى ما بعد الساعة ٢١ التي حددها القائد لمجيء النجدة .. وعدت مع زملائي الى دار الامانة .

وفي نحو منتصف الليل من مساء الثلاثاء ٦ حزيران ، جاءني احد جنود الجيش العربي وقال : انني آخر جندي بقي على اسوار المدينة ، اقدم بندقيتي وملابسي العسكرية لتحافظ عليها ، واريد ان انسحب كما انسحب الباقون من زملائي . وكان على غاية من الارهاق والجوع . قدمنا له خبزاً وجبناً . واستعار قميصاً وبنطلوناً من الجيران وغادرنا الى مصيره الذي نجهله .

وفي صباح يوم الاربعاء ٧ حزيران زرت المحافظ برفقة مساعدي السيد انطون صافي . وفهمنا منه أن النجدة لم تصل ، وان قائد اللواء الزعيم عطا علي قرر في منتصف ليلة امس (٦ حزيران) الانسحاب وطلب من المحافظ ان ينسحب معه غير أن المحافظ قرر البقاء (المحافظ السيد انور الخطيب من فلسطين ، وقائد اللواء والضباط والجنود من شرق الاردن انسحبوا الى الضفة الشرقية) . وطلب المحافظ مني ان انتظر معه مجيء من دعاهم لحضور الاجتماع ، من وجهاء المدينة واعضاء البلدية والغرفة التجارية . انتظرت معه حتى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ ، ولما لم يأت أحد استأذنت مع مساعدي وتوجهنا الى دار البلدية .

ولدى وصولنا بطركية الروم الارثوذكس بدأ هدير طائرات اسرائيل يهدر في سماء المدينة فلجأت مع زميلي الى داخل البطركية محتمين في اروقتها ، منصتـــين للانفجارات المتعاقبة القريبة .. وبعد عشر دقائق خف الهدير فصعدنا الى سطح البطركية لنستطلع ما حدث ، فوجدنا بطرك الروم بنادكتوس وقنصل اليونان بالقدس . ونظرنا آثار انفجارات القنابل ورأينا الدخان المتصاعد من على جبل الزيتون ، ومن بـــاب الاسباط ، ومن موقع باب الساهرة، مما اشعرنا بان هذه الاماكن الثلاثة كانت اهداف الطائرات الاسرائيلية ، وبعد قليل أغارت الطائرات غارة ثانية على المدينة المقدسة ، فنزلنا وبقينا في الدير نحو نصف ساعة حتى انتهت الغارة الجوية ، فتابعنا السير الى دار

الامانة . وبدأت الاخبار تأتينا عن شدة وطأة الغارة على حارة السعدية داخل باب الساهرة ، وعلى منطقة باب حطة داخل السور ، وعلى مستشفى فكتوريا (مستشفى المطلع) ، وعلى قرية الطور العربية ، اي جبل الزيتون .

وقبل منتصف النهار جاء من يخبرنا أن الدبابات اليهودية دخلت القدس داخل السور عن طريق باب الاسباط ، وأن الجنود الاسرائيليين دخلوا المدينة من ابواب عدة ، من باب الاسباط وباب الساهرة وباب العمود ، وان طلائع المشاة منهم اصبحت على بعد مئة متر من دار الامانة .. لم اسلم نفسي لهم ولجأت الى دير اللاتين مع ستة رجال من مساعدي في دار الامانة.. ومن هناك بدأت اسمع الاذاعات الاسرائيلية الموجهة الى عرب القدس تعلمهم ان جيش اسرائيل دخل القدس ، وتطلب من الجميع ان يلتزموا بيوتهم وان يرفعوا الاعلام البيضاء او اي قماش ابيض يشعر بالاستسلام ، وتهدد كل من يرى بالشوارع ..

واذكر بكل اسف انني وانا استمع الى هذه الاذاعات دخل علي احد الرهبان ونقل الي بكل حزن مقتل مختار الكاثوليك العرب ، داخل السور ، بينما كان يعلق شارة بيضاء على باب احدى جاراته ..وكانت هذه اولى بوادر التوتر العسكري الذي تعرض له سكان القدس المدنيين .

وسمعت نحو الساعة ١٧ المذيع الاسرائيلي يقول :

والآن تسمعون كلمات من محافظ القدس ومن القاضي الشرعي ، ادليا بها الى مراسل الاذاعة في ساحة الحرم ، عقب الاحتلال ..

وقد أعجبت برباطة جأش القاضي فضيلة الشيخ اسماعيل صبري عندما سأله المذيع :

– والآن يا فضيلة القاضي ما رأيك في نظافة الاحتلال العسكري الاسرائيلي لاماكنكم المقدسة ؟ هل دمرناها لكم ؟ فاجاب فضيلته :

– كيف تريد مني ان اجيب وانا لم اشاهد ما حل بها ؟ اعطوني الفرصة لتفقدها وبعدها وجهوا إلي الاسئلة .

وبعد ان اتاحوا له زيارة جامع الصخرة المشرفة سألوه ثانية :

– والآن كيف ترى ؟ فقال بكل هدوء .

– امنحوني فرصة الصلاة ركعتين تحية الجامع والشكر لله . فصلى وبعد الصلاة قال لهم :

– اني لا أرى اثر اعتداء حتى الآن داخل جامع الصخرة المشرفة ، ولكني لا استطيع التحدث بصفة عامة عما اذا كان قد اصاب شيء قبة المسجد او جدرانه الفنية الاثرية ، ولا اعلم ايضاً ماذا حدث للمسجد الاقصى ، البعيد عن موقعنا مئتي متر . اذا كنتم تريدون مني ان اعطي تقريراً كاملاً يجب ان ازور هذه الاماكن وأراها اولاً ثم أبدي الرأي ..

وكان لرباطة جأش فضيلة القاضي تقدير عند كل من سمعه او احاط علماً بما قاله ، وانعاش للمعنويات ..

. . .   . . .

. . .   . . .

وهكذا سقطت مدينة القدس ، اولى القبلتين وفيها ثالث الحرمين وقبر السيد المسيح عليه السلام ، بيد الصهيونيين اعداء اتباع كل دين ، واعداء البشرية والانسانية ، وخصوم العرب والمسلمين ، دون حماية ودون قتال وتضحيات . لقد اهملتها الحكومة الاردنية ولم تضع فيها وحولها القوات الاردنية اللازمة للدفاع عنها وابقائها عربية مهما كلف الامر . سقطت مدينة القدس بهذه الصورة ، بعد ان كان العرب الاجداد قد ضحوا بمئات الالوف من الابطال والشهداء في سبيل الاحتفاظ بها عربية خالصة ..

القتال في المنطقة الشمالية

اما في المنطقة الشمالية فقد اصدر الجنرال اسحاق رابين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي اوامره في الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ من يوم الاثنين ٥ حزيران ، باحتلال جميع المناطق الواقعة غربي جنين وفي الشمال الغربي منها ، حيث تمركزت المدفعية الاردنية . ونظراً الى امتداد الجبهة واتساعها فقد عمدت القيادة الاسرائيلية الى ان تهاجم في النهار وتندفع نحو المراكز العسكرية الاردنية المحصنة في الظلام .

وكان ، كما ذكرنا ، في القطاع القائم بين جنين ونابلس لواءان من المشاة وكتيبة من دبابات الباتون ، وكان اللواء المصفح رقم ٤٠ يعسكر بالقرب من جسر دامية ، وكان مؤلفاً من كتيبتي دبابات باتون وكتيبة مشاة مزودة بسيارات النقل المصفحة .

قام قائد القوات الاسرائيلية بحركة تضليل تهدف الى حمل اللواء الاردني المصفح على التجزؤ لانفصال اجزائه بعضها عن بعض . فزحفت قوة مشاة اسرائيلية من سهل بيسان ، وحالاً اتجهت كتيبة مصفحة اردنية لملاقاتها ، واتجهت الكتيبتان الاخريان نحو قرية قباطية ومدينة جنين .

وفي الساعة ١٧ اجتاز لواء اسرائيلي مدرع الحدود الاردنية متقدماً نحو مدينة جنين في اتجاهين بمساعدة غطاء جوي ، فضربت الطائرات الاسرائيلية المدفعية الاردنية الرابضة خلف المرتفعات وأسكتتها . واستولى الاسرائيليون على قرية اليامون دون مقاومة ..

وتمكنت القوة الرئيسية من اللواء المدرع الاسرائيلي ، من ان تحتل بسرعة المراكز الدفاعية التي تشرف على جنين ، ثم ابتدأت باقتحام جنين ، اكبر مدن المثلث الشمالي في الضفة الغربية ، وخاضت معركة مع الدبابات الاردنية التي كانت منتشرة في السهل والوادي ، وتغلبت عليها ، وسيطرت وحدات الجيش الاسرائيلي المختلفة على سائر مداخل المدينة .. وكان كثيرون من السكان قد غادروها قبل ذلك ..

وفي الساعة الثالثة من صباح ٦ حزيران (يونيو) ابتدأت القوات الاسرائيلية اقتحام جنين ، وبعد معركة قصيرة بين المصفحات انهارت المقاومة سريعاً .. ورفعت الاعلام البيضاء على الدور .. واستسلمت قلعة الشرطة المحصنة القائمة عند تقاطع جنين ونابلس دون قتال .. « وقد ذكر الاسرى أن قائد القوات الاردنية في المدينة ، الذي كان يتولى قيادة سرية المشاة الاردنيين ، ووحدة رجال الشرطة المحلية ورجال الحرس الوطني ، كان من اوائل الذين تركوا المدينة طلباً للنجاة »[1] وذلك في يوم ٥ حزيران اثر نشوب القتال ! ؟ ..

ووصلت جنين قوات لواء مشاة اسرائيلي للقضاء على كل مقاومة عربية في المدينة.. وغادر جنين لواء المصفحات الاسرائيلي لاعادة تنظيم نفسه والتزود بالوقود ونقل دباباته المصابة .. وفي تلك الفترة تقدمت نحو طوباس ٦٠ دبابة باتون اردنية . فظن

---

(١) وضع « شمويل شيجب » الصحافي الاسرائيلي والمراسل الحربي ، اثر حرب الايام الستة كتاباً سماه « البساط الاحمر » باللغة العبرية ، وصف فيه المعارك العسكرية في جميع الجبهات ، من زاوية النظر الاسرائيلية . وقامت بترجمة القسم المتعلق بالاردن وزارة الاعلام والثقافة الاردنية . وبعض المعلومات عن المعارك في المنطقة الشمالية مستمد من هذه الترجمة .

سكان جنين ان الاردنيين قاموا بهجوم معاكس ، فنظموا اوضاعهم واخذوا يطلقون النار من جديد على الجنود الاسرائيليين .. وقامت كتيبة اردنية مصفحة بحركة استولت بها على الارض الواقعة بالقرب من التقاطع المؤدي الى المدينة ، وقامت بتحركات ونصبت كمائن هددت القوات الاسرائيلية ، ودمرت عدداً من الدبابات الاسرائيلية .. على ان اللواء الاسرائيلي المصفح اعاد تنظيم نفسه وتلقى قوة اضافية وهاجم جنين من جديد ، بمساعدة الطائرات والمدفعية ، وذلك في الساعة الثانية ، وتحول وادي « دوتان » مسرحاً للموت .. وبعد قتال دمرت خلاله ٢٥ دبابة باتون اردنية ، اعيد احتلال المدينة ، وانسحبت بقية القوة الاردنية المصفحة الى طوباس .

وفي الساعة ١٣ سلم رئيس بلدية جنين المدينة الى الاسرائيليين . واخذ الاسرائيليون يحتلون القرى والاراضي في تلك المنطقة .. وواصل اللواء المصفح سيره نحو تقاطع قباطية مواصلاً زحفه الى نابلس ليصلها من غربها ..

وقام الاسرائيليون في الصباح الباكر في يوم الثلاثاء ٦ حزيران (يونيو) باحتلال قلقيلية دون مقاومة ، وباحتلال طولكرم دون مقاومة ايضاً ، واخلوا المدينتين من سكانهما واجبروهم على الذهاب مشياً الى نابلس ، ولم يسمحوا لهم بالعودة الى مساكنهم الا بعد وقف اطلاق النار .. وقد هدم الاسرائيليون نصف ابنية مدينة قلقيلية ..

وفي هذه الاثناء دفعت القيادة الاسرائيلية بلواء جديد الى المعركة ، اسراعاً في بلوغ مرحلة حاسمة وتمزيق تشكيلات الجيش الاردني في تلك المنطقة . وتبع هذا اللواء طريقاً جديداً ليصل الى نابلس من جهة الشرق ، فوصل اليها قبل ان تصلها القوة القادمة اليها من جنين .. على ان قوة من الدبابات الاردنية ، تقدر بنحو ٣٠ دبابة باتون تقابلت مع القوة الاسرائيلية الذاهبة الى نابلس من الشرق ، وجرت معركة استعمل الاسرائيليون فيها الطائرات والمدافع ودارت معركة عنيفة ابتداء من الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ من ذلك اليوم واستمرت حتى المساء . وفي الساعة ٤ من صباح الاربعاء ٧ حزيران (يونيو) اعادت المدفعية الاسرائيلية ضرب المواقع الاردنية .. ويقول الاسرائيليون انهم وجدوا نحو عشرين دبابة اردنية بعضها متروك وبحالة سليمة . وبعضها مصاب بنيران دباباتهم وطائراتهم ، ووجدوا القوة الاردنية منسحبة .

وبعد معركة الدبابات هذه تقدمت القوات الاسرائيلية واحتلت طوباس دون

قتال .. ثم تابعت السير الى نابلس .. واستقبل اهالي نابلس المصفحات بالتصفيق والاناشيد ظناً منهم انهـــا من الجيش العراقي قادمة من الشرق لانقاذ مدينتهم من القوة الاسرائيلية القادمة من الغرب ، ولما تبين لهم خطؤهم اخلوا الشوارع واخــذ بعضهم يطلق النار عــلى الجنود الاسرائيليين.. وفي الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ من صباح يوم الاربعاء ٧ حزيران (يونيو) سقطت مدينة نابلس بيــد الاسرائيليين دون قتـــال ، اذ كانت القوات الاردنية قد انسحبت من نابلس وطوباس ، كما ان كبار الموظفين في نابلس ، الذين من الضفة الشرقية كالمتصرف وغيره ، غــادروا مراكزهم الى الضفة الشرقية ابتــداء من يوم الاثنين ! .. وبسقوط نابلس اصبح جميع القسم الشمالي من الضفة الغربية في قبضة الاسرائيليين .. وما حــل مساء ذلك اليوم الا وجميع الضفة الغربية بيد الاعداء ..

سقطت الضفة الغربية دون ان تكون هناك مقاومة وقتال من الجانب الاردني الا في مكانين : الاول في الاماكن المحصنة قرب القدس مثل مكان اميونيشن ، والثاني في معركة جنين . وما عدا ذلك ، كان موقف القوات الاردنية الانسحاب ، « لذا لم تكن هناك اية اشتباكات مدرعة واسعة النطاق ، كما لم تكن هناك سرعة حركة في الجانب الاردني .. ثم ان عدم تسليح المدنيين جعل الانتصار الاسرائيلي على الضفة الغربية اكثر سهولة ، وجعلهم يوفرون الكثير من الاصابات ، كما ترك اهالي الضفة الغربية في وضع مكشوف تجاه العدو ، بعد الاحتلال » [١] ..

استعمل الاسرائيليون في احتلالهم للضفة الغربية عشرة الوية جميعها آلية إلى حد كبير ، طرّت لها المواقع الطائرات ، وفتحت لها الطريق ودعمتها المصفحات . . . ويقول الاسرائيليون ان اصاباتهم كانت ٢٠٠ قتيل و٧٠٠ جريح . وقلة هذه الاصابات ترجع إلى أنهم احتلوا البلد دون قتال ، الا قرب القدس وفي جنين ، ووجدوا السكان مجردين من السلاح .

أما الاصابات الاردنية فقد بولغ فيها في بادىء الامر ثم أخذ المسؤولون يتراجعون عن تلك المبالغات !

---

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٦٢٤ .

كنت أيام الحرب في الكويت . زرت السفارة الاردنية يوم الخميس ٨ حزيران (يونيو) ، فأعلمني السفير ان المذابح في الاردن شنيعة والخسائر فادحة . وان الاردن قد خسر في هذا الحرب ٣٠ الف جندي و٣٠ الف مدني ! وقع هذا الخبر علي وعلى جميع الفلسطينيين والاردنيين في الكويت كالصاعقة . وتألفت لجان لجمع المال للاردن ، وسلم ما جمع منه إلى السفارة . . . وتطوع اطباء فلسطينيون عديدون وذهبوا إلى عمان ، كما ان حكومات اجنبية تبرعت بمستشفيات متنقلة . وعاد الأطباء من عمان يقولون ان وزارة الصحة قالت لهم انها ليست بحاجة اليهم ، وانهم وجدوا ان من في المستشفيات التي في الاردن مرضى عاديون من السكان كايام السلم ، مع بضعة اشخاص اصيبوا بحروق من النابالم . . . وكانت المستشفيات المتنقلة خالية إلا من المشرفين عليها ! . . .

وحضرت في عمان ندوتين عقدهما مسؤولان كبيران تحدث كل منهما عن الحرب التي ادت إلى ضياع القدس والضفة الغربية . . . وذكر كل منهما ان اصابات الاردن كانت ستة آلاف بين قتيل وجريح ومفقود . ولكنهما لم يبينا عدد القتلى وعدد الجرحى وعدد المفقودين . . . ومرت الايام واعلنت الحكومة الاردنية انها قررت ان تصرف شهرين لكل جندي وضابط هبة منها وتقديراً ... ظهر المفقودون وقبض الضباط والجنود هبة راتب الشهرين ... وكان عدد من لم يظهروا نحو ١٥٠ فقط ! . اذن ما فقده الجيش الأردني ، في حرب الدفاع عن القدس والضفة الغربية ، كــان نحو ١٥٠ قتيلا . . . لانه لم يدر قتال في الضفة الغربية غير ما ذكرنا منه قرب القدس وفي جنين ، ولان الانسحاب كان سريعاً. والطريق بين الضفة الغربية والشرقية قصير . لكن الاردن خسر الكثير من الآليات والاسلحة التي تركها المنسحبون ..

ولا بد هنا من ذكر قصة الجنرال الاردني الذي كان يشغل مركزاً مهماً وحساساً في الجيش في القدس . في اليوم الاول من الحرب ، وضع الجنرال أثاث بيته وعفشه ومن بينه «عنزات» في تركات للجيش وذهب حالاً إلى بيته في الضفة الشرقية ، وبقي فيه طوال أيام الحرب وبعدها .. ويقال انه عندما قابل الملك حسين ، بعد ذلك ، فاجأه الملك بهذا السؤال : كيف حال العنزات ! .. واتخذت الحكومة الاردنية قراراً بتنحية الجنرال عن عمله في الجيش . . . وما كان منه إلا ان اعترض مهدداً قائلا : إما ان تحيلوني على المحاكمة ان كنت مذنباً ، وعندها أقول كل ما أعلم ، واما ان تعيدوني إلى عملي ، وأنا لم أقم إلا بما قام به غيري .. فما كان من الحكومة الا ان

اعادته إلى العمل في الجيش برتبته العالية السابقة . وبعد مدة احيل على التقاعد !

٤ – الجبهة السورية

ان الخطة العسكرية التي اعدتها اسرائيل تجاه الجبهة السورية كانت خطة دفاعية ، في اثناء عمل قواتها في الجبهتين المصرية والاردنية . وكانت القيادة الاسرائيلية تفترض ان تقوم القوات السورية بالهجوم عند ابتداء الحرب عملاً بميثاق التضامن العسكري المعقود بين مصر وسوريا . ولهذا كانت التعليمات إلى القيادة الاسرائيلية في الشمال ان تقف موقف الدفاع وصد الهجوم فقط حتى تفرغ القوات الاسرائيلية من الجبهتين المصرية والاردنية .

وكانت الحكومات السورية قد أنشأت خطاً دفاعياً حصيناً في مرتفعات الجولان وعلى طول حدودها مع اسرائيل . وكانت قواتها متحصنة في حصونها المنيعة ، ومنها تضرب بمدافعها المستعمرات التي تطل عليها من تلك المرتفعات . وقد حاولت الطائرات الاسرائيلية مراراً اسكات تلك المدافع ، قبل حرب حزيران واثناءها ، غير انها لم تستطع ذلك لمناعة التحصينات .. وقد اطمأنت القوات السورية على نفسها داخل تلك الحصون ، كما كانت القوات الفرنسية مطمئنة على نفسها في خط «ماجينو» إبان الحرب العالمية الثانية ..

وكانت على المرتفعات السورية المواجهة لاسرائيل خمسة الوية سورية في الحصون الممتازة . وكانت غالبية جنود هذه الالوية من المجندين وبعض المليشيا ومن وحدات العمال غير المدربين تدريباً جيداً على القتال . وكانت الألوية السورية المدربة والمدرعة التي تتكون منها قوة الجيش السوري الحقيقية ، بعيدة عن الجبهة ، كاحتياطي للدفاع عن دمشق وعن مدن اخرى ، ولم تشترك في قتال الاعداء .

اما السلاح الجوي السوري فكان نسبياً قوياً في عدده ، اذ كان لدى سوريا مئة طائرة قتال صالحة ، منها نحو ٤٠ ميج من نوع ٢١ ، غير انه لم يكن بوسعها استعمال اكثر من ٢٥ طائرة نظراً لقلة عدد الطيارين الصالحين للقتال . ويرجع ذلك الى ان السلطات السورية كانت تسرح طيارين مدربين اثر كل انقلاب ، لآرائهم السياسية .. وكان عدد منهم في السجون .. فأصبح السلاح الجوي ضعيفاً غير قادر على القيام بما عليه من مهمات .. وسياسة التسريح هذه اضعفت ايضاً كفاءة الجيش السوري القتالية ، تبعاً لتسريح ضباط اكفاء اثر كل انقلاب .. وكان لهذا كله اثره في سير المعركة وتقرير مصيرها ..

لم تشتبك القوات السورية مع القوات الاسرائيلية الا حين الهجوم الاسرائيلي يومي الجمعة والسبت في ٩ و ١٠ حزيران (يونيو) ، بعد ان فرغ الاسرائيليون من احتلال شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية .. وقبل ذلك اغارت طائرات سورية ، ظهر يوم الاثنين ٥ حزيران على اماكن اسرائيلية، واغار الطيران الاسرائيلي بعد ذلك على المطارات السورية ودمر ما فيها من طائرات .. وظلت المدفعية السورية تقصف القرى الواقعة على بعد ١٥ كيلومتراً منها ، حتى يوم الجمعة ..

وتخلل ذلك ان هاجمت سرية سورية ، الساعة ٧ من يوم الثلاثاء ٦ حزيران ، شارياشوف ، وفي الساعة ٧ والدقيقة ٣٠ هاجمت سرية اخرى تل دان . وجرت في المكانين معركة ضارية دامت ساعة ، استعمل الاسرائيليون خلالها الطائرات والدبابات ، مما ادى الى انسحاب السوريين .. وفي الساعة ١٠ صد الاسرائيليون هجوماً سورياً آخر على تل دان ، ولم يقم السوريون بعد ذلك باي هجوم .. على ان مدافعهم استمرت تضرب المستعمرات ، واستمر الطيران الاسرائيلي يضرب خطوط الدفاع السورية بالصواريخ والنابالم ، ايام الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس دون ان يستطيع اسكات المدافع والمدافع المضادة للطائرات ، بل ان السوريين اسقطوا طائرات اسرائيلية واسروا احد الطيارين ..

ويوم الخميس ٨ حزيران (يونيو) ، كانت القوات الإسرائيلية التي احتلت الضفة الغربية ، قد فرغت من أعمالها الحربية .. فجمعت القيادة الاسرائيلية ستة الوية مدرعة وآلية مع قواتها المدفعية وحركتها نحو الحدود السورية للهجوم عليها صباح الجمعة على الرغم من ان قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار كان قد صدر مساء يوم الخميس.. وكان من بين الدبابات التي استعملتها اسرائيل في الجبهة السورية دبابات اردنية في حالة جيدة ، استولى عليها الإسرائيليون بعد ان تركها الجيش الأردني حين انسحابه من الضفة الغربية ..

وفي ذاك اليوم اشتد قصف الطائرات الإسرائيلية للمواقع السورية بقنابلها الثقيلة التي يتراوح وزنها بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ رطل انكليزي (باوند) بالاضافة الى قنابل النابالم . ومع شدة قوة انفجار هذه القنابل فانها لم تهدم التحصينات ، على أنه كان لها تأثير كبير في معنويات الجيش السوري المتحصن داخل الحصون ، وحالت بينه وبين النوم . وبالاضافة الى ذلك فان الطيران الاسرائيلي قطع المواصلات بين القوات

السورية داخل الحصون المواجهة لاسرائيل وبين القيادة السورية ، مما ادى الى انقطاع المواد الغذائية وبقاء الجنود في التحصينات دون طعام أياماً عدة ، مفتقرين الى الذخيرة والماء .. ومع كل هذا العناء اظهر كثيرون شجاعة وبسالة حينما هاجمهم الأعداء .

وجاء يوم الجمعة ٩ حزيران (يونيو) وهاجم الاسرائيليون مرتفعات الجولان على الرغم من ان مجلس الامن اصدر قراراً آخر بوقف اطلاق النار . واشترك في هذا الهجوم ثلاثة الوية يدعمها غطاء جوي كثيف . ابتـــدأ الهجوم من الشمال قرب شارياشوف في اتجاهين ، أحدهما شمالي شرقي نحو بانياس وعين فقه ، والثاني جنوبي شرقي نحو تل العزيزات والقنيطرة . وجرى حول العزيزات وتل فقه قتال عنيف بين القوات المهاجمة والقوات السورية المدافعة دام طوال النهار .

وجاء في تقرير لمجلة فلايت ، نشر في ٢٢ حزيران (يونيو) ان الاسرائيليين استعملوا الغاز السام ليتمكنوا من السيطرة على المواقع السورية . ويرجح باحثون « ان يكون الاسرائيليون قد استخدموا الغاز السام للسيطرة على لواء سوري قاوم بصلابة قوة تفوقه ثلاثة أضعاف على الرغم من النابالم والغاز السام ، وحارب بشجاعة كبيرة ساعات واوقع اصابات عديدة في صفوف الاسرائيليين ، لكنهم استولوا في النهاية على المواقع التي هاجموها » [١]

وعند فجر يوم السبت ١٠ حزيران (يونيو) تابع الاسرائيليون هجومهم من التوافيق ، جنوبي بحيرة طبرية . بثلاثة الوية أخرى ، واصطدمت بالدبابات السورية ، ثم تابعت تقدمها في الوقت الذي كان فيه المظليون الاسرائيليون يهبطون في الدبوسية وبطمية . ثم اتجه المهاجمون من الجنوب شمالا باتجاه القنيطرة، والتقوا فيها نحو الساعة ١٣ مع المهاجمين الآتين اليها من الشمال الغربي . وكان السوريون قد انسحبوا قبل ذلك من تحصينات القنيطرة إلى خط دفاع يقع في شماليها . على ان المهاجمين الاسرائيليين لم يتابعوا سيرهم بعد احتلالهم للقنيطرة . . . وبذلك انتهت معركة مرتفعات الجولان وبها انتهت حرب الايام الستة .

ولا بد لي قبل انهاء صفحات الهزيمة النكراء ، في الجبهات العربية الثلاث ، من ذكر قصة اعلان سقوط القنيطرة :

---

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٦٢٨ .

أذاعت إذاعة دمشق في الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ من صباح يوم السبت ١٠ حزيران (يونيو) البلاغ رقم ٦٦ الرسمي الذي جاء فيه ان القنيطرة سقطت بيد الاعداء ، في حين انها لم تكن قد سقطت بعد ، اذ ان الاسرائيليين احتلوها الساعة ١٣ من يوم السبت ، أي بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من اعلان سقوطها . ويذكر الباحثون ان اعلان سقوط القنيطرة قبل سقوطها الفعلي أدى إلى البلبلة والانهيار في صفوف المقاتلين في تحصينات القنيطرة ذاتها ، وفي التحصينات الاخرى المواجهة لاسرائيل ، التي كان لا يزال المقاتلون فيهـــا . اذ عندما سمعوا بسقوط القنيطرة اخذوا يتركون تحصيناتهم وأعتدتهم متجهين شرقاً هرباً من قتل الاسرائيليين لهم أو اسرهم ..

وأخذ الكتاب السياسيون يفسرون البلاغ رقم ٦٦ بسقوط القنيطرة قبل أوانه كلٌ حسب هواه . ومن المؤسف ان معظم الكتاب العرب لا يسجلون تاريخاً ، لكن ما في نفوسهم من شعور .. هم مدافعون أو متهمون نظراً إلى موقفهم من الذين في الحكم . واتخذوا من ذلك البلاغ دليلاً على صحة ما يقولون من انه كانت النية مبيتة لتسليم الجولان ..

واني ارى ان الاسباب الحقيقية لصدور ذلك البلاغ قبل سقوط القنيطرة لا تزال غامضة..

ويمكن القول انه على الرغم من انقطاع طرق تموين المقاتلين في الجبهـــة ، ومما اصابهم من ضنك وجوع ، ومن انهم كانوا تحت قصف الطائرات المستمر بالصواريخ والنابالم ، فقد حاربت أقسام من المدافعين السوريين المعتدين بصمود وشجاعة عندما التقوا بهم . واوقعوا فيهم اصابات كانت نسبياً اعلى منها في أي جبهة عربية أخرى . كما ان عدداً من المدافعين فر من جبهة القتال . وقالت السلطات الاسرائيلية انها فقدت في الجبهة السورية ١١٥ قتيلا ، واصيب ٣٠٦ بجراح . أما الاصابات السورية فكانت نحو ألف قتيل وجريح . ويقال ان عدد القتلى لم يتجاوز ١٥٠ قتيلا [١] ، وهو شبيه بعدد قتلى الاردن .

---

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٦٢٩ .

٥ ـ الخسائر

ان الخسائر في الارواح في جيوش الدول التي اشتركت في حرب حزيران (يونيو) كانت قليلة ، وقلتها دليل على أنه لم تكن هناك في واقع الامر حرب ، وانما انسحاب واحتلال . واما خسائر جيوش الجمهورية العربية المتحدة الكبيرة في الارواح ، فلم تكن في اثناء القتال وانما في اثناء الانسحاب في الصحراء ، من جراء الجوع والعطش والشمس . وفيما يلي ارقام تبين خسائر كل دولة من الدول الاربع المتحاربة :

الخسائر المصرية

١١٥٠٠	قتيل . واسر الاسرائيليون نحو خمسة آلاف .
٢٠٠٠	قتيل من قوات التحرير الفلسطيني المتمركزة في غزة .
٥٥٠	دبابة من أصل ٩٣٠ .
٣٥٠	مدفعاً ثقيلا من أصل ٥٧٠ مدفعاً .
٤٥٠	مدفعاً خفيفاً من أصل ١٠٠٠ مدفع .
٢٥٠	طائرة مقاتلة من أصل ٣٧٠ طائرة .
٥٥	طائرة حاملة قنابل من أصل ٧٠ طائرة [١]
٤	هيلوكبتر .

الخسائر الاردنية

١٥٠	نحو هذا العدد قتل من الجيش الاردني فقط . كما سبق ان ذكرت فيما تقدم . ويقدر كتاب مختلفون عدد القتلى بارقام مختلفة ، وبينهم من يذكر ان عدد القتلى من الجيش الاردني كان نحو ٥٠٠ قتيلاً[٢] .
٢٥	طائرة وهي جميع طائرات الاردن من نوع هنتر وطائرات نقل.[٣]
١٥٠	دبابة من أصل ٢٥٠ دبابة[٣]. ويذكر الملك حسين في كتاب

(١) الارقام المذكورة من نيويورك هرولد تريبيون في ٢٩ – ٣ – ١٩٦٨ .
(٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٦٢٤ .
(٣) كتاب The Israeli Campain الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ لمؤلفه بيتر يونك ص ١٦٦ .

« حربنا مع إسرائيل » ان عدد الدبابات الاردنية كان ١٧٦ دبابة . ويقول الاسرائيليون انهم استولوا على ٣٥ دبابة باتون في حالتها الجيدة الاصلية .

الخسائر السورية

١٥٠	قتيل ونحو ٨٥٠ جريحاً .[١]
٤٠	طائرة من اصل ١١٠ طائرات [٢] وتقول اسرائيل انها دمرت ٦٠ طائرة سورية[٣] .

الخسائر الاسرائيلية

٦٧٩	قتيلاً و ٢٥٦٣ جريحاً حتى ١١ حزيران (يونيو) . وعدد القتلى هذا جزء صغير بالنسبة الى عدد قتلى الاسرائيليين سنة ١٩٤٨ اذ كان نحو ستة آلاف قتيل ..[٤]
٧٣	طائرة من اصل ٣٠٠ طائرة ، منها ٦٠ طائرة في الاجواء المصرية[٥]
١٠٠	دبابة اسرائيلية منها ٦١ دبابة في الجبهة المصرية .[٦]

* * *

هذه بايجاز قصة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ التي كانت ، الى حد كبير ، حرباً دون قتال ، وهزيمة نكراء في تاريخ العالم العربي الحديث . فما هي الأسباب الحقيقية التي ادت الى هذه الهزيمة ، التي لم تظهر بعد نتائجها على الاوضاع في العالم العربي ؟ . هذا ما سأحاول الاجابة عليه في القسم الثاني من هذا الفصل .

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٦٢٩ .
(٢) كتاب « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ » صفحة ١٦٦ .
(٣) جريدة النهار عدد خاص – ميلاد سنة ١٩٦٧ .
(٤) كتاب « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ » صفحة ١٦٧ .
(٥) جريدة النهار عدد خاص – ميلاد سنة ١٩٦٧ صفحة ٥١ .
(٦) The Military, Balance 1967-1968, Institute for Strategies Studies, London.

— ٢ —

أسبـــاب الهزيمـة

كتب كثيرون عن اسباب الهزيمة ، ورأوها في مختلف نواحي الحياة في البلاد العربية ، في الأخلاق عند العرب ، وفي التربية العلمية والاجتماعية ، والثقافة الدينية أو فقدانها .. رأوا تلك الأسباب في جميع تصرفات العربي منذ الولادة حتّى الوفاة ..

ورؤية اسباب الهزيمة على هذا النحو تفترض أن العرب حاربوا في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وخسروا الحرب. ولكن السؤال هو : هل حارب العرب المعتدين في حرب حزيران ، وعملوا بكل طاقاتهم لرد العدوان ؟ .

رأينا في القسم الأول من هذا الفصل أن الحرب كانت من جانب واحد . كان هناك هجوم اسرائيلي على جبهات ثلاث ، مصرية واردنية وسورية ، وكان هناك انسحاب سريع وهرب من الالتحام مع العدو في الجبهات الثلاث أيضاً ! .. اذن كانت هناك حرب دون قتال ، وانهزام قبل المواجهة ! ..

والسؤال الصحيح الذي ينبغي أن يطرحه الباحث هو : لماذا لم يقاتل العرب في حرب حزيران ؟ وما هي اسباب ذلك ؟

ان العرب لم يقاتلوا في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بل انسحبوا او هزموا دون قتال ، لأسباب عديدة متنوعة ومتداخلة . وللتبسيط والايضاح قسمتها الى ثلاثة أنواع :

١ — اسباب عسكرية .

٢ — اسباب سياسية .

٣ — اسباب اجتماعية واخلاقية .

١ — الأسباب العسكرية

ان الاسباب العسكرية التي ادت الى نكوص العرب عن قتال اعدائهم كثيرة ايضاً ومتنوعة ومتداخلة في الاسباب السياسية والخلقية ، وانني اكتفي هنا بذكر أهمها :

التفوق العسكري

كان المسؤولون في الدول العربية يعرفون ، وكانت الجيوش العربية تعرف ، أن القوات الاسرائيلية اقوى واقدر على القتال من القوات العربية . لقد بان ذلك للجميع في مؤتمر القمة للملوك والرؤساء الذي عقد في الدار البيضاء ما بين ١٣ و ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥ ، اذ اكد قائد القوات العربية المشتركة للملوك والرؤساء ولقادة الجيوش العربية ووزراء الدفاع ، ان العرب يحتاجون الى ثلاث سنوات ، يعملون خلالها بجد ضمن منهاج معين حتّى تصبح القوات العربية معادلة للقوات الاسرائيلية ، قادرة على الوقوف أمامها ، وثلاث سنوات أخرى للتفوق عليها ! .. ولهذه الأسباب كانت الدول العربية تتحاشى الاشتباك مع اسرائيل قبل اعداد قواتها العسكرية .. ولهذه الأسباب ايضاً اختارت اسرائيل سنة ١٩٦٧ للقيام بمناوراتها السياسية والعسكرية لجر الدول العربية الى حالة الحرب ، وايقاعها في الشراك التي حاكتها لها .. وكان الاعتقاد السائد لدى الجيش المصري ، عندما ذهب الى سيناء ، ان ذلك ما هو الا مناورة سياسية عسكرية . وكان الموقف العسكري في الاردن وفي سوريا دفاعياً ، لأن الاردن لا يريد الحرب ، بطبيعة الحال ، مع اسرائيل ، ولأن سوريا لا تريدها ايضاً بسبب اوضاعها السياسية الداخلية ..

وكانت القيادة المصرية لا تريد الحرب مع اسرائيل ، في تلك السنة ، للاسباب المتقدمة ، ولما بين البلاد العربية من خلافات سياسية ، ولأن القسم المهم من جيشها كان يحارب في اليمن .

واذ كانت اسرائيل تعرف ذلك كله فقد اقدمت على اشعال نار الحرب في الوقت الذي تمكنت فيه دعايتها من اظهار اسرائيل ذلك البلد الصغير الضعيف الذي يريد العرب ابادته وازالته من الوجود ..

واجهت الدول العربية الثلاث الحرب وهي غير مستعدة لها ، ولا تريد خوض غمارها . والجيوش التي تجابه حرباً ، وهي غير معدة لها عسكرياً ونفسياً ، لا تحارب ، وانما ينسحب افرادها ويفرون من المعركة ، تاركين للعدو ان يحتل من الاراضي ما يريد ..

وهذا ما حدث في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ..

وهذا الوضع يدعونا الى التساؤل : لماذا كانت الدول العربية سنة ١٩٦٧ اضعف من اسرائيل ؟ ، في حين انه كان قد مضت على كارثة ١٩٤٨ عشرون سنة ، ومع العلم بأن اسرائيل وجدت سنة ١٩٤٨ ، وكانت قوتها يومئذ ضعيفة اولية ، وان امكانات البلاد العربية كبيرة تمكنها من ان تكون اقوى من اسرائيل مرات عدة . وبعبارة أخرى : لماذا لم تعمل الدول العربية منذ ١٩٤٨ لاعداد القوات اللازمة الضرورية لمواجهة قوة اسرائيل ، مع علمها بأن اسرائيل تريد التوسع في البلاد العربية والاستيلاء على خيراتها ؟ ! .. ومع العلم ايضاً بأن مدة العشرين سنة كانت كافية للقيام بتغيير جذري في استعدادنا العسكري ، وفي حياتنا الفكرية والثقافية .. وقد كانت هذه المدة اكثر من كافية للصهيونيين للقيام بكل ما هو عجيب في مختلف نواحي الحياة في اسرائيل ؟ ! ..

والجواب عن هذا التساؤل يأتي في بحث « الاسباب السياسية » للهزيمة .

مهمة الجيوش العربية

يضاف الى ما تقدم أن في البلاد العربية دولاً قائمة على نظم مختلفة بعضها متنافس ظاهراً وبعضها متعاد باطناً .. وكي تدعم هذه النظم نفسها ، ويثبت قادتها أنفسهم في الحكم ، لجأوا الى ايجاد جيوش موالية لهم الولاء كله ، هدفها المحافظة على تلك النظم وعلى المسؤولين فيها .

ولهذا لم تلقن الجيوش العربية دروساً في الوطنية الصالحة والقومية العربية ، ووجوب التفاني في الدفاع عن الوطن . وشأنهم في ذلك شأن وضع افراد الأمة ! .. وانما كان تثقيفهم قائماً على مبادىء كل نظام في الدولة ، ونشأتهم نشأة سياسية لكل نظام . فاصبحوا جنود سياسة محلية ضيقة ، وبعبارة اخرى حرساً للنظام ورجاله ، لا جيشاً وطنياً بعيداً عن السياسة ، هدفه المحافظة على الوطن ، ورد كل اعتداء عنه ..

ويمكن القول باختصار أن الجيش في مصر كانت مهمته المحافظة على النظام ، والجيش في الاردن مهمته المحافظة على الملك والعرش ، والجيش في سوريا مهمته المحافظة على الحزب .. ولما وجدت هذه الجيوش وجد المسؤولون عنها ، انهم امام مهمة جديدة ، مهمة مجابهة العدو ، لم يقاتلوا بل انسحبوا .. فكانت حرب حزيران حرباً دون قتال ، وهجوماً من جانب وانسحاباً من جانب آخر ! ..

على انه من الحق ان يقال ، ان افراد الجيوش العربية بواسل ورجال قتال . ولو

انهم ربوا على روح وطنية عربية ، ودربوا على قتال لقاموا بمهمتهم الوطنية خير قيام .. ولقد اظهر الجيش الاردني بأساً وبطشاً شديدين في قتاله الفدائيين وابناء الشعب ، وفي تدميره المدن الاردنية ومخيمات اللاجئين .. ولو أن الجيش الاردني اعطي الفرصة الثقافية والقتالية لمناهضة العدو وقتاله لقاتل العدو قتالاً اشد من قتاله ابناء وطنه ، ولما استطاعت عندئذ اسرائيل ان تحتل القدس الشريف والضفة الغربية ..

ومن الحق ان يقال ايضاً ، ان الوضع في الجيش المصري تغير تغيراً جذرياً عما كان عليه قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ويرجع ذلك الى الجهود الجبارة التي بذلها الرئيس جمال عبد الناصر . لقد حاكم مسؤولين في الجيش عن كارثة حزيران .. والزعامة التي تحاكم المقصرين والمستخلين تدل على انها لم تكن راضية عما جرى ، وتدل ايضاً على ان في المستقبل املاً ، وأن الامة بخير .. وانشأ الجيش نشأة جديدة في دمه ، اذ طعمه بالشباب المثقف المتعلم ، وبروحه ايضاً اذا أعاد تربيته على اسس وطنية قومية عربية ، وافهمه ان مهمة الجيش اولاً واخيراً هي الدفاع عن الوطن ضد كل معتد عليه وطامع فيه وفي خيراته .. وسلح الجيش بمختلف انواع الأسلحة الحديثة .. ودربه تدريباً عسكرياً عصرياً ، يتلاءم مع متطلبات القتال الحديث مع العدو ..

الاغداق على الضباط

ومما زاد في ضعف بعض الجيوش العربية هو انه كي يستولي مسؤولون في بلاد عربية على قلوب جيوش بلادهم وضباطها اخذوا يغدقون على هؤلاء الضباط الرواتب العالية ، والمزايا الخاصة ، والامتيازات الكثيرة ، والعطايا السخية .. فأثرى كثيرون ، وملك بعضهم الملايين من الدولارات في بلد فقير كالاردن مثلاً ! .. واصبح الضباط في بلاد عربية ، طبقة ممتازة ، تسكن الفيلات الواسعة ، وتقتني الاثاث والسيارات الفاخرة ، يخدمها في بيوتها خدم عديدون من افراد الجيش وابناء الشعب . وطبيعي انه متى اثرت طبقة من موظفي الدولة ، سواء اكانت من المدنيين ام العسكريين ، على حساب الدولة او من مالها ، فانها تصبح غير صالحة للعمل ، بل مضرة له ، والضابط الذي اصبح « ثرياً جديداً » — نوفوريش ، ويمكن تعريبها بكلمة نفروش — او الذي لم يثقف ثقافة وطنية حقة ، لا يستطيع ان يترك نعيم الحياة الذي ناله من وظيفته ويدخل غمار الحرب ، ولذلك لما وجد نفسه امامها فرّ وعاد الى حياته الناعمة .. وقد

رأينا ان اكثر من فر في حرب حزيران ، هرباً من القتال ، هم كبار الضباط والضباط ، وان من صمد وحارب هم من الجنود وصغار الضباط وصف الضباط ! .. فالنفاريش — الاثرياء الجدد — لايصلحون لعمل جدي.. وسياسة شراء الجيش ، عن طريق ضباطه ، سياسة خاطئة ضارة ، تفقد الجيش مزاياه وتبعده عن الأهداف الحقيقية التي من اجلها توجد الجيوش في الدول الراقية ، وهي الدفاع عن الوطن ، والمحافظة على كيان الأمة من الاعتداء.. واستعادة ما اغتصبه الاعداء من اراضيها ..

بالاضافة الى هذا العامل الذي افسد الجيوش العربية واضعفها ، يوجد عامل آخر ، زاد في ضعف الجيش في الاردن وسوريا ، وهو عامل استمرار فصل بعض الضباط من الجيش الاردني والسوري ، للشك في ولائهم للعرش في الاردن ، وللحزب في سوريا .. وكان في سوريا ايام حرب حزيران (يونيو) عدد من الطائرات اكثر من عدد الطيارين ، بينما كان في السجون طيارون سوريون قادرون ، زجوا فيها للشك في ولائهم لمن في الحكم ، فحرم الوطن من قدرتهم على الدفاع وبلاءهم فيه ، لو انهم اعطوا الفرصة لذلك .

التدريب العسكري

وبما أن النظرة الى بعض الجيوش العربية لدى بعض المسؤولين هي كما ذكرنا ، فان تلك الجيوش لم تدرب تدريباً عسكرياً يتلاءم مع طبيعة الحروب الحديثة ، بل كان تدريبها تدريباً يتلاءم مع حرب الخنادق والتحصينات ، او مع متطلبات الحراسة والدفاع عن امور معينة . ولما واجهت هذه الجيوش حرباً حديثة سريعة متنقلة لم تقو على الصمود وبدا الانسحاب او الهرب من الميدان مخرجاً لها من هذه المواجهة .

ثم ان التدريب العسكري في البلاد العربية باعد ما بين الضباط والجنود . فلم تكن بينهم « روح الاخوة في السلاح » بل سادتهم روح السيد والمسود ! .. وكان في كل بيت ضابط عدد من الجنود يعملون خدماً ويقومون بأعمال لا ينبغي للجنود ان يقوموا بها .. وتلك الأعمال تفقد الجندي روح الجندية ، روح القتال والاستماتة في الدفاع عن الوطن .

ثم ان الضباط كانوا لا يعرفون جنودهم ، ولا يجتمعون بهم في حياتهم اليومية ، ولا يشعرون بأنهم جميعاً القوة الرادعة للاعداء عن الاعتداء على الوطن ، والجيش المعد لاستعادة ما سلب من اراض .

وهذه الروح ، التي كانت سائدة في صفوف الضباط ، ادت بكثيرين منهم الى الهرب من الميدان ، تاركين جنودهم لا يعرفون ماذا يفعلون ، مما ادى الى انسحاب الكثيرين منهم دون نظام ، او الهرب وخلع ملابسهم العسكرية ، ليظهر ما كان معداً تحتها من ثياب مدنية ! .. وفي سيناء تاه الجند المنسحبون من غير قادة ، ومات الوف منهم عطشاً وجوعاً وبفعل ضربات الشمس المحرقة .. ..

اما التربية العسكرية في البلاد العربية فكان شأنها شأن التربية في المدارس والجامعات المدنية ، لا تنمي روح المبادرة في العمل ولا روح الابتكار ، او التصرف الذاتي تجاه ما تتطلبه الظروف المفاجئة . سئل ضابط اردني مسؤول : ماذا تفعل في حالة كذا وكذا ، فأجاب اعمل بما يأمرنا به سيدنا ! .. وقيل لضابط مصري لماذا لم تقم بكذا وكذا عندما جابهت كذا وكذا ، فأجاب لم اتلق التعليمات بذلك ، ثم ان ما تفترض انه كان علي القيام به غير موجود في الكتاب (اي الكتاب العسكري) ! ..

فالجيوش العربية جميعاً بحاجة الى تغيير كلي في اصول تربيتها وتثقيفها وتدريبها .. والى ايجاد روح الاخوة في السلاح بين مختلف رجال صفوفها وروح الانضباط (دسبلين) .. وبحاجة ايضاً الى تسليحها بالاسلحة الحديثة وتعليمها استعمالها على احسن وجه واتقانها له . .

على انه من الحق ان نذكر مع التقدير ، ان المسؤولين في مصر ، قد قاموا ، بعد حرب حزيران (يونيو) باعداد الجيش المصري اعداداً حديثاً ، من حيث التدريب على الحروب الحديثة واستعمال أحدث الاسلحة ، ومن حيث خلق الروح الوطنية فيهم والشجاعة في القتال ..

٢ — الاسباب السياسية :

ان الاسباب السياسية متنوعة ايضاً ، وتبدو غريبة مستهجنة . وسأكتفي بذكر بعضها :

السياسة والحرب

ان الدول العربية جميعاً ، دون استثناء ، لم تقرر القيام بحرب مع اسرائيل ، لازالة الصهيونية واخطارها عن البلاد العربية ، ولاعادة الفلسطينيين الى وطنهم

وممارسة حقوقهم فيه .. وكانت الدول العربية تريد اجراء تسوية سلمية مع اسرائيل ، بعضها يريدها على اساس قرار التقسيم ، والبعض الآخر يذهب في التساهل ويقبل ان تكون على اساس الامر الواقع الذي كان قائماً في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . هذه حقائق مرة أليمة ولكنها واقعية ..

ولم يكن الزعماء العرب يجرؤون على مفاتحة الامة بما كانوا يقررونه في نفوسهم ، بل كانوا دائماً ، في خطبهم وتصاريحهم ومؤتمراتهم الصحافية يؤكدون ان هدفهم هو محاربة العدو وتأمين حقوق اهل فلسطين في وطنهم المسلوب .. ولم يجرؤوا ان يصارحوا الشعب ، بحقيقة ما يعتقده الزعماء العرب ، الا فخامة الرئيس حبيب بورقيبه ، حينما صرح ، في اثناء زيارته للشرق الادنى سنة ١٩٦٥ ، بأن على العرب اجراء مفاوضات مع اسرائيل وتفاهم على اساس قرار التقسيم وقرارات الامم المتحدة المتعلقة بحقوق اهل فلسطين .. فثار عليه الرأي العام العربي ، وتنكر له الزعماء الذين يوافقون على ما قاله .

ان عقلية المسؤولين في البلاد العربية التي لا تريد الحرب مع اسرائيل ، ولا تفكر في تخليص الوطن العربي المغتصب ، هي التي جعلت حكومات تلك البلاد تقرر ان القضية الفلسطينية هي قضية الفلسطينيين ، وأن عليهم العمل لتخليص بلادهم ، وأن البلاد العربية من ورائهم تساعدهم في ذلك بالمال والسلاح والاعلام .. ! وبذلك ارادت تلك الحكومات الانسحاب من الصف الاول المتعلق بالقضية الفلسطينية والتخلص من المجابهة مع اسرائيل .. وهي في ذلك تتجاهل أن اسرائيل لا تتركها وشأنها ، لأن اهداف الصهيونية ليست فلسطين وحدها بـل اقساماً كثيرة من البلاد العربية ، كررنا ذكرهـا في فصول هذا الكتاب ، والاستيلاء عـلى خيرات البلاد العربية وثرواتها كلها .

واذا ظن مسؤولون في الاردن انهم بمهادنة اسرائيل او اجراء صلح معها ، يأمنون شرها واعتداءاتها ، فقد اثبتت حرب حزيران (يونيو) خطأ ظنهم . فاسرائيل لا تضمر للاردن خيراً ، لا لملكه ولا لجيشه ولا لسكانه . لقد احتلت الضفة الغربية بما فيها القدس الشريف ، وهي تتربص الفرصة السانحة لاحتلال الضفة الشرقية كلها ، وازالة الاردن من الوجود .. كذلك لا تريد اسرائيل خيراً لمصر ولا لسوريا ولا للبنان ، ولا لأي بلد عربي آخر ..

تفكير خاطىء وحرب اليمن

صرح مسؤولون في بلاد عربية ، انه قبل مجابهة اسرائيل ، ينبغي العمل اولاً لتوحيد النظم في البلاد العربية ! واتخذوا شعاراً لذلك « وحدة الهدف قبل وحدة الصف » . واخذوا يعملون لتنفيذ هذا التفكير الخاطىء بوسائل متعددة ، ليست صفحات هذا الكتاب موضع بحثها .. ولقد كان لهذا التفكير اسوأ النتائج ، لأنه اولاً ليس في الامكان عملياً تطبيقه ، ولأنه ثانياً لم يحقق الغاية منه في البلاد العربية ، التي تشابهت فيها نظم الحكم ، بل اصبح الخلاف فيما بينها اشد من الخلاف السابق الذي كان قائماً عندما كانت نظم الحكم فيها مختلفة ! ..

ومن ثمار التفكير في توحيد نظم الحكم في البلاد العربية كانت حرب اليمن .. تلك الحرب التي ابتدأت في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٢ ، وانتهت بالاتفاق والتفاهم الذي تم بين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك فيصل ، في مؤتمر الخرطوم ، الذي عقد في ٢٩ آب (اغسطس) واستمر الى اول ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧.. تلك الحرب التي ذهب ضحيتها ما يزيد عن مئة الف عربي من ابناء الامة العربية في مصر واليمن .. ولو ان المسؤولين في البلاد العربية كانوا على استعداد لتضحية اقل من هذا العدد ، في مجابهة اسرائيل لاسترداد البلاد العربية المغتصبة ، لما استمر ذلك الاغتصاب ..

ومن المهم الاشارة اليه أن السياسة الامريكية لعبت دوراً كبيراً في حرب اليمن ، اذ ان الحكومة الامريكية لم تعارض في ذهاب القوات المصرية الى اليمن لتحارب بجانب الثورة ضد الملكيين . ويمكن القول إنه ليس من حق الحكومة الامريكية التدخل او المعارضة ، ولكن التاريخ يعلمنا والوقائع تثبت لنا ان الحكومة الامريكية تتدخل عملياً في مثل هذه الحالات كلما وجدت ان مصلحتها تتطلب ذلك . وكانت المصلحة الامريكية ، في حرب اليمن ، مع اذكاء نيرانها ، واطالة مدتها ! .. فلمَ ذلك ؟

تعرف الحكومة الامريكية ان القوات المصرية هي وحدها ، بين القوات العربية ، التي يمكن ان تكوّن خطراً على اسرائيل .. وهدف الحكومة الامريكية ، كما هو هدف اسرائيل ، اضعاف القوات المصرية ... ورأت الحكومة الامريكية في اشتراك القوات المصرية في حرب اليمن إضعافاً لها ، اذ ان اليمن بلادٌ من يدخل الحرب فيها لا يستطيع الخروج منها سالماً .. وكي تدعم الحكومة الامريكية الحرب في اليمن اعترفت بحكومة الجمهورية فيها ، وقطعت علاقاتها بالحكومة الملكية .. وفي الوقت نفسه اخذت تؤيد

الحكومة السعودية في مدها الملكيين في اليمن بالمال والسلاح ، وقامت بتزويدها به ! .. كل ذلك لتطيل في مدة الحرب في اليمن لتضعف القوات العربية ، وتوسع الخلافات بين البلاد العربية ، الامر الذي يؤدي الى سلامة اسرائيل ، من جهة ، والى إعطائها الفرصة لضرب البلاد العربية وهي في خلاف وفي وضع ضعيف ، من جهة ثانية ..

لقد اجتمعت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٢ بالمستر دين راسك وزير الخارجية الامريكية اكثر من ساعة . ودار الحديث عن خطر اسرائيل على البلاد العربية ، وعن الحرب في اليمن .. فلمست بوضوح ان السياسة الامريكية لا تعارض الحرب في اليمن ابداً .. قال لي : ان للاردن اصدقاء لا يسمحون بالاعتداء عليه . ولما اعتدت اسرائيل على الاردن واحتلت القدس والضفة الغربية ، القسم المهم من الاردن، لم تحرك الحكومة الامريكية ساكناً ، بل ايدت ما قامت به اسرائيل ، ومانعت في اعادة القدس واجزاء مهمة من الضفة الغربية الى الاردن ! . لا شك ان المستر راسك كان يعني بقوله ذلك ان الحكومة الامريكية لا تسمح لدولة عربية بأن تعتدي على الاردن ، اما اسرائيل فمسموح لها بأن تعتدي على اي بلد عربي شاءت ، وان تتوسع فيه الى المدى الذي تريد !..

الخلافات العربية

فالسياسة التي اتبعها بعض الدول العربية فيما بينها ، لم تأت بما كان مخططاً لها ، وانما اتت بعكس ذلك . اذ اخذت الدول العربية لا يثق بعضها ببعض ، ودب الخلاف فيما بينها بصورة ظاهرة علنية .. واخذت اذاعات كل بلد وصحفه تذم حكام بلاد عربية اخرى ، وتقدح بهم وتنعتهم بنعوت ما كان يجوز ان تصدر ابداً ، وكذلك فعل المسؤولون . هذه الخلافات كانت السبب الرئيسي في ان اصبحت البلاد العربية متفرقة ضعيفة ، وجعلت المسؤولين عاجزين عن جمع صفوفهم والعمل معاً باخلاص حتى في اشد الايام ظلاماً في تاريخ الامة العربية ، كأيام الحرب التي شنتها اسرائيل في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ..

فالخلافات العربية ادت بدول عربية الى عدم التفكير في الحرب مع اسرائيل .. والى تكوين قوتها العسكرية بصورة تتلاءم مع سياستها المحلية والعربية ، ولذا كان معظم القوات العربية قوات بوليسية ، معدة لحرب اولية مع قوات عربية اخرى !.. وهذا الوضع ناجم عن ضعف كبير في الوطنية القومية العربية ..

وعلاوة على الخلافات بين الدول العربية ، نشأت خلافات داخلية في كثير من

البلاد العربية ، سببها الصراع على الحكم ، ادت الى حدوث انقلابات فيها .. وهذه الاوضاع ادت بمسؤولين في بلاد عربية الى اهمال العناية بالجيش وترك العمل لتقويته ، بل عمدوا الى عملية الفصد بين حين وآخر ، وذلك باقصاء ضباط عن الجيش وزجهم في السجون ، للشك في ولائهم لمن هم في الحكم !.. وهكذا ، بدلاً من ان تقوي دول عربية قواتها العسكرية ، عمدت الى اضعافها ..

فالاسباب السياسية المتنوعة ، التي ذكرت بعضها ، هي التي حالت دون إعداد الدول العربية قوات عسكرية حديثة ، متمكنة من الحروب العصرية السريعة المتنقلة ، قادرة على مجابهة اسرائيل .. وحالت ايضاً ، خلال العشرين سنة الفائتة ، دون الدول العربية ، والعمل معاً عملاً عسكرياً مشتركاً لمواجهة العدو الذي يريد بها جميعاً شراً .. في حين ان اسرائيل كانت تعمل ، خلال تلك المدة ، بكل ما لديها من قوة ، عمل رجل واحد ، للنهوض في مختلف الميادين وخصوصاً في الميدان العسكري ، الذي كرست له عصارة تفكير رجالاتها ، وجندت فيه جميع ابنائها .. فأصبحت قوة بالنسبة الى الضعف العربي ..

وهكذا ، حين باغتت اسرائيل الدول العربية في هجومها صباح ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لم تكن الدول العربية ، للاسباب التي ذكرت وسواها ، في وضع عسكري وسياسي يمكنها من محاربة اسرائيل ، فوقفت موقف الدفاع .. ولهذه الاسباب ايضاً انسحبت القوات العربية ، او فرت ، لدى اول اشتباك مع القوات الاسرائيلية ، او لدى احتمال الاشتباك معها !.. والجيوش التي لا تعد لمحاربة العدو المغتصب لا تحارب ..

تصحيح في السياسة

في المصائب احياناً عبر ودروس .. والامة الحية هي التي تستفيد من تلك العبر والدروس . والقادة المخلصون هم الذين يتطورون ويعدلون خططهم لما فيه مصلحة الوطن والامة ..

ويسرني ان اذكر ان القيادة في مصر غيرت سياستها بعد كارثة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، في تعاملها مع الدول العربية . فبعد ان كانت تخاطب الشعوب العربية من فوق رؤوس الدول والحكام ، اخذت تتعامل مع الدول والحكام مباشرة ولا تتدخل في شؤونهم في بلادهم .. ونادت بوحدة الصف اولاً ، وان لكل دولة النظام الذي تريد . فكان ذلك عهداً جديداً في التعامل بين الدول العربية ، رجا منه كل مخلص اعادة الثقة

بين الحكام ، والعمل معاً في سبيل خير الامة العربية . واهم امر يسير بالامة العربية الى خيرها هو توحيد الصفوف تجاه العدو الذي لا يريد لأحد من الامة العربية خيراً ، والقيام بعمل مشترك يصد عدوانه ، ويعيد الاوطان المسلوبة ، وحقوق اهلها فيها .. ولكن الذي يبدو ، حتى كتابة هذه السطور ، ان النزعات الفردية والمصالح الشخصية ، لدى عدد من الحكام ، تحول دون ايجاد العمل العربي المشترك ، الذي يؤمن وحدة مستقبل الامة العربية ويحفظ كرامتها وحقوقها في اوطانها .. والامة وحدها هي التي تدوم ، والرجال ، مهما طالت اعمارهم ، يفارقونها ، ولا يبقى منهم غير ما قدموا من اعمال ، وغير الذكريات على مختلف انواعها ..

وابناء الامة العربية ، في مختلف اقطارهم ، يودون من حكامهم ان يزيلوا ما بينهم من خلاف ، وان يعملوا معاً لانقاذ الامة العربية ، التي هي على شفا الهاوية القاتلة . وعظمتهم وبقاؤهم هما في عظمة الامة العربية وبقائها سليمة قوية عزيزة .. وتقوية الوطنية العربية ، او القومية العربية ، تقوية لكل اقليم من اقاليم البلاد العربية ، وزعمائها. وعليه ينبغي أن تكون الوطنية الاقليمية متمشية مع الوطنية القومية العربية ، لا معارضة لها او منافسة .. والعمل المشترك فيما بين الدول العربية ضد العدو هو السلاح المتين المؤمن لمستقبل باهر .. وفي الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر ، ذكرت المراد من العمل العربي المشترك الذي اعتقد ان تحقيقه ينقذ الأمة مما تعانيه من ضعف فيها واهانة لها واستخفاف بها ، ويضعها في مصاف الدول الكبرى العزيزة الجانب في العالم ..

مواقف

كانت اوضاع الجيوش العربية في حرب حزيران (يونيو) مخزية لكل عربي او صديق للعرب ، وكأن الجيوش العربية ليست سليلة أجدادنا البواسل الذين ادهشوا العالم بشدة بأسهم واستماتتهم في حروبهم ، والذين ملأوا صفحات التاريخ بما يثير الاعجاب والتقدير .

رحم الله القائد العربي الذي ارسل الى خصمه في جبهة القتال ، ايام الفتوح ، يطلب منه ان يستسلم اذ انه من الاكيد ان نتيجة الحرب انهزام جيشه ، لأنه سيحاربه برجال يطلبون الموت بقدر ما يطلب رجال الآخر الحياة ! . لم يستسلم الخصم . فدفع القائد العربي برجاله الذين يطلبون الموت ، ودارت معركة حامية الوطيس ، خرج منها طلاب الموت احياء ، وطلاب الحياة امواتاً ! ..

لقد انقلب دور العرب في حربهم مع اسرائيل . هُزمت الجيوش العربية هزيمة نكراء ، لان رجالها طلاب حياة ومتعة .. وانتصر الاسرائيليون لانه لا حياة لهم في البلاد التي اغتصبوها من غير انتصار .. ومن اراد الانتصار ناله ..

ورحم الله طارق بن زياد وجيشه . لقد وقف طارق خطيباً في جيشه ، على سفح جبل ، قبل الهجوم على جيش القوط لفتح اسبانيا ، قائلاً : ايها الناس العدو من امامكم والبحر من ورائكم ، والله ، لا ينجينكم من الموت الا القتال والنصر . فأجابه جيشه بصوت واحد : نحن من ورائك يا طارق . فهجم وهجموا ! وانتصروا وكتبت لهم الحياة ، وحققوا الفتح ..

انني ارى مواقف اجدادنا البطولية العظيمة .. وارى مواقف بعض قادتنا المخزية في حرب حزيران .

أرى ذلك الجنرال الأردني المسؤول في القدس واقفاً قرب سيارات كبيرة ، صباح يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ، قبل بدء القتال ، يحمل عفشه وعنزاته ليفر بها الى بيته في الضفة الشرقية من الاردن ، تاركاً ما عليه من مسؤوليات وواجبات في اشد الساعات حراجة في مصير الوطن ! ..

وأرى اولئك الضباط الاردنيين المسؤولين في الضفة الغربية ، ينسحبون من مراكزهم ، دون ان يشتبكوا مع العدو في قتال ... وكي يغطوا مسؤوليتهم ، أعلموا قائد القوات في الضفة الشرقية ، ان قوتهم قد ضُربت ووقعت فيها خسائر كبيرة ، وأنها ان بقيت في مواقعها ابيدت ، طالبين منه التعليمات ! ، وهم يعرفون ان التعليمات هي بالانسحاب ، بناء على الوقائع الوهمية التي ارسلوها اليه ! ..

وأرى تلك المدرعات المصرية الحديثة القوية في « متيلا » ، التي انزعج القائد الاسرائيلي حين رآها ، فأمر حالاً باطلاق نيران دباباته عليها ، وبعد وقت رأى تلك الدبابات لا تجيب على النيران بنيرانها القوية ، رآها خرساء لا حراك فيها ! .. فعجب من ذلك ، واوقف ضربها بالنيران ، وتقدم نحوها ، فكان عجبه اشد حينما وجدها خالية من رجالها ! .. ووجد على بعد منها قائدها ورجالها مختبئين ! ..

وأرى ... وأرى ..

وقصارى القول ان الدول العربية لم تحارب في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لأن

الجيوش العربية لم تكن في وضع يمكنها من محاربة اسرائيل، لتفوق القوات الاسرائيلية على القوات العربية تقنياً ونضالياً .. ولأن الدول العربية اضعفت جيوشها بتربيتها على اسس غير اسس الدفاع عن الوطن .. ولاشتغالها في حروب جانبية .. ولتنشئة الضباط على الرفاهية لكسب قلوبهم ونيل ولائهم .. ولفصل الضباط مراراً للشك في ولائهم .. ومتى دخلت السياسة صفوف الجيش اصبح غير صالح للدفاع عن الوطن، المهمة الرئيسية لوجوده ..

ومع هذه الحالات تظل اسرائيل في وضع انتصار، على انه ان انتقل العرب من تلك الحالات، الى وضع نضال وقتال بكل ارادة وعزيمة، فان نتيجة القتال الحتمية هي واحدة: الانتصار العربي الحاسم، مهما طالت مدة القتال، ومهما وقع فيه من نكسات وخسائر.

٣ ـ الاسباب الاجتماعية والاخلاقية

يرى كثير من المفكرين ان اسباب التأخر العربي، وفقدان الروح القتالية عند العرب، ترجع الى النواحي التربوية والاجتماعية والخلقية في المجتمع العربي. وأذكر عدداً من هذه الأسباب، المتداخلة هي ايضاً بعضها في بعض، اضيفها الى الاسباب العسكرية والسياسية التي ذكرت.

التربية والتعليم

مما لا ريب فيه ان نوع التربية والتعليم، في اي بلد، عاملٌ مهم في تقدمه او تأخره. ويرى كثيرون ان الطريقة المتبعة في التعليم في البلاد العربية، لم تمكنها من التقدم الذي تتطلبه الحياة في عصرنا الحاضر .. وقد كتب كثيرون في هذا الموضوع. واول كتاب صدر بذلك، اثر النكبة الثانية، كتاب «معنى النكبة مجدداً» للدكتور قسطنطين زريق، دعا فيه الى التقدم العلمي والى النضال، والى خلق مجتمع عربي جديد ..

والتربية والتعليم في مدارس البلاد العربية وجامعاتها لا يكوّنان، كما ينبغي، نشأً جديداً يصبح عنصر تغيير في الاوضاع العربية المختلفة لتسير مع الاوضاع في البلاد المتقدمة. وذلك لان مدارسنا وجامعاتنا لا تكوّن، بعد، الذهنية العلمية الحديثة في الطالب العربي، الذي عليه يتوقف تغيير المجتمع العربي من مجتمع متخلف الى مجتمع متقدم.

فالتعليم، في اكثر مدارسنا وجامعاتنا، لا يزال يتبع الاساليب القديمة البالية، والمعلم او الاستاذ همه ان يلقن طلابه مواد يحفظونها، ويضعونها على الورق حين الامتحانات، ليجتازوا الصف او ينالوا الشهادة، ولا يتعب نفسه في حمل الطلاب على البحث والجلد فيه، والتفكير والتحليل والنقد والابتكار. وهي الغاية الصحيحة من التعليم، التي دون الوصول اليها لا يتغير المجتمع ولا يتقدم .. وذلك النوع من التعليم يعيد الطلاب، بعد تخرجهم، الى الامية الفكرية، لانهم ينسون ما حفظوا من مواد، ولا يقدرون على التفكير تفكيراً علمياً منتجاً خلاقاً.

قضيت في القاهرة سنة ١٩٤١ ثلاثة اشهر، اجتمعت بعدد من رجال السياسة والفكر والتعليم، وكنت حينذاك مفتشاً عاماً للأوقاف والمدارس الاسلامية في فلسطين .. وذات يوم كنت في مكتب الاستاذ اسماعيل حسنين، في جامعة الازهر. تحدثنا عن الازهر وما قدمه للعالم العربي والاسلامي، وقلت ان نظام التعليم فيه وطريقة عيش الطلاب ينبغي ان يتغيرا، ليخرج الازهر من القرون الوسطى الى القرن العشرين، وليستطيع ان يقدم فوائد صحيحة للعالمين العربي والاسلامي .. وفي اثناء الحديث ذكر الاستاذ اسماعيل حسنين طرائف محزنة عن معرفة رجال الازهر بالعالم الذي نعيش فيه، وعن ذهنيتهم التي لا تتمشى مطلقاً مع عصرنا، منها:

كان الملك فؤاد يدعو رجال العلم والعلماء خلال شهر رمضان لتناول الافطار على مائدته. وذات مساء، والمدعوون جالسين في الصالة يتناولون القهوة، سأل الملك فؤاد العلماء عن رأيهم في الشمس ومقدار حجمها. فأجاب عالم، من كبار علماء الازهر ومشاهيرهم، وهو ينظر الى صينية نحاسية مستديرة قطرها نحو ثلاثة ارباع المتر، موجهاً كلامه الى الملك:

ان الشمس في السماء مستديرة وحجمها كحجم هذه الصينية، ولونها بين اللون النحاسي والفضي، والله اعلم ..

قلت للاستاذ اسماعيل حسنين ان الله اعلم العالمين، ولكن الا ترى معي ان طلاب الصف السادس الابتدائي اعلم من هذا العالم الشهير في امور عالمنا ؟!. الا ترى معي ان هذا العالم الشهير من الاميين في الفكر العديدين على الرغم مما يحفظ، عن ظهر قلب، من القرآن الكريم، والاحاديث الشريفة، دون امعان فكر ؟ ..

ولو ان الاميين في الفكر تدربوا على البحث العلمي، خلال دراستهم، في المواضيع

الكلامية والنظرية ، كما هو في المواضيع العلمية والرياضية ، لأصبحوا متعلمين ومنتجين مفيدين في مجتمعهم ..

ثم ان معاهد الدراسة في بلادنا ، على مختلف درجاتها ، لا تعنى بالعلوم والتقنية كثيراً ، وانما عنايتها الكبيرة هي بالمواضيع الكلامية والنظرية ، وهي في الوقت نفسه لا تدرس هذه المواضيع بحسب الطرق الحديثة ، التي تولد في الطالب حب البحث والتفكير والدقة والجلد والانتاج بحسب المفاهيم العصرية .. والامة العربية في حاجة الى ان تعنى معاهدها عناية كافية بالعلوم على مختلف انواعها ، التي هي اساس تقدم الامم . وفي الوقت نفسه تكوّن في الطلاب ، مهما كانت مواضيع دراستهم ، الدقة في التفكير وحسن التصرف تجاه المشاكل التي يواجهها الانسان في الحياة ، والابتكار بالخروج منها على احسن وجه ..

الاتقان والابتكار

وطريقة التربية والتعليم في البلاد العربية ادت الى السطحية في التفكير والاعمال ، والى فقدان الاتقان فيها ، والى الفوضى في مختلف التصرفات . ولا تستطيع بلاد ان تتقدم وفي ابنائها مثل هذه الذهنية . والاتقان في الاعمال هو اساس النجاح والتقدم لدى الافراد والامم ..

كنت سفيراً في الصين واليابان ، وقد وقفت على كثير من الصفات القوية لدى ابناء هاتين الامتين ، اللتين تؤلفان العرق الاصفر ، وانني لمعجب به كل الاعجاب ..

وذات يوم كنت اتحدث مع زملائي من موظفي السفارة عن الشرق الاقصى وما فيه من حضارة عريقة .. واذا بأحدهم يقول لي :

ما أغبى الصينيين واليابانيين وما اقل ذكاءهم . انك تحاول ان تُفهم احدهم أمراً فلا يفهمه الا بعد ان تعيده عليه مراراً ! ..

ابتسمت وقلت لمحدثي الشاب ، ان ما تظنه غباوة وقلة ذكاء عند الصينين واليابانيين ، وما تعتقده نقصاً فيهم لهو سر قوة هذه الشعوب العريقة في المدنية ومكوّن عظمتها ، وما تظنه ذكاء وسرعة خاطر وفطنة عند العرب لهو احد عوامل تأخر الامة العربية وضعفها ! .

استغرب محدثي ما قلت ، فأخذت اشرح له ما عنيت :

انك تطلب من الصيني او الياباني القيام بعمل ما وتشرح له ما تريد وكيف يقوم بانجازه . انه يصغي اليك كلياً حتى تفرغ من الحديث . ثم يجابهك بقوله : انني لم افهم كذا وكذا .. فتعيد عليه الشرح . فيصغي اليك كلياً دون ان يقاطعك . ومتى فرغت من الشرح يقول : ان قسماً من الشرح لم يكن واضحاً لي . فتعيد شرح ذلك القسم . وبعد ذلك يقول : لقد فهمت كل شيء شكراً . ويذهب لاعداد العمل ، ويعود به ، في الوقت المضروب لانجازه ، تاماً على احسن وجه ، ولا يحوجك الى إبداء اية ملاحظة.

وتطلب من العربي الذكي الفطن القيام بعمل ما . وتأخذ تشرح له ما تريد منه ان يعمل . وبينما انت في ذلك يقاطعك باصرار قائلاً : لقد فهمت كل شيء واعرف ماذا تريد . فتظن انه قد فهم حقاً وتتركه يذهب للقيام بالعمل . ثم يأتيك بما عمل فتجده شيئاً بعيداً عما طلبت منه ! فتشرح له من جديد ما تريد ، فيقاطعك هذه المرة ايضاً مؤكداً انه فهم ما تريد ! . يذهب للقيام بالعمل ، ويعود به فاذا هو غير كامل ، وما انجزه منه مملوء بالاخطاء . تحاول افهامه ما تريد وقبل ان تتم ذلك يسكتك مصراً على انه فهم هذه المرة ! . يذهب ، ويعود فاذا ما انجز ليس ما كنت تريد تماماً ، وفيه اخطاء كثيرة .. فتيأس وتكف عن الشرح لانه من الافضل لك وللعمل ان تقوم انت به ..

ومعظم الناس في الامة العربية من هذا القبيل ! .. ولذا لا تجد فيما يعملون وينتجون اتقاناً .. قل ان تجد موظفاً يشعر بالمسؤولية .. وقل ان تجد صانعاً يحسن عمله .. او سياسياً يخلص لواجبه .. والذكاء في أكثر أبناء الامة العربية هو ما اسميه « ذكاء العصافير » . يحسن العصفور الغناء ويسر سامعه .. ويتنقّل من غصن الى غصن بخفة رائعة وحركات ظريفة .. ويرى المصيدة التي تنتظره فيلقي بنفسه عليها لالتقاط ما فيها .. او يرى الصياد قريباً من الشجرة والبندقية في يده فيظل واقفاً على الغصن يغني او يتفلى تحت اشعة الشمس ..

وما نظنه ذكاء وفطنة وسرعة خاطر عند الكثيرين من العرب ، ما هو الا خفة مقرونة بالاعتداد بالنفس الى اقصى حد ، وهي من اهم عوامل تأخر ابناء هذه الامة .. وهذا النوع من الذكاء لا يؤدي الى اتقان عمل مهما كان بسيطاً ، ولا تقدم من غير اتقان ، ومن لا يتقن لا يبتكر ..

اما الذكاء الهادىء الرصين فنسبته قليلة بين ابناء الامة العربية ، ويرجع كلا الامرين الى نوع التربية والتعليم والتنشئة في المجتمع العربي . وبعبارة اخرى ان الذكاء الذي هو

خفة ليس من طبيعة العربي وانما هو مكتسب من المحيط والمجتمع .. والمدارس والجامعات تستطيع ان تعدل ذلك وتصححه ، ان توفر لديها المعلمون والاساتذة القديرون على ذلك ، وعددهم آخذ في الازدياد ، وهم لواصلون بعد سنين .

وعلى ذكر الجنس الاصفر ارى ان بلادنا العربية لا تعرف الا القليل السطحي عن اوضاع بلاد اليابان والصين ، واعتقد اننا بحاجة الى درس الطرق ، التي سار عليها ذانك البلدان فوصلا الى ما وصلا اليه من تقدم وتقنية بسرعة فائقة ، بعد ان كانا متخلفين .. اننا في البلاد العربية نتجه نحو البلاد الغربية ، لذلك عرفنا عنها وعن مدنها وشعوبها اكثر مما نعرف عن البلاد العربية ذاتها ! . والغرب بلاد تقدمت منذ قرون ، اما تقدم الشرق الاقصى فحديث . ومن التقدم الحديث نستطيع ان نتعلم ونستفيد اكثر من التقدم القديم .. ولهذا ادعو الى ان يتجه الكثيرون من رجال الفكر والاقتصاد الى زيارة بلاد الشرق الاقصى المتقدمة للاطلاع والدراسة والاستفادة من النهضة العجيبة التي قامت فيها ونقلتها ، في سنين معدودة ، من بلاد متأخرة الى بلاد متقدمة ..

الرجال والأخلاق

ومجتمعنا العربي ، فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، قل ان كوّن رجالاً اقوياء كفاة امناء مخلصين لعملهم ولوطنهم ، يشعرون بالمسؤولية ، ويقومون بها على احسن وجه .. وما لدى الامة العربية من هذا النوع من الرجال قلة ، والقلة لا تكون اساساً للحكم العام ..

ويحز في النفس ان نرى همّ الاكثرية من الرجال في البلاد العربية المصلحة الذاتية ، المتضاربة مع مصلحة الوطن والامة .. والمصلحة الذاتية جعلت الرجال لا يكترثون بالمسؤولية ولا يشعرون بها ، فكانت اعمالهم ، في مختلف ميادينها من اقتصادية وعسكرية وسياسية ، غير بناءة وانما ضارة بالوطن وبمستقبل الامة .. وكان من نتيجة ذلك انتشار الرشوة في مختلف دوائر الحكومات ، ولدى تجار واصحاب مصالح ، وعند عدد من رجال الجيش ! .. واخذ مقدار الرشوة يكبر حتى اصبح البعض لا يقبل الا بما هو فوق الخمسين ألف دولار ! .. فشلّت الاعمال واصبحت الرشوة هي القوة المحركة لها .. وفي حكومات اخرى باع المسؤولون المساعدات التي تأتي الى اللاجئين .. وتقاسموا الاموال التي ترسل للمساكين او لشراء سلاح للدفاع ضد العدو . مما ادى بحكومات عربية الى ان ترفض دفع المساعدات نقداً وانما عيناً تشتريه هي وتقدمه ..

والصفات السيئة تنادي الواحدة منها الاخرى وتتتابع .. فساد في عدد من البلاد العربية الجبن والكذب بجانب الرشوة .. وتبعها الريـــاء والخداع والغش .. وضاعت الرجولة من الرجال .. ونتيجة لهذه الاوضاع ضعفت الوطنية ، واصبح من هو وطني مخلص اكيداً ، موضع ابتسامات ساخرة من الآخرين ! ..

وهذه الصفات ، القاتلة للأمم ، انتشرت بصورة مخيفة في العشرين سنة الاخيرة ، بين طبقات كبيرة في الاوساط العربية .. وقد نبّعتْ من الشره في حب المال وجمعه بأي طريق كان .. فأثرى كثيرون ، واصبح الثراء وعيش الترف هما الهدف من الحياة عند العديدين في البلاد العربية .. وتفجر البترول في الصحارى ، فكان في بعضه سبباً للحياة الناعمة والترف وما يتبعهما من اوضاع ..

والثراء وانتشار الحياة الناعمة المصحوبة بالترف ، دخل مجتمعاً في مجموعه غير مثقف ولا وطنية عنده ، فأزال صلابة الرجال وافسد الاخلاق .. واخذ كثيرون من ابناء الشعب يسعون وراء المال لنيله بأي وسيلة كانت حتى لا يكونوا اشجاراً ناشفة في غابة خضراء ..

ان مجتمعاً فيه هذه الامراض العديدة التي ذكرت بعضها ، لا يفكر رجاله في القتال والنضال ، ولا يهمهم الدفاع عن الاوطان ، ولا استرداد ما فقدوا منها ! ..

والامراض التي نراها ونلمسها في المجتمع العربي هي ، بكلمة موجزة ، نتيجة ضعف في الاخلاق .. اما الرجال الذين هم على خلق قويم رفيع فلديهم المناعة ضد هذه الامراض ، فلا تصيبهم ، ويظلون ، مهمـــا كانت الظروف ، بعيدين عن الفساد والمفسدين .. ويمكن القول ان قانون العملة ، في عدد من البلاد العربية ، ينطبق على الرجال فيها . قانون العملة يقول : ان العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق . ونرى في مجتمعات عربية ان الرجال الفاسدين يطردون الرجال المخلصين من الاعمال والمجتمعات ! ..

وفساد الاخلاق المنتشر في مجتمعات عربية ، ليس اصيلاً في الطباع العربية ، وانما هو طـــارىء دخيل بسبب احداث وظروف .. وتقويم الاخلاق ، في مجتمعات عربية ، يتأتى عن طرق متعددة ، منها العناية بالاخـــلاق في تربية النشء وتعليمه في المدارس والجامعات ... فعلى المربين واجبات ومسؤوليات كبيرة مهمة في هذا الميدان . وعلى الحكام الصالحين لمهامهم مسؤوليات كبيرة في هذا الميدان أيضاً ، اذ في امكانهم

العمل بنجاح في تقويم الاخلاق بطرق متعددة .. ومتى ساد الخلق القويم في المجتمعات العربية ، عادت الرجولة الى الرجال ، وجرت الارادة الصارمة في دمائهم ، فيقضي ذلك على مكروبات الامراض التي ذكرنا بعضها ، في بحث اسباب الهزيمة ، فلا تعود اسرائيل تستطيع ان تتبجح بأن جيش دولة صغيرة مؤلفة من مليونين ونصف المليون قد تغلب على جيوش اربع عشرة دولة عربية فيها من الخلق مائة مليون !

ورحم الله احمد شوقي الذي قال :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا .

على ان معالجة الامراض السائدة في المجتمع العربي ، لشفائه منها ، تتطلب وقتاً طويلاً بالنسبة الى ما نجابه من اخطار . فينبغي للامة العربية ان تقوم بأعمال اخرى ، بجانب معالجة ما فيها من امراض ، لمجابهة عدو لا يريد لها بقاء ، ويعمل على احتلال اراضيها والاستيلاء على ثرواتها . وقد ذكرت الاعمال العاجلة لمقابلة الاخطار الداهمة ، في الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر .

الفصل السادس

مؤتمر الخرطوم وقرار مجلس الأمن

اثر اعتداء اسرائيل على ثلاث دول عربية يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، اهتزت الدوائر العربية في مختلف اقطارها ، وابدت آراء متعددة لمواجهة الخطر الاسرائيلي الذي يهدد العالم العربي أجمع .. وشغلت الامم المتحدة باعتداء اسرائيل الكبير ، وتضاربت آراء الدول الكبرى ، تبعاً لمواقفها ، في الاجراءات التي ينبغي اتخاذها لايقاف النزاع الاسرائيلي العربي وايجاد تسوية سلمية له ..

وأتناول هذا الموضوع تحت العناوين التالية :

١ – مؤتمر القمة العربي في الخرطوم .

٢ – مشاريع القرارات وموقف امريكا .

٣ – قرار مجلس الامن لايجاد تسوية سلمية .

— ١ —

مؤتمر القمة العربي في الخرطوم

مما لا ريب فيه ان هزيمة ثلاث دول عربية ، امام اعتداء اسرائيل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كانت كارثة عربية كبرى .. وهذه الهزيمة لم تقتصر على خسارة ثلاثة اقاليم عربية كبيرة ، بما فيها القدس حيث المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين وجامع قبة الصخرة التحفة الفنية العربية الخالدة ، وكنيسة القيامة وفيها قبر السيد المسيح

عليه السلام ، بل انزلت الكرامة العربية الى الحضيض ايضاً ، واخذ العالم وخصوصاً في الغرب ، ينظر الى العربي نظرة ازدراء واحتقار بسبب تلك الهزيمة البشعة النكراء .

واهتزت الدوائر العربية في مختلف الدول العربية من جراء المصاب ، واخذ الناس يتساءلون : ما العمل ؟ والى متى هذا الذل الذي تصبه اسرائيل ومؤيدوها من دول الاستعمار على رؤوس العرب اجمعين ؟ . واخذت الدوائر العربية تطالب بضرورة اتخاذ اجراءات سريعة وتقترح بعضها .. ونادى عدد من رؤساء الدول العربية بعقد مؤتمر قمة لمواجهة الموقف ، وتداول الامر ، واتخاذ قرارات تتلاءم مع الحالة الخطيرة. وكان الصدى بين قبول وتردد ، ودام الوضع متأرجحاً الى ان تقرر عقد مؤتمر القمة في الخرطوم ، عاصمة السودان ، فيما بين ٢٩ /٨/ ١٩٦٧/٩/١–١٩٦٧ .[1]

حضر المؤتمر ملوك ورؤساء ثماني دول عربية وممثلون عن ملك المغرب وملك ليبيا وعن رؤساء تونس والجزائر وسوريا ، كما حضره رئيس منظمة التحرير الفلسطينية.

ولدى وصول الرئيس جمال عبد الناصر الى الخرطوم ، على الرغم مما كان في بلده ، في تلك الايام ، من متاعب شديدة وازمات داخلية حادة ، قال لمستقبليه في المطار :

« .. لقد جئت اليوم الى هنا كما تعلمون تلبية لمبادرة كريمة من حكومة السودان رأت معها أن الأزمة تقتضي عقد اجتماع على مستوى القمة العربية لمحاولة حشد جهد عربي شامل لمواجهة عدو تؤيده وتؤازره قوى هائلة وضارية لا بد معها لكل الامكانات العربية من ان تتحرك لتأدية دورها في معركة المصير العربي .. » .

واعلن انه ليس هناك مكان لا يذهب اليه لاتاحة المجال امام اية محاولة « تلوح وراءها بادرة امل في ان تكون للقوة العربية فعاليتها الحقيقية المطلوبة » .. و « ان التحدي الذي تواجهه الامة العربية اكبر كثيراً من كل الرئاسات ومن كل العروش »[2] .

عقد المؤتمر .. ودار فيه نقاش حاد احياناً .. غير انه ادى الى امور ايجابية . من هذه الامور ، التي لم تدخل في بيان المؤتمر ، لانها نوقشت وحلت خارج الجلسات

---

(١) من اراد الاطلاع على تسلسل الحوادث المتعلقة بالدعوة الى مؤتمر القمة يراجع « الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٧ » الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ص ٤٠ – ٥٠ .

(٢) الاهرام في ٣٠ / ٨ / ١٩٧٠ .

الرسمية ، بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل آل سعود ، إنهاء حرب اليمن بانسحاب القوات المصرية منها ، ووقف مساعدات المملكة العربية السعودية عن اليمنيين الملكيين . وادى ذلك الى التصافي بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل..

تكلم في المؤتمر رؤساء الوفود .. وقد شرح الرئيس جمال عبد الناصر تقدير الموقف واعلن امام العرب سبيلين : هما الاستسلام او المقاومة . وانه يرفض الحلول المتضمنة استسلاماً . ودعا الى بناء القوة العسكرية العربية ، ووضع خطة مدعمة . وانه سيبقي قناة السويس مغلقة .. وابان الملك حسين ما لحق بالاردن من خسائر في المعدات والواردات والارواح .. وطلب الملك فيصل اعتبار « تقدير الموقف » الذي عرضه الرئيس جمال عبد الناصر اساساً للقرارات التي تصدر عن المؤتمر ، وأن بلاده على استعداد لتقديم العون المالي الى الجمهورية العربية المتحدة والاردن .

وقد تغيب وفد سوريا عن المؤتمر .. وذكر الرئيس جمال عبد الناصر ان سوريا ملتزمة بجميع مقررات المؤتمر ..

واعلنت مقررات المؤتمر في سبعة بنود. واصدر المؤتمر قراراً منفصلاً ذكر فيه مبالغ المساعدات المالية .

وجاء في المادة الثانية من القرارات « ضرورة تضافر جميع الجهود لازالة آثار العدوان على اساس أن الاراضي المحتلة اراض عربية يقع عبء استردادها على الدول العربية جمعاء » .

ووضعت المادة الثالثة منها المبادىء الاساسية التي تلتزم بها الدول العربية لتوحيد جهود الملوك والرؤساء في العمل السياسي على الصعيد الدولي والدبلوماسي لازالة آثار العدوان ، وتأمين انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية التي احتلتها بعد ٥ حزيران (يونيو) ، « وهي عدم الصلح مع اسرائيل او الاعتراف بها وعدم التفاوض معها ، والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه » . وهذا القرار مهم لانه بمثابة دستور قومي من اربع نقاط تطالب الدول العربية باتباعها وألاّ تحيد عنها . وتكرارها هو :

الاّ صلح ، ولا اعتراف ، ولا مفاوضة مع اسرائيل ، والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه .

ومن المهم ان نتذكر هذا الدستور القومي دائماً ، اذ انه مقياس قومي لعلاقة اي دولة من الدول العربية باسرائيل ، وبموقفها من حق الشعب الفلسطيني في وطنه .

كما ان المقررات وضعت حداً للجدل الذي كان دائراً حول ما اذا كان من المصلحة العربية استمرار وقف ضخ البترول العربي كسلاح في المعركة ، ام يستعاد الضخ وتزود به البلاد التي تشتريه ؟ ، وذلك في المادة الرابعة التي تنص على ما يلي :

« قرر المؤتمر استئناف ضخ البترول باعتباره طاقة عربية ايجابية يمكن استخدامها في خدمة الاهداف العربية ، وفي الإسهام في تمكين الدول العربية التي تعرضت للعدوان وفقدت نتيجة لذلك موارد اقتصادية ، من الصمود لازالة آثار العدوان » .

واما القرار المنفصل عن المقررات فقد ذكر المبالغ التي التزمت بدفعها كل من المملكة العربية السعودية، ودولة الكويت، ومملكة ليبيا (الجمهورية العربية الليبية) الى حين ازالة آثار العدوان وهي :

المملكة العربية السعودية	٥٠ مليون جنيه استرليني .
دولة الكويت	٥٥ مليون جنيه استرليني .
المملكة الليبية (الجمهورية العربية الليبية)	٣٠ مليون جنيه استرليني .

ووزعت هذه المبالغ على الجمهورية العربية المتحدة التي خصها منها ٩٥ مليون جنيه استرليني ، وعلى الاردن التي نالت ٤٠ مليون جنيه استرليني . وكانت هـذه المساهمات العربية عاملاً مهماً في تمكين الدولتين من الاستمرار في الصمود امام العدو ومقاومة اعتداءاته ..

وقد عكر صفو المؤتمر ثلاثة حوادث :

الاول ان وفد سوريا ، الذي كان موجوداً في الخرطوم ، لم يشترك في المؤتمر ، وان الصحافة السورية اخذت تهاجمه .

والثاني انسحاب رئيس الجمهورية اليمنية من المؤتمر بسبب الاتفاق الذي تم بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل المتعلق باليمن .

والثالث انسحاب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية من المؤتمر . وقد ذكر سبب ذلك في بيان ادلى به اثر انسحابه جاء فيه « انه لا يوافق على ما انتهى اليه المؤتمر بالنسبة الى قضية فلسطين ، ولأن المؤتمر لم يقر مقترحات المنظمة التي تقوم على مبدأ « انه لا يحق لاية دولة عربية ان تنفرد بقبول اي حل للقضية الفلسطينية » ، وانه « لا يجوز ان تقبل فيها اي حلول سياسية الا اذا اتفقت عليها الدول العربية في اجتماع كامل مسؤول تشترك فيه منظمة التحرير الفلسطينية » .

مضت ثلاث سنوات على حرب الايام الستة ، والقتال مستمر بشكل حرب استنزاف .. وتصر اسرائيل على ان اية تسوية بينها وبين البلاد العربية ينبغي ان تكون نتيجة مفاوضات مباشرة ، يتبعها صلح يقرر مستقبل المنطقة ..

هناك كثيرون من رجال السياسة والدبلوماسية في الغرب يقولون للعرب : لماذا لا تعقدون صلحاً مع اسرائيل ، تنهون به النزاع الحاضر ، ثم تنظمون اموركم وتعملون بقوة لاستعادة حقوقكم ؟ ! .

يبدو ، لمن لا يعلم حقيقة واقع العلاقات الاسرائيلية العربية ، ان في هذا القول شيئاً معقولاً . غير ان من يعرف حقائق الامور يفهم لماذا يرفض العرب ، رفضاً باتاً ، الصلح مع اسرائيل ، والاعتراف بها ، والتفاوض معها . وأذكر بعض تلك الحقائق في النقاط التالية :

١ – قامت اسرائيل سنة ١٩٤٨ على قسم من فلسطين العربية بطريقة غير شرعية .. وتوسعت بعد ذلك .. وهي في فلسطين وسيناء والجولان محتلة مغتصبة .. وتريد اسرائيل ، بقوة الحديد والنار وبالارهاب ، حمل العرب على اجراء صلح معها ، يعطيها الوثيقة الشرعية التي تفتقر اليها ، لتقنين وجودها في بلاد عربية وكيانها فيها ، وجعل ما اغتصبته بالقوة حقاً لها شرعياً معترفاً به من العرب ! .. ولوأن العرب اجروا صلحاً مع اسرائيل لخسروا كل شيء حتى حق مطالبتها بما يطالبون به ويقاتلون من اجله .. فطبيعي ان يرفض العرب اجراء صلح مع عدوهم المغتصب رفضاً باتاً لا عدول عنه .

٢ – وما يقال عن الصلح مع اسرائيل يقال عن الاعتراف بها .. ولا صلح دون اعتراف .. والاعتراف بها دولة شرعية يزيل ما للعرب من حق في المطالبة بالبلاد التي يعترفون بشرعية وجود اسرائيل فيها ..

٣ – وكيف يمكن ان تكون هناك مفاوضات مع اسرائيل وهي تحتل اراضي عربية ، خلافاً لمبادىء القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة ؟ . ثم لماذا تجرى المفاوضات واسرائيل تعلن انها لن تخرج من القدس العربية ومن الخليل وبيت لحم وما بينها من اراض ومن اماكن عديدة اخرى من الضفة الغربية .. وتؤكد انها لن تخرج من شرم الشيخ ومنطقة سيناء التي توصلها باسرائيل ، وغير ذلك من مناطق في

سيناء .. وتصر على ان منطقة الجولان جزء منها لا تنسحب عنه ! .. فماذا بقي للتفاوض فيه ؟ اهو إعطاء اسرائيل ، نتيجة المفاوضات ، حقوقاً اخرى في بلاد عربية ؟ ! ..

واسرائيل تنادي بالمفاوضات المباشرة من قبيل الدعاية لنفسها ، على انها محبة للسلام ! .. وهي تعلم انه اذا فشلت المفاوضات فان نتيجتها مربحة لها ، لانها في ذلك تكون قد كسبت كسباً سياسياً مهماً ، وهو اعتراف الدول العربية بها رسمياً بمفاوضتها مباشرة.

ثم ان للعرب خبرة بالمفاوضات مع اسرائيل . لقد فاوضوها ، بطريق غير مباشر ، في لوزان سنة ١٩٤٩ ، ووقعوا معاً بروتوكول لوزان ولما حققت اسرائيل ما تريد من ذلك ، رفضته بعد ايام ، لتضم اليها الاراضي التي احتلتها بالقوة .. ولتستمر في رفض عودة اللاجئين الى بيوتهم واوطانهم .

وللعرب خبرة اخرى في ما يتعلق بالمفاوضات ، وذلك بتوقيع العرب معها اتفاقات هدنة رودس ، في السنة نفسها . غير ان بن كوريون ومسؤولين آخرين في اسرائيل صرحوا مراراً بأن اتفاقات الهدنة لم يعد لها وجود ، بعد ان حققوا مبتغاهم من توقيعها ، وليطلقوا عنان التعدي على بلاد عربية اخرى ، وضم ما يستطيعون ضمه منها الى اسرائيل ! ..

فأي مفاوضات ، واي اعتراف ، واي صلح مع اسرائيل لن يؤدي الا الى كسب ارباح جديدة لها ، وخسائر جديدة متنوعة للعرب ..

ولكن رب قائل يقول : اذن ما العمل لايقاف اسرائيل عند حدها ؟ العمل شيء آخر ، ومن المؤكد انه ليس الصلح ولا الاعتراف ولا المفاوضات ، وانما ان يصبح العرب في مركز القوة ، لتقف اسرائيل عند حدها ..

ومن المؤكد ان الدول العربية لن تصل الى مركز القوة وهي في حالة سلام مع اسرائيل لتحملها على البقاء ضمن حدودها .. والسلام مع اسرائيل يعيد الدول العربية الى خلافاتها ، التي شاهدناها خلال العشرين سنة التي سبقت حرب الايام الستة . وبالتالي الى اضعاف انفسها واضعاف الامة العربية قاطبة .. والبقاء في حالة حرب شديدة مع اسرائيل ، او في حرب استنزافية ، يؤدي الى وصول العرب الى مركز القوة .. ولكن كيف يكون ذلك ؟ . أجيب عن هذا السؤال في الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر .

— ٢ —

مشاريع القرارات وموقف امريكا

وبينما كانت الحركة دائبة في الدوائر العربية في مختلف اقطارها ، كانت الامم المتحدة منهمكة في النظر في مشاريع قرارات ، تقدمت بها دول متعددة ، تواجه فيها الاوضاع التي اوجدها اعتداء اسرائيل على ثلاث دول عربية يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتقترح وسائل تصحيحها .

وكان شغل الامم المتحدة بذلك اولاً على مسرح مجلس الامن ، ثم انتقل الى قاعة الجمعية العامة ، ثم عاد الى مجلس الامن ثانية .

في مجلس الأمن

كان مجلس الامن ، قبل اعتداء اسرائيل ، يتابع انعقاد جلسات له ، لمراقبة التوتر في الشرق الاوسط .. وفي جلسة يوم ٣ حزيران (مايو) ١٩٦٧ اثار مندوب المغرب ومندوب بلغاريا مسألة مهمة موجزها أن الامين العام يوثانت ذكر في تقريره ، الذي رفعه الى المجلس في ٢٦ ايار (مايو) ، ان الرئيس جمال عبد الناصر ووزير خارجيته اكدا له ان الدول العربية لن تكون البادئة بشن هجوم على اسرائيل ، وانه بالمقابل على اسرائيل ان تؤكد انها لن تقوم باعتداء على الدول العربية . وقد طالب مندوب بلغاريا الولايات المتحدة الامريكية ان تحصل على هذا التأكيد من اسرائيل اذا كانت حقاً تريد السلام .. وقد قام بهذا التحدي لاعتقاده ان اسرائيل ، بالتفاهم مع الولايات المتحدة الامريكية ، قررت القيام بهجوم عسكري واسع على البلاد العربية ..

لم يمض ٣٦ ساعة على تحدي المندوبين المغربي والبلغاري للولايات المتحدة الامريكية ، حتى كان جواب اسرائيل عليه ، بأن قامت بهجومها الواسع ، المعد له منذ سنين طويلة ، على ثلاث دول عربية يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ..

دعا مندوب الجمهورية العربية المتحدة مجلس الامن الى عقد جلسة مستعجلة طارئة ، اوضح فيها هجوم اسرائيل ومداه ، وموقف الجمهورية العربية المتحدة الدفاعي عن النفس .

عقد المجلس واستمع الى تقرير الامين العام عن وقائع الحرب .. ودارت

مشاورات اظهرت أن هناك ثلاثة اتجاهات : الاول الاتجاه الامريكي البريطاني الذي اكد أن على المجلس ان يصدر قراراً بوقف اطلاق النار فوراً ، وان يترك بحث القضايا الاخرى الى اوقات لاحقة . والثاني الاتجاه الذي تزعمه الاتحاد السوفيتي والقائل بان على المجلس ان يستنكر العدوان الاسرائيلي ، وان يصدر قراراً بوقف اطلاق النار وانسحاب الجانبين الى المواقع التي كانا يحتلانها قبل نشوب القتال . والثالث الاتجاه الذي تزعمه الهند القائل بان طلب وقف اطلاق النار يجب ان يقترن بدعوة الفريقين للانسحاب الى المواقع التي كانا فيها قبل ٥ حزيران (يونيو) ، دون ان يحدد المجلس من كان المعتدي .

استمر الجدل يومين ، والولايات المتحدة لا تحيد عن موقفها ، واسرائيل مستمرة في التعدي والتوغل في البلاد العربية .. وتجاه هذه الحالة اجتمع المجلس واتخذ قراراً في ٦–٦–١٩٦٧ (S / Res ٢٣٣) ايد فيه وجهة النظر الامريكية ليخرج من المأزق . ونص القرار على ان « يطلب المجلس من الحكومات المعنية ، كخطوة اولى ، اتخاذ اجراءات فورية لوقف اطلاق النار ، ووقف كل نشاط عسكري في المنطقة » .

وفي اليوم الثاني ، ٧ حزيران (يونيو) عقد المجلس جلسة له ، ذكر فيها الامين العام ان الاردن والجمهورية العربية المتحدة قبلتا قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار ، على انه لم يتلق جواباً من اسرائيل . فاصدر المجلس قراراً يقضي بتنفيذ وقف اطلاق النار في الساعة ٢٠ بتوقيت كرينتش .

وعاد المجلس الى الانعقاد في ٨ حزيران (يونيو) ، وتقدم مندوب الولايات المتحدة الامريكية بمشروع قرار طالب فيه جميع الفرقاء بالتزام وقف اطلاق النار ، والشروع في مباحثات لسحب قواتهم بصورة عاجلة وبمساعدة الامم المتحدة . ومن الجدير ملاحظته أن الولايات المتحدة لم تطلب في مشروعها الانسحاب وانما طلبت المباحثات بين الفرقاء للوصول الى اتفاق على الانسحاب ! . ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة الامريكية تؤيد عدم انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها الا بحسب شروط اتفاق يتم بينها وبين العرب بواسطة الامم المتحدة ! . وفي ذلك تأييد للعدوان وتمكينه من نيل مكاسب اقليمية وسياسية ..

ظهر للاعضاء ما تهدف اليه الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل من مشروع القرار هذا . فحمل مندوب الاتحاد السوفيتي على اسرائيل .. وقدم مشروع قرار مضاد للمشروع الامريكي طالب فيه المجلس بادانة العدوان الاسرائيلي ، ووقف اعمال

اسرائيل العسكرية ، وسحب جميع قواتها ، دون قيد او شرط الى ما وراء خطوط الهدنة ، واستنكر انتهاك اسرائيل لقرارين سابقين لوقف اطلاق النار ، وانتهاكها ميثاق الامم المتحدة ..

لم يصوت المجلس على المشروعين : الامريكي والسوفيتي .. واستمرت اسرائيل في اعتداءاتها على الجبهة السورية بصورة شديدة ، وكانت سوريا قد قبلت بقرار وقف اطلاق النار .. وفي ٩ حزيران (يونيو) اصدر المجلس قراراً يتعلق بالجبهة السورية الاسرائيلية ، كرر فيه مطالبته السابقة بوقف اطلاق النار ، وان يقوم الامين العام باتصالات فورية مع الحكومتين الاسرائيلية والسورية لتدبير الانصياع الفوري لقراري وقف اطلاق النار السابقين ..

ولدى اجتماع المجلس في ١٠ حزيران (يونيو) اعلم الامين العام المجلس بأن سوريا واسرائيل قبلتا بوقف اطلاق النار ، كما قبلت به ، قبل ذلك ، الجمهورية العربية المتحدة والاردن .. غير أن اسرائيل ، في واقع الامر ، قبلت به قولاً واستمرت فعلاً بقصف المواقع السورية ، مما دعا مندوب الاتحاد السوفيتي الى طلب اجتماع سريع في ساعة متأخرة من الليل ، للنظر في خرق اسرائيل الفاضح لقرارات مجلس الامن .

وقام مندوب الولايات المتحدة الامريكية ، في هذه الجلسة ، بكثير من التسويف والدوران لتمكين اسرائيل من البقاء في الاراضي التي احتلتها .. وتقدم بمشروع قرار يهدف الى ذلك اذ طالب فيه باستنكار كل انتهاك لوقف اطلاق النار ، ودعوة الامين العام الى القيام بتحقيق شامل في جميع تقارير خرق وقف اطلاق النار ، ودعوة جميع الفرقاء الى احترام نداءات المجلس لوقف اطلاق النار ، ودعوة جميع الحكومات المعنية الى اصدار تعليمات مشددة الى جيوشها بوقف اطلاق النار وسائر العمليات العسكرية كما جاء في قرارات المجلس .

وتجاه هذه المناورة قدم مندوب الاتحاد السوفيتي لمجلس الامن في اجتماعه الذي عقد في ١١ حزيران (يونيو) ، مشروع قرار ايجابي ، مضاد للمشروع الامريكي السلبي ، طلب فيه ان يستنكر مجلس الامن بشدة العدوان الاسرائيلي واحتلال اسرائيل المستمر لقسم من اراضي الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا ، وطلب ايضاً سحب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة ، وان تدفع اسرائيل تعويضات كاملة للدول العربية . غير ان مشروع القرار هذا لم يفز بالأصوات اللازمة لاقراره ،

بسبب ضغط الحكومة الامريكية على بعض الاعضاء في المجلس .. ولذلك سحب المندوب السوفيتي مشروع قراره ..

وفي هذه الجلسة تقدمت وفود الارجنتين والبرازيل والحبشة للمجلس بمشروع قرار انساني ، يختلف في مضمونه عن الموضوع الذي يعالجه المجلس وهو ادانة اسرائيل لاعتداءاتها وانسحابها الى ما وراء خطوط الهدنة ، ويغير مجرى تفكير اعضاء المجلس.. ويطلب مشروع القرار من مجلس الامن ان :

١ – يدعو حكومة اسرائيل الى تأمين سلامة وامن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات حربية . وتسهيل عودة هؤلاء السكان الذين فروا من هذه المناطق منذ نشوب القتال الى منازلهم ،

٢ – يوصي الحكومات المعنية بأن تحترم المبادىء الانسانية الخاصة بمعاملة اسرى الحرب وحماية الاشخاص المدنيين في زمن الحرب ، كما تنص على ذلك اتفاقيات جنيف الصادرة في ١٢ آب (اغسطس) ١٩٤٩ .

وافق المجلس على هذا المشروع بالاجماع[1] . واجل جلساته الى اجل غير مسمى. ومعنى ذلك انه ترك اسرائيل في البلاد التي احتلتها بالعدوان ، وعجز عن اتخاذ قرار بادانتها ومطالبتها بالانسحاب كما يتطلب ميثاق الامم المتحدة . وفي ذلك قد اقر ضمناً خلق سابقة خطيرة في العلاقات الدولية ، وهي انه في امكان المعتدي ان يحافظ على ما سلب ، بقوة السلاح ، من بلاد دول اخرى ..

في الجمعية العامة

رأى الاتحاد السوفيتي ان مجلس الامن غير قادر على اصدار قرار يدين به اسرائيل لاعتدائها على ثلاث دول عربية ، ويطلب منها الانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة ، كما يتطلب منه ذلك ميثاق الامم المتحدة . بل انه حصر عمله ضمن اطار وقف اطلاق النار ، كما تريد منه حكومة الولايات المتحدة الامريكية ! ولذلك طلب الاتحاد السوفيتي في ١٣ حزيران (يونيو) عقد دورة طارئة خاصة للجمعية العامة لتنظر في العدوان الاسرائيلي وتصفية نتائجه . وقد وجه الدعوة السيد اندريه كروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي .

(١) في ١٩٦٧/٦/١٤ رقم S / 7968

وجاء في الدعوة أن اسرائيل تحدت قرارات مجلس الامن الصادرة في ٦و٧و٩ حزيران (يونيو) لوقف اطلاق النار وبالتالي استولت على المزيد من اراضي الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا .. وان الاتحاد السوفيتي يرى انه يجب عقد دورة للجمعية العامة للنظر في الوضع الذي نشأ في الشرق الاوسط عن اعتداء اسرائيل ، واتخاذ قرار يهدف الى تصفية نتائج العدوان وانسحاب القوات الاسرائيلية الفوري الى ما وراء خطوط الهدنة .

عقدت الجمعية العامة دورتها الخامسة الطارئة . وابتدأت اجتماعاتها في ١٩ حزيران (يونيو) . ودار فيها نقاش متوتر وحاد ، اشترك فيه ٦٩ وفداً . . وتقدمت للجمعية العامة سبعة مشاريع قرارات .. اذكرها باقتضاب[1] . وقبل ذلك اشير الى انه كان في الجمعية العامة اتجاهان رئيسيان ، كما كان الوضع في مجلس الامن . الاول الاتجاه الذي سار فيه الاتحاد السوفيتي ، وهو يطلب تطبيق ميثاق الامم المتحدة على المعتدي ، والثاني الاتجاه الذي تبعته الولايات المتحدة الامريكية ، وهو اتجاه المواربة والهرب من تطبيق الميثاق على اسرائيل .. ومضمون كل من مشروعي القرارين اللذين تقدمت بهما الدولتان يظهر بوضوح اتجاه كل منهما :

١ – مشروع قرار الاتحاد السوفيتي في ١٩–٦–١٩٦٧ رقم A / L ٥١٩

طلب مشروع القرار السوفيتي من الجمعية العامة :

أن تستنكر العدوان والاحتلال الاسرائيليين ، وان تلزم اسرائيل بسحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وتطلب منها التعويض عن الاضرار التي سببتها بعدوانها ، واعادة جميع الممتلكات والموجودات التي استولت عليها ، وان تناشد مجلس الامن القيام بدوره في اتخاذ اجراءات فورية وفعالة لتصفية آثار العدوان الذي ارتكبته اسرائيل.

لم ترض حكومة الولايات المتحدة الامريكية عن هذا المشروع ، فقامت بالضغط على عدد من دول امريكا الجنوبية وافريقيا واوروبا للتصويت ضده ، فلم ينل ثلثي الأصوات اللازمة لنجاحه .

٢ – مشروع قرار الولايات المتحدة الامريكية في ٢٠ – ٦ – ١٩٦٧ رقم A |L ٥٢٠

(١) من اراد التوسع في الموضوع يراجع « الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٧ » ص ١٠٢٣ – ١٠٤٦ .

داورت الولايات المتحدة في مشروع قرارها ، وابتعدت في مطالبها عن مضمون الميثاق في حالة الاعتداء ، حتى لا يطبق على اعتداء اسرائيل ، وهو عكس ما طالب به الاتحاد السوفيتي .

طلب مشروع قرار الولايات المتحدة الامريكية من الجمعية العامة :

ان توافق على وقف اطلاق النار الذي تحقق بحسب قرارات مجلس الامن . وان تقرر ان غايتها ايجاد سلام مستمر في الشرق الاوسط . وترى ان هذه الغاية تتحقق عن طريق ترتيبات يتم التفاوض عليها بمساعدة طرف ثالث ، على الاسس التالية :

أ — اعتراف متبادل بالاستقلال السياسي والسيادة الاقليمية لجميع بلاد المنطقة ، بما في ذلك اعتراف بالحدود وترتيبات اخرى بينها التباعد وسحب القوات ، يضمن سلامة هذه البلاد من الارهاب والتدمير والحرب .

ب — حرية الملاحة .

ج — حل عادل لمشكلة اللاجئين .

د — تسجيل شحنات الاسلحة الى المنطقة وتحديدها .

هـ — الاعتراف بحقوق جميع الدول ذات السيادة في العيش بسلام وامان .

ومعنى مشروع القرار الأمريكي ان الحكومة الامريكية لا تعتبر الانسحاب شرطاً اساسياً لتحقيق السلام ، بل ايجاد السلام باستسلام البلاد العربية لمشيئة اسرائيل تبعاً للمفاوضات ، وباعتراف الدول العربية باسرائيل ، وبحدود لها جديدة داخلة في البلاد العربية ، تضمن سلامة اسرائيل ، ومن ثم انسحاب اسرائيل الى تلك الحدود ... ومضمون مشروع هذا القرار جاء في قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ولكن بصيغة مرنة وغامضة ، تهدف الى الغاية نفسها . وسنرى ذلك في صفحات تالية .

ولما رأى الوفد الامريكي أن مشروع قرار الاتحاد السوفيتي لم يفز بثلثي الاصوات اللازمة لنجاحه ، طلب الا يجرى تصويت على مشروع قراره ، وبتعبير آخر سحب القرار ..

٣ — مشروع القرار الالباني في ٢٦ — ٦ — ١٩٦٧ رقم ٥٢١ A/L

يحتوي مشروع القرار الالباني على الامور الايجابية التي احتوى عليها مشروع

القرار السوفيتي وزاد عليها طلب استنكار عمل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لمساعدتهما ولاشتراكهما في العدوان ، واستمرارهما في مساعدة ذلك العدوان واهداف اسرائيل التوسعية ، وأن لحكومة الجمهورية العربية المتحدة وحدها الحق في ان تقرر ما اذا كانت تسمح بمرور البواخر الاسرائيلية عبر قناة السويس ومضايق تيران .

لم ينل هذا المشروع الاصوات اللازمة لنجاحه .

٤ — مشروع القرار اليوغوسلافي الافريقي الآسيوي في ٢٨ — ٦ — ١٩٦٧ رقم ٥٢٢ — A/L .

وللخروج من المأزق قامت يوغوسلافيا و ١٦ دولة آسيوية وافريقية ، بوضع مشروع قرار ، في ستة بنود ، خففوا فيها اللهجة والمطالب ، واحتفظوا بالرئيسي منها وهو دعوة اسرائيل الى سحب قواتها الى المواقع التي كانت فيها قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ورأوا ان تطلب الجمعية العامة من الامين العام ان يعين ممثلاً خاصاً يساعده على تأمين الامتثال لهذا القرار ، وان يكون على اتصال بالفرقاء المعنيين ، وان تطلب الجمعية العامة من مجلس الامن ، بعد انسحاب القوات الاسرائيلية انسحاباً كاملاً ، ان ينظر في جميع اوجه الوضع في الشرق الاوسط ، ويجد حلاً لجميع المشاكل من قانونية وسياسية وانسانية .

غير أن الولايات المتحدة الامريكية لم ترض عن مشروع القرار هذا لانه يطلب من اسرائيل سحب قواتها الى مواقعها التي كانت عليها قبل ٥ حزيران (يونيو) فحاربته ! . وفي اثناء التصويت نال ٥٥ صوتاً و ٤٦ صوتاً ضده و ١٩ وفداً امتنع عن التصويت ، فلم ينجح لانه لم يفز بثلثي الاصوات .

٥ — مشروع قرار دول امريكا اللاتينية في ٣٠ — ٦ — ١٩٦٧ رقم ٥٢٣ A/L

على اثر فشل القرار اليوغوسلافي الافريقي الاسيوي ، قامت عشرون دولة من دول امريكا اللاتينية بتقديم مشروع قرار ضمنته جوهر وجهة نظر الولايات المتحدة الامريكية ، وطالبت فيه الجمعية العامة :

١ — ان تدعو اسرائيل لسحب قواتها ، وأن تطلب من الفرقاء المتنازعين إنهاء حالة الحرب .

٢ — ان تؤكد انه لا يمكن الاعتراف بضم اراضي احتلت بالقوة .

٣ – ان تطلب من مجلس الامن ان يستمر في العمل مع الفرقاء معتمداً على وجود الامم المتحدة ، بغية ضمان سحب القوات الاسرائيلية ، وانهاء حالة الحرب ، وحرية الملاحة ، وايجاد حل كامل لمشكلة اللاجئين .

٤ – ان تدعم الحل القائل بتدويل القدس .

على ان وجهة النظر التي يمثلها مشروع القرار الامريكي اللاتيني لم تنجح لأنه لم ينل الاصوات اللازمة لذلك . وكان معه من الاصوات ٥٧ صوتاً وضده ٤٥ صوتاً ، وامتنع من التصويت ١٨ وفداً .

وهكذا لم يفز اي من الاتجاهين في الامم المتحدة بالوصول الى قرار من الجمعية العامة .. وفي تلك الاثناء كانت اسرائيل تتمادى في عدوانها على الدول العربية وعلى السكان العرب في المناطق المحتلة ، وتوطد وجودها فيما احتلته من اقاليم .. وضمت اليها مدينة القدس العربية .. فاتجهت دول طالبةً العون من الجمعية العامة لوضع حد لتصرفات اسرائيل ، داخل المناطق المحتلة ، المخالفة للقانون الدولي وللاتفاقات الدولية.

٦ – مشروع قرار الدول الست والعشرين في ٤–٧–١٩٦٧ رقم (E S – ٧) ٢٢٥٢ – A - Res .

تقدمت ٢٦ دولة من القارات الاربع بمشروع قرار الى الجمعية العامة طلبت فيه من الجمعية العامة :

ان ترحب بقرار مجلس الامن الانساني في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، رقم ٢٣٧ ، وان تدعو الاعضاء المعنيين الى تسهيل نقل امدادات المساعدة ، وان تناشد جميع الحكومات والمؤسسات والافراد بمساعدة عمليات الغوث ، وان تطلب من الامين العام ان يقدم تقريراً عن الحاجات التي يتطلبها عمل الغوث .

ونجح هذا القرار ، الذي لا شيء فيه الا كلام ، بأكثرية ١١٦ صوتاً وامتناع دولتين هما سوريا وكوبا ..

٧ – مشروع قرار الباكستان في ٤–٧–١٩٦٧ رقم (E S – ٧) ٢٢٥٣ – A - Res

تقدمت باكستان ، بالاشتراك مع خمس دول اخرى هي غينيا وايران ومالي والنيجر وتركيا ، بمشروع قرار يطلب من الجمعية العامة :

ان تعلن ان جميع الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع القدس لاغية ، وان تدعو اسرائيل الى ابطال تلك الاجراءات ، وان تطلب من الامين العام ان

يقدم تقريراً الى الجمعية العامة والى مجلس الامن حول تنفيذ هذا القرار ، في مدة لا تتعدى الاسبوع .

وفاز مشروع القرار الباكستاني المتعلق بالقدس ، بأكثرية ٩٩ صوتاً ضد لا شيء ، وامتناع ٢٠ دولة فيها الولايات المتحدة الامريكية ، اما بريطانيا وفرنسا فقد صوتتا مع مشروع القرار .

على ان الحكومة الاسرائيلية رفضت الانصياع الى هذا القرار واعلنت انها لن تعود ابداً عن قرارها في ضم القدس العربية الى اسرائيل . وان ما قامت به من اجراءات غير قابلة للتعديل أو المفاوضة ! .. وما قرارات الامم المتحدة ، في نظر اسرائيل ، الا حبر على ورق .. واسرائيل لن تنثني ، عن مواقفها المتحدية للامم المتحدة والمعتدية على العرب ، الا بالقوة ..

واثر التصويت على مشروع القرار الباكستاني قررت الجمعية العامة رفع جلسات دورتها الطارئة مؤقتاً ، ونقل جميع وثائق الدورة الطارئة من الجمعية العامة الى مجلس الامن ، ليتابع المجلس النظر في الوضع في الشرق الاوسط ..

وفي ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ قررت الجمعية العامة انهاء الدورة الطارئة لها ، وادراج بند « الوضع الخطير في الشرق الاوسط » في جدول اعمال الدورة العادية الثانية والعشرين للجمعية العامة .

وهكذا انتهت الدورة الطارئة دون ان تستطيع الجمعية العامة اتخاذ قرار باعتداء اسرائيل على ثلاث دول عربية ، كما يتطلب ميثاقها ، وذلك بسبب موقف الولايات المتحدة الامريكية المحابي بل المتواطىء مع اسرائيل ضد البلاد العربية ..

عود الى مجلس الامن

وبينما كانت الجمعية العامة تجتمع في دورتها الطارئة ، كان مجلس الامن يجتمع للنظر في الشكاوى التي رفعتها الجمهورية العربية المتحدة ضد اعتداءات اسرائيل وخرقها اتفاق وقف اطلاق النار ، وفي الشكاوى المضادة التي قدمتها اسرائيل في كل مرة ترفع ضدها شكوى ..

وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ نظر المجلس في شكوى تقدمت بها الجمهورية العربية المتحدة ضد اسرائيل .. وتبع ذلك اجتماعات متعددة للمجلس

دار فيها نقاش بين الاعضاء حول الوضع في الشرق الاوسط الناجم عن اعتداء اسرائيل في ٥ حزيران (يونيو) . وتقدمت دول بمشاريع قرارات عددها خمسة : مشروع قرار قدمته الهند ومالي ونيجريا ، ومشروعان قدمهما الاتحاد السوفيتي ، احدهما يتعلق بمنح الامين العام سلطة زيادة عدد المراقبين الى تسعين والآخر يتعلق بموضوع الوضع في الشرق الاوسط ، ومشروع قدمته الولايات المتحدة الامريكية[1] . اما المشروع الخامس فقدمته حكومة بريطانيا . ولدى نقاشه في المجلس طلب مقدمو مشاريع القرارات الاخرى سحب مشاريع قراراتهم ، لانهم يوافقون عليه . وهكذا فاز مشروع القرار البريطاني بالاجماع في مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ .. واخصص القسم الثالث من هذا الفصل لدراسته .

— ٣ —

قرار مجلس الامن لايجـــاد تسوية سلمية

او تصريح بلفور رقم (٢)

بعد مضي خمسين سنة على تصريح بلفور الذي منح اليهود وطناً قومياً في فلسطين العربية ومهد لهم بذلك اقامة دولة اسرائيل ، قامت وزارة الخارجية البريطانية بدراسة الاتجاهات التي سادت اوساط الامم المتحدة في قضية الشرق الاوسط ، واخذت منها ، ومن مواقفها المتناقضة ، عناصر وزنتها بدقة وبراعة وركبت منها صيغة مشروع قرارها المتعلق بالوضع في الشرق الاوسط الناجـم عن اعتداء اسرائيـل في ٥ حزيران (يونيـو) ١٩٦٧ .. وقـال اللورد كارادون مندوب بريطانيا في الامم المتحدة ، ان مشروع القرار البريطاني كان وليد مشاورات قام بها مع جميع الدول الاعضاء في مجلس الامن ، وانه لا يمكن ادخال تغيير عليه ، مهما كان ضئيلاً ، والقرار اما ان يقبل كله او يرفض كله .

ويهدف مشروع القرار هذا الى ايجاد تسوية سلمية لمشاكل الشرق الاوسط ، وقد

(١) في « الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ » دراسة عن مشاريع القرارات هذه ص ١٠٥٣ — ١٠٦٦ .

تم وضعه بصيغة دقيقة فيها الكثير من الغموض المقصود ، والتضارب الذي يؤدي الى تأويلات مختلفة ، بالاضافة الى انه لم يستند في محتواه الى الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة بل الى الفصل السادس ، اذ ان واضعيه لم يهدفوا الى تطبيق مواد الميثاق على الاعتداء الذي جرى يوم ٥ حزيران (يونيو) ، وانما ارادوا الوصول الى تسوية سلمية للمشاكل الكائنة بين اسرائيل والدول العربية ، بغض النظر عن عدالة نتائج تلك التسوية ، وعما اذا كانت تتضارب مع بنود الميثاق المتعلقة بالاعتداء وقراراتها السابقة ام لا . وارادوا كذلك ان ينال مشروع القرار الاصوات اللازمة لفوزه في مجلس الامن بموافقة اصحاب الاتجاهات المتعاكسة عليه . فمشروع القرار البريطاني الذي تقدم بــه اللورد كارادون الى مجلس الامن مساء يوم الخميس الموافق ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، ووافق عليه اعضاء هذا المجلس بالاجماع في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ،[1] هو وثيقة سياسية اكثر منه قراراً ملزماً . ولهذا سميته « تصريح بلفور رقم ٢ » . ونشرت ، في حينه ، بحثاً بهذا العنوان في عدد من البلاد العربية ..

نص القرار

ان مجلس الامن

(١) اعراباً عن قلقه المستمر على الموقف الخطير في الشرق الاوسط ،

(٢) و تأكيداً لعدم جواز السماح بالاستيلاء على اراض بالحرب ، وللحاجة الى العمل في سبيل سلام عادل دائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش في أمـان ،

(٣) وتأكيداً كذلك الى أن جميع الدول الاعضاء عند قبولها ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بأن تتصرف وفقاً للمادة الثانية من الميثاق ،

١ — يؤكد أن الوفاء بمبادىء الميثاق يقتضي اقرار سلم عادل دائم في الشرق الاوسط يتضمن كلاً من المبدأين التاليين :

اولا : سحب القوات الاسرائيلية المسلحة من الاراضي[2] التي احتلت في القتال الاخير .

(١) رقم S - Res - 242 في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ .

(٢) في النص الفرنسي ، اما في النص الانكليزي فترد كلمة « اراض » بدل عبارة « الاراضي التي »

ثانياً : التخلي عن جميع المطالب وانهاء حالات الحرب واحترام السيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي والاعتراف بها لكل دولة في المنطقة ، واحترام والاعتراف بحق كل دولة في المنطقة في ان تعيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها ، في مأمن من التهديدات او اعمال القوة .

٢ – ويؤكد كذلك ضرورة :

أ – ضمان حرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب – تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج – ضمان عدم انتهاك الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة باجراءات منها انشاء مناطق مجردة من السلاح .

٣ – ويطلب الى الامين العام ان يعين ممثلاً خاصاً ليتوجه الى الشرق الاوسط وينشىء ويقيم اتصالات بالدول المعنية بالامر رغبة في تهيئة اسباب الاتفاق والمساعدة في الجهود المبذولة لتحقيق تسوية سلمية مقبولة وفقاً لاحكام هذا القرار ومبادئه .

٤ – ويطلب الى الامين العام ان يقدم تقريراً الى مجلس الامن عن سير جهود الممثل الخاص في اقرب وقت ممكن .

وللباحث ان يتساءل :

ما هي حقيقة ما يتضمنه قرار مجلس الامن الذي صاغته وزارة الخارجية البريطانية وايدته الولايات المتحدة الامريكية وقبله الاتحاد السوفيتي والدول الاخرى الاعضاء في مجلس الامن ؟

وهل ما يتضمنه هذا القرار يتفق مع ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي ام يناهضهما ؟

وهل يضمن هذا القرار حقوق اهل فلسطين الاساسية في بلادهم والحقوق التي تضمنتها قرارات عديدة سابقة للامم المتحدة ، ام هو يصفي قضية فلسطين ؟

وما كان حظ القرار حين محاولة تنفيذ ما جاء فيه ؟

وما هو الطريق السوي الذي يضمن للعرب ازالة آثار العدوان وسلامة الاراضي العربية وتأمين مصير الامة العربية ؟

مناقشة ما جاء في القرار

١ – ان الأمر الذي دار حوله الجدل في مجلس الامن وبين كواليس الامم المتحدة هو مضمون البند الاول ، لوجود خلاف بين نصّيه في اللغة الانكليزية ، وفي اللغة الفرنسية . والخلاف هو حول (ال) التعريف :

جاء في نص القرار باللغة الانكليزية « سحب القوات الاسرائيلية المسلحة من اراض احتلت في القتال الاخير » . ونصه في اللغة الفرنسية « سحب القوات الاسرائيلية المسلحة من الاراضي التي احتلت في القتال الاخير » . ان النص في اللغة الفرنسية واضح ولا يؤدي الى اختلاف أو تأويل ، وهو يعني سحب القوات الاسرائيلية المسلحة من « جميع » الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . اما النص الانكليزي فيمكن ان يؤدي الى هذا المعنى اجمالاً لا سيما حين يربط ما جاء فيه بما جاء في الفقرة الثانية من مقدمة القرار التي تقول بأن المجلس « يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على اراض بالحرب » . غير انه يحذف (ال) التعريف من كلمة « الاراضي » دون مبرر ، الا اذا تعمد واضعوه الغموض ليؤدي الى تفسير مع مصلحة اسرائيل وموقف الولايات المتحدة الامريكية ، والقول عندئذ بأنه يعني (سحب القوات الاسرائيلية من « بعض » الاراضي التي احتلت في القتال الاخير) . وهذا ما تقول به اسرائيل . ولولا هذا الغموض لما وافقت الولايات المتحدة الامريكية على مشروع القرار البريطاني .

غير ان ممثلي الاتحاد السوفيتي وفرنسا والهند اكدوا في مجلس الامن ، وقبل التصويت على مشروع القرار ، انهم يفهمون من انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من « جميع » الاراضي التي احتلتها منذ ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وبناء على هذا الفهم يوافقون على مشروع القرار . وهكذا فاز مشروع القرار البريطاني بالاجماع .

٢ – اكد القرار في مطلعه انه « لا يجوز السماح بالاستيلاء على اراض بالحرب » ؛ وهذا التأكيد يتمشى مع القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة .. وعقب هذا التأكيد ، تأكيد التزام الدول الاعضاء بالتصرف وفقاً للمادة الثانية من الميثاق ، اي بأن تحل مشاكلها سلماً عن طريق المفاوضات . وما يتفق عليه الطرفان عندئذ فجائز . وان اتفقوا ، نتيجة لتلك المفاوضات ، على ان تستولي الدولة المعتدية المنتصرة على اراض احتلتها نتيجة للحرب ، يصبح ذلك جائزاً وقانونياً . وربط

هذين الامرين في مقدمة قرار مجلس الامن يوحي بان نية واضعية تهدف الى تمكين اسرائيل من نيل مكاسب اقليمية بالمفاوضات . ولهذا ظلت اسرائيل ، منذ حرب حزيران الى هذه الايام من اوائل سنة ١٩٧١ ، تلح باصرار على وجوب عقد مفاوضات مباشرة بينها وبين الدول العربية المعنية لايجاد تسوية للنزاع الاسرائيلي العربي ، يوقع الطرفان شروطهما . واسرائيل تريد من ذلك الاستيلاء نهائياً ، بموجب الاتفاق بينها وبين الدول العربية على اراض عربية احتلتها بالحرب ، اذ ان القانون وميثاق الامم المتحدة لا يجيزان لهـا الاستيلاء عليها نهائياً نتيجة انتصارها . ويقابل اصرار اسرائيل على المفاوضات رفض بات من الدول العربية .. اذ مـا الفائدة من مفاوضات الغاية منهـا تنازل الدول العربية لاسرائيل عن اي من اراضيها واعطاء الصيغة الشرعية لما تريد اسرائيل بقاءه ضمن حدودهـا من البلاد العربية ؟ ..

٣ ــ نص القرار في البنـد الاول « سحب القوات الاسرائيلية المسلحة مـن الاراضي التي احتلت في القتال الاخير » . وهذا النص هو لمصلحة العرب اذا اخذنا بعين الاعتبار انه يعني انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) . اما اذا كان المفهوم منه ، ما تريد اسرائيل وامريكا ان يفهم منه ، بأن الانسحاب انما هو من اقسام من الاراضي المحتلة فيكون نص الانسحاب في مصلحة اسرائيل ، ويتنافى مع القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة ، والتأكيد الذي جاء في مطلع القرار على انه « لا يجوز السماح بالاستيلاء على اراض بالحرب » .

ونص الانسحاب من الاراضي المحتلة كما فهمه اعضاء المجلس ، وهو الانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة ، قد جعل الجمهورية العربية المتحدة والاردن تقبلان به وتعلنان انهما مستعدتان لتنفيذ ما جاء فيه . والعبرة كما قال الرئيس جمال عبد الناصر ، ليست في النصوص ولا التفاسير وانما في التطبيق .. وعندما عرضت الحكومة الامريكية على الجمهورية العربية المتحدة مشاريع تسوية لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، رفضها الرئيس جمال عبد الناصر لانها تعطي اسرائيل اقساماً من الاراضي غير المصرية ، وتحد من السيادة المصرية على اقسام من اراضيها المحتلة .. فاثبت بذلك القول بالعمل .

٤ ــ ومقابل « سحب القوات الاسرائيلية » ، الذي هو في مصلحة العرب ، اثبت

القرار في القسم الثاني من مادته الاولى اموراً عدة لمصلحة اسرائيل ، منها « التنحي عن جميع المطالب وانهاء حالات الحرب والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وسلامة اراضيها واستقلالها السياسي » . وهذا النص ذو قسمين ، قسم موجه الى الدول العربية ، والآخر يتعلق باسرائيل :

فالقسم الاول وهو « التخلي عن جميع المطالب وانهاء حالات الحرب » موجه الى الدول العربية :

فقد قامت اسرائيل بموجب قرار تقسيم الامم المتحدة لفلسطين الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٧ .. والقرار اعطى اكثر من نصف فلسطين ، التي يملكها العرب ، لليهود لاقامة دولة يهودية فيها ، غير انه في الوقت نفسه ، ذكر أن على اسرائيل ان تسمح للاجئين العرب بالعودة الى ديارهم ، وان يعوّضوا عما لحقهم من اضرار ، ويعوض الذين لا يريـدون العودة عن املاكهم .. غير ان اسرائيل لم تنفذ من ذلك شيئاً ، واخذت من قرار التقسيم ما هو في مصلحتها وضربت عرض الحائط بالقليل الذي جاء فيه محافظاً على بعض حقوق العرب في وطنهم ، ولم تكتف بذلك بل احتلت نحو ٦٠٪ من القسم الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً واقامة دولة فلسطينية فيه واخرجت منه معظم سكانه .

ومنذ سنة ١٩٤٨ والدول العربية تطالب ، في الامم المتحدة وخارجها ، بحقوق العرب والفلسطينيين بفلسطين ، وبتنفيذ قرارات الامم المتحدة ، اي بحمل اسرائيل على اعادة اللاجئين الى ديارهم ، واعادة ما احتلته من القسم الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ، وتعويض اللاجئين عما لحقهم من اضرار ، ودفع ثمن املاك من لا يريد العودة منهم . ثم ان اسرائيل والدول العربية بقيت في حالة حرب منذ حرب ١٩٤٨ ، وما اتفاقيات رودس الا اتفاقيات هدنة ، لم تغير من حالة الحرب شيئاً . وحالة الحرب تعطي الدول العربية حقوقاً دولية تستطيع استخدامها ضد اسرائيل ، مثل مقاطعتها ومنع سفنها وبواخرها من المرور في المياه الاقليمية العربية ، ومن اهمها مياه قناة السويس وخليج العقبة .. ويأتي قرار مجلس الامن ، موضوع البحث فيطلب ، في جملته « انهاء جميع الادعاءات او حالات الحرب » ويلغي جميع حقوق العرب في فلسطين والمطالب التي تضمنتها قرارات سابقة للامم المتحدة ، كما يلغي ما للعرب من الحقوق الدولية

فلسطين قبل وبعد (٢٠)

الناشئة عن حالة الحرب الكائنة بين اسرائيل والدول العربية . وفي ذلك تصفية لقضية فلسطين كلياً .. وتحقيق لما قالته كولدا مايير من انه لا يوجد شعب فلسطيني ولا قضية فلسطينية ! ..

وأما القسم الثاني من الفقرة السابقة وهو « الاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وبسلامة اراضيها واستقلالها السياسي » وان جاء نصه عاماً ، فهو في ظاهره يعني جميع الدول في المنطقة ، الا انه في الواقع ، يعني تثبيت اسرائيل وحمايتها . لان سيادة الدول العربية وسلامة اراضيها واستقلالها السياسي امور معترف بها دولياً ومن جميع دول العالم ، وليست بحاجة الى ان يؤكدها مجلس الامن في قرار . وانما البلد الذي لم تعترف جميع دول العالم بسيادته ، والذي اراضيه التي يدعيها ليست بسلام لانها تخص شعباً آخر ، واستقلاله السياسي لا وجود له قانونياً ، هو دولة اسرائيل . حتى ان الامم المتحدة ذاتها لا تعترف باسرائيل الا ضمن الحدود التي خططها لها قرار التقسيم ، اما الاراضي التي اغتصبتها بعد انشائها من فلسطين ومن بلاد عربية اخرى ، فهي اراض محتلة في نظر الامم المتحدة ، وفي نظر الدول قاطبة .

والواقع ان اسرائيل لا تملك حقاً قانونياً في اي قسم من الاراضي التي تحتلها ، وبالتالي ليست لها سيادة قانونية عليها . انها لا تملك حقاً قانونياً في الاراضي الواقعة ضمن قرار التقسيم ، التي قامت فيها دولة اسرائيل بموجب ذلك القرار . لان الامم المتحدة ذاتها لا تملك حق تقسيم بلد ما وايجاد دولة لشعب آخر في قسم منه . فوجود دولة اسرائيل ، من اساسه ، لا شرعية فيه ، بالنظر الى العرب ، وبالنظر الى القانون الدولي ايضاً . فماذا يكون موقف الحكومة الامريكية مثلاً لو ان الامم المتحدة قررت فصل ولاية كاليفورنيا عن الولايات المتحدة الامريكية واقامة دولة صينية مستقلة فيها ؟ ! . وماذا يكون موقف اي دولة من الدول التي تعترف بوجود اسرائيل ، لو ان الامم المتحـــدة قررت تقسيم بلدها ، واقامة دولة في قسم منه لشعب آخر ؟ ! .. هل تعتبر الحكومة الامريكية والدول الاخرى قرارات الامم المتحدة بتقسيم بلادها واقامة دول فيها ، قرارات قانونية ؟ وهل تسمح لتلك الدول بالبقاء ؟ . ام تقاوم قرارات الامم المتحدة هذه وتعتبرها غير شرعية بل ضرباً من الجنون الدولي ؟ . نعم ان اسرائيل لا تملك حقاً قانونياً في الاراضي التي احتلتها بعد انشائها من قسم فلسطين الذي تقرر بقاؤه عربياً ، كما انها

لاتملك اي حق قانوني في المناطق التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . والوضع القانوني لجميع الاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل هو وضع الدولة المحاربة المحتلة لاراض لا تملكها ، والاحتلال لا يعطيها حقاً فيها ، ولا يكسبها سيادة عليها .

وكيف يمكن المطالبة بالاعتراف « بسلامة اراضي » دولة لا حق لها في تلك الاراضي أو بسيادة قانونية لها عليها ؟ ان اسرائيل دولة لم يعترف بحدودها قانونياً ، ولم تستقر بحسب القانون الدولي ، ويناهضها اصحاب البلاد الشرعيون ويطالبون بحقوقهم في اراضيهم في اسرائيل . و « سلامة الاراضي » مقترنـــة بالسيادة . والدولة التي لا تملك السيادة على اراض لا يمكن المطالبة بالاعتراف « بسلامة الاراضي » التي تحتلها[1] . وكما سبق ان ذكرنا ليس لاسرائيل حدود قانونية ، وما بينها وبين الدول العربية انما هو خطوط اتفاقيات هدنة ١٩٤٩ .

اما والحالة هذه فاي اراض في اسرائيل يريد القرار المحافظة على سلامتها ؟.

اهي الاراضي الداخلة ضمن الحدود التي رسمها قرار التقسيم في سنة ١٩٤٧ ؟ ام الاراضي الداخلة ضمن خطوط اتفاقيات هدنة ١٩٤٩ ، ام الاراضي الداخلة ضمن خطوط وقف اطلاق النار في سنة ١٩٦٧ ؟ .

٥ – ويجيب قرار مجلس الامن في نفس المادة التي يطالب فيها العربَ بالاعتراف بسيادة اسرائيل وبسلامة اراضيها عن هذه التساؤلات بقوله : « واحترام والاعتراف بحق كل دولة في المنطقة في ان تعيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها في مأمن من التهديدات او اعمال القوة » . والجملة هذه ايضاً ، وان كانت تشمل جميع الدول فان المقصود بها اسرائيل ، لان للدول العربية حدوداً معترفاً بها .. والدولة التي ليست لها حدود هي اسرائيل . ويأتي قرار مجلس الامن ليطالب بتعيين « حدود آمنة معترف بها » . لمن ؟ لاسرائيل طبعاً في نظر واضعي القرار .

وللمرء ان يتساءل عن المقصود من عبارة « الحدود الآمنة » ؟ .

لقد تذرع الصهيونيون باعذار متعددة ، قبل تصريح بلفور وبعده ، لتكون

---

(١) وضع الاستاذ هنري كتن بحثاً عن « السيادة على فلسطين » في الملحق رقم ١١ لكتابه « فلسطين في ضوء الحق والعدل » . ص ٢٦٩ – ٣٠٢ .

اسرائيل في اكبر قسم من الشرق العربي . فقالوا ان حدود اسرائيل ينبغي ان تشمل منابع المياه المحيطة بفلسطين .. ونادوا بان الحدود ينبغي ان تكون في اماكن استراتيجية .. وان حدود اسرائيل يجب ان تشمل السهول الخصبة المجاورة لفلسطين لتستطيع الدولة اليهودية العيش اقتصادياً .. وبعد ايجاد اسرائيل ، لم ينس زعماؤها اعذار التوسع تلك ، بل زادوا عليها « نغمة » جديدة للمطاليب السابقة ، الغاية منها التوسع في الاراضي العربية ، فابتدعوا عبارة « الحـدود الآمنة » . والغريب ان مجلس الامن يدخل في قراره مطلب « الحدود الآمنة » ، واسرائيل منذ نشأتها هي المعتدية على البلاد العربية المجاورة لها ، ولم يعتد عليها بلد عربي ، وسجلات مجلس الامن ذاته ، ومثلها سجلات لجان الهدنة المشتركة ، مملوءة بادانات اسرائيل لاعتداءاتها على الدول العربية ..

واسرائيل تقصد ، في واقع الامر ، من طلبها « الحدود الآمنة » التوغل في البلاد العربية لتصل الى « الحدود الآمنة » ، التي منها تستطيع ان تضرب ابعد المراكز الحيوية في الجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا ، وفي المملكة العربية السعودية والعراق والكويت والخليج العربي .. لترغم دول هذه البلاد على الرضوخ لمشيئتها وتنفيذ مطالبها ..

و « الحدود الآمنة » التي يريدها قرار مجلس الامن لاسرائيل ، ويطالب الدول العربية بالاعتراف بها ، منافية للحقوق الدولية ولميثاق الامم المتحدة ، وكلاهما يؤكد ، كما ذكرنا ، انه لا يجوز اصلاً ان ينال المعتدي مكاسب اقليمية او سياسية نتيجة للحرب . ولستر هذه المنافاة عمد القرار الى وصول اسرائيل الى التوسع الذي تبغيه ، تحت ستار « الحدود الآمنة » بالتفاوض الذي يوصل الى اعتراف الدول العربية « بالحدود الآمنة » المطلوبة . وسلاح اسرائيل في ذلك انها تحتل اجزاء كبيرة من البلاد العربية ، ولن تنسحب من اقسام منها الا بعد الاتفاق على الحدود الآمنة ، وبعد قبول العرب بمطالب اسرائيل الاخرى ..

ومجلس الامن لم يكتف من قراره هذا بانه لم يدن اسرائيل لاعتداءاتها ، بل انه يعطي المعتدي مكاسب اقليمية وسياسية كبيرة .. وهو بالاضافة الى ذلك يسن سنة جديدة خطيرة مؤداها ان لكل دولة الحق في ان تغير حدودها على حساب جيرانها بحجة ان حدودها السابقة لا تؤمن سلامتها ، وعليه فهي تريد حدوداً جديدة « آمنة » ! ..

ومجلس الامن في تصرفه هذا يضعف هيبة الامم المتحدة ويزيل الثقة بها ، ويثبت القول المتزايد شيوعاً بأنه ليس في عالمنا الراهن عدالة دولية ، وأنه لا احترام الا للقوة ، وان من اراد الا يعتدى عليه والا يهان فسبيله الوحيد هو التسلح بالقوة والدفاع عن النفس والحقوق بمختلف الوسائل .. فهل يريد مجلس الامن العودة بالعلاقات الدولية الى شريعة الغاب ؟ .. ام هو في الواقع يريد ان يثبت ان ليس في العالم قانون للعلاقات الدولية سوى هذه الشريعة ؟

ان اسرائيل انما أُوجدت على الكرة الارضية بموجب قرار الامم المتحدة الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ المعروف بقرار التقسيم ، الذي رسم حدود اسرائيل ، واعترفت بها دول ضمن تلك الحدود . وكل ما ضمته اسرائيل الى مساحتها بعد انشائها ليس جزءاً من اسرائيل ، وانها هو اراض محتلة بالاغتصاب ولاصحابها العرب كل الحق فيها وفي استعادتها ، والقانون معهم في ذلك ... واسرائيل تعمل لايجاد حدود جديدة باسم « الحدود الآمنة » ، تحمل الدول العربية على الاعتراف بها ، لتصبح الاماكن التي احتلتها اسرائيل في ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، ومعها اقسام مما احتلته في ١٩٦٧ ، جزءاً من اسرائيل بصفة شرعية ! ..

ويضاف الى ذلك أن أي اعتراف من الدول العربية باسرائيل ، ليس تصفية لقضية فلسطين وتنازلاً عن حقوق العرب في فلسطين فحسب ، وانما هو بذور توسع اسرائيلي جديد في المستقبل ، وحروب لا نهاية لها ، وذلك لاسباب تختلقها اسرائيل ومطاليب جديدة تتقدم بها الى دول عربية ، ما دامت ترى ان الاعتداء يثمر .. فموقف الدول العربية من الاعتراف باسرائيل ومن اطماعها التوسعية هو الذي يقرر المصير المقبل لاسرائيل وللعالم العربي ..

ان « الحدود الآمنة » الحقيقية لاسرائيل ، هي الحدود التي خططتها لها الامم المتحدة حينما اوجدتها .. مع اعتراف اسرائيل بحقوق الفلسطينيين التي طالبتها بتنفيذها الامم المتحدة ذاتها .. وضمن تلك الحدود كان اعتراف الدول باسرائيل . ولم تعتد على هذه الحدود دول عربية ابداً ، وانما اسرائيل كانت دائماً المعتدية على البلاد العربية .. فان كانت اسرائيل حقاً تريد السلام فما عليها الا ان تعيش بسلام ضمن حدودها الشرعية بالنسبة الى الامم المتحدة والبلاد التي اعترفت بها ، وان تعدل عن سياسة التوسع ، اذ ان قوة الحديد والنار لن تخضع الدول العربية لمشيئتها .. والسلام لا يكون بالارهاب .. ومن الممكن للضعيف أن يقوى ،

وللقوي ان يضعف ، والامور نسبية دائماً ..

٦ – ويذكر قرار مجلس الامن في القسم الاول من المادة الثانية منه ، بالاضافة الى ما سبق ذكره ، من مصلحة اسرائيل « حماية حرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية في المنطقة » . والهدف الذي ترمي اليه هذه الفقرة هو حرية مرور السفن والبواخر التجارية والحربية الاسرائيلية من قناة السويس وفي خليج العقبة ..

٧ – أما في القسم الثاني من المادة الثانية فيذكر القرار « تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » . وهذه الجملة قد تبدو لأول وهلة ، وكأنها في مصلحة العرب ، لكنها في الواقع في مصلحة اسرائيل ، لان القرار قد جعل قضية فلسطين قضية لاجئين فحسب .

القضية الفلسطينية قضية شعب ووطن ، قضية حق الشعب الفلسطيني في وطنه فلسطين . ان فلسطين منذ ما قبل التاريخ الى ايامنا بلد عربي ، وطن سكانه الفلسطينيون العرب .. لقد قامت اسرائيل بقرار من الامم المتحدة، غير قانوني على ٥٦ ٪ من مساحة فلسطين .. وللعرب في هذا القسم حقوق لم ينكرها عليهم احد ، حتى قرار التقسيم ذاته .. لقد اعتدت اسرائيل واحتلت فلسطين كلها ، على دفعات ، كما احتلت اقساماً من بلاد عربية اخرى .. وهذا الاحتلال مناف للقانون ولحقوق اهل البلاد .. حتى احتلال اسرائيل لفلسطين كلها لا يلغي حق اهلها في وطنهم، ولا يزيل ما يعرف في الاوساط الدولية « بالقضية الفلسطينية » .. ويأتي قرار مجلس الامن محاولاً شطب القضية الفلسطينية حينما يقتصر على ذكر « مشكلة اللاجئين » .. وما مشكلة اللاجئين سوى جزء من القضية الفلسطينية التي هي قضية وطن وشعب . وقد تصرف القرار في هذه القضية تصرفاً يساير ما تقوله اسرائيل من انه لا توجد قضية فلسطينية ولا شعب فلسطيني وانما يوجد لاجئون لهم مشكلة تحل باسكانهم في البلاد العربية او في بلاد نائية مثل كندا أو استراليا ..

٨ – فهل يحقق قرار مجلس الامن ، في بنوده السابقة ، أيّ « سلام عادل دائم » الذي ذكره في مطلعه وفي المادة الاولى منه ؟

والجواب على ذلك في النقاط التالية :

أ – كان الهدف من القرار الوصول الى تسوية سلمية في النزاع العربي الاسرائيلي، تحقق معظم مطاليب اسرائيل بعد انتصارها في حرب حزيران (يونيو)

١٩٦٧ ، منها الاعتراف بها ، وانهاء حالة الحرب ، وتحقيق مكاسب اقليمية وسياسية ..

ب – اراد واضعو القرار ان يُصفّوا قضية فلسطين ولا يبقوا منها سوى مشكلة اللاجئين ، حتى اذا ما حلت انتهى ، في نظرهم ، كل شيء يتعلق بهذه القضية ..

ج – لم يطالب القرار بعقد صلح بين العرب واسرائيل مسايرة لشعور العرب ، وهم يرفضون استعمال هذه الكلمة ، غير انه حقق ثمار ما ينتج عن الصلح بين غالب ومغلوب ، في مطالبته العرب بقبولها بعبارات مختلفة ..

د – ان اي تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي على الاسس المتقدمة ، لا تنظر الى قضية فلسطين ، ولا تعمل لحلها بما يؤمن حقوق اهل فلسطين في وطنهم فلسطين ، لا يمكن ان يقال عنها انها تسوية تهدف إلى إيجاد « سلام عادل دائم » في المنطقة ..

٩ – وما دمنا في هذه المناقشة ، فلا بد لنا من ان نجيب عن هذا السؤال : هل قرار مجلس الامن ، موضوع البحث ، من القرارات الملزمة للاعضاء ، ام انه يتضمن اموراً خارجة عن سلطة مجلس الامن ؟ .

وقبل الجواب عليه ، علينا ان نذكر أن اجتماعات مجلس الامن التي نتج عنها القرار المشار اليه كانت اثر اعتداء اسرائيل على دول عربية ثلاث ، واحتلالها اقساماً كبيرة منها .. وكان المفروض في اعضاء المجلس أن يعملوا لتطبيق الفصل السابع من الميثاق الذي يعالج موضوع الاعتداء . غير أن الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا رفضتا جميع مشاريع القرارات التي قدمت بموجب نصوص الفصل السابع من الميثاق ، التي تدين المعتدي وتطلب منه الانسحاب فوراً من الاراضي التي اعتدى عليها واحتلها ، وارادتا معالجة الموضوع على اساس الفصل السادس من الميثاق الذي يعالج اموراً سياسية ، وعلى اسس ليست موجودة في الميثاق .. فوضعت بريطانيا القرار ، كما سبق لها ان وضعت نص « تصريح بلفور » ، وجاء مضمون القرار غير متفق مع موضوع النزاع ، ومنافياً للفصل السابع من الميثاق الذي تعالج أحكامه موضوع اعتـــداء اسرائيل . وقد كان هدف الدولتين النظر الى مشاكل الشرق الاوسط العربي نظرة سياسية ، ووضع مبادىء عامة تكون اساساً لحل تلك المشاكل ، كما يرون حلها ، بواسطة مندوب خاص للامين العام .

ويضاف الى ذلك أن القرار حوى اموراً جوهرية لا حق لمجلس الامن ان يبحثها او يتطرق اليها . ومن هذه الامور تغيير الحدود بين الدول . والحدود هي من سيادة الدول وحدها وليس لمجلس الامن أو للهيئة العامة اتخاذ قرارات أو اصدار اوامر بشأنها .. ومن هذه الامور ايضاً حمل الدول العربية على الاعتراف بدولة اسرائيل ، لأن اعتراف دولة بدولة اخرى هو من حق تلك الدولة وحدها ، وليس لمجلس الامن ولا للهيئة العامة ان يتدخلا في ذلك مطلقاً .. وها هي الحكومة الامريكية تصر على عدم الاعتراف بالصين الشعبية المؤلفة من سبعمئة مليون نسمة ، وهي تقاطع بضائعها ، وتحمل عدداً من الدول الاخرى على اتباع نهجها .. ولم يعترض مجلس الامن على تصرفات الولايات المتحدة الامريكية هذا .. والصين الشعبية لم تنشأ على أرض امريكية ، ولم تعتد مرة واحدة على اراضي ولايات الحكومة الامريكية ..

فقرار مجلس الامن اذن وثيقة سياسية يود واضعوها ان يحل الفرقاء في الشرق الاوسط خلافاتهم بموجبها ، وليس قراراً ملزماً للفرقاء ولا موجباً عليهم تنفيذ بنوده .

آثار العدوان وقضية فلسطين

بعد كارثة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، اخذت دول عربية تطالب بازالة آثار العدوان . والمقصود من هذا العدوان ، عدوان حزيران ١٩٦٧ . ومعنى ذلك المطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في عدوانها في حرب الايام الستة . وانه لشعور انساني ، اثر الصدمة الشديدة غير المتوقعة ، ان تطالب تلك الدول بازالة آثار العدوان ، دون المطالبة بازالة آثار عدوان الصهيونيين من اساسه ، منذ قيام اسرائيل . ولكن الواجب الوطني يتطلب غير ما ادى اليه ذلك الشعور الآني اثر الصدمة. انه يتطلب المطالبة بازالة آثار الصهيونية من اساسها والعمل لتحقيق ذلك . لانه دون ازالة الصهيونية ووليدتها اسرائيل ، لا امل في العيش بسلام مطلقاً ، بل يظل الخطر يهدد الدول العربية المجاورة لاسرائيل وغير المجاورة لها .. وعلى الدول العربية ان تُفهم الدول المؤيدة لاسرائيل انه لن يكون « سلام عادل دائم » في المنطقة دون حل قضية فلسطين من اساسها ، بما فيها قضية الشعب الفلسطيني وحقه في العودة الى وطنه فلسطين وممارسة جميع حقوقه فيه ..

واذا كانت الدول العربية ترى ، في هذه الايام ، انه ليس من المستطاع ازالة آثار العدوان وحل قضية فلسطين حسب المفهوم العربي ، فان من واجب هذه الدول الا تقبل مطلقاً بحل قضية فلسطين حسب المفهوم الغربي الموالي لاسرائيل ، الذي تضمنه قرار مجلس الامن . لقد قامت اسرائيل باعتدائها في ٥ حزيران (يونيو) لخلق قضية جديدة للعرب تنسيهم قضية فلسطين واخطار اسرائيل ، وليكون حل القضية الجديدة وسيلة لتصفية قضية فلسطين وازالة قرارات الامم المتحدة المتعلقة بها مما هو ، ولو جزئياً ، في مصلحة اهل فلسطين . وقد جاء قرار مجلس الامن الهادف الى تسوية سلمية مسايراً للخطة الاسرائيلية ، اذ ان تنفيذه ، كما تفهمه حكومتا امريكا وبريطانيا ، يؤدي حتماً الى تصفية قضية فلسطين والغاء جميع القرارات السابقة المتعلقة بها ..

وفي هذه الحالة يكون من المصلحة الوطنية العربية الفصل الكلي بين القضيتين : قضية ازالة آثار العدوان وقضية فلسطين ، لتعمل الدول العربية لازالة آثار العدوان ، دون أن يمس ذلك مطلقاً قضية فلسطين وحق اهل فلسطين ، من نواحيه المختلفة ، في وطنهم .. ويكون ذلك بألاّ تعترف الدول العربية باسرائيل ..

هذا مع العلم بأن قضية فلسطين تخص أهل فلسطين والدول العربية ، اذ هي قضية العرب الكبرى ، ومضاعفاتها تلحق بالعرب اجمع .. وعليه ليس من واجب الفلسطينيين وحدهم العمل للوصول الى حل عادل للقضية الفلسطينية ، كما ليس من حق دولة او اكثر من الدول العربية البت فيها دون ان يكون لأهل فلسطين الرأي الاول والقرار النافذ ، لان مصيرهم ومصالحهم وحقوقهم في وطنهم وكيانهم هي التي في الميزان .. ولقد صرحت الحكومة المصرية انها تسير على هذا النهج .. وقال الاستاذ محمد حسنين هيكل « ان انهاء حالة الحرب قد يكون موضوعاً جائزاً للمناقشة في صدد ازالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ ، ولكن فرض حالة السلام مسألة اكبر ، وهي تتصل مباشرة بقضية فلسطين وبنضال شعبها ، وهي مسألة ليست مطروحة ، ولا يمكن ان تكون مطروحة ، في اطار الاوضاع القائمة في الشرق الاوسط منذ سنة ١٩٤٨ » .[١]
ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا القول الصائب وبين مضمون قرار مجلس الأمن؟ ..

اني من الذين يتمنون ان تتمكن الدول العربية من ازالة آثار العدوان كاملة بالطرق السلمية ، دون ان تتنازل لاسرائيل عما تطالب به من امور هي ابهظ ثمناً مما تريد

---

(١) الاهرام في ٢ ايار (مايو) ١٩٧٠ .

الانسحاب عنه من اراض ، واشد خطراً على الأمة العربية ومصيرها من احتفاظ اسرائيل بما احتلته الى حين ، وقد مضى على ذلك حتى الآن ما يزيد على الثلاث سنوات ..

ما ادى اليه القرار عملياً

صدر قرار مجلس الامن بشأن الموقف في الشرق الاوسط في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، فقبلت به حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الاردن . وكان قبولهما لان وضعهما العسكري كان منهاراً ، وعلى اساس انه خطوة اولى نحو حل النزاع العربي الاسرائيلي ، وان اهم ما فيه حسب رأيهما هو انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة . وان المواد التي وضعت بصيغة عامة كايجاد « سلام عادل دائم » و « سلامة الاراضي » و « حدود آمنة » ، يمكن اعتبار انها تنطبق على الدول العربية وليس على اسرائيل وحدها ، بالاضافة الى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين . . وقال الرئيس جمال عبد الناصر انه قبل بقرار مجلس الامن وكان له شرطان « الاول الانسحاب الكامل من جميع الاراضي العربية المحتلة ، والثاني حقوق شعب فلسطين او تنفيذ قرارات الامم المتحدة بالنسبة لشعب فلسطين »[1] ..

ان القرار لا يوصل الى تسوية سلمية عادلة ، وقبوله يعني الاعتراف باسرائيل ضمن الحدود الآمنة التي يتم الاتفاق عليها ، وهذا يؤدي الى تنازل الدول العربية التي ستعترف باسرائيل عما تحتله من اراض فلسطينية ، ضمن تلك الحدود الآمنة ، وبذلك تتنازل دول عربية عن قسم من الوطن العربي لا تملكه هي بل هو ملك للفلسطينيين ، وتضيع عليهم حقوقاً أساسية في وطنهم .. ولولا ذلك لكان الموقف الايجابي الذي وقفته مصر والاردن خطة دبلوماسية مفيدة تظهر للعالم حقيقة نوايا اسرائيل ، وتكشفها للرأي العام على حقيقتها ، وتبين انها لا تريد السلام حقاً ، وانما تريد التوسع واستسلام الدول العربية بالارهاب والتدمير .. وذلك برفضها قبول قرار مجلس الامن وتنفيذ ما جاء فيه ، واصرارها على اجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين الدول العربية ، تؤدي الى صلح تملي اسرائيل فيه شروطاً لتحقيق السلام الذي تريده ، وما تريده هو

(١) راجع المرجع السابق .

ضم البلاد التي احتلتها اليها ، او الكثير منها ، وتحقيق الفوائد الجمة التي ذكرها قرار مجلس الامن ، وفوائد اخرى لم يذكرها . .

لقد عين الامين العام للامم المتحدة الدكتور كونار يارينك سفير السويد لدى الاتحاد السوفيتي ، ممثلاً خاصاً له كما جاء في البند الثالث من القرار . ووصل الدكتور يارينك الى قبرص في ١٠ – ١٢ – ١٩٦٧ ، واتخذ مدينة نيقوسيا مركزاً لعمله .. وتجول بين القاهرة وعمان وتل ابيب مراراً ، وذهب الى نيويورك وعاد الى الشرق الاوسط .. الى ان قرر في ٢٧ – ٤ – ١٩٦٨ ان لا فائدة من استمراره في عمله لرفض اسرائيل قبول القرار عامة ومبدأ الانسحاب خاصة .. فعاد الى موسكو وتابع عمله فيها سفيراً لبلده .. ثم رجع الى نيويورك في ٣ – ٨ – ١٩٧٠ لاستئناف محادثاته مع الفرقاء .. غير ان اسرائيل رفضت الاشتراك بالمحادثات .. فعاد الدكتور يارينك مرة اخرى الى موسكو في ٢٠ – ١٠ – ١٩٧٠ ..

وفي ٢٥ – ١٠ – ١٩٧٠ رجع الدكتور يارينك الى نيويورك ، وسعى لاستئناف المحادثات ، وتحادث مع ممثل الجمهورية العربية المتحدة ومع ممثل الاردن ، وناشد اسرائيل استئناف اشتراكها في مباحثات السلام ، على انه لم يتلقَّ منها رداً على رسالته ، فغادر نيويورك الى موسكو من جديد في ١٩ – ١١ – ١٩٧٠ ..

وفي ٢٨ – ١٢ – ١٩٧٠ قررت الحكومة الاسرائيلية انهاء تعليق اشتراكها في المحادثات برعاية الدكتور يارينك ، وكان ذلك منها مناورة سياسية هدفها حمل الأمين العام للأمم المتحدة على ألاّ يُدين تصرفها بخروجها من المباحثات في التقرير الذي عليه ان يرفعه الى مجلس الامن في ٥ – ١ – ١٩٧١ ، من جهة ، وللوصول الى تمديد وقف اطلاق النار للمرة الثالثة ، من جهة اخرى ، وتجميد خطوط وقف اطلاق النار مع الأيام وتحويلها عملياً الى حدود ، وبقاء إسرائيل في الأراضي المحتلة ..

وقد مر على قرار مجلس الامن ، الهادف الى ايجاد تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، اكثر من ثلاث سنوات ، قامت اسرائيل خلالها بالاعتداءات على الجبهات العربية الاربع : المصرية ، والاردنية ، والسورية ، واللبنانية ، فأحدثت دماراً وازهقت ارواحاً بريئة من نساء وشيوخ واطفال .. لارغام الدول العربية على الرضوخ لمشيئتها والقبول بمطاليبها .. وفي الوقت نفسه قامت الزعامة المصرية بوضع جميع امكانات مصر لتقوية جبهة الدفاع عن الوطن ، وتعزيز الجيش بما يلزمه ، لتصل الى مركز القوة .. وقد

انتقلت من الدفاع الى ضرب المعتدين والحاق الاضرار بهم ، والى عبور قوات مصرية القناة وايقاع اضرار بالقوات الاسرائيلية في الضفة الشرقية منها ، وبدأت ما سمته « حرب الاستنزاف » ، تمهيداً لاستعادة ما خسرته بالقوة ما دامت اسرائيل ترفض الانسحاب منه سلماً ..

وفي هذه الاثناء ظهرت على المسرح العسكري والسياسي في الشرق الاوسط ، قوة جديدة ، اصبحت قوة معترف بها دولياً ، الا وهي قوة الثورة الفلسطينية ، قوة الفدائيين من ابناء فلسطين ، ومن يعمل من شباب البلاد العربية الحر المناضل .. التي اصبحت تزعج اسرائيل في اسرائيل ذاتها ، وتوقع اضراراً كبيرة في قواتها العسكرية وفي مدنها وقراها .. قوة لم تكن تخطر على بال واضعي قرار مجلس الامن ..

وهذه القوة قد ادت بالمستر جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط الى ان يذكر « الفلسطينيين » ضمناً وصراحة . فقد صرح في روما في ٢٤ – ٤ – ١٩٧٠ ، وهو في طريقه الى واشنطن عائداً من رحلته في الشرق الاوسط بقوله : « ان الولايات المتحدة الامريكية تدرك تماماً انه لا يمكن ان يكون في المنطقة – منطقة الشرق الاوسط – سلام دائم ومستقر وعادل ، اذا لم يعترف بالمتطلبات الشرعية للشعوب المعنية بالقضية الفلسطينية » .. ثم قال صراحة في مؤتمره الصحفي الذي عقده في واشنطن في ٢٥ – ٤ – ١٩٧٠ ، ان الولايات المتحدة الامريكية « تدرك شعور الفلسطينيين بالخيبة ، وهي تسعى لحل مشكلتهم بصورة عادلة » . وقال « ان هناك وعياً جديداً بين الشباب الفلسطيني يحتاج الى توجيه ليبعده عن المرارة والشعور بالخيبة » . غير انه انكر عليهم وجودهم كشعب له كيانه السياسي حينما أضاف قوله : ان الفلسطينيين ذوو آراء متعددة ، ولذلك فانه يستبعد عقد محادثات مباشرة مع زعمائهم ، وان الحوار سيستمر بين الولايات المتحدة الامريكية والدول العربية واسرائيل في اطار الحكومات القائمة في المنطقة[1] .

ولما اشتدت حرب الاستنزاف ذهب المستر ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الى واشنطن في ٢٠ ايار (مايو) ١٩٧٠ ، واجتمع فيها بالرئيس نيكسون والمستر وليام روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ، وبعدد من الزعماء الامريكيين ،

---

(١) جريدة النهار – بيروت – في ٢٥ و ٢٦ – ٤ – ١٩٧٠ .

مطالباً بتزويد اسرائيل بالطائرات والدبابات والاسلحة الاخرى التي سبق ان طلبتها .. وذاكراً لهم خطر وجود الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط . وفي عودته مر بلندن في ٢٤ ايار (مايو) حيث اجتمع بالمستر مايكل ستيوارت وزير خارجية بريطانيا .. وقد تلقى في العاصمتين النصيحة بأن تعلن حكومته قبولها لقرار مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، لتحسن سمعتها في الاوساط الدولية .. وليتمكن الدكتور كونار يارينك من العودة الى الشرق الاوسط ، ومتابعة اتصالاته بالفرقاء ، للوصول الى تسوية سلمية في ضوء ما جاء في قرار مجلس الامن ..

والنصيحة التي وجهت الى ابا ايبان قد حملت كولدا مايير رئيسة الحكومة الاسرائيلية على تغيير التكتيك الكلامي الذي كانت تتبعه في سياستها ، فقالت في البرلمان الاسرائيلي في ٢٦ – ٥ – ١٩٧٠ ان الحكومة الاسرائيلية لم يسبق ان رفضت قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين (نوفمبر) ٩٦٧ ، بل قبلته ولا تزال تقبله ! .. وكررت طلبها اجراء مفاوضات مباشرة مع العرب للوصول الى الصلح ! .. وما قبول رئيسة وزراء اسرائيل الكلامي بقرار مجلس الامن الا مراضاة للحكومة الامريكية وملاينة لها ، حتى تعطي اسرائيل الطائرات والسلاح الذي كانت قد طلبته من الرئيس نيكسون .. وهو قبول تكتيكي كلامي فقط ، وفي رأينا ان الحكومة الاسرائيلية لن تغير سياستها ، ولن تقوم بتنفيذ ما يطلبه القرار منها ، وهو الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . والا فأي معنى لقبولها القرار بينما هي في الوقت نفسه تصر على مفاوضات مباشرة مع الدول العربية تؤدي الى السلام الذي تريده اسرائيل ؟ ! وهي ايضاً ترفض استعمال كلمة « انسحاب » في اي بيان من بيانات الحكومة الاسرائيلية ، او في اي تصريح من تصاريحها ! وما معنى قبولها القرار بينما هي تعلن ضم القدس العربية اليها ، وتشيد المعسكرات والقرى اليهودية في الضفة الغربية ، وتخصص احياء في عدد من المدن العربية لسكنى اليهود فيها ، وتغير طابع المدن والقرى الاردنية من الطابع العربي الى الطابع اليهودي ! .. وما معنى قبولها القرار ، وهي تصر على ان شرم الشيخ وقطاع غزة وما يوصل بينهما من سيناء جزء من اسرائيل ، وكذلك الجولان ! .. فقد اعلن ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية في حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ انه اذا جرت المفاوضات مع الدول العربية ذات يوم ، فان اسرائيل ستصر على البقاء في القدس ومرتفعات الجولان وشرم الشيخ ، كما ستصر على ايجاد ممر بري بين شرم الشيخ

وايلات ! ..[١] .

اكرر القول ان اسرائيل لن تنسحب من جميع الاراضي التي احتلتها الا اذا ارغمت على ذلك بالقوة او ، على الاقل ، عندما تتأكد من أنها لا تستطيع الاحتفاظ بها بالقوة ! .. وهذا هو الاساس الذي ينبغي ان يبني العرب عليه استراتيجيتهم لاستعادة ما اغتصبته اسرائيل من بلادهم ..

موقف الرئيس نيكسون من تقوية الجمهورية العربية المتحدة

والاسرائيليون يعلمون انه اذا تفاهمت الدول العربية فيما بينها ، وجندت قواها ومواردها لمواجهة اسرائيل مواجهة واحدة ثابتة ، واذا استمر الاتحاد السوفيتي في مد مصر وبلاد عربية اخرى بالسلاح اللازم لهذه المواجهة ، وتقديم الخبراء للتوجيه وتحسين المقدرة القتالية ، فان العرب يصبحون في مركز يمكنهم من حمل اسرائيل على الانسحاب من البلاد التي احتلتها.. ولهذا قامت اسرائيل في الربع الثاني من سنة ١٩٧٠ بحملة واسعة ضد مساعدات الاتحاد السوفيتي للعرب والوجود السوفيتي في الشرق العربي ! .

وقد حاول ايبان اقناع الامريكيين والانكليز ، في زيارته الاخيرة بأن هذا الوجود ليس خطراً على اسرائيل فحسب وانما على مصالح امريكا نفسها وعلى سلامة اوربا ايضاً ! .. وطالب حكومة الرئيس نيكسون باتخاذ الاجراءات القوية اللازمة لازالة خطر الوجود السوفيتي في مصر .. وقال في مقابلة تلفزيونية اجراها في اسرائيل ، في ٢٩ — ٥ — ١٩٧٠ ، اثر عودته من امريكا : « ان المعارضة للتدخل السوفيتي في الشرق الاوسط قد اصبحت اقوى في الولايات المتحدة ، وفي دول غربية اخرى ، خلال الاسبوعين الماضيين .. » . وذكر ان الاتحاد السوفيتي لن يتأثر الا اذا علم انه لا يمكنه زيادة تورطه — مساعداته — في المنطقة دون مواجهة مقاومة امريكية على المستوى نفسه. ! وقال « ان لدي املاً في ان توجه الولايات المتحدة تحذيراً واضحاً الى زعماء الكرملين ». واشار الى ان اسرائيل « تريد ، في آن واحد ، مثل هذا التحذير وشحنات جديدة من الاسلحة » ! .. وقال « لا يكفي ان تؤدي دراسات الولايات المتحدة للوضع الى قرار باعطاء اسرائيل طائرات اخرى ، بل ان هناك حاجة كذلك الى ان تقوم الولايات المتحدة

(١) جريدة النهار — بيروت — في ٦ — ٦ — ١٩٧٠ .

بخلق جو دولي يحول دون زيادة تورط الاتحاد السوفيتي في المنطقة »[١] .

لقد وصلت الصفاقة الاسرائيلية الى اقصى درجاتها ، ويشجعها على ذلك تحكم نفوذها في البيت الابيض ، وفي الاوساط السياسية الامريكية التي يصل اليها اعضاؤها عن طريق الانتخابات ، او ما للصهيونيين عليهم من نفوذ بطرق اخرى ..

تريد اسرائيل من حكومة الولايات المتحدة الامريكية ان تمنع الاتحاد السوفيتي من مساعدة العرب للدفاع عن النفس ورد اعتداءات اسرائيل ، وهي في الوقت نفسه تطالب الحكومة الامريكية بأن تمدها بمزيد من الطائرات والاسلحة الهجومية الاخرى ، لمتابعة اعتداءاتها على البلاد العربية ، واسرائيل معتدية محتلة لاقاليم عربية كبيرة ، وثائرة على الامم المتحدة ، ومزدرية لقراراتها ! . واسرائيل تريد من الحكومة الامريكية ان تخاصم الاتحاد السوفيتي بشدة ، ولو ادى ذلك الى حرب معه واندلاع حرب عالمية ثالثة ، كل ذلك في سبيل ابقاء العرب ضعفاء ، وابقاء سيطرة اسرائيل العسكرية في المنطقة ، والتمكين من احتلالها لاقاليم عربية كبيرة ! . انها تريد من واشنطن ان تحارب حربها في الشرق الاوسط في سبيل بقاء تفوقها وسيطرتها في المنطقة ، ولو على حساب المصالح الامريكية والسلام العالمي ! .

وانه لمن المؤسف ان يكون الرئيس نيكسون اداة تنفيذ لما تريده اسرائيل ، ووسيلة تحقيق ما يأمل به ابا ايبان وزير خارجيتها ! .. لقد قام الرئيس نيكسون بتنفيذ ما طالبه به ابا ايبان ! . ففي مقابلة تلفزيونية جرت في ٢ تموز (يوليو) ١٩٧٠ مع رئيس اقوى دولة في عالم اليوم صرح الرئيس نيكسون :

ان النزاع في الشرق الاوسط هو اخطر نزاع يهدد السلام العالمي ، وهو ، بالنسبة الى الولايات المتحدة ، يشكل خطراً اكبر من خطر النزاع الفيتنامي ، لأنه يمكن ان يؤدي الى مجابهة نووية مع الاتحاد السوفيتي ، بينما الوضع في فيتنام غير ذلك .. وذكر الرئيس نيكسون اهمية الشرق الاوسط الجغرافية والاستراتيجية والاقتصادية وسياسة الولايات المتحدة فيه ، فأعلن انها تهدف الى « المحافظة على ميزان القوى في المنطقة » . وقال : « ان ذلك يجعل من الضروري للولايات المتحدة ، في وقت يتحرك فيه الاتحاد السوفيتي لمساندة مصر ، ان تزن ما يفعله الاتحاد السوفيتي . وعندما يميل ميزان القوى

(١) جريدة النهار — بيروت — في ٣٠ — ٥ — ١٩٧٠ .

سيكون عليها عمل ما هو ضروري للمحافظة على قوة اسرائيل بالنسبة الى جاراتها ، لمنعها من الهجوم عليها » ! . وقال « ان الحرب ستنشب متى تحول ميزان القوى الى درجة تصبح معها اسرائيل اضعف من جاراتها » . واعرب الرئيس نيكسون عن اعتقاده ان الناحية الدبلوماسية « صعبة جداً ، لأن على جارات اسرائيل طبعاً الاعتراف بحقها في الوجود ، وعلى اسرائيل الانسحاب الى حدود يمكن ان تحفظ امنها » . ولم يقل الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ! . ثم قال «اننا نعترف بأن اسرائيل لا تريد القاء دول اخرى في البحر ، في حين ان دولاً اخرى تريد ان تلقي باسرائيل في البحر » ! . ووصف الرئيس نيكسون الجمهورية العربية المتحدة ، والجمهورية السورية بأنهما « دولتان معتديتان »[1] !

ان الانسان ليدهش كيف ان رئيس اكبر دولة في العالم يدلي بهذه التصاريحات الغربية المضللة المنافية للواقع :

والرئيس نيكسون يعني بالمحافظة على ميزان القوى في المنطقة ان تكون اسرائيل اقوى من جميع الدول العربية مجتمعة ، وبعبارة اخرى ان يكون اقل من ثلاثة ملايين من الصهيونيين اقوى من مئة مليون من العرب ! . وهذا ما نادى به في اثناء حملته الانتخابية للرئاسة سنة ١٩٥٨ ، اذ قال انه اذا انتخب رئيساً فسيجعل قوة اسرائيل اعظم من قوى جميع الدول العربية ! .. لماذا ؟ لتتمكن اسرائيل من تحقيق اهدافها التوسعية في البلاد العربية واستعمارها واستغلال ثرواتها ..

يريد الرئيس نيكسون منع العرب من التسلح والدفاع عن انفسهم امام اعتداءات اسرائيل وغاراتها الجوية اليومية ! .. ولهذا فهو يطالب الاتحاد السوفيتي بألا يمد مصر ، وغيرها من البلاد العربية ، بالسلاح والطائرات ، ويريده ان ينسحب من الشرق الاوسط ، لتظل اسرائيل القوة الفعالة فيه ، المتحكمة في مصير دول عربية ، كما يهدده بالحرب النووية اذا لم ينفذ ذلك.. وفي الوقت نفسه يمد الرئيس نيكسون اسرائيل بمختلف انواع الاسلحة من طائرات فانتوم ومدافع ودبابات وآلات الكترونية .. حتى وهي في غير حاجة اليها لأن قواها العسكرية اقوى من قوى الدول العربية ..

ويدعي الرئيس نيكسون ان مصر وسوريا دولتان معتديتان! ، وان اسرائيل دولة

(١) جريدة النهار– بيروت – في ٣ – ٧ – ١٩٧٠ .

معتدى عليها ! . ان الحقائق لا تتغير ، وان اراد تغييرها صوت رئيس اكبر دولة في عالم هذه الايام . فاسرائيل هي التي اشعلت نار حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وهي التي تحتل اقاليم شاسعة من مصر وسوريا والاردن ، وهي التي لا تزال تقوم بالاعتداء على هذه الدول الثلاث ، وعلى لبنان ايضاً . فالمعتدي في نظر الرئيس نيكسون معتدى عليه ، والمعتدى عليه والمحتلة بلادهم في نظره معتدون .. لقد فاق في احكامه احكام « قرقوش » .. ولم يسبق لاي انسان ان تمادى في التضليل وقلب الحقائق كما فعل الرئيس نيكسون ..

ويريد الرئيس نيكسون الا تنسحب اسرائيل من جميع الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بل الى حدود تحفظ امنها ، وهي الحدود الآمنة التي تنادي بها اسرائيل من اجل التوسع . وهو بذلك يؤيد كون الحرب تعطي مكاسب اقليمية وسياسية ، معارضاً القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة وقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ .

ويقول الرئيس نيكسون ان اسرائيل لا تريد ان تقذف بالدول العربية في البحر ، ولكن الدول العربية تريد قذف اسرائيل في البحر ! .. في حين ان العالم اجمع يعلم انه لم تعتد اي دولة عربية على اسرائيل منذ ان وجدت ، وانما اسرائيل هي الدائبة على الاعتداء على الدول العربية ، وهي التي شردت ابناء فلسطين ، بعد ان قتلت عشرات الالوف منهم ، وهي التي احتلت سيناء والضفة والغربية والجولان واجزاء من جنوبي لبنان .. وقرارات لجان الهدنة ، وقرارات مجلس الامن ، والحكومة الامريكية عضو دائم فيه ، قد أدانت اسرائيل باستمرار باعتداءاتها ، ولم يقل مجلس الامن ابداً ان دولة عربية اعتدت على اسرائيل .. ثم ان أبناء فلسطين الذين شردتهم اسرائيل ، والذين يناضلون لاعادة حقوقهم في وطنهم ، لم يقولوا ، على الرغم من كل ما اوقعت بهم اسرائيل من شقاء ، انهم يريدون قذف اسرائيل في البحر ، وانما ينادون ويصرحون بأن هدفهم في النضال اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين يكون فيها المواطنون من مسلمين ومسيحيين ويهود اصحاب حقوق وواجبات متساوية ..

لا ادري كيف يقبل الرئيس نيكسون على نفسه ان تصدر عنه تلك التصريحات والادعاءات وهو الرجل المثقف الذكي الذي يعلم انها لا تتفق مع الحقيقة بل تتنافى مع الواقع ؟ ! ..

لقد صرح الرئيس نيكسون بتصريحاته الغريبة المضللة المنافية للواقع ، تلبية لما طلبه ابا ايبان في تصريحه التلفزيوني في ٢٩ – ٥ – ١٩٧٠ حينما قال : « ان لدي املاً في ان توجه الولايات المتحدة تحذيراً واضحاً الى زعماء الكرملين » ، وان اسرائيل « تريد في آن واحد ، مثل هذا التحذير وشحنات جديدة من الاسلحة » ! .. وأنه « لا يكفي ان تؤدي دراسات الولايات المتحدة للوضع الى قرار باعطاء اسرائيل طائرات اخرى ، بل ان هناك حاجة كذلك الى ان تقوم الولايات المتحدة بخلق جو دولي يحول دون الاتحاد السوفياتي ومزيد من التورط في المنطقة » ! ..

وهدف الرئيس نيكسون من تصريحه هذا هو تخويف الاتحاد السوفيتي ، كما طلب ايبان ، بقوة امريكا النووية ، وتخويف العرب بقوة اسرائيل ، التي لا ينضب معينها الامريكي .. وذلك لحمل الاتحاد السوفياتي على الكف عن مساندة الجمهورية العربية المتحدة ، ومساعدتها عسكرياً ، كي تتمكن القوة الاسرائيلية المتفوقة من ارغام مصر على الرضوخ لمطالبيها . وما اسرائيل الا سيف الجلاد في الشرق الاوسط ، « يجلخه » ويزيده مضاءً كلما « ثلم » من كثرة الضرب .. ويقف الرئيس نيكسون من الامة العربية موقفاً اشد عداء من الموقف الذي وقفه كل من الرئيسين ترومان وجونسون ..

ومن المؤسف ان سياسة الولايات المتحدة الامريكية قائمة على القوة المجردة من كل انسانية ، وهي لا تؤدي الا الى زيادة القوة في الجانبين ؛ في اسرائيل المعتدية على دول عربية اربع ومحتلة اجزاء كبيرة من بلادها ، وفي دول عربية ترد الاعتداء وتعمل لاستعادة حقوقها في اوطانها ... كما تؤدي الى شدة النزاع واتساعه ..

والفرق شاسع بين موقف الرئيس نيكسون من ازمة الشرق الاوسط وبين موقف الرئيس الفرنسي بومبيدو ، الذي اعرب عنه في مؤتمره الصحفي الذي عقده في ٢ – ٧ – ١٩٧٠ ، وهو اليوم الذي جرت فيه المقابلة التلفزيونية مع الرئيس نيكسون .

قال الرئيس الفرنسي بومبيدو :

« ان هناك طريقة واحدة ، في نظرنا ، لاعادة توازن القوى الذي يكثر الحديث بشأنه ، وهي اقامة السلام في الشرق الاوسط .. والا فان توازن القوى سيستمر في التدهور على حساب اسرائيل مهما فعلنا . لذلك فان مصلحة اسرائيل ، اكثر من أي طرف آخر ، هي في الوصول الى تسوية سلمية ، والقبول بتسوية سلمية .. » . واكد الرئيس بومبيدو « انه من الافضل ، بدلاً من وزن اسلحة كل جانب وقياس التوازن ،

الضغط للوصول الى السلام . لانه اذا كانت السياسة التي تريد السلام ، او تؤكد ان هدفها هو السلام ، تعني اعطاء مزيد من الاسلحة لطرف ثم اعطاء مزيد من الاسلحة للطرف الآخر من اجل ان تكون كفتا الميزان متساويتين . فاذا كانت السياسة هكذا ، فان المخاطرة كبيرة بالنسبة الى الجميع ، سواء اكانت كفتا الميزان متساويتين ام لم تكونا .. واكرر انني اعتقد ، اكثر من اي وقت مضى ، ان الزمن يعمل ضد اسرائيل وان لا شيء اخطر على اسرائيل وعلى جميع العالم ، من تحويل نزاع ، هو في الوقت الحاضر مؤسف لكنه محصور على الاقل ، الى نزاع شامل بين الدولتين الكبيرتين ، اذ ان ذلك سيكون كارثة عالمية . لكنه للأسف لا يتوقف علينا نحن ان نجعل الجميع يتبعون المفهوم الذي اتحدث عنه وهو ضرورة الوصول الى سلام سريع » .

والفرق بين موقفي الرئيسين نيكسون وبومبيدو ، هو كالفرق بين رجلين أحدهما شاب قوي العضلات تفكيره محصور دائماً في استعمالها ، غير آبه لما يؤدي اليه ذلك من ازهاق ارواح وايقاع اضرار ، ولا يترك مجالاً لقواه العقلية الانسانية ان تعمل .. والآخر رجل انضجته ثقافة القرون وخبرتها ، ويرى ان حل الازمات لا يكون باستعمال العضلات دائماً ، لان ذلك يأتي بالمآسي ، ولكن بالحكمة والروية ، مهما امكن ذلك ، وتوخي الحق والعدالة والانسانية .. او هو كالفرق بين نتائج مدنيتين ، احداهما قائمة على المادة والقوة ، يرى ابناؤها تحقيق ما يريدون باستعمال المادة والقوة .. والثانية حضارة عريقة قديمة خبرت ادواراً متنوعة من الحياة ، وانتشرت بين ابنائها ثقافة عالية ونظرة الى العالم فيها شيء من الانسانية ، فأدى ذلك برجالها الى العمل لحل المشاكل بطرق سلمية ، كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

ومن مآسي العصر الذي نعيش فيه ان الدولة المتحكمة بالاحوال الدولية هي دولة رجل العضلات .. دولة المدنية القائمة على المادة والقوة .. التي تسيطر عليها عقلية «سياسة القوة » وتسيرها نزوات « غطرسة القوة » ..

يضاف الى ذلك ان المشكلة التي يواجهها العالم اليوم هي شدة السيطرة الصهيونية على واشنطن ولندن ، هذه السيطرة التي تضع سلام العالم في خطر .. ولا ينقذ العالم من هذا الخطر الشديد الا تحرر واشنطن ولندن من السيطرة الصهيونية ، واتباع سياسة امريكية صرفة وانكليزية صرفة في الشرق الاوسط ، والا تكونا اداة لتنفيذ السياسة الاسرائيلية فيه .. ففي ذلك مصلحتهما اولاً ، ومصلحة السلام في تلك المنطقة ثانياً ، وفي العالم ايضاً .

العودة الى العمل لتنفيذ قرار مجلس الامن .

ارسل المستر روجرز وزير الخارجية الامريكية رسالة الى السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة ، مؤرخة في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، ضمنها اقتراحات للوصول الى تسوية سلمية لأزمة الشرق الاوسط ، على اساس قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ..[١]

وفي الاجتماعات التي عقدها معظم ملوك ورؤساء الدول العربية في طرابلس ، اثناء الاحتفالات بعيد جلاء امريكا عن قاعدة عقبة بن نافع — ويلس سابقاً — ما بين ٢٠ — ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، وقف بعض رؤساء دول عربية على مقترحات روجرز ، وتباحثوا فيما بينهم في الحل السلمي التي تتقدم به المقترحات الامريكية .. ولم يرفضها كل من مصر والاردن والسودان وليبيا ، وتم تفاهم بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس نور الدين الاتاسي على ألاّ تعارض الحكومة السورية التوصل الى التسوية السلمية ، وان كانت سترفض الاقتراحات تبعاً لموقفها السابق من قرار مجلس الامن ..

وقبل ان يعلن الرئيس جمال عبد الناصر قبول الجمهورية العربية المتحدة المقترحات الامريكية ، سافر الى الاتحاد السوفيتي للتباحث مع زعماء الكرملين في قضية الشرق الاوسط واجراء تنسيق في المواقف .. وبقي في موسكو ١٩ يوماً ، من ٢٩ حزيران (يونيو) الى ١٧ تموز (يوليو) ١٩٧٠ ، عقد خلالها اجتماعات متعددة مع زعماء الكرملين.

وحضر الرئيس جمال عبد الناصر اجتماع مجلس السوفيات الاعلى (البرلمان السوفياتي) يوم ١٥ تموز (يوليو) . وفي هذا الاجتماع ألقى رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الاتحاد السوفيتي البيان الرسمي عن الشرق الاوسط الذي جاء فيه :

« ... ان اسرائيل لم تنفذ اي قرار اتخذه مجلس الامن والجمعية العمومية للامم المتحدة بشأن ازمة الشرق الاوسط ، وقد عرقلت وتعرقل بموقفها جميع الجهود التي تستهدف التوصل الى تسوية سياسية في الشرق الاوسط ، ومن الواضح تماماً ، في الوقت الحاضر ، ان اسرائيل تقاتل ، لا من اجل وجودها وامنها ، بل في سبيل اغتصاب اراضي الغير . وتطبق اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة سياسة النهب الاستعماري والارهاب الجماعي ضد السكان العرب » .

(١) في الفصل التالي بحث عن اقتراحات روجرز وما تتضمنه من اخطار قانونية وسياسية .

وموقف الاتحاد السوفياتي في هذا القسم من بيانه الرسمي يختلف عن موقف الولايات المتحدة الامريكية التي تدعي وتذيع ان اسرائيل معتدى عليها ، وان الدول العربية هي المعتدية ! .. في حين ان اسرائيل تحتل اقساماً واسعة من ثلاث دول عربية ، يقول الرئيس نيكسون انها معتدية على اسرائيل ؟ ! ..

وجاء في البيان المذكور « ان مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي يستحسن كل الاستحسان سياسة الحكومة السوفياتية المتعلقة بتقديم المساعدة الشاملة الى الدول العربية في نضالها الباسل ضد العدوان الاسرائيلي ، كما يستحسن السياسة الموجهة الى احراز تسوية سلمية سياسية عادلة لنزاع الشرق الاوسط » .

وتابع البيان يؤكد « ان مجلس السوفيات الاعلى للاتحاد السوفياتي يعتبر ان كل دولة من دول الشرق الاوسط لها حق في الوجود الذاتي والاستقلال والامن » .

كما اكد ان « الاتحاد السوفياتي اعتبر ، ويعتبر ، ان اصحاب الوضع في الشرق الاوسط ما هم الا شعوب الدول القائمة هناك وحكوماتها »[١] .

وفي هاتين الفقرتين الاخيرتين يقف الاتحاد السوفياتي الموقف الذي تقفه الولايات المتحدة الامريكية من النزاع في الشرق الاوسط ، اذ ان كلا منهما تعترف بحق اسرائيل في الوجود الذاتي والاستقلال ضمن حدود آمنة .. وبأنه ، كما جاء في الفقرة الاخيرة من البيان السوفيتي ، لا وضع لأي شعب لا دولة له قائمة معترف بها في الشرق الاوسط ، ولا حق له في ان يكون له رأي في النزاع العربي الاسرائيلي . ومعنى ذلك ان الشعب الفلسطيني ، الذي ليس له حكومة قائمة معترف بها ، لا وضع له في الشرق الاوسط ، بحسب رأي الاتحاد السوفياتي ، وليس له حق في ان يكون له رأي في مصير وطنه ، ولا في مصير ذاته ! .. وهذا الرأي تراه الولايات المتحدة الامريكية ايضاً ، وقد عبر عنه المستر جوزيف سيسكو حينما قال ، في مؤتمره الصحفي الذي عقده في واشنطن يوم ٢٥ — ٤ — ١٩٧ ، انه لا يمكن عقد محادثات مباشرة مع الزعماء الفلسطينيين ، وان المباحثات تستمر بين الدول فقط ، اي بين الولايات المتحدة والدول العربية واسرائيل.

وفي نهاية المباحثات المصرية السوفياتية صدر في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٧٠ بيان مصري سوفياتي مجمل مضمونه : اتخاذ اجراءات عاجلة توقف الاعتداءات الاسرائيلية

(١) نشرت جريدة النهار البيان السوفيتي الرسمي في عددها الصادر في ١٦ — ٧ — ١٩٧٠ .

وتحقق انسحاب اسرائيل وتنفيذ قرار مجلس الامن ، وقرارات الامم المتحدة الخاصة باللاجئين .

وجاء في هذا البيان :

« اعرب الطرفان عن ايمانهما الكامل بأن اقرار السلام العادل الدائم في الشرق الاوسط لا يمكن تحقيقه الا باتخاذ الاجراءات العاجلة الكفيلة بوقف الاعتداءات الاسرائيلية ضد الدول العربية ، وسحب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي المحتلة وفقاً لمبدأ عدم شرعية اكتساب الاراضي عن طريق الحرب ، وتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ بصورة كاملة ، ووضع قرارات الامم المتحدة الخاصة باللاجئين الفلسطينيين موضع التنفيذ » .

« واكد الطرفان تأييدهما للجهود التي تبذل في نطاق الامم المتحدة والرامية الى تحقيق التسوية السلمية في الشرق الاوسط » ..

« وبحث الطرفان الطرق والوسائل الكفيلة بتحقيق تسوية سلمية لأزمة الشرق الاوسط ، وأعلنا عزمهما على الاستمرار في تنسيق جهودهما في هذا الاتجاه » ..

« .. ويهيب الطرفان ، وهما يبذلان الجهود من اجل تسوية عاجلة لازمة الشرق الاوسط ، بكل الشعوب المحبة للسلام ان ترغم اسرائيل على الكف عن سياستها الفاشلة التي تستند الى استخدام القوة ضد الشعوب العربية ، حتى يمكن الاسراع في تحقيق السلام العادل الدائم في هذه المنطقة ، وهو ما يتفق والمصلحة الحيوية لجميع الشعوب في الشرق الاوسط ومصلحة السلام العالمي »[1] .

والبيان المصري السوفياتي يلقي نوراً على حقيقة ما جرى في المباحثات المصرية السوفياتية .. ففي تلك المباحثات اكد الفريق السوفياتي ان على مصر والدول العربية قبول الحل السلمي والعمل لتحقيقه .. وانه لم يقبل ، حينذاك ، طلب مصر بتزويدها بمعدات عسكرية تمكنها من ضرب الاماكن العسكرية الحساسة داخل اسرائيل ، حتى تصبح مصر في مركز اقوى يساعدها على نيل شروط احسن في مباحثات الحل السلمي . وسياسة مصر العسكرية ، في النزاع العربي الاسرائيلي ، كانت قائمة على ان تكون مصر في مركز قوة يمكنها من نيل احسن الشروط في مفاوضات الحل السلمي .

---

(١) جريدة النهار – بيروت – في ١٨ – ٧ – ١٩٧٠ .

وعاد الرئيس جمال عبد الناصر الى مصر .. وفي خطابه يوم ٢٣ تموز (يوليو) اعلن قبوله الاقتراح الامريكي للوصول الى حل لأزمة الشرق الاوسط على اساس قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ .. وكان لقبول مصر باقتراح روجرز اصداء متنوعة في الدول العربية ، وبين شعوبها ، وفي المنظمات الفدائية الفلسطينية .. وارسل الملك حسين برقية للرئيس جمال عبد الناصر في ٢٦ تموز (يوليو) جاء فيها : « اننا نقبل ما تقبلون ونرفض ما ترفضون » ، وذلك قبل ان تأخذ الحكومة الأردنية قراراً في الموضوع ..

وهكذا عادت مصر والاردن الى تنفيذ الحل الذي نص عليه قرار مجلس الامن ، (تصريح بلفور رقم ٢) ، بعد نضال مرير استمر ثلاث سنوات ذهب خلالها ألوف الضحايا العرب .. وكانت مصر والأردن قد قبلتا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ قرار مجلس الامن ، لانهما كانتا في وضع عسكري قريب من الصفر .. اما حين عودتهما الى التسوية السلمية على اساسه في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠ فكان لدى مصر وحدها اقوى جيش بري ، في المنطقة مؤلف من (٦٥٠) ألف مقاتل ! ..

فما هي الاسباب التي حملت الرئيس جمال عبد الناصر على قبول التسوية الامريكية لأزمة الشرق الاوسط ؟ . وما هي حقيقة مضمون الاقتراح الامريكي للتسوية السلمية؟. وهل هذه التسوية تؤمن فعلاً حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه ، ام انها تصفي القضية الفلسطينية ، وتشتت الشعب الفلسطيني ؟ ..

هذا ما سأحاول بيانه في الفصل التالي .

الفصل السابع

الأخطار القانونية والسياسية في اقتراحات روجرز وقرار مجلس الأمن

في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر قبوله اقتراحات المستر روجرز وزير الخارجية الامريكية في الوقت الذي تملك فيه مصر اكبر واقوى جيش ارضي في المنطقة ، مؤلف من (٦٥٠) ألف مقاتل ، فأحدث ذلك القبول دهشة في جميع البلاد العربية وفي الدول الصديقة ، اذ انه أتى بعد ان كانت التصريحات الصادرة عن القاهرة تؤكد انها توشك ان تعبر القناة لاسترداد الاراضي المحتلة ، لأن « ما اخذ بالقوة لا يسترد إلابالقوة » . وجدير بالذكر انه عندما كانت القوة العسكرية شبه متلاشية في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، رفض سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الاستسلام ، وقاد حركة المقاومة بكل ضراوة واصرار ، وايد الفدائيين وحثهم على المقاومة الى اقصى حدود امكاناتهم ، ومدهم بالسلاح[١] ..

على ان قبول الاقتراحات الامريكية احدث الى جانب الدهشة ، انقساماً في الصف العربي .

فمصر والاردن قبلتا اقتراحات روجرز ، لانهما قبلتا قرار مجلس الامن الصادر في

(١) اثر صدور اقتراحات روجرز وضعت بحثاً اثبت فيه الاخطار القانونية والسياسية لها ، وارسلته الى بعض الملوك والرؤساء مع كتاب خاص ، ثم نشر البحث في جرائد ومجلات بعض العواصم العربية .

٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ في حينه .. والعراق وسوريا والجزائر رفضت الاقتراحات تبعاً لسياستها التي ادت بها الى رفض قرار مجلس الامن ، اذ انها ترى فيه تصفية للقضية الفلسطينية وانتصاراً لاسرائيل بالاعتراف بها واعطائها شرعية وجودها في قلب العالم العربي .. وايدت ليبيا والسودان قبول مصر الاقتراحات .. ووقفت جميع الدول العربية الاخرى موقف الذي لا يؤيد القبول ولا يعارضه .. ورفضت جميع المنظمات الفدائية اقتراحات روجرز وقبول قرار مجلس الامن ، رفضاً باتاً ، لأنها ترى فيها تصفية تامة للقضية الفلسطينية ، وقضاء على الثورة الفلسطينية ، واعادة شعب فلسطين الى لاجئين مشردين .. واجابت الجهات المصرية المسؤولة ان القبول باقتراحات روجرز وتنفيذ قرار مجلس الامن لا يؤثر مطلقاً في قضية فلسطين ، وان للشعب الفلسطيني الحق في رفض قرار مجلس الامن ، وفي تقرير مصيره ..

ومن الجدير بالذكر ان مقترحات روجرز وقرار مجلس الامن تتجاهل كلياً وجود قضية فلسطينية وشعب فلسطيني ، ولا تذكر مطلقاً ان له حقاً وطنياً في بلده ، وتعتبر الفرقاء المعنيين في قضية النزاع العربي الاسرائيلي هم الدول العربية المحيطة باسرائيل واسرائيل فقط . وهذه هي سياسة اسرائيل واستراتيجيتها لتصفية القضية الفلسطينية والقضاء على الشعب الفلسطيني .. وهي ايضاً سياسة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي . وقد عنى ذلك الاتحاد السوفياتي عندما ذكر في بيان مجلس السوفيات الاعلى (البرلمان السوفياتي) في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٧٠ ، ان « الاتحاد السوفياتي اعتبر ويعتبر ان اصحاب الوضع في الشرق الاوسط ما هم الا شعوب الدول القائمة هناك وحكوماتها » . وهذا يعني ان الشعب الذي ليس له دوله قائمة ولا حكومة في الشرق الاوسط ، ليس له وضع ولا حق في ان يكون له رأي في النزاع العربي الاسرائيلي . والمقصود بذلك هو الشعب الفلسطيني . وهو يهدف الى انه ليس للشعب الفلسطيني حق في ان يكون له رأي في مصير وطنه ، ولا في مصيره هو ذاته ! . وهذا الرأي هو رأي الولايات المتحدة أيضاً ، الذي عبر عنه المستر جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية حينما قال في مؤتمره الصحفي الذي عقد في واشنطن في ٢٥ — ٤ — ١٩٧٠ ، اثر عودته من رحلته في الشرق الاوسط ، انه لا يمكن عقد محادثات مباشرة مع الزعماء الفلسطينيين ، وان المباحثات تستمر بين الدول : بين الولايات المتحدة الامريكية والدول العربية واسرائيل . وصرح الملك حسين لمراسل جريدة « الموند » الفرنسية : « ان حكومتي هي وحدها التي يحق لها التكلم بالنيابة عن الفلسطينيين ، والشعب الفلسطيني ينتمي الى الأسرة

الكبيرة التي أحكمها »[1] ..

تجاه هذه الحوادث المصيرية الخطيرة العواقب رأيت ان اضمن هذا الكتاب فصلاً ابين فيه جوهر ما في اقتراحات روجرز وقرار مجلس الامن – بعد ان كنت قد فرغت من وضع فصول الكتاب – دون الدخول في تشعبات الموضوع والجدل السياسي القائم حولهما ، واحصر بحثي ، المبني على الواقع والحقائق ، فيما لقبول اقتراحات روجرز وتنفيذ قرار مجلس الامن من آثـار قانونية وسياسية في القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

ولبيان ذلك بوضوح وتسليط الضوء على جوهر البحث والجوانب الملازمة له ، اتناول الموضوع بايجاز في نقاط هي :

اسباب قبول اقتراحات روجرز ، ووضع اسرائيـل القانوني ، وسبب اعتداء اسرائيل على مصر ، ومضمون مقترحات روجرز وقرار مجلس الامن ، والانسحاب والثمن ، والهدف المقصود من الاقتراحات والقرار .

— ١ —

اسباب قبول اقتراحات روجرز

يرجع قبول الجمهورية العربية المتحدة اقتراحات روجرز الى اسباب اهمها ثلاثة :

الاول ، تصاعد القتال على الجبهة الغربية .. وشعور الرئيس جمال عبد الناصر بخطر مرضه على حياته ، ورغبته في ان يرى انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بالطرق السلمية إن أمكن ، حقناً للدماء ومحافظة على الأرواح ، مع الحفاظ على الحقوق في الأوطان ..

والثاني ، ان مصر قبلت قرار مجلس الامن ، وألحت في المطالبة بتنفيذه ، وسياستها كانت تسير دائماً في طريقين ، الاول تسوية سلمية بحسب قرار مجلس الامن ، والثاني الصمود والقتال طالما اسرائيل لا تنسحب من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

(١) جريدة الموند في ٨ – ٩ – ١٩٧٠ .

والثالث ، وهو الاهم ، تفاهم الدولتين الكبيرتين ، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، على ضرورة انهاء الحرب في الشرق الاوسط ، والاتفاق عـلى وضعهما فيه :

لم تكن مقترحات روجرز ، التي اوقعت الدهشة في البلاد العربية ، مفاجأة للدول المعنية مباشرة بالصراع العربي الاسرائيلي . اذ ان المقترحات لم تكن وليدة فكرة طارئة ضمنها المستر روجرز رسائله الى الحكومات المصرية والاردنية والاسرائيلية ، وانمـا نتيجة بحث طويل ومحادثات متشعبة بين الدولتين الكبيرتين ، منذ شهر آذار (مارس) سنة ١٩٧٠ .

عندما تصاعد القتال في الجبهة الغربية ، اشتدت ضربات الفانتوم على خط القتال وداخل مصر ، افهمت الحكومة السوفياتية الحكومة الامريكية انها لا تسمح باستمرار اسرائيل في قصف المواقع المصرية واماكن اخرى فيها .. واخذ الاتحاد السوفياتي يحصن المدن المهمة داخل مصر ، والمنشئات الحيوية فيها بصواريخ سام ٣ .. وهذا العمل حمل اسرائيل على الصراخ والمطالبة بطائرات فانتوم وسكاي هوك اخرى .. وحمل الحكومة الامريكية على تهديد الاتحاد السوفياتي .. واخذت الدولتان الكبيرتان تلعبان « لعبة عض الاصابع » فمن يصمد ولا يصيح فهو المنتصر ومن يصرخ فهو المغلوب .. على انهما وجدتا ان هذه اللعبة تقودهما الى المجابهة المباشرة ، وهو الامر الذي لا تريدانه مطلقاً ..

وفي محادثاتهما المستمرة الحثيثة الدقيقة السرية اكدت الحكومة السوفياتية انها ملتزمة بأن تسترجع مصر ما خسرته من اراض في حرب حزيران ، وانها لا تريد القضاء على اسرائيل .. امام هذا التأكيد رأى الرئيس نيكسون ان يحدد هو ايضاً التزاماته ، فكان قوله الذي جاء عـلى لسان مساعديه ، ان الولايات المتحدة الامريكية ملتزمة بسلامة اسرائيل ضمن حدودها في ٤ حزيزان (يونيو) ١٩٦٧ ، ولا علاقة لها بتأمين الاحتلال الاسرائيلي للأراضي التي احتلتها في حرب حزيران .. وانه لا يسمح لآخرين بأن يجروا الدولتين الكبيرتين الى الحرب ..

وكان تحديد موقف الدولتين الكبيرتين من الصراع العربي الاسرائيلي بمثابة النور الاخضر للدبلوماسية الامريكية والسوفياتية للعمل معاً على ايجاد الحل ..

عمدت الولايات المتحدة الامريكية الى تكتيك جديد يجنبها المجابهة مع الاتحـاد السوفياتي ، ويمكنها من التعاون معه في الشرق الاوسط ، ويؤمن لها ، في الوقت نفسه،

مصالحها في بلاد عربية ومصالح اسرائيل ومطامعها ايضاً .. ولتأمين ذلك عادت الحكومة الامريكية الى تأييد تنفيذ قرار مجلس الامن ، وضغطت على اسرائيل لقبوله . وطالبت بحل النزاع في الشرق العربي على شروطه ..

ورأت الحكومة الامريكية انه ما دامت اسرائيل لا تستطيع قطف ثمار انتصارها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بقوة السلاح ، بسبب مساعدة الاتحاد السوفياتي العسكرية للجمهورية العربية المتحدة ، فان تنفيذ قرار مجلس الامن ينيل اسرائيل افضل تلك الثمار ألا وهو الاعتراف بشرعية وجودها في قلب العالم العربي ، ضمن حدود آمنة معترف بها .. ثم ان اعتراف اكبر دولة عربية باسرائيل ينهي كلياً قضية فلسطين والحقوق الوطنية التي يطالب بها الفلسطينيون في فلسطين .. وبالتالي يؤدي وقف اطلاق النار ومفاوضات دولة عربية او اكثر مع اسرائيل الى انقسام الجبهة العربية ، التي تكونت في مـؤتمر الخرطوم ، وتعود الدول العربية الى النزاع .. وتعمل الحكومة الامريكية في الوقت نفسه على ان تكف الجمهورية العربية المتحدة عن الاهتمام بشؤون الدول العربية الاخرى ، وحصر جهودها في امورها الخاصة بها . وفي مقابل ذلك تعد الحكومة الامريكية بالمساهمة مساهمة كبيرة ، في تعمير المدن التي تهدمت في اثناء الحرب الاسرائيليـة ، وتقديم مساعدة مالية كبيرة جداً ..

وبعد اتصالات دبلوماسية اتفق الجانبان على الخطوط العريضة لسياسة يتبعانها لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، وضعتها الديبلوماسية الامريكية في صيغة مقترحات سميت « مقترحات روجرز » ، او « البادرة الامريكية » . وكان الفريقان المعنيان في الشرق الاوسط ، مصر واسرائيل ، على معرفة بما جرى بين الدولتين الكبيرتين ، الاولى عن طريق الاتحاد السوفياتي ، والثانية عن طريق الولايات المتحدة الامريكية ..

وفي ١١ نيسان (ابريل) ١٩٧٠ زار المستر جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية الشرق الاوسط ، وتحدث في القاهرة الى المسؤولين فيها عن الوضع ومضمون الاقتراحات ، واقنعهم بالقبول بها .. وفي اسرائيل تحدث مع المسؤولين فيها عن الوضع والاقتراحات وحسن لهم القبول بهـا .. وعاد الى واشنطن في ٢٥ – ٤ – ١٩٧٠ .. وارسلت المقترحات الى مصر والاردن واسرائيل في ١٩ – ٦ – ١٩٧ لأخذ الجواب الرسمي الكتابي ..

بعد هذا الايضاح الجانبي لتفهم الموضوع ، لا بد من ذكر وضع اسرائيل القانوني قبل الاتفاق الذي قد يتم بين اسرائيل ودول عربية ، لارتباطه الوثيق بجوهر هذا البحث.

– ٢ –

وضع اسرائيـــل القانوني

قامت اسرائيل في فلسطين بموجب قرار الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ المعروف بقرار التقسيم ، الذي رسم حدود اسرائيل ، واعترفت بها دول ضمن تلك الحدود . وكل ما ضمته اسرائيل الى مساحتها بعد انشائها ، سواء اكـان ذلك في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ام في سنة ١٩٦٧ ، ليس جزءاً من اسرائيل ، حتى بالنسبة الى الدول التي اعترفت بوجودها ، وانما هو اراض محتلة بالاغتصاب ، وحكمها جميعاً واحد ، لأصحابها العرب كل الحق فيها وفي استعادتها ، والقانون معهم في ذلك ..

ثم ان اسرائيل لا تملك حقاً قانونياً في اي قسم من الاراضي التي تحتلها ، وبالتالي فليست لها سيادة قانونية عليها . انها لا تملك حقاً قانونياً في الاراضي الواقعة ضمن قرار التقسيم ، التي قامت فيها دولة اسرائيل بموجب ذلك القرار ، لأن الامم المتحدة ذاتها لا تملك حق تقديم بلد ما وايجاد دولة لشعب آخر في قسم منه . فوجود دولة اسرائيل من أساسه لا شرعية له ، بالنظر الى العرب والى الفلسطينيين اصحاب البلد ، وبالنظر الى القانون الدولي ايضاً . ولا تملك اسرائيل حقاً قانونياً في الاراضي التي احتلتها – بعد انشائها – من قسم فلسطين الذي تقرر بقاؤه عربياً ، كما انها لا تملك اي حق قانوني في المناطق التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . والوضع القانوني لجميع الاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل هو وضع الدولة المحاربة المحتلة لأراض لا تملكها ، والاحتلال لا يعطيها حقاً فيها ، ولا يكسبها سيادة عليها .

هذا هو الوضع القانوني لاسرائيل الذي حدد علاقات العرب بها فجعلها قائمة على عدم الاعتراف بها ، وعلى مقاطعتها كلياً ، وعلى منع بواخرها من المرور في الميـاه الاقليمية العربية ، واعتبر الدول العربية في حالة حرب معها .. كما مكن اهل فلسطين من قيامهم بالاعمال الفدائية سعيـاً وراء استعادة وطنهم . والقانون الدولي لا يعارض اعمالهم .. وهذا الوضع ايضاً ادى بدول عديدة اسلامية وغير اسلامية صديقة للعرب ، الى عدم الاعتراف باسرائيل ، وبالتالي الى عدم التعامل معها ديبلوماسياً واقتصادياً .. هذا الوضع القانوني لاسرائيل ينبغي تفهمه جيداً حين بحث اقتراحات روجرز وقرار مجلس الامن ..

وموقف العرب من اسرائيل موقف من لا يعترف بها ويعتبر نفسه في حالة حرب معها ، واستمراره خلال العشرين سنة التي سبقت حرب حزيران ، قد وضع اسرائيل في وضع صعب لا يحتمل اقتصادياً وسياسياً ودولياً ، واعطى اهل فلسطين املاً في الوصول الى استعادة وطنهم من المحتلين المغتصبين ، فقاموا بثورتهم ، ونالوا تأييداً من الدول العربية ، على رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، ومن دول اخرى غير عربية .

ولتغيير هذا الوضع ، عن طريق التوسع ، قامت اسرائيل بحرب حزيران ١٩٦٧ ، فضربت اولاً الجمهورية العربية المتحدة ، ثم الاردن وسوريا ، وغايتها من ذلك انهاء وضعها غير الشرعي في المنطقة وما يتبعه من امور عديدة ، وتثبيت نفسها ، في قلب العالم العربي ، عن طريق شرعي ، وذلك بحمل اكبر دولة عربية على الاعتراف بها بالقوة ، وانهاء جميع الامور التي تتبع وضع البلاد العربية في حالة حرب مع اسرائيل ، وبالتالي اعتراف جميع الدول التي لم تعترف بها مسايرة للدول العربية ، بعد ان تعترف باسرائيل اكبر دولة عربية ..

— ٣ —

سبب اعتداء اسرائيل على مصر

وتساءل كثيرون : لماذا قامت اسرائيل سنة ١٩٦٧ بضرب مصر اولاً في حين ان تذمرها كان يومئذ من سوريا ؟ ولماذا استمرت طائراتها في ضرب المواقع المصرية بصورة جهنمية ولم تضرب المواقع العسكرية الاردنية والسورية والعراقية الا نادراً وللرد على اعمال فدائية ؟ . والجواب عن هذا التساؤل ضروري لتفهم الموضوع تفهماً واقعياً لا أثر فيه للانفعالات السياسية الاقليمية :

ان الستراتيجية الاسرائيلية قائمة على انه ، عندما تريد اسرائيل القيام باجراء عسكري محلي لارهاب او ايقاع اضرار ، تعتدي على اماكن في بلاد عربية صغيرة مجاورة .. وعندما تريد مطلباً كبيراً دولياً تعتدي على اكبر دولة عربية مجاورة ، وهي الجمهورية العربية المتحدة ..

وهكذا فعندما ارادت اسرائيل سنة ١٩٤٩ حمل العرب على المفاوضة معها لعقد اتفاق ، هاجمت الجيش المصري في النقب .. مما ادى الى قبول الحكومة المصرية يومئذ

الذهاب الى رودس وعقد اتفاقية الهدنة مع اسرائيل .. وتلا ذلك ذهاب ممثلي دول عربية اخرى وعقد اتفاقات الهدنة المعروفة . على ان الحكومة المصرية يومئذ ، والحكومات العربية ، رفضت الاعتراف باسرائيل وعقد صلح معها ، وابقت القضية الفلسطينية قائمة ، وحقوق اهل فلسطين غير ممسوسة من الناحية القانونية ..

وكذلك حين ارادت اسرائيل نيل مطلب دولي بفتح خليج العقبة لبواخرها وتجارتها ، نظمت التحالف الثلاثي الذي اعتدى على مصر سنة ١٩٥٦ ، وادى الى حرية الملاحة في خليج العقبة للبواخر والتجارة الاسرائيلية ، برفع السلطة المصرية عن شرم الشيخ .

وفي سنة ١٩٦٧ قررت اسرائيل القيام بمغامرة عسكريه كبيرة لتحقيق اهداف سياسية واسعة ، اشرنا اليها ، متفاهمة في ذلك مع حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، فاعتدت على مصر اولاً ، لانها اكبر دولة عربية ، ولديها اكبر قوة عسكرية في المنطقة. وما إيهامها الرأي العام يومئذ بأنها تريد الاعتداء على سوريا ، الا مناورة استراتيجية الغاية منها حمل مصر على اعلان الوقوف مع سوريا ومساعدتها عسكرياً ، وبذلك تعطي اسرائيل لنفسها مبرراً ، تجاه الرأي العام الغربي ، الضالع مع اسرائيل ، للاعتداء على مصر .

والاعتقاد سائد عند الصهيونيين وحلفائهم في الغرب ، بأنه ليس من زعيم عربي يقدم على حل القضية الفلسطينية بانهائها وتصفيتها وعقد صلح مع اسرائيل الا الرئيس جمال عبد الناصر . فكانت حرب سنة ١٩٦٧ لحمله بالقوة على ذلك .. « ولقد كان مطلب الصلح مع العرب هو هدف جميع العمليات العسكرية الاسرائيلية ، باستثناء معارك سنة ١٩٤٨ ، فقد كان هدفها فرض الوجود الاسرائيلي في حد ذاته ، واما معارك سنة ١٩٥٦ ومعارك سنة ١٩٦٧ فقد كان هدفها فرض الصلح على العرب ، وذلك قبل ان تقوم الظروف الموضوعية التي تسمح بتحقيق وحدة عربية ، متقدمة وتقدمية ، تقدر على بناء القوة المسلحة القادرة على المواجهة الحاسمة مع اسرائيل وامتدادها المتصل بالاستعمار العالمي خارج الارض المحتلة »[1] .. غير ان اسرائيل وامريكا لم تحققا هدفهما من انتصار حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، لصمود الرئيس جمال عبد الناصر يومئذ ، وبالتالي لبنائه قوة عسكرية حديثة عظيمة في مصر ، في وقت قصير نسبياً ، ادهش العالم بصورة عامة ،

---

(١) من مقال الاستاذ محمد حسنين هيكل في جريدة الاهرام في ١٤ – ٦ – ١٩٦٨ .

واعجب البلاد العربية وسرها بصورة خاصة . علـى ان اسرائيل وامريكا لم تغيرا اعتقادهما بأن ضرب مصر بشدة يؤدي الى الوصول الى ما تريدان. فكان تزويد اسرائيل بالفانتوم ، وضربها المواقع المدنية والعسكرية في جبهة القناة وداخـل مصر بصورة اجرامية همجية . وركزت طائرات الفانتوم القاء قنابلها على الجيش المصري الباسل ، ولم تضرب المراكز الاردنية او السورية اوالعراقية ، لاعتقادها انه اذا قبلت مصر اجراء التسوية ، نالت اسرائيل وامريكا من البلاد العربية الاخرى ، ذات العلاقة بالموضوع ، ما تريدان دون ضربها . على انه من المؤسف ان الخلافات بين قادة الجبهة الشرقية ابقت هذه الجبهة ضعيفة ، فلم تقم بأعمال تذكر ضد اسرائيل ، تخفف من حدة اعتدائهـا المستمر على الضفة الغربية .. وهذا مثل آخر لضرر فقدان وحدة القيادة العسكرية في الجبهات العربية التي تقاوم الاعتداء الاسرائيلي ..

وفي اثناء ضرب اسرائيل المستمر الهمجي على الجبهة المصرية بعث المستر روجرز اقتراحاته الى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ بقالب رسالة .

وقد وضع مضمونها بعلم من الاتحاد السوفياتي ، الذي كان على اتصال بمصر بشأنها كما كانت الولايات المتحدة الامريكية ، على اتصال باسرائيل بموضوعها – كما سبق ذكر ذلك ، فما هو مضمون هذه المقترحات ، وإلامَ تهدف ؟ ..

— ٤ —

مضمون مقترحات روجرز وقرار مجلس الامن

ليست مقترحات المستر روجرز في حد ذاتها مشروعاً جديداً لايجاد تسوية للنزاع في الشرق الاوسط ، وانما هي احياء لقرار مجلس الامن المتضمن شروط تلك التسوية ، مع اضافة امور جديدة اليه . ولذا سمى البعض هذه الاقتراحات بالبادرة الامريكية ، ويمكن القول ان الاقتراحات تتضمن ثلاثة امور :

١ – وقف اطلاق النار مدة ثلاثة اشهر ، وقد ابتدأ فعلاً في الساعة ٢٢ بتوقيت كرينتش ، من يوم الجمعة ٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، دون صعوبات ، وهنأت كولدا مايير رئيسة الحكومة الاسرائيلية اليهود بوقف اطلاق النار .. وساد الاوساط العسكرية

الاسرائيليـة والسكان اليهود ابتهاج وافراح ، وشرب الجنود نخب الانتصار ورقص الناس في الشوارع فرحاً . ونشرت الجرائد صور الجنود يهنئون بعضهم بعضاً ، وصور المدنيين يعيّدون لوقف اطلاق النار .

٢ – تنفيذ قرار مجلس الامن .

٣ – الشروع في مفاوضات مباشرة بواسطة الدكتور يارينك ، كما نص على ذلك القرار ، ثم القيام باتصالات مباشرة بين الفرقاء ، وهو ما لم ينص عليه القرار .

والغاية من ذلك الوصول الى اتفاق تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي ، يؤدي الى سلام دائم ، مستند الى الانسحاب الاسرائيلي ، كما جاء في قرار مجلس الامن ، مقابل « ثمن » على الدول العربية المعنية دفعه لاسرائيل ، ذكر القرار نوعه .

واذن ، فجوهر ما في المقترحات وما في قرار مجلس الامن هو **الانسحاب والثمن** . فما هو المقصود بالانسحاب ؟. وما نوع الثمن الذي على الدول العربية المعنية دفعه لتأمين الانسحاب ؟ وما هو الهدف المقصود من كل ذلك ؟ .

ان الجواب عن هذه التساؤلات موجود في نصوص قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . والمادة الاولى منه تحتوي في فقرتها الاولى عـلى « الانسحاب » ، وفي فقرتها الثانية وفي المادة الثانية على « الثمن » .

الانسحاب

فقرة الانسحاب تنص على « سحب القوات الاسرائيلية من (اراض احتلت) في القتال الاخير ». وذلك بحسب النص الانكليزي الذي تتبناه اسرائيل وامريكا وبريطانيا، ومعناه ان الانسحاب ليس من جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران . او « سحب القوات الاسرائيلية من (الاراضي التي احتلت) في القتال الاخير » حسب النص الفرنسي والروسي الذي تبنته بقية اعضاء مجلس الامن ، وبموجبه قبلت مصر والاردن القرار .

على ان اسرائيل عندما ارسلت جوابها بقبولها مقترحـات روجرز ، الى وزارة الخارجية الامريكية في ٤ – ٨ – ١٩٧٠ ، ذكرت فيه تحفظات منها تأكيدها ان قرار مجلس الامن لا يعني انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي التي احتلت في حزيران ، وانما الى « حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها » يتم تحديدها في اتفاقات

السلام ، وهي غير الحدود التي كانت عليها القوات الاسرائيلية يوم ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . واكدت رئيسة الوزراء الاسرائيلية كولدا مايير ان الرئيس نيكسون يضمن ذلك . ومن المهم الاشارة اليه ان « الحدود الآمنة » جاء ذكرها في قرار مجلس الامن ..

وفي ١٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ اكد ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية في مؤتمره الصحافي الذي عقده في القدس ، ان الولايات المتحدة واسرائيل متفقتان على ان خريطة السلام يجب الا تكون خريطة ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وان « قرار مجلس الامن الذي صدر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، لا يشير الى خطوط ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، مما يعني انه لا يدعو الى الانسحاب الكامل بل يدعو الى مفاوضات لرسم الحدود الجديدة » .

واكد ابا ايبان ان مهمة الدكتور يارينك لا تتعلق بصورة رئيسية بالحدود والانسحاب وانما باقامة سلام عادل دائم . وان هذا هو العامل الرئيسي الذي ستلتزم به اسرائيل في المحادثات . واعلن ان القوات الاسرائيلية لا يمكن ان تنسحب من خطوط وقف اطلاق النار دون اتفاق ملزم تعاقدي . وانه لتأمين السلام يجب ان تسيطر اسرائيل على مرتفعات الجولان السورية المحتلة وعلى مضائق تيران عند طرف شبه جزيرة سيناء . واكد وزير الخارجية الاسرائيلية « ان القوات الاجنبية في البلاد العربية المجاورة — القوات السوفياتية في مصر والقوات العراقية في الاردن — يجب ان تعالج قبل كل شيء ، وان انسحاب هذه القوات شرط لاية تسوية سلمية »[1] ! .. واعلنت كولدا مائير ، في ٢٢ — ١٢ — ١٩٧٠ ، ان اسرائيل لن تقبل بالعودة الى حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ حتى لو ضمنتها الدول الكبرى ، وحتى لو كانت هناك مناطق مجردة من السلاح[2] .

وقال مناحيم بيكن زعيم حزب غاحال ووزير اسرائيلي سابق ، في حديث له في القدس ، يوم ٢٢ آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، انه اذا اجبرت اسرائيل على العودة الى حدود ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فان عليها ان تخوض الحرب مرة اخرى لاستعادة الاراضي المحتلة .. ! وهذا قول صريح لمن يظن ان الاتفاق مع اسرائيل والاعتراف بها يضعان حداً لأطماعها ولاعتداءاتها ..

وقام الجنرال موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي بمناورات داخل الحكومة

(١) هذه المقتطفات جاءت في جريدة النهار — بيروت في ١٨ — ٨ — ١٩٧٠ .
(٢) جريدة النهار في ٢٣ — ١٢ — ١٩٧٠ .

الاسرائيلية ، وحملها على ان تعلن في ٦ — ٩ — ١٩٧٠ انسحابها من المفاوضات غير المباشرة التي كانت تجري في نيويورك بواسطة الدكتور كونار يارينك ، الى ان ترفع مصر الصواريخ التي وضعتها ، بعد وقف اطلاق النار في منطقة الثلاثين ميلاً غربي القناة ، المتفق على الا يحدث فيها تغيير حربي مدة وقف اطلاق النار . ولقد نفت الحكومة المصرية ادعاء اسرائيل .. وغاية دايان من ذلك تعطيل المفاوضات التي تبحث الانسحاب وحمل امريكا على تزويد اسرائيل بطائرات فانتوم اخرى وسلاح جديد واموال طائلة ، واثارة الرأي العام العالمي ضد مصر ، حتى يجعلها تقبل بالانسحاب الاسرائيلي الجزئي من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ، أو يمهد لقيام اسرائيل بأعمال عسكرية جديدة — وخصوصاً بعد ان انقسم الصف العربي بسبب قبول دول عربية اقتراحات روجرز — تضع العالم امام امر واقع جديد ، يمكن اسرائيل من ضم الاراضي التي احتلتها في حزيران بصورة قانونية جديدة .. وسبق ان قال دايان في خطاب له : « ان الحدود الآمنة افضل من صلح مع العرب . انني اريد السلام ، لكنني لست مستعداً للتخلي عن الحدود الآمنة التي يسيطر عليها الجيش الاسرائيلي وقبول معاهدة صلح بدلاً منها »[1] . وقال ايضاً « ان امن اسرائيل حيث يقف جيشها »[2] ! ..

وكان قبول اسرائيل باقتراحات روجرز وسيلة للوصول الى ايقاف اطلاق النار بينها وبين مصر ، الذي تنص عليه الاقتراحات . وما ان وقف اطلاق النار حتى اخذت الحكومة الاسرائيلية تختلق المبررات للخروج من المفاوضات المتعلقة بانسحابها من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وخرجت منها .. واخذت الحكومتان الاسرائيلية والامريكية تطالبان بتمديد وقف اطلاق النار بعد انتهاء مدته .. وغاية اسرائيل من ذلك استمرار بقائها في الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران ، وفي تعطيل قناة السويس .. حتى يصبح ذلك كله جزءاً من اسرائيل ، كما اصبح ما احتلته سنة ١٩٤٨ ، من قسم فلسطين الذي تقرر بقاؤه عربياً ، جزءاً من اسرائيل ، من الناحية العملية ، بعد وقف اطلاق النار وتوقيع اتفاقات الهدنة .

وشدد الرئيس نيكسون يوم ٤ — ١٠ — ١٩٧٠ ، وهو في ارلندا ، قائلاً : « سنضغط من اجل تمديد وقف اطلاق النار » ، وان « اياً من الفريقين — العرب

(١) جريدة النهار في ٢٧ — ١٠ — ١٩٦٩ .
(٢) جريدة النهار في ٢٨ — ٥ — ١٩٦٨ .

واسرائيل – لن يربح من خرق وقف اطلاق النار » واكد ان « من يخرق وقف اطلاق النار يكن كمن يتصرف ضد ثقل الرأي العام في العالم » .. وقال ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل في التاريخ نفسه ، ان استمرار وقف اطلاق النار ، بعد انتهاء مدته ، يكون دليلاً على حسن نوايا الحكومة المصرية الجديدة ! ..

وفي ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ « اعلن الناطـق باسم وزير الخـارجية الامريكية ان الولايات المتحدة انسحبت من المحادثات في الامم المتحدة على مستوى نواب السفراء بسبب اعمال الخرق المستمرة لاتفاقات وقف اطلاق النار على الضفة الغربية من قناة السويس » . وطالبت الحكومة الامريكية مصر ، كما طالبت من قبل اسرائيل ، برفع الصواريخ المضادة للطائرات من الضفة الغربية للقناة ، المدعى ان مصر وضعتها اثناء وقف اطلاق النار . ويريد الرئيس نيكسون من ذلك ان يمنع مصر من التمكن من الدفاع عن نفسهـا من الغارات الجوية الاسرائيلية ، في الوقت الذي يمد فيه اسرائيل المعتدية والمحتلة لبلاد دول اخرى بالمعدات الحربية الهجومية من طائرات الفانتوم والمدافـع وغيرها ، وبالمال الكثير ، لتمكين اسرائيل من البقاء في الاراضي التي احتلتها ! ..

وفي ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ايضاً ، اكد السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة في مقابلة تلفزيونية ، ان مصر لن تسحب صاروخاً واحداً من الضفة الغربية لقناة السويس ، وانها لا تقبل حتى المناقشة في هذا الموضوع ، لان « مصر لم تخرق ترتيبات وقف اطلاق النار ، كما تدعي الولايات المتحدة واسرائيل، لأن جميع الصواريخ تم ادخالها الى المنطقة قبل اليوم الذي حدد لوقف اطلاق النار » . واشار الى ان « الولايات المتحدة هي التي خرقت ترتيبات وقف اطلاق النار ، التي وضعتهـا بنفسها ، عندما وافقت على مد اسرائيل بأسلحة جديدة » . وقال « ان مصر لن تقبل بتحول وقف اطلاق النار المؤقت الى وقف دائم ، لان ذلك يعني استسلام مصر . نحن مستعدون لتمديد فترة وقف اطلاق النار ، لكن ذلك لن يكون الا على اساس وجود ما يؤكد ان هناك جهداً جدياً يمكن ان يفيد المساعي التي تبذل لتنفيذ قرار مجلس الامـن الدولي واتاحة الفرصة امام الدكتور يارينك ليقوم بمهمته . واذا ما فشلت هذه الجهود فان تحرير الاراضي واجب قومي يجب ان نقوم به »[1] .

والذي يبدو للمراقب السياسي من تصرفات الولايات المتحدة واسرائيل، ان الهدف

(١) جريدة النهار – بيروت – ٧ – ١٠ – ١٩٧٠ .

الرئيسي من اقتراحات روجرز كان الوصول الى وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية ، وايقاع البلبلة في الصفوف العربية ، وزيادة الخلاف بين المسؤولين العرب ، وتفسيخ الجبهة الشرقية وتلاشيها ، وازالة اخطارها عن اسرائيل ، وهي اهم جبهة استراتيجية يمكن ان تهدد اسرائيل تهديداً شديداً .. كما يظهر جلياً ايضاً ان الرئيس نيكسون يعمل بجد لتحقيق الغاية الرئيسية من اقتراحات روجرز ! .. رضوخاً لنفوذ الصهيونيين في الولايات المتحدة الامريكية ، وتأميناً لانتخابه للرئاسة مرة ثانية ..

ومما لا ريب فيه ان اسرائيل تريد الارض والتوسع ، وتريد ، في الوقت ذاته ، حمل العرب على الاعتراف بها وعقد معاهدة صلح معها ، تعطيها الفوائد والمزايا التي جاءت في قرار مجلس الامن ، دون انسحاب ..

ومن الجهة العربية اكد الرئيس جمال عبد الناصر ، في خطب له وتصريحات عديدة انه لن يتخلى عن شبر واحد من جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران بما في ذلك القدس الشريف وجميع اراضي الضفة الغربية والجولان . وقال مؤكداً ، ان العبرة ليست في النصوص والتفاسير وانما في التطبيق .. وبعد انتقال المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر الى جوار ربه اكدت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، في بيـان سياسي يوم ٦ – ١٠ – ١٩٧٠ ، « ان نضالنا من اجل تحرير الارض العربية ، كـل الارض العربية المحتلة ، في القدس والضفة الغربية في الاردن والهضبة السورية وسيناء وقطاع غزة ، يجب ان يزداد ويتصاعد في كل الميادين تصميماً وإصراراً على التحرير والنصر» . وفي ٧ تشرين الاول (اكتوبر) اكد الرئيس انور السادات في كلمته التي القاها امام مجلس الامة ، اثر موافقة المجلس على ترشيحه لرئاسة الجمهورية « مواصلة النضال من اجل تحرير كل الارض العربية المحتلة في عدوان ١٩٦٧ : القدس العربية وغـزة والضفة الغربية للاردن والمرتفعات السورية وصحراء سيناء المصرية . وذلك مع الحرص الكامل على حقوق الشعب الفلسطيني ، وعلى استمرار نضاله في سبيل ارضه ومن اجل مصيره » ..

على ان الحكومة المصرية قبلت بتمديد وقف اطلاق النار مدة ثلاثة اشهر اخرى حتى ٥ شباط (فبراير) ١٩٧١ .. وتبع ذلك ضغط من الحكومتين الامريكية والاسرائيلية على حكومة الجمهورية العربية المتحدة لتقبل بتمديد وقف اطلاق النـار مرة ثالثة .. والغاية من ذلك ان تصبح خطوط وقف اطلاق النار ، مع الوقت ، حدوداً لاسرائيل..

وجوهر موضوع البحث هو الثمن الذي على العرب دفعه لتأمين الانسحاب ، وما يترتب عليه من نتائج قانونية ومصيرية ، فما هو ذلك الثمن ؟ .

الثمن

والثمن ، كما سبق ان قلت ، جاء في الفقرة الثانية من المادة الاولى وفي المادة الثانية من القرار .

والقسم المهم من الثمن الباهظ ، الذي على العرب دفعه ، ما جاء في الفقرة الثانية من المادة الاولى من القرار . وتنص على « التخلي عن جميع المطالب وانهاء حالات الحرب ، واحترام السيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي والاعتراف بها لكل دولة في المنطقة ، واحترام والاعتراف بحق كل دولة في المنطقة في ان تعيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها ، في مأمن من التهديدات او اعمال القوة » .

ان هذا النص الطويل المتداخل المعاني ، وان كان يذكر فيه دول المنطقة، فان المعنية به منها وحدها هي اسرائيل ، لاسباب متعددة ، سبق وذكرت بعضها في الفصل السابق .

ووضع هذه الفقرة ، المحتوية على الثمن ، في قالب لغوي واضح يؤول بأن « على الدول العربية ان تتخلى عن جميع المطالب بفلسطين ومن اسرائيل ، وان تنهي حالات الحرب معها والأعمال الناتجة عن تلك الحالات ، وان عليها ان تعترف باسرائيل وان تحافظ على سلامة اراضيها واستقلالها السياسي ، وان تعترف ايضاً بحق اسرائيل في ان تعيش في سلام داخل حدود آمنة تعترف الدول العربية بها ، وتمتنع عن تهديدها ، وتمنع اعمال القوة عنها » .

والمقصود بكلمة « المطالب » في نص القرار هو « الحقوق » ، وعليه فان اقتراحات روجرز وقرار مجلس الامن تطالب العرب بدفع ثمن كف اسرائيل عن ضرب خطوط الدفاع العربية بقنابل طائرات الفانتوم ، وانسحاب قواتها العسكرية الجزئي او الكلي ، من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بالامور التالية :

١ — تتخلى الدول العربية عن جميع حقوق العرب في فلسطين التي انتزعها الصهيونيون من الوطن العربي ، وعن جميع حقوق الفلسطينيين في وطنهم المسلوب ، وعن جميع مطالبهم من اسرائيل فيما يتعلق بفلسطين . .

٢ — انهاء حالة الحرب بين البلاد العربية واسرائيل ، والغاء ما يتبع حالات الحرب من حقوق ، كالحصار الاقتصادي ، والسماح بالاتجار بين البلاد ، ودخول مواطني كل من الطرفين بلاد الطرف الآخر . .

٣ — اعتراف الدول العربية بوجود اسرائيل الشرعي في قلب العالم العربي . والاعتراف يؤدي الى توقيع معاهدة سلام بين الدول العربية واسرائيل . وبذلك يزول الكابوس الذي كان يضايق اسرائيل خلال الاثنين والعشرين عاماً من عمرها بسبب عدم اعتراف الدول العربية بها .. واعتراف دولة عربية او اكثر باسرائيل يؤدي الى اعتراف الدول الصديقة للعرب من اسلامية وغير اسلامية ، التي لم تعترف باسرائيل مسايرة للعرب ، فتصبح اسرائيل دولة معترفاً بها من جميع دول العالم ..

٤ — تعترف الدول العربية بحدود اسرائيل الجديدة « الآمنة » ، وهي غير حدود وخطوط الهدنة التي كانت قائمة في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتمتنع الدول العربية عن تهديد هذه الحدود بقوات نظامية او غير نظامية ، وتمنع عنها اعمال القوة ، والمراد بذلك اعمال الفدائيين الفلسطينيين . وبعبارة اخرى يصبح على الدول العربية المجاورة لاسرائيل ان تقوم بأعمال بوليسية لحماية حدود اسرائيل « الآمنة » .

واما ما جاء عن الثمن في المادة الثانية من القرار فهو :

٥ — حرية الملاحة لاسرائيل في خليج العقبة وقناة السويس ..

٦ — ايجاد مناطق مجردة من السلاح في الاراضي العربية المتاخمة لحدود اسرائيل ، وفي ذلك انتقاص لسيادة الدول العربية على اقسام من بلادها ..

٧ — تسوية مشكلة اللاجئين — تبعاً لتخلي دول عربية عن حقوق اهل فلسطين في بلدهم باعترافها باسرائيل تصبح قضية الشعب الفلسطيني « مشكلة لاجئين » نص القرار على تسويتها ، ويصبح الشعب الفلسطيني لا وجود له كشعب ، ولا وطن له يطالب به ، بسبب تنازل دول عربية عنه لاسرائيل .. وبذلك يصدق قول كولدا مايير : انه لا يوجد شعب فلسطيني ، ولا قضية فلسطينية ، وانما يوجد لاجئون ...

هذه هي اسس التسوية السلمية التي يطالب قرار مجلس الامن بالوصول اليها بين العرب واليهود . وهي قائمة على انسحاب اسرائيل الكلي او الجزئي من البلاد العربية التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، مقابل ثمن نوعي يدفعه العرب لها ، ونصوص قرار مجلس الامن تظهر بوضوح ان معظم الثمن الباهظ تدفعه القضية الفلسطينية والشعب

الفلسطيني ، وذلك بتنازل دول عربية عن الحقوق العربيـــة في فلسطين وعن الحقوق الوطنية لأهـــل فلسطين في وطنهم ، وباعتراف دول عربية باسرائيل وضمان سلامة حدودها من كل اعتداء .. والاعتراف باسرائيل وحده يؤدي قانونياً وسياسياً الى تنازل الدول العربية المعنية عن حقوق اهل فلسطين الوطني في وطنهم ، والامر لا يكون غير ذلك مهما حاولت طرق الدعاية اخفاء هذه الحقيقة ..

— ٥ —

الهدف المقصود من الاقتراحات والقرار

ان الهدف المقصود من قرار مجلس الامن ، الذي احيته مقترحات روجرز ، هو تطبيق امور اهمها :

١ – وصول اسرائيل الى الانتصار السياسي الذي لم تستطع تحقيقه في انتصارها العسكري في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٢ – تغيير وضع اسرائيل القانوني في المنطقة . فقد رأينا أنه لا شرعية لوجودها في فلسطين . وان وضعها القانوني ، حتى بالنسبة الى القانون الدولي ، ما هو الا وضـع حكومة محتلة لبلاد الغير . وهذا الوضع يجعل الحياة غير محتملة لسكان اسرائيل سياسياً واقتصادياً ودولياً .. فيأتي قرار مجلس الامن فيعمل لتغيير هذا الوضع غير القانوني الى وضع شرعي ، وذلك بحمل اكبر دولة عربية على الاعتراف باسرائيل ضمن حدود آمنة معترف بها .. وهذا الاعتراف في حد ذاته ، يعطيها شرعية الوجود في قلب العالم العربي ..

٣ – واعترافاكبر دولة عربية باسرائيل يؤدي الى اعتراف الدول الصديقة للعرب من اسلامية وغير اسلامية ، التي لم تعترف باسرائيل اكراماً للعرب ، وبذلك يخلص القرار اسرائيل من المقاطعة السياسية لها من دول عربية عديدة ، وفي ذلك توسيع لنفوذ اسرائيل السياسي والاقتصادي في العالم ..

٤ – والاعتراف باسرائيل ينهي الحصار الاقتصادي الذي فرضه العرب عليها ، سواء في ذلك الحصار الخارجي ، بمنع المصانع الاجنبية من التعامل مع اسرائيل بسلاح المقاطعة العربية لها ، والحصار الداخلي في البلاد العربية بمنع دخول السلع الاسرائيلية

والاسرائيليين اليها .. واسرائيل تطالب بفتح الاسواق العربية لها ، والتعاون معهـا في تنمية الثروات العربية المتنوعة ، اي تريد السيطرة على الاقتصاد العربي ..

٥ – تصفية القضية الفلسطينية نهائياً ، من الناحية القانونية والسياسية . لانه ما دامت هذه القضية قائمة فان اسرائيل لا تشعر بأنها حرة كلياً في الاراضي التي تحتلها والتي لهـا اهل يطالبون بها . والتصفية هي باعتراف دولة عربية او اكثر باسرائيل ، وبتخلي تلك الدول عن حقوق اهل فلسطين الوطنية في بلدهم ، كما يطلب قرار مجلس الامن بالنص الواضح . والاعترافوالتخلي المذكوران ملزمان ، من الناحية القانونية والعملية ، لأهل فلسطين ، لان الدول الكبرى لا تعتبرهم فريقاً في القضية ، وان كانت فلسطين بلدهم وهم اهلها ، بل تعتبر الدول العربية المجاورة لاسرائيل الفريق المتعاقد في هذه القضية عن الفلسطينيين وعن العرب اجمع . والمسؤولون في هذه الدول العربية قبلوا الوصاية على قضية فلسطين وعلى الفلسطينيين ، لأنهم لم يطالبوا الدول الكبرى والامم المتحدة اشراك اهل فلسطين في تقرير مصير بلادهم ومصيرهم بالذات .. وبهـذه الطريقة تكون الدول العربية المعترفة باسرائيل ، والمتعاقـدة معها ، قد حكمت على الشعب الفلسطيني بتصفية قضيته على الرغم منه ، وبعودته الى لاجئين لاكيان لهم ولا حق حتى في المطالبة بحقوقهم في وطنهم فلسطين . وانني لا ارى كيف يمكن القول ، مع ذلك ، بأن قرار مجلس الامن لا يمس القضية الفلسطينية في شيء ، ويترك الفلسطينيين احراراً يعملون ما يريدون للوصول الى حقهم الوطني في وطنهم . ان مثل هذا القول لا يتفق مع الحقيقة والواقع مطلقاً ..

هذه بعض الاهداف المقصودة من قرار مجلس الامن الذياعادتاليه الحياة مقترحات روجرز .

ولا بد للباحث هنا من القول انه لا ينكر أحد ان لكل دولة عربية الحق المطلق في ان تتصرف سياسياً لما فيه مصلحة بلدها وشعبها ، ولاستعادة مـا خسرت من اراض بمختلف الوسائل ، ولكن ذلك لا يجوز مطلقاً ان يكون على حساب قضية عربية اخرى، وعلى حساب شعب عربي آخر . وتنازل دولة عربية او اكثر عن حقوق اهل فلسطين الوطنية في فلسطين باعترافها باسرائيل ، معناه ان تلك الدولة او الدول نصبت نفسها وصية على القضية الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني ، تتصرف في مصيره ومصيرها كما تشاء ، وهذا ليس من حق اي دولة عربية .. وتقرير مصير القضية الفلسطينية والشعب

الفلسطيني من حق الشعب الفلسطيني اولاً ، وهو بعد ذلك من حق الدول العربية مجتمعة ومعها ممثلو الشعب الفلسطيني ، للعمل في تأمين بقاء القضية الفلسطينية سليمة والشعب الفلسطيني عاملاً للوصول الى حقه المقدس في وطنه. وقد قرر مؤتمر الخرطوم ذلك ايضاً ..

لقد قال الرئيس جمال عبد الناصر مراراً واكد تكراراً ، ان ما اخـذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .. واستعادة دول عربية ما خسرته من اراض في حرب حزيران جزئياً اوكلياً ، باجراء تسوية سلمية ، على اسس قرار مجلس الامن ، لا يكون انتصاراً ، لان ما سيعاد هو مقابل ثمن باهظ ، ربما كان اغلى من الاراضي التي تعاد ، ونتائج التسوية ، القانونية والسياسية ، اشد ضرراً على الامة العربية اجمع .. ويبقى قول الرئيس عبد الناصر هو القول الصواب ، لان ما اخذ بالقوة لايسترد الا بالقوة .. والقوة العربية متوفرة تحتاج الى تجميع واستعمال .. ولكن الذي يبدو ان « الارادة » في العالم العربي لتحقيق القول بأن ما اخذ بالقوة لا يستعاد إلا بالقوة هي المفقودة ..

ويجدر بنا في هذا الصدد ان نذكر انه في حالة الثورة الجزائرية ، التي ضحت بأكثر من مليون من ابنائها لنيل استقلالها واقصاء المحتل عن ديارها ، رفضت المساومة : لقد فاوضت الحكومة الفرنسية قادة الثورة سنة ١٩٦١ على استقلال الجزائر استقلالاً تاماً على ان تبقى لفرنسا الصحراء الجنوبية من الجزائر ، فرفض قادة الثورة الجزائرية ذلك، على الرغم من ان ثورتهم كانت منهوكة القوى ، بعد حرب ضاريـة استمرت سبع سنوات ، ولا تكافؤ فيها بين قوى الطرفين المتحاربين . واستمر الثوار الجزائريون ، يناضلون ويحاربون دولة كبرى ، لا مقارنة بين قوتهم وقوتها من حيث النوع في المعدات ومن حيث التقنية .. ولكن كان لدى الثوار الجزائريين سلاح ماض هو « الارادة » لنيل المطلوب ، والعزم على القتال حتى اخراج المحتل من الجزائر ونيل الاستقلال التـام الشامل لجميع الجزائر وابنائها ، دون التهاون في حقوق او دفع ثمن غير ثمن ضريبة الدم. وبعد سنة من ذلك حققت « ارادة » الثورة الجزائرية ما صمم قادتها على نيله ، وان كانوا قد دفعوا ثمناً لذلك في تلك السنة عشرات الالوف من الشهداء الابطال .

قال الرئيس هواري بومدين، في احدى قواعد السلاح الجوي، يوم ٢٥/٨/١٩٧٠، ان جيش التحرير الوطـني الجزائري رفض خـلال حرب الاستقـلال « سلام الشجعان » الذي عرضه الجنرال ديكول . واضاف « اننا رفضنا هذا السلام لانه لا يتفق مع اهداف الثورة ونضال التحرير . لكننا بدأنا المفاوضات مع الخصم دون ان نقبـل وقف اطلاق النار بشكل مسبق ، مع ان الخصم اقوى منا بكثير ويتمتع بتأييد جيوش

حلف الاطلسي والرأسمالية العالمية . واضطر هذا الخصم اخيراً الى قبول شروطنا » .

واكد الرئيس بومدين « ان الأمن الذي يجري تصوره حالياً في الشرق الاوسط لا يمكن التوصل اليه دون طعن القضية الفلسطينية من الظهر ، وانه لا يمكـن تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ومشروع روجرز تنفيذاً تاماً، الا على حساب تصفية المقاومة الفلسطينية » . واضاف : ان الجزائر رفضت قرار مجلس الامن لاقتناعها بأن تنفيذه ينطوي على تصفيـة القضية الفلسطينية ، وعلى الاعتراف بالصهيونية وعلى الاستسلام ومنع مواصلة الكفاح[1] .

وابناء الامة العربية يرجون ويأملون من قادتهم العمل ، العمل بكل الوسائل ، لجمع الشمل وتوحيد الصف ، وايجاد « الارادة » التي تزيل آثار العدوان ، دون دفع ثمن باهظ ، عواقبه القانونية والسياسة خطيرة ، وحـدودها واسعة بعيدة .. وعندئذ يتحقق قول الرئيس جمال عبد الناصر « ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » وما يستعاد بثمن ليس انتصاراً وانما هو استسلام .

كان الرئيس جمال عبد الناصر زعيماً عربياً كبيراً ، تبعه الفلسطينيون والملايين من ابناء الامة العربية ، لاعتقادهم انه الزعيم المؤمن بأن فلسطين عربية ، وينبغي ان تعود وتظل عربية ، وان لابنائها حقاً وطنياً مقدساً في وطنهم . وانه المؤمن بالوحدة العربية ، وانه عامل لتحقيق الامرين العظيمين ، وانه قائد الامة الى اخراج الصهيونيين من قلب العالم العربي واراحة الامة العربية من اخطارهم ، والى الوحدة والكرامة والتقدم نحو مستقبل عظيم باهر ..

* * *

وانني كعربي اردني من فلسطين ، كغيري من عشرات الملايين من العرب والمسلمين الذين يعتقدون بالحقائق المتقدمة ولا يُسمعون اصواتهم ، نناشد الدول العربية ، باسم اخوة الشعوب العربية والقومية العربية والاسلام والعدالة والرجولة ، الا تعترف باسرائيل ولا تتخلى عن حقوق اهل فلسطين الوطنية في وطنهم العزيز ، الذي يضحون بأرواحهم في سبيل استعادته ، وان تعمل لارجاع ما احتلت اسرائيل من اراضيها دون ان يكون

---

(١) جريدة النهار – بيروت – في ٢٦ – ٨ – ١٩٧٠ .

الثمن تصفية قضية فلسطين باعترافهم باسرائيل ، والحكم على الشعب الفلسطيني بأن يعود ابناؤه لاجئين مشردين لا كيان لهم ولا امل .. وفي ذلك مخاطر عظيمة .. وعلينا الا ننسى ابداً ان الاتفاق الذي قد توقعه دول عربية واسرائيل ، والذي اعدته الولايات المتحدة الامريكية ، ليس الا فترة هدوء تتنفس خلالها اسرائيل وتقوم بالاعتداء على دول عربية لتحقيق مطالب جديدة .. فالحفاظ على الشعب الفلسطيني والقوات الفدائية ، عمل وطني واجب وسلاح زلام لما سيداهم الوطن العربي من خطوب .. وعلى المنظمات الفدائية ان تعمل لتقوية نفسها بتوحيد هدفها وصفوفها وتنظيم اعمالها ، وان تبقى دائماً اساساً للكيان الفلسطيني وبقاء للشعب الفلسطيني ، تعمل لاستعادة الحقوق في الوطن المغتصب .

وان الظروف الدولية ، وسعي الدولتين الكبيرتين في تحديد وضعهما في الشرق الاوسط وتفاهمهما على ايجاد تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي، وضغطهما على الحكومات المتنازعة ، لاجراء تلك التسوية على اساس قرار مجلس الامن ، الذي ذكرنا مضمونه واهدافه ، لا يجوز مطلقاً ان تؤدي الى تفكك الصف العربي ، وتحويل النزاع من نزاع بين العرب واسرائيل الى خصام بين العرب أنفسهم ، تتمناه اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، وقدعملتا كثيراً لتحقيقه ، لتؤمنا سلامة اسرائيل ، واضعاف العرب . وانما الواجب الوطني القومي العربي يتطلب من المسؤولين اخذ الامور بالروية ، وبالصراحة التامة ، والعمل لجمع الصف العربي وتوحيده ، اكثر من اي وقت مضى ، وتأمين وجود الجيوش العربية حول اسرائيل ، لرد عدوانها المقبل واعادة الوطن المغتصب ، وان يكون بين الجيوش العربية والمنظمات الفدائية الفلسطينية تنسيق متين في الاعمال الوطنية[1] ، كي لا تتكرر حوادث١٩٥٦ و ١٩٦٧ .. وعلينا الا ننسى ابداً ، ان العرب اجروا اتفاقات سابقة مع اسرائيل .. فكانت النتيجة ان بقيت اسرائيل مستعدة للاعتداء دوماً خلال ٢٤ ساعة .. لتحقيق ايجاد الدولة الصهيونية من النيل الى الفرات ..

(١) عالجت موضوع التعاون بين الفدائيين والجيوش العربية في الفصلين العاشر والحادي عشر .

الفصل الثامن

موقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية من اسرائيل والبلاد العربية

كشفت حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ عن حقيقة موقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية من اسرائيل والبلاد العربية ، واظهرت بوضوح انها مع اسرائيل على طول الخط .. وضد الدول العربية على طول الخط ايضاً ! ..

وهذه الحالة تجعل المراقب السياسي يتساءل : ما هي الاسباب التي تحمل حكومة الولايات المتحدة الامريكية على ان تقف موقف المؤيد لاسرائيل والمدافع عنها بل الضالع معها والمعادي للعرب والموقع بهم اضراراً ؟ . هل المصالح الحقيقية للولايات المتحدة الامريكية هي في اسرائيل ام في البلاد العربية ؟ . وما هي النتائج المترتبة على الموقف الامريكي المساند لاسرائيل مساندة لا حد لها ، والمعادي للعرب معاداة سافرة ؟ .

تدعونا دراسة هذه الامور الى تناولها تحت العناوين التالية :

١ ــ التبدل في السياسة الامريكية .

٢ ــ اسباب موقف الحكومة الامريكية مع اسرائيل ضد العرب .

٣ ــ موقف الحكومة الامريكية من التدخل السوفيتي والاعتداء الاسرائيلي .

٤ ــ التقنية والعلاقات بين البشر .

٥ ــ نتائج السياسة الامريكية في الشرق الاوسط .

التبدل في السياسة الامريكية

وقبل الدخول في البحث ، اذكر ، وانا لا ازال في صميم الموضوع ، قصة حديث مع المندوب السامي في فلسطين ، اذ جوهره لا يزال ينطبق على الوضع في الشرق العربي واثره على العلاقات العربية مع الدول الغربية .

حديث مع المندوب السامي

عين الجنرال ألن كننجهام مندوباً سامياً لفلسطين في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٥ ، وكانت آنذاك تحت الانتداب البريطاني ، فكان آخر مندوب سام . وفي اليوم الثاني من وصوله الى القدس اجتمع باثني عشر شخصاً من العرب الفلسطينيين ، بحسب ترتيب اعدته السكرتارية العامة لحكومة فلسطين . وكنت احد الذين دعوا الى ذلك الاجتماع بصفتي رئيساً لبلدية مدينة يافا . وكان من المدعوين المرحومون : راغب النشاشيبي ، عوني عبد الهادي ، الدكتور حسين الخالدي ، عبد اللطيف صلاح ، شبلي الجمل ، سليمان طوقان ، ومن الاحياء ، مد الله في اعمارهم ، السيد موسى العلمي . وكان المرحوم روحي عبد الهادي ، المساعد العربي للسكرتير العام يومئذ ، حاضراً الجلسة ويقوم بالترجمة بين المدعوين وبين المندوب السامي .

عقد الاجتماع في قصر المندوب السامي على « جبل المكبر » في الساعة الرابعة بعد الظهر . وبعد ان رحب المندوب السامي بمدعويه ، وهو رجل وسيم الطلعة حلو الحديث ، بدأ تقديم الشاي . وفي اثناء ذلك قال المندوب السامي :

اظنكم لا تنتظرون مني ان ابين لكم وجهة نظري في قضية فلسطين ، اذ ان هذا اليوم هو اليوم الثاني لوجودي فيها ، ولكنني انتظر ان تبينوا لي انتم وجهة نظركم في هذه القضية المهمة ..

وكان اول المتكلمين المرحوم عبد اللطيف صلاح . تحدث مدة (٤٥) دقيقة عن فلسطين في الامبراطورية العثمانية . وانه كان قبل الحرب العالمية الاولى موظفاً في « المابين » ، اي في رئاسة الوزراء في الآستانة ... ثم تكلم بعده المرحوم عوني عبد الهادي ، فاستعرض قضية فلسطين خلال (١٥) دقيقة ..

نظر المندوب السامي في وجوه الحاضرين منتظراً ان يسمع المزيد . فلم يتكلم احد ..

التفت الى المدعوين لعل احدهم يتكلم ، وكلهم يكبرني سناً ، فلاحظت انهم لا يريدون التحدث ! .. عندئذٍ قلت للمندوب السامي :

ان رفيقي قد تكلما ساعة ، ولا اود الاطالة ، واعرض ما اريد قوله في اربع دقائق . ثم قلت :

نحن العرب في فلسطين وفي البلاد العربية نود ان تكون العلاقات ودية وثيقة بيننا وبين الغرب . غير ان قضية فلسطين وتصرف الغرب فيها حتى الآن اوجدا هوة بين الفريقين . لذلك اهيب بالحكومة البريطانية ان تحل قضية فلسطين بطريقة تؤمن حقوق العرب فيها ، حتى تزول تلك الهوة ، وتتوثق العلاقات بين العرب وبين الغرب ، وتصبح المصالح الغربية في البلاد العربية في امان . ربما كان المسؤولون في لندن يفكرون انه لا خوف على مصالح الغرب في البلاد العربية ، اذ ان الدول التي كانت تستفيد من الهوة الموجودة بين البلاد العربية وبين الغرب قد زال نفوذها (وقصدت بذلك المانيا وايطاليا) وان مصالح الغرب في البلاد العربية اصبحت في امان سواء ارضي العرب ام لم يرضوا .

ان كان هذا هو التفكير في العواصم الغربية ، فانني اهيب بفخامتكم ان تخبروهم ان هذا التفكير خاطىء جداً ، لأن هناك دولة ثالثة (قصدت الجمهورية السوفيتية) آخذة في الصعود وهي اقوى من المانيا وايطاليا معاً ، ومسلحة بالاضافة الى انواع الاسلحة الحديثة ، بسلاح عقائدي ، قوي المفعول بين الجماهير . وان هذه الدولة ستنتهز فرصة وجود الخلاف بين العرب والغرب ، بسبب قضية فلسطين ، فتدخل المنطقة وتنشر نفوذها ، فتلقى الترحيب ، نتيجة وقوف الغرب بجانب الصهاينة في قضية فلسطين ، فيضعف نفوذ الغرب ، وتصبح مصالحه مهددة اشد تهديد. ولهذا اعود واهيب بفخامتكم اعلام الحكومة في لندن ان مصلحة الغرب تقتضي حل قضية فلسطين سريعاً بالطريقة التي تؤمن حقوق اهلها العرب فيها ..

اصغى المندوب السامي الى ما قلته بانتباه ... ثم استأذن الحاضرون وخرجنا .. وبعد اسبوع زارني المندوب السامي الجنرال الن كننجهام في مكتبي في بلدية يافا ، ودار بيننا حديث مطول حول الموضوع ...

على ان الحكومة البريطانية لم تقم بعمل شيء ايجابي في قضية فلسطين يؤدي الى

حل يؤمن حقوق العرب في وطنهم ، بل قررت تسليم القضية الى الامم المتحدة والانسحاب من فلسطين في ١٥ ايـار (مايو) ١٩٤٨ .. بعد ان مكنت اليهود من البلد وسلحتهم وحرمت العرب من ان يتسلحوا .

مركز امريكا في الشرق العربي قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها

تسلمت الامم المتحدة قضية فلسطين .. والولايات المتحدة الامريكية صاحبة النفوذ الواسع في هذه المنظمة الدولية ، بل صاحبة الكلمة النافذة التي تحقق في الامم المتحدة ما تريد .. وللوقوف على اسباب التبدل في السياسة الدولية للولايات المتحدة الامريكية اشير اشارة عابرة الى السياسة الدولية للولايات المتحدة الامريكية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدهـا .

كانت حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، قبل الحرب العالمية الاولى وفيما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، لا تؤيد السياسة الاوروبية الامبريالية الاستغلالية في العالم ، بل لا تريد ان يكون لها شأن بها .. وكانت في الوقت ذاته تعطف على الشعوب المستعبدة من دول الغرب باسم الديمقراطية .. وكان « العم سام » في تلك الايام « الرجل المحبوب » ، الذي تنظر اليه الدول المستعبدة نظرة محبة واحترام ، وتأمل ان يكون يوماً مخلّصاً لها مما تعانيه من ظلم دول الامبريالية الاوروبية واستعبادها .

ولهذا فقد حدث ، عندما ارسل الرئيس ويلسون في صيف سنة ١٩١٩ ، اللجنة الامريكية المؤلفة من السيدين هنري سي . كينك ، وتشارلي ر . كرين الى بلاد الشام ، للتأكد من رغبات الشعب في نوع الحكم الذي يريده ، أن رحب الاهالي العرب بهذه اللجنة وتقدمت وفود من انحاء فلسطين وسوريا للادلاء بوجهات نظرها وطلباتها . وقد ذكرت لجنة «كينك ـ كرين » في تقريرها انه لا يمكن تنفيذ البرنامج الصهيوني الا بقوة السلاح ، واكدت فيه قولها :

« وهذا في حد ذاته دليل على الشعور الحاد لسكان فلسطين وسوريا بأن البرنامج الصهيوني ظالم . واذا كانت الضرورة تدعو احياناً الى تنفيذ القرارات بالقوة ، الا ان اللجوء الى القوة ، لإنزال ظلم خطير امر لا يجوز . ذلك لان الزعم الذي كثيراً ما ردده الممثلون الصهيونيون ، من ان لهم حقاً في فلسطين يستند الى احتلال جرى منذ الفي سنة ، زعم لا يمكن ان ينظر اليه نظرة جديّة » .

وذكرت اللجنة ان الاهالي العرب يعارضون المشاريع الصهيونيـة ، ويطالبون

باستقلال سوريا ومن ضمنها فلسطين . فاذا كان الاستقلال غير ممكن فوراً ، وكان لا بد من انتداب اولاً ، فانهم يفضلون انتداب الولايات المتحدة الامريكية . وهـذا التفضيل كان قائماً يومئذ على اساس ان الولايات المتحدة الامريكية دولة غير امبريالية ولا استعمارية ، بل دولة قاومت الاستعمار ونالت استقلالها بعد محاربته حرباً طويلة ضارية .

على ان الولايات المتحدة الامريكية اصبحت بعد الحرب العالمية الثانية ، غير ما كانت عليه قبلها . لقد انهارت الدول الاستعمارية الاوروبية ، المغلوب منها والغالب ، بعد الحرب العالمية الثانية . خرجت المانيا وايطاليـا من تلك الحرب مهزومتين ، وسلخت عنهمـا مستعمراتهما ، كمـا اصبحت بريطانيـا وفرنسا ضعيفتيـن من جراء تلك الحرب ، واخذت مستعمراتهما تخرج من قبضتيهما .. وفي الوقت نفسه ظهر الاتحاد السوفيتي دولة كبرى ، لها اهداف ومطامع .. لا تستطيع اوروبا الكسيحة الوقوف امام تلك الاهداف او اعتراض تلك المطامع .. وفي الوقت الذي ظهر فيـه الاتحاد السوفيتي دولة كـبرى كانت الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الكبرى الاخرى ، التي غـيرت سياستها السابقة ، سياسة العزلـة عن المشاكل الاوروبية والعالمية ، ودخلت الصراع الدولي بعد ان تزعمت الدول الغربية ، وورثت امبرياليتها وما كان لها من نفوذ وسلطان في العالم .. ووقفت امام الاتحاد السوفيتي ..

وفيما يتعلق بموضوعنا ، موضوع قضية فلسطين ومضاعفاتها ، انتقل مركز الثقل الصهيوني بعد الحرب العالمية الثانيـة ، من بريطانيا الى الولايات المتحدة الامريكية .. وتسلم الرئيس ترومان يومئذ العلم الصهيوني ورفعه عالياً ، وقام بدوره الفعال داخل الامم المتحدة وخارجها ، فأدى جهده المتواصل والضغط الذي مارسه عـلى الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، الى « تقسيم فلسطين » بصوت واحد فقط زيادة عـلى الاصوات اللازمة لفوز مشروع قرار التقسيم ، والى خلق دولة اسرائيل .. لماذا ؟ هل لان المصالح الامريكية تتطلب ذلك ؟ ام سعياً وراء مصلحة اخرى لا صلة لها البتة بمصالح الامة الامريكية ؟ ..

واعتدت اسرائيل في سنة ١٩٥٤ على غزة وخانيونس اعتداء شنيعاً هدمت فيه بيوتاً وقتلت مدنيين عديدين بينهم نساء واطفال .. فطلبت الحكومة المصرية شراء السلاح من بريطانيا وامريكا للدفاع عن البلاد والسكان ، ولكنهما رفضتا طلبها . ولم تكن هناك ، حتى ذلك التاريخ ، علاقات صداقة بين مصر وبلاد الكتلة الشرقية ..

وفي مؤتمر باندونغ الذي عقد في اندونيسيا في نيسان (ابريل) ١٩٥٥ ، قام الرئيس جمال عبد الناصر بخطوته الجريئة ، وطلب شراء السلاح من المعسكر الشرقي .. فحصل عليه في الشهر نفسه .. ومنذ ذلك التاريخ توثقت العلاقات بين بعض البلاد العربية وبين الكتلة الشرقية ، واصبح للاتحاد السوفييتي مكانة مرموقة في الشرق الاوسط ..

لماذا رفضت بريطانيا وامريكا طلب مصر يومئذ شراء السلاح ؟ .

وكل عربي يذكر جيداً تآمر بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل في سنة ١٩٥٦ واعتداء الدول الثلاث على مصر .. فلماذا كان ذلك الاعتداء ؟ ..

فشل الاعتداء الثلاثي في سنة ١٩٥٦ ، لان الرئيس ايزنهاور قاومه ، ولان الاتحاد السوفييتي هدد باستعمال القوة ضد المعتدين اذا هم لم يتوقفوا عن اطلاق النار ، وينسحبوا من الاراضي المصرية ، وترجع اسرائيل الى خطوط الهدنة كما كانت في سنة ١٩٤٩ ، فكان ذلك ..

وجاءت حرب اسرائيل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ضد ثلاث دول عربية بتأييد من الحكومة الامريكية ومساندة بريطانيا لهذا التأييد ، ومساعدتهما لاسرائيل مساعدة فعالة .. وقامت هاتان الدولتان بجهود قوية ، في الاوساط الدولية وفي الامم المتحدة ، لحمل الدول على عدم الموافقة على ادانة اسرائيل باعتدائها وسحب قواتها الى خطوط الهدنة التي كانت عليها قبل حرب الايام الستة .

لماذا تؤيد الولايات المتحدة الامريكية اسرائيل وتساندها في ذلك بريطانيا وتقفان ضد العرب بهذه الصورة المكشوفة ؟ ..

ومما ينبغي تسجيله للحق والتاريخ ان الله انعم على فرنسا ، في فترة من تاريخها ، بزعيم شجاع هو « عملاق بين الرجال » حسب وصف الرئيس نيكسون له ، هدفه مصلحة فرنسا ، ولا يعمل لنفسه ابداً ، ألا وهو الجنرال دي جول . فقد ابعد فرنسا عن التآمر مع اسرائيل ، ورأى ببعد نظره السياسي وحكمته الصائبة ، ان زمن الاستعمار وقهر الشعور الوطني قد ولى ، وان مصلحة فرنسا هي في التعامل الودي مع العرب ، الذين يعدون مئة مليون والذين يشغلون منطقة استراتيجية واسعة مهمة ، لا مع اسرائيل التي خُلقت في قلب العالم العربي بالقوة وضد ارادة الامة العربية ، والتي لا يمكن ان يستمر بقاؤها بالقوة .. فرفض محاولات اسرائيل لكسب تأييد فرنسا في اعتدائها في سنة ١٩٦٧ ، وقد كانت حليفتها في اعتداء سنة ١٩٥٦ ، وقرر الوقوف ضد المعتدي ..

وادان اسرائيل باعتدائها في سنة ١٩٦٧ ، ورفض ان تكون للمعتدي مكاسب اقليمية .. كما اوقع العقوبات عليها اثر اعتدائها على مطار بيروت في ٢٨ – ٨ – ١٩٦٨ .

ومما يجدر ملاحظته ان الحزب الحاكم في بريطانيا ايام اعتداء سنة ١٩٥٦ كان حزب المحافظين ، وفي فرنسا الحزب الاشتراكي ، وفي الولايات المتحدة الامريكية الرئيس ايزنهاور ، وان الاحزاب الحاكمة ايام اعتداء ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هي حزب العمال في بريطانيا ، الذي كان قد عارض اعتداء ١٩٥٦ ، والحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة الامريكية ! .. اما في فرنسا فرجلها العظيم الجنرال دي جول ! .

وكما رأينا في صفحات متقدمة كان اعتداء اسرائيل يوم ٥ حزيران (يونيو) على ثلاث دول عربية بمعرفة من حكومة الرئيس جونسون وبتأييد منها .. والرئيس جونسون هو الشخصية السياسية الامريكية ، التي تمثل خير تمثيل الوجه الامريكي فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، فيه تمثلت الامبريالية الامريكية ، وفيه تجلت سيطرة الصهيونية على البيت الابيض ، ومحاباة الرئيس الجالس فيه لرجالها :

تحارب الولايات المتحدة الامريكية بشراسة في فيتنـــام ، وتفتـــك بالفيتناميين الشماليين وبالفيتكونك ، فتكاً ذريعاً بمختلف وسائل الحرب القتالة ، وينتج عن ذلك قتل مئات الالوف من سكان فيتنام الجنوبية والشمالية .. وازهاق ارواح عشرات الالوف من الامريكيين انفسهم ، مع ان الحرب لم تنته ، ولا امل بانتهائها في القريب العاجل كما يبدو .. على الرغم من أن الرأي العام العالمي ضد هذه الحرب .. وقد سخط الرأي العام الامريكي على الرئيس جونسون بسببها ، فمنعه ذلك من ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية مرة ثانية .. ومع ذلك فانه مضى فيها وزادها اتساعاً يوماً بعد يوم حتى آخر ايامه في البيت الابيض .. وتسلم الرئيس نيكسون زمام الادارة في الولايات المتحدة الامريكية ، وهو يتظاهر بانه يسعى للخروج من الحرب .. ولكنه وسع ميدانها بدخول الجيوش الامريكية والفتنامية الجنوبية اراضي كمبوديا ولاووس ، وقتال قوات الفيتكونك والفيتناميين الشماليين فيها .. وثار فريق من الامريكان على تصرفات الرئيس نيكسون وطالبوه بايقاف الحرب في الهند الصينية ..

ادعى الرئيس جونسون واحتج بأنه في حربه الجهنمية في فيتنام ، التي لا تزال قائمة ، انما يدافع عن حرية العالم من تسلط الشيوعيين عليها ! .. ويكرر الرئيس نيكسون اقوال سلفه .. والحقيقة انه دافع عن مصالح امريكا الامبريالية من ظهور دولة

آسيوية كبيرة تنافسها في السيطرة الاقتصادية على الاسواق الآسيوية ، وتنشر نفوذها السياسي في آسيا وفي الاوساط الدولية .. ولو كانت الصين الشعبية الحالية بلاداً غير شيوعية ، وكانت مع ذلك ترمي الى الاهداف الحالية نفسها ، لكان موقف المسؤولين في واشنطن تجاهها هو موقفهم الحالي تجاه الصين الحمراء نفسه ..

والحقيقة التي ينبغي ان يفقهها كل مفكر هي ان الولايات المتحدة الامريكية اصبحت بعد الحرب العالمية الثانية ، بلاداً امبريالية ، بل في اعلى مراحل الامبريالية . اصبحت اكثر امبريالية من اوروبا في اوجها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والثلث الاول من القرن العشرين ، ولكن طرقها تختلف عن طرق امبريالية اوروبا التي زالت ، والقليل الباقي منها آيل الى الزوال السريع .

ان هدف الولايات المتحدة الامريكية هو السيطرة على العالم في ميادينه المختلفة وبطرق العصر الحديث الذي نعيش فيه . وهي لذلك تقاوم بمختلف الطرق ، اي دولة كبيرة يمكنها ان تنافسها السيطرة على العالم ، او يمكن ان تكون في المستقبل قوة يحسب لها حساب . والولايات المتحدة الامريكية لذلك تقاوم الصين الشعبية ، والسوفيت ، وأي دولة اخرى في امكانها ان تنافس امريكا ، او تسير في فلك غير فلكها ، بغض النظر عن نظام الحكم فيها ..

ومن ناحية ثانية فان الرئيس جونسون كان تحت سيطرة الصهيونيين . وكان هو اكثر الرؤساء السابقين محاباة لهم :

لقد كان اهم مستشاريه الذين يعمل برأيهم مـــن الصهيونيين والت روستو مستشاره الخاص المهم في البيت الابيض ، وكان اخوه اوجين روستو وكيل وزارة الخارجية الامريكية ! هذان الاخوان اليهوديان الصهيونيان كانا يسيران ، الى حد كبير ، السياسة الخارجية في البيت الابيض وفي وزارة الخارجية الامريكية ، وخصوصاً في كل ما يتعلق بالشرق الاوسط .. وليس من المستغرب ان تكون السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، التي يخطط الكثير من خطوطها الاخوان روستو ، معادية للعرب ومؤيدة لاسرائيل . فإن تسلط الصهيونيين على الرئيس جونسون قد ادى به الى تعيين آرثر كولدبرغ ، اليهودي الصهيوني ، مندوباً دائماً للولايات المتحدة الامريكية في الامم المتحدة ، برتبة سفير عضواً في مجلس الوزراء في واشنطن ، يحضر جلساته وله فيه كلمة مسموعة ورأي يعمل به .. ويهودية كولدبرغ لا تهم العرب ، اذ ليس بين

العرب واليهود كيهود عداء ، وانما المهم في ذلك التعيين هو الصهيونية الأصيلة عند كولدبرغ الامريكي الجنسية الصهيوني العقيدة الاسرائيلي الولاء . والعداء في الشرق العربي هو بين العرب وبين الصهيونيين الذين اقاموا اسرائيل في قلب العالم العربي ، منتهكين بذلك حقوق العرب في وطنهم ، مؤيدين اسرائيل في عدوانها المتتابع ، منذ نشأتها على الدول العربية . وقد اثبت كولدبرغ ، بالاقوال والاعمال ، ان هدفه الرئيسي في الامم المتحدة كان الدفاع عن اسرائيل وتحقيق مطامعها في البلاد العربية ، وهكذا فانه يمكن القول انه كان لاسرائيل ، في عهد كولدبرغ في الامم المتحدة ، وزيرا خارجية ، احدهما ابا ايبان ومقر عمله في تل ابيب ، والثاني كولد برغ ، وهو الاهم ، ومقر عمله في نيويورك .. وقد حقق لاسرائيل في الامم المتحدة ، باستعماله نفوذ الولايات المتحدة الامريكية ، ما لم يكن باستطاعة زميله ابا ايبان تحقيقه .

وكان من الذين لهم نفوذ كبير على الرئيس جونسون القاضي ايب فورتاس Abe Fortas ، وكان الرئيس جونسون قد عينه قاضياً في المحكمة العليا في الولايات المتحدة الامريكية . والقاضي في هذه المحكمة يكون تعيينه مدى الحياة ، ونفوذه في التشاريع مدى الحياة أيضاً ! .. وكان للقاضي فورتاس دالة خاصة على الرئيس جونسون ، يقدم له المشورة في شؤون الدولة ، وفي شؤونه المالية الخاصة .. فعمل الرئيس جونسون على مكافأة صديقه القاضي فورتاس على خدماته الخاصة له على حساب مركز من أهم المراكز في الدولة وهو رئاسة المحكمة العليا .. فأصدر قراراً بتعيين القاضي فورتاس رئيساً للمحكمة العليا ، وذلك قبيل انتهاء ايامه في البيت الابيض . وقد أثار هذا التعيين الرأي العام في امريكا ، لان الذوق السليم كان يتطلب من الرئيس جونسون ، الذي اصبحت ايامه معدودة في البيت الابيض ، ان يترك تعيين رئيس المحكمة العليا لمن سيخلفه ، لا سيما وأن رئيس المحكمة العليا ، كقضاتها ، يعمل فيها مدى الحياة ، ونفوذه في التشريع الامريكي له الأثر الكبير طوال حياته .. وقد اخذ مجلس الشيوخ الامريكي ، الذي لا يتم تعيين رئيس المحكمة ، دون مصادقته عليه ، يماطل في الموافقة الى ان انتهت مدة الرئيس جونسون في البيت الابيض .. وهكذا لم يعين القاضي ايب فورتاس ، الصديق الحميم للرئيس جونسون ، رئيساً للمحكمة العليا . وتكشفت ،

بعد ذلك ، أمور فظيعة عن هذا القاضي اذ ظهر انه كان يرتشي ! .. فقامت عليه حملة شديدة في الكونكرس ، وفي الأوساط السياسية ، لم تستطع الصحافة الامريكية التغاضي عنها واغفال ذكرها .. فادى ذلك كله الى استقالته من منصبه كقاض في المحكمة العليا في الولايات المتحدة الامريكية ..

ذهب الرئيس جونسون من الحكم وذهب معه مستشاروه واخصاؤه من الصهيونيين في البيت الابيض وفي وزارة الخارجية .. وامل كثيرون من رجال السياسة ومن رجال الفكر في البلاد العربية ، ان يكون حكم الرئيس نيكسون اكثر واقعية وعدالة فيما يتعلق ببلاد الشرق الأوسط وقضاياه ، وتوسموا فيه خيراً لانه يعرف قضايا الشرق الاوسط منذ ان كان نائباً للرئيس ايزنهاور طوال ثماني سنوات ، ولانه ارسل اثر انتخابه رئيساً ، وقبل توليه الحكم ، صديقه المستر « وليام سكرانتون » حاكم بنسلفانيا السابق ، الى الشرق العربي لتقصّي الحقائق ولتقديم التوصيات لحل المشاكل في منطقة الشرق الاوسط .. وبينما كان المستر سكرانتون في الشرق الاوسط صرح بأن على الحكومة الامريكية ان تتبع (سياسة متوازية) بين العرب واسرائيل .. وقد ثارت عليه الاوساط الصهيونية في كل مكان ، والصحافة الامريكية بصورة خاصة .. فاختفى من الميدان . ولم يعد لوصاياه ذكر ..

كنت في الولايات المتحدة الامريكية عندما جرت انتخابات الرئاسة الامريكية أواخر سنة ١٩٦٨ .. وتتبعت سيرها .. وسمعت بأذني المستر نيكسون ، منتخب الحزب الجمهوري للرئاسة الامريكية ، يصرح تصريحاً غريباً ادى بجريدة نيويورك تايمس ذاتها ، وهي جريدة يهودية ، الى انتقاده بشدة ، حرصاً على المصالح الامريكية في الشرق الاوسط ! . وتصريحه هو بمثابة نظرية سياسية جديدة للسياسة الامريكية في الشرق العربي . نحن نعلم ان السياسة الامريكية كانت تقول (ولو نظرياً) بضرورة توازن القوى بين اسرائيل المؤلفة من مليونين ونصف المليون من الصهيونيين وبين البلاد العربية المؤلفة من مئة مليون من السكان ! . وفي هذه السياسة ذاتها ظلم صارخ للعرب .. على ان المستر نيكسون صرح ، ايام الانتخابات ، بانه اذا انتخب رئيساً للجمهورية فان سياسته تجاه العلاقات الاسرائيلية العربية ستقوم على ان تكون اسرائيل اقوى من البلاد العربية كلها لحفظ السلام ! ؟ .. اي لاستعباد اسرائيل للعالم العربي .. وقد ظـن الكثيرون يومئذ ان هذا التصريح الغريب الذي ادلى به المستر نيكسون كان تصريحاً

انتخابياً فقط ، غايته المزايدة مع الديموقراطيين للحصول على الاصوات اليهودية في انتخابات الرئاسة ، ولنيل تأييد الصهيونيين له في تلك الانتخابات ! ..

انتخب الرئيس نيكسون رئيساً للولايات المتحدة الامريكية .. فعين الدكتور هنري كيسنكر مستشاراً خاصاً له ، وهو مركز مهم في البيت الابيض ، لا يقل اهمية عن مركز وزير الخارجية . والمستر كيسنكر يهودي صهيوني من مواليد المانيا .. ولم يقم الرئيس نيكسون بعمل شيء لتخفيف حدة التوتر فيما بين اسرائيل والبلاد العربية ، بل ان حكومته تابعت ، في الامم المتحدة ، سياسة سلفه الرئيس جونسون بالوقوف مع اسرائيل ضد الدول العربية ..

ثم ان الرئيس نيكسون وافق على صفقة بيع الطائرات الخمسين من قاذفات القنابل المقاتلة من طراز فانتوم من اسرائيل ، الدولة المعتدية على ثلاث دول عربية ولا تزال جاثمة في المناطق التي احتلتها من هذه الدول الثلاث .. ومع ذلك سلمت الحكومة الامريكية هذه الطائرات الى اسرائيل .

وتابع الرئيس نيكسون اظهار حقيقة موقفه من العرب واسرائيل ، ذلك الموقف الذي اعلنه في خطبه الانتخابية ، فقدم الكثير من الاسلحة الثقيلة الفنية المتقدمة ، منها الدبابات ومدافع الميدان الكبيرة الحجم البعيدة المدى ، والآلات الالكترونية التي تشوش على الرادار ، وتضلل صواريخ سام ٣ .. ولم يكتف بذلك بل قدم لاسرائيل ايضاً في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ثماني عشرة طائرة فانتوم ، وذلك في اثناء وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية ، بحجة انها بدلٌ من الطائرات التي خسرتها اسرائيل في معاركها على قناة السويس ، اي في اعتدائها على الجمهورية العربية المتحدة.. كما قدم لها هبة مقدارها خمسمائة مليون دولار .. والرئيس نيكسون يعد الجو في الاوساط الامريكية لمنح اسرائيل المزيد من الطائرات والدبابات والمدافع وغيرها من ادوات القتل والتدمير ، والمزيد من المال ، الذي يقدر الخبراء انه سيكون بالبلايين .. وهو في ذلك يؤيد الاعتداء الاسرائيلي ، ويشجع على بقاء اسرائيل في الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وفي القيام بمغامرات جديدة .. ويقف الرئيس نيكسون ، بتصرفاته موقفاً عدائياً سافراً نحو العرب ، زاد في عدائه لهم وايقاع الاضرار بهم عما كان يكنه لهم ترومان وجونسون ! .. وهو يعتقد ان في انتصار اسرائيل على العرب انتصاراً للولايات المتحدة الامريكية ، يعوض ما لحق بسمعتها وسمعته من جراء الهزائم الشنيعة التي تمنى بها القوات الامريكية وحلفاؤها في الهند الصينية ..

وعللت حكومة الرئيس نيكسون تبنيها لسياسة تزويد اسرائيل بالاسلحة بسببين : اولهما ان الدول العربية تحصل على السلاح من الاتحاد السوفييتي ، وثانيهما ان الحكومة الامريكية تهتم بمصلحة اسرائيل اهتماماً جدياً !

اما السبب الاول فتعليل واه يفضح نفسه . لانه اذا اخذت الدول العربية سلاحاً من السوفيت فلكي تعوض عن سلاحها الذي فقدته حين اعتدت اسرائيل عليها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ولتدافع عن بلادها وحقها في اراضيها المسلوبة . واسرائيل ليست بحاجة الى السلاح وهي الدولة التي خرجت من الحرب ظافرة .. والدولة التي تستمر كل يوم في القيام باعتداءات على البلاد العربية .. والمنطق السليم الـذي تنص عليه مبادىء الامم المتحدة هو ايقاع العقوبات على اسرائيل لاعتدائها ولاستمرارها في الاعتداء باحتلال اقاليم من البلاد العربية التي اعتدت عليها ، لا تزويدها بسلاح جديد يزيدها استمراراً في الاعتداء ورفض الحلول السلمية التي اقرها مجلس الامن بقراره الصادر في ٢٢ – ١١ – ١٩٦٧ ، ذلك القرار الذي وافقت عليه الحكومة الامريكية ذاتها ! .. ورفضها ايضاً قرارات مجلس الامن المتعلقة ببقاء مدينة القدس العربية ضمن الضفة الغربية المحتلة وعدم ضمها الى اسرائيل ..

اما السبب الثاني وهو اهتمام الحكومة الامريكية اهتماماً جدياً بمصلحة اسرائيل فإنه يدعو إلى التساؤل : لماذا تهتم الحكومة الامريكية باسرائيل اهتماماً جدياً ؟. والجواب عن هذا السؤال يدعونا الى اعادة التساؤل السابق : لماذا تقف الحكومة الامريكية مع اسرائيل ضد العرب ؟

التحاق اميركان بالجيش الاسرائيلي

وقبل الاجابة عن هذا السؤال نسجل هنا موقفاً عدائياً جديداً لحكومة الرئيس نيكسون نحو البلاد العربية . فمن المعلوم ان الحكومة الامريكية تغدق على اسرائيل المال .. وتمدها بمختلف انواع الاسلحة الفتاكة ومنها طائرات الفانتوم . واضحت منذ شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ تسمح قانونياً للمواطنين الامريكيين بالالتحاق بالقوات المسلحة الاسرائيلية ، اي ان الحكومة الامريكية اخذت تمد اسرائيل بالجنود ، بعد ان مدتها بالمال والسلاح ، لمحاربة اهل فلسطين والدول العربية .. وكشف عن ذلك بيان متحدث مسؤول في السفارة الامريكية في تل ابيب في ١٦ – ١٠ – ١٩٦٩ ،

وقد جاء فيه ان المواطنين الامريكيين يستطيعون الالتحاق بالقوات الاسرائيلية المسلحة مع احتفاظهم بالجنسية الامريكية ..

هذا البيان قائم على « التفسير الجديد » لقرار وزير العدل الامريكي بشأن «المواطنة المزدوجة » . كان القانون في الولايات المتحدة الامريكية لا يسمح للامريكيين بالتجند في قوات مسلحة غير القوات المسلحة الامريكية ، وان هم قاموا بذلك فقدوا الجنسية الامريكية . فأتى قرار وزير العدل الامريكي الجديد وفسر « المواطنة المزدوجة » بخلاف ذلك ، وسمح للمواطنين الامريكيين ، من اي مذهب كانوا بالتجند في الجيش الاسرائيلي والمحاربة في صفوفه دون ان يفقدوا الجنسية الامريكية ! فأزال هذا التفسير العوائق القانونية التي كانت تحول دون انخراط الامريكيين في صفوف الجيش الاسرائيلي ، واصبح في وسع جميع اليهود في الولايات المتحدة الامريكية ، وغير اليهود ايضاً ، ان يلتحقوا بالقوات المسلحة الاسرائيلية لمحاربة الدول العربية ، دون معارضة القوانين الامريكية . وبذلك اصبحت الحكومة الامريكية تقر اليوم مبدأ «المواطنة المزدوجة» للامريكيين ، وما يتبعها من واجبات على « الامريكي الاسرائيلي » نحو الحكومة الاسرائيلية .. وبالتالي تقر « الولاء المزدوج » : الولاء اولاً لاسرائيل .. ، ثم الولاء ثانياً لامريكا ، التي درت على يهودها الخيرات والنعم التي يتمتعون بها .. واقول « جميع اليهود » في امريكا لان الحكومة الاسرائيلية تعتبر « جميع اليهود » في العالم اسرائيليين سواء اسكنوا في اسرائيل ام سكنوا بلاداً اخرى .. (وقد صدرت فيها فتوى باعتبار اليهودي الذي يرفض الهجرة الى اسرائيل كافراً) .

لقد ادى بيان السفارة الامريكية في تل ابيب الى انتقاد شديد من دول عربية . فقدمت حكومة الجمهورية العربية المتحدة في ١٧ – ١٠ – ١٩٦٩ مذكرة تحليلية للموقف الامريكي الجديد الى مجلس الامن .. وكان على الحكومة الامريكية ان تقول شيئاً ازاء هذا النقد الواقعي ، فأرسل مندوبها في الامم المتحدة مذكرة الى الامين العام المستر اوثانت ، اوضح فيها ان الحكومة لا تشجع الامريكيين على التجند في القوات المسلحة الاسرائيلية ، وانه لا يوجد في جيش اسرائيل الا القليل من الامريكيين غير اليهود .. فهل من اعتراف اقوى من هذا ، وهل من تشجيع للانضمام الى جيش اسرائيل اشد واقوى من ازالة العقبات القانونية التي كانت تحول دون ذلك ؟ ! ..

كنت خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ في احدى العواصم الآسيوية ، التي فيها قوة عسكرية امريكية كبيرة .. وقد دعاني احد ابناء تلك العاصمة الى شرب

الشاي معه في نادي الضباط الامريكي . وبينما نحن نشرب الشاي دخل امريكي ، بملابس مدنية ، وسلم على الآسيوي وجلس معنا ، فطلب له الآسيوي كأساً من الوسكي .. وبعد قليل دخل امريكي آخر بملابس مدنية ايضاً ، فقام الامريكي جليسنا وسلم عليه ، ثم جلسا معنا ، فطلب الآسيوي كأساً من الوسكي للامريكي الثاني بعد ان سلم عليه . ودار حديث متشعب ، تخلله حديث بين الامريكيين على النحو التالي

— لم ارك منذ مدة ؟

اجاب الامريكي الثاني ، وهو ضابط في الجيش الامريكي في ذلك البلد الآسيوي ، وعلى شفتيه ابتسامة :

— قبل حزيران بشهر اخذت مع عدد من الضباط الآخرين اجازة شهرين لقضائها في اسرائيل . وتابع قوله والابتسامة تزداد على شفتيه :

— وبقينا فيها طوال الشهرين ، وحضرنا الاستعدادات للحرب ووقائعها ، وبعد ذلك عدنا الى مراكزنا هنا ..

فقرار وزير العدل الامريكي المفسر « للمواطنة المزدوجة » ما هو الا لاعتبار ما هو واقع عملياً واقعاً شرعياً .. وتصرفات الحكومة الامريكية مع اسرائيل تجاه العرب ، قبل حرب حزيران ١٩٦٧ .. ، وفي اثنائها .. ، وبعدها . ، تثبت ان ثمة امريكيين عملوا في القوات المسلحة الاسرائيلية على اختلاف انواعها ، وانهم اليوم يعملون فيها ، وبعد تقنين ذلك سيزداد عددهم ونشاطهم في قوات اسرائيل المسلحة جهاراً ..

وما موقف الحكومة الامريكية الجديد هذا ، المؤدي الى تجنيد الامريكيين في القوات المسلحة الاسرائيلية ، الا لاضعاف عزائم العرب ، وحملهم على « التسليم » لمطالب اسرائيل التوسعية الاقليمية والاقتصادية والسياسية في البلاد العربية ، ولاهداف الحكومة الامريكية ، وهي السيطرة على جميع البلاد العربية .. والذي يحدو الحكومة الامريكية الى اتخاذ هذه المواقف العدائية السافرة من البلاد العربية هو اعتقادها ان المسؤولين في البلاد العربية على خلاف فيما بينهم ، وان خلافاتهم هذه لا تمكنهم من العمل معاً ضد عدوهم المعتدي على اوطانهم والطامع في خيرات بلادهم ؟ ! ..

انني ممن يعتقدون أن الاحتجاج مهما كان شديداً ، والغضب الكلامي مهما كان

عنيفاً ، لا يؤثران في الموقف الامريكي .. اذ ان الاحتجاج والغضب الكلامي ، لا يلحقان اضراراً بمصالحها في البلاد العربية ، ما دام المسؤولون في تلك البلاد متفرقين متخاصمين ..

وانني اعيد قولاً قلته وقاله آخرون وهو ان مصالح المسؤولين في البلاد العربية تتطلب منهم ، كما تتطلب المصلحة الوطنية العربية ، ومصير الامة العربية ، ان يتفاهموا فيما بينهم ويعملوا معاً على تجنيد جميع الامكانات العربية ، من اقتصادية وسياسية وبشرية ، لمواجهة الخطر الداهم ، ولرد ضربات الحرب المقبلة ، في صف واحد .. ليتم النصر ، وذلك كي يبقوا اسياداً في بلادهم ، والا ضاع الوطن واستعبدت الامة ، واي مكانة لهم في وطن ضائع وبين امة مستعبدة ؟ ! ..

ثم بجانب امكانات الامة العربية المتنوعة الهائلة غير المستغلة بعد ، امكانات اخرى تتطلب من المسؤولين العمل للاستفادة منها ضد اعداء الامة العربية :

هناك دول اسلامية ، لها مكانة دولية محترمة ، تحب المساعدة ان احسن التقرب منها .. ولدى واحدة منها او اكثر من واحدة امكانات عسكرية ، ان اظهرت استعدادها لاستعمال قسم منها في سبيل القدس وفلسطين ، أثّر ذلك في موقف الولايات المتحدة الامريكية من البلاد العربية ..

وكما ان في امريكا يهوداً ، ومن يعطفون على اسرائيل وينخرطون في قواتها العسكرية من غير اليهود ايضاً ، فان هناك بلاداً صديقة للامم العربية فيها ملايين من المسلمين ! ففي روسيا ما يزيد على ثلاثين مليون مسلم .. وفي الصين ما يزيد على خمسين مليون مسلم .. وفي الهند ما يزيد على خمسين مليون مسلم .. هذه قوى بشرية هائلة فيها العديد من المدربين على مختلف انواع الاسلحة الحديثة . فهل للمسؤولين في الدول العربية ان يعملوا للاستفادة من هذه القوى المتنوعة الهائلة ؟ ! .. فاذا اتجهوا هذا الاتجاه قد يستيقظ المسؤولون في الحكومة الامريكية من التخدير الصهيوني ، ويرون عندئذ ان مصلحتهم تتطلب التوقف عن التمادي في مساندة اسرائيل والسير في ركابها ، حتى لا تنقطع الشعرة الاخيرة التي لا تزال تصل بينهم وبين البلاد العربية .. وهي ان قطعت اندلعت نيران الحرب العالمية الثالثة ..

وعلى اصدقاء الامة العربية ، من مسلمين وغير مسلمين ، ان يساعدوا الدول العربية ، التي تجابه الامبريالية الامريكية والصهيونية الاستعمارية الاستيطانية الإفنائية ،

وما تماديهما ضد الدول العربية الا لأسباب من اهمها اعتقادهما ان اصدقاء العرب لا يتقدمون لمساعدة الدول العربية بصورة ايجابية فعالة ..

واعود الآن الى التساؤل : لماذا تقف الحكومة الامريكية مع اسرائيل ضد العرب ؟

— ٢ —

أسباب موقف الحكومة الامريكية مع اسرائيل ضد العرب

تقف الحكومة الامريكية مع اسرائيل ضد العرب لثلاثة اسباب رئيسية : اولها يتعلق بسياسة الدولة ، وثانيها بموقف امريكا من الاتحاد السوفيتي ، وثالثها يرتبط بمصالح الحكام :

السبب الأول

والسبب الاول لا يتعلق بالحكومة الامريكية وحدها وانما يشمل الدول الامبريالية جميعاً ، ومنها بريطانيا التي تسير في سياستها في الشرق الاوسط تبعاً لسياسة الحكومة الامريكية الامبريالية، التي هي بدورها، استمرار لسياسة بريطانيا وغيرها من الدول الاوروبية الامبريالية ، التي سلمت زمام السيطرة على العالم للولايات المتحدة الامريكية، واكتفى بعضها بالتبعية لهذه الحكومة في سياستها في الشرق الاوسط على الاقل .

والغرب الامبريالي كما رأينا في صفحات متقدمة ، كان منذ الحروب الصليبية ضد العرب ، يهدف الى ابعاد العرب عن البلاد الواقعة على شواطىء البحر الابيض في الشرق الادنى ، او اضعافهم ، بحيث لا تكون لهم السيطرة الفعالة على تلك المنطقة ، لتظل مصالح الغرب فيها غير مهددة . وقد اتبعت الدول الاستعمارية لتحقيق ذلك سياسة « فرق تسد » ، وابقاء الدول العربية مجزأة ضعيفة . وفي القرن التاسع عشر قاومت بريطانيا جميع الحركات القومية العربية ، وحاربت ابراهيم باشا ، الذي كاد يحتل الآستانة آنذاك ، خشية منها ان تحل محل تركيا الضعيفة في البلاد العربية ، دولة عربية فتية تخاف منها على مصالحها .. وعلى الرغم من ان بريطانيا ، باتفاقها مع الشريف حسين الذي اصبح ملكاً على الحجاز ، وعدت العرب باستقلال البلاد العربية ضمن الوحدة ، فانها نقضت الاتفاق وجزأت البلاد العربية ووضعتها تحت انتدابات متعددة ، وبذرت نواة دولة اسرائيل في فلسطين ..

ولما ورثت الحكومة الامريكية الامبريالية الغربية ، بعد الحرب العالمية الثانية، سارت في سياستها في الشرق الاوسط ، على طريق الامبريالية الغربية . فلماذا ؟ .

ان البلاد العربية شاسعة تحتل جزءاً من الكرة الارضية هو من اهم اجزائها استراتيجية وثروة ، اذ فيه اهم موارد البترول في العالم ، كما فيه موارد اولية مختلفة الانواع ، وذات اهمية في الاقتصاد العالمي . ويسكنها من ابناء الامة العربية مئة مليون ، يصبحون في سنة الفين مئتي مليون .. وهم اصحاب مدنية عريقة ، ولهم ماض مجيد عندما كانوا متحدين غير متفرقين .. وللامة العربية آمال باعادة ذلك المجد ، واتخاذ مكان لائق بها بين الدول الكبرى . وابناء الامة العربية يعرفون ان الوصول الى اهدافهم وتحقيق آمالهم قائم على اتحاد بلادهم اتحاداً فدرالياً .. والعمل بجد واخلاص لتحقيق تقدمها ، علمياً واقتصادياً واجتماعياً .. وجميع شواطىء جنوبي البحر الابيض المتوسط هي شواطىء عربية .. تتحكم في مدخليه : مضيق جبل طارق ، وقناة السويس ..

والحكومة الامريكية ، زعيمة الدول الامبريالية في وقتنا الحاضر ، تعلم انه اذا انتشرت الروح القومية بين جميع ابناء الامة العربية ، ادى ذلك الى ايجاد اتحاد يجعل من الدول العربية المتحدة دولة عالمية كبرى ، ترفض الاستسلام لاستغلال الدول الاخرى لخيراتها ، وتتولى مقاليد امورها بنفسها ، ويكون لها مكانة على البحر الابيض المتوسط ، ولا يعود في امكان الحكومة الامريكية تأمين مصالحها في هذه المنطقة الستراتيجية المهمة الغنية بثرواتها الطبيعية ، عن طريق التسلط ودون مراعاة مصالح البلاد ذاتها ..

وبما ان سياسة الدول الامبريالية قائمة على التسلط ، لا على التعامل الشريف ، تعامل الحر للحر ، المؤدي الى تأمين مصالح جميع الفرقاء ، فان الحكومة الامريكية تعمل على ابقاء الدول العربية مجزأة متفرقة ، وتجد في اضعاف كل دولة عربية تسعى للنهوض والتقدم والاخذ بيد الدول العربية الاخرى .. وهي لا تريد مطلقاً ان ترى في الشرق الاوسط اتحاد « الدول العربية المتحدة » لانها لا تريد ان يكون في العالم دول كبرى مهمة ..

لهذه الاسباب تعاون الاستعمار في اواخر القرن التاسع عشر وخلال القرن الذي نعيش فيه مع الحركة الصهيونية ، وهي حركة عنصرية استعمارية ذات طابع خاص ،

طابع اسكان اليهود منطقة الشرق العربي وطرد سكانها منها ، وهدفها الاول من هذه المنطقة فلسطين .. فبذرت بريطانيا بذور الدولة الصهيونية في فلسطين « بتصريح بلفور » ورعتها .. ثم اخذت حكومة الولايات المتحدة الامريكية على عاتقها ايجاد دولة اسرائيل فأوجدتها في فلسطين ، قلب العالم العربي ، فصارت تفصل جميع المواصلات البرية بين عرب آسيا وعرب افريقيا ، وفي ذلك وسيلة لاضعاف العرب .. وما اسرائيل الا قاعدة حربية من قواعد الاستعمار في البلاد العربية .. يتعاون الفريقان ، اسرائيل والامبريالية الغربية ، على ضرب العرب وتحقيق مطامع كل من الفريقين في بلادهم .. ومطامع اسرائيل هي التوسع عن طريق ضرب العرب وابقائهم ضعفاء ، ومطامع الدول الامبريالية هي بقاء تسلطها على خيرات البلاد العربية بابقاء العرب مجزئين ضعفاء .. وقد اثبتت الحوادث العدوانية العديدة ذلك .

وما رفض بريطانيا وامريكا بيع مصر السلاح الذي طلبته للدفاع عن نفسها في اثر اعتداء اسرائيل على غزة وخانيونس سنة ١٩٥٤ ، الا سيراً على السياسة الامبريالية التي تهدف الى بقاء العالم العربي ضعيفاً ، وبقاء اسرائيل قوة عسكرية تهدد كل نهضة عربية ..

ولما تسلحت مصر بسلاح من الكتلة الشرقية في سنة ١٩٥٥ ، وحملت راية القومية العربية ، وصار لها وللأمة العربية شيء من المكانة المحترمة في الاوساط الدولية ، عكف الاستعمار على العمل للقضاء على القوة الناشئة الجديدة في العالم العربي ، فكان التآمر الثلاثي واعتداء سنة ١٩٥٦ ..

وعملت مصر ، والدول العربية الاخرى منذ ذلك التاريخ ، على تقوية وجودها عسكرياً واقتصادياً ، واصبحت لها مكانة دولية اعظم من مكانتها قبل سنة ١٩٥٦ ، فلم يرق ذلك للدول الامبريالية ، فتآمرت هذه المرة حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، تؤيدها بريطانيا ، مع اسرائيل ، لضرب النهضة العربية والروح القومية الوثابة ، فكان اعتداء ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ..

والدول الامبريالية ، ودولة اسرائيل تعلم جيداً ان مركز الثقل في البلاد العربية هو في الجمهورية العربية المتحدة .. وهذه الدول تعتقد انها ان تمكنت من ضرب الجمهورية العربية المتحدة ، تمكنت في الوقت ذاته من ازالة كل مقاومة لها ولمخططاتها الامبريالية الاستعمارية والاستيطانية في البلاد العربية الاخرى .. ولهذه الاسباب فهي عندما تريد قتل الروح القومية العربية ، والمقاومة العربية للتدخل الاجنبي ، انما تعمل

لضرب مصر وايجاد حكم فيها يساير رغباتها .. ولهذا كان تآمر سنة ١٩٥٦ ضد مصر ، ولهذا كان اعتداء ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ على مصر اولاً ، ولم تكن سوريا الهدف ، كما كان يعتقد ، وكما اوضحت ذلك في الفصل الرابع .

ولقد نشرت جريدة « دافار » اكبر الصحف الاسرائيلية واكثرها تعبيراً عن آراء المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ما نصه :

« يجب على اسرائيل ان توجه استراتيجيتها الشاملة واقصى مجهوداتها السياسية والعسكرية لتعريض اعز الاهداف والقيم بالنسبة لعبد الناصر الى الخطر .

على اسرائيل ان تحصر الامكانيات والفرص المتاحة امام ناصر ، وان تضعضع الثقة بالنظام الناصري مما سيؤدي في النهاية الى انهياره .

واجبنا المقدس الآن هو تشجيع قيام نظام آخر في مصر » .

ثم يستطرد المقال ويحدد حرفياً :

« فلنركز مجهوداتنا ضد القيادة وضد الجيش حتى يتحطم النظام الناصري ، ومن الضروري جعل هذا محور استراتيجيتنا الكبرى . كل المفاوضات ، كل سياستنا تجاه الدول العربية او الاجنبية وتجاه الفلسطينيين والامم المتحدة ، كل ميزانيتنا العسكرية ، وكل محاولاتنا لخلق صورة لنا ولاعدائنا في العالم ، كل ذلك يجب توجيهه من اجل اذلال وزعزعة الثقة بالنظام الناصري واسقاطه ، لانه هو النظام القادر على تهيئة او اعداد الامكانيات والفرص الى اقصى حد في سبيل تحقيق هدف تدمير دولتنا .. فمصر اذن هي عدونا اللدود ، عدو الروح ، لانه يعمل جاهداً لخلق احسن الظروف المؤاتية لتدميرنا . وفي الظروف السياسية الراهنة ، هو النظام العربي الوحيد القادر على ان يهيء لنفسه احسن الفرص لتدميرنا ..

علينا الآن تحقيق ما لم نحققه في سنة ١٩٦٧ ، تدمير الناصرية ، لان ناصر هو الزعيم الوحيد الموثوق لدى العرب ولدى الشرق والغرب على السواء . يجب القضاء على ناصر حتى تنكمش مصر الى حجمها السياسي المعقول والطبيعي مثلما انكمشت فرنسا بعد دي كول ، وحتى تتوقف مصر عن تهديد العالم العربي واسرائيل معاً . وعندها قد تعيد مصر ترتيب الاولويات السياسية لديها وتطرح بعيداً هدف القضاء على اسرائيل »[1] .

---

(١) من مقال للاستاذ محمد حسنين هيكل نشر في جريدة الاهرام في ٧ – ١١ – ١٩٦٩ .

وعملاً بهذه السياسة قامت اسرائيل بغارات جوية اجرامية على اهداف مدنية لاثارة الرأي العام في مصر على الرئيس جمال عبد الناصر ونظامه . ومنها ان الطائرات الفانتوم ضربت في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٧٠ مصنعاً مدنياً في « ابو زعبل » ، على بعد ٢٠ كيلومتراً من القاهرة ، بالقنابل المتفجرة والقنابل المحرقة ، فهدمت المصنع ، وقتلت ٨٨ من العمال واصابت ١٥٠ آخرين . واغارت طائرات الفانتوم في ٨ نيسان (ابريل) ١٩٧٠ على قرية « بحر البقر » في محافظة الشرقية ، وقصفت مدرسة الاطفال فيها ، وقتلت ما يزيد على ٤٥ من التلاميذ الابرياء ، واصابت بجروح ١٥ طفلاً وعشرة من المدنيين .. على ان النتيجة كانت على عكس ما توخته اسرائيل ، اذ ان اعمالها الاجرامية زادت روح النقمة عليها في مصر وفي البلاد العربية الاخرى ، وادت الى الامعان في التصميم على المقاومة وطرد المعتدي من الاراضي العربية التي يحتلها ، والى التفاف الامة حول من يمثل هذه الروح : الرئيس جمال عبد الناصر .

ولما حصن الاتحاد السوفيتي المدن الكبيرة في مصر والاماكن المهمة فيها بصواريخ سام ٣ ، توقفت اسرائيل عن ضرب مصر في العمق واخذت تصب نيران الفانتوم على تحصينات خط القتال على القناة .. فأرسلت في اليوم ما بين ١٥٠ — ١٨٠ طائرة تلقي قنابلها على الجبهة لتحدث اشد الاضرار في التحصينات وفي الارواح ، ولتزعزع ثقة المقاتلين بالنصر ..

رأت الولايات المتحدة الامريكية ان تغير التكتيك لتثبت اقدامها ، وشريكتها اسرائيل ، في الشرق العربي ، ولتحول دون المجابهة مع الاتحاد السوفياتي . فأخذت تتباحث بجد مع الاتحاد السوفياتي لحل النزاع العربي الاسرائيلي بطرق سلمية . فكانت نتيجة ذلك الاتفاق على مقترحات روزجرز ، التي بعث بها الى مصر والاردن واسرائيل ، يطالب فيها بوقف اطلاق النار مدة ثلاثة اشهر ، واجراء مفاوضات تؤدي الى تسوية سلمية ، بحسب قرار مجلس الامن .. قبل الرئيس جمال عبد الناصر الاقتراحات .. واوقف اطلاق النار في الجبهة الغربية .. وسار الفرقاء في مفاوضات ، بواسطة الدكتور يارينك ، للوصول الى تسوية سلمية ..

وهدف الولايات المتحدة الامريكية من ذلك ، ان تحقق اسرائيل ما لم تتمكن من تحقيقه بالحرب ، واعادة الدول العربية الى الانقسام ، وتخلي مصر عن شؤون البلاد العربية الاخرى ، وصرف جهودها الى شؤونها الخاصة .. واعدة اياها بالمساهمة مساهمة كبيرة في تعمير المدن التي تضررت من الحرب ، وتقديم مساعدات مالية كبيرة ..

على ان الرئيس انور السادات خيب آمال الولايات المتحدة واسرائيل في خطابه امام مجلس الامة في ١٨ — ١١ — ١٩٧٠ بتأكيده « ان الجمهورية العربية المتحدة وحدوية بايمانها ، ووحدوية بعملها ، ووحدوية في كل مقصد من مقاصدها .. »

وفي اعتقادي أن الزعيم العربي الوطني الصالح هو الذي يكون ما يصبو اليه متفقاً مع المصلحة العربية العامة ، اما اذا كانت مآربه واهدافه لا تتفق مع تلك المصلحة فهو زعيم ضار بالامة العربية وقضيتها ومؤخر لسيرها نحو ما تصبو اليه الامة من اتحاد وقوة وعزة وكرامة ورخاء ..

اذن فالسبب الاول لوقوف حكومة الولايات المتحدة الامريكية مع اسرائيل ضد البلاد العربية هو السياسة الامبريالية ، الرامية الى اخضاع العرب لمشيئتها بابقائهم مجزئين متخاصمين ضعفاء ، والى تأمين مصالحها بهذه الطريقة ، في بلادهم ..

السبب الثاني

والسبب الثاني له علاقة متواصلة بالسبب الاول ، وهو يهدف الى ازالة النشاط السوفيتي من الشرق العربي ، ذلك النشاط الذي يساعد بعض الدول العربية عسكرياً واقتصادياً .

وهو يساعدها عسكرياً لتستطيع رد اعتداءات اسرائيل ومقاومة اطماعها في البلاد العربية ، ويساعدها اقتصادياً لتخرج من دور التخلف وتدخل ميدان التقدم .. وطبيعي الا يروق هذا الدور ، الذي يقوم به الاتحاد السوفيتي في الشرق العربي ، لاسرائيل وشريكتها الولايات المتحدة الامريكية التي تعمل معها لاضعاف الدول العربية ، لانه يحول دون تحقيق اهداف اسرائيل في التسلط على البلاد العربية واستغلال خيراتها ، كما يحول دون تحقيق هدف امريكا من بقاء الدول العربية ضعيفة .. ولولا المساعدات السوفياتية لبعض الدول العربية ، بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، لتحققت اهداف اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية من شن تلك الحرب ..

وتريد الحكومة الامريكية ايضاً من ضرب العرب بواسطة اسرائيل وقهرهم ، ازالة الحكم التقدمي في بعض البلاد العربية ولا سيما في مصر ، بازالة حكم الرئيس جمال عبد الناصر . وهي تهدف من وراء ذلك الى ازالة النفوذ السوفيتي من الشرق العربي والحيلولة بينه وبين مساعدته بعض البلاد العربية .. ومن هنا اخذ عدد من رجال

السياسة في الولايات المتحدة الامريكية ، وكثيرون من رجال الفكر والقلم فيها ، بايحاء وتوجيه من الصهيونيين ، ينشرون الرأي القائل ان الحرب الاسرائيلية العربية ما هي الا حرب بين الاهداف الامريكية والاهداف السوفياتية في الشرق العربي .. وتريد اسرائيل دعم هذا الرأي ، حتى تزيد الحكومة الامريكية تورطاً في مقاومة الدول العربية ، واستمراراً في تأييد اسرائيل ودعمها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ..

وسياسة الحكومة الامريكية هذه القائلة باضعاف البلاد العربية ، لازالة النفوذ السوفياتي من الشرق العربي ، تأتي بنتائج معاكسة للاهداف المرسومة ، اذ انه كلما اشتدت اعتداءات اسرائيل على بلاد عربية بتأييد من الحكومة الامريكية ، توثقت العلاقات بين بلاد عربية وبين الاتحاد السوفيتي ، واوجدت مصالح متبادلة فيما بينهما ، وبالتالي جعلت الحكومة الامريكية ابغض حكومة عند الشعوب العربية قاطبة ، وحكومة الاتحاد السوفيتي حكومة صديقة ، لها في كثير من الدول العربية مكانة محترمة وتقدير لجميلها ايام الشدة ، كما ان الشعوب العربية ترى فيها الصديق المعين .. وليس بغريب ما حدث في عمان بسبب زيارة المستر جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية لمنطقة الشرق الادنى .

فقد زار المستر جوزيف سيسكو خلال شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ بعض بلاد الشرق الادنى : وصل القاهرة يوم ١١ نيسان واجرى محادثات مع المسؤولين فيها ، فلم تسفر عن جديد في موقف حكومته من الازمة في الشرق الاوسط .. وفي ١٤ نيسان (ابريل) وصل الى اسرائيل قادماً من القاهرة عن طريق قبرص ، ولدى وصوله اعلن « ان المرء يشعر بارتياح لوجوده في اسرائيل » .. واجرى محادثات مع المسؤولين الاسرائيليين .. ونصح بان تستعمل الحكومة الاسرائيلية تعبير « الانسحاب من الاراضي المحتلة » للخروج من الجمود الحالي في ازمة الشرق الاوسط ، غير ان كولدا مايير رئيسة وزراء اسرائيل رفضت استعمال كلمة « انسحاب » باي شكل كان .. وكرر المسؤولون في اسرائيل مطالبهم من الحكومة الامريكية بتزويدها بمزيد من طائرات الفانتوم وغيرها من الاسلحة الثقيلة ، ومساعدتها بمبلغ مليار من الدولارات ، للفتك بالعرب وارغامهم على الاستسلام لايجاد السلام الذي تريده ، وتريده معها الحكومة الامريكية .

وكان من المفروض ان يذهب سيسكو من اسرائيل الى الاردن مباشرة يوم ١٧

نيسان (ابريل) عن طريق الجسر .. غير ان سيسكو والحكومة الامريكية فوجئا بقيام مظاهرات شديدة محرقة في الاردن خلال الايام التي كان فيها سيسكو في اسرائيل . ففي يوم ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٠ اشعل المتظاهرون النار في المركز الثقافي الامريكي ، وحرقوا العلم الامريكي ، واعتدوا على السفارة الامريكية ذاتها .. ووقع في هذه المظاهرات قتلى وجرحى .. استغربت الاوساط الامريكية هذه المظاهرات والاردن بلد صديق للولايات المتحدة الامريكية ! وطلبت وزارة الخارجية الامريكية من سيسكو الغاء زيارته الى عمان ! حسب توصية السفير الامريكي في الاردن المستر هريسون سيمز . ولما وقف المسؤولون في الاردن على الامر قرروا الطلب من الحكومة الامريكية نقل السفير الى مركز آخر لانه اصبح « غير مرغوب فيه » في الاردن ..

هذه الحوادث لن يكون لها شأن كبير لو انها وقعت في غير الاردن . ولكن وقوعها فيه ، وهو الدولة اليمينية ، وهو الصديق للولايات المتحدة الامريكية ، التي لا يزال يعتمد عليها في الحصول على ما يلزمه من سلاح للدفاع عن النفس من اعتداءات اسرائيل ، لهو امر يدعو المفكر السياسي الى امعان الفكر لرؤية الاوضاع على حقيقتها . ان السياسة الامريكية في الشرق العربي ، المؤيدة لاسرائيل ضد العرب ، قد جعلت البلاد العربية تكره الحكومة الامريكية ، ولا يقتصر ذلك على البلاد العربية الاشتراكية .. ترى ماذا يكون شعور الاردن لو زاره مساعد وزير خارجية الاتحاد السوفيتي .. ربما قامت فيه مظاهرات ، ولكنها لا تكون مظاهرات غضب وقتل وحرق ، بل مظاهرات سرور وترحيب . والاردن ، كما قلت بلد غير اشتراكي ، وهو يميني صديق للولايات المتحدة الامريكية .. اليس في ذلك ما يدعو المسؤولين الامريكيين الى التفكير في اسباب البغض العميق لدى الشعوب العربية نحوهم والعمل على ازالتها ! اما آن لهم ان يعرفوا انه ليس من مصلحة الولايات المتحدة الامريكية ان تتخذ حكومتها اسرائيل شريكةً لها في اذلال الشعوب الآسيوية والافريقية ؟ ! ..

وهكذا نرى ان تفكير المسؤولين في الولايات المتحدة الامريكية في اضعاف العرب ، لازالة النفوذ السوفيتي من بعض البلاد العربية ، ونشر النفوذ الامريكي والاسرائيلي على جميع البلاد العربية ، ووضع ايديهم على خيراتها ، انما هو تفكير يدور في حلقة مفرغة .

والحلقة المفرغة هنا هي ان السياسة الامريكية هذه بدلاً من ان تؤدي الى ازالة النفوذ السوفيتي في الشرق العربي ، او الى اضعافه ، فانها تعمل على زيادته قوة

وانتشاراً . ذلك بانها تقوي بغض الشعوب العربية للحكومة الامريكية ، وتحملها على القيام بأعمال تؤدي الى التقرب من الاتحاد السوفيتي ونيل مساعداته ، ضد اسرائيل والسياسة الامريكية التي تؤيدها . والشعوب العربية مصممة على مقاومة السياسة الامريكية الصهيونية والصمود ضدها ، وما ثورة السودان وثورة ليبيا الا نتيجة السياسة الامريكية المعادية للعرب ، وما شاهده الاردن في اواسط شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ايضاً ليس الا رد فعل لهذه السياسة ..

السبب الثالث

اما السبب الثالث فخاص بالولايات المتحدة الامريكية .

لليهود في الولايات المتحدة الامريكية وضع خاص ممتاز ، وهو في الوقت نفسه غريب بالنسبة الى اكبر دولة في العالم ! .

ان اكبر تجمع يهودي موجود في الولايات المتحدة الامريكية ، ويبلغ عدده نحو سبعة ملايين يعيشون بين سكان امريكا البالغ عددهم اكثر من مئتي مليون نسمة . وتسيطر هذه الاقلية اليهودية في الولايات المتحدة الامريكية على جميع وسائل الاعلام سيطرة مباشرة او غير مباشرة . فهي تسيطر على الطباعة والصحافة على مختلف انواعها بما في ذلك الاعلانات ، وعلى الاذاعة ، والتلفزيون ، والسينما . يضاف الى هذا ان لليهود نفوذاً كبيراً في الاوساط التجارية والصناعية والمالية ..

وكل امريكي يريد ان يتقدم الى مركز ذي شأن ، سواء اكان ذلك بالانتخابات ام بالتعيين ، عليه أول الأمر ان يتملق اليهود ، وان ينال رضى الصهيونيين .. وكثيرون ممن يطمحون الى مراكز رفيعة يحجون ، قبل ان يتقدموا اليها ، الى تل ابيب لينالوا رضى المسؤولين في حكومة اسرائيل .. ومن بين هؤلاء المرحوم روبرت كنيدي الذي زار اسرائيل وقابل رئيس حكومتها يومئذ بن غوريون .. ثم تقدم الى عضوية مجلس الشيوخ ، فنجح في الانتخابات .. وقد حذا حذوه ، بعد الاعتداء الاسرائيلي يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ المستر نيكسون، الذي تقرب الى اليهود وعمل على كسب رضاهم :

ومن الامثلة الصارخة على استرضاء الصهيونيين موقف الرئيس ترومان وتصرفات الرئيس جونسون والرئيس نيكسون .

كان المستر ترومان، في سنة ١٩٤٧ ،مقبلاً على خوض انتخابات رئاسة الجمهورية ، فتبنى موضوع تقسيم فلسطين وقيام دولة اسرائيل ليحظى بتأييد اليهود في امريكا له ، وليساعدوه على النجاح في الانتخابات ؟ .. وهكذا كان .. رغم مقاومة وزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين لسياسته ، اذ كانتا تريان ان موقف المستر ترومان يضر بالمصالح الامريكية السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط .. ولما فاتحه بعض الرجال في موقفه هذا اجاب : كم عدد الناخبين العرب في امريكا ؟ ! ..

وقد نشر المستر دين اتشيسون — الذي قضى في وزارة الخارجية الامريكية اثني عشر عاماً منها خمسة اعوام وزيراً للخارجية ما بين ١٩٤٩ و١٩٥٣— خلال شهر تشرين الاول (اكتوبر)، مذكراته في كتاب ضخم خصص فيه فصلاً لموقفه وموقف الرئيس ترومان من القضية الفلسطينية ، جاء فيه :

ان الرئيس ترومان تجاهل المصالح الامريكية في الشرق الاوسط في سبيل ارضاء اليهود . وانه اي اتشيسون ، لم يكن يشارك آراء الرئيس ترومان في حل قضية اليهود المشردين في اوروبا الشرقية ، اذ ان عدد اليهود الذي يمكن لفلسطين العربية استيعابه دون اثارة مشكلة سياسية خطيرة غير كاف لحل مشكلة اولئك اليهود . اما تحويل فلسطين الى دولة يهودية قادرة على استقبال مليون او اكثر من المهاجرين اليهود فمن شأنه ان يزيد خطورة المشكلة السياسية الى حد كبير ، وان يهدد بالخطر المصالح الامريكية وجميع المصالح الغربية في الشرق الاوسط .

ويشير اتشيسون في كتابه الى تأثير الصهيونيين في الرئيس ترومان بواسطة « ايدي جاكوبسون » اليهودي الصهيوني الذي كان فيما مضى شريكاً للمستر ترومان في تجارة الخردوات في مدينة كانساس ، وان ذلك التأثير جعل الرئيس ترومان ، « يتجاهل المصلحة الامريكية الشاملة » ..

اما وزير الدفاع الذي عارض سياسة الرئيس ترومان بشأن قضية فلسطين فهو المستر جيمس فورستل ، الذي سجل في مذكراته ايضاً موقفه مع الرئيس ترومان في قضية فلسطين . كان المستر فورستل يرى ان سياسة الرئيس ترومان الرامية الى ارضاء اليهود في فلسطين ستجلب اضراراً فادحة على المصالح الامريكية في الشرق العربي وعلى مكانتها فيه .. ورؤية المستر فورستل للاخطار القادمة على مكانة امريكا في الشرق العربي بجلاء ، والتي تسببها سياسة الرئيس ترومان الموالية للصهيونيين ، وحملة هؤلاء

عليه ، اتعبت اعصابه .. فلم ير مخرجاً مما يعانيه من آلام نفسية ناجمة عن حرصه على مصلحة امريكا ، التي تهاون الرئيس ترومان بها ، الا الانتحار ..

اما المستر جونسون فكان على اتصال وثيق بالمنظمات الصهيونية وبالرجال الذين يعملون لمصلحة اسرائيل .. وقد عرضنا بعض تصرفاته ..

وقد سبق ان ذكرت كيف ان المستر نيكسون وعد اثناء الحملة الانتخابية انه اذا انتخب رئيساً للجمهورية فانه سيعمل على ان تكون اسرائيل اقوى من جميع الدول العربية حفاظاً على السلام ! .. اتى بهذه النظرية الغريبة التي تدعو اسرائيل الى التشبث بموقفها المتعنت ضد ما تضمنه قرار مجلس ، الصادر في ٢٢ — ١١ — ١٩٦٧ ، من انسحابها من الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، والى الاستمرار في عدوانها وطلب المزيد من السلاح .. قال المستر نيكسون ذلك مزايدة على الديموقراطيين لنيل تأييد اليهود له ، غير انهم لم يؤيدوه ، وعلى الرغم من ذلك نجح في الانتخابات .. على انه ظل يؤيد اسرائيل في سياستها العدوانية ، لانه يعد نفسه للانتخابات المقبلة في سنة ١٩٧٢ .. ومن سوء طالع السلام في العالم ان للانتخابات الامريكية تأثيراً في مصيره ، وأن لليهود تأثيراً في مجرى تلك الانتخابات ..

ومن الامور التي تصر حكومة الرئيس نيكسون على استمرار مساعدة اسرائيل فيها ، علاوة على مساعداتها العسكرية والمالية لها ، هو حمل الدول العربية على الالتزام بايقاف اطلاق النار ، دون ذكر لانسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران ..

فمنذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والحكومة الامريكية تعمل لتمكين اسرائيل من التوسع نهائياً في البلاد التي احتلتها . ففي ٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، تقدم الاتحاد السوفيتي بمشروع قرار لمجلس الامن يدعو الى ايقاف اطلاق النار وادانة اسرائيل وانسحاب قواتها من الاراضي التي احتلتها الى خطوط الهدنة ، فرفضت الحكومة الامريكية ان يتضمن مشروع القرار اي ذكر لانسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران ! . وذلك تنفيذاً للاتفاق غير المكتوب الذي تم بين الرئيس الامريكي يومئذ المستر جونسون وبين الحكومة الاسرائيلية .. وادى هذا الموقف الى ان اصدر مجلس الامن في ٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ القرار رقم (٢٣٥) الذي يدعو فيه الفرقاء المتحاربين الى ايقاف اطلاق النار .. على ان اسرائيل تابعت بعد ذلك ،

اعتداءاتها على الاراضي المصرية والاردنية ، وضربت المدن والمصانع في سنتي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ ، ولم تكن القوات المصرية في ذلك الوقت قادرة على رد النار بالمثل .. ولما اصبحت قادرة على ذلك ، اشتد رد الجبهات العربية على نيران اسرائيل واخذت تصيبها وتلحق بها الخسائر .. عندئذ صاحت اسرائيل مطالبة باحترام ايقاف اطلاق النار ، ونادت حكومة الرئيس نيكسون بوجوب الالتزام بايقاف اطلاق النار ، دون ذكر لانسحاب اسرائيل من المناطق التي احتلتها في حرب حزيران ، كما يوجب ذلك قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، الذي وقعته الحكومة الامريكية ذاتها .

والهدف من وراء مطالبة الحكومة الامريكية بالالتزام بايقاف اطلاق النار وتشددها في ذلك سنة ١٩٧٠ وأوائل سنة ١٩٧١ ، تؤيدها فيها الحكومة البريطانية ، هو :

١ — ان تمكن اسرائيل من وضع يدها نهائياً على الاراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران ، وضمها عملياً اليها ، ووضع الرأي العام العربي ، والرأي العام العالمي ، امام الامر الواقع ، بانتهاء الحرب بالنتائج التي وصلت اليها في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . كما وضعت الرأي العام ، امام الامر الواقع ، بعد هدنة رودس ، التي بموجبها ضمت اسرائيل اليها ، عملياً وليس قانونياً ، (٦٣٥٠٠٠٠) دونم من قسم فلسطين الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً ..

٢ — ان تمنع الدول العربية ، بالتزامها ايقاف اطلاق النار ، من محاولة استعمال القوة لاسترداد ما اغتصبته اسرائيل في حرب حزيران ، وهي ترفض الانسحاب منه .

٣ — ان توفر على اسرائيل الثلاثة ملايين من الدولارات التي تنفقها يومياً بسبب استمرار اطلاق النار ..

٤ — ان تجلب الاستقرار الى اسرائيل ، ومنع انتشار اليأس في نفوس الاسرائيليين ..

وهكذا فان الحكومة الامريكية تؤيد اسرائيل في الا تنسحب من الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، وفي الوقت نفسه تطالب ، حينما عزم العرب على استرداد بلادهم المغتصبة بالقوة ما دامت اسرائيل ترفض الانسحاب منها ، بالتزام ايقاف اطلاق النار ، لتمكين اسرائيل من تحقيق هذه الامور .

وتوخياً للحقيقة والتاريخ اذكر ان الرجل العظيم الذي ابى الخضوع للصهيونيين ،

ورفض مساومة اليهود في امريكا في سبيل تأييدهم له في الانتخابات ، هو الجنرال ايزنهاور . فان هذا الزعيم الكبير لم يرض لنفسه ان يكون آلة بيد اليهود ، كما رفض ان يضحي بمصالح بلاده في سبيل مصلحة ذاتية انتخابية . لقد رفض طلبات اليهود ، ودخل الانتخابات مرتين في سنة ١٩٥٢ ثم في سنة ١٩٥٦ وهو متأكد من ان اليهود في امريكا يقاومونه بما يملكون من وسائل الاعلام ومن نفوذ ، ففاز في انتخابات الرئاسة في كلتا المرتين ، فوزاً باهراً منقطع النظير ، وربح اكثرية اصوات معقل اليهود الا وهو مدينة نيويورك ، ففضح خرافة السيطرة اليهودية على انتخابات الرئاسة .. والسر في ذلك هو ان الرئيس ايزنهاور زعيم بلده وليس بسياسي محترف مساوم كترومان وجونسون وامثالهما .. ان الرجل الكبير لا يساوم على مصالح بلده ، ولا شك ان التاريخ سيضع الرئيس ايزنهاور في مصاف عظماء رؤساء الولايات المتحدة الامريكية ، لانه كان من اصحاب المبادىء العالية .. ولا عظمة تأتي الا لمن يحملون في قلوبهم مبادىء سامية ترفعهم عن مستوى الرجال وتمكنهم من الوصول الى الزعامة الحقة ...

التفريق بين اصحاب المصالح وبين الشعب

ومما يجدر ذكره ضرورة التفريق بين اصحاب المصالح في الولايات المتحدة الامريكية وبين الشعب فيها :

ان معظم اصحاب المصالح ، واعني بهم رجال السياسة على مختلف انواعهم ودرجاتهم .. ورجال الاعلام في مختلف الميادين التي يعملون فيها .. ورجال المال .. مسوقون وراء مصالحهم ، لا يكترثون لعدالة دولية ، وكثيراً ما يعملون ضدها تحقيقاً لمصالحهم . لكن تصرفاتهم في الشرق العربي تتنافى مع المصالح الامريكية الحقة .. وسبب ذلك تأثير النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية ، ذلك النفوذ العظيم الناجم عن قوة الصهيونيين في الانتخابات ، وفي بيوت المال والتجارة ، وفي دور الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون وسينما ، كما سبق ان ذكرت ..

اما الشعب في الولايات المتحدة الامريكية، فهو ، في حقيقة امره، شعب طيب محب للعدالة ويعمل على تحقيقها ان ظهرت له الحقيقة مجردة من الاضاليل .. والموظفون في الدوائر الحكومية هم من افراد الشعب وليسوا من اصحاب المصالح . والاكثرية منهم تقف من قضية فلسطين ومن العلاقات العربية الاسرائيلية ، مع المصالح الحقيقية

لبلدهم ، اي مع العرب . غير انهم مغلوبون على امرهم ، لان المسؤولين ، وهم اصحاب المصالح ، لا يأخذون وجهات نظرهم بعين الاعتبار ، لانها لا تتمشى مع مصالحهم الذاتية ، وان كانت تتمشى كلياً مع مصالح امريكا ذاتها .

فالسبب الثالث لوقوف حكومة الولايات المتحدة الامريكية مع اسرائيل ضد العرب هو اذن لان معظم المسؤولين في الولايات المتحدة الامريكية يسعون وراء مصالحهم الذاتية التي يؤمنها لهم النفوذ اليهودي الصهيوني العظيم في الولايات المتحدة الامريكية .

ولعل من المفيد ، ونحن في هذا البحث ، ان نشير الى التضارب الكبير بين موقف الحكومة الامريكية من التدخل السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا وبين موقفها من الاعتداء الاسرائيلي على ثلاث دول عربية .

— ٣ —

موقف الحكومة الامريكية من التدخل السوفيتي والاعتداء الاسرائيلي

ان الحكومة الامريكية تؤكد مراراً ، وتكرر القول كتابة وخطابة ، بانها ضد اي اعتداء ، وانها لا تسمح بتدخل دولة في شؤون دولة اخرى ، ولا تقبل توسع دولة في اراضي الآخرين . وهذا ما اكده الرئيس جونسون بالذات قبل اعتداء اسرائيل على ثلاث دول عربية يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ..

والذي يذهل كل مراقب سياسي منصف هو البون الشاسع بين تصريحات الرئيس جونسون قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وبين موقفه وموقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك التاريخ ، من النزاع بين العرب واسرائيل من جهة ، ومن تدخل دول حلف وارسو في تشيكوسلوفاكيا من جهة ثانية .

لا اريد بما اقول الدفاع عن الحكومة السوفيتية في تدخلها في تشيكوسلوفاكيا ، اذ ان حكومة السوفيت ليست بحاجة الى دفاعي عن تصرفاتها ، كما اننا لا نؤيد اي تدخل بل نقاوم كل اعتداء ، وانما اريد الاشارة الى التضارب الفاضح في موقف

الحكومة الامريكية من القضيتين : قضية التدخل السوفيتي وقضية الاعتداءات الاسرائيلية .

لقد قارن المستر اوثانت الامين العام للامم المتحدة التدخـــل السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا بالتدخل الامريكي في الدومينيكان .. فقد ارادت الحكومة الامريكية يومذاك ، بارسالها قوة عسكرية الى جمهورية الدومينيكان ، ان تحول دون استيلاء اليساريين على الحكم ، وارادت دول حلف وارسو بارسالها في سنة ١٩٦٨ قوة عسكرية الى تشيكوسلوفاكيا (وهي احدى دول حلف وارسو بينما الدومينيكان دولة لا علاقة للولايات المتحدة الامريكية بها ولا حلف يربط فيما بينهما) ان تحول دون استيلاء اليمينيين في تشيكوسلوفاكيا على الحكم ، وبعبارة اخرى دون خروج تشيكوسلوفاكيا من النظام الاشتراكي (بدافع من الغرب) ، وهي احد اعضاء حلف وارسو .

لقد قامت الحكومة الامريكية ، واقامت دول العالم الغربي واصدقاءه ، ضد التدخل السوفيتي المذكور ، وجعلت منه ازمة دولية ، اشغلت الامم المتحدة ، وملأت صحف العالم الغربي والبلاد الصديقة له بالتهجم على السوفيت ومطالبتها بسحب قواها من تشيكوسلوفاكيا .. وفي ٢١ آب (اغسطس) ١٩٦٩ مضى على تدخل دول حلف وارسو في تشيكوسلوفاكيا عام كامل . وانتهزت الولايات المتحدة الامريكية هذه المناسبة لتجديد الحملة على الحكومة السوفيتية، حملة بالتصريحات، وبالخطب ، والصحافة ، والاذاعة والتلفزيون ، وتبعتها في ذلك دول البلاد الغربية والصديقة لها .. قامت الحكومة الامريكية ، بذلك ودول حلف وارسو لم تعلن حرباً عـــلى تشيكوسلوفاكيا ، ولم تضرب مدنها وقراها بالقنابل وبقنابل النابالم ، ولم تشرد السكان ، ولم تلحق تشيكوسلوفاكيا ، او اجزاء منها ، بالاتحاد السوفيتي .. وانما ارادت الحيلولة دون خروج تشيكوسلوفاكيا من الكتلة الاشتراكية ..

وبينما تقف الحكومة الامريكية هذا الموقف الشديد من التدخل السوفيتي نراها تقف موقفاً معاكساً من الاعتداء الاسرائيلي .

كلنا يعلم ان اسرائيل اعتدت على ثلاث دول عربية ، يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، اعتداء لم يشهد العالم افظع وآلم منه بعد الحرب العالمية الثانية . ضربت اسرائيل مدناً عديدة في هذه الدول بالقنابل وبالقنابل المحرقة ، واتلفت طيرانها ومعداتها العسكرية ، وازهقت الوفاً من الارواح البريئة ، واحتلت سيناء في الجمهورية

العربية المتحدة وقطاع غزة ، والضفة الغربية بما فيها القدس في المملكة الاردنية ، وهضبة الجولان في سوريا ، كما انها قامت بهدم قرى عديدة وتغيير معالم مدن كثيرة في هذه الاقاليم ، وترحيل سكانها واسكان اسرائيليين في اجزاء منها ، وفي مستعمرات اقامتها فيها .. وفوق ذلك سلخت القدس العربية عن الضفة الغربية المحتلة والحقتها باسرائيل ! . وقامت بهدم ابنية اثرية وتاريخية في مدينة القدس القديمة لتغيير معالمها .. واخيراً اقدمت يوم ٢١ آب (اغسطس) ١٩٦٩ على احراق المسجد الاقصى .. فماذا فعلت حكومة الولايات المتحدة الامريكية التي كثيراً ما ادعت انها ضد كل اعتداء وانها لا تسمح لاي دولة بضم اراضي دولة اخرى اليها ؟ ! ..

وقفت الحكومة الامريكية موقف المؤيد لاعتداء اسرائيل وتصرفاتها في الاراضي التي احتلتها ! ؟ .. ولم تكتف بتأييد اسرائيل في اعتدائها بل وقفت ايضاً ، في الامم المتحدة ، موقف المدافع عنها ، المقاوم لكل مشروع قرار يطالب اسرائيل بالانسحاب من الاراضي التي احتلتها ، كما تتطلب ذلك مبادىء القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة .. في حين ان الحكومة السوفيتية وحكومات البلاد الاشتراكية (عدا رومانيا) وقفت ضد اعتداء اسرائيل على البلاد العربية ، وقطعت علاقاتها الديبلوماسية بها ، مؤيدة العرب في مطالبهم العادلة ومدافعة عن حقوقهم المغتصبة ..

مما لا ريب فيه ان المراقب السياسي لموقف الحكومة الامريكية من التدخل السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا وموقفها من الاعتداءات الاسرائيلية يعجب للتناقض الفاضح بينهما ! . وما من شك في ان كل مراقب غير متحيز ، لموقف الحكومة الامريكية ، من كل من القضيتين ، يخرج بحكم واحد هو ان الحكومة الامريكية لا تتبع في سياستها الخارجية مبادىء العدالة ولا مبادىء القانون ، ولا مبادىء ميثاق الامم المتحدة التي وقعتها ، وانما تتبع مصالح تختلف بين حادث وآخر ، لذلك فان مواقفها من الاحداث الدولية تأتي متضاربة ، تبعاً لتلك المصالح لا تحقيقاً لعدالة او قانون او مبدأ . والا فما هو سبب وقوف امريكا من الاعتداءات الاسرائيلية ضد العرب الذين اعتدي عليهم واحتلت بلادهم ؟ ! ..

ان الذي يشجع حكومة الولايات المتحدة الامريكية على استمرار تأييدها لاسرائيل، وعدم الاكتراث للدول العربية ومصالحها ، هو اعتقاد المسؤولين في الولايات المتحدة الامريكية ان مصالح امريكا المهمة في البلاد العربية مؤمنة سواء ارضي العرب عنها ام غضبوا عليهـــا بسبب سياستها الصهيونية في الشرق الاوسط .. وانني على يقين من

ان اعتقاد رجال السياسة الامريكيين خاطىء ، كما كان خاطئاً اعتقاد رجال السياسة البريطانيين حين ظلوا يعتقدون ، بعد الحرب العالمية الثانية ، ان مصالحهم في مصر ، وفي العراق ، وفي سوريا ، وفي الاردن ، مؤمنة سواء ارضي العرب عن بريطانيا ام غضبوا عليها بسبب سياستها في الشرق الاوسط المؤيدة للصهيونيين ..

— ٤ —

التقنية والعلاقات بين البشر

استغل الرئيس نيكسون الانجازات القمرية العظيمة في بلده التي كان اوجها هبوط اثنين من الرواد الامريكيين على سطح القمر يوم ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ والعودة الى الارض سالمين . وقام في اثر ذلك برحلة في بعض بلاد آسيا معلناً سياسة جديدة هدفها انهاء حرب فيتنام وسحب الجيوش الامريكية منها ، وعدم التورط في حرب اخرى في آسيا الا في حالة خطر هجوم نووي . وقد دعا اثناء رحلته في الشرق الاقصى ، بلاد تلك المنطقة الكبيرة الخطيرة، الى الاعتماد على نفسها واقامة حلف دفاعي فيما بينها ، تأميناً لمصالحها ، والمظلة النووية الامريكية تحميها في حالة هجوم نووي .

وقال الرئيس نيكسون في الفليبين ما نصه :

« آمل الا يقال ان الولايات المتحدة نجحت في الوصول الى حدود الفضاء ، لكنها فشلت في مجال العلاقات بين البشر » .

و « انا مقتنع بأن الانسانية ، اذا كانت قادرة على ارسال رجال الى القمر ، فانها قادرة ايضاً على جلب السلام الى الارض » .

ان هبوط الرواد الامريكيين على سطح القمر وعودتهم الى الارض سالمين دليل واضح على ان التقنية (التكنولوجيا) وصلت في الولايات المتحدة الامريكية الى اعلى المستويات حتى ايامنا هذه .. ويحق للامريكيين ان يفتخروا بما حققوا ، ويحق للجنس البشري ان يفتخر بذلك ايضاً ، لأنه ليس للتقنية حدود تنحصر ضمنها ، ولا تخرج من اطارها الجغرافي .

ومن ينظر الى التفوق الامريكي ، ويعتز به ، يتساءل : لماذا كانت الولايات

المتحدة الامريكية التي حققت تفوقاً تقنياً عظيماً ، غير قادرة على حل مشاكلها السياسية في عالمنا الارضي بشكل متمدين ؟ ! ..

والجواب عن هذا التساؤل عندي هو :

ان العلماء يعملون لتقدم العلم ذاته مجردين من المصالح الشخصية والاهداف السياسية . انهم يريدون ان يروا أعمالهم العلمية ناجحة تزيد في تقدم العلم ، الذي هو ثروة العالم اجمع وليس ملكاً لبلد واحد . انهم ينكبون على عملهم جادين في تحسين ادواته ، قائمين بتجارب عديدة للوصول الى اهدافهم . وجهودهم هذه تؤدي الى تقدم التقنية ، واتساع العلوم .. فالعلماء يعملون باخلاق ، اعني ان غاياتهم من اعمالهم ليست النفع الخاص ، اومنفعة جماعة خاصة ، بل تقدم العلم ونفع البشرية ..

والوضع السياسي في امريكا على عكس ذلك تماماً ، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية :

ظهرت الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الاخيرة دولة فتية قوية بمواردها واستعداداتها الحربية .. والفتي ، عادة ، يغره شبابه وتفتنه عضلاته ويميل الى استعمالها اكثر من استعماله قواه الاخرى الانسانية .. وتقلد زمام الحكم رجال مثل ترومان وجونسون ، همهم مصالحهم الشخصية ، او مصالح الولايات المتحدة دون النظر الى مصالح الدول الاخرى ، او مراعاة اعتبارات غير المصلحة الشخصية او المصلحة الامريكية .. وواجهت الولايات المتحدة الامريكية ، بعد تلك الحرب ، مشاكل دولية متعددة ، منها العقائدية ومنها القومية ، فعمدت الى استعمال القوة لحلها ، بدلاً من استعمال القوى الاخرى الانسانية ، لتأمين المصالح الامريكية ، ولا سيما في زمن ترومان وجونسون :

بدأت حرب كوريا ، فورط الرئيس ترومان بلاده فيها ، حتى دون ان يحصل على موافقة الكونكرس كما يتطلب الدستور الامريكي ، وخاض حرباً طويلة مستعملاً عضلات الفتى فقط . ومن حسن حظ الولايات المتحدة ان اتى ايزنهاور الى الحكم بعد ان مضى على الحرب الكورية ثلاث سنوات ، فانهى تلك الحرب باستعمال قواه الانسانية على الرغم من انه قائد حربي شهير ، لانه كان يحمل في قلبه الكبير مبادىء انسانية عالية ، ولانه رجل قوي عظيم ، والقوي لا يحتاج الى استعمال القوة في كثير من الاحيان ، والضعيف هو الذي يستعملها في معظم الاحيان . وقد ربط ايزنهاور

السياسة بالاخلاق ، فجعل ذلك منه زعيماً حقيقياً لا سياسياً محترفاً .. وكان عهده عهد استقرار نسبي اعاد الى الولايات المتحدة كثيراً من احترامها في العالم ..

ومن تلك المشاكل حرب الفيتنام التي اذكى الرئيس جونسون نارها ، وعمل على انهائها باخضاع الفيتكونك والفيتنام الشمالية بقوة الحديد والنار ، لاعتقاده انه ان خرجت امريكا من الفيتنام الجنوبية تبع ذلك خروجها من آسيا ايضاً . ومعنى ذلك انه اراد تحقيق المصالح الامريكية بالحرب .. بعضلات الفتى الذي لا يستعمل غيرها من قواه الاخرى الانسانية ، ولا يرضى بغير سياسة « غطرسة القوة » بديلاً ، ولا ينظر الى اي اعتبار آخر ، ولا يبالي بما يُحدث ذلك من دمار وازهاق ارواح في الجانبين . وهذه السياسة ، بطبيعة الحال ، خالية من كل خلق حميد .

هذه الناحية من نواحي السياسة الامريكية هي التي جعلت الولايات المتحدة الامريكية اكثر دولة مبغوضة في عالمنا الارضي ، على الرغم من تفوقها التقني ومن ثرواتها الهائلة ومساعداتها العديدة ، وهي التي نفرت العالم منها واعطتها صورة « الرجل القبيح » . تلك الصورة لن تتغير مهما نجحت التقنية الامريكية في ايصال روادها الى الكواكب .. وانما تتغير بتغيير السياسة الامريكية بحيث يدخل فيها عنصر « الاخلاق » ، فتراعي عندئذ مصالح البلاد الاخرى اثناء سعيها لتحقيق مصالح الولايات المتحدة .

فتجرد سياسة الرئيسين ترومان وجونسون من « الاخلاق » قد حال دون حل المشاكل التي واجهتها الولايات المتحدة في عهديهما ..

ثم جاء الرئيس نيكسون الى الحكم ، وكان قد وعد الناخبين ، الذين يريدون انهاء حرب فيتنام واعادة الشباب الى وطنهم ، بانهائها .. ورسم خطوطاً عريضة لسياسة جديدة في الشرق الاقصى اشرنا اليها فيما تقدم .

هناك من يقول ان التغيير الذي ينوي الرئيس نيكسون ادخاله على السياسة الامريكية في الشرق الاقصى ليس ناجماً عن روح انسانية ، وحب في النجاح « في مجال العلاقات بين البشر .. وجلب السلام الى الارض » ، وانما عن اكراه ، بسبب الفشل الذريع الذي تلاقيه الولايات المتحدة في فيتنام . وبعبارة اخرى ينطبق عليه القول « مكره اخاك لا بطل » . واذا كان الرئيس نيكسون يريد حقاً تغيير السياسة الامريكية ، بادخال عنصر « الاخلاق » فيها ، بحيث تقوم علاقات امريكا بالبلاد الاخرى على اساس

التعاون والتفاهم ، لا على اساس الاكراه بالنار والحديد ، او بالتهديد الاقتصادي وغيره لتأمين مصالح امريكية في تحقيقها إضرار بمصالح البلاد الاخرى ، نعم إذا كان يريد حقاً تغيير تلك السياسة فمجاله الشرق الادنى ، حيث تستطيع الحكومة الامريكية تغيير سياستها الحالية .. دون ان يقال انها مكرهة على ذلك . وكلمة ايضاحية مختصرة هنا لازمة :

تسلمت ادارة الرئيس نيكسون زمام الحكم في شباط ١٩٦٩ ، وجابهت قضية الشرق الادنى ، قضية اعتداء اسرائيل على دول عربية ثلاث ، ورغبتها في الاحتفاظ بالاقاليم التي احتلتها من بلاد هذه الدول ، او باقسام مهمة كبيرة منها .. ولم تعمل حكومة الرئيس نيكسون شيئاً ايجابياً لحل هذه القضية حلاً يوقف الحرب المستمرة ، ويعيد الحقوق الى اصحابها على اساس ميثاق الامم المتحدة ، والقانون ، والعدالة ..

فاذا كان الرئيس نيكسون يريد حقاً تغيير السياسة الامريكية السابقة بحيث يدخل فيها عنصر « الاخلاق » ويعيد لامريكا سمعتها التي كانت طيبة ، فمجال تطبيق هذه السياسة الحكيمة هو الشرق الادنى ، اولاً ، حيث السياسة الامريكية هي سبب استمرار اشتعال النيران ، وازهاق الارواح ، بتأييدها اسرائيل على استمرار العدوان باستمرار احتلالها لاقاليم عربية ..

ومما لا ريب فيه ، لدى العارفين بحقيقة الاوضاع ، ان الحكومة الاسرائيلية ما كانت لتجرؤ على اعتدائها يوم ٥ حزيران لو لم تكن واثقة من ان الحكومة الامريكية لن تقف حائلاً دون ذلك . ومما لا ريب فيه ايضاً ان تعنت اسرائيل ورفضها قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، والداعي الى انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها ، ما كان ليستمر لولا تأكدها من تأييد الحكومة الامريكية لها في موقفها . ان تصرف الحكومة الامريكية في الحالتين لا يشتمل على عنصر «الاخلاق» في سياستها هذه .

والآن ، اذا كان الرئيس نيكسون يريد ادخال عنصر « الاخلاق » في السياسة الامريكية في الشرق الادنى ، ليعيد لامريكا مكانتها في هذا القسم الحساس من العالم ، فان ذلك يتطلب من حكومته ان تقف ضد الاعتداء ، وان تعمل على منع الحروب بازالة اسبابها ، وعلى ايقافها حال نشوبها بإحقاق الحق .. وهذا يوجب عليها ، في

الوضع الراهن في الشرق الادنى ، ان تكف عن تأييد اسرائيل في متابعة الاعتداء باحتلال بلاد الآخرين ، وان تعمل ، مع الدول الاخرى ، لحمل اسرائيل على الانسحاب من الاقاليم التي احتلتها في « حرب الايام الستة » ، ثم تحملها على تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بعرب فلسطين اصحاب البلد .. فيسود عندئذ السلام في « بلد السلام » ويحق للرئيس نيكسون ان يقول يومئذ فقط « انا مقتنع بأن الانسانية اذا كانت قادرة على ارسال رجال الى القمر ، فانها قادرة ايضاً على جلب السلام الى الارض » ، وبأن الولايات المتحدة نجحت في الوصول الى الفضاء ونجحت ايضاً في مجال العلاقات بين البشر ..

— ٥ —

نتائج السياسة الامريكية في الشرق الاوسط

وضعت السياسة الامريكية الشرق الاوسط في وضع خطر ، يتطلب جهوداً مخلصة لاطفاء النيران المشتعلة فيه قبل ان تمتد وتشمل العالم .. وفي امكان الحكومة الامريكية ان تقوم بدور كبير في تحقيق السلام ، ان كانت فعلاً تريد ان يحل السلام الحقيقي في « بلاد السلام » وان تؤمن مصالح الجميع الشرعية ، لا استسلام العرب لمشيئة اسرائيل ..

والسياسة الامريكية في الشرق الاوسط ادت الى نتائج غير التي كانت تتوخاها ! . لقد اضرت بالعرب فعلاً ، ولكنها ايقظت فيهم الروح الوطنية وحملتهم على الصبر والمقاومة .. كما اضرت بالمصالح الامريكية الحقيقية .. وسببت التقارب العربي السوفيتي والتعاون الوثيق فيما بينهم.. وفتحت البحر الابيض المتوسط للاسطول السوفيتي ! ..

* * *

كانت الحكومة الامريكية محبوبة في البلاد العربية قبل الحرب العالمية الثانية ، وظهر ذلك واضحاً من تقرير لجنة كينك — كرين ، الذي قدم الى الرئيس ولسون صيف سنة ١٩١٩ ، وجاء فيه ان سكان فلسطين وسوريا يودون الاستقلال ، وان كان لا بد من الانتداب اولاً فانهم يفضلون انتداب الولايات المتحدة الامريكية .. وكانت الحكومة الامريكية حتى الحرب العالمية الثانية حكومة ديمقراطية لا تؤيد الامبريالية الغربية ، وتود ان يكون للشعوب حق تقرير مصيرها .. ولكنها ، بعد الحرب العالمية

الثانية ، ورثت الامبريالية الغربية .. ورفعت علمها عالياً ، وابتدأت بتطبيق ذلك في فلسطين ..

كان سكان فلسطين من العرب المسلمين والمسيحيين والاقلية اليهودية الصغيرة ، يعيشون في فلسطين اثناء الحكم العثماني في وئام وسلام .. ولكن عندما اعلن تصريح بلفور ، الذي اعطته الحكومة البريطانية لليهود ومنحتهم بموجبه وطناً قومياً في فلسطين ، شعر اهل فلسطين العرب بالخطر الذي ينتظرهم في وطنهم ، فعملوا على مقاومته بما لديهم من وسائل ، وعملت الحكومة البريطانية على اخضاعهم بكل الوسائل ، بالحديد والنار والمشانق .. ونشأت الاضطرابات في فلسطين ، وتلاشى السلام في « بلد السلام ».. وتكونت هوة كبيرة بين العرب وبين الحكومة البريطانية ، بسبب محاباة بريطانيا للصهيونيين ووقوفها موقف العداء من العرب . وادت السياسة البريطانية في فلسطين الى زوال معظم نفوذها من البلاد العربية ، من مصر والعراق والاردن وجنوبي اليمن ..

وخرجت بريطانيا من الحرب العالمية الثانية منتصرة ، ولكن خائرة القوى ... فانتقلت السياسة الصهيونية من الاعتماد على بريطانيا الى الاعتماد على الولايات المتحدة الامريكية ، التي خرجت من الحرب العالمية الثانية الدولة الكبرى ، ورأت بريطانيا انه اصبح لا طاقة لها بالبقاء في فلسطين .. بعد ان حققت للصهيونيين ايجاد الوطن القومي اليهودي فيها ، وبعد ان ساعدت على تمكين اليهود من البلد وتسليحهم وحرمان العرب من اي سلاح .. سلمت بريطانيا قضية فلسطين الى الامم المتحدة ، وانسحبت من فلسطين في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ .. وقام الرئيس ترومان بدوره المعروف في خلق دولة اسرائيل وتأييدها ضد العرب .. وهكذا تكونت هوة كبيرة بين العرب وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وادى ذلك الى استغلال « دولة ثالثة » الموقف ، ودخولها الشرق الاوسط .. وكثيراً ما سمعت :

ولكن الحكومة السوفيتية كانت من الدول الاولى التي ايدت تقسيم فلسطين واعترفت باسرائيل ، فلماذا لا ينقم العرب عليها بل يصبون نقمتهم على الولايات المتحدة الامريكية ! ؟

والجواب الواقعي هو :

لقد قامت حكومة الاتحاد السوفيتي يومئذ بدور سياسي ماهر ، الغاية منه ايجاد سبب لنفور البلاد العربية من الولايات المتحدة الامريكية وتقرب الاتحاد السوفيتي من

العالم العربي .. فلو لم تُخلق اسرائيل لما وجدت الهوة بين البلاد العربية وبين الولايات المتحدة الامريكية . وكلنا يعرف ان العرب كانوا قبل سنة ١٩٤٨ اصدقاء للولايات المتحدة الامريكية ، يقدرونها ويعملون على توثيق العلاقات بها الى ابعد مدى .. ولكن بعد ان اوجدت امريكا اسرائيل وقفت الولايات المتحدة الامريكية ووقف الاتحاد السوفيتي من العرب موقفين متناقضين .

ان ايجاد اسرائيل في بلد عربي وعلى حساب العرب قد ولد عداء لا حد له بين العرب والصهيونيين ووليدتهم اسرائيل . اقول بين العرب والصهيونيين وليس بين العرب واليهود لان العداء سياسي لا ديني ، وقد نشأ مع الحركة الصهيونية التي هي حركة عنصرية استعمارية إفنائية تريد ان تستوطن الوطن العربي تؤيدها الامبريالية الغربية.. وبعد ايجاد اسرائيل وقفت الولايات المتحدة معها على طول الخط ، لاسباب امبريالية تهدف الى اضعاف العرب .. ولاسباب داخلية سياسية معروفة .. وساعدتها اقتصادياً وسياسياً الى ابعد مدى ، ومدتها بالسلاح بمختلف انواعه وبالخبراء .. هذا الموقف المؤيد لاسرائيل على حساب العرب ، قد ابعد بلاداً عربية عن الولايات المتحدة الامريكية ، وحملها على نيل العون والمساعدة العسكرية من الاتحاد السوفيتي وعلى صداقته .. لان الدول في حاجة الى اصدقاء .. والصداقة لا تكون بالكلام ، وانما بالمساعدة والعمل الطيب .. وهذا ما اراد الاتحاد السوفيتي ان يصل اليه بموافقته على التقسيم وباعترافه باسرائيل .. ولقد ابانت الحوادث بعد نظر هذه السياسة ، من ناحية المصالح السوفيتية ، وقصر نظر السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة الامريكية ، من ناحية المصالح الامريكية الحقيقية ذاتها ! ..

واني لأستطيع القول هنا ، وانا متيقن من صحة ما اريد قوله ، ان قادة الدول العربية خلال سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ لم يحسنوا التصرف بل اساءوا لانفسهم ولبلادهم ولقضية فلسطين . لقد حاول ممثلو الاتحاد السوفيتي في الامم المتحدة ، قبل تقسيم فلسطين وخلق اسرائيل ، التقرب من ممثلي الدول العربية ، لعلهم يتعاونون واياهم لتحقيق مصالح للطرفين ، ومن ذلك وقوف الاتحاد السوفيتي ضد التقسيم وضد ايجاد دولة اسرائيل .. ولو كانت عند اولئك الممثلين العرب وحكوماتهم الجرأة السياسية لأقدموا على التفاهم مع الاتحاد السوفيتي يومئذ ، ولكانت نتيجة ذلك عدم صدور قرار تقسيم فلسطين وانشاء دولة اسرائيل .. ولما حدثت المآسي التي تبعت التقسيم وانشاء دولة اسرائيل .. ولكن المسؤولين في البلاد العربية يومئذ كانوا تحت النفوذ المباشر

للدول الامبريالية ، لا يستطيعون القيام بعمل مستقل لا ترضى عنه ..

ولأعد الى تتبع نتائج السياسة الامريكية في الشرق الاوسط .

فقد كان من آثار اعتداء اسرائيل سنة ١٩٥٤ على غزة وخانيونس وقتلها عدداً من السكان أن طلبت الحكومة المصرية شراء سلاح من بريطانيا ومن امريكا للدفاع عن السكان وعن البلد فرفضتا الطلب ، وادى ذلك الى ان يخطو الرئيس جمال عبد الناصر خطوته الجريئة بطلب السلاح من الكتلة الشرقية ، فحصل عليه في نيسان (ابريل) ١٩٥٥ وتبع ذلك ، طبعاً ، توثيق العلاقات بين بعض البلاد العربية والكتلة الشرقية ، ونال الاتحاد السوفيتي تقدير العرب وصداقتهم ، وتوسعت العلاقات بينهم وبينه ..

وبدلاً من ان تعيد بريطانيا وامريكا النظر في سياستهما العدائية للعرب ، تمادتا فيها ، وارادتا ارغام مصر على الغاء صفقة السلاح المشتراة من الكتلة الشرقية ! وهددتا، ونفذتا التهديد بمنع القروض ، التي كان قد تم الاتفاق عليها بين مصر والحكومة الامريكية والبنك الدولي ، لبناء السد العالي ، و ذلك للاضرار باقتصاد مصر وبمكانة رئيسها .. وبهذا الاجراء فتحتا الطريق واسعاً امام الاتحاد السوفيتي ، فسار فيها وقدم لمصر ما تشاء من قروض ومساعدات فنية لبناء السد العالي ، ذلك العمل الهندسي الجبار الذي تم بناؤه نهائياً سنة ١٩٧٠ .. وزاد ذلك في نفور عدد من الدول العربية من الحكومة الامريكية ، وادى الى توثيق علاقات بلاد عربية مع الكتلة الشرقية بصورة عامة ومع الاتحاد السوفيتي بصورة خاصة ..

والسياسة الامريكية هذه تؤدي الى فعل والى رد فعل . فهي تؤيد اسرائيل ضد العرب وتريد في الوقت نفسه ان يبقى المسؤولون في البلاد العربية اصدقاء لها حماة لمصالحها في بلادهم .. والشعوب العربية متنبهة تريد ان تكون مستقلة حرة في بلادها ، وان يعمل حكامها معها ضد اسرائيل ومؤيديها لايقاف الخطر الصهيوني ولاعادة فلسطين الى الحظيرة العربية .. ويقظة الشعوب العربية وضغط الدول الامبريالية على عدد من المسؤولين في البلاد العربية قد اديا الى ايجاد ثورات وقلب نظم الحكم في عدد منها كمصر والعراق وسوريا واليمن وذلك قبل حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

فعلى رجال السياسة في الولايات المتحدة الامريكية اذن الا يلوموا العرب على تقربهم من الاتحاد السوفيتي ، وانما عليهم ان يلوموا السياسة الامريكية في الشرق العربي التي ادت وتؤدي الى ذلك ..

ولكن رجال السياسة في الولايات المتحدة الامريكية ظلوا متابعين لسياستهــم الامبريالية المؤيدة لاسرائيل في اعتداءاتها على الدول العربية لاضعافها ، ولتنال اسرائيل مغانم اقليمية وسياسية واقتصادية .. فالتحالف الامريكي الاسرائيلي ، غير المكتوب ، قائم وقوي رغم انه يلحق اضراراً شديدة بالمصالح الامريكية في البلاد العربية . ونتيجة لهذا التحالف ، الضمني ، قامت اسرائيل بحربها ضد ثلاث دول عربية يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ان تلك الحرب التي لا تزال آثارها قائمة ونيرانها مشتعلة حتى كتابة هذا الفصل ، قد اظهرت بجلاء لجميع الشعوب العربية حقيقة موقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي من العرب واسرائيل .

يقف الاتحاد السوفيتي من حرب اسرائيل ضد الاعتداء اي ضد اسرائيل ، وتقف حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، مع الاعتداء اي مع اسرائيل وضد البلاد العربية.. وقد طالب الاتحاد السوفيتي في الامم المتحدة وخارجها بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها ، وقطع ما بينه وبين اسرائيل من تمثيل ديبلوماسي ، وكذلك فعلت دول الكتلة الشرقية ما عدا رومانيا . ووقفت الولايات المتحدة الامريكية ضد مشروع اي قرار يطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها ، وهي تريد ان تنال اسرائيل ، قبل اي انسحاب ، حقوقاً ومكاسب جديدة في الحدود العربية وفي الاقتصاد العربي وفي السياسة العربية ، وذلك تحت ضغط احتلال اسرائيل لبلاد عربية ، وتحت ضغط التفوق الاسرائيلي الحربي على البلاد العربية .. وحكومة الولايات المتحدة تحاول اقناع الاتحاد السوفيتي الا يسلح العرب ! .. وهي تسلح اسرائيل لتكون دائماً اقوى من جميع البلاد العربية ، كما وعد بذلك الرئيس نيكسون في خطبه الانتخابية ! ؟ .

وطبيعي ان يؤدي موقف الولايات المتحدة الامريكية هذا الى اتساع النفوذ السوفيتي في الشرق الاوسط .. ولاول مرة في التاريخ مكنت السياسة الامريكية ، المحابية لاسرائيل والعاملة ضد المصالح العربية ، الاتحاد السوفيتي من تحقيق احد اهدافه السياسية والعسكرية المهمة ، وهو دخول اسطوله البحر الابيض المتوسط . فلم يعد هذا البحر بحيرة مقفلة للاسطول السادس الامريكي ، يصول فيها ويجول كما يشاء دون منازع ، بل اصبح في هذا البحر اسطول آخر في امكانه تهديد الاسطول الامريكي في اي وقت ..

ومن قصر نظر بعض الكتاب الامريكان انهم شمتوا بالاتحاد السوفيتي وبالبلاد العربية بعد حرب ٥ حزيران (يونيو) ، وقالوا ها ان الاتحاد السوفيتي قد خسر من

السلاح ما قيمته « بليونان » من الدولارات (اي الفا مليون) ، وهو لن يعود الى مساعدة العرب بالسلاح ! .. ولكن نسي هؤلاء ان بليونين من الدولارات مبلغ زهيد أمام فتح البحر الابيض المتوسط للاسطول السوفيتي .. ورأوا بام اعينهم ان الاتحاد السوفيتي قد عوض اصدقاءه في البلاد العربية عما خسروه من سلاح .. اما الولايات المتحدة الامريكية فلم تعوض الاردن ، وهو صديق لها ، الا بسلاح قليل جداً ، ومن النوع غير الجيد ، وبعد ان استأذنت اسرائيل ، وبعد ان قال موشه ديان وزير الدفاع الاسرائيلي انه يوافق على تزويد الولايات المتحدة الامريكية الاردن ببعض سلاح الدفاع .. اذ انه يفضل ذلك على ان يتزود الاردن بالسلاح من الاتحاد السوفيتي . ! ..

وتأييد الحكومة الامريكية لاسرائيل في حرب ٥ حزيران (يونيو) ومساعدتها بالمال والسلاح بعد اعتداءاتها على الشعب الفلسطيني وعلى البلاد العربية ، قد أديا الى زيادة نفور العرب من الولايات المتحدة الامريكية ، والى زيادة تقربهم من الاتحاد السوفيتي ، وهذا امر طبيعي وعكسه غير معقول مطلقاً . وتبع ذلك ثورات جديدة : حدث في ٢٥ نيسان (ايار) الانقلاب العسكري في السودان ، وفي اول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، قامت الثورة الليبية ، التي اطاحت بنظام الحكم السابق وأعلنت الجمهورية العربية الليبية ، وادهشت عواصم العالم وجميع المراقبين .. ومن البديهي القول ان الحكام الذين لا يستطيعون ان يوفقوا بين مصالحهم ومصالح الشعب والوطن ، التي هي مصلحتهم الحقيقية ، لا يستطيعون البقاء مهما كان نظام حكمهم ..

ثم ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، التي لا تبالي بشعور ومصالح الدول العربية جميعها ، بما في ذلك الدول العربية الموالية لها والتي تعتمد في سياستها عليها، قد اخذت لا تبالي بشعور الدول الاسلامية جميعها بما فيها الموالية لها ، وذلك برفضها التصويت مع مشروع القرار ، الذي تبنته الدول الاسلامية وتقدمت به باكستان ودول اسلامية اخرى الى مجلس الامن في موضوع حرق المسجد الاقصى ، بل وقفت الى جانب اسرائيل معارضة مشروع القرار ، الذي وافقت عليه ، مساء يوم الاثنين ١٥ — ٩ — ١٩٦٩ ، احدى عشرة دولة عضو في مجلس الامن ، منها بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي .. ويبدو ان الحكومة الامريكية مستمرة في تأييدها لاسرائيل ، على غير حق ، غير مبالية حتى بشعور الدول الاسلامية بالاضافة الى شعور الدول العربية ! لاعتقادها ان هذه الدول متفرقة الكلمة لا تقف صفاً واحداً تجاهها .. وستؤدي هذه

السياسة الى نفور العالم الاسلامي من الولايات المتحدة الامريكية كما سبق ان ادت الى نفور العالم العربي ..

* * *

ان السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، القائمة على الامبريالية والمصالح الشخصية للمسؤولين في الولايات المتحدة الامريكية ، وهي السياسة التي اوجدت اسرائيل وايدتها وتؤيدها ضد الفلسطينيين وضد البلاد العربية ، قد ادت الى اتساع الهوة بين البلاد العربية والغرب ، والى تقرب دول عربية من الاتحاد السوفيتي والبلاد الشرقية .. وادت الى ثورات في بلاد عربية قلبت نظم الحكم فيها .. كان آخرها الثورة الليبية .. وادت تلك السياسة ايضاً الى الاضرار بسمعة الولايات المتحدة الامريكية ، وبمصالحها الحقيقية في الشرق الاوسط .. وهذه الامور لم تصل حدها النهائي بعد .. واستمرار السياسة الامريكية هذه سيزيد النيران المشتعلة في الشرق الاوسط ، وستلفح نيرانها ، ان لم تحرق ، الكثير من البلاد الاخرى ..

انني ممن يدعون الى ضرورة تآخي المسؤولين في البلاد العربية ، وتوحيد الصفوف وحشد الطاقات وتجنيد جميع الموارد في البلاد العربية للعمل المشترك ضد اسرائيل ومن يؤيدها ، وذلك لازالة آثار العدوان ، واعادة حقوق اهل فلسطين في وطنهم المسلوب.. والحرب الدائرة رحاها مع اسرائيل ليست حرب الفلسطينيين وحدهم ، وليست حرب الدول العربية المجاورة لفلسطين وحدها ، وانما هي حرب البلاد العربية جميعاً ..

واني لأعتقد أن المجال لا يزال مفتوحاً للمسؤولين في الحكومة الامريكية ، لتصحيح سياستهم في الشرق الاوسط ، وحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، واعادة جميع حقوق اهل فلسطين اليهم ، وعيش جميع سكان المنطقة ، في سلام صحيح ، فيعود السلام « لبلد السلام » ، وعندئذ تضمن المصالح الامريكية الحقيقية في البلاد العربية ، ويكون العرب اصدقاء للشرق والغرب ..

ومهما يكن من امر ، فان مصلحة الولايات المتحدة الامريكية تتطلب من الحكومة الامريكية ان ترى بجلاء ، انه لا يمكن قط ، ان تؤمن المصالح الامريكية في العالم العربي ، وتستفيد من خيراته وثرواته ، اذا هي ظلت في الوقت نفسه تساند اسرائيل وتمدها بما تريد وتقف ضد الامة العربية وتعمل على اضعافها .. انه سيأتي اليوم الذي ترى الحكومة الامريكية فيه ان عليها ان تختار بين مصالحها في العالم العربي والاستفادة من خيراته وثرواته ، وبين مساندة اسرائيل ومساعدتها ضد العرب ..

القسم الثالث

ما ينبغي عملــه وما هو الحل ؟

السياسة الى نفور العالم الاسلامي من الولايات المتحدة الامريكية كما سبق ان ادت الى نفور العالم العربي ..

* * *

ان السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، القائمة على الامبريالية والمصالح الشخصية للمسؤولين في الولايات المتحدة الامريكية ، وهي السياسة التي اوجدت اسرائيل وايدتها وتؤيدها ضد الفلسطينيين وضد البلاد العربية ، قد ادت الى اتساع الهوة بين البلاد العربية والغرب ، والى تقرب دول عربية من الاتحاد السوفيتي والبلاد الشرقية .. وادت الى ثورات في بلاد عربية قلبت نظم الحكم فيها .. كان آخرها الثورة الليبية .. وادت تلك السياسة ايضاً الى الاضرار بسمعة الولايات المتحدة الامريكية ، وبمصالحها الحقيقية في الشرق الاوسط .. وهذه الامور لم تصل حدها النهائي بعد .. واستمرار السياسة الامريكية هذه سيزيد النيران المشتعلة في الشرق الاوسط ، وستلفح نيرانها ، ان لم تحرق ، الكثير من البلاد الاخرى ..

انني ممن يدعون الى ضرورة تآخي المسؤولين في البلاد العربية ، وتوحيد الصفوف وحشد الطاقات وتجنيد جميع الموارد في البلاد العربية للعمل المشترك ضد اسرائيل ومن يؤيدها ، وذلك لازالة آثار العدوان ، واعادة حقوق اهل فلسطين في وطنهم المسلوب.. والحرب الدائرة رحاها مع اسرائيل ليست حرب الفلسطينيين وحدهم ، وليست حرب الدول العربية المجاورة لفلسطين وحدها ، وانما هي حرب البلاد العربية جميعاً ..

وانني لأعتقد أن المجال لا يزال مفتوحاً للمسؤولين في الحكومة الامريكية ، لتصحيح سياستهم في الشرق الاوسط ، وحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، واعادة جميع حقوق اهل فلسطين اليهم ، وعيش جميع سكان المنطقة ، في سلام صحيح ، فيعود السلام « لبلد السلام » ، وعندئذ تضمن المصالح الامريكية الحقيقية في البلاد العربية ، ويكون العرب اصدقاء للشرق والغرب ..

ومهما يكن من امر ، فان مصلحة الولايات المتحدة الامريكية تتطلب من الحكومة الامريكية ان ترى بجلاء ، انه لا يمكن قط ، ان تؤمن المصالح الامريكية في العالم العربي ، وتستفيد من خيراته وثرواته ، اذا هي ظلت في الوقت نفسه تساند اسرائيل وتمدها بما تريد وتقف ضد الامة العربية وتعمل على اضعافها .. انه سيأتي اليوم الذي ترى الحكومة الامريكية فيه ان عليها ان تختار بين مصالحها في العالم العربي والاستفادة من خيراته وثرواته ، وبين مساندة اسرائيل ومساعدتها ضد العرب ..

القسم الثالث

ما ينبغي عملـه وما هو الحل ؟

ما ينبغي عمله وما هو الحـــل ؟

حملت اسرائيل باعتدائها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ العرب على مجابهتها لازالة آثار العدوان وتأمين الحقوق في فلسطين . فالمجابهة مع اسرائيل اذن لا مفر منها ، ولو ادت اقتراحات المستر روجرز الى تسوية سلمية بين اسرائيل ومصر والاردن ، لأن تلك التسوية ستخرج اسرائيل من الحرب ظافرة بمكاسب اقليمية وسياسيـــة واستراتيجية .. وستؤول الى تصفية القضية الفلسطينية مهما قيل خلاف ذلك .. وهذه النتيجة ستزيد في شهية اسرائيل الى الاعتداء ، بعد مدة ، لتحقيق اهداف الصهيونية باقامة اسرائيل الكبرى .. لقد وضعت هذا الفصل قبل قبول مصر والاردن بمقترحات روجرز ، والتسوية السلمية التي قد توقعها دول عربية واسرائيل ، لا تزيل اخطار اسرائيل ومطامعها الكبيرة .. فالمجابهة مع اسرائيـــل ستكرر مراراً ، ما دامت الصهيونية موجودة في قلب العالم العربي .. ومضمون الفصول الثلاثة التالية سيظل امراً وارداً ما دامت الصهيونية قائمة.. والسؤال هو: كيف تكون المجابهة العربية مع اسرائيل ؟ .

لقد قامت اسرائيل يوم ٥ حزيران بضربة شديدة ، ادت صدمتها الاولى الى هبوط العزيمة عند الرجال .. ورأيت بين اصحاب الفكر والرأي ، وبين رجال السياسة ، عدداً فقد كل امل بالمستقبل ! .. ومن المأجورين للامريكيين من اخذ يبث سمومه بأن لا أمل للعرب بالمقاومة ، وان في التسليم خيراً ! .. فأخذت اتحدث وادعو واكتب مبيناً اننا ان خسرنا معركة فليس ذلك نهاية المطاف . وليس العيب ان نخسر معركة او معارك ، وانما العيب كل العيب ، والذل كل الذل ، ان نقبل الهزيمة ونخضع لمشيئة اسرائيل ، في حين أن امكاناتنا الهائلة لم تستعمل بعد! .. وان علينا ان ننهج نهجاً غير النهج الذي سلكه مسؤولون في بلاد عربية حتى ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧.. نهجاً يؤدي الى حشد جميع القوات العربية العظيمة المدخرة في بلاد العرب ، واستعمالها

كاملة موحدة ، ضد العدو للوصول الى النصر .. ونشرت ابحاثاً متعددة في هذا الموضوع في صحف الكويت ولبنان والاردن وليبيا والجزائر والمغرب ..

على ان الجماهير العربية كانت اقوى عزيمة واشد ايماناً بحقها في النصر وقدرتها على تحقيقه من كثيرين من رجال السياسة والفكر والقلم ، فقامت في مصر ، اثر اعلان الرئيس جمال عبد الناصر استقالته من رئاسة الجمهورية مساء ٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، مظاهرات كبيرة صاخبة مطالبة الرئيس بالبقاء وباستمرار النضال ضد العدو. وفي اليوم التالي انتشرت المظاهرات في مختلف البلاد العربية ، وانهالت البرقيات على الرئيس جمال عبد الناصر ، مطالبة اياه بالبقاء في الحكم ، ومؤيدة له ضد عدو العرب اجمعين .. فقبل الرئيس جمال البقاء، واعداً الاستمرار في النضال واستعادة الاوطان.. وكان هذان اليومان ٩ و١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بداية حياة جديدة في الجمهورية العربية المتحدة ، وعزم على الصمود ومتابعة القتال حتى النصر ..

والصراع العربي الاسرائيلي فريد في نوعه في التاريخ ، وطرق انهائه بما فيه مصلحة العرب وقضية فلسطين ، ينبغي ان تكون من نوع جديد ، نتيجة دراسة دقيقة وتخطيط صائب . فقد أنشئت اسرائيل في ارض عربية في قلب العالم العربي ، وفصلت شرقيه عن غربيه ، وشردت سكان فلسطين ، ثم احتلت اقاليم كبيرة مهمة من ثلاث دول عربية .. فمجابهة اسرائيل تتطلب ان تشمل نوعين من القتال : حرب تحريرية وحرب نظامية ، وان يكون بين هذين النوعين من القتال تعاون قوي دقيق ..

ولذا فان الذي ينبغي عمله هو ان تكون المجابهة التي لا مفر منها ، مع اسرائيل ، معداً لها اعداداً عصرياً منظماً فعالاً ، يُمكّن العرب من وضع حد لاخطار اسرائيل ومطامع الصهيونيين في البلاد العربية وثرواتها .. وسأتناول ذلك في الفصول الثلاثة التالية تحت هذه العناوين :

الثورة الفلسطينية
العمل العربي المشترك
الاتحاد العربي

ان الامرين الاول والثاني مرتبطان معاً ، ولهما الصدارة من حيث الوقت ، في التنفيذ ، ووقائعهما العملية ينبغي ان تسير جنباً الى جنب ، ولغاية واحدة هي ازالة الصهيونية والانتصار الحقيقي عليها ، أما الامر الثالث ، اي الاتحاد العربي ، فهو امر اساسي للنصر العربي الدائم على جميع عوامل تخلفه على المدى الطويل ، ومن دونه لن تأخذ الامة العربية مكانتها الرفيعة بين الامم الكبرى ، ولن تستطيع ان تعيد الدور الكبير الذي لعبته في تاريخ تقدم المدنية .. وتحقيق الاتحاد العربي لا يتطلب السرعة العظيمة التي يتطلبها الامران الاولان ..

الفصل التاسع

الثــورة الفلسطينيــة

يدعونا بحث الثورة الفلسطينية الى التساؤل : متى ابتدأت الثورة الفلسطينية ؟ وكيف نشأت المنظمات الفدائية ؟ . وما هو موقف الدول العربية منها ؟ وما عليها عمله لتصبح قادرة على تحقيق اهداف الثورة الفلسطينية ؟ .

— ١ —

ابتداء الثــورة الفلسطينية

ليست الثورة الفلسطينية وليدة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فقد ابتدأت منذ ان وقف الفلسطينيون على نوايا الصهيونيين واخطار الصهيونية ، واخذوا يحاربون ، وحدهم ، كلاً من الصهيونيين والانكليز في فلسطين سنة ١٩١٩ الى ١٩٤٨ . » والاضطرابات والثورات في فلسطين ، ايام الانتداب البريطاني ، كادت تكون حالة دائمة تتخللها فترات من الهدوء الموقت، وفي هذه الفترات كانت الثورة موجودة بصورة كامنة في قرارات النفوس ، لسبب اساسي واحد هو السياسة الصهيونية التي كانت تعمل لتحويل فلسطين العربية الى دولة يهودية ..

وكان اهم ثورات الفلسطينيين ثورة سنة ١٩٣٦ ، التي ابتدأت باعلان اهل يافا في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ اضراباً عاماً تناول جميع مرافق الحياة وشمل جميع انحاء فلسطين ، ودام ستة اشهر كاملة .. وبقتال استمر ثلاث سنوات حتى سنة

١٩٣٩ .. وليست هذه الصفحات مكاناً لعرض تلك الحوادث[1] . والثورات عادة لا تقهر بصورة نهائية ، وانما تضعف او تتوقف موقفاً لاسباب ، ثم تندلع من جديد حتى يحقق القائمون بها اهدافهم .. والثورة عامل نفسي لا يزول ما دامت النفس موجودة ..

ولقد كانت الاضطرابات والثورة الفلسطينية ايام الانتداب البريطاني ضرباً من الحرب الشعبية ، حرب التحرير . غير ان القائمين بها لم ينجحوا في مهمتهم لاسباب منهـــا :

١ – حارب الفلسطينيون وحدهم ايام الانتداب ، خلال ثلاثين سنة ، اعظم قوتين عالميتين : القوة الصهيونية العالمية الخبيثة ، والقوة البريطانية التي وضعت ثقلها لمقاومة وقهر شعب فلسطين ، القليل العدد الضعيف العدة .

٢ – كان الصهيونيون يعملون بموجب خطط دقيقة مدروسة قام بوضعها مفكرون ومتخصصون عالميون . اما الفلسطينيون فكانت مقاومتهم ارتجالية ، ولم يكن عندهم متخصصون في اي نوع من الحروب .

٣ – كان الصهيونيون مسلحين ، يأتيهم السلاح الحديث من دول الغرب والشرق ، وكانت الحكومة البريطانية تسندهم ، وتجمع السلاح القليل الذي لدى العرب ، وتعدم من وجدت عنده قطعة سلاح ! .. ولم يسندهم احد في نضالهم هذا غير المتكافىء .. وكانت الدول العربية ، في ذلك الوقت ، لا تستطيع مساعدتهم مساعدة فعالة ، لانها كانت لا تزال تحت نفوذ الغرب وسلطانه ..

٤ – كانت في نفوس زعماء فلسطين الامراض المنتشرة في نفوس الزعماء في العالم العربي .. منها الانفراد بالرأي ، وحب السيطرة الفردية ولو على حساب المصلحة العامة .. وكانت زعامة فلسطين تربط مصلحة الوطن بمصلحتها الشخصية . والزعيم الذي يربط مصلحة وطنه بمصلحته الخاصة لا يمكن ان ينجح اصلاً ، بل يضر بوطنه ..

---

(١) راجع الفصل الخامس وعنوانه : الثورة ، من « كتاب القضية الفلسطينية – تحليل ونقد » للدكتور يوسف هيكل ، الصادر سنة ١٩٣٧ . وراجع أيضاً كتاب الاستاذ صالح مسعود ابو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، الصادر سنة ١٩٦٩ .

٥ – ربط المصلحة العامة بالمصلحة الخاصة قد ادى الى اكثار الاحزاب في فلسطين ، وكانت هذه الاحزاب عبارة عن مجرد جماعات ، قامت على مصالح اشخاص هم رؤساء الاحزاب ! .. وهذا بالتالي أدى الى الاقتتال بين رجال هذه الاحزاب .. وهذا الاقتتال ادى الى هجرة كثيرين من ابناء فلسطين سنة ١٩٣٧ الى لبنان .. وهذه الهجرة الناجمة عن الخوف من الارهاب العربي ، كانت عاملاً نفسياً شجع الكثيرين على الهجرة سنة ١٩٤٨ خوفاً من الارهاب الصهيوني ..

وكي تنجح حروب التحرير ينبغي ان تكون اهداف القائمين بها « تحرير الوطن » من المعتدي والمغتصب ، دون ان تكون لهم مصالح شخصية مطلقاً ، ولا اهتمام بامور او خلافات فرعية .

والحرب الشعبية او الاعمال الفدائية تنشأ عندما لا يكون هناك تكافؤ بين قوات المواطنين وقوات المعتدي أو المعتدين، وغايتها تحرير الاوطان، من المعتدين والمغتصبين، وهي قديمة قدم التاريخ نفسه .. غير انها نظمت ووضعت لها نظم وقوانين ، واصبحت ضرباً من حروب التحرير ابان الحرب العالمية الثانية .. وكان الشعب الفرنسي من اوائل الشعوب التي مارست هذا النوع من الحرب الحديث ، اثناء احتلال الالمان لفرنسا سنة ١٩٤٠ . والجنرال دي كول من اكبر قادة الحرب التحريرية الذين عرفهم التاريخ . وهو على الرغم من انكسار الجيش الفرنسي في تلك السنة ، لم يعترف بالهزيمة ، ولم يخضع لمشيئة المعتدي ، بل قاوم .. وفي ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٠ ، وجه نداءه الشهير الى الشعب الفرنسي من الاذاعة قال فيه : « صدقوني ، اخاطبكم وانا العارف ، ان فرنسا خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب .. الوسائل نفسها التي هزمتنا يمكن ان تأتي بالنصر ذات يوم .. اليوم صعقتنا القوة الميكانيكية ، وفي المستقبل يمكننا ان ننتصر بقوة ميكانيكية اكثر تفوقاً .. مهما يحدث فان شعلة المقاومة الفرنسية لا يمكن ان تنطفىء ، ولن تنطفىء » .. اعترفت بجيش التحرير الفرنسي دول الحلفاء وتعاونت معه آنذاك .. حتى تم النصر ودحر المعتدي واخرج من الوطن الفرنسي ..

ومن حروب التحرير التي لها في التاريخ مكان مرموق ، والتي ينبغي ان يعتز بها كل عربي ، هي حرب التحرير في الجزائر ، تلك الحرب التي دامت ثماني سنوات ما بين ١٩٥٤ و ١٩٦٢ ، وذهب وقوداً لها ما يزيد على مليون من ابناء الجزائر الابطال ، الذين احرزوا بأرواحهم استقلال بلادهم .. وحرب التحرير هذه كانت الحلقة الأخيرة

الموفقة ، في سلسلة الثورات والحروب التي قام بها الشعب الجزائري منذ ان اغتصب الفرنسيون بلده سنة ١٨٣٠ ..

ومن صفحات التاريخ المشرقة ان رئيس الجمهورية الفرنسية ، الذي رأى ببعد نظره ألاّ فائدة من استمرار القتال في الجزائر ، وان ليس في امكان فرنسا الاحتفاظ بها بالقوة ، هو الجنرال دى كول ، ابو المقاومة الفرنسية ورئيس جيش التحرير الفرنسي ، فوضع حداً للقتال بعقد اتفاق افيان سنة ١٩٦٢ ، بين فرنسا والجزائر الوطنية ، وتبع ذلك اعلان الجزائر دولة مستقلة . فربحت فرنسا صداقة الجزائر ، كما ربحت من قبل صداقة تونس والمغرب اثر اعلا ناستقلالهما .. وما سر تصرف الجنرال دى كول الا عظمته الشخصية . فقد رأى ، بنظره الثاقب ، ان زمن الاستعمار قد انتهى ، وان عصر تسلط قوم على قوم آخر قد ولى ، وانه لا يمكن لقوة ان تغلب شعباً حينما يصمم على تحرير نفسه وبلده .. والرجل العظيم يبعد ، في كثير من المواقف ، عن استعمال القوة ، ولا يلجأ اليها ، في تلك الحالات الا الرجال الضعفاء ..

ولا بد للكاتب الذي يذكر المقاومة التحريرية الا ان يؤكد ان الفيتكونك والفيتنام الشمالية وكمبوديا ولاووس من اعظم الشعوب والدول التي تحارب قوة لا تكافؤ ولا تناسب اصلاً بينها وبين قوتها ، وهي على الرغم من ذلك مصرة على الاستمرار في الحرب التحريرية حتى تنال حقوقها كاملة غير منقوصة في وطنها الذي تفتديه بارواحها منذ سنين .. وهي لا ريب واصلة الى اهدافها .. اذ ليس هناك قوة تستطيع ان تغلب حرباً فدائية تحريرية خالصة منظمة .. لان هذه الحرب منبثقة من قلوب صافية ولاؤها لمصلحة الوطن خالصة .. والجنرال « جياب » وزير الدفاع في فيتنام الشمالية من اعظم قادة حروب التحرير في العالم ، وضع لها نظماً وقواعد لم تكن معروفة قبله ..

وبعد انتهاء الانتداب في فلسطين واعلان الدولة اليهودية في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، دخلت قوات عربية القسم من فلسطين الذي تقرر بقاؤه عربياً ، ودار قتال بينها وبين القوات الاسرائيلية ، كما ذكرنا في صفحات سابقة .. وكان اليهود قد شردوا من ابناء فلسطين ما يزيد عن مليون من سكانها اصحاب البلد العرب .. وجاءت هدنة رودس .. وحلت دول عربية المنظمات السياسية والعسكرية الفلسطينية ، ومنعت ابناء فلسطين من القيام بأي عمل عدائي ضد اسرائيل ، حتى ان الحكومات الاردنية المتعاقبة كانت تزج بالسجون كل من يتعدى خطوط الهدنة لقطف بعض حبات برتقال من بيارته في اسرائيل والمقابلة لبيته في الاردن! ..

وهكذا انكمشت الثورة الفلسطينية واخذت مكاناً لها في قرارات النفوس ..

ولحق الفلسطينيين ، الذين اصبحوا لاجئين ، بؤس شديد .. وانصرف القادرون منهم على العمل ، الى العمل اينما وجدوه ، ليساعدوا افراد عائلاتهم على البقاء . واخذ المتعلمون منهم يعملون في حكومات عربية ، آملين ان يتمكنوا ، في اعمالهم الجديدة ، من خدمة وطنهم فلسطين ، الذي لم ينسوه ولن ينسوه ابداً .. وكان الصهيونيون ودول غربية ، ودول عربية ، يظنون انه متى انقضى الجيل الذي ترعرع في فلسطين وكان له شأن في احوالها ، وفي النضال ضد المستعمرين الانكليز والصهيونيين ، زالت روح المقاومة لوجود اسرائيل ، اذ ان الجيل الفلسطيني الذي خرج من فلسطين صغيراً ، او ولد خارج فلسطين ، لن يهتم بفلسطين اهتمام آبائه ، لانه لا يعرف نعيمها وسيكون اهتمامه بتكوين حياة له جديدة في البلاد التي يعيش فيها ! .. ولكن الاحداث اظهرت خطأ حساباتهم ..

— ٢ —

الحركات الفلسطينية النضالية والفدائية

عندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا ، ارتاحت لها الشعوب العربية ، وخصوصاً الشعب الفلسطيني . ورأى مفكرون من ابناء فلسطين ان في ذلك عودة الى خطة صلاح الدين الستراتيجية ، التي هدفت الى توحيد القطرين المصري والشامي قبل البدء بقتال الغازين المعتدين الغرباء المستعمرين .. ولما تم لصلاح الدين توحيد القطرين تمكن من اخراج المعتدين من القدس .. وقد احيت الوحدة المصرية السورية آمال الفلسطينيين بالتغلب على الصهيونيين المغتصبين واخراجهم من فلسطين وعودة اهلها اليها .. على ان سنة ١٩٦١ اتت ومعها حادثان مهمان كان لهما اثر عظيم في مجرى العمل الفلسطيني الوطني .

كان أولهما إيجابياً ، وهو نجاح الثورة الجزائرية الذي ادى الى استقلال الجزائر وعيش ابنائها في وطنهم احراراً مستقلين بعد استعمار دام ١٣٠ سنة . وكان ثانيهما سلبياً ، وهو انهيار الوحدة المصرية السورية ، في ٢٨ ايلول (سبتمبر) من تلك السنة ، تلك الوحدة التي علق العرب عليها الكثير من الآمال .. وكان الانهيار لاسباب ترجع الى تصرفات كثيرين من المسؤولين في القطرين ..

هذان الحادثان قادا الفلسطينيين الى اتجاه جديد في النظر الى مستقبل قضيتهم . وبعد نقاش فيما بينهم طويل ، رأوا الا بد لهم من ان يأخذوا زمام قضيتهم بأيديهم ، وان طريق النجاح هو الكفاح المسلح .. وادى ذلك الى ظهور ثلاث ظواهر اساسية :

الاولى هي انه نشأت تنظيمات قطرية فلسطينية ، بلغ عدد اسمائها سنة ١٩٦٤ نحو اربعين اسماً : . وكانت تؤكد ضرورة الشخصية الفلسطينية وابرازها من جديد تمهيداً للعمل المسلح .. واهم هذه المنظمات حركة تحرير فلسطين « فتح » .. بقيادة السيد ياسر عرفات .

والثانية هي ان رأى فلسطينيون يعملون في الحقل العربي العام ، ضرورة اقامة تنظيمات لهم قطرية فلسطينية ، مستقلة عن تنظيماتهم العامة ، ليخدموا قضية بلادهم بصورة مباشرة . وعلى هذا الاساس تشكلت « قيادة العمل الفلسطيني » من الفلسطينيين المنتمين الى حركة القوميين العرب ، برئاسة الدكتور جورج حبش ، وانبعث منها « منظمة شباب الثأر » ، وهي الجناح العسكري لها ، كما تشكل « فرع العمل الفلسطيني » في حزب البعث العربي الاشتراكي ..

والثالثة هي انه امام هذا التململ الفلسطيني والتأهب لمبادرة العمل المستقل عن الدول العربية وسيطرتها ، رأى بعضها ان يسارع الى ايجاد كيان فلسطيني ، يجمع التنظيمات والحركات الفلسطينية ، ويكون تحت اشراف تلك الدول .. وهكذا اعلن المؤتمر الفلسطيني الاول ، في ٢٨ ايار (مايو) ١٩٦٤ قيام « منظمة التحرير الفلسطينية » .

غير ان معظم التنظيمات الفلسطينية بقيت خارج منظمة التحرير الفلسطينية . وقد قامت بعمليات فرز واسقاط وتكتل .. فكان في الساحة الفلسطينية بجانب منظمة التحرير الفلسطينية ، قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، اربع منظمات مقاتلة هي : حركة تحرير فلسطين « فتح » ، ومنظمة الشباب الثائر ، ومنظمة ابطال العودة ، وجبهة التحرير الفلسطينية .

وفيما يلي اذكر كلمات سريعة عن منظمة التحرير الفلسطينية ، وعن حركة تحرير فلسطين « فتح » ، وعن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ثم اسجل قائمة بالمنظمات العاملة في الحقل الفلسطيني والمقاتلة من اجل قضية فلسطين :

منظمة التحرير الفلسطينية

انشئت منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد تداول بين الدول العربية ، لاقامة كيان فلسطيني دام نحو ثلاث سنوات .. وهدف منظمة التحرير الفلسطينية ، كما يدل اسمها ، تحرير فلسطين من المغتصبين والصهيونيين واعادة ابناء فلسطين الى وطنهم المقدس المسلوب .. وقد نادت منظمة التحرير الفلسطينية بانها منظمة ثورية .. ولبس بعض قادتها ملابس مصنوعة من « الكاكي » ..

وهنا يأتي هذا السؤال :

هل كانت منظمة التحرير الفلسطينية منظمة ثورية ؟ . وهل كان اسلوبها وطريقة تنظيمها يؤديان الى تحقيق هدف الفلسطينيين الوطني المذكور ؟ .

اجيب عن ذلك باختصار بالنقاط التالية :

١ — لم تكن منظمة التحرير الفلسطينية وليدة انبعاث من الفلسطينيين انفسهم ، وانما كانت نتيجة ترتيب من دول عربية ، وطموح شخصي لعدد من الفلسطينيين .. وهكذا فانها ولدت وفيها امراض الدول العربية ، تنخر في عظامها الطرية ، كما تنخر في عظام تلك الدول .

٢ — نتيجة لذلك ، اتبع المسؤولون في منظمة التحرير الفلسطينية خطة الوقوف مع دول عربية ضد دول عربية اخرى ، واعاروا السنتهم للدول التي يقفون بجانبها ، وهكذا كانوا اداة جديدة في توسيع الخلاف بين الدول العربية ، وشقة الانقسام .. وفي ذلك ضرر بمصلحة الفلسطينيين وقضيتهم ، وبمصلحة الامة العربية جمعاء .. فالقضية الفلسطينية تتطلب ان تكون المنظمات الفلسطينية متعاونة مع جميع الدول العربية لتحقيق الهدف الفلسطيني الاساسي الوحيد الا وهو تحرير فلسطين واعادة اهلها الى وطنهم المقدس ، متعاونة في ذلك مع جميع الدول ، على اختلاف مذاهبها ، التي تؤيد الفلسطينيين في قضيتهم ..

٣ — والخطة التي اتبعتها منظمة التحرير ، لتحرير فلسطين ، خطة تقليدية عقيمة لا ثورية فيها مطلقاً :

أ — مؤتمرات على النمط القديم ، قيل انها قومية ، وهي ساحة كلام وانتقاد وانشقاق .. ومجال لاظهار العبقرية في الخطابة .. تماماً كما كان الحال سابقاً .

ب — لجان ومكاتب بيروقراطية متنوعة في عواصم عربية واجنبية ، قائمة على غير الكفاءة المطلوبة ، وعلى غير النظام اللازم .. تماماً كما هو الحال في دوائر وسفارات ومكاتب بعض الدول العربية الضعيفة ، التي تختار رجالاً لاعمال لا اهلية لديهم لها .. والغاية من اللجان والمكاتب ان تأخذ منظمة التحرير شكل حكومة .. كأن الامة العربية لا يكفيها العدد الكبير من حكوماتها ..

ج — جيش نظامي يلبس الالبسة العسكرية الجميلة المكوية ! .. تدريبه عقيم وفائدته للقضية الفلسطينية معدومة .. كأن الامة العربية ليس فيها ، من حيث عدد الجيوش المختلفة ، ما فيه الكفاية ! .. اما افراد جيش منظمة التحرير الفلسطينيون فهم شعلة في الوطنية ، وقد كان في امكانهم ان يقوموا بدور كبير في خدمة قضيتهم الفلسطينية لو ان المسؤولين في المنظمة انتهجوا في تنظيم القوة الفلسطينية المقاتلة نهجاً غير نهج تقليد الدول العربية ..

٤ — ان حرص منظمة التحرير الفلسطينية على الظهور كحكومة في تنظيمها المدني والعسكري ، جعل منها حكومة صغيرة جداً بجانب اصغر الدول العربية ، وتابعة ايضاً .. وكانت نتيجتها ، في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كنتيجة تلك الحكومات للاسباب ذاتها ، وللامراض ذاتها ، التي تنخر في عظامها وتفسد دماءها ..

ولتصبح منظمة التحرير الفلسطينية مفيدة للقضية الفلسطينية ، من الناحية العملية ، على المسؤولين فيها ان ينهجوا نهجاً غير النهج الذي نهجوه حتى هذه السنة ، سنة ١٩٧٠ ، وطريقة ذلك في صفحات تالية .

حركة تحرير فلسطين

وفي نحو سنة ١٩٦١ رأى عدد من الشبان الوطنيين الجسورين ، ان ترك الفلسطينيين قضيتهم للدول العربية كي تحلها لما فيه مصلحتها اصبح عقيماً بعد تجارب سنين عديدة من تسلم تلك الدول مقاليدها ، وان منع دول عربية المتولية امر قضية فلسطين ، الفلسطينيين من خدمة قضيتهم مباشرة ، امر بات لا يجوز السكوت عنه ، وان على الفلسطينيين ان يثبتوا وجودهم عملاً لا كلاماً .. ورأوا ، بعد ذلك ، ان الطريق الذي ولجته منظمة التحرير الفلسطينية ، لا يسلمها زمام القضية الفلسطينية من جهة ، ولا يؤدي الى حل للقضية لمصلحة الشعب الفلسطيني من جهة ثانية ، وان منظمة التحرير ليست سوى صوت مع دول عربية ضد دول عربية اخرى ، وان ليس في مقدورها

مطلقاً ، ووضعها كما هو ، ان تأتي بعمل ايجابي يفيد في وصول اهل فلسطين الى حقهم في وطنهم المسلوب ..

ورأوا ايضاً ان الطريق المؤدي الى تحرير فلسطين واعادة الحقوق ، هو طريق العمل الفدائي الواسع القوي المنظم ضد اسرائيل ..

اسس اولئك الشبان الوطنيون « حركة تحرير فلسطين » (فتح) ، وقضوا مدة طويلة في اعداد القوة الفدائية ، التي اطلقوا عليها اسم « العاصفة » ، وهي الجناح العسكري لها . واخذ بعضهم القيادة العسكرية ، يرئسهم السيد ياسر عرفات الذي كان في الوقت نفسه الناطق الرسمي باسم « فتح » ، كما اخذ البعض الآخر التنظيم وتوفير المال في لجان منظمة ..

وفي الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ قامت العاصفة بعمليتها الاولى داخل المنطقة المحتلة ، التي تكونت فيها دولة اسرائيل .. وكانت اعمال « فتح » العسكرية ، في بادىء الامر ، متواضعة خجولة ، كما هو الحال في جميع الحركات الفدائية التي تنشأ في مثل ظروفها .. واخذ كثيرون يشككون في نجاحها ، وآخرون يتساءلون عن مداه ..

واذكر انني زرت الكويت سنة ١٩٦٥ ، واجتمعت الى عدد من الشبان الفلسطينيين وسألني بعضهم عن رأيي في « فتح » ، وفي مدى نجاحها ، فقلت :

ان العمل الايجابي الوحيد الذي قام به الفلسطينيون ، بعد كارثة سنة ١٩٤٨ ، هو العمل الفدائي المنظم .. ومن واجب كل فلسطيني وفلسطينية ان ينضم الى الحركة الفدائية ويحمل السلاح ان كان قادراً على ذلك ، او يساعد بالمال ، مهما كان مقداره ان كان غير قادر على حمل السلاح .. ومدى نجاحها في مهمتها المقدسة يتوقف على عوامل منها ان تكون « فتح » حركة تحريرية وطنية في جميع تصرفاتها ، لا تنساق مع التيارات الخارجية ، يمينية ام يسارية ، والا تكون اداة دول عربية ضد دول عربية اخرى ، وان تعمل على نيل عطفها جميعاً على حركة تحرير فلسطين ، وان تكون مستقلة حرة في جميع اعمالها ، والا تنساق في المجالات السياسية العقائدية والنظمية المختلفة الانواع .. هذا من جهة الحركة ذاتها ، وقد سارت فتح في هذا السبيل الصحيح . وان يؤيد الشعب الفلسطيني في جميع الاقطار حركة تحرير فلسطين ، ويسندها بكل ما لديه من قوة ، وهذا من جهة الشعب الفلسطيني .

واظهرت « حركة تحرير فلسطين » مبادئها بوضوح في المذكرة التي قدمتها الى مؤتمر القمة العربي الثالث ، الذي عقد في الدار البيضاء سنة ١٩٦٥ . وقالت فيها انها تؤمن :

١ ـ بان الكفاح المسلح الفلسطيني هو الطريق الوحيد لتحرير الارض السليبة .

٢ ـ وان مادة الكفاح المسلح هو الشعب الفلسطيني باسره ، وان جميع طاقات الشعب العربي في اقطاره كلها يجب ان تجند لخوض المعركة المصيرية ، وان الشعب العربي الفلسطيني هو رأس الحربة وطليعة الكفاح .

٣ ـ وان الزمن في مصلحة العدو ، اذ ان الخلافات في البلاد العربية ظاهرة ليست عابرة ، ولكنها ظاهرة مصطنعة ليظل الوطن العربي عاجزاً عن مجاراة ركب الزمن وقاصراً عن احراز التطور التكتيكي والحربي ، وعليه فالمعركة يجب ان تكون اليوم لا غداً ، وتأجيلها يفوت على العرب فرصة خوض المعركة ..

٤ ـ وان المعركة كفيلة بان تجمع قوى الوطن العربي في بوتقة نضالية واحدة ، وان تصهر الاختلافات والتناقضات ، وتجند الشعب العربي للفوز في معركة مصيرية .. وحروب التحرير كانت دوماً عامل توحيد وخلق جديد للامم المجزأة او التي تعاني التناقض والفوضى الداخلية .

وحددت فتح اهداف الثورة الفلسطينية بأنها:

١ ـ « تحرير فلسطين تحريراً كاملاً وتصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسياً وعسكرياً واجتماعياً وفكرياً .

٢ ـ اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة تحفظ للمواطنين الاصليين حقوقهم الشرعية دون تمييز في الدين او العقيدة ، وتكون القدس عاصمة لها.

٣ ـ بناء مجتمع تقدمي يضمن حقوق الانسان ويكفل الحريات العامة لكافة المواطنين

٤ ـ المشاركة الفعالة في تحقيق اهداف الامة العربية في تحرير اقطارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد .

٥ ـ مساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير اوطانها وتقرير مصيرها من اجل بناء صرح السلام العالمي على اسس عادلة » .

ونمت « حركة تحرير فلسطين » نمواً كبيراً بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، واصبحت معروفة عالمياً .. وفتحُ اليوم هي اهم تنظيم فدائي فلسطيني ، والقوة الاولى في اغلب المؤسسات الفلسطينية النقابية والسياسية ، وتقود عملياً « منظمة التحرير الفلسطينية » .. وجميع اعمالها الفدائية ضد العدو الصهيوني داخل الاراضي المحتلة ..

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تكونت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سنة ١٩٦٧ ، واخذت تقوم باعمال فدائية ، غير انها لم تحصرها داخل اسرائيل بل امتدت بها ضد المصالح الصهيونية والامريكية خارج اسرائيل ..

وأصل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، التي يتزعمها الدكتور جورج حبش ، يرجع الى « حركة القوميين العرب » ، التي ابتدأت في الثلاثينات ، واخذت تنتشر في كثير من البلاد العربية بين المثقفين من ابنائها .. وظهر لحركة القوميين العرب احزاب في بعض البلاد العربية باسماء مختلفة تدين بالقومية العربية ، وحزب البعث ليس منها .. وفي سنة ١٩٤٧ اوشك الرجال الذين يعتنقون فكرة « القومية العربية » في فلسطين على الظهور رسمياً باسم « حزب الشعب » ، ولكن حوادث فلسطين فاجأتهم ، فرأوا العدول عن انشاء الحزب وقرروا العمل مع جميع الفلسطينيين الآخرين يداً واحدة ، في خدمة الوطن .. لان التحزب ايام المحن جريمة وطنية .. وجوهر عقيدة القوميين العرب هي اتحاد عربي ، وعدالة اجتماعية لجميع ابناء الامة ، قائمة على القومية العربية.. على ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والمنظمات التي تكونت منها ، تعتقد بالماركسية اللينينية ، وتدعو اليها .. ولانشاء الجبهة الشعبية لتحريرفلسطين تاريخ موجزه هوما يلي :

اثر هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ ، رأت ثلاث من المنظمات الفلسطينية الاربع ، العاملة في الساحة الفلسطينية ، ان تقيم اتحاداً فيما بينها وتعمل معاً باسم جديد هو « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ». وهذه المنظمات الثلاث هي : منظمة شباب الثأر ، ومنظمة ابطال العودة ، وجبهة التحرير الفلسطينية :

١ ـ منظمة شباب الثأر : هي الذراع العسكري .. لقيادة اقليم فلسطين في حركة القوميين العرب ، انشئت في مطلع سنة ١٩٦٤ .

٢ ـ منظمة ابطال العودة : رجالها من القوميين العرب ، كما هم رجال منظمة شباب الثأر . وكان لها علاقات وثيقة ايضاً بمنظمة التحرير الفلسطينية ، اذ كانت تلقى

الدعم المالي والتدريب العسكري من قيادة جيش التحرير الفلسطيني ، التابع لمنظمة التحرير . وابتدأت هذه المنظمة نشاطها العسكري في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٦ .

٣ ــ جبهة التحرير الفلسطينية : هي تنظيم عسكري بحت قاعدته الفلسطينيون في دمشق ، انضم اليها عدد قليل جداً من الفلسطينيين في الضفة الغربية وفي لبنان . وقد بدأ نشاطها العسكري في النصف الثـاني من سنة ١٩٦٦ . وعملت باسماء متعددة ، مثل فرقة الشهيد عبد القادر الحسيني ، وفرقة الشهيد عبد اللطيف شرورو .

على ان بناء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد تشقق احد جدرانه الثلاثة ، وذلك بخروج قسم من رجال جبهة التحرير الفلسطينية من الاتحاد وانشائه جبهة شعبية باسم « القيادة العامة » . ثم ان القسم المنشق انقسم على نفسه الى قسمين ، قسم بقي يعمل باسم القيادة العامة والقسم الآخر اتخذ لنفسه اسم « منظمة فلسطين العربية » .

دخلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ميدان النضال السياسي والعمل الفدائي واعلنت بياناً سياسياً اعقبته بيانها العسكري الاول في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ ، جاء فيه : « ان الجبهة قامت لتحقيق الوحدة المصيرية بين كل هذه القوى ادراكاً منها ان طبيعة المعركة وابعادها والقوى المعادية فيها تحتم تكتيل كـل الجهود والصفوف الثورية لشعبنا في نضاله المرير الطويل ضد اعدائه » .

وقدمت الجبهة الشعبية تقريراً في مؤتمرها المنعقد خلال شهر شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، اظهرت فيه استراتيجيتها السياسية والتنظيمية :

شددت الجبهة على اهمية الفكر السياسي وضرورته ، اذ « ان ما يقرر النجاح هو الرؤية الواضحة للامور والقوى الموضوعية التي تخوض الصراع . وما يقرر الفشل هو العفوية والارتجال » . وهددت في تقريرها اعداء شعب فلسطين والامة العربية حينما اكدت ان معسكر الاعداء لا يقتصر على اسرائيل ، بل يشمل الحركة الصهيونية العالمية والرجعية العربية ، والامبريالية العالمية ولا سيما الامريكية منها . وابانت ان قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني ، تتألف من العمال والفلاحين « عماد الثورة ومادتها الطبقية الاساسية وهم قادتها » . واعتبرت الطبقة البورجوازية الصغيرة طبقة حليفة للثورة ، ولكنها ليست مادتها الاساسية ، وعليه ينبغي ان لا تكون القيادة بيدها ، ولا قيادة برامجها واستراتيجيتها . وجزمت ، في التقرير ، ان الطبقة البورجوازية الكبيرة التي

« لا تشكل عددياً سوى نسبة ضئيلة جداً في المجتمع » هي طبقة « ستقف مع مصالحها ، اي مع الامبريالية وضد الثورة » ، مع الاعتراف بان « قطاعات معينة من هـذه البرجوازية قد تشذ عن القاعدة ، اي انها بحكم خصوصية القضية الفلسطينية قد تبقى الى جانب الثورة ولن تعمل ضدها . »

ومن حيث التنظيم فان الجبهة ترى تعبئة قوى الثورة على الصعيد الفلسطيني بصيغة جبهوية « تتمثل فيها كافة طبقات الثورة : العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة » . وتشدد على ضرورة النشاط « باتجاه تعبئة العمال والفلاحين في تنظيم سياسي ثوري واحد متسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية ، اي الماركسية اللينينية » .

وتؤكد الجبهة ان اسلوب حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد هو السلاح الوحيد بايدي الشعوب الضعيفة ، في مواجهتها للتفوق الامبريالي والتقني .

وينتهي تقرير الجبهة بتحديد علاقتها بحركة القوميين العرب على النحو التالي :

« العمل علي انصهار تنظيم الحركة في الساحة الفلسطينية ضمن تنظيم الجبهة ، والعمل في نفس الوقت على انصهار تنظيم ابطال العودة ضمن تنظيم الجبهة ، مع التخطيط والعمل على الارتقاء بالحياة التنظيمية للجبهة الى مستوى الحياة الحزبية الثورية الملتزمة والمنضبطة والواعية » . والشعار التالي يبين ما تريده الجبهة من الحركة : « الحركة في خدمة الجبهة وليس الجبهة في خدمة الحركة » .

والجبهة كفتح ليست منظمة فدائية فقط وانما تشمل اعمالها ميادين السياسة والعقائد والتنظيم الجماهيري والاعلامي والمالي والعسكري الفدائي .. والفرق بينهما من حيث العقائد ، هو ان فتح تشيد اعمالها على اسس وطنية قومية ، والجبهة تشيدها على اسس عقائدية يسارية ماركسية لينينية ..

ــ ٣ ــ

قائمـــة بالمنظمات الفدائيـــة

وظهرت بعد المنظمات الكبيرة آنفة الذكر ، منظمات فدائية فلسطينية اخرى عديدة ! كثير منها قد لا يصل عدد اعضائها الى الخمسين فدائياً ، ومنظمات من ابناء

فلسطين اوجدتها دول عربية . وليس هذا الكتاب خاصاً بالمنظمات الفدائية ، لذلك اكتفي بذكر اسمائها في هذه القائمة ، مع الاشارة الى تكوينها وعقائدها :

١ ــ منظمة التحرير الفلسطينية ، وقسمها العسكري يسمى :

٢ ــ جيش التحرير الفلسطيني .

٣ ــ حركة تحرير فلسطين « فتح » . وقسمها الفدائي يدعى :

٤ ــ العاصفة .

٥ ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وهي مؤلفة من ثلاث منظمات ، كما مر ذكره .

٦ ــ الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين :

بدأت هذه الجبهة بالظهور عملياً يوم ٢٣ ــ ٢ ــ ١٩٦٩ . وهي تنظيم ماركسي لينيني يدعو الى نشر العقيدة الماركسية اللينينية . ولهذا فان عملها لا ينحصر في العمل الفدائي ، بل يتعداه الى العمل السياسي العقائدي الجماهيري الشعبي . وهي تؤمن بأن الثورة الفلسطينية ثورة مقاتلة « ضد الامبريالية العالمية والرأسمالية اليهودية وبقايا الاقطاع والبرجوازية العميلة في فلسطين » ، وبان النضال المسلح هو الاسلوب الواجب اتباعه على « اساس تحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة وقطاع من البرجوازية الوطنية » ، مع التأكيد على ان « القيادة المطلقة لتحالف العمال والفلاحين في حرب ثورية يسترشد بالايديولوجية الماركسية اللينينية » ..

٧ ــ قوات التحرير الشعبية :

وهي فصيل فدائي خاص من جيش التحرير الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ابتدأ اعماله يوم ٢٩ ــ ٢ ــ ١٩٦٨ .

٨ ــ الهيئة العاملة لتحرير فلسطين :

نشأت هذه الهيئة العاملة في بادىء الامر باسم الهيئة العاملة لدعم الثورة الفلسطينية ، اثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ودعت الى توحيد منظمات المقاومة . استجابت لتلك الدعوة ثمانية تنظيمات صغيرة ، واجتمعت في القاهرة ما بين ١٧ و ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ ، واتفقت على ان تصدر بلاغات

كل من : الجناح العسكري لفتح ، والجناح العسكري لجبهة تحرير فلسطين ، والجناح العسكري للهيئة العاملة لدعم الثورة الفلسطينية تحت اسم واحد هو الاسم الذي تعمل به قوات فتح ، اي العاصفة . وبعبارة اخرى اصبحت متحدة بفتح .

على ان الهيئة عادت وقررت في ١٨ ــ ١١ ــ ١٩٦٨ الانفصال عن فتح والعمل بصورة مستقلة ، كما اقرت ابدال الاسم من الهيئة العاملة لدعم الثورة الى الهيئة العاملة لتحرير فلسطين . وتؤمن الهيئة « بوحدة معركة التحرير العربية وارتباط معركة تحرير فلسطين ارتباطاً عضوياً وثيقاً بالثورة العربية الوحدوية الاشتراكية ومقتضياتها الفكرية . كما ترفض رفضاً باتاً قاطعاً واكيداً كافة الدعوات الهادفة الى تثبيت اقليمية معركة التحرير الفلسطينية ، وترى فيها الملامح الاولية لثورة مضادة للثورة العربية الوحدوية التي تملك وحدها شروط التحرير .. » . وشعارها « وراء العدو في كل مكان » .

٩ ــ الجبهة الشعبية (القيادة العامة) :

هي القسم الذي انشق عن « جبهة التحرير الفلسطينية » . انها احدى المنظمات الثلاث التي اتحدت والفت « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » المار ذكرها ، والفت تنظيماً مستقلاً باسم الجبهة الشعبية مميزاً بعبارة « القيادة العامة » ، وذلك في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ . وهي عسكرية تركز جهودها على التدريب العسكري والعمل العسكري ، وشعارها « تحرير الارض والانسان » ، واستراتيجيتها « ضرب العدو اينما كان » .

١٠ ــ منظمة فلسطين العربية :

انشق عدد من اعضاء المنظمة « القيادة العامة » عنها والف « منظمة فلسطين العربية » سنة ١٩٦٩ . التي يؤكد ميثاقها هويتها الفلسطينية العربية الوحدوية . والمنظمة ذات علاقة وثيقة بالجمهورية العربية المتحدة ، وشعارها « ثورة ، فداء ، تحرير » .

١١ ــ جبهة النضال الشعبي الفلسطيني :

يرجع اصلها الى « لجنة النضال الشعبي الفلسطيني » التي تشكلت بالقدس ، بعد ايام هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ثم اتخذت اسم « جبهة النضال الشعبي

الفلسطيني » . وافكارها وطنية منفتحة ، وقامت بعمليات خارج الوطن العربي ايماناً منها بضرورة ملاحقة العدو اينما كان .

١٢ – طلائع حرب التحرير الشعبية – الصاعقة :

تكون طلائع حرب التحرير الشعبية بجناحها العسكري « الصاعقة » احدى التنظيمات الفدائية الرئيسية . وللصاعقة مكان مرموق في حركة المقاومة الفلسطينية . أنشأها حزب البعث الاشتراكي السوري ، ولها ، لذلك ، علاقة وثيقة سياسية وعسكرية ومالية بالحكومة السورية الاشتراكية ، واعضاؤها فلسطينيون وسوريون.

وتتألف قوات الصاعقة من الاجنحة العسكرية لجبهة ثوار فلسطين ، وجبهة التحرير الفلسطينية وطلائع حرب التحرير . ومنذ مؤتمر المنظمات الفدائية الذي عقد بالقاهرة ما بين ١٧ و ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ اصبحت البيانات العسكرية لهذه التنظيمات الفدائية تصدر باسم قوات الصاعقة .

ولقوات الصاعقة قيادة عامة ، تدير شؤونها ، كما ان « القائد العام » لها هو ممثلها الرسمي والناطق باسمها . وتنقسم قوات الصاعقة الى اقسام يحمل كل قسم منها احد اسماء الشهداء العرب من فلسطينيين وغيرهم ، مثل مجموعة الشهيدة رجاء ابو عماشة ، ومجموعة الشهيد عبد المنعم رياض ، ومجموعة الشهيد نجم الدين عزت . كما ان بعض المجموعات يعرف بالارقام او باسماء غير شخصية ، مثل مجموعة الثورة الفلسطينية ، ومجموعة الطليعة ، ومجموعة العودة ..

وقوات الصاعقة تؤمن بعقيدة حزب البعث ، وتركز على دور العمال والفلاحين والكادحين من ابناء الامة العربية ، وتنادي بالاشتراكية ، وبالوحدة العربية ، وبالترابط العضوي بين النضال العربي والثورة الفلسطينية .

وقد ساهمت « طلائع حرب التحرير الشعبية » في الحركة التحريرية الفلسطينية ، منذ البداية ، فعملت ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية ، واشتركت في المجلس الوطني ، واللجنة التنفيذية ، وقيادة الكفاح المسلح ، واللجنة المركزية ، ولها ممثل في الامانة العامة للجنة المركزية ..

١٣ – جبهة التحرير العربية :

نشأت هذه الجبهة اثر دعوة حزب البعث العربي الاشتراكي في مؤتمره القومي التاسع الذي عقد في بيروت خلال شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٦٨ .

الى « انشاء منظمة فدائية ذات طابع جبهوي وتركيب قومي وفكر ثوري » . وتؤمن الجبهة بالكفاح الشعبي المسلح كبداية لحرب التحرير الشعبية الشاملة » ، وبأن « الاشتراكية هي الضمان لبقاء القيادة في يد الجماهير الكادحة صاحبة النفس الطويل والمصلحة الباقية في ايصال هذا الكفاح الى مستوى الحرب الشعبية » . وتؤكد الجبهة « على الطابع العربي الوحدوي للعمل الفلسطيني ، وهي تعارض كل فهم كياني او قطري للعمل الفدائي الفلسطيني » ، كما انها ترفض « طمس الانقسام الطبقي في المجتمع العربي من جهة ، واجتثاث حقائق وحدة الكيان العربي بين فلسطين وغيرها والتي يجري فوقها ذلك الصراع ، من جهة اخرى » .. وتعتبر الجبهة « ان القانون الجوهري الذي يحكم تطور المجتمع العربي هو قانون الترابط الموضوعي بين الوحدة العربية والاشتراكية » .

ويدعم العراق ، حكومة وحزباً – اي حزب البعث – جبهة التحرير العربية بمختلف الوسائل ..

١٤ – المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين :

هي منظمة صغيرة ذات فكر يساري واضح ، تركز على الجانب السياسي الجماهيري ، ولها قليل من النشاط العسكري .

١٥ – قوات الانصار :

هي منظمة لعدد من الاحزاب الشيوعية العربية ، في الاردن وسوريا والعراق . ظهر بيانها في ٣ آذار (مارس) ١٩٧٠ ، وحدد الاسس التي تستند اليها هذه المنظمة وهي :

ان النضال بالسلاح ، وباساليب اخرى ، واجب وطني .

وان النضال ضد العدو ، يتلاحم ويترابط مع نضال الجماهير الشعبية الكادحة والحركة الوطنية في الاردن ، وفي النطاق العالمي مع نضال قوى الحرية والتقدم والسلام والاشتراكية ، ضد قوى الامبريالية والرجعية الدولية والصهيونية العالمية .

وان تحقيق وترسيخ الوحدة الوطنية بين جميع منظمات المقاومة والحركة

الوطنية والشعبية ، شرط اساسي للنجاح والانتصار وتحقيق الاهداف الوطنية المشتركة .

حتى تاريخ كتابة هذه السطور في تموز (يوليو) ١٩٧٠ لم تبدأ قوات الانصار اي عمل مسلح .

هذا العدد من المنظمات الفدائية كبير جداً لا يجوز ان يكون ، وان وجب ان يكون عدد الفدائيين العاملين حقاً ضد العدو الاسرائيلي كبيراً جداً ، لا يقل عن مئة الف مقاتل .. والشعب الفلسطيني متذمر من كثرة عدد المنظمات الفدائية .. والمخلصون من رجالات العرب في الدول العربية ينصحون باتحاد هذه المنظمات في منظمة واحدة ، اذ ان العمل الفدائي ، كأي عمل عسكري ، لا يؤتي ثماره بقيادات متعددة وانما تحت قيادة واحدة .. وانني ارى مع القائلين بان كثرة عدد المنظمات الفدائية عائد الى الامراض التي انتشرت بين رجال فلسطين وفي بعض البلاد العربية ، امراض الفردية ورفض العمل تحت لواء قائد واحد ، وحب الظهور بالمخالفة ، او بتأسيس حزب او جماعة مناوئة ، حتى يكون لرجالها مركز قيادة او مركز بين القادة الآخرين .. هذا المرض الفتاك كان من اكبر اسباب اضاعة العرب لفلسطين ، وتأخر البلاد العربية ..

وتذكرني كثرة عدد المنظمات الفدائية بالاحزاب في فلسطين ايام الانتداب البريطاني :

عمل الاستعمار البريطاني على خلق جبهتين عربيتين متناوئتين في فلسطين ، تبعاً لقاعدة « فرق تسد » ، فأوجد جماعة سميت بالمجلسيين ، نسبة الى المجلس الاسلامي الاعلى .. وجماعة اخرى سميت بالمعارضين ، اي المعارضين للجماعة الاولى ! .. وبقي الحال كذلك حتى سنة ١٩٣٦ . وفي تلك السنة ، والثورة الفلسطينية على اشدها ، فكرت الحكومة البريطانية في دعوة وفد من عرب فلسطين الى لندن للتباحث معه لوضع حد للثورة .. فدار خلاف ، طبعاً ، بين رجالات العرب في فلسطين على من يشترك في الوفد الذاهب الى لندن ، واشتد الجدل ، وظهرت احزاب جديدة مؤلف كل منها من بضعة اشخاص تجمعهم الصداقة الشخصية .. واصبح مجموع الاحزاب ، اي التجمعات ، سبعة .. وقال رجالها : يؤلف الوفد من رؤساء الاحزاب ! ..

واذكر انني كنت طالباً في تلك السنة ، في جامعة لندن ، وكانت لنا في بريطانيا

« جمعية الطلاب الفلسطينيين » ، وكنت امين تلك الجمعية . فارسلت كتاباً الى كل من رؤساء الاحزاب السبعة قلت فيه ما مفاده :

ان فلسطين تجتاز مرحلة من اخطر مراحل تاريخها ، وبقاء وجود العرب فيها مزعزع مهدد .. وقضيتنا تحتاج الى جمع صفوف جميع ابناء فلسطين ، تحت راية واحدة ، راية العمل الخالص للقضية الفلسطينية ، وقضيتنا تحتاج الى رجال اكفاء لمعالجتها في الداخل ، مع المستعمرين ، وهؤلاء الرجال طبعاً لا ينحصرون في رؤساء الاحزاب في فلسطين . وجمعية الطلبة الفلسطينيين في بريطانيا ترى ان يؤلف الوفد الذي سيحضر الى لندن من الرجال الاكفاء بغض النظر عما اذا كانوا من رؤساء احزاب ، ام لا ينتمون الى اي حزب .. ثم ان حصر العمل السياسي الرسمي في فلسطين في رؤساء الاحزاب يقود الى حلقة مفرغة ، وهي ان من يرغب في العمل السياسي ممن لا ينتمون الى احزاب سيضطر الى تأليف حزب حتى يكون له مكان في دائرة العمل السياسي ، وهذا يؤدي الى انشاء احزاب لا حد لها ، وفي ذلك الضرر كل الضرر للقضية الفلسطينية ..

ولسبب من الاسباب عدلت الحكومة البريطانية عن دعوة وفد فلسطيني الى لندن . وكان مجرد التلويح بالدعوة الى لندن من اسباب انشاء تلك الاحزاب في فلسطين ! ..

ولنا ان نتساءل : هل لكثرة المنظمات اسباب تختلف عن الاسباب التي ادت الى كثرة الاحزاب في فلسطين ؟ ! .. وفلسطين قد خرجت من ايدينا ، ونحن في دور تحريرها واستعادتها . والوضع الآن خطر ، اخطر كثيراً من ايام الاحزاب الفلسطينية ! .. وهو يتطلب ان يكون جميع الفلسطينيين صفاً واحداً ، وجميع قواهم قوة واحدة ، ان ارادوا حقاً تحرير فلسطين ، واعادة اهلها المشردين منذ اكثر من عشرين عاماً ، الى ديارهم ووطنهم . وهل الفدائي الذي يضحي بدمه وروحه ، وهي اغلى تضحية يقدمها الانسان النبيل ، لا يستطيع ان يضحي بامور اخرى هي لا شيء يذكر امام تضحيته العظيمة بدمه وروحه ؟ . انني اعتقد ان الفدائي عظيم نبيل لا يأبه لتلك الامور التي كانت الهم الوحيد لرجال الاحزاب في فلسطين ، تلك الامور التي كانت من اسباب ضياع فلسطين من ايدينا .. وعلينا تحريرها واستعادتها ، ولا يمكننا ذلك الا اذا كانت قوانا كلها واحدة ، تعمل بقيادة واحدة ، والشعب الفلسطيني كله من ورائها ، والدول العربية مؤيدة لها ومساندة .. والاتحاد قوة بانية والتفرق ضعف مميت ..

— ٤ —

اثر الاعمال الفدائية

ان ما ذكرت هو حث للتقوية وليس انتقاداً .. اذ ان اوضاع الفدائيين تهمنا الاهتمام كله ، كما تهم كل عربي مخلص للقضية الفلسطينية ولمستقبل الامة العربية .. وانني ممن يعتقدون ان الفدائيين هم باب الامل . وقد وضعت بحثاً تحت عنوان « الفدائيون باب الامل » سنة ١٩٦٨ ، نشر في سبعة بلاد عربية .. وعلى الرغم من كثرة عدد المنظمات الفدائية ، وما بينها من اختلافات في وجهات النظر ، فان اعمالها كانت ، بعد كارثة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، عاملاً اساسياً في رفع معنويات العرب ، واعادة احترام الغرب لنا .. وفي النقاط التالية موجز لاثر تلك الاعمال :

١ — للفلسطينيين حقوق في وطنهم الذي اغتصبته اسرائيل لا يمكنهم السكوت عنها . واعمال المنظمات الفدائية ، بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، حينما هبطت العزيمة العربية ، مؤقتاً فقاربت درجة الصفر ، دليل على ان الفلسطينيين لا يرضون بضياع حقوقهم في وطنهم المفدى .. وقد اعادت تلك الاعمال الفدائية التحريرية ، للفلسطينيين الثقة بانفسهم وباحترام الغير لهم ، بعد ان كان ينظر اليهم نظرة غير لائقة . وجعلت تلك الاعمال مسؤولين في واشنطن يتكلمون لاول مرة ، عن الشعب الفلسطيني وعن حقوقه .. كما ان تلك الاعمال اعادت ثقة العرب بانفسهم ، والامل للفلسطينيين باستعادة وطنهم ..

سأل امريكي ، اثر حرب ٥ حزيران (يونيو) ، موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي ، عما سيكون الوضع في اسرائيل عندما تشتد اعمال العرب الفدائية ، وتتحول اسرائيل الى فيتنام ثانية ؟

اجاب ديان باحتقار وازدراء :

ليس العرب فيتناميين ! .

غير ان اعمال العرب الفلسطينيين الفدائية جعلت ديان يتوجع منها ، ويذكر انه ليس في الامكان القضاء عليها ، كما انها غيرت نظر العالم الى العرب واعادت احترامه لهم ..

٢ — طالبت اسرائيل بأن تكون لها حدود آمنة حفظاً لسلامتها ! . وعنت بذلك غير حدود قرار التقسيم ، وارادت حدوداً غير خطوط ما قبل حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وبعبارة اخرى هدفت الى التوسع داخل البلاد العربية بحجة الحدود الآمنة .

واتت اعمال الفدائيين وابانت لاسرائيل وللعالم اجمع ان ليست هناك حدود آمنة ، مهما دفعتها اسرائيل داخل الاراضي العربية ، وان الامن لن يسود ما لم ترجع اسرائيل الى حدودها التي بموجبها خلقتها الامم المتحدة ، وما لم تؤمن حقوق اهل فلسطين في وطنهم المغتصب .

٣ — طمعت اسرائيل بالوصول الى امن دائم يزيل عن عاتقها عبء ميزانية الدفاع ، البالغة ثلاثة ملايين دولار يومياً ، ويمكنها من تقوية صناعاتها وزيادة صادراتها بحيث تصبح مصنعاً للشرق الاوسط وافريقيا ، فتتمكن من التسلط الاقتصادي عليهما ، واستعباد العالم العربي ..

واتت الاعمال الفدائية فهزت اساس ذلك القصر الشاهق الذي تحلم اسرائيل باشادته ، وحملتها على زيادة ميزانية الدفاع على حساب التقدم الصناعي والاجتماعي في اسرائيل ..

٤ — وودت اسرائيل الوصول الى امن دائم لزيادة الهجرة اليها ، لايجاد قوة بشرية لا تستوعبها اسرائيل « فتنفجر » وتنتشر في البلاد العربية وتلحقها باسرائيل .

واتت اعمال الفدائيين فحالت دون تحقيق الامن في اسرائيل ، وبالتالي ادت الى احجام الكثيرين من اليهود عن الهجرة اليها ، والى ضياع السلاح البشري من ايدي القادة الصهيونيين الذين يريدون به تحقيق اسرائيل الكبرى ..

٥ — ارادت اسرائيل الامن الدائم فيها لتشجع السياحة اليها . ونحن نعلم ان موارد السياحة من اهم موارد الدول في هذه السنين ، بالاضافة الى ما تؤدي من دعاية . والسائح لا يزور بلاداً لا امن فيها . ففيتنام مثلاً لا ترى سائحاً بسبب فقدان الامن فيها ، وواشنطن ، عاصمة الولايات المتحدة الامريكية ، قل سواحها بسبب الاضطرابات التي تسودها وضعف الامن ، حتى ان سكانها امسوا لا يخرجون من منازلهم اثر غروب الشمس ! ..

ودلت اعمال الفدائيين السياح على ان لا امن في اسرائيل ، فعدل الكثيرون

منهم عن زيارتها ، على الرغم مما قامت به اسرائيل من دعاية واسعة وما انفقته من اموال طائلة لجلب السياح اليها ..

٦ – وبذلت اسرائيل كل جهد لتضليل العالم بان العرب يرضون بوجودها في بلادهم ، ان ضُربوا وأشهرت في وجوههم القوة التي لا يستطيعون ردها ! وان السلام يسود ، اثر ذلك ، الشرق الاوسط ! .

وفتحت اعمال الفدائيين والموقف الصلب الذي وقفته مصر في الجبهة الغربية حتى ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠ ، عيون كثيرين في العالم على الحقيقة التي لا يمكن التغاضي عنها وهي : ان العرب ساخطون على احتلال اسرائيل لبلادهم وثائرون عليه .. وانهم لن يرضخوا لاعتداءات اسرائيل وقوتها وقوة مؤيديها .. وان السلم في الشرق الاوسط لن يسود ، ما لم ترجع اسرائيل الى الحدود التي بموجبها خلقتها الامم المتحدة ، وما لم تعد الى الفلسطينيين حقوقهم في وطنهم .. وهذا الموقف كان من الاسباب التي حملت الرئيس نيكسون على الضغط على اسرائيل لقبول تنفيذ قرار مجلس الامن .. وان كان ذلك الضغط قصير العمر ..

٧ – كانت الشعوب العربية ، في البلاد العربية ، تسير الى حد كبير ، وهي غير واعية للاخطار التي تحيق بها ، تاركة الامور بيد المسؤولين ، يتصرفون بها كما يشاؤون . ووقعت كارثة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فهزت المسؤولين واذهلت الشعوب. وتلا ذلك ان عظمت الحركات الفدائية الفلسطينية وازداد عددها وتحسن تنظيمها ، وقامت بأعمال نبهت المسؤولين والشعوب العربية الى ان العرب لم يفقدوا كل شيء ، والى ان في امكانهم الصمود والعمل المشترك لوقف العدوان واستعادة الاوطان والحقوق . ونفخوا ، باعمالهم الفدائية الوطنية وتضحياتهم باعز ما يملك الانسان وهو روحه في سبيل الوطن ، روحاً جديدة في الشعوب العربية التي كانت مستكينة الى حد كبير .. ورأت شعوب عربية ان من واجبها ان تعمل هي ايضاً لما فيه مصلحة الوطن وان يكون لها رأي في سير اموره ..

ونجم عن ظهور الفدائيين واعمالهم بقوة نسبية ، بعد كارثة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، والاثر الذي اوجدوه والازعاج الذي احدثوه لاسرائيل ، ان دولاً غربية وسلطات في دول عربية اخذت تعمل على اضعاف الفدائيين والقضاء عليهم ، بطرق مختلفة ، منها استعمال القوة العسكرية ضدهم ..

– ٥ –

موقف دول من الفدائيين

عندما وضع الغرب قرار مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، لم ينظر الى وجود شعب فلسطين ، او ثورة فلسطينية هدفها الوصول الى حقوق الفلسطينيين الوطنية في وطنهم السليب . وانما نظر اليهم باعتبارهم لاجئين تسوى مسألتهم على غير الأسس التي تسوى عليها مسألة الشعب الذي له وطن يطالب به ، اذ لم تكن المنظمات الفدائية في ذلك الوقت قوية . وعمل واضعو القرار على تسوية ازمة الشرق الاوسط ، بما فيها قضية فلسطين ، بين اسرائيل من جهة وبين الدول العربية من جهة اخرى ..

ولما قويت المنظمات الفدائية واثبتت وجودها ، في منطقة الشرق الاوسط ، وعلم بها العالم كله ، واصبحت لها علاقات دولية ، واخذت توقع اضراراً كبيرة باسرائيل وفي داخلها .. اخذت اسرائيل تحسب لها حساباً ، واخذت الدول الامبريالية ولا سيما الولايات المتحدة الامريكية ، تفكر في الفدائيين وتخطط للخلاص منهم .. حتى يبقى موضوع ازمة الشرق الاوسط ، وطرق حلها محصورة بين اسرائيل والدول العربية . وكي ينفذ ما جاء في قرار مجلس الامن دون مقاومة .

وحدث في الاردن ثلاث محاولات لتقييد المقاومة واخضاعها ، واحياناً ضربها للقضاء عليها – قبل « المجزرة » – وكان ذلك في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ ، وفي ١٠ شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، والمرة الثالثة في ٧ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ . كما نشب في لبنان اقتتال بين الجيش اللبناني والفدائيين مرة . وليست هذه الصفحات مكاناً لتسجيل الحوادث ولعل كاتباً آخر ، او مؤسسة دراسات ، تضع بحثاً مستفيضاً في المخططات التي جرى وضعها لضرب الفدائيين والقضاء على المنظمات الفدائية ، تسهيلاً لتصفية قضية فلسطين .. وفي ذلك خدمة للحقيقة وتسجيل للتاريخ ..

على انني اشير في هذه الصفحات باقتضاب ، الى حوادث « الايام الخمسة البائسة » التي شهدها الاردن ، والى موقف دول عربية منها ، والى العوامل الكامنة التي ادت الى الاقتتال .. كما اضيف حوادث « المجزرة » في الفصل الاخير من هذا الكتاب .

منذ اوائل شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٠ اشتدت ، بصورة شرسة ، هجمات الطيران الاسرائيلي على المواقع الدفاعية المصرية على طول الضفة الغربية من قناة السويس

ودام بعضها ست عشرة ساعة ! .. والغاية من ذلك تهديم خطوط الدفاع المصرية ، والحاق الاضرار ، واضعاف المعنويات العربية في مصر وفي البلاد العربية الاخرى .. ليؤدي ذلك في نظر السلطة العسكرية الاسرائيلية والحكومة الامريكية ، الى قبول الرئيس جمال عبد الناصر بالمفاوضات مع اسرائيل بصورة اكثر ليونة ، علـى الاسس التي عرضها المستر جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية على الحكومة المصرية في اثناء زيارته للقاهرة في ١١ – ٤ – ١٩٧٠ ، وكان قد تباحث في ذلك مع الرئيس جمال عبد الناصر ووزير خارجيته السيد محمود رياض ..

وبينما كانت الهجمات الاسرائيلية الجوية على خطوط الدفاع المصرية سائرة بشدة مستمرة ، نشب اقتتال بين قوات الجيش الاردني وبين قوات من الفدائيين في عمان وضواحيها ، وفي اماكن اخرى من الاردن ؟ ..

وشهد الفدائيون في الاردن ، ما بين ٧ و ١١ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، اشد الايام التي واجهوها واحلكها حتى ذلك التاريخ ، وشهد الاردن خمسة ايام بائسة . فقد دار في تلك الايام اقتتال دام بين القوات المذكورة ، استعمل الجيش الاردني فيها المدافع والدبابات .. قوات عربية تقاتل بعضها بعضاً ! ويُطلق الرصاص والقنابل ، وتُطلقها قوات من الجيش الاردني على مخيمات اللاجئين ! .. كأنها قوات اعداء تريد الواحدة منها افناء الاخرى .. والعدو الرابض لافنائها جميعاً ، ولاحتلال الاردن ، مذهـول مسرور ! .. مذهول لتحول نيران الجيش الاردني ونيران الفدائيين عنه ، وتسليطها على انفسهم .. ومسرور من ذلك السرور كله .. فقد سحبت قيادة الجيش الاردني فعلاً قوات من خط المواجهة مع اسرائيل الى عمان ، وكذلك فعل الفدائيون للاشتراك في الاقتتال بين العرب انفسهم ، في عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية ..

اتصالات لايقاف الاقتتال

هزت حوادث هذا الاقتتال الامة العربية ومسؤولين في البلاد العربية :

ففي يوم الثلاثاء الموافق ٩ حزيران (يونيو) اصدر مجلس الثورة العراقي نداء ناشد فيه القوات الاردنية والفدائيين ضبط الاعصاب والسيطرة على النفس تقديراً للمسؤولية الملقاة على عاتقهم. واضاف « ان العراق لن يتساهل قيد شعرة في امن ميدان القتال في الساحة الشرقية » . واوضح « ان استمرار الصدام لا يعني الا خروجاً خطيراً على ارادة الامة العربية وخدمة كبيرة للوجود الصهيوني » ..

وكان العقيد معمر القذافي رئيس مجلس الثورة الليبي ورئيس الوزراء في بيروت اثناء الاقتتال الدامي في عمان .. فغادر بيروت الى القاهرة يوم الاربعاء ١٠ حزيران (يونيو) .. وفي هذا اليوم بعث الرئيسان جمال عبد الناصر ومعمر القـذافي برقيتين احداهما الى الملك حسين والاخرى الى السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لحركة المقاومة .

وقالا في برقيتهما الى الملك حسين :

« نتابع باهتمام وقلق شديدين تطور الحوادث في عمان ، واننا لنثق انكم جميعاً تسمعون صوت الامة العربية كلها يناشدكم بذل اقصى الجهود لتدارك مضاعفات الازمة التي لا تحيط بالاردن فحسب لكنها تعتصر قلب الامة العربية ومشاعرها وآمالها .

« اننا نأمل ان يتوقف اطلاق النار توقفاً كاملاً ، ونأمل ان يساعد ضبط النفس وتجنب الاستفزاز على تجنيب الامة العربية مخاطر المحنة المحزنة التي تمر بها الآن وفي وقت تحتاج فيه الى كل سلاحها لرد العدوان وتحرير الارض . ان المقاومة الفلسطينية المسلحة هي ظاهرة من اعظم وانبل الظواهر التي ابرزتها الامة العربية في اعقاب النكسة ، كما ان الجيش الاردني عدة لأمته وسند » .

وقالا في برقيتهما الى السيد ياسر عرفات :

« ان الامة العربية كلها تتطلع الى الكفاح الفلسطيني المسلح باعتباره املاً كبيراً حول شعباً من اللاجئين الى شعب من المقاتلين .

« ولقد تابعنا بقلق واهتمام شديدين تطور الحوادث في عمان خلال الايام الاخيرة ، ونحن نثق بأنكم ترون معنا ان الازمة الراهنة يجب تداركها والتزام اقصى قدر مـن ضبط النفس .

« ان الكفاح الفلسطيني المسلح ليعرف مكانه ويعرف اتجاه رصاصه ، وهو يعرف في الوقت نفسه ان الجيش الاردني عدة لأمته وسند ، كما ان هذه الامة تحتاج اكثر ما تحتاج الى وحدتها والى جمع طاقاتها القتالية .

« وفق الله جهودكم والنصر لشعب فلسطين ولأمته العربية العظيمة » .

وفي مساء هذا اليوم ايضاً اصدرت الحكومة السورية بيـاناً رسمياً اوضحت فيه موقف سوريا من الحوادث الجارية في الاردن . وذكرت « ان سوريا تعلن موقفهـا

الرسمي والشعبي بأنها ستكون مع الفدائيين حتى النهاية ، وهي اذ تحذر العابثين بالكرامة العربية والمتطاولين على شرف حقها في المقاومة والصمود وقدسيته لتؤكد من جديد انها لن تتهاون ابداً مع من تمتد يده لحركة المقاومة الفلسطينية ، لاضعافها او تصفيتها » .

وذكر البيان ان سوريا حاولت التوسط بين الاردن والفدائيين لجعل وقف اطلاق النار نافذ المفعول ، لكن مساعيها باءت بالفشل « لسبب كراهية بعض عناصر الجيش الاردني للفدائيين » .

وفي الساعة الثالثة والعشرين من يوم الاربعاء هذا وجه الملك حسين رسالة من اذاعة عمان حيا فيها الجيش الاردني ، وناشد جميع المواطنين التزام الهدوء من اجل تفويت الفرصة على العدو . وقال « ان استمرار الفتنة سيعرضكم جميعاً وسيعرض امتكم الى الدمار والضياع ، ويحقق اماني الاعداء » . واوضح « ان هذه الفترة اشد الفترات ألماً في حياتي » . وذكر « ان من العار ان يستخدم السلاح في ايدي العرب ضد العرب » .. على ان القتال استمر .. وقالت اذاعة لندن : اما ان يكون الملك حسين قد فقد سلطته على الجيش ، واما ان يكون هو الذي يعطي الاوامر بضرب الفدائيين .. والغرب يعمل على الدس دائماً ، ويريد ان يرى الجيش الاردني والفدائيين يحطم بعضهم بعضاً ، حتى تزول المقاومة الفلسطينية ضد اسرائيل ، ويصبح من السهل تنفيذ التسوية السلمية في الشرق الاوسط ، وفق الخطة التي رسمتها الولايات المتحدة الامريكية ..

وكانت الاوضاع في عمان يوم الخميس ١١ حزيران (يونيو) احسن قليلاً مما كانت عليه في اليومين السابقين . وقد شهد هذا اليوم نشاطاً سياسياً في عواصم عربية ، وجهوداً لاسكات الرصاص والمدافع في عمان ، ولتسوية الوضع فيها .

ففي مساء هذا اليوم حضر الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس معمر القذافي في اجتماع مجلس الامة المصري ، وألقى الرئيس عبد الناصر خطاباً حدد فيه موقفه من الاحداث الدامية في الاردن ، فقال :

« ما يجري الآن في الاردن خطير والمسؤولية التاريخية فيه فادحة وآثاره القريبة والبعيدة غالية الثمن على نضالنا كله وعلى مستقبلنا كله . في الاردن الآن قتال بين رفاق المصير الواحد . وفي الاردن الآن سلاح عربي لايتجه الى العدو وانما يتجه الى الذين كان عليهم قتال العدو وكانوا يقاتلونه فعلاً . وفي الاردن الآن مأساة ..

« ان واجب الامانة يقتضينا ان نحدد موقفنا على النحو التالي ، وقد كان ذلك موقفنا دائماً :

اولاً : ان المقاومة الفلسطينية ومنظمة فتح بالذات في مقدمتها ، تعتبر من اهم الظواهر الصحيحة في نضالنا العربي وهي التجسد العملي للتحول الكبير الذي طرأ على الشعب الفلسطيني تحت ضغوط القهر وحوله من شعب لاجئين الى شعب مقاتلين .

ثانياً : اننا لا نتغافل عن بعض الاخطاء التي يمكن ان تكون صدرت عن بعض منظمات المقاومة ، لكننا نعتقد ان على الامة العربية — من موقف المحبة وليس من موقف العداء — ان تقومها وان تصححها .

ثالثاً : ان كل القوى في امتنا العربية وكل الاطراف بل كل الافراد عليهم ان يدركوا الى اعماق الاعماق انه ليس امامنا جميعاً بديل من القتال من اجل الحق الذي نطالب به ومن اجل السلام الذي نسعى له ، ولا يمكن ان يكون الحق تفريطاً ، ولا ان يكون السلام استسلاماً ، ومن هنا كان القتال واجباً . والقتال شيء غير الاقتتال . القتال رصاص وهدف ، وهدفه عدو يحتل الارض ، والاقتتال رصاص طائش يعرض الاخ لسلاح اخيه . والقتال شرف والاقتتال جريمة .

رابعاً : اننا لا نستطيع ان نتفرج على ما يجري في الاردن ساكتين لان الخطر يحيط بنا جميعاً ولان المصير مصيرنا معاً .

« ولهذا فاننا نناشد الجميع ان يسدلوا الستار فوراً على هذا المشهد الانتحاري المحزن » ..

وبعد ان فرغ الرئيس جمال عبد الناصر من القاء خطابه ، القى الرئيس معمر القذافي خطاباً قال فيه :

« انني في هذه الساعة يحق لي ان اتكلم في ضوء ما عرفت وما شاهدت فأقول : ان ياسر عرفات وحركة فتح بريئة من اشعال نار الحرب الاهلية في الاردن حتى لو جُرّت اليها ، وان الملك حسين نفسه بريء من اشعالها ايضاً . وعلينا بعد ذلك ان نشير باصبع الاتهام ونسلط لعنة العروبة والاسلام على من تبقى من المتهمين الرئيسيين » .

وقد اجاب الملك حسين ، في هذا اليوم ، على برقيتي الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس معمر القذافي ببرقية قال فيها ان الحالة في الاردن « تتحسن بسرعة كبيرة نتيجة الجهود المخلصة من قبل الجميع » ، واكد ان « القوات الاردنية منضبطة ابداً » ، وان الجانبين سيتمكنان من ازالة « الظروف المرة التي اجتزناها » . واوضح انه يعمل من اجل

ان تكون الحوادث الاخيرة « نقطة تحول جذرية واساسية » يعرف الجميع بعدها واجباتهم ويؤمن المواطن حقوقه والجندي مؤخرته .

وارسل السيد ياسر عرفات في ذلك اليوم ايضاً برقية الى الرئيسين جمال عبد الناصر ومعمر القذافي ، جواباً على البرقية التي تسلمها منهما ، جاء فيها :

« ان ما يحدث الآن في الاردن لهو جزء من مخطط التآمر الضالعة فيه الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية والذي ينفذه عملاء لها في المنطقة .

« لقد وصلنا الى اكثر من اتفاق مع بعض الاخوة هنا في السلطة هدفها جميعاً وقف اطلاق النار والقضاء على الفتنة . لكن العناصر العميلة التي ارتضت لنفسها ان تكون جزءاً من هذا المخطط التآمري ضد ثورة شعبنا وتطلعات امتناكانت ولا تزال تدفع في الاتون كل ما من شأنه ان يؤزم الاوضاع الى درجة اعطاء الاوامر لمدفعية الدبابات وغيرها لتدك احياء برمتها في عمان والزرقاء دون ضمير او تحفظ او مسؤولية .. » وناشد الرئيسين ان يضعا كامل ثقلهما « لوقف حمامات الدم التي ترتكب بحق شعبنا واهلنا .. » .

واصدرت ، في هذا اليوم ، اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية ومختلف القيادات والهيئات الوطنية في الاردن بياناً اكدت فيه : « ان الامبريالية الامريكية تنفذ حالياً ، بالاتفاق مع الصهيونية العالمية ، وبالتضامن مع العناصر العميلة في الاردن ، مخططاً يستهدف تصفية حركة المقاومة الفلسطينية وتثبيت الاحتلال الاسرائيلي » .

وطالب البيان « مجلس الوزراء ومجلس الامة الاردنيين بمباشرة مسؤولياتهما تجاه العناصر الخائنة والمتآمرة والخارجة على القانون والمستمرة في اطلاق النار ، واتخاذ الاجراءات الرسمية الحاسمة الشأن » .

واوضح البيان « ان ما يجري في العاصمة الاردنية حالياً ليس وليد الصدفة او الخطأ، انما هو حصيلة جهد طويل ومنظم تخطط له الامبريالية الامريكية والصهيونية والعناصر الرجعية منذ اشهر عدة » .

وقد قامت الحكومة الاردنية ومنظمات المقاومة بتأليف لجنة فلسطينية اردنية للتحقيق في اسباب الاشتباكات وتقديم تقرير عنها ..

وفي المساء ، وكان الفدائيون قد سيطروا على ٨٠٪ من عمان ، طلبت اذاعة صوت

العاصفة الناطقة باسم فتح من الملك حسين ان يختار بين سقوط نظام الحكم في الاردن او عزل مستشاريه المقربين ، الذين وصفتهم الاذاعة بأنهم « رؤوس الخيانة » .. الذين اضروا بالملك وبالوطن ، وبالامة ، وسببوا هدر الدماء ..

وبعد ساعتين من تلك الاذاعة اتخذ الملك حسين قراراً باعفاء خاله اللواء الشريف ناصر بن جميل القائد العام للقوات المسلحة ، واللواء الشريف زيد بن شاكر قائد اللواء المدرع احد ابناء عمومته ، من منصبيهما[1] . وتولى الملك بنفسه مباشرة القيادة العامة للقوات الاردنية ، واسند قيادة السلاح المدرع بالنيابة الى العقيد كساب الصو ، الذي قاد القوات الاردنية في معركة الكرامة .

وفي الساعة ٢٣ والدقيقة ٢٥ بثت اذاعة عمان رسالة من الملك حسين « الى القوات المسلحة » ، اعلن فيها قراره هذا، واضاف انها « فرصة اخيرة لافرصة بعدها، ودليل آخر على محبتنا لكم جميعاً جيشاً وشعباً ومقاومة شريفة » . واوضح انه « اذا نفذ مباشرة اتفاقنا مع القيادة الموحدة للكفاح المسلح ، وبوشر في وضع حد نهائي وقاطع لكل الفوضى والضياع اللذين نعيشهما فهو كل ما نتمنى . واما اذا استمرت الحالة على ما هي عليه في عمان وسواها فانني احملهم وحدهم نتائج ذلك كله امام الله والناس والتاريخ ، وسأجدني مضطراً لوضع الامور في نصابها وانقاذ الناس مما هم فيه من بلاء » .

وقال الملك حسين في رسالته ان في عمان عصابات مسلحة « تباشر السلب والنهب والقتل وهي — اي عمان — تتعرض لاقصى ما عاشته » .. واتهم الملك حسين في رسالته الفدائيين بالتخطيط لحل القضية الفلسطينية سواء باقامة دولة فلسطينية على الارض الاردنية او باقامة دولة تكون مرتبطة باسرائيل ..

ووصل الى عمان ، في اليوم نفسه ، الفريق اول صالح مهدي عماش نائب الرئيس احمد حسن البكر ، لاجراء محادثات مع المسؤولين الاردنيين والفدائيين والقيام بدور وساطة بين الطرفين لتسوية الامور ..

كما ان الرئيس هواري بومدين ارسل وزير خارجيته السيد عبد العزيز بوتفليقة الى عمان يحمل رسالتين احداهما الى الملك حسين والاخرى الى السيد ياسر عرفات ،

(١) عاد الملك حسين وعين الشريف زيد بن شاكر نائباً لرئيس اركان الجيش الاردني ، وذلك في ٩ – ٨ – ١٩٧٠ ، بعد قبول جلالته بمقترحات روجرز الرامية الى تنفيذ قرار مجلس الامن ..

وليعمل على المساعدة في وقف القتال واعادة الاحوال في الاردن الى طبيعتها . وقد وصل الوزير في اليوم الثاني ، يوم الجمعة ، واجتمع الى الملك حسين والسيد ياسر عرفات ..

وطلع فجر يوم الجمعة ١٢ حزيران (يونيو) والجو هادىء نسبياً ، فعادت الحياة الى عمان شبه طبيعية ، واخذت دوريات مشتركة من الجيش الاردني والفدائيين تجوب شوارعها ، محافظة على الامن ، ورحلت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا الغربية رعاياها عن الاردن ..

وفي مساء ذلك اليوم اصدرت اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية بياناً ناشدت فيه « الجميع استئناف الحياة العادية وصيانة مرافق الوطن ومؤسسات الخدمات العامة » وشددت « على وجوب احترام الجميع من الفدائيين والمدنيين والتزامهم بالحقوق والواجبات المقررة لكل مواطن » . وذكر البيان ان المطالبة باقصاء « اجهزة التآمر » داخل الجيش الاردني كانت ضرورية « لتجنب الشعب والجيش والفدائيين المزيد من المذابح والمآسي » واوضح انه كان « يتعين على حركة المقاومة ان تقف موقفاً حاسماً تجاهها لوقف المذبحة الرهيبة من جهة ، ولمنع تصفية العمل الفدائي والحركة الوطنية الاردنية من جهة اخرى » .. واشار البيان الى ان هذه العناصر باشرت « تنفيذ مخططها بالتعاون والتضامن مع العدو الامبريالي الامريكي ومع العدو الصهيوني في تصفية العمل الفدائي » كشرط سابق لفرض الحل السلمي ..

وذكر البيان ، مجيباً عما جاء في رسالة الملك حسين الآنفة الذكر « ان الفضل الاساسي ، يرجع الى العمل الفدائي ، في افشال المخطط الصهيوني والامبريالي لفصل الضفتين الشرقية والغربية ولاقامة الكيان الفلسطيني العميل في الضفة الغربية وقطاع غزة.. وان العمل الفدائي يستنكر كل محاولة تسعى لتشويه قدسية اهداف نضاله ، وكل التلميحات الخفية والصريحة حول اقامة دولة في الضفة الشرقية او الضفة الغربية ، او حول اقامة دولة تضم الفلسطينيين والاردنيين في ثوب جديد » . واكد « ان الفدائيين ليسوا عصابات تنهب وتسرق ، وان العصابات هي التي تنهب الاموال العامة وتخزنها في المصارف الاجنبية » ..

وجاء يوم السبت ١٣ حزيران (يونيو) والجو يميل الى الصفاء . ولكن حادثاً عكره. لقد قام ضباط من قوة المدرعات الاردنية بالعصيان على اوامر الملك بمراعاة اتفاق وقف اطلاق النار ، وساروا بدباباتهم ومدرعاتهم لمقاتلة الفدائيين والسكان ! .. فأسرع اللواء

مشهور حديثة رئيس اركان الجيش الاردني ، وذهب بسيارته ، وحمل المتمردين ، على الرجوع الى مراكزهم ، والعمل باتفاق اطلاق النار .. وبعد ذلك اطلق مسلحون النار على سيارته فلم يصب بأذى ، غير ان سيارته حرقت وجرح خمسة من حرسه .. وقبض على ستة من المسلحين المعتدين على رئيس الاركان .. ولم تعلن هوياتهم رسمياً ، وهم من قوات الجيش الاردني الخاصة التي كان انشأها الشريف ناصر بن جميل ، قائد القوات الاردنية الذي كان قد أعفي من منصبه قبل يومين ..

وادت جهود الساعين الى توطيد السلام والامن في الاردن ، الى عقد اجتماع في قيادة الجيش حضره السادة بهجت التلهوني رئيس الوزراء الاردني ، وعبد المنعم الرفاعي وزير الخارجية الاردنية واللواء مشهور حديثة رئيس اركان الجيش الاردني ، والفريق اول صالح مهدي عماش نائب الرئيس العراقي ، وعبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائرية ، وياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لحركة المقاومة ، والدكتور جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ونايف حواتمه زعيم الجبهة الشعبية الديمقراطية .

ونتج عن هذا الاجتماع تأليف لجنة مشتركة من السلطات الاردنية والفدائيين عدد اعضائها تسعة ومهمتها « السيطرة على الموقف ومنع اية اعمال او تصرفات استفزازية بجميع الوسائل التي تقتضيها الظروف » ومقر عملها رئاسة الاركان العامة في عمان .

والممثلون عن السلطات الاردنية هم : وزير الخارجية الاردنية ، ورئيس الاركان، ومدير الامن العام ، ومدير الاستخبارات العسكرية ومدير المخابرات العامة .

اما ممثلو الفدائيين هم : ممثل فتح ، وممثل الهيئة العاملة ، وممثل الجبهة الشعبية ، وممثل الجبهة الديمقراطية .

ووجهت اللجنة المشتركة اول نداء لها دعت فيها عمال المرافق الحيوية وموظفي الدوائر والمؤسسات العامة الى التوجه فوراً الى مراكز اعمالهم ، وحثت المواطنين على اليقظة والحذر تجاه اعمال واشاعات تهدف الى تعكير صفو الامن ..

ووجه الملك حسين بالاذاعة رسالة الى القوات المسلحة قال فيها انه اطلع على نتائج الاجتماعات بين السلطات الاردنية والفدائيين بحضور المبعوثين العراقي والجزائري. واضاف « ان الامور تسير وفق ما يرضينا جميعاً بعون الله » .. « ويعالج الامر من جهتنا وتحت اشرافنا اللواء مشهور حديثة والمسؤولون في الاجهزة المختلفة مع

الاخ ابو عمار ويعاونهم في ذلك اخوتنا العرب الاعزاء الفريق اول صالح مهدي عماش والسيد عبد العزيز بوتفليقة ، ونحن مطلعون على الحالة باستمرار » . واوضح « اننا نعمل معاً لمعاقبة كل من يحاول اشعال نار الخلاف من جديد او يريد نشر الفوضى . وسنقوم بكل ما هو ضروري لاعادة النظام بشكل نهائي وبطريقة يقبلها الجميع » . وطلب الملك، في رسالته من القوات المسلحة اتباع منتهى ضبط النفس والتقيد بالنظام والطاعة .

وبعد تأليف اللجنة المشتركة غادر السيد عبد العزيز بوتفليقة عمان عائداً الى الجزائر حاملاً معه رسالتين جوابيتين من الملك حسين ومن السيد ياسر عرفات ، الى الرئيس بومدين .. ووصل عمـــان في ١٥ حزيران (يونيو) السفير عبد العزيز النصري سفير السودان في لبنان والاردن حاملاً رسالتين من اللواء جعفر النميري رئيس مجلس قيادة الثورة السوداني الى كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات ، تتعلقان بحوادث الاردن..

وفي يومي الجمعة والسبت ١٢ و ١٣ حزيران (يونيو) اسدل الستار على مأساة ايام البؤس الخمسة التي شهدتها الاردن .. واخذ الجميع يضمدون الجراح .. تلك الجراح التي سببتها الامبريالية والصهيونية، وقام بعمليتها في جسم الامة العربية في الاردن عملاء لهما..

ومما يؤسف له ان حصيلة المأساة الاردنية زادت على الف قتيل وجريح ، من ابناء هذا الشعب الذي هو في امس الحاجة الى رجاله لقتال الاعداء الوحيدين .. الصهيونيين. وقال الفريق اول صالح مهدي عماش نائب الرئيس العراقي الذي عاد من عمان الى بغداد في ١٥ حزيران (يونيو) ، بعد ان قضى في العاصمة الاردنية خمسة ايام ، ان خسائر الجيش الاردني والفدائيين في حوادث الاردن الاخيرة اكثر كثيراً من الخسائر التي مني بها الاردن وسوريا معاً في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ مع اسرائيل .. وقال الملك حسين ان الجيش الاردني خسر في الحوادث الاخيرة ١٧٨ قتيلاً و ٤٤٥ جريحاً[1] . ونشر ان عدد القتلى من الفلسطينيين كان ٩٧ قتيلاً من فدائيي فتح و ٣ من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و ٢٠٠ من سكان المخيمات وعدد الجرحى كان ٥٠٠ جريحاً[2] .

اللجنة الرباعية لتسوية النزاع

قرر رؤساء دول وممثلون عن رؤساء دول عربية حضروا احتفالات الجلاء البريطاني

---

(١) جريدة النهار – بيروت في ٢٤ – ٦ – ١٩٧٠ .
(٢) جريدة النهار – بيروت في ٩ – ٧ – ١٩٧٠ .

والامريكي عن ليبيا ، ما بين ٢٠ و ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، انشاء لجنة رباعية من ممثلين عن الجمهورية العربية المتحدة والجزائر والسودان وليبيا ، تذهب الى عمان لايجاد تسوية للخلافات بين الجيش الاردني والمنظمات الفدائية .

وصل مندوب الجزائر السيد قائد احمد يوم الجمعة في ٢٦ حزيران (يونيو) ، ووصل المندوبون الثلاثة الآخرون الدكتور حسن صبري الخولي مندوب الجمهوريـة العربية المتحدة ، والرائد مأمون عوض ابو زيد مندوب السودان ، والرائد محمد نجم مندوب ليبيا ، معاً يوم الاثنين في ٢٩ حزيران (يونيو) .. وكان الملك حسين قد اقال يوم الجمعة الحكومة الأردنية وتألفت حكومة جديـدة مساء السبت في ٢٧ حزيران (يونيو) ، برئاسة السيد عبد المنعم الرفاعي ، دخلها وزراء يعطفون على العمل الفدائي ويتعاونون مع منظماته ..

اختار المندوبون السيد قائد احمد رئيساً للجنة الرباعية . وابتدأت اللجنة اتصالاتها بالحكومة ، وكان المتكلم باسمها رئيسها السيد عبد المنعم الرفاعي ، وباللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية التي تضم المنظمات الفدائية ، وكان المتكلم باسمها رئيسها السيد ياسر عرفات .. ودام ذلك من ٢٩ حزيران (يونيو) الى ١٠ تموز (يوليو) ١٩٧٠ حيث تمت تسوية بين الفريقين وضعت في صيغة اتفاق ، وقعه رئيس الحكومة الاردنية ورئيس اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية، ووقعه ايضاً اعضاء اللجنة الرباعية.. وفي ذلك اليوم غادر المندوبون الاربعة عمان الى بيروت ..

واهم ما جاء في اتفاق التسوية ما يلي :

اولاً التزامات الحكومة الاردنية .

– تجري الحكومة الاردنية اتصالاتها باللجنة المركزية في كل ما يتعلق بشؤون العمل الفدائي ونشاطه وحقوقه وواجباته . وان هذه اللجنة هي المسيطرة والملتزمة والمسؤولة عن جميع التنظيمات الفدائية واعمالها .

– تلغي الحكومة جميع التدابير والاجراءات الاستثنائية التي اتخذت في اثناء الازمة .

– تتعهد الحكومة بألا يقوم او يعمل اي جهاز او تنظيم او عنصر ضد مصلحة الثورة الفلسطينية والوحدة الوطنية .

ثانياً : التزامات اللجنة المركزية :

– منع التظاهرات العسكرية ومنع وجود الفدائيين بسلاحهم في الاماكن العامـة ،

باستثناء الحراسات الخاصة بالمكاتب والقادة .

– على كل سيارات المقاومة ان تحمل ارقاماً خاصة وان تتوقف عند الحواجز اذا طلب منها ذلك .

– يمنع منعاً باتاً اطلاق الرصاص واجراء المناورات والتدريب بالذخيرة الحية داخل المدن والاماكن الآهلة بالسكان .

– لا يسمح بوجود القواعد العسكرية للمنظمات الفدائية في المدن باستثناء قوى مقاومتها الشعبية . ويمنع خزن المتفجرات والذخائر والاسلحة الثقيلة في الاماكن المأهولة .

– يلتزم الفدائيون كافة باحترام الانظمة المرعية، وكل من يرتكب جريمة او مخالفة مدنية من افراد المنظمات الفدائية تخل بالقوانين والانظمة المعمول بها في المملكة يسلم الى السلطات الاردنية المختلفة .

– لا يُقبل اي عسكري مرتبط بخدمة الجيش في صفوف المنظمات الفدائية .

وتم الاتفاق على تأليف لجنة مشتركة ، لمتابعة العمل وتلقي المخالفات ومعالجة ما يستجد من امور ، وذلك ضمن اطار الوحدة الوطنية والمصلحة القومية العليا .

وقبل قراءة نصوص الاتفاق في المؤتمر الصحافي الاخير الذي عقدته اللجنة الرباعية في ١٠ تموز (يوليو) ، دعا رئيس اللجنة السيد قائد احمد الامة العربية وقادتها الى المساهمة «في ابراز شخصية الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني كأبناء قطر يكمل الاقطار العربية» . وقال «ان علينا ان ندعم هذه الشخصية في كل الميادين وعلى الصعيد الديبلوماسي» . واضاف انه «ما دام هناك شبر واحد محتل فان مسؤولية التحرير هي مسؤولية عربية» .

العوامل الكامنة للاقتتال

امام المأساة الاليمة التي حدثت في الاردن يتساءل المواطن العربي :

ما هي العوامل الكامنة التي ادت الى الاقتتال في الاردن ، خلال شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، وسببت تلك الضحايا العديدة التي ماكان ينبغي ان تقع ؟ .

كنت قد اجبت على هذا السؤال في هذا المكان . ولكن لما حدثت مجزرة ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وكنت قد فرغت من وضع فصول الكتاب ، اضفت اليه فصلاً

عنها ، ضمنته الاجابة على هذا السؤال في ذكري اسباب المجزرة ونتائجها . وعليه حذفت من هذا المكان ما كنت قد ذكرته عن العوامل الكامنة للاقتتال في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، لان الاسباب والدوافع واحدة في الاقتتال والمجزرة . .

– ٦ –

ما على المنظمات الفدائية عمله

ان التسوية السلمية المزمع عقدها بين الجمهورية العربية المتحدة والاردن من جهة وبين اسرائيل من جهة ثانية ، لا تغير موقف الوضع العربي الاسرائيلي على المدى البعيد، لان اسرائيل ستعود الى الاعتداء على دول عربية ، لنيل مطالب جديدة وتحقيق توسع جديد ، ما دامت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ تنيلها مطالب وتحقق لها توسعاً ، وستضطر دول عربية الى مجابهة اسرائيل من جديد ، ولكن في وضع اشد صعوبة ، لأن الاتفاق المزمع عقده مع اسرائيل يعطيها «الوجود الشرعي» في قلب العالم العربي[1] .

والتسوية السلمية لا يجوز ان تؤثر في الثورة الفلسطينية ، لانها لا تحقق الحق الوطني للفلسطينيين في وطنهم ، ولان اعتراف دول عربية باسرائيل هو في واقع الامر تصفية، في نظر المتعاقدين ، للقضية الفلسطينية ، وهذا ينبغي ان يحفز الشعب الفلسطيني والدول العربية المؤيدة لحقه في وطنه ، الى اذكاء الثورة الفلسطينية ، وتقوية الاعمال الفدائية ضد اسرائيل .. وينبغي ان يبقى الفدائيون باب الأمل .. واعمالهم لم تكن ، في ابتدائها، نتيجة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .. وستعمل الجيوش العربية والفدائيون معاً من جديد لمقاومة الاعتداء الاسرائيلي المقبل والتغلب عليه ، ووضع حد للاطماع الصهيونية..

الفدائيون هم باب الامل ، والغرب – تساعده سلطات من دول عربية – يعمل لسد هذا الباب في وجه الامة العربية ، ومنعها من ولوجه لتحقيق الامل المنشود . وهذا الوضع يتطلب من الفدائيين القيام باجراءات للتغلب على مخططات الاعداء من جهة ، وليصبحوا قوة قادرة على تحقيق هدف الثورة الفلسطينية ، الذي هو تحرير فلسطين وتمكين اهلها من العودة الى ديارهم في وطنهم السليب ، وبعبارة اخرى «هو تحرير

---

(١) راجع الفصل السابع من هذا الكتاب .

فلسطين كاملة ليتعايش فيها جميع المواطنين بحقوق وواجبات متساوية ضمن آمال الأمة العربية في الوحدة والتقدم »[1] ، من جهة اخرى . وهذه الاجراءات على نوعين : نوع يتعلق بالتنظيمات الفدائية ذاتها ، وعملها المستمر ، والنوع الآخر خاص بعلاقة المنظمات الفدائية بالجيوش العربية وعملها بتعاون فعال ضد اسرائيل في المجابهة المقبلة ..

اما فيما يتعلق بالنوع الاول من الاجراءات ، الخاصة بالتنظيمات الفدائية ذاتها ، فأذكر أهمها في النقاط التالية :

١ — توحيد المنظمات والقيادة .

ان نظرة الى قائمة المنظمات الفدائية تحزن ، لكثرتها ، قلب كل مخلص للقضية الفلسطينية وللامة العربية .. وهذه الكثرة ، المؤدية بطبيعة الحال الى تفرقة صف شعب ضعيف بماديته قوي بايمانه ، قد شجعت المناوئين للعمل الفدائي على محاولة القضاء عليه. وهذا الوضع لا يجوز ان يستمر ان اريد حقاً للثورة النجاح والوصول الى هدفها السامي. ومن الاكيد ان ثورة ما لا تنجح ان كانت متعددة القيادات مختلفة الاهداف والخطط والمبادىء . فوحدة المقاومة الفلسطينية امر ضروري لبقائها فعالة ولنجاحها في النهاية .. والثورة الفلسطينية تصارع ، لاسترداد وطن وحقوق ، اكبر قوتين عالميتين : القوة الصهيونية والقوة الامريكية . وهذا الوضع ذاته يتطلب من الثورة الفلسطينية ان تكون واحدة ، ومن جميع ابناء الشعب الفلسطيني من فدائيين وغير فدائيين ان يعملوا في صف واحد وبقيادة واحدة ، بالاضافة الى حشد جميع قوى الامة العربية لصد اعتداءات القوتين المذكورتين ، سواء في ذلك الاعتداءات الحالية والاعتداءات المقبلة[2] .

وفي التاريخ دروس وعبر لنا في نضالنا .. لنأخذ الثورة الجزائرية مثلاً ، وهي ثورة قطر عربي ثار ابناؤه ضد الاستعمار ونجحوا .. ومما لا ريب فيه ان من اكبر اسباب ذلك النجاح وحدة الصف الجزائري والقيادة الواحدة فيه ..

وقد قرأنا الكثير عن الثورة الجزائرية والثورات العربية الاخرى ، في المغرب

---

(١) البند الخامس من بيان القيادة الموحدة الصادر في ٦ — ٤ — ١٩٧٠ .

(٢) وحدت « اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية » قيادة المقاومة بتعيينها السيد ياسر عرفات قائداً عاماً لقوات الثورة الفلسطينية ، وذلك يوم الخميس في ١٧ — ٩ — ١٩٧٠ اثر تعيين الملك حكومة عسكرية في الاردن واعلان الأحكام العرفية ..

العربي ، التي ادت الى استقلال هذا المغرب الكبير .. وقد اثبت رجاله نضوجاً سياسياً عظيماً ساعدهم على الوصول الى اهدافهم الوطنية .. وهذا النضوج السياسي ساعد القادة في كل قطر على ان يروا بوضوح انهم لا يستطيعون الوصول الى اهدافهم الا بتوحيد الصفوف تحت قيادة واحدة : فالمغرب ثار تحت لواء الملك محمد الخامس ، وثارت الجزائر تحت راية جبهة التحرير الجزائرية ، وثارت تونس تحت علم حزب الدستور بقيادة زعيمه الحبيب بورقيبه ، فنالت جميعها الاستقلال التام ، وعاشت شعوبها كريمة في اوطانها مرفوعة الرؤوس .

ولنعد الى مثل الجزائر :

قامت الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤ بقيادة جبهة التحرير الجزائرية ، فحاولت حكومة المستعمر تشتيت قوى الثورة وضربها بالاحزاب . استغلت اولاً حركة مصالي الحاج ، القائمة قبل قيام الثورة ، فرأت الثورة ان من واجبها تصفيتها حرصاً على وحدة الثورة ، التي من دونها لا نجاح لها .. وبعد اشهر من قيام الثورة ظهرت حركات واحزاب : حركة انصار الحريات الديمقراطية ، وحزب البيان الديمقراطي ، والحزب الشيوعي الجزائري . وحرصاً على وحدة الصف الجزائري تجاه العدو المشترك يومئذ ، جرت اتصالات بين قيادة الثورة ورجال هذه الاحزاب . وقالت قيادة الثورة لهم : انه في امكانهم دخول جبهة التحرير كافراد ، وان على الاحزاب ان تحل . فحل الحزبان الاولان نفسيهما ، ودخل كثيرون من اعضائهما جبهة التحرير . ولكن الحزب الشيوعي عمل لايجاد قوة مسلحة خاصة به ، فرأت جبهة التحرير ان من واجبها الوطني تصفية هذه القوة الحمراء ، كما صفت من قبل الحركة المصالية ، لإيمانها بمبدأ وحدة القيادة التي من دونها لا يمكن للثورة ان تنجح .. وهكذا حارب الجزائريون المستعمر تحت راية واحدة وحملوه على الخروج من ديارهم ، ونالوا استقلال بلادهم بعد قتال عنيف دام ثماني سنوات ، ضحى خلالها ابناء الجزائر بما يزيد على مليون مناضل من رجاله ونسائه ، ثمناً للاستقلال .. والحق يؤخذ ولا يعطى ..

ولنذكر مثلاً آخر :

عندما اعلن الجنرال ديكول المقاومة الفرنسية ضد الالمان المحتلين لبلده سنة ١٩٤٠ ، ووقف في صف الحلفاء موقف الند للند ، مدافعاً عن حق بلده ، ورأى الحلفاء ان ديكول لا يسايرهم في مصالح فرنسا ، ارادوا اضعاف قيادته بايجاد حركة

مقاومة فرنسية اخرى بقيادة الجنرال هنري جيرو في شمال افريقيا .. فما كان من قيادة حرب التحرير الفرنسية الا ان حالت دون تجزئتها وتجزئة قيادتها الواحدة ، بتصفية الجنرال هنري جيرو ، فبقيت لفرنسا قوة تحرير واحدة بقيادة واحدة ادت الى الانتصار، واستعادت فرنسا مكانتها الرفيعة بين الدول الكبرى ، بقيادة رجلها العظيم ديكول .

ونحن نأمل ان تصل قيادات الفدائيين الى توحيد صفوفها دون تصادم فيما بينها .. بينما اعداء المقاومة الفلسطينية يريدون ان يقتتل الفدائيون لاضعاف انفسهم ، وليسهل على الاعداء القضاء عليهم ، فيتمكنوا من تصفية قضية فلسطين ..

وقد شعرت المنظمات الفدائية ، بعد ١٠ شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، بضرورة تنظيم صفوفها ، عندما اعلنت الحكومة الاردنية نظاماً يؤدي الى الحد من حركات الفدائيين ووضعهم ، الى حد ما ، تحت سيطرة المؤسسة العسكرية الاردنية .. فعملوا على انهاء ظاهرة التعدد والتباين في صفوف المنظمات الفدائية ، واتفقوا في ٥ ايار (مايو) على انشاء « اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية » دخلها معظم المنظمات الفدائية .

وفي الدورة السابعة للمجلس الوطني الفلسطيني ، الذي عقد في القاهرة ما بين ٣٠ ايار (مايو) و ٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، واشتركت فيه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لأول مرة ، وجميع فصائل المقاومة الفلسطينية ، عدا « قوات الانصار » الشيوعية ، عملت المنظمات الفدائية لتوحيد صفوفها اكثر مما سبق ، فأوجدت « اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية » . وهي تضم ٢٧ عضواً ، منهم ١٢ عضواً اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ورئيس الصندوق القومي الفلسطيني ، ورئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، وقائد جيش التحرير الفلسطيني ، و ١٠ اعضاء يمثلون التنظيمات المختلفة ، و ٣ اعضاء مستقلون تختارهم اللجنة التنفيذية . ويتولى رئاسة هذه اللجنة المركزية رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات ، وتتفرع منها امانة عامة مؤلفة من ستة اعضاء ..

واقر المجلس الوطني ايجاد « القيادة العسكرية الموحدة للثورة الفلسطينية » برئاسة السيد ياسر عرفات . وتتألف من مجلس عسكري يضم القيادات العسكرية من المنظمات الموجودة في الساحة ، ومن هيئة اركان تنبثق من المجلس العسكري .

كما اقر المجلس انشاء « اللجنة المشتركة للقوى الوطنية في الاردن » . وهي تتألف من فلسطينيين واردنيين يعملون في الحقل الوطني مؤيدين الثورة الفلسطينية واهدافها .

واذن فالهيئات الرسمية العامة التي تدير الاعمال الفدائية ، او التي لها رأي رسمي في شأنها هي ما يلي :

– المجلس الوطني الفلسطيني .
– اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
– اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
– القيادة العسكرية الموحدة للثورة الفلسطينية .
– الامانة العامة للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
– اللجنة المشتركة مع القوى الوطنية في الاردن .

وهناك هيئات خاصة لكل منظمة او فصيل !..

هيئات عامة عديدة رسمية لكل منها رأي وتقرير في اعمال فدائية .. وليس بمستغرب ان يتيه العمل الفدائي بين هذه الهيئات واللجان .. التي ما انشئت لحاجة العمل الفدائي لها ، وانما ارضاء خواطر ونزعات ..

وعلى كل حال فاننا نرى ان ما توصل اليه المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السابعة ، من تنظيمات لتوحيد المنظمات الفدائية والعمل الفدائي ، وان كان خطوة كبيرة نحو التوحيد ، فهو لا يحقق ما يتطلبه العمل الفدائي بذاته والشعب الفلسطيني من توحيد تام للمنظمات الفدائية واعمالها ، ذلك التوحيد الذي يجعل جميع الشعب الفلسطيني قاعدة واحدة لعمل فدائي واحد ، هدفه محدد ظاهر .. ذلك التوحيد الذي ينادي به ايضاً المسؤولون في الدول العربية ، وابناء الامة العربية جميعاً .. واننا نأمل من القيادات الفدائية ان تعمل من جديد لزيادة التوحيد قوة ، حتى تصبح المنظمات الفدائية قادرة على مواجهة ما يواجه الشعب الفلسطيني وثورته من صعاب وخطوب ..

٢ – تحويل جيش التحرير الى فدائيين

ذكرنا في صفحة سابقة ان منظمة التحرير الفلسطينية عملت ، يوم انشائها ، لايجاد مظاهر الدولة في تنظيماتها ، فأوجدت قوة عسكرية نظامية اسمتها « جيش التحرير الفلسطيني » ، يعمل افراده الآن ضمن قوات عسكرية عربية اخرى ، ولما تغيرت ادارة منظمة التحرير بدخول منظمات فدائية فيها ، ابقت جيش التحرير على وضعه السابق .

وجيش التحرير في وضعه الحاضر ، لا يأتي بعمل ايجابي فعال في خدمة القضية

الفلسطينية .. والقوات العربية الاخرى ليست بحاجة الى هذه القوة النظامية ، وان القضية احوج الى رجال هذا الجيش في ميادين عاملة اخرى . ولهذا فاننا نرى ان يتحول جيش التحرير الفلسطيني النظامي الى جيش تحرير عملي فدائي ، وذلك بأن يدرب رجاله على الاعمال الفدائية ، على الرغم من كل ما يمكن ان يكون هناك من صعاب في طريق ذلك ، وان ينضموا الى المنظمة الفدائية الفلسطينية الموحدة ، ويدخلوا ميدان العمل الفدائي في فلسطين ، ميدان التحرير الصحيح ، وان يدرب عدد كبير منهم على الآليات والدبابات لقيادة آليات ودبابات الثورة الفلسطينية .

٣ ــ توحيد المكاتب

ويدعو توحيد المنظمات الفدائية ، بطبيعة الحال ، الى توحيد المكاتب الفدائية .

هناك الآن مكاتب فلسطينية في عدد من الدول العربية ودول اخرى . مكاتب لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومكاتب لحركة التحرير الفلسطينية ، « فتح » ، ومكاتب اقل عدداً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولغيرها .. ووجود هذه المكاتب المتعددة المتفرقة لمنظمات فدائية هدفها واحد ، اضعاف للجهد الفدائي ، بتجزئة العمل الواحد على مكاتب متعددة في مكان واحد ! وتبذير للمال الفدائي في الوقت ذاته ..

وتنظيم العمل الفدائي ، ليكون فعّالاً ، يتطلب توحيد جميع هذه المكاتب ، لتحمل اسم « مكتب اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية » ، تشرف عليها لجنة اعلام واحدة . وفي ذلك تقوية لعمل المكاتب بتوحيد جهودها ، وتوفير للمال الفدائي باقلال عددها وذلك بتوحيد ما كان منها في بلد واحد ..

٤ ــ الابتعاد عن التيارات السياسية في البلاد العربية .

في البلاد العربية تيارات سياسية يؤسف لها ، لا يمكن تسميتها يمينية أو يسارية ، لان هذه التيارات تجعل النظم السياسية المتشابهة متنافرة . واننا نرى بلاداً عربية تسمي نفسها تقدمية او اشتراكية ، ويسميها الغير يسارية ، لا تعمل معاً لما فيه خيرها جميعاً بل انها في خصام ! .. وكذلك الحال مع دول عربية اخرى متشابهة في نظمها الدستورية ، او المالية ، وهي التي يطلق عليها الدول المحافظة ويسميها الغير الدول الرجعية .. ونرى في الوقت نفسه ، دولاً من الدول العربية الاشتراكية المتخاصمة مع مثيلاتها من الدول العربية ، تتعاون مع دول عربية تسمى الدول المحافظة ، والعكس بالعكس .. وفي رأينا ان سبب ذلك هو ان تقسيم الدول العربية من حيث العقائد تقسيم غير صحيح ، لان ما

يسمونه عقائد ليس في واقع الامر اساس سياسة الدولة ، وانما اساسها هو المصالح ..

فابتعاد الثورة الفلسطينية ومنظماتها الفدائية عن التيارات السياسية في البلاد العربية ، امر جوهري لنجاحها .. ومصلحة الثورة الفلسطينية ، للوصول الى هدفها الوطني العظيم ، ان تكون متعاونة مع جميع الدول العربية ، على اساس ذلك الهدف الوطني العظيم . وألاّ تتدخل مطلقاً في امور تلك الدول ، او في امور بعضها ، الا في حالة الدفاع عن النفس ..

ولتأخذ المنظمات الفدائية عبرة من تصرف « منظمة التحرير الفلسطينية » في سنين من حياتها ، حينما وقفت في صفوف دول عربية ضد دول عربية اخرى ، فأدى ذلك الى زيادة الخلاف بين دول عربية ، والى اضعاف المنظمة وتحولها عن مهمتها الوحيدة ، وهي تحرير فلسطين ، ودخولها حلبة الصراع الكلامي بين دول عربيــة ، فأصبحت منظمة لا لتحرير فلسطين وانما اداة دعاية لفريق ضد آخر .. وليست هذه هي مهمة منظمات التحرير او المنظمات الفدائية .

وفي الوقت نفسه يتطلب من دول عربية تمكين الفدائيين من استعمال اراضيها مكان انطلاق وقاعدة خلفية ، اذ دون ذلك لا يتمكن الفدائيون الفلسطينيون من القيام بمهماتهم الوطنية المقدسة ضد عدو العرب اجمعين . وفي تاريخ النضال العربي سابقة لذلك . فقد مكنت المغرب وتونس وليبيا المناضلين الجزائريين من استعمال اراضيها لغايات الثورة الجزائرية العظيمة .. وليس في ذلك مساس بسيادة البلد الذي يعمل منه الفدائيون .. فالعمل بالتعاون ، ولغاية هي غاية الامة العربية كلها ، في مختلف بلادها ، لا يكون مساساً بسيادة ..

٥ ــ ترك الانشغال بالمبادىء العقائدية والنظم السياسية الى ما بعد تحرير فلسطين والعودة اليهـــا .

تشتغل بعض المنظمات الفدائية بنشر عقائد ونظم سياسية معينة ، وتعمل على حمل الفلسطينيين على اعتناقها .. وهذا العمل ، في هذه الايام ، يضعف ، ولا شك ، العمل الفدائي ، ويضيع قوى الثورة الفلسطينية في امور لم يأت اليوم بعد لبحثها ومناقشتها . انني لأرى ان المصلحة الوطنية تتطلب من المنظمات الفدائية ان تتفرغ كلياً لعملها الذي ينبغي ان يكون واحداً : الا وهو النضال ضد العدو وتحقيق تحرير فلسطين وعودة ابنائها الى ديارهم فيها .. اما انشغالها بالعقائد السياسية فهو كربط جياد تشد عربة التحرير من

جهات متعاكسة . فشد هذه الجياد للعربة على هذه الصورة ، يؤدي الى امر واحد فقط هو تحطيم العربة وجعلها غير صالحة لاداء مهمتها ..

وحينما يتم تحرير فلسطين ويعود ابناؤها اليها ، يفكرون في النظام الصالح لهم ولبلدهم ، والنظام الصالح ، في رأيي ، هو الذي يؤمن العدالة الاجتماعية ، القائمة على اسس وطنية ، الهادفة الى مصلحة الشعب ، والشعب هو جميع افراد الامة ..

٦ ــ ولاء الفدائيين لقضية فلسطين ولقيادتهم الموحدة .

من البديهي ان يقال ان ولاء الفدائيين ينبغي ان يكون لقضية فلسطين ولقيادتهم الموحدة . غير ان الواقع يرينا ان هناك منظمات فدائية ولاؤها ليس لقضية فلسطين كلياً ولا للقيادة الفدائية ، ولكنه في واقع الامر ، لدول اوجدت تلك المنظمات ..

ولهذا يتطلب من القيادة الفدائية الموحدة ، ان تعمل لجعل ولاء المنظمات الفدائية الفلسطينية الكلي للقيادة الموحدة وللقضية الفلسطينية واهداف الثورة الفلسطينية ، وألا تتلقى تعليمات الا من القيادة الموحدة للمنظمات الفدائية ..

٧ ــ زيادة عدد الفدائيين .

ان عدد الفدائيين غير كاف للمهمات الجسام المطلوبة من الثورة الفلسطينية ، ولذا أرى ان على القيادة الموحدة للمنظمات الفدائية ان تعمل حثيثاً لزيادة عدد الفدائيين العاملين الى مئة الف مقاتل على اقل تقدير . وان يدربوا احسن تدريب وان يزودوا بأحسن سلاح .. وفي امكان الشعب الفلسطيني ان يمد قيادة ثورته بهذا العدد الضروري . على ان الثورة الفلسطينية تفتح صدرها للمناضلين من ابناء الامة العربية في مختلف اقطارها، اذ ان خطر اسرائيل لم يعد منحصراً ضمن نطاق فلسطين، بل ان اخطارها تلحق العالم العربي كله ، والقضية الفلسطينية تعني كل عربي يريد الحياة بكرامة وحرية ..

٨ ــ التنسيق بين الاعمال الفدائية واعمال الجيوش العربية .

ان قضية فلسطين ليست بسيطة ، بل معقدة ، فريدة في نوعها في التاريخ ، لا تماثلها قضية بلد يريد التحرر من المستعمر الذي يحكمه .. ولهذا فان وسائل حلها ايضاً ليست بسيطة .

فلسطين طبعاً جزء من الوطن العربي ، فاجأتها جماعة صهيونية غريبة عنها ، وسكنتها وطردت القسم الاكبر من شعبها العربي من دياره ، وانشأت فيها دولة ، اعتدت على بلاد عربية اخرى واحتلتها ، تؤيدها في ذلك دول امبريالية على رأسها

الولايات المتحدة الامريكية ، وتقف مع العرب في قضيتهم العادلة دول شرقية من اسلامية ومن اشتراكية على رأسها الاتحاد السوفياتي ..

فسبيل التغلب على القوى المعتدية كثيرة منها ان يحقق الفلسطينيون ما ذكرت .. وان يعملوا باستمرار ، وبكل عنف وشدة على ضرب العدو في عقر ما احتل من بلاد عربية.. وفي الوقت نفسه ان ينسقوا اعمالهم ، التي ينبغي ان تكون دائماً حرة من كل قيد ورد فعل القوات الاسرائيلية العسكرية عليها ، مع القوة العربية الرادعة الضاربة ، التي يجب ايجادها كاملة ، مهما كانت نتائج مفاوضات التسوية مع اسرائيل .. وعندئذ لا تستطيع اسرائيل الاستمرار في اعتداءاتها ، او التجرؤ على القيام باعتداءات جديدة في المستقبل .

ولكن ما هو المراد بالقوة العربية الرادعة الضاربة ؟ . وكيف يتم ايجادها ؟ ..

الفصل العاشر

العمل العربي المشترك

ان الاتفاق المنوي عقده بين دول عربية واسرائيل ، لا يزيل اخطار اسرائيل ومطامعها ، ولا يعيد لاهل فلسطين حقوقهم الوطنية في وطنهم ، وانما هو هدنة تنفس لاسرائيل ، تعيد خلالها تنظيم اوضاعها وتحسينها وتثبيتها على اسس وجود شرعي لها في قلب العالم العربي .. ومن ثم تجابه دولاً عربية بأشد مما جابهتها به سنة ١٩٦٧ ، لنيل مطاليب جديدة وتحقيق توسع اكبر ..

لذلك كان مستقبل الامة العربية في بلادها يتوقف على عمل الدول العربية معاً عملاً عربياً مشتركاً، تنشىء بموجبه قوة عربية رادعة ضاربة ، توقف بها اعتداءات اسرائيل، وتحملها على الانسحاب الكامل من الاراضي التي احتلتها خارج حدود التقسيم ، واعادة حقوق اهل فلسطين اليهم في وطنهم ، وعلى التنسيق بين تلك القوة والعمل الفدائي الفلسطيني . ويتطلب عرض هذه الامور ذكر سياسة اسرائيل، والوضع العربي الحاضر، وضرورة ايجاد حلف عسكري عربي وطيران عربي موحد ، وما بذل من جهود لتوحيد القوى العربية .

— ١ —

سياسة اسرائيل والوضع العربي

كانت كارثة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ مفاجأة سارة للعدو الذي لم يكن يحلم بها بالصورة التي وافته .. كما كانت فاجعة لكل عربي لم يكن حدوثها يخطر له ببال ..

وكارثة ٥ حزيران ادهشت كذلك الرأي العام العالمي الذي اخذ ينظر الى قوة اسرائيل نظرة تقدير والى العرب نظرة استخفاف ، والرأي العام يقدر القوة ويحتقر الضعف .. ولحدوث الكارثة بصورتها البشعة المهينة المزرية اسباب ذكرناها في فصل سابق .. وهناك ايضاً حقائق ينبغي ان لا ننساها ابداً :

١ — ان الخلافات العديدة بين الحكومات العربية كانت من اهم الاسباب التي شجعت اسرائيل على القيام باعتدائها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .. ومن المؤسف المحزن ان تبقى الخلافات بين بعض الحكومات العربية بعد كارثة ٥ حزيران (يونيو) ! . وهذه الخلافات كانت من اهم المشجعات لاسرائيل على استمرارها في الاعتداءات على الجبهة الغربية وعلى الجبهة الشرقية ، وعلى حدود لبنان واجتيازها ..

٢ — ان اسرائيل تعتمد ، قبل كل شيء ، على الخلافات العربية لتحقيق اطماعها التي لا حد لها في الوطن العربي ، ومنها تكوين اسرائيل الكبرى في البلاد العربية الواقعة ما بين النهرين والمشتملة على البلاد العربية الواقعة شمالي خط يمتد من جنوب الكويت الى جنوبي المدينة المنورة ، والاستيلاء على ثروات الخليج العربي ، وعلى خيرات البلاد العربية كلها والتحكم فيها .. وسياسة اسرائيل تجاه البلاد العربية ليست سياسة احتلال واستعمار واستغلال لما تحتل من بلاد عربية ، بل سياسة افناء لشعوب الاقطار التي تحتلها ..

٣ — ان حرب اسرائيل لن تنتهي على الرغم من الاتفاق المنوي عقده بحسب قرار مجلس الامن .. بل ستستمر على فترات حتى تصل اسرائيل الى اهدافها .. وامام هذا الخطر الدائم على جميع البلاد العربية ، تقف حكومات بعضها وكأنها لا تراه ، بل كأن لا وجود لاسرائيل ! .. وتسير شعوب عربية في اتجاه مخالف للسير السليم ، وكأنها لا تبصر ولا تعي ولا تشعر بالخطر المميت الذي يترقبها ..

٤ — ويتساءل الانسان :

ما هي الاسباب التي وضعت العالم العربي في هذا الوضع المحزن الهزيل ، مع ان العالم العربي ليس بهزيل ؟

الاسباب متفرعة ولكن جذعها واحد ، وهو الخلافات بين المسؤولين في البلاد العربية ! .. وهذه الحقيقة تستدعي استفهاماً آخر وهو :

هل الخلافات بين عدد من المسؤولين في البلاد العربية ناجمة عن اختلاف مصالح تلك البلاد وشعوبها ؟ .

الحقيقة هي ان مصالح البلاد العربية وشعوبها واحدة لا اختلاف بينها البتة ، بل ان تلك المصالح متمم بعضها بعضاً ولا تضارب بينها .. والاختلافات بين عدد من المسؤولين في البلاد العربية ، انما هي ناجمة عن مخاوف شخصية موهومة لا صلة بينها وبين مصلحة بلادهم وشعوبهم ، ولا بينها وبين مصلحة الامة العربية ..

٥ ــ ان الوطنية العربية الصحيحة تتطلب من كل زعيم عربي ، ومن كل عربي ، الا ينظر إلى مآسي الماضي ، بل أن يعمل لما فيه خير الأمة حاضراً ومستقبلا ، وأن يعلم أن مسؤولية كارثة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لا تقع على مسؤول واحد ، وانما على جميع المسؤولين من قادة وزعماء ، وعلى جميع افراد الامة .. ولا يستطيع احد من ابناء الامة العربية ان يتبرأ من مسؤوليته فيها .. ومن الخطأ الضار المهلك ان نحاول صرف اي جهد في توزيع مسؤولية الكارثة ، بل ان الانصراف الى توزيع المسؤولية وتبرئة النفس يشكل إسهاماً جديداً يضم الى الاسهام السابق . والعدو يحرص على جرنا الى الانهماك في توزيع المسؤوليات ومحاربة بعضنا بعضاً ، ليزداد ضعفنا ضعفاً ، وليصبح الطريق امامه هو ممهداً للقضاء علينا بسهولة اكثر ..

٦ ــ ان الامة العربية تريد استرداد ما اغتصب من بلادها ، والحياة في وطنها الواحد ، وان تجزأ لأسباب ، حياة حرة كريمة شريفة . وهي تتطلب من قادتها وزعمائها العمل لما يحقق ما تريده . وما تريده الامة العربية لا يتحقق وحكوماتها على خلاف ، واعمالها في تضارب . كما أن استرداد ما اغتصب من وطن ومن حقوق يتطلب ازالة الخلافات القائمة على اساس من هواء ، فيما بين الحكومات العربية ، وكذلك العمل معاً عملاً عربياً مشتركاً . وميادين العمل العربي المشترك متعددة . لكن علينا ، قبل ذلك ، أن ننظر الى الوضع العربي الحاضر .

ــ ٢ ــ

الوضع العربي الحاضر

لقد كانت المقاومة العربية بعد كارثة ١٩٦٧ اشد وامضى من المقاومة العربية بعد كارثة ١٩٤٨ ..

ففي سنة ١٩٤٨ القى العرب سلاحهم اثر قرار مجلس الامن وقف اطلاق النار .. واخذ حكام عرب يسجنون الفلسطينيين الذين يحاولون اختراق وقف اطلاق النار ، او من يجدون معه سلاحاً ! .. وقد أدى وقف اطلاق النار الى تثبيت الاحتلال الاسرائيلي ، واخذت اسرائيل تعتبر ان ما احتلته زيادة على حدود التقسيم قد أصبح جزءاً منها ، في حين ان وجودها فيه غير شرعي ..والمبدأ الذي تعمل اسرائيل بموجبه هو ان الارض لمن يحتلها ! .. وجرت مفاوضات غير مباشرة ، في رودس سنة ١٩٤٩ ، ادت الى توسيع اسرائيل وايجاد خطوط هدنة .. فاعتبرت اسرائيل ان خطوط الهدنة هذه هي حدود لها مؤقتة ، الى ان تتوسع من جديد .. واستكان العرب حتى اعتدت اسرائيل على ثلاث دول عربية في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ..

على ان كلمة الحق ينبغي ان تقال : لقد كان موقف المسؤولين العرب ايام كارثة ١٩٤٨ ، موقفاً لم يفرط في القضية الفلسطينية وفي حقوق اهل فلسطين في وطنهم . لقد عقدوا اتفاقات هدنة رودس مع اسرائيل سنة ١٩٤٩ .. غير انهم لم يعترفوا باسرائيل، ولم يعقدوا معها صلحاً يعطيها شرعية الوجود في قلب العالم العربي ، ولم يتنازلوا عن حقوق العرب في فلسطين . وبذلك ابقوا القضية الفلسطينية سليمة ، من الناحية القانونية، وظلت الدول العربية في حالة حرب مع اسرائيل الى يوم يتمكن فيه العرب من استعادة جميع حقوقهم في فلسطين التي يحتلها الصهيونيون . والقانون الدولي يؤيدهم في ذلك ما دامت اسرائيل محتلة ، ولا وجود شرعياً لها في الاراضي التي تحتلها ..

وفي ٩ و ١٠ حزيران (يونيو) ٩٦٧ دبت روح جديدة في الامة العربية ، اثر مظاهرات الملايين في مصر والبلاد العربية الاخرى مطالبين الرئيس جمال عبد الناصر بالبقاء في الحكم والاستمرار في المقاومة ، وتأييد حكام الدول العربية الاخرى وشعوبها هذا النداء ..

وتبع ذلك ان قام الحكم في مصر بتنظيف الدار وادوات الحكم .. وكان ذلك دليلاً على الجد في العمل ، وخلق روح جديدة في الجيش وفي الشعب .. وقد تم لمصر ذلك . وامنت قيادة مصر للجيش العربي المصري ما يلزمه من سلاح للصمود .. ثم رأى الرئيس العربي في وقف اطلاق النار ، مدة طويلة دون انسحاب القوات المحتلة ، استسلاماً للمعتدي ، واعترافاً بسيادته على الاراضي التي احتلها ، فرفض ذلك ، واعلنها حرب

استنزاف ، اعراباً منه عن رفض الاحتلال ، ومطالبة بالانسحاب ، او حمل المعتدي على الانسحاب ، وقال مراراً : ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ..

اما الجبهة الشرقية المؤلفة من الاردن وسوريا ، تسندها العراق والسعودية ، فقد ظلت ضعيفة ، لم تعمل حكوماتها معاً للوصول بها الى القوة المطلوبة ، وذلك لما بين هذه الحكومات من اختلافات .. ولما في الجبهة من تعدد قيادات ! ..

وبعد كارثة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ظهرت المنظمات الفدائية الفلسطينية بقوة ، واخذت تعمل ضد اسرائيل بشدة ، واوجدت لنفسها مكاناً مرموقاً لدى الشعوب العربية وحكوماتها ، كما تقدم ذكر ذلك ، واخذت سلطات معينة في دول عربية ، تكيد لها وتعمل على تصفيتها .. وحدثت « المجزرة » في الاردن فأدت الى تفكك الجبهة الشرقية وشللها ..

وبقي القتال ضد العدو الغاصب اقليمياً ، حتى بعد مرور ثلاث سنوات على الكارثة. وانك لتزور العواصم العربية غير القاهرة وعمان ودمشق ، فلا تشعر بوجود حرب بين اسرائيل والبلاد العربية ، بل تشعر ان السكان ، في تلك البلاد العربية ، غير شاعرين بحقيقة الخطر الداهم على العالم العربي اجمع ، وانهم يعيشون وكأن لا حرب في العالم العربي ، وكأن القدس والحرم الشريف ومناطق عربية كبيرة لم يحتلها عدو شرس مبغض للأمة العربية وللأمم الاسلامية ! ..

ولا شك ان الدفاع عن الوطن العربي ضد اطماع الطامعين فيه وبخيراته ، واسترداد ما اغتصب منه ، يتطلب تحويل القتال مع اسرائيل من قتال اقليمي الى قتال قومي عربي ..

وبينما كانت هناك جهود مبذولة في هذا السبيل ، فوجيء العالم العربي يوم ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٠ بقبول سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، مقترحات روجرز المؤدية الى اجراء تسوية سلمية مع اسرائيل حسب قرار مجلس الامن .. وقد اثبت في فصل سابق اسباب القبول ، والآثار القانونية والسياسية التي تصيب القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني نتيجة لتحقيق التسوية السلمية بموجب قرار مجلس الامن ، والثمن الباهظ الذي يدفعه العرب مقابل انسحاب اسرائيل الكلي او الجزئي ، الذي جاء ذكره في قرار مجلس الامن ذاته ..

ومهما تكن نتائج المفاوضات بين مصر والاردن من جهة ، وبين اسرائيل من جهة

ثانية ، فان الاتفاق بينهم لا يزيل خطر اسرائيل على البلاد العربية مطلقاً .. واخطارها القادمة اشد فداحة مما شهدناه منها حتى اليوم .. ولن يوقف اسرائيل عند حدها الا مجابهتها بقوة عربية مشتركة لا تستطيع اسرائيل التغلب عليها ، واختراق جبهاتها .. وما اعرضه في هذا الفصل من ضرورة ايجاد عمل مشترك ، امر ضروري وحيوي للبلاد العربية جميعاً وللامة العربية كلها ، على الرغم مما قد يتم من تسوية سلمية بين اسرائيل وبلاد عربية .. فكيف يكون العمل المشترك العربي ؟ ..

— ٣ —

الحلف العسكري العربي

زرت خلال سنتي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ معظم العواصم العربية في آسيا وافريقيا . وتحدثت الى رؤساء دول ومسؤولين ، وفي الاذاعات ومع جماهير ، وفي اجتماعات خاصة جمعت مثقفين وسياسيين ، وفي صحف مختلف تلك البلاد ، عن الوضع الغريب الذي يقفه العرب تجاه الاعتداءات الاسرائيلية المتتابعة لتحقيق اهداف خطيرة في البلاد العربية .. وبينما الامة العربية تهاجم في قلب بلادها وتنتزع منها اقسام واسعة ، ويقتل كثيرون من ابنائها ، ويشتت آخرون عن ديارهم ، تقف البلاد العربية كأنها مشلولة ، لا تأتي بعمل ايجابي مشترك ، لوضع حد لتلك الاعمال ، ولإعادة الاوطان ! .. وقد شرحت ما ينبغي عمله .. وكان كثيرون يستغربون معي ذلك الموقف المزري ، ويؤيدون ما ذكرت من خطة .. والبعض يحاول التبرير والتأويل ..

ليس بصحيح ان اسرائيل اقوى من الدول العربية . ولكن في اسرائيل روحاً وطنية ، وان كانت قائمة على الاعتداء ، وفيها ارادة متينة مصممة على تحقيق اهداف الصهيونية .. ونحن في كثير من بلادنا نفتقر الى تلك الروح الحافزة وتلك الارادة الخالقة .. وفي اسرائيل حكومات متعاقبة تعمل منذ البداية لتكوين قوة ضاربة تحقق اهدافها التوسعية في البلاد العربية .. بينما حكوماتنا لاهية بأمور جانبية تؤدي الى التباعد والضعف .. وفي اسرائيل قادة همهم الاول والاخير خدمة دولتهم وتحقيق اهدافها .. وفي كثير من بلادنا مسؤولون همهم الاول والاخير جمع المال ، بكل الوسائل ، وتخزينه في المصارف الغربية ، ومحاربة الآخرين من مسؤولين مخلصين او وطنيين صادقين .. واسرائيل بلد صغير في

حجمه غير انه يستغل جميع موارده وطاقاته مستعيناً بالموارد اليهودية العالمية وطاقاتها ، ويحشد كل ذلك ، ضد العرب للقضاء على مكانتهم وسلب اجزاء من بلادهم والسيطرة على مواردهم .. والبلاد العربية شاسعة وطاقاتها البشرية والمالية والاقتصادية كبيرة عظيمة لم يستغل منها حتى الآن سوى الجزء القليل اليسير في رد العدوان ، والعمل لاستعادة الاوطان ..

والحكومات الاسرائيلية المتعاقبة جعلت ، لتحقيق قوتها الضاربة ، كل اسرائيلي في سن ما بين ١٨ و ٥٠ سنة من الرجال والنساء جندياً في تلك القوة ، وانشأت البنين والبنات في المدارس على الجندية ، واقامت مجتمعها كله عليها .. واوجدت نظاماً اقتصادياً قائماً على حرمان الفرد من ترف الحياة ، بينما خصصت معظم موارد الدولة لميزانية الجيش .. ووضع اسرائيل الجغرافي قد جعل منها معسكراً واحداً ، يساعد على جعل القوة الاسرائيلية على اهبة الاستعداد لدخول غمار الحرب خلال ٢٤ ساعة بقيادة واحدة .. وهذا الوضع يعطيها تفوقاً عسكرياً على القوى العربية المتفرقة في بلاد متعددة شاسعة ، تحتاج الى اسابيع لأن تتجمع وتصبح على اهبة القتال .. وقبل ان تقوم بذلك ، تكون اسرائيل قد ضربت القوى العربية المتفرقة القريبة منها ، وحالت دون تمكين قوى الدول العربية الاخرى من الاشتراك في القتال ، بضربها لها وهي في الطريق .. كما حدث ايام كارثة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

والدول العربية ليست بحاجة الى تجنيد جميع من هم في سن ما بين ١٨ و ٥٠ سنة من ابنائها ، ولكنها جميعاً بحاجة قصوى الى ادخال التجنيد الاجباري ، على ان يكون عاماً شاملاً جميع ابناء الأمة الذين هم في سن الجندية ، وان ينفذ تنفيذاً صحيحاً كما هو واقع في البلاد العصرية .. والتجنيد الاجباري فيه فوائد عديدة لا تنحصر في تكوين الجيوش ، ولكن تتعداه الى تكوين خلق الرجولة والوطنية ، ان احسن تثقيف الجنود تثقيفاً وطنياً صحيحاً ..

والدول العربية بحاجة شديدة الى تنظيم اقتصادها تنظيماً يخدم القوة العسكرية المدافعة عن الوطن العربي ، وحقوق العرب في بلادهم . وهذا موضوع مهم جداً ، اكتفي بذكره ولا أدخل في تفاصيله .

ان البلاد العربية جميعاً تشكل وطناً واحداً هو الوطن العربي . والعرب جميعاً شعب واحد هو الشعب العربي ، ومنه تتألف الأمة العربية .

وهذا الوطن ، وهذه الامة ، يجابهان غزواً واحتلالاً لاقسام كبيرة من الوطن العربي

وافناء وتشريداً لعدد كبير من أبناء هذه الامة .. ومقاومة المعتدي ووضع حد لاعتداءاته واستعادة الاراضي المحتلة ، والحقوق المغتصبة للمشردين من ابنائها ، لا يجوز ان يكون عملاً اقليمياً يقع على ابناء البلاد المعتدى عليها وحدهم ، وانما ينبغي ان يكون عملاً قومياً من واجب جميع البلاد العربية وابنائها ، ابناء الامة العربية الواحدة ، القيام به ، وان كان العبء الكبير يقع على كاهل ابناء البلاد التي احتلت كلها او اجزاء منها .. واشتراك البلاد العربية في الدفاع عن الوطن العربي ، والنضال ضد المعتدي ، ينبغي ان يكون على اسس متينة علمية عملية . وقبل بيان ذلك اذكر ما جرى في اوروبا ، في ظروف اقل خطراً من الخطر الواقع على الوطن العربي الذي تواجهه الامة العربية :

فبعد الحرب العالمية الثانية ، شعرت الدول الاوروبية الغربية ودولتا امريكا الشمالية — كندا والولايات المتحدة الامريكية — انها ان بقيت غير متكاتفة ، فان الخطر السوفياتي واقع على بلاد اوروبا الغربية . فعملت جميعاً معاً لدرء ذلك الخطر ، الوهمي او المحتمل الوقوع . وكان عملها عملاً ايجابياً قوياً ، اشتركت فيه باراداتها الحازمة وقواتها المتنوعة . وكان عملها ايجاد حلف عسكري قوي فيما بينها لدرء الخطر الذي قد يقع ، واوجد هذا الحلف قوة عسكرية جديدة ، مستقلة عن القوات العسكرية في كل دولة ، تحت قيادة واحدة ، وانظمة واحدة .. واطلقت عليه اسم « حلف الاطلسي » ، واصبح كياناً عسكرياً مستقلاً ، للدول الاعضاء فيه مبعوثون ديبلوماسيون . وليظهروا جدهم في العمل عينوا الجنرال ايزنهاور قائداً عاماً لقوات الحلف .. وفي الواقع أن حلف الأطلسي كان عامل استقرار ورخاء لدول اوروبا الغربية .. وتم لتلك الدول ما ارادته ، مع انها دول من اجناس مختلفة ، كانت متعادية متحاربة خلال قرون ، وكانت لها مآرب واهداف متنوعة متضاربة .. ومع ذلك اتحدت وتحالفت تجاه خطر موهوم قد يقع ..

والدول العربية لا تجابه خطراً قد يقع ، وانما هو خطر واقع . فقد انشئت دولة اجنبية عدوانية محاربة في قلب بلادها .. واحتلت اقاليم واسعة من اراضيها .. والخطر المستمر لا حدود له ، مهما وقعت دول عربية مع اسرائيل من اتفاقات .. فقوة حب البقاء تتطلب من الدول العربية تحويل المجابهة مع اسرائيل ، الحالية او المقبلة ، من مجابهة اقليمية الى مجابهة قومية عربية .. وهذا يوجب على الدول العربية تحقيق العمل العربي تجاه الخطر الاسرائيلي المفني .. والعمل العربي المشترك يكون في امور عديدة ، اهمها واولها ايجاد حلف عسكري على غرار حلف الاطلسي ، تنشأ عنه القوة العربية الرادعة الضاربة ..

والحلف العسكري العربي يتطلب ان تشترك فيه جميع الدول العربية ، اذ الخطر عليها جميعاً ، ولو لم تأخذ بعين الاعتبار ان البلاد العربية وطن واحد .. وان لم يكن في الإمكان إنشاء الحلف الشامل الآن ، فلا يجوز تأخيركل ذلك ، بل يمكن إيجاده من الدول العربية التي توافق عليه ، فيظهر للأمة العربية من يريد العمل للدفاع عنها ومن لا يريد..

والدفاع عن الوطن العربي من اخطار اسرائيل يتطلب ان تكون الخطوط العربية المحيطة باسرائيل جبهة عربية واحدة ، وقوة الحلف العسكري العربي تحت قيادة عربية واحدة مؤلفة من خيرة الرجال العسكريين في البلاد العربية ، يرئسهم قائد مشهور له بالمقدرة والكفاءة والجرأة والنزاهة والاخلاص .. وان يكون لقيادة الحلف العسكري العربي سلطة واسعة في اتخاذ الاجراءات اللازمة السريعة لرد اي اعتداء اسرائيلي على اي قسم من البلاد العربية .. دون انتظار التعليمات من مختلف العواصم العربية ..

ونرى ان يكون لباس افراد قوات الحلف واحداً ، وتمريناتهم العسكرية واحدة ، واسلحتهم من نوع واحد قدر المستطاع في البداية ، وان يكون افراد هذه القوة العربية الآتية من بلاد عربية متعددة مندمجين معاً ، مع الوقت ، في جيش واحد كأنهم من قطر واحد ، ليكونوا جيش الأمة العربية ..

اما عدد هذا الجيش فينبغي الا يقل عن مليون جندي ، تحت السلاح الكامل من بري وجوي وبحري ، بالاضافة الى ما يكون في البلاد العربية من جيوش اخرى تحت قيادة حكوماتها .. ومن الضروري ان يتمركز نصف مليون من قوة الحلف العسكري العربي في خطوط الدفاع حول اسرائيل ، في الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا ولبنان ، وان تعمل في وقت واحد حين اعتداء اسرائيل على اي بلد عربي من البلاد العربية ، فلا تستطيع يومئذ مباغتة العرب وقواهم غير مجتمعة .. وان يتمركز نصف المليون الثاني ، في خطوط دفاعية ثانية ، كاحتياطي على اهبة الاشتراك في المعركة حين الحاجة..

ومن الامور الاولية العاجلة التي على الدول العربية القيام بها كعمل عربي مشترك ، حتى قبل انشاء الحلف العسكري العربي ، هو وضع الطيران العربي الحربي تحت قيادة عربية واحدة وبأقرب وقت . ان اسرائيل تقوم يومياً بارسال ما بين ١٥٠ و ١٨٠ من طائرات الفانتوم والسكاي هوك الامريكية الصنع ، لضرب الجبهة الغربية[1] ، وايقاع

---

(١) الرقم مأخوذ من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذي القاه في طرابلس الغرب في ٢٢ - ٦ - ١٩٧٠ « ... اننا في مصر نقاتل باستمرار . ان المعركة مستمرة . ان اخوتكم في جبهة القتال يتعرضون لغارات يومية من ١٥٠ طائرة او ١٨٠ طائرة . هذه الطائرات هي طائرات فانتوم وسكاي هوك امريكية . هذه الطائرات لم تكن عند اسرائيل قبل العدوان لكن اسرائيل استلمتها من الولايات المتحدة سنة ١٩٦٩ . »

اكبر الخسائر ، الممكن ايقاعها ، في الجبهة المصرية ، لاضعاف معنويات مصر ، وحملها على الخروج من القتال .. واسرائيل والدول الامبريالية تعتقد انه ان خرجت مصر من القتال ، بأي شكل من الاشكال ، تمكنت اسرائيل والدول الامبريالية حليفتها من الحصول على ما تريد من الدول العربية الاخرى من اراض ، ومن وضع ايديها على خيرات العالم العربي كما تشاء ودون قتال ..

ولو ان اسرائيل ترى ان في الجبهة الشرقية طيراناً يستطيع ضرب حيفا وتل ابيب واماكن الصناعات الاسرائيلية في الجليل ، وما بين عكا وحيفا ، بسرعة وسهولة ، لما اقدمت على ضرب مصر بما يزيد على ١٥٠ طائرة يومياً .

والعربي ، وكل من يريد للعرب خيراً ، يستغرب موقف العرب السلبي ويتساءل لماذا لا يهاجم الطيران العربي اسرائيل من الجبهة الشرقية ؟ لماذا ؟ هل خوفاً من رد الفعل الاسرائيلي ؟ هل نحن في حرب ام في مناورات عسكرية نريد بها تضليل الرأي العام العربي وايهامه بأن بلاد الجبهة الشرقية في حرب مع العدو ؟ الحرب حرب ، وعلى المحارب فيها ان يتوقع الضربات من العدو ، وان يوقع به اشد الضربات .. ورد الفعل الاسرائيلي يكون شديداً عندما ترى اسرائيل ان العرب غير جادين في قتالهم معها ، وخاصة ان بلاد الجبهة الشرقية غير محصنة التحصين اللازم ..

ونقطة الضعف هذه في الجبهة الشرقية ينبغي ان تزول ، سواء تم اتفاق مع اسرائيل ام لم يتم .. واولى الاعمال لزوالها هو توحيد سلاح الطيران العربي تحت قيادة عربية واحدة ، وتحسين المطارات في الجبهة الشرقية ، وايجاد مطارات اخرى عسكرية حديثة النوع حصينة .. وزيادة قوة الطيران في هذه الجبهة ، وتحصين المدن ضد الغارات الجوية ..

وطبعاً لن نعدم من يقول : اين هم الطيارون القديرون على الاغارة على اسرائيل؟!

مما لا شك فيه ان في اسرائيل طيارين قديرين . ولا ينبغي ان نجهل انهم ليسوا جميعاً من الاسرائيليين ، بل منهم الامريكان والانكليز الماهرين في القتال الجوي .. وقد عملت امريكا ، بسلطتها التنفيذية والتشريعية ، على تقنين هذا الوضع المخالف للقانون الامريكي بالنسبة الى الامريكيين العاملين في القوات الاسرائيلية ، فقررت ان في امكان الامريكان العمل في القوات الاسرائيلية المسلحة دون ان يفقدوا جنسيتهم الامريكية . !

وللدول العربية دول صديقة من دول اسلامية ومن دول اخرى كبيرة. وفي باكستان

طيارون مسلمون ماهرون ، وفي الاتحاد السوفياتي طيارون بارعون وكذلك في الصين ، وبين هؤلاء مسلمون . ومن حق العرب ان يقبلوا مع الشكر ، ضمن صفوفهم الطيارين المتطوعين ، من مسلمين وغير مسلمين ، جميع الطيارين الذين يريدون تأييــد العدل بمساعدة العرب وصد العدوان .. ان ما هو جائز لاسرائيل ينبغي الا يظل غير جائز للعرب .. نحن في حرب مصيرية ، وعلينا ان نضع يدنا بيد كل من يريد مساعدتنا .. دون التفكير في شيء غير النصر ..

فتوحيد الطيران العربي ، بقيادة عربية واحدة ، واستعمال مطارات الجبهة الشرقية ضد اسرائيل ، امر حيوي من الضروري تحقيقه في اقرب وقت لردع العدوان وتأمين النصر ، في ايامنا افضل منه في ايام ابنائنا ..

واني لموقن انه ، عند تحقيق الحلف العسكري العربي وقوته الرادعة الضاربة ، لا تعود اسرائيل تتخذ اعمال الفدائيين اعذاراً لتبرير اعتداءاتها يومياً ، وارسال حملات تأديبية الى البلاد العربية .. وعندئذ تضغط الدول الكبرى والرأي العام الدولي عــلى إسرائيل .. وعندئذ ترى اسرائيل ان ليس في امكانها المحافظة على ما احتلت من بلاد عربية بالقوة ، وان مصلحتها ، تجاه القوة العربية المشتركة ، عدم المخاطرة ، فتزيــل آثار عدوانها ، وتعيد الحقوق العربية التي اغتصبتها في فلسطين .. وان لم تقم بذلك من تلقاء نفسها ، تحققه الاعمال الفدائية والحلف العسكري العربي ..

ان الرأي العام الدولي لا يحترم الا القوة ولا يضغط الا على الضعيف .. وبايجاد الحلف العسكري العربي ، وقوته الرادعة الضاربة ، تسترد الدول العربية مكانتها في العالم ، وتسمع كلمتها في الاوساط الدولية ، اذ ان قوة السياسي والدبلوماسي مستمدة مما لدى بلاده من قوة عسكرية ..

ان الحلف العسكري العربي ، بقواه الرادعة الضاربة ، هو حجر الزاوية في بناء عظمة الامة العربية في المستقبل ، ونخشى دونه ان تحقق اسرائيل اطماعها في البــلاد العربية ، وتصبح المدينة المنــورة ضمن اسرائيل ، وقبر النبي محمد عليه صلوات الله وسلامه تحت الحراسة اليهودية ، كما هو الحرم الشريف بالقدس اليوم ، او استعمال اليهود لمسجد النبي كنيساً كما هو الآن وضع الحرم الابراهيمي بالخليل ! .. فان قبــل مسؤولون بهذه الحالة ، بوقوفهم الموقف السلبي من العمل العربي المشترك ، فان الامة العربية لن تقبل بهذه الاوضاع ، وستعمل على اتخاذ جميع الاجراءات الكفيلة بازالة آثار

العدوان واعادة الحقوق في الاوطان ، وبالمحافظة على الكيان العربي في جميع البــلاد العربية ، وفي جميع الاوقات ..

والى جانب ايجاد القوة العسكرية العربية المشتركة ، والقوة الفدائية الموحدة ، ينبغي تدريب كل قادر على حمل السلاح من سكان البلاد العربية المحيطة باسرائيل ، وتمرينهم على الحرب الشعبية ، وتزويدهم بالسلاح والمعدات اللازمة لذلك عند الحاجة ، ليكون السكان عوناً للجيوش النظامية والقوات الفدائية حينما يتطلب الامر ذلك ، حتى لا يقعوا فريسة سهلة للاعداء ..

هذا ما ناديت بالقيام به مراراً منذ العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .. وسمعت من قال: إن مثل هذا التخطيط يحتاج الى اموال طائلة ليست للدول العربية طاقة به، والى سلاح كثير غير متوافر الآن .

والجواب الواقعي عن ذلك هو :

ان البلاد العربية غنية ، وفيها ثروات طائلة بعضها مستغل والآخر لم يستغل بعد .. وثرواتها الحالية المستغلة كفيلة بانشاء القوة العسكرية التي ذكرت .. ولكن الامر يحتاج الى توافر حسن النية والى التضحيات والتنظيم ، لتتحول المجابهة مع اسرائيل من مجابهة اقليمية الى مجابهة قومية عربية شاملة ، تحشد في سبيلها جميع الامكانات العربيــة من بشرية ومالية واقتصادية ، وتساهم الدول العربية فيها بحسب امكاناتها الصحيحة من رجال ومال وعتاد ..

ثم ان في كثير من البلاد العربية طبقة خاصة ظاهر الترف في عيشها وتصرفاتها بصورة مقيتة ، وان حسن الذوق على الاقل يتطلب غير ذلك .. وإسرائيل قد كونت قوتها العسكرية الضاربة لابأموال المساعدات فقط ، وانما باقامة اقتصاد البلد على التقشف ومنع السكان من البذخ والترف ، لتوفر المال اللازم لتحقيق قوتها الضاربة ، التي قامت بالاعتداء يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧.. فهل الاسرائيليون اكثر وطنية من العرب؟!.. انا لا اعتقد ذلك ، ولكن الفرق هو انه وجدت عند الاعداء قيادات تُذيب خلافاتها في سبيل المصلحة العامة وخدمة ابنائها ، ولا تستغل موارد الدولة في سبيل الثراء الشخصي ..

اما السلاح فالحصول عليه سهل من جهات مختلفة ، او صنعه ، متى وجدت الارادة وأُعد المال ..

اننا الآن في مفترق الطرق . ومستقبل البلاد العربية ومصيرها في يد المسؤولين فيها. فهل هم مشيدون اسس القوة المؤدية الى عظمة الامة العربية ، بايجاد الحلف العسكري العربي والقوة الرادعة الضاربة ، ام ان بعضهم مستمر في السير في السبيل المؤدي الى مستقبل مظلم مميت ؟ ..

* * *

وهكذا تكون مجابهة اسرائيل بالعمل الفدائي وبالعمل العربي المشترك .

ان توحيد المنظمات الفدائية ، وزيادة عدد المناضلين فيها الى مئة ألف مناضل ، وعملها تحت قيادة واحدة ، وتفرغها كلياً للمهمة الوحيدة التي وجدت لتحقيقها ، يمكن العمل الفدائي من ايقاع الضربات الصارمة باسرائيل المغتصبة .. وبالتالي الى الوصول الى ما يحقق الغاية ..

وان قيام الدول العربية بعمل مشترك ضد اسرائيل يجعل المجابهة معها قومية لا اقليمية ، وذلك بانشاء حلف عسكري عربي ، له قوة رادعة ضاربة من مليون مقاتل ، تُحشد لها جميع امكانات البلاد العربية ، وتحيط باسرائيل من جميع جهاتها ، فيؤدي ذلك الى ازالة جميع آثار العدوان سلماً او بالقوة .. ودون دفع ثمن ..

وان ايجاد التعاون الذي لا بد منه ، بين القوة الفدائية التي تضرب داخل اسرائيل ، والقوة العسكرية الرادعة الضاربة التي تحيط باسرائيل ، يضطرها عندئذ الى الامتناع من اعمالها العدوانية ضد الدول العربية . اذ ترى ان اي عدوان على جهة من الجهات العربية يؤدي الى ضرب قوات الحلف العسكري لها من جميع الجهات ، وانها لا قبل لها بمواجهة تلك القوات .

ثم ان وجود القوتين ، قوة الثورة الفلسطينية ، وقوة الحلف العسكري العربي ، وتعاونهما معاً تعاوناً وثيقاً خالصاً ، يؤديان حتماً الى ازالة جميع آثار العدوان واخطار الصهيونية ، والى تأمين جميع حقوق اهل فلسطين في وطنهم العزيز الذي لا يمكن القبول ببديل منه ..

اما القول بأنه يمكن القضاء على اخطار اسرائيل ، وازالة آثار العدوان ، وتأمين حقوق اهل فلسطين في وطنهم ، بالاعمال الفدائية وحدها ، وبعبارة اخرى بحرب

التحرير الشعبية فقط ، دون تعاون القوات النظامية معها ، فأقل ما يوصف به انه لا يتخذ الاوضاع الصحيحة في اعتباره ، ولا يوصل الى الهدف المنشود .. وقد قال الرئيس معمر القذافي ، في خطاب ألقاه في مهرجان كبير في دمشق يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، « ان اطلاق شعار حرب التحرير الشعبية خطأ كبير . واستراتيجية اعتماد حرب التحرير الشعبية على الصعيد العربي كله استراتيجية خاطئة . هي صحيحة فقط بالنسبة الى الفلسطينيين الذين فقدوا الارض والوطن . ان الدور الفعال في هذا المجال يعود الى الجيوش العربية النظامية » . واوضح الرئيس القذافي « ان حرب التحرير الشعبية تصبح ضرورة حين يتحتم علينا مجابهة قوى خارجية كالولايات المتحدة ، في حال تدخل القوات الامريكية مثلاً لاحتلال الوطن العربي من اجل حماية الكيان الصهيوني »[1] .

ان فلسطين جزء من البلاد العربية ، وقضيتها جزء من القضية العربية ، وحل قضية فلسطين بما فيه مصلحة اهلها ومصلحة العرب ايضاً ، انما يكون بأعمال ابنائها الفدائية ، واعمال الجيوش العربية الموحدة ضد اسرائيل والصهيونية ، عدوة العرب اجمعين ..

ومهما يكن من تقلب الظروف والاحوال ، وما ستأتي به من حل لآثار العدوان والقضية الفلسطينية ، فان تقوية الثورة الفلسطينية ورجالها الفدائيين العاملين ، وايجاد الحلف العسكري العربي وقوته الرادعة الضاربة ، هما الضمان الوحيد لمستقبل اطيب للامة العربية .. ومما لا شك فيه انه ما دامت الصهيونية موجودة في الشرق العربي ، ومهما كانت الحلول التي تبقي على اسرائيل الصهيونية ، فان اسرائيل ستعود الى الاعتداء بغية تحقيق اهدافها التي كثيراً ما ذكرتُها في صفحات هذا الكتاب .. واسرائيل ليس لها حدود كما اعلن رجالها مراراً ، انما حدودها هي تلك التي لا تستطيع اختراقها .. او الحدود التي يفرضها العرب ..

وإلى جانب الخطر الصهيوني ، الذي تم بحثه ، يقوم خطر آخر يترقب العرب في اقليم من اغنى الاقاليم العربية ، هو اقليم الخليج العربي ، وموضوعه ليس موضوع هذا البحث . ومع ذلك فإن ايجاد الحلف العسكري العربي وقوته الرادعة الضاربة ، يجعلان المتربصين بالاعتداء على هذا الاقليم ، للاستيلاء على ثرواته ، يعدلون عن نواياهم .. فيظل اقليم الخليج العربي اقليماً عربياً ، وتظل ثرواته لابنائه العرب ..

---

(١) جريدة النهار في ٧ – ٦ – ١٩٧٠ .

— ٤ —

جهود بذلت ومؤتمر طرابلس

بذل مسؤولون جهوداً متنوعة ، في اوقات مختلفة ، لجمع شمل القوى العربية ، بصورة من الصور لتقوية الجبهة العربية ، ولمجابهة الاعداء في صف قوي . وادت تلك الجهود الى بعض النتائج ، غير انها لم تأت بالنتائج المطلوبة ، التي تمكن من وضع حد للاعتداءات الاسرائيلية ، ومن استعادة البلاد المغتصبة ..

وقام العقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء الليبي بجهود مشكورة ومساع حميدة لجمع الشمل العربي . والرئيس القـذافي شاب وطني مؤمن بالامة العربية ، وبما ينبغي ان يكون لها من مستقبل عظيم ، وبأن الوحدة العربية تؤمن ذلك المستقبل . وللوصول الى النصر على العدو نادى بتحويل القتال مع اسرائيل من قتال اقليمي الى قتـال قومي عربي شامـل ، اذ ان القضية مع اسرائيل ليست قضية الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، ولا قضية البلاد العربية المحيطة باسرائيـل وحدها ، وانما هي قضية العرب اجمعين ، بمـا فيهم الفلسطينيون اصحاب الوطن الفلسطيني المغتصب ..

ولتحقيق ذلك وضع له خطة ، واخذ يجوب بعض البلاد العربية حاثاً اياها على تبني خطته والعمل بها . وارسل وزير خارجيته السيد صالح مسعود ابو يصير الى دول عربية اخرى للغاية نفسها .

ففي ٢٩ ايار (مايو) ١٩٧٠ ، ابتدأ الرئيس القذافي بزيارة الجمهورية العربية المتحدة والعراق والاردن وسوريا ولبنان ، دامت خمسة عشر يوماً ، متحدثاً مع المسؤولين عن خطته ، حاثاً على تحقيقها ، خدمة للامة العربية وسلامة ابنائها في بلادهم .. وكان السيد صالح مسعود ابو يصير قد ذهب في ٢٨ ايار (مايو) الى المملكة العربية السعودية والكويت واليمن واليمن الجنوبية وابو ظبي وقطر ، للغاية التي زار من اجلها الرئيس القذافي تلك البلاد العربية الاخرى .

المشروع العراقي الليبي

وقد نالت جهود الرئيس معمر القذافي نجاحاً في العراق . ففي بغداد وضع مـع

الرئيس احمد حسن البكر « المشروع العراقي الليبي » المتضمن خطة الرئيس القذافي التي ايدها العراق وكان ينادي بما يماثلها ايضاً . والمشروع يعكس وجهة نظر القطرين العربيين العراقي والليبي ، في قضية المواجهة مع اسرائيل وتأمين سلامة القضية الفلسطينية . ووقع الرئيسان المشروع العراقي الليبي يوم ٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، المتضمن اثني عشر بنداً .

وللمشروع وجهة نظر قائمة على اساسين :

اولهما « ضرورة تحديد الهدف في اتجاه التحرير الكامل للارض العربية المغتصبة ، ووضع استراتيجية لتحقيق هذا الغرض تعتمد (التعرض) بدلاً من الصمود (الدفاع) على اعتبار ان الهجوم هو افضل وسائل الدفاع » .

وثانيهما « ان الامكانات العربية على مختلف اشكالها قد بلغت حداً لا يستهان به مما يوجب اعادة النظر في الاستراتيجية التي اعتمدت منذ النكسة وما زالت سارية المفعول على الرغم من تغير الظروف السياسية وتطور الامكانيات العربية » .

واقترح المشروع الاجراءات الموصلة الى ذلك في اثني عشر بنداً موجزها :

توجه الدعوة الى العراق ومصر وسوريا والاردن وليبيـا والسودان والجزائر ، للاجتماع في ليبيا لتدارس الموقف العربي الجديد وهو « التعرض من اجل التحرير الكامل » ، وحشد طاقات وامكانات كل قطر عربي ، وان يعهد الى رؤساء الاركان وضع خطط التعرض وتقدير حاجات المعركة ، ويعاد النظر في خطة الحشد وفق خطة التعرض ، واعتبار الارض العربية ساحة معركة واحدة تنتقل فيها الجيوش العربية دون عوائق اقليمية ، وتشكيل قيادة عسكرية عليا واحدة ، وتخويل الرؤساء او من ينوب عنهم إجراء الاتصالات اللازمة للموافقة على الالتزامات التي ستفرض على دولهم ، وان تكون القرارات ملزمة للدول المشتركة اذا حازت ثـلثي اصوات الحاضرين ، ويكون الرئيسان بومدين والقذافي حكمين على مواقف الدول المشتركة في هذا الاجتماع ، وبعد اتفاق الدول المدعوة على ما جاء في المشروع توجه الدعوة للدول العربية كافـة للمشاركة في المعركة كل بحسب امكاناتها .

ومما تجدر ملاحظته ان المشروع العراقي الليبي ، يتضمن ثلاثة اسس مهمة :

اولاً — تحويل القتال مع اسرائيل من قتال اقليمي الى قتال قومي عربي تشترك فيه جميع

الدول العربية . وهذا ما نادى به الرئيس معمر القذافي ، وقام بجولته في بلاد عربية ، داعياً الى تحقيقه .

ثانياً — الهدف من القتال مع اسرائيل هو « التحرير الكامل للارض العربية المغتصبة » ، اي تحرير الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وما سبق ان اغتصبته من فلسطين ، لا إزالة آثار عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ فقط . والمشروع لا يفرط في قضية فلسطين مطلقاً . وهذا الهدف لا يتفق مع استراتيجية الجمهورية العربية المتحدة لهذه المرحلة ، القائمة على ازالة آثار العدوان لسنة ١٩٦٧، بإجراء تسوية سلمية مع اسرائيل بحسب قرار مجلس الامن ، او بالقتال ان ظلت اسرائيل ترفض تنفيذ قرار مجلس الامن ..

ثالثاً — اعتبار جميع الاراضي العربية ساحة معركة واحدة ، بقيادة عليا واحدة ، على خلاف الوضع الذي كان موجوداً وفيه جبهتان شرقية وغربية .

موقف مصر من المشروع

وفي عيد جلاء امريكا عن قاعدة « عقبة » — ويلس — ما بين ٢٠ — ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، عقد رؤساء الوفود المجتمعون في طرابلس مؤتمر قمة لدول المجابهة مع اسرائيل ، في ٢١ و ٢٢ حزيران (يونيو) . وكانوا رؤساء خمس دول هي : ليبيا ومصر والاردن وسوريا والعراق ، كما حضر مندوب عن الرئيس الجزائري وآخر عن الرئيس السوداني . اما رئيس لبنان فقد حضر الاحتفالات ولم يحضر اجتماعات دول المجابهة لان لبنان ليس منها ..

وقبل ذكر ما جرى في مؤتمر القمة من بحث في الامور العسكرية ، لا بد من الاشارة الى انه في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ كان المستر روجرز وزير الخارجية الامريكية قد ارسل اقتراحات الى وزراء خارجية كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل . وكانت الحكومة المصرية قابلة بما جاء فيها ، اي ايقاف اطلاق النار واجراء تسوية سلمية مع اسرائيل بحسب قرار مجلس الامن ..

والغاية من توقيت تقديم اقتراحات روجرز ، قبيل عقد مؤتمر طرابلس هي نفس الغاية التي جعلته يقدم اقتراحات سابقة الى مصر والاردن قبيل عقد مؤتمر القمة الخامس الذي عقد في الرباط في ٢١ — ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، وهي ايقاع انشقاق في الصف العربي لاضعافه ولتسهيل حل النزاع الاسرائيلي العربي لما فيه مصلحة اسرائيل.

وان كان روجرز لم ينجح النجاح كله في اقتراحاته ايام مؤتمر الرباط فقد نجح بما هدف اليه من تقديم اقتراحاته قبيل مؤتمر طرابلس ..

وعرض الرئيس معمر القذافي ، في مؤتمر المجابهة الذي عقد في طرابلس ، نتيجة الجهود التي بذلها في اثناء زيارته لبلاد عربية ، ونتيجة زيارة وزير خارجيته لبلاد عربية اخرى ، تلك الزيارة التي كان هدفها تحويل القتال مع اسرائيل من قتال اقليمي الى قتال قومي عربي .. وقدم « المشروع العراقي الليبي » وشرح مضمونه ، الذي يعبر عما استهدف الوصول اليه من زيارته لبلاد عربية .. على ان سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لم يقبل المشروع .. وجرى جدل بين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر وفخامة الرئيس احمد حسن البكر حول الموضوع ..

وقد اوحت صحف عربية ، بعد اجتماعات طرابلس ، الى الرأي العام العربي ، ان المشروع عراقي ، ولم تشر مطلقاً الى انه مشروع الرئيس القذافي كما هو مشروع الرئيس احمد حسن البكر .. وأنه غير عملي وحزبي ، لا يهدف الى المصلحة العربية ..

وكان رفض سيادة الرئيس جمال عبد الناصر للمشروع العراقي الليبي ، يتمشى مع الستراتيجية المصرية ، التي تهدف الى ازالة آثار عدوان حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، بحسب قرار مجلس الامن الذي قبلته مصر اثر صدوره في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، ولكن ليس الى القتال حتى تحرير جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل قبل ١٩٦٧ . وبما ان اقتراحات روجرز تحقق ازالة آثار العدوان ، فلم يعد من حاجة ، بالنسبة الى الستراتيجية المصرية ، الى حرب اسرائيل اذا هي نفذت ما جاء في القرار ..

اذن ، لم يدرس مؤتمر طرابلس المشروع العراقي الليبي .. بل فكر في احاطة العدو بثلاث جبهات عربية . واحال الفكرة على مجلس الدفاع المشترك الذي يضم وزراء الخارجية والدفاع للدول السبع التي اشتركت في هذا المؤتمر .. ثم عقد مجلس الدفاع المشترك لدول المواجهة مؤتمره في طرابلس يوم ٤ و ٥ آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، فحضره وزراء خارجية ودفاع خمس دول عربية من دول المواجهة السبع التي حضرت مؤتمر القمة في طرابلس ، وتغيب عنه العراق والجزائر ، واتخذ قرارات ابرزها انشاء جبهة شمالية من القوات المسلحة السورية ، وجبهة شرقية من القوات المسلحة الاردنية ومعها العراقية والسعودية المرابطة في الاردن ، على ان تنسق هاتان الجبهتان عملهما مع قيادة الجبهة الغربية التي تمثلها القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، وعلى ان تعمل الجبهات الثلاث وفق تخطيط عام موحد يصدر عن القيادة العليا للجبهة العربية التي تقرر ان يكون

مقرها القاهرة ، وان يكون قائدها الفريق اول محمد فوزي[1] . وتقسيم الجبهة الشرقية الى جبهتين شمالية وشرقية كان سعياً وراء ازالة الشلل الذي رافق الجبهة الشرقية بسبب الخلاف القائم بين الحكومات المشتركة فيها ..

وقال الملك حسين « انه تم الاتفاق في مجلس الدفاع الذي عقد اخيراً في طرابلس ، على ان يمارس القائد العام للجبهتين الشرقية والغربية مهماته وسيطرته من خلال قيادته التي تضم نخبة من ضباط الاركان تمثل الجيوش العربية وعلى ثلاث جبهات هي : جبهة الجمهورية العربية المتحدة (الغربية) ، وجبهة الجمهورية العربية السورية (الشمالية) ، والجبهة الاردنية (الشرقية) ، وان توضع كل القوات العربية الموجودة على ارض اي من الدول الثلاث بامرة قيادات الجبهات الثلاث المباشرة »[2] . ومن الجدير ذكره ان جلالة الملك حسين هو القائد العام للجبهة الشرقية الاردنية . وتابع الملك موضحاً : « ان الامر اصبح يدعو الى العمل الفوري لاقامة ترتيب ينظم الوجود العسكري بيننا وبين القوات المسلحة العراقية الشقيقة . وهذا ما نحن ماضون في بحثه »[3] .. وجاء خطاب جلالة الملك بعد ان اعلنت الحكومة العراقية ان قواتها في الاردن تساند القوات الفدائية الفلسطينية وتضع نفسها تحت تصرفها ..

وفي طرابلس لم يذكر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر للمجتمعين انه عازم على اعلان قبوله اقتراحات روجرز والسير في المفاوضات لاجراء تسوية سلمية للنزاع العربي الاسرائيلي .. غير انه في محادثاته الثنائية مع الملك حسين ، والرئيس معمر القذافي ، والرئيس الاتاسي ، اعلم كلاً منهم انه يرى قبول اقتراحات روجرز ووقف اطلاق النار واجراء تسوية سلمية مع اسرائيل على اساس قرار مجلس الامن .. وقد تم تفاهم بين الرئيس الاتاسي والرئيس عبد الناصر على ان تستمر سوريا في رفضها قرار مجلس الامن واقتراحات روجرز التي تعيد الحياة الى ذلك القرار ، تبعا لموقفها السابق من رفض القرار ، ولكن دون ان تعترض على قبول مصر للاقتراحات والسير في المفاوضات لتحقيق التسوية السلمية ..

ويقف المفكر امام هذه الاحداث مستغرباً متألماً . دول عربية ، نادت بالنضال مدة

(١) جريدة الاهرام في ٣١ – ٨ – ١٩٧٠ .
(٢) من خطاب القاه الملك حسين ليلة ٢٩ – ٨ – ١٩٧٠ في الاذاعة والتلفزيون الاردنيين .
(٣) جريدة النهار – بيروت – في ٣٠ – ٨ – ١٩٧٠ .

عشرين سنة لتحرير جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل من فلسطين ومن بلاد عربية اخرى ، وهي الآن تقبل وتنادي بقبول الاعتراف باسرائيل ضمن حدود وخطوط الهدنة القائمة في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتعمل على تحقيق ذلك ، بل قد تقبل بالاعتراف باسرائيل ضمن حدود اوسع من تلك الحدود . وتقف صحف عربية واذاعات وتلفزيونات عربية مؤيدة لموقفها ومباركة لها فيه ..

وان رجع المفكر الى سنين مضت ، حين زار فخامة الرئيس التونسي السيد حبيب بورقيبة الشرق العربي ، سنة ١٩٦٥ ، وحين قال في احدى خطبه انه ينصح بأن تعمل الدول العربية لتسوية النزاع مع اسرائيل على اساس حدود التقسيم ، اي ما هو اقل ب ٢٥٪ من المساحة التي كانت تحتلها اسرائيل ضمن الحدود في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، يرى باستغراب كيف ان المسؤولين والزعماء (ومعهم الصحافة والاذاعات) الذين تهجموا على فخامة الرئيس التونسي يومئذ ، ونعتوه باسوأ النعوت .. هم اليوم القابلون بالاعتراف باسرائيل وباجراء تسوية معها على اساس حدود ٤ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ ، ان لم يكن على اساس حدود اوسع ، وبتصفية القضية الفلسطينية تصفية عملية ، وبالتالي القضاء على الثورة الفلسطينية ونضالها ضد العدو ..

لقد نصح فخامة الرئيس حبيب بورقيبة بما نصح به عن اعتقاده بأن فيما قاله مصلحة العرب ، وان من واجبه ان يصارح اخوانه العرب بما يعتقد ان فيه مصلحتهم .. فثار عليه اناس ورأوا فيما قال تفريطاً في حق الوطن ، وهم اليوم يرون في تسليم كل شيء ضمن حدود ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لاسرائيل والاعتراف بها انتصاراً على اسرائيل وتمسكاً بحق الوطن !..

يتضح لنا من هذا العرض السريع للحوادث والجهود التي بذلت لتقريب وجهات النظر العربية ، وتوحيد الصفوف ، وقيام الدول العربية بعمل مشترك قوي ضد اسرائيل لازالة اخطار الصهيونية ولاعادة الاوطان المسلوبة ، كيف ان اثرها قد زال ، الى حين ، بعرض اقتراحات روجرز ، وقبول دول عربية لها .. مما ادى الى ظهور خلافات جديدة في الصفوف العربية ، يؤسف لها الاسف كله ، لأن في الخلافات بين مسؤولين عرب ، إضعافاً للامة العربية ، وتقوية لاسرائيل التي يكمن سر قوتها في الضعف العربي الناجم عن الخلافات بين المسؤولين .. ان الواجب الوطني القومي العربي يتطلب من جميع المسؤولين في البلاد العربية ترك الخلافات ، التي ما هي الا جانبية امام الخطر الصهيوني ، والعمل معاً باخلاص وقوة لانقاذ الامة العربية من الخطر الصهيوني الافنائي

الذي يهددها في اوطانها ، واستعادة ما اغتصبه العدو من بلاد هذه الامة ، التي مقاليدها ومصيرها بيد قادتها وزعمائها ..

الستراتيجية المصرية

ولا بد لي هنا من ان اذكر انني تحدثت في احد النوادي عن « الاخطار القانونية والسياسية في اقتراحات روجرز وقرار مجلس الامن » ، وبعد الحديث سألني احد الحاضرين :

لو كانت الجبهة الشرقية قوية والدول العربية متعاونة فيها ، هل كانت القيادة المصرية ترفض اقتراحات روجرز وتتابع القتال حتى تحرير جميع البلاد العربية التي اغتصبتها اسرائيل ؟ .

وعندها قلت : للاجابة عن هذا السؤال المهم ينبغي الوقوف اولاً على غاية الستراتيجية المصرية من الصمود واستمرار القتال ، حتى اعلان وقف اطلاق النار ، اثر اقتراحات روجرز :

لقد التزمت السياسة المصرية بعد هزيمة حزيران ، بازالة آثار عدوان اسرائيل في سنة ١٩٦٧ ، لاسباب متنوعة منها ما هو عسكري ، ومنها ما هو سياسي .. ووجهت جميع قواها السياسية والاعلامية والعسكرية نحو هذا الهدف . وقبلت قرار مجلس الامن حين صدوره في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، لأن بين نصوصه نصاً يطالب اسرائيل بالانسحاب من الاراضي المحتلة ، وفي ذلك ازالة آثار العدوان . واتت اقتراحات روجرز ، معيدة الحياة الى قرار مجلس الامن ، وبالتالي الى الامل بازالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ ، بالتسوية السلمية مع اسرائيل . فقبلتها الحكومة المصرية تمشياً مع سياستها المعلنة الهادفة الى ازالة آثار العدوان سلماً او حرباً .. وعليه فان وضع الجبهة الشرقية لم يكن عاملاً اساسياً في تقرير السياسة المصرية وقبولها اقتراحات روجرز ..

وسألتني سيدة سؤالاً آخر :

اذا كان الامر كذلك ، فلماذا كانت القيادة المصرية ، خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، تشدد على القتال ، وتحث الدول العربية على الاشتراك فيه بجميع طاقاتها ، وتشجع الفدائيين على القتال المستميت بكل ما لديهم من قوة ، وتمدهم بالسلاح للقيام بذلك ؟

قلت : ان ذلك من ضمن الستراتيجية المصرية ، القريبة المدى ، التي تهدف الى ازالة آثار العدوان عن طريق الحل السلمي ، بموجب قرار مجلس الامن . واوضحت ما عنيته بما يلي :

ان قرار مجلس الامن يعطي اسرائيل مكاسب كبيرة ، هائلة ، خطيرة[1] ، ثمناً لانسحابها من الاراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧ . غير ان اسرائيل كانت تريد ، اثر انتصارها العسكري في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، نيل تلك المكاسب مع الاحتفاظ بالاراضي التي احتلتها . وعليه لم تقبل بتنفيذ قرار مجلس الامن الذي يطالبها بالانسحاب ، وظلت تراوغ وتقاتل آملة ان ترضخ الدول العربية لمشيئتها بالقوة .. وكانت الحكومة الامريكية تدعمها في موقفها .. واخذت الجمهورية العربية المتحدة تشدد على الصمود والقتال بكل قوة ، وتمد الفدائيين بالسلاح وتسهل لهم وسائل الاعلام ، لتضغط بذلك على اسرائيل ، وعلى الولايات المتحدة الامريكية ايضاً ، مهددة اياها بضياع جميع مصالحها في البلاد العربية ، لتحمل حكومة واشنطن على الضغط على حكومة تل ابيب لقبول تنفيذ قرار مجلس الامن ، الذي يزيل آثار عدوان سنة ١٩٦٧ .. وبعد تطور الاوضاع ، ضغطت الولايات المتحدة الامريكية على اسرائيل لقبول تنفيذ قرار مجلس الامن ، وكانت اقتراحات روجرز ، وكانت المفاوضات ، بواسطة الدكتور يارينك ، لاجراء تسوية بين مصر والاردن من جهة وبين اسرائيل من جهة ثانية ، تؤدي الى عقد معاهدة « سلام دائم » قائم على انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧ ، اي الى ازالة آثار العدوان ، التي عملت الستراتيجية المصرية لتحقيقها ، مقابل « ثمن » تدفعه الامة العربية والقضية الفلسطينية ، جاء ذكره في قرار مجلس الامن .

على ان اقتصار الستراتيجية المصرية القريبة المدى في نضالها مع اسرائيل ، على ازالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ ، لا يؤدي الى ازالتها . لان السياسة الدولية تعمل دائماً على حل الخلافات بين الفرقاء بالوصول الى حلول وسط بين مطالب المتنازعين . وفي ٢٦ — ٨ — ١٩٧٠ شدد مسؤولون كبار في الحكومة الامريكية على انه لا يمكن ايجاد تسوية بين البلاد العربية واسرائيل ما لم يتنازل الجانبان عن شيء من مطالبهما . وقالوا ان افضل ما يمكن ان يرجوه المرء : ليس تسوية يكون كل واحد سعيداً بها بصورة متساوية ، بل

(١) راجع الفصل السابع : الاخطار القانونية والسياسية في اقتراحات روجرز وقرار مجلس الامن .

تسوية يكون كل واحد غير سعيد بها بصورة متساوية[1] . واكدت كولدا مائير ، بصورة قاطعة ، في اذاعة تلفزيونية لها اذيعت في واشنطن بتاريخ ٣٠ – ٨ – ١٩٧٠ ، ان اسرائيل لا تنوي الانسحاب من جميع الاراضي العربية التي احتلتها في حرب الأيام الستة ، وانما من اجزاء منها[2] .. وقال بيغال ألون نائب رئيسة الوزراء الاسرائيلية في ٢ – ٩ – ١٩٧٠ ان الاراضي التي سترفض اسرائيل التخلي عنها ، في حالة الوصول الى تسوية سلمية ، هي حوض وادي الاردن وسلسلة الجبال عبر الضفة الغربية وشرم الشيخ ومنطقة رفح عند مدخل قطاع غزة[3] .

وقال ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية في الاذاعة والتلفزيون الاسرائيليين في ٢٨ – ٨ – ١٩٧٠ مخاطباً العرب باللغة العربية : انه يستحيل اعادة بناء خطوط الواقع غير المستقر الذي انهار في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، لكن في حال السلام فان اسرائيل لا تصبو الى التمسك بجميع المناطق التي سيطرت عليها في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وان الحل الوسط المشرف ممكن وضروري . ! ..

ولما ارادت اسرائيل احراز شرعية وجودها في قلب العالم العربي ، والاعتراف بأن حدودها ، على اقل تقدير ، هي حدود وخطوط الهدنــة في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، خططت استراتيجية حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، واحتلت سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان .. واتى قرار مجلس الامن وضمن لها جوهر ما تريد . ولو انها اقامت استراتيجيتها على مطالبة البلاد العربية بشرعية وجودها والاعتراف بها ، واقامة سلام دائم معها ، دون ان تحتل ما احتلت من اراض ، لما كان لها امل في الوصول الى ذلك ، ولما اصدر مجلس الامن قراره المشهور في محاباته لاسرائيل ..

فالستراتيجية المصرية ، التي لا تهدف الى تحرير ما هو اكثر من الاراضي المحتلة في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، لا توصل الى ازالة آثار العدوان ..

ومهما يكن من امر نتائج المفاوضات الجارية بين دول عربية واسرائيل ، فانها لن تؤدي الى سلام دائم مهما كانت التنازلات العربية لاسرائيل جسيمة ، لان اسرائيل لن تكف عن الاعتداء حتى تحقق مطامع الصهيونية ، في البلاد العربية ، بتحقيق دولــة

---

(١) جريدة النهار – بيروت في ٢٧ – ٨ – ١٩٧٠ .
(٢) جريدة النهار – بيروت في ٣١ – ٨ – ١٩٧٠ .
(٣) جريدة النهار – بيروت – في ٢ – ٩ – ١٩٧٠ .

اسرائيل الكبرى ، من النيل الى الفرات ، والسيطرة على الاقتصاد العربي في الاقطار العربية ..

ان العمل العربي المشترك لإيجاد الحلف العسكري وقوته الرادعة الضاربة امــر ضروري لسلامة البلاد العربية ، ايام السلم مع اسرائيل وايام الحرب معها ، لــرد عدوانها واستعادة الحقوق التي اغتصبتها .. وايجاد الحلف العسكري العربي خير ضمان لسلامة البلاد العربية كما ضمن حلف الاطلسي سلام اوروبا حتى هذه الايام .. وبالاضافة الى ذلك يصبح من اهم اسباب الاستقرار في البلاد العربية ، ضمن اتحادها .

الفصل الحادي عشر

الاتحــــاد العــربي

الاتحاد العربي ضرورة حيوية لمستقبل الامة العربية .. وهو موضوع دعا الى تحقيقه كثيرون ، وعمل له رجال سياسيون .. وكنت من اوائل من دعا اليه ، اذ وضعت سنة ١٩٤٢ فصولاً فيه ، نشرها المرحوم الدكتور احمد امين افتتاحيات في مجلة « الثقافة » . وفي سنة ١٩٤٣ نشرت لي « دار المعارف » في القاهرة كتاباً صغيراً باسم « نحو الوحدة العربية » واعادت طبعه سنة ١٩٤٥ ..

وفي سنة ١٩٥١ ارسل الدكتور فيليب حتي الاستاذ في جامعة برينستون ، رسالة الى « جمعية العلماء الامريكان » في واشنطن ، وهي بمثابة المجمع العلمي الامريكي، عرف فيها الجمعية بكتاب « نحو الوحدة العربية » ، وذكر لهم ان هذا الكتاب ، على صغر حجمه ، كان اهم كتاب له اثر كبير في التفكير العربي بين شبان البلاد العربية .. وقد زارني سكرتير جمعية العلماء الامريكان ، عندما كنت سفيراً للأردن في الولايـــات المتحدة الامريكية ، واطلعني على رسالة الدكتور حتي ، وطلب مني ان ازوده بنسخة من الكتاب ..

واني لست بحاجة الى التوسع في الموضوع في هذا الفصل، لذلك سأتناوله باقتضاب تحت العناوين التالية :

١ ـ الحاجة الى الاتحاد العربي .

٢ ـ عوامل الوحدة السياسية .

٣ ـ انواع الوحدات السياسية او الدول .

٤ ـ كيف يكون الاتحاد العربي؟ .

ـ ١ ـ

الحاجة الى الاتحــــاد العربي

في النصف الثاني من سنة ١٩٦٨ زرت الولايات المتحدة ، واجتمعت الى عدد من رجالات السياسة والادارة والفكر فيها ، وتحدثت اليهم عن حقيقة الاوضاع في الشرق العربي والاخطار المقبلة .. وذهبت لمقابلة احد كبار موظفي الحكومة الامريكية ، وبيننا معرفة ترجع الى ايام عملي سفيراً في واشنطن .. ولما اعلمته سكرتيرته بوجودي في مكتبها خرج من مكتبه ، وهو خالع جاكتته وبالقميص الابيض ، وقدم نحوي فاتحاً ذراعيه لاستقبالي الحار على الطريقة الشرقية ، وله بالشرق العربي معرفة واسعة ، وعلى تاريخه واوضاعه اطلاع دقيق .. فقد عمل سفيراً لبلده في عاصمة عربية .

دخلنا مكتبه فأشار الي بالجلوس على كنبة واسعة غطاؤها من الجلد ، وجلس على كنبة اخرى عن يساري .. رحب بي ثانية قائلاً وهو يربت على كتفي .

اهلاً بك يا يوسف . متى وصلت. لقد كان آخر لقاء لنا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٦ ، عندما زرت بلدنا في اثناء رحلتك حول العالم . كيف كانت تلك الرحلة ومتى انهيتها ؟

اجبت :

كانت رحلتي حول العالم ممتعة جداً ، ومفيدة من الناحية الثقافية ، اذ مكنتني من دراسة اوضاع بلاد آسيا خلال تجوالي فيها ثمانية اشهر .. وكنت اعتزم وضع كتاب عن تلك البلاد اقدمها فيه الى القراء العرب، لاننا في البلاد العربية نعرف الكثير عن الغرب، ولا نعرف سوى القليل عن بلاد آسيا ، قارتنا ، التي هي اكبر قارة في العالم ، وفيها ، كما في مصر ، ظهرت المدنيات القديمة الرائعة التي لا يزال الكثير من حقائقها خافياً عن العالم . وفي ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ اتممت رحلتي التي دامت سنة واسبوعاً . وفي صباح ذلك اليوم كنت في الطائرة متوجهاً الى عمان ، وحين وصلت الطائرة اجواءها أمرت بالعودة الى الكويت ، لاعتداء اسرائيل على المطارات العربية . عدت الى الكويت وبقيت فيها الى ١٩ حزيران (يونيو) ، وهو اليوم الذي اعيد فيه فتح مطار عمان ..

ان الحرب التي شنتها اسرائيل على ثلاث دول عربية ، جعلتني اترك جانباً مشروع وضع كتاب عن آسيا ، ودفعتني الى التفرغ للكتابة عن النزاع العربي الاسرائيلي وقضية

فلسطين ، والتحدث في ذلك مع كل من اقابله . ولهذه الغاية اقوم هذه الاشهر برحلة ثانية الى اوروبا وامريكا وشمالي افريقيا ، وستستغرق سنة كاملة ..

وسألني محدثي :

كيف الوضع الآن في الاردن ؟ فاجبت :

خرج الاردن من حرب ٥ حزيران (يونيو) فاقداً نصفه الاطيب ، الضفة الغربية ، بما فيها مدينة القدس ، التي بدونها لا قيمة للضفة الغربية ، ولا وزن لها سياسيـاً او اقتصادياً .. كما فقد الاردن ، في تلك الحرب ، سلاحه ومعداته .. وهو اليوم « شبه عريان » ، تقذفه اسرائيل بقنابلها دون رادع ، وتحلق طائراتها في اجوائـه دون ان تتصدى لها طائرة واحدة ، او يطلق عليها مدفع من المدافع التي تصيب .. والاردن بحاجة ماسة الى المساعدة بالسلاح والعتاد ، وهو لا يزال صديقاً للغرب عامة وللولايات المتحدة الامريكية خاصة ، ولا يستورد سلاحه الا منه .. وقد انقطع ذلك المورد ، ولم تمد الولايات المتحدة الامريكية الاردن الا بالقليل من السلاح الخفيف الذي لا يسد حاجته مطلقاً ، وبعد ان سمحت اسرائيل بذلك ! . في حين ان الولايات المتحدة تغدق على اسرائيل المال ومختلف انواع المعدات الحربية الثقيلة من جوية وبرية .. مع العلم بأن اسرائيل قوية ، وليست بحاجة الى زيادة قوتها ، وهي تحتل اقاليم كبيرة من ثلاث دول عربية .. ولا تزال مستمرة في الاعتداء عليها ..

ان الاردن في اشد حاجة الى السلاح والعتاد ، ليدافع عما تبقى من ارضه ، وعن الارواح البريئة التي تزهقها اعتداءات اسرائيل .. ومن حق الاردن على الولايـات المتحدة الامريكية ، بحكم صداقته لها وتعامله معها ، ان تمده بالسلاح والعتاد اللذين هو في اشد حاجة اليهما ..

كان الموظف الامريكي الكبير يصغي الي بانتباه وسكوت ، ولكن سكوت من تغلي نفسه ويكظم غيظه ! .. ثم تدفق قائلاً :

قل لمن ترى من المسؤولين في البلاد العربية ان عليهم وحدهم يتوقف مصير الامة العربية . وهم اما ان يستمروا متفرقين ضعافاً يقودون الأمة المجزأة الى الحضيض وسوء المصير ، أو ان يعملوا لايجاد « القوة » بالاتحاد ، وبالتالي يرفعوا شأن الأمة العربية الى المكان اللائق الذي يريده لها كل صديق .. وليعلموا ان تجزئة العالم العربي وضعف دوله باعث الى الاعتداء عليه ..

وتابع الامريكي حديثه :

انني لا افهم موقف المسؤولين ! . هم فرحون بأوضاعهم الحالية . امة واحدة مؤلفة من مئة مليون من الانفس ولكنها مجزأة الى اربع عشرة دولة مستقلة ، كل دولة منها ضعيفة لا تقف امام اي صدمة ! .. ولا يفكر المسؤولون في تغيير هذه الاوضاع المشينة بأوضاع اخرى تكون مصدراً للقوة والرخاء والسعادة للجميع ..

انني اقصد بالاوضاع الجديدة ايجاد اتحاد بين الدول العربية . لم لا يعمل العرب ، بصدق واخلاص وجد ، لايجاد الاتحاد الذي يجعل من البلاد العربية دولة كبيرة يُخطب ودها بدلاً من عدم الاكتراث بأجزائها المتفرقة ، التي لا تستطيع ان تقف اياماً معدودات امام بلد صغير .. اقوال وامثال عديدة في جميع اللغات تؤكد ان « الاتحاد قوة والتفرق ضعف » ، والغريب ان العرب ، وهم اذكياء ، لا يفقهون هذا القول ، وان فقهوه فهم يعملون عكس مضمونه ! .. هل ذلك لأن المسؤولين عندهم يخشون على مراكزهم من الاتحاد ؟ ! . اين هي المراكز بعد ضياع الوطن وتشتيت الشعب ؟! .

وتابع محدثي كلامه والالم النفسي بادٍ على محياه :

كلما فكرت في هذا الموضوع لا استطيع ان افهم ما يجري في البلاد العربية ! . العرب منقسمون بعضهم على بعض في كل قطر عربي ، اي ان في البلاد العربية انقسامات داخلية تضعف الدولة وتهز كيانها . في حين ان على جميع القوى فيها ان تتضافر وتعمل معاً لما فيه خير تلك الاقطار وجميع ابنائها .. والدول العربية منقسم بعضها على بعض ومتنافرة بحيث تسيل دماؤها ، فتضعف ضعفاً يجعلها فريسة سهلة لأي دولة طامعة فيها او في خيراتها .. والخطر محدق بالبلاد العربية ، يراه كل من يبصر ويعي ، ولكن الذي يبدو ان العرب لا يبصرون ولا يعون ! .. والا لعملوا شيئاً ايجابياً لتلافيه ! ..

هذه اوروبا الغربية تعمل بجد لايجاد اتحاد بين دولها على الرغم من ان بين تلك الدول عداء تاريخياً قديماً ، وان لغاتها وثقافاتها مختلفة .. والذي يجمع بينها الآن هـو التخوف من عدو مشترك ، والمصالح الاقتصادية المقبلة ..

وهذه الولايات المتحدة الامريكية ، لم تصل الى مكانتها الحالية الاقتصادية والدولية الا نتيجة اتحاد ولاياتها وحب العمل عند ابنائها .. فلو ان كل ولاية من ولاياتها الخمسين كانت مستقلة عن الاخرى ، كما هو الوضع في البلاد العربية ، لكانت هذه الولايات ضعيفة فقيرة ..

وتابع محدثي يقول :

القوة بيدكم والمستقبل تقررون نوعه انتم بافعالكم . بالاتحاد والعمل المشترك الصادق تصلون الى تحقيق اهدافكم وتردون اي اعتداء عنكم . الاتحاد هو الذي يأتيكم بالسلاح والقوة ، والى جهنم من يعارض الاتحاد ..

ادهشني ما سمعت من محدثي ، اذ ان ما نسمعه من رجالات الغرب على عكس ما قاله هذا المفكر الحر الضمير . فالغرب لا يريد للعرب خيراً بل يحارب محاولة اتحادهم . دار في ذهني تاريخ محاربة الغرب لتقدم العرب ومساعيهم لتحقيق وحدة بلادهم ، ثم التفت الى محدثي وقلت له :

اشكرك جزيل الشكر على ما ابديته لي من قول صريح حكيم . انني اتفق معك على ما قلت ، وانني من دعاة ايجاد اتحاد بين الدول العربية ، ذلك الاتحاد الذي هو ، كما تقول ، مصدر قوة للعرب ، وجالب النصر ، ومنبع الخير والعز .. وهم في هذه السنين احوج اليه منهم في اي وقت مضى ..

— ٢ —

عوامل الوحدة السياسية

يفكر العربي ويتساءل : لماذا لم تصل البلاد العربية الى ايجاد وحدة سياسية فيما بينها ، ما دامت الوحدة في مصلحتها جميعاً ، واساساً لمستقبل عظيم للأمة العربية . هل لأن عوامل الوحدة غير متوافرة فيما بينها ؟ .

تتألف الامم من عناصر وشعوب كانت في الاصل مختلفة ، لكنها تقاربت على مرّ السنين وتوحدت مع الزمان . على ان تقارب الشعوب والعناصر ، وانصارها في امة واحدة ذات مميزات خاصة ، لا تكون الا بتوافر عوامل الوحدة فيها . ففرنسا مثلاً وحدة سياسية ، ولشعبها مميزات خاصة به ، مع ان البلد ليس وحدة جغرافية . واذا رجعنا الى تاريخ فرنسا ، رأينا لكل شعب لغة خاصة به . ولكن حين تقوت مقاطعة « ايل دي فرانس » île de France ونشرت سيادتها ولغتها ، شيئاً فشيئاً ، على المقاطعات الاخرى التي تتكون منها فرنسا اليوم ، اخذت هذه الشعوب المختلفة تتقارب واصبحت تتكلم لغة واحدة ، لغة « ايل دي فرانس » . فتوحيد اللغة في فرنسا قد كون

من هذه الشعوب شعباً واحداً ، كما ان ماجريات التاريخ ، الذي تلا تكوين هذا الشعب ، قد كونت الامة الفرنسية . ففرنسا وليدة فوز تشكيلات حكومة « ايل دي فرانس » التي وحدت اللغة ، وثمرة ماجريات التاريخ ، وادى ذلك الى ايجاد عوامل الوحدة في تكوين الامة الفرنسية ..

والامة جماعة من الناس ، لهم لغة واحدة ، ومدنية واحدة ، وميراث تاريخي متماثل او مشترك ، تربطهم مصالح مشتركة ، ويشعرون بالرغبة في تشكيل وحدة سياسية في بلاد معينة . فهل هذه العوامل متوافرة في البلاد العربية ؟ .

اللغة من العوامل المهمة في تكوين مصير الامم ، فهي موحدة للأفكار ومقربة بين الشعوب . والامم تتألف من شعوب واحدة في لغتها وثقافتها . وما الامة المؤلفة من اكثر من شعب واحد ، لغة وعنصراً ، الا شاذة عن القاعدة ومثبتة لها . وقد رأينا كيف ان الشعوب القاطنة في « الوطن العربي » ، من اقاصي العراق حتى المحيط الاطلسي ، هي في واقع الحال شعب واحد ، شعب عربي لغة وثقافة ، وان الفروق بين اقسام هذا الشعب الواحد فروق سطحية ، تنحصر في اختلاف اللّهجات العامية ، وعدد قليل من الاصطلاحات والتعبيرات الاقليمية . وهذه الفروق آخذة في الزوال مع نشر التعليم ، وسماع الاذاعات ، وتزايد اختلاط ابناء كل قطر عربي بأبناء الاقطار الاخرى . اما اللغة بالمعنى الصحيح فواحدة ، هي اللغة العربية الفصحى ، لغة قريش ، لغة القرآن الكريم ، التي بها يقرأ الجميع ويكتبون . والفروق بين سكان قطر عربي وآخر اقل من الفروق بين سكان اي مقاطعة من المقاطعات الفرنسية او الانكليزية او الالمانية ، او الامريكية . وهذه حقيقة ظاهرة لا تحتاج الى برهان .

وكما ان اللغة وآدابها تؤلفان العامل الاول في تكوين الشعوب ، فالتاريخ يؤلف العامل الاكبر في تكوين الامم . وتاريخ كل امة طبعاً متشعب متفرع ، غير ان التاريخ الذي له التأثير في تكوين الامة هو الذي يعطيها لغتها وآدابها ، ويخلف لها الذكريات القومية . فتاريخ الامة الفرنسية لا يبدأ من تاريخ هذا الجزء من اوروبا الذي يطلق عليه الآن اسم فرنسا ، ولا يبدأ بتاريخ السلت او الفرنك او الفيزيكوت ، ولا باحتلال الرومان ، وانما يبدأ حين اخذت تتكون اللغة الفرنسية وينشأ الشعب الفرنسي ، وقد تم ذلك في القرن التاسع على ابعد تقدير . وكذلك تاريخ سكان شمال افريقيا ، وبر الشام ، والعراق ، لا يبدأ بتاريخ هذه الاصقاع من المعمورة ، ولا باحتلال الرومان ، وانما يبدأ بالزمن الذي اصبح فيه سكان هذه البلاد شعباً عربياً حديثاً ، لغته القومية

هي اللغة العربية ، وآدابه وثقافته هي الآداب العربية والثقافة العربية . فالقرون الاربعة عشرة الاخيرة كونت تاريخ سكان الاقطار العربية ، وفي هذا التاريخ اندمجت الشعوب ، وتوحدت روحها وثقافتها وعاداتها ، وصهرت آمالها صهراً ، وفيه نالت من السعادة ما نالت ، كما قاست من الشقاء ما قاست ، وفيه لها ميراث كبير من مدنية وذكريات ، وهذا الميراث هو عماد الامة العربية ، ان لم نقل قوامها وكيانها .. ويضاف الى ذلك ان اساس الشعوب التي سكنت البلاد العربية ، في شمال افريقيا والهلال الخصيب ، كان ابناء موجات عربية خرجت من الجزيرة العربية وغمرت هذه الاقاليم مرات عدة منذ فجر التاريخ .. كما رأينا ذلك في الفصل الاول من هذا الكتاب ..

ومن الميراث العربي الدين الاسلامي ، وقوامه الكتاب الذي انزله الله على رسوله محمد بن عبد الله القرشي . ومع ان الدين ليس من العوامل الرئيسية في تكوين الامم ، فله في الشرق مكانة مهمة لتغلغله في كل ناحية من نواحي ثقافتنا العربية . فالدين كعامل من عوامل الوحدة في الوطن العربي ، متوافر الى حد بعيد . حتى ان المثقفين من اخواننا المسيحيين يدرسون القرآن ، ويدعون اخوانهم في الدين الى درسه والوقوف على احكامه لأن تفهم الثقافة العربية ، سواء في اللغة او الفلسفة او العلم او الفن ، لا يتم الا بدرس القرآن وتفهم لغته ومعانيه وروحه .

فعامل التاريخ وميراثه متوافران في البلاد العربية ، التوافر كله ، شأنهما في ذلك شأن العامل اللغوي . اما عامل المصالح المشتركة فيمكن النظر فيه من ناحيتين : احداهما اقتصادية والاخرى سياسية .

عندما اشتدت حركة القوميات في اوائل القرن التاسع عشر ، واخذت الامم تنسلخ عن غاصبي حريتها ، وعملت الاقطار والشعوب لنيل وحدتها ، كانت عوامل الوحدات السياسية مستمدة من الماضي وهي العنصر واللغة . فتوحدت على هذا الاساس ، ايطاليا ومقاطعات المانيا ، واستقلت دول البلقان .. غير انه اضيف الى هذين العاملين ، في القرن العشرين ، عامل مستمد من الحاضر ، وهو عامل المصالح الاقتصادية . ونحن ، اذا نظرنا الى الاقطار العربية ، تبين لنا ان اقتصادها في حالة ضعف ، وان منتوجاتها لا تجد اسواقاً رائجة ، ورأينا ان كل بلد من البلاد العربية يقيم سداً من الضرائب يحول دون دخول منتوجات الاقطار الشقيقة اليه بطريقة الأفضلية ، على حين انه يبتاع هذه المنتوجات او ما شابهها من البلاد الاجنبية ، والامثلة لذلك كثيرة . فلو ان هناك وحدة بين الاقطار العربية ، وتفاهماً على الامور الاقتصادية ، لدخلت كل صناعة عربية او

منتوج عربي اسواق البلاد العربية الاخرى دون حواجز جمركية ، ولكانت لها اسواق واسعة . ذلك بأن سعة رقعة الوطن وكثرة سكانه عامل كبير في رواج المنتوجات والمصنوعات وتحسينها .. والبلاد العربية يكمل بعضها بعضاً ، الى حد كبير ، في المجالات الاقتصادية . ويتضح للعيان ان كثيراً من البلاد العربية يعيش الآن عيشاً اقتصادياً غير طبيعي بالمرة ، كما يتضح ان فقر بعضها ناجم عن تجزئة الوطن العربي ، وعن تكوين وحدات سياسية في اقطار لا تستطيع العيش الاقتصادي منفردة . فالمصالح الاقتصادية المشتركة بين البلاد العربية ترينا ان زوال التجزئة ، وايجاد التفاهم ، وتكوين الاتحاد ، امور تؤدي الى الحياة الاقتصادية الطبيعية ، والى الانعاش الاقتصادي الذي تتلوه الرفاهية في البلاد العربية جميعها ..

وقد فرضت الحرب العالمية الثانية عاملاً جديداً على عوامل تكوين الوحدات السياسية . وهذا العامل غير مستمد من الماضي او الحاضر ، بل من المستقبل ، وهو يرمي الى جعل الوحدات السياسية قادرة على الوقوف امام الهزات السياسية ، والثبات امام الهجمات الحربية . فقد برهنت تلك الحرب على ان الدول الصغيرة عامل خطر على سلام العالم ، ومنشأ للاضطرابات الدولية والحروب العالمية ، اذ انها هدف لاطماع الاقوياء ، وسبب للنزاع فيما بينهم ، لعجزها عن المحافظة على سيادتها وعن ارغام الآخرين على احترام حدودها ، فمصيرها الزوال من بين الامم المستقلة ذات السيادة القومية ، وان بقي رسم بعضها ظاهراً على الخرائط الجغرافية . والامثلة الواقعية لذلك كثيرة ..

ولازالة هذه الاخطار ترى السياسة الدولية ان السلام المقبل يقضي بايجاد اتحاد او تحالف بين البلاد الصغيرة المتجاورة ، وتكوين دولة منها منيعة الجانب ، قوية البنيان ، لا يجرؤ الطامح فيها على التعدي عليها .

فهل العامل الجديد في تكوين الدول المستمد من المستقبل ، عامل المصالح السياسية المشتركة متوافر بين البلاد العربية ؟ .

ان كل بلد من البلاد العربية ، بما فيها مصر ، بلد ضعيف .. والبلاد العربية كانت ولا تزال مسرحاً للنزاع الاجنبي ، وساحة للقتال في سبيل الاستيلاء عليها او على خيراتها .. وليس من الغريب الا يستطيع ان يقاوم العدو او الاعداء منفرداً ، او ان يحافظ على الحياة الحرة . اما تفاهم هذه البلاد واتحادها ، على اي صورة من الصور ، وتقوية هذا

الاتحاد ، مع مرور الايام ، فأمور تجعل من البلاد العربية وحدة سياسية منيعة مؤلفة من مئة مليون عربي ، لها مكانتها بين الامم الكبرى ..

ولو كان بين البلاد العربية اتحاد في الربع الثاني من هذا القرن ، لما جرؤت الصهيونية على التخطيط بجد لاقامة دولة يهودية في فلسطين .. ولما اقدمت الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ على تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية في القسم الاحسن منها ، ولما رسمت فصل شرقي العالم العربي عن غربيه .. ثم لما اقدمت اسرائيل على التفكير في التوسع في البلاد العربية ، والاعتداء عليها واشعال نيران الحروب معها ، لتحقيق اسرائيل الكبرى والاستيلاء على منابع الثروات العربية .. فتجزئة البلاد العربية الى دول ودويلات ، قد ادت الى اضعافها جميعاً ، والى طمع الصهيونيين بها ، وجرأت الامم المتحدة على القيام بما قامت به نحو العرب .. ولو كان الاتحاد العربي قائماً قبل ذلك ، لما واجه العرب المصائب التي واجهوها ، والمآسي التي يعانونها الآن .. فعامل المصالح السياسية المشتركة عامل حيوي مصيري بالنسبة الى البلاد العربية ، ولذا فهو فيها اقوى مما هو في اي مجموعة من الدول الاخرى التي كونت فيما بينها اتحاداً ، او تعمل لايجاد اتحاد .. وهو في البلاد العربية يجيء متمماً لعوامل تكوين الامم المتوافرة فيها تمام التوافر ، على حين انه يعمل في دول اخرى منفرداً ..

ومجمل القول ان اللغة والثقافة ، والذكريات التاريخية بما فيها من مدنية وعادات ، ومعها المصالح المشتركة من اقتصادية وسياسية ، هي الاساس المتين في تكوين الامة وخلق وحدة سياسية فيها تمكنها من العيش بسلام ، ومن التقدم والقيام بدورها في تاريخ العالم . ونحن على يقين من ان هذه العوامل جميعاً متوافرة في البلاد العربية . ولا يعوق تحقيق الوحدة العربية ، بأي صورة من صور الوحدات ، غير انهماك القادة ورجال السياسة في البلاد العربية في امور جانبية اقليمية او مصالح ذاتية او حزبية او عقائدية كلامية لا تعود على الامة العربية الا بالضرر الكبير .. وما سبب فشل الوحدة المصرية السورية ، الا انها لم تقم على اساس اي نوع من انواع الوحدات السياسية . لقد كانت نظرياً « دولة موحدة » لم تطبق عليها عملياً اسس الدولة الموحدة ..

وكثيراً ما سمعت رجالاً من ذوي الفكر والعمل السياسي في البلاد العربية يتكلمون عن الوحدة السياسية ، دون تفريق بين انواعها . وهم عندما يذكرون الوحدة العربية يعنون بها دائماً « الدولة الموحدة » ، ذات رئيس واحد ، وسلطة تشريعية واحدة ،

وسلطة مركزية تنفيذية واحدة .. وهذا الفهم للوحدة العربية ادى بكثيرين من المسؤولين في البلاد العربية الى النفور من تحقيق الوحدة .. في حين ان « الوحدة » اسم عام لانواع من الوحدات السياسية متعددة ، تختار منها البلاد ، التي تريد اجراء وحدة فيما بينها ، النوع الذي يلائم اوضاعها .. وللايضاح اذكر انواع الوحدات السياسية او الدول بعرض سريع .

— ٣ —

انواع الوحدات السياسية او الدول

تنقسم الدول الى مستقلة وغير مستقلة . وبحثنا يتعلق بالمستقل منها ، وهي المالكة لسيادتها Souveraineté وينظر الى هذه السيادة من ناحيتين : السيادة الداخلية ، او الهيمنة على افراد الامة جميعاً ، والسيادة الخارجية او الحق في تمثيل الامة تجاه الامم الاخرى وتنفيذ علاقاتها بها .

اما من حيث الصورة ، وتمركز السيادة وتوزيعها ، فتنقسم الدول الى ثلاثة انواع : دول موحدة Etats Unitaires ودول اتحادية Etats Fédératifs ودول تحالفية Etats Confédératifs .

ففي الدول الموحدة نرى السيادة واحدة غير مجزأة ولا موزعة ، تهيمن الدولة بموجبها على جميع المواطنين ، وتنفذ علاقات الامة بجميع الامم الاجنبية ، وهذا النوع من الدول هو النوع الطبيعي والاكثر انتشاراً ، مثل فرنسا ، وانكلترا ، وايطاليا ، وكل دولة من الدول العربية الاربع عشرة المستقلة حالياً .. حيث الدولة في كل منها صاحبة السيادة التامة ، تمارسها في الداخل والخارج دون ان تنازعها دولة اخرى هذا الحق .

اما الدولة الاتحادية Etat Fédéral فهي على عكس ذلك ، تتوزع السيادة فيها وتتجزأ ، مع المحافظة على الوحدة القومية . وهي تتألف من مجموعة من الدول الخاصة ، تحتفظ كل منها بقسم عظيم من سيادتها الداخلية ، ولكن تنزل عن جميع سيادتها الخارجية الى دولة الاتحاد .

ففي الاتحاد دول خاصة تتمتع كل منها باستقلال داخلي واسع ، لها حكوماتها ومجالسها التشريعية ونظام قضائها ، ولكن لها دولة عامة مركزية هي دولة الاتحاد . وهذه

تتألف عادة من سلطة تنفيذية ، وسلطة تشريعية مؤلفة من مجلسين ، وسلطة قضائية . وتكون الدول الخاصة جميعها ممثلة في المجلسين ، وما يقرر في هذين المجلسين ينفذ في جميع الدول الخاصة ، وان كان بعضها قد عارض القرار او لم يوافق عليه . ومجموع المواطنين في الدول الخاصة يؤلفون الامة ، ويكون افرادها مواطنين لدولة الاتحاد . ودستور الاتحاد يجرد الدول الخاصة من بعض السلطات الناشئة عن السيادة الداخلية ، ويجعلها من سلطات دولة الاتحاد . وبموجب ذلك تسن دولة الاتحاد قوانين عامة تكون نافذة في جميع دول الاتحاد الخاصة . وفي الوقت نفسه تظل الدول الخاصة صاحبة سيادة في امور عديدة ، داخل حدودها ، تمارسها على مواطنيها دون تدخل دولة الاتحاد ، وفقاً لما تنص عليه دساتيرها ودستور الاتحاد الذي تم باتفاق الدول الخاصة عليه ..

اما السيادة الخارجية فهي لدولة الاتحاد ، وهذه لها وحدها سلطة تمثيل الأمة في علاقاتها بالامم الاجنبية . ويمكن القول بصورة عامة ان للاتحاد علماً واحداً ، وجيشاً واحداً ، واسطولاً واحداً ، وسلكاً ديبلوماسياً واحداً ، وعملة واحدة وجوازات سفر واحدة وبريداً واحداً .

ولنظام الاتحاد مزايا عظيمة ، قد ادت الى انتشاره ، وستجعل منه نظام الدول في المستقبل . فهو من جهة يعطي الحرية الداخلية للدول الاتحادية ، فتحكم نفسها كما تريد ، ومن جهة اخرى يوحد قواها ، ويجعل منها دولة واحدة امام الدول الاجنبية ، قادرة على الظهور بمظهر الدولة الكبيرة العظيمة ، وعلى نيل مكانة رفيعة بين الدول الكبرى . ومن امثلة هذا النوع من الدول ، الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفيتي ، والاتحاد السويسري ، والاتحاد اليوغسلافي ، والاتحاد الماليزي .

ثم ان ثمة عدا الدول الموحدة (التي تكون السيادة القومية فيها واحدة غير مجزأة) ، ودول الاتحاد (التي فيها السيادة مجزأة : الداخلية منها موزعة بين دول الاتحاد ، والخارجية منها من اختصاص دولة الاتحاد) ، نوعاً ثالثاً من الدول هو المعروف بالدولة التحالفية **Etat Confédéral** وهذه عبارة عن جمعية او جامعة او عصبة دائمة لدول مستقلة متعددة ، تحتفظ كل منها بسيادتها التامة ، ولكن هذه الدول تتفق فيما بينها ، بموجب ميثاق الجمعية او الجامعة او العصبة ، على توحيد قواها من اجل غاية معينة ، وعلى حماية بعض المصالح وبعض المبادىء ، وعلى ان تكون لها انظمة واعمال متماثلة ، عملاً لتحقيق بعض الاهداف في الداخل والخارج .

ويمثل الحلف مجلس « **Assemblée** » مؤلف من ممثلين من مختلف دول التحالف ،

ويكون هذا المجلس بمثابة دولة قائمة فوق دول اخرى . غير انه ليست له اية سلطة على مواطني هذه الدول ، ولا يستطيع محاكمتهم ولا يحق له فرض الضرائب عليهم ، بل انه لا يتمكن من سن قوانين تقضي بربطهم بها . وبعبارة اخرى ، ليس لهذا المجلس سلطة تنفيذية ، ولا سلطة قضائية ، حتى انه ليست له سلطة تشريعية حقيقية ، لأن القرارات التي يتخذها لا تصبح نافذة في دول التحالف ، الا اذا قررتها تلك الدول من جديد . وان رفضت احداها قرار مجلس التحالف ، فليس من وسيلة لارغامها غير التهديد بالحرب . وكذلك ليس لهذا المجلس ، او هـذه الدولة العليا ، سيادة في الشؤون الخارجية ، ولا مجال لها في الميدان الدولي الا في حالات محددة . ويمكن القول ان مجلس التحالف شبيه بمؤتمر ديبلوماسي ، بمعنى ان اعضاءه يمثلون دولاً مستقلة ، ولذا ينبغي ان تجمع الآراء على الامر لاتخاذ قرار بشأنه يكون نافذاً في التحالف كله . ومن امثلة هذا النوع من الدول : التحالف الجرماني الذي كان قائماً قبل سنة ١٨٦٦ ، ومنها الى حد ما ، نظام « الممتلكات المستقلة البريطانية » « **Dominions** »

* * *

بعد هذه الكلمة الموجزة عن المبادىء العامة لأنواع الدول المستقلة ، نعرض باختصار ، رغبة في التوضيح ، التشكيلات الدستورية للولايات المتحدة الامريكية ، وللاتحاد السويسري ، وللتحالف الجرماني ، ولنظام الممتلكات المستقلة البريطانية .

من الامثلة الناطقة لنجاح نظام الاتحاد ما نجده في الولايات المتحدة الامريكية . فهذه الولايات لم تتخذ الاتحاد شكلاً لدولتها منذ استقلالها ، بل فضلت عليه في بادىء الامر نظام « التحالف » . فقد شاءت الولايات الثلاث عشرة ، التي استقلت عن بريطانيا ، ان تكون مستقلة الواحدة عن الاخرى ، الا حين تقريرها العمل معاً . وقد كاد هذا الاستقلال يؤدي بالجمهورية الامريكية الحديثة الى الدمار ، لولا انها انتبهت الى حكمة المثل القائل « الاتحاد يولد القوة » فعملت به . ففي سنة ١٨٨٧ وضع الدستور الذي قام بموجبه نظام الاتحاد الخاص ، على اساس « النظام الرئاسي » فنزلت كل من الولايات المتحدة ، وعددها الآن خمسون ولاية ، عن جميع سيادتها الخارجية الى دولة الاتحاد . وهي سلطة مركزية مؤلفة من رئيس الجمهورية ومجلس النواب الذي تمثل فيه الولايات على اساس عدد سكان كل منها ، ومجلس الشيوخ الذي يمثل كل ولاية فيه عضوان دون اعتبار لعدد السكان . غير ان هذه الولايات قد احتفظت بسيادتها الداخلية ، فلها من اجل ذلك حكومات ومجالس تشريعية . ولحفظ هذا الوضع بين الحكومات

المحلية والحكومة الاتحادية المركزية ، انشئت محكمة عليا من سلطاتها النظر في الخلافات الناشئة بين الولايات ، وفي القضايا المتكونة من تعدي هذه الولايات على الدستور ، ومن تدخل السلطة المركزية في سلطات الولايات ومجالسها .

اما الشؤون الخارجية فمن صلاحية السلطة المركزية ، ومن صلاحية الرئيس انه السلطة التنفيذية العليا ، وهو رئيس للجمهورية ورئيس للحكومة معاً ، وانه يتولى تمثيل الولايات المتحدة في علاقاتها بالخارج ، اما الوزراء فمعاونون له وغير مسؤولين امام مجلس النواب او مجلس الشيوخ . والرئيس يستشير المجلسين مجتمعين (يطلق عليهما حين اجتماعهما اسم الكونكرس « Congress ») في الامور المالية والحربية .

ولمجلس الشيوخ وحده حق مراقبة اعمال الرئيس الدبلوماسية ، مراقبة دقيقة ، والموافقة على تعيين السفراء ، واقرار المعاهدات التي يعقدها الرئيس ، بأغلبية الثلثين . ولذا فمركز مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة الامريكية اهم من مركز مجلس النواب كثيراً ، على خلاف الوضع في النظام النيابي ، حيث مجلس النواب اهم كثيراً من مجلس الشيوخ ، حين وجوده ..

وتقدم لنا سويسرا مثالاً آخر لدولة الاتحاد ، فنظام الدولة فيها ، منذ سنة ١٨٤٨ هو نظام الاتحاد ، ومظاهره آخذة في الازدياد . اذ ان السيادة الخارجيـــة للمقاطعات الاثنتين والعشرين السويسرية قد زالت ، كما ان حريتها التشريعية اقل من حرية مجالس الولايات في الولايات المتحدة الامريكية .

ودولة الاتحاد السويسرية مؤلفة ، كما هي الحال في الولايات المتحدة ، من مجلسين : الاول يدعى المجلس القومي Consiel National مقابل مجلس النواب ، ويمثل الشعب السويسري . والثاني يسمى مجلس الولايات Consiel d'Etats ويمثــل المقاطعات السويسرية ، وهو مؤلف من نائبين عن كل مقاطعة . ومن سلطة تنفيذية قوامها « مجلس حكومة الاتحاد » Consiel Fédéral المؤلف من سبعة اعضاء ، ينتخبهم المجلسان آنفا الذكر مجتمعين ، ويطلق عليهما حين اجتماعهما اسم الجمعية القومية La Diète National .. ولكن ليست لمجلس الولايات تلك السلطات التي لمجلس الشيوخ الامريكي ، كما انه ليس لرئيس مجلس حكومة الاتحاد ، الذي ينتخبه المجلس من بين اعضائه السبعة ، تلك السلطات التي لرئيس الولايات المتحدة ، وانما مركزه شرفي فقط .

ولعرض مثال للدولة التحالفية نضطر الى الرجوع الى التاريخ ، لان هذا النوع

من الدول قد زال ولم يعد له وجود بين الدول الحالية ، وان كان في الامكان تبين الشبه بينه وبين نظام الممتلكات المستقلة ، اما المثال الكلاسيكي له فهو التحالف الجرماني الذي كان قائماً حتى سنة ١٨٦٦ .

كان نظام التحالف في المانيا وليد النظام الاقطاعي ، الذي كان الامراء يعتبرون فيه انفسهم متساوين في المكانة والحقوق ، ويتحالفون عن طيبة خاطر ، مدة معينة او لغاية محدودة . وكان لسبعة من هؤلاء الامراء حق انتخاب الامبراطور ، الذي يقوم تجاههم بدور السلطة المركزية . غير ان هذا الحق قد زال حينما اصبح مركز الامبراطور وراثياً في العائلة المالكة في النمسا . ولكن الفكرة المزدوجة بقيت وهي : ان الامراء الالمان متساوون ومستقلون بعضهم عن بعض ، غير انهم يقبلون ان تكون فوقهم سلطة عامة لا تبطل ما لهم من حقوق السيطرة كل في امارته .

لقد وجد مؤتمر فينا سنة ١٨١٤ الفرصة مؤاتية لاقامة تحالف حقيقي في الاراضي الالمانية . وهكذا انشىء « التحالف الجرماني » ودام حتى سنة ١٨٦٦ . وكان يشتمل على ٣٣ دولة من درجات وانواع مختلفة من بينها الامبراطورية النمساوية ، وممالك مهمة كبروسيا وبفاريا وسكسونيا ، وامارات كبيرة وصغيرة ، ومدن ارستقراطية مستقلة مثل بريمن وهامبورك ، حتى انه كان يشتمل على اراضي تابعة لسيادات اجنبيــة عن المانيا . وهكذا كان ملك الدنمارك ممثلاً في التحالف بصفته ملك هولشتين « Holstein » وكذلك ملك هولندا بصفته صاحب لوكسمبورك . وكان هذان الملكان ، كبقية الملوك والامراء في التحالف الجرماني ، مستقلين في اعمالهما الداخلية والخارجية مع الالتزام بعدم التجاوز على حقوق « جمعية التحالف La Diéte Confédérale » .

وكانت هذه الجمعية ، التي تمثل التحالف الجرماني مؤلفة من مبعوثين عن الدول المختلفة ، وكان حق رئاستها للنمسا . اما سلطاتها فقد كانت مقصورة على المسائل التي تهم جميع دول التحالف ، مثل الاتحاد الجمركي Zollverein ، وعلـى الشؤون الخارجية التي لا يطالب اعضاء التحالف بأن يمارسوها كل بمفرده .

ولما قبض بسمارك على زمام الحكم في بروسيا اخذ يعمل لتقويض بناء التحالف الجرماني ، اذ كان يضايقه في تحقيق خططه ، وتنفيذ سياسته الرامية الى تقوية الروابط بين الممالك الالمانية ، وتكوين اتحاد منها . وتمكن من هدمه نهائياً حين انتصر على الدنمارك والنمسا سنة ١٨٦٦ . وعند ذلك نقض اسس التحالف الجرماني ، باقصاء النمسا عن

الشؤون الالمانية ، ونشر السيطرة البروسية على سكان المانيا . وبعد ان ضمت بروسيا اليها بعض الامارات الفت سنة ١٨٦٧ « تحالف المانيا الشمالية » وكانت رئاسة هذا التحالف لملك بروسيا .

وفي ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ اعلن بسمارك انشاء الامبراطورية الالمانية . وكان نظامها مزيجاً من الاتحاد والتحالف . وبموجب هذا النظام كان ملك بروسيا امبراطور المانيا بالوراثة . وكان رئيس الوزراة البروسية مستشاراً للامبراطورية (رئيس الوزراء) ، مسؤولاً امام الامبراطور وحده . وكان الجيش امبراطورياً موحداً ، وكذلك كانت البحرية والتمثيل الخارجي . ولم يشذ عن ذلك غير بفاريا وورتمبيرك « Wurtemberg » اللتين احتفظتا بشيء من الاستقلال الخارجي، مع تمثيل ديبلوماسي خاص ، ولكن دون سلطات مهمة .

وكان للامبراطورية مجلس تشريعي « Reichstag » ومجلس اتحاد « Bundesrath » وكان الاخير مؤلفاً من « مبعوثين مطلقي السلطة » تعينهم حكومات دول الاتحاد . وبموجب هذا النظام تمت الوحدة الالمانية ، واضحت المانيا دولة كبرى ، مع الاحتفاظ بالاستقلال الداخلي للدول المختلفة المؤلفة لها .

واقرب نوع قائم اليوم الى نظام التحالف هو نظام « الممتلكات المستقلة Dominions » وان كان نظامها مبتكراً لم يعرف تاريخ العالم له مثيلاً . وعند البحث في نظام الممتلكات المستقلة ينبغي التمييز بينها وبين مجموعة الامم البريطانية « The British Commonwealth of Nations » التي يقصد بها الامبراطورية البريطانية بكاملها، وعليه يدخل في مجموعة الامم البريطانية جميع الممتلكات البريطانية من مستقلة ومستعمرة. اما الممتلكات فهي : كندا ، واستراليا ، والهند ، وباكستان ، وزيلندة الجديدة ، وجنوب افريقيا .

وقد عرفت الممتلكات المستقلة في المؤتمر الامبراطوري، الذي عقد سنة ١٩٣٦ ، بأنها « امم مستقلة داخل نطاق الامبراطورية البريطانية ، متساوية في المركز ، لا تخضع احداها للأخرى بأي شكل في شؤونها الداخلية والخارجية ، وان تكن تشترك في الولاء للتاج ، ويرتبط بعضها ببعض ، بمحض ارادتها . اعضاء في مجموعة الامم البريطانية » .

تتمتع كل من الممتلكات المستقلة بسيادتها الداخلية والخارجية . ففيما يتعلق بالسيادة الداخلية نجد في كل منها مجلس وزراء كما هي الحال في انكلترا . ولكل منها حاكم عام يعينه الملك او الملكة بناء على مشورة وزرائها، لمدة تتراوح بين خمس سنوات وسبع ،

وهو بمثابة رئيس الدولة . ويكون هذا الحاكم عادة من ابناء البلد، وهو لا يمثل حكومة لندن ، وانما يمثل التاج . وحكومات هذه الممتلكات غير خاضعة لحكومة لندن . واذا اقتضى الامر مخابرتها ، فهي لا تخابر وزير المستعمرات ، وانما رئيس الوزراء مباشرة .

وبجانب مجلس الوزراء في المستعمرة يوجد برلمان مؤلف من مجلسين تشريعيين ، احدهما مجلس الشيوخ ، وثانيهما مجلس النواب . ولهذا البرلمان من السيادة ما للبرلمان الامبراطوري ، وهو السلطة التشريعية لامور البلاد الداخلية والخارجية ، في حدود القانون الدولي العام . ولذلك لم يعد للبرلمان الامبراطوري ، من الوجهة العملية ، حق اصدار التشريعات الخاصة بالدومنيون ، وان كان له هذا الحق من الوجهة النظرية . وبعبارة موجزة تُعد دول الممتلكات المستقلة سيدة في بلادها ، تملكها كما تود وتشاء .

اما فيما يتعلق بالسيادة الخارجية فالتمثيل السياسي من حق كل دمنيون ، كأي دولة مستقلة ذات سيادة تامة . وقد مارست دول الممتلكات المستقلة هذا الحق بأوسع معانيه . وللممتلكات المستقلة مندوبون سامون في لندن ، لهم مرتبة السفراء ، يمثلونها لدى الحكومة البريطانية ، كما انه يمثل هذه الحكومة ، في كل من الممتلكات المستقلة مندوب سام ، هو غير الحاكم العام الذي يمثل التاج . ويعتبر هؤلاء المندوبون حلقة الاتصال بين تلك الممتلكات والحكومة البريطانية، كما هو حال السفراء. اما السياسة الخارجية فالتشاور بشأنها بين لندن والممتلكات المستقلة مستمر ، وان كان في كثير من الاحيان لا تتفق وجهات نظر وزارة الخارجية في لندن مع وجهات نظر هذه الممتلكات . ومما يساعد على التفاهم احياناً المؤتمرات الامبراطورية التي تعقد مرة كل اربع سنوات، والاجتماعات غير الرسمية التي تعقد في لندن كل سنة .

ومما هو جدير بالذكر انه لا توجد محكمة عليا لتسوية الخلافات الناشئة بين الممتلكات المستقلة او بين احدى هذه الممتلكات والحكومة البريطانية . وهذا دليل على مرونة العلاقات بينها ، وبرهان على ان الرابطة التي توثق بينها هي في جوهرها رابطة الحرية والاستقلال بين دول حرة مستقلة ، واتحادها في مثل عليا مشتركة بينها . وهذه الرابطة ، وهذا التحالف، لا يتنافيان مع السيادة والاستقلال التامين ..

* * *

نرى من هذا العرض الموجز ان نظام الدولة في الاتحاد Fédération وفي التحالف Confédération ، يمكن الدول الصغيرة ، او التي ليس بينها تجانس تام ، من ان

تشبع غريزة التجمع السياسي فيها ، فتوحد قواها وسياستها في امور معينة ، وتنضم في كتلة واحدة ، لها مزايا الدول العظمى ، ومكانة الدول الكبيرة ، ومع ذلك تبقى كل منها مستقلة استقلالاً داخلياً في بعض الحالات ، او داخلياً وخارجياً الى حد كبير في حالات اخرى . ولا امل للاقطار العربية في الحصول على هذه المكانة وتلك المزايا ، الا اذا توحدت . فأي نوع من انواع الوحدة يتفق ووضع البلاد العربية الحالي ؟ . وهل في الامكان ايجاد نوع من الوحدة جديد ، اكثر من هذه ملاءمة لمزاج الامة العربية وللاوضاع القائمة في مختلف بلادها ؟ .

— ٤ —

كيف يكون الاتحاد العربي

كتبت عن الوحدة العربية ، وحاضرت وتحدثت عنها في مناسبات مختلفة . وقد سألني بعض الكتاب السياسيين : لماذا اجعل عناوين ما اكتب وما احاضر وما اتحدث مشتملة على عبارة « الوحدة العربية » ؟ ولم لا اجعلها عبارات مثل « التحالف العربي » او « الاتحاد العربي » ؟ . وفي نظرهم ان هذه العبارات تنطبق على الواقع العربي اكثر من عبارة « الوحدة العربية » .

معنى الوحدة العربية

وفي اثناء محادثاتي عن الوحدة العربية مع رجالات مختلفي المشارب ، متنوعي الثقافات ، سمعت من بعضهم ان تحقيق الوحدة العربية امر لا يدخل ضمن الدائرة العملية ، لأن وجود ممالك وجمهوريات عربية حريصة على استقلالها ، او على ما في يدها من سيادة ، يعوق ، في نظرهم ، تحقيق الوحدة ، وخصوصاً لانه اضيف الى ذلك ، ان اخذت بعض الدول العربية تقوم على اسس عقائدية ، تتضارب وتتنازع مع الاسس التي تقوم عليها الدول العربية الاخرى ..

وقد ظهر لي ، من تلك الملاحظات ، ان الكثيرين ممن يشتغلون بالسياسة يعتقدون ان المراد « بالوحدة العربية » نوع خاص من انواع الدول يوجب ازالة ما يوجد من دول

وحكومات عربية ، والاستعاضة عنها بدولة واحدة لها حكومة واحدة . وبعبارة اخرى ان هؤلاء الرجال يفهمون من عبارة « الوحدة العربية » ايجاد دولة موحدة من البلاد العربية .

ان كلمة الوحدة كلمة عامة . وهي تعني في مدلولها السياسي ، ايجاد روابط من سياسية واقتصادية وثقافية ، بين اقطار تتوافر فيها عوامل الوحدات السياسية ، وتؤدي هذه الروابط ، الى تكوين وحدة سياسية من تلك الاقطار ، بشكل من اشكال الوحدات السياسية ، وهي عديدة .

والوحدة العربية عبارة شاملة لمختلف انواع الوحدات السياسية ، لا تدل على أي نوع معين منها ، ولا يراد بها تكوين « دولة موحدة » من الدول العربية . ثم ان في الحقوق الدستورية من المرونة ما يسمح بقيام الوحدة العربية على غرار جديد من انواع الوحدات السياسية او الدول ، يختلف عن الانواع المعروفة حتى اليوم ، بل ان في هذه الحقوق مرونة لا نهاية لها ، تمكن من تكييف شكل الدولة وجعله ملائماً لنفسية الشعب وتاريخ الأمة ووضع البلاد . فالبلاد العربية غير مقيدة بقبول نوع من انواع الدول التي اوردنا موجزاً لها في القسم المتقدم من هذا الفصل ، بل هي حرة في استنباط نوع الدولة الذي يلائمها ويصلح لها . واختيار نوع الدولة يتطلب ان يؤخذ بعين الاعتبار الوضع السياسي الحالي للبلاد العربية ، والنفسية السياسية لسكانها ، والتوفيق بين هذا الوضع وهذه النفسية من جانب ، وبين نوع الدولة التي يرجو العرب منها تقوية الروابط بين بلادهم ، تقوية تؤدي ، مع الوقت ، الى الاتحاد المنشود ، من الجانب الآخر .

والعرب امة تريد ان تحيا حياة مستقلة شريفة في جميع اقطارها ، وان تكون لها مكانة دولية رفيعة .. وهم يرمون الى وحدة تجمع اقطار الوطن العربي من اقاصي العراق حتى اقاصي المغرب . هذا هو هدفهم الذي ينبغي ان يصلوا اليه يوماً ما ، إذ لن تكون لهم حياة مستقلة شريفة في جميع اقطارهم ومكانة دولية رفيعة ما داموا بعيدين عن هدفهم السامي ومثلهم الاعلى الرفيع . فالوحدة العربية ينبغي ان تشمل الوطن العربي برمته ، ينبغي ان تشمل جميع بلاد الجزيرة العربية ، وبلاد الهلال الخصيب ، وبلاد مصر والسودان وليبيا ، وبلاد تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا . وكل مشروع للوحدة ينبغي ان يأخذ بعين الاعتبار وضع هذه الاقطار السياسية وحالاتها النفسية : اي ان يحقق تقوية الروابط بين هذه الاقطار ، ويجعل منها في بعض النواحي كتلة واحدة تجاه الامم الاجنبية ، مع مراعاة غيرة كل اقليم على سيادته الخاصة ، واحتفاظه بالاستقلال

في معظم اموره الداخلية والخارجية .

ولاكون اكثر دقة فيما اعنيه « بالوحدة العربية » اتخذت عنواناً لهذا البحث «الاتحاد العربي » لا الوحدة العربية ، وان كانت الوحدة العربية تعني « الاتحاد العربي » وغيره من انواع الوحدات السياسية .

وفي رأيي ان نظام الاتحاد Fédération هو خير انواع الوحدة للبلاد العربية ، اذ بموجبه يبقى كل قطر منها متمتعاً بسيادته الداخلية ، حاكماً نفسه ومديراً شؤونه كما يحب ويرغب ، وبموجبه ايضاً تتوحد قوى هذه الاقطار ، وتكون لها سياسة خارجية واحدة ، فتصبح دولة واحدة كبيرة تجاه الدول الاجنبية ، ومنيعة الجانب رفيعة المكانة ، ذات شأن في السياسة الدولية .

غير ان الوضع السياسي القائم في البلاد العربية لا يمكن من الوصول الى هذه الغاية دفعة واحدة ، ولا يسهل معه التفكير الآن في وضع مشروع لنظام الاتحاد العربي ، وذلك لأن ملوك ورؤساء الدول العربية ، يعز عليهم التنازل عن جميع سيادتهم الخارجية ، وتسليمها الى سلطة مركزية عليا ، سلطة الاتحاد . ولهذا ينبغي التفكير في نظام يبقي للدول العربية الكثير من سيادتها الداخلية والخارجية ، ويمكنها في الوقت نفسه ، من التفاهم على توحيد بعض امورها واعمالها ، وفي رأينا ان في الامكان الاتفاق على نظام هو بين نظام الاتحاد ونظام التحالف « Confédération » يؤدي الى الغاية المنشودة ، ويخطو بالحكومات العربية من وضعها الحالي الى وضع الاتحاد الخالص في خطوات متعددة . وقبل ذكر اسس ذلك اشير الى وضع « جامعة الدول العربية » .

جامعة الدول العربية

يمكن القول ان « جامعة الدول العربية » نوع من الوحدات السياسية قريب من نظام التحالف ، ولكن مع مرونة واسعة .. واعضاء الجامعة دول عربية مستقلة ، بلغ عددها سنة ١٩٧٠ اربع عشرة دولة ، وهي متساوية في المركز ، لا تخضع احداها للاخرى بأي شكل في شؤونها الداخلية أو الخارجية . وقد اسست جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ ، ووضع لها ميثاق ينظم علاقات الدول الاعضاء . والغرض من انشائها ، كما تقول المادة الثانية من الميثاق ، « توثيق العلاقات بين الدول المشتركة فيها ، وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها » ، و « للجامعة مجلس يتألف من ممثلي الدول المشتركة في الجامعة ،

ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها » . وقرارات المجلس لا تكون نافذة الا على الاعضاء الذين يقرونها ..

وللجامعة امانة عامة تنظم الاجتماعات .. وتقوم بالاعمال الادارية .. وليس لها سلطة تنفيذية تمس سيادة الاعضاء ..

وعندما أُنشأت جامعة الدول العربية ، امل بها العرب ، ورأوا فيها الاساس الصالح لاقامة الاتحاد العربي .. ولكن مرت السنين فخيب موقف الجامعة الضعيف آمال من علقوا عليها الآمال الكبار .. ويرجع ذلك بالاختصار الى سير الدول العربية الاعضاء بسياستهم المتضاربة احياناً بعيدين عن الجامعة .. والى ضعف شخصيتها .. والجامعة لم تعمل شيئاً متقناً ولو نسبياً حتى في الامور التي كان في امكانها ان تقوم بها على احسن وجه ، مثل الاعلام في البلاد العربية ، وفي بلاد العالم .. ويرجع ذلك الى المحسوبية في التعيينات ، فيأتي من تعينهم غير اهل للأعمال التي تعهد اليهم .. ولتخوف المسؤولين فيها من الاستعانة بشخصيات قوية قديرة والتعاون معها للقيام بالمسؤوليات الملقاة على الجامعة ..

فالجامعة العربية في وضعها الذي نعلمه ، لا يمكن ان تكون اساساً يبنى عليه الاتحاد العربي الذي نرى انه لا بد منه لوصول الدول العربية الى القوة والمنعة ، الذي يمكن البلاد العربية من ان تصبح وحدة سياسية ذات مكانة رفيعة بين الدول الكبرى ..

نوع الاتحاد المناسب

وفي المستطاع اقامة نظام الاتحاد المنشود على اساس ان تبقى الدول العربية محافظة على سياستها الداخلية والخارجية الى حد كبير ، غير انها ، عملاً بمصلحتها المشتركة ، ومصلحة الامة العربية ذات العلاقة بمصيرها ، تتفق فيما بينها على توحيد جهودها في ميادين معينة . ولتحقيق الوصول الى اهدافها في تلك الميادين تتنازل عن قسم من سيادتها الداخلية والخارجية ، ذات العلاقة بتلك الميادين ، وتعهد بها الى سلطة عليا ، مؤلفة منها ، تقوم بتنفيذ اهداف دول الاتحاد في تلك الميادين ، وهي : الدفاع والسياسة الخارجية والاقتصاد والتعليم والتشريع والاعلام . ويمكن ان يطلق على هذا النوع من الوحدات السياسية نظام « الاتحاد التحالفي » ، فيه صلاحيات سلطته العليا بين صلاحيات سلطة الاتحاد وسلطة التحالف ، يتطور مع الوقت ، ويصل الى نظام الاتحاد الخالص ، الذي هو افضل انواع الوحدات السياسية للبلاد الشاسعة ..

ونظام الاتحاد التحالفي لا يغير انظمة الدول الحالية ، ولا يقلل من المراكز فيها ، بل هو يوجد مراكز جديدة ، لا تضارب بينها وبين المراكز الموجودة . وكذلك نظام الاتحاد ايضاً .. فالنظام المقترح يترك لكل بلد عربي حرية حكم نفسه بحسب النظام الذي يريده ، فالبلد الملكي يبقى ملكياً ، والبلد الجمهوري يبقى جمهورياً ، ودول الامارات تبقى دول امارات ، والبلد الاشتراكي يبقى اشتراكياً، والبلد الرأسمالي يبقى رأسمالياً، وينمو كل بلد من هذه البلاد ضمن نظام حكمه ، وفي الوقت نفسه يجعل النظام المقترح البلاد العربية قوة واحدة امام العدو في الاوساط الدولية ، وذلك بحسب الدستور العام الذي تضعه دول الاتحاد . ويمكن ان يطلق على دول الاتحاد اسم « الدول العربية المتحدة» ويكون له مؤسسات دستورية اشير اليها باقتضاب :

١ – تضع « الدول العربية المتحدة » لاتحادها التحالفي دستوراً يبين فيه صلاحية حكومة « الدول العربية المتحدة » في الميادين التي تنازلت الدول الاعضاء عن بعض صلاحياتها فيها الى حكومة « الدول العربية المتحدة » . ويبين علاقات هذه الحكومة وحكومات الدول الاعضاء في الاتحاد التحالفي العربي الجديد ، ويتضمن غير ذلك من الامور التي تشاد عليها الحكومات الاتحادية ، ومنها محكمة عدل عليا تفصل فيما يجد من خلاف بين الحكومة المركزية وبين حكومات الدول الاعضاء ..

٢ – يكون للدول العربية الاعضاء مجلس رئاسة لا رئيس . وهذه مسألة كثيراً ما حملت مسؤولين في الدول العربية على محاربة فكرة الوحدة العربية بأي شكل من اشكال الوحدات السياسية ، خشية من تسلط شخص واحد على هذه الدول .. ومجلس الرئاسة يتألف من رؤساء الدول الاعضاء في « الدول العربية المتحدة » ، وهو السلطة التنفيذية العليا . ويرئس « مجلس الرئاسة » احد الاعضاء فيه مناوبة اما سنوياً ، او نصف سنوي ، او كل دورة اجتماع لذاك المجلس .. ودستور الاتحاد الماليزي سابقة ناجحة يمكن الاستفادة منها ..

وتبعاً لهذا النظام الاتحادي تبقى كل دولة عربية ، بمجلسها التشريعي وبحكومتها وبرئيس دولتها ، كما كانت ، وتسيّر اعمالها وتمارس سيادتها في الميادين التي لم تعهد بها الى حكومة « الدول العربية المتحدة » ، بحسب دستور بلادها دون ان يكون لحكومة الاتحاد اي تدخل فيها .

والاتحاد ، او الاتحاد التحالفي ، الذي يود كل عربي ان يراه حياً ، لا يمس مطلقاً

مراكز المسؤولين في الدول العربية ، بل هو يثبت تلك المراكز ، ويحافظ على استقلال الدول الاعضاء ، التي تدير امورها كما تشاء بحسب نظم حكوماتها ، وضمن دستور « الدول العربية المتحدة » ..

٣ – تكون « للدول العربية المتحدة » حكومة مركزية مؤلفة من رئيس وزراء ووزراء من غير رؤساء وزارات ووزراء الدول المشتركة في « الدول العربية المتحدة » ، يقومون بتسيير اعمال حكومة الاتحاد ، تحت اشراف « مجلس الرئاسة » ومراقبة مجلس الامة..

٤ – يكون لحكومة « الدول العربية المتحدة » مجلس امة مؤلف من مجلسين ، مجلس شيوخ ، ومجلس نواب . ويؤلف مجلس الشيوخ من منتخبين من شعوب الدول الاعضاء على اساس متساو في العدد ، كأن يكون عدد الشيوخ من كل دولة اربعة شيوخ مثلاً .. ومجلس نواب مؤلف من عدد منتخب من شعوب الدول الاعضاء بنسبة عدد سكان تلك الدول ، كأن يكون نائب واحد عن كل ربع مليون من السكان في كل دولة من الدول الاعضاء .. ومن المهم الا يكون هؤلاء الشيوخ او النواب من شيوخ ونواب الدول الاعضاء . اي لا يكون ازدواج بين اعمال موظفي الدول الاعضاء واعمال الحكومة المركزية .. ودستور الاتحاد يبين سلطات كل من المجلسين ، وسلطاتهما مجتمعين ، عندما يؤلفان معاً مجلس الامة ..

٥ – ويكون « للدول العربية المتحدة » علم خاص يختلف عن اعلام الدول العربية ، ويحسن ان يكون مؤلفاً من العلم العربي بألوانه الاربعة وفي وسطه ، وعلى القسم الابيض منه ، نجوم بعدد الدول الاعضاء .

٦ – ويكون « للدول العربية المتحدة» عاصمة في احدى المدن المتوسطة بين الاقطار العربية ، على الا تكون هذه المدينة احدى عواصم الدول العربية .. ومما لا ريب فيه ان الاجيال العربية المقبلة ، ستخلص القدس من يد الاعداء ، ان لم يكن ذلك في زماننا ، وعندئذ تكون خير مدينة تصلح عاصمة « الدول العربية المتحدة » مدينة القدس الشريف ، التي يدنس الاعداء حرمتها وحرمة الاماكن المقدسة فيها في ايامنا ..

وبهذا الشكل من الاتحاد التحالفي العربي تكون للأمة العربية حكومة مركزية تؤمن سلامة بلادها وحسن مصيرها وتقدمها ومكانتها بين الدول الكبرى في العالم .. مع بقاء الدول العربية تحكم كل منها بلادها كما تشاء ، وتتبع في ذلك النظام الذي تريد وتراه ملائماً لأوضاع سكانها ..

صلاحيات الحكومة المركزية

اما صلاحيات حكومة « الدول العربية المتحدة » فتكون في ميادين الدفاع والسياسة الخارجية والاقتصاد والتعليم والتشريع والاعلام ، بحسب ما تتنازل عنه الدول الاعضاء من سيادتها في هذه الميادين الى الحكومة المركزية .

ان قضية الدفاع عن الوطن العربي قضية مهمة حيوية ، وقد رأينا ما أدت اليه التجزئة بالبلاد العربية ، وكيف تغلبت دولة صغيرة ، مؤلفة من جماعات مشردة على عدد من الدول العربية ، وما كان لذلك من نتائج سيئة وخيمة .. وقد ابنت في فصل « العمل العربي المشترك » ضرورة ايجاد حلف عسكري عربي بين الدول العربية .. وقوة هذا الحلف العسكري العربي تصبح ، بعد انشاء حكومة « الدول العربية المتحدة » ، من اختصاص هذه الحكومة . وبعبارة اخرى تصبح قوة الحلف العسكري العربي قوة الدفاع العربي الخاضعة لسلطة الحكومة المركزية العربية .. وما عدا ذلك تبقى قوى الدفاع الاخرى للدول العربية تحت امرة وادارة حكوماتها ، على ان تجتهد في ان تأخذ كلها بنظام عسكري واحد للتدريب ، وانواع واحدة من المعدات قدر الامكان ..

اما السياسة الخارجية والتمثيل الديبلوماسي والقنصلي فيبقى اساسها من صلاحيات الدول منفردة ، الا ما تنازلت عنه لحكومة الاتحاد ، على الا تتعدى هذه الدول بسياستها الخارجية الاسس التي تتفق عليها في دستور الاتحاد ..

يمكن القول ان التمثيل الديبلوماسي العربي لجميع الدول العربية ضعيف ، ويختلف ، مقدار ضعفه من دولة الى اخرى .. ومجموع ما يصرف على هذا التمثيل مبالغ طائلة لا تتلاءم مع ما يؤديه من انتاج وفوائد .. ولتقوية التمثيل الديبلوماسي العربي ، وللاقتصاد في الوقت ذاته ، نرى ، بل نكرر ما قلناه قبل أكثر من ربع قرن في كتاب « نحو الوحدة العربية » ، ان تتفق الدول العربية فيما بينها على ان يقوم ممثلو احدى هذه الدول ، في بعض العواصم ، بتمثيل دولة اخرى او اكثر من الدول العربية المتحدة ، فتقوم مثلاً سفارة الجمهورية العربية المتحدة في لندن بتمثيل الجزائر وسوريا ، وتقوم سفارة المغرب في باريس بتمثيل الاردن والمملكة العربية السعودية ، وهلم جرا .. وفي الوقت نفسه تعين الدول الممثلة في سفارة اخرى موظفاً او اكثر يشرف على مصالح بلاده تحت ادارة رئيس البعثة .. وبذلك يصبح في الامكان تقوية السفارات العربية ، التي تمثل اكثر من دولة عربية واحدة ، بالرجال الاكفاء مع اقتصاد في مجموع نفقات السلك الديبلوماسي .

وما قلناه عن هذا السلك يمكن تنفيذه في السلك القنصلي ايضاً .. وبالاضافة الى هـذه الفوائد ، هناك فائدة نفسية وطنية وهي تمرين ابناء الامة العربية من دول مختلفة على التعاون في العمل معاً ، وخدمة الدول العربية كأجزاء وطن واحد لأمة واحدة .. وترفع السفارات العربية علم الدولة التابعة لها ، مع علم « الدول العربية المتحدة » .

وعلاوة على هذه الصلاحيات التي يمكن ان تنقص او تزيد ، بالنسبة الى علاقة الدول العربية وعلاقة حكومة « الدول العربية المتحدة » بها ، يستحسن ان تحمل جوازات السفر في جميع دول الاتحاد العربي ، في القسم العلوي من وجه الجواز اسم « الدول العربية المتحدة » ، وفي وسطه اسم الدولة التي ينتمي اليها صاحب ذلك الجواز ، وبهذه الصورة يشعر كل عربي ان له وطنين احدهما عام ، وهو « الوطن العربي »، والآخر خاص ، وهو القطر الذي ولد فيه ويعيش فيه .

اما الاقتصاد في البلاد العربية فيبقى اساسه من صلاحيات الدول الاعضاء في الاتحاد ، لكن يعطى قسم من هذه الصلاحيات الى حكومة « الدول العربية المتحدة » ، ويشمل ذلك انشاء سوق عربية مشتركة بين دول الاتحاد ، اذ لا يمكن ، لأي صناعة او تجارة ان تنمو وتعطي ثمراً يانعاً اذا كانت سوقها محدودة ، وعدد السكان المستهلكين لها صغيرا . فمن اهم عوامل التقدم الصناعي للولايات المتحدة الامريكية سعة رقعة البلاد وكثرة عدد السكان .. وها هي الدول الست من دول اوربا الغربية ، المتقدمة صناعياً ، قد رأت ان عليها ان تجعل من بلادها سوقاً مشتركاً فيما بينها ، كي تضمن نمو صناعاتها وتجارتها .. وتهدف من وراء ذلك ايضاً الى ان يكون الاتحاد الاقتصادي بين هذه الدول اساساً للاتحاد السياسي الذي تبغيه ، وهو تكوين دولة اتحادية كبرى من الدول الاوروبية الغربية ، تستطيع ان تقف موقف المساواة مع الولايات المتحدة الامريكية ، ومـع الاتحاد السوفياتي .. وقد سبق الاتحاد الاقتصادي ، في بعض البلاد ، الاتحاد السياسي ، وكان اساساً له . فاتحاد الزولفرين « Zollverein » قد قام وجمع بين مقاطعـات جرمانية مستقلة قبل نشوء الدولة الالمانية الاتحادية الحديثة .. وقام الاتحاد الجمركي في استراليا بين المستعمرات الست ، واستمر ست سنوات ، قبل اتحادها سياسياً سنـة ١٩٠٠ .

ومما يؤسف له ، ان البلاد العربية ، وهي بلاد امة واحدة ، لا تزال الحواجـز الجمركية ، وحواجز تنقل ابناء الامة الواحدة ، قائمة فيما بينها .. وهذا الوضع من عوامل تأخر البلاد العربية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً .. ولا يزال مشروع السوق

اما صلاحيات حكومة « الدول العربية المتحدة » فتكون في ميادين الدفاع والسياسة الخارجية والاقتصاد والتعليم والتشريع والاعلام ، بحسب ما تتنازل عنه الدول الاعضاء من سيادتها في هذه الميادين الى الحكومة المركزية .

ان قضية الدفاع عن الوطن العربي قضية مهمة حيوية ، وقد رأينا ما أدت اليه التجزئة بالبلاد العربية ، وكيف تغلبت دولة صغيرة ، مؤلفة من جماعات مشردة على عدد من الدول العربية ، وما كان لذلك من نتائج سيئة وخيمة .. وقد ابنت في فصل « العمل العربي المشترك » ضرورة ايجاد حلف عسكري عربي بين الدول العربية .. وقوة هذا الحلف العسكري العربي تصبح ، بعد انشاء حكومة « الدول العربية المتحدة » ، من اختصاص هذه الحكومة . وبعبارة اخرى تصبح قوة الحلف العسكري العربي قوة الدفاع العربي الخاضعة لسلطة الحكومة المركزية العربية .. وما عدا ذلك تبقى قوى الدفاع الاخرى للدول العربية تحت امرة وادارة حكوماتها ، على ان تجتهد في ان تأخذ كلها بنظام عسكري واحد للتدريب ، وانواع واحدة من المعدات قدر الامكان ..

اما السياسة الخارجية والتمثيل الديبلوماسي والقنصلي فيبقى اساسها من صلاحيات الدول منفردة ، الا ما تنازلت عنه لحكومة الاتحاد ، على الا تتعدى هذه الدول بسياستها الخارجية الاسس التي تتفق عليها في دستور الاتحاد ..

يمكن القول ان التمثيل الديبلوماسي العربي لجميع الدول العربية ضعيف ، ويختلف ، مقدار ضعفه من دولة الى اخرى .. ومجموع ما يصرف على هذا التمثيل مبالغ طائلة لا تتلاءم مع ما يؤديه من انتاج وفوائد .. ولتقوية التمثيل الديبلوماسي العربي ، وللاقتصاد في الوقت ذاته ، نرى ، بل نكرر ما قلناه قبل أكثر من ربع قرن في كتاب « نحو الوحدة العربية » ، ان تتفق الدول العربية فيما بينها على ان يقوم ممثلو احدى هذه الدول ، في بعض العواصم ، بتمثيل دولة اخرى او اكثر من الدول العربية المتحدة ، فتقوم مثلاً سفارة الجمهورية العربية المتحدة في لندن بتمثيل الجزائر وسوريا ، وتقوم سفارة المغرب في باريس بتمثيل الاردن والمملكة العربية السعودية ، وهلم جرا .. وفي الوقت نفسه تعين الدول الممثلة في سفارة اخرى موظفاً او اكثر يشرف على مصالح بلاده تحت ادارة رئيس البعثة .. وبذلك يصبح في الامكان تقوية السفارات العربية ، التي تمثل اكثر من دولة عربية واحدة ، بالرجال الاكفاء مع اقتصاد في مجموع نفقات السلك الديبلوماسي .

وما قلناه عن هذا السلك يمكن تنفيذه في السلك القنصلي ايضاً .. وبالاضافة الى هـذه الفوائد ، هناك فائدة نفسية وطنية وهي تمرين ابناء الامة العربية من دول مختلفة على التعاون في العمل معاً ، وخدمة الدول العربية كأجزاء وطن واحد لأمة واحدة .. وترفع السفارات العربية علم الدولة التابعة لها ، مع علم « الدول العربية المتحدة » .

وعلاوة على هذه الصلاحيات التي يمكن ان تنقص او تزيد ، بالنسبة الى علاقة الدول العربية وعلاقة حكومة « الدول العربية المتحدة » بها ، يستحسن ان تحمل جوازات السفر في جميع دول الاتحاد العربي ، في القسم العلوي من وجه الجواز اسم « الدول العربية المتحدة » ، وفي وسطه اسم الدولة التي ينتمي اليها صاحب ذلك الجواز ، وبهذه الصورة يشعر كل عربي ان له وطنين احدهما عام ، وهو « الوطن العربي » ، والآخر خاص ، وهو القطر الذي ولد فيه ويعيش فيه .

اما الاقتصاد في البلاد العربية فيبقى اساسه من صلاحيات الدول الاعضاء في الاتحاد ، لكن يعطى قسم من هذه الصلاحيات الى حكومة « الدول العربية المتحدة » ، ويشمل ذلك انشاء سوق عربية مشتركة بين دول الاتحاد ، اذ لا يمكن ، لأي صناعة او تجارة ان تنمو وتعطي ثمراً يانعاً اذا كانت سوقها محدودة ، وعدد السكان المستهلكين لها صغيرا . فمن اهم عوامل التقدم الصناعي للولايات المتحدة الامريكية سعة رقعة البلاد وكثرة عدد السكان .. وها هي الدول الست من دول اوربا الغربية ، المتقدمة صناعياً ، قد رأت ان عليها ان تجعل من بلادها سوقاً مشتركاً فيما بينها ، كي تضمن نمو صناعاتها وتجارتها .. وتهدف من وراء ذلك ايضاً الى ان يكون الاتحاد الاقتصادي بين هذه الدول اساساً للاتحاد السياسي الذي تبغيه ، وهو تكوين دولة اتحادية كبرى من الدول الاوروبية الغربية ، تستطيع ان تقف موقف المساواة مع الولايات المتحدة الامريكية ، ومـع الاتحاد السوفياتي .. وقد سبق الاتحاد الاقتصادي ، في بعض البلاد ، الاتحاد السياسي ، وكان اساساً له . فاتحاد الزولفرين « Zollverein » قد قام وجمع بين مقاطعـات جرمانية مستقلة قبل نشوء الدولة الالمانية الاتحادية الحديثة .. وقام الاتحاد الجمركي في استراليا بين المستعمرات الست ، واستمر ست سنوات ، قبل اتحادها سياسياً سنـة ١٩٠٠ .

ومما يؤسف له ، ان البلاد العربية ، وهي بلاد امة واحدة ، لا تزال الحواجـز الجمركية ، وحواجز تنقل ابناء الامة الواحدة ، قائمة فيما بينها .. وهذا الوضع من عوامل تأخر البلاد العربية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً .. ولا يزال مشروع السوق

العربية المشتركة ، الذي تشرف على انشائه جامعة الدول العربية ، يتعثر بسبب انانية بعض المسؤولين وبطء الجامعة نفسها ..

ومن الضروري ايجاد بنك مركزي لبلاد « الدول العربية المتحدة » ينظم الاوضاع المالية فيها ، ويوحد العملة ، على ان يبدأ بتوحيد قيمتها . والمراد بذلك ابقاء اسمائها كما هي ، وتوحيد قيمة وحدة العملة واجزائها في مختلف بلاد الاتحاد العربي . ويعمل البنك المركزي لبقاء قيم هذه العملات واحدة ، لا تتأثر بالمضاربات والاسباب المالية الاخرى التي تؤدي الى هبوط قيمة العملة في الاسواق الحرة ، عن قيمتها الرسمية .. ويتلو ذلك ايجاد عملة واحدة لجميع البلاد العربية الاعضاء في « الدول العربية المتحدة » ، تدعمها القوى المالية والاقتصادية فيها ..

ولتخطي الاوضاع التي اوجدها الاستعمار ، والتي ادت الى اضعاف الثقافة الوطنية ، في كثير من البلاد العربية ، وللوصول بالامة العربية الى مستوى ثقافي متشابه ، يجب ان توحد مناهج التعليم فيها الى حد كبير . اذ ان اختلاف مناهج التعليم اختلافاً كبيراً ، كما هو الوضع الحاضر ، يعدد المشارب ويباعد بين البلاد العربية . اما توحيد التعليم فيساعد على التفاهم ، ويجعل للبلاد العربية روحاً ثقافية واحدة . ولذا فمن الضروري ان تهتم جامعة الدول العربية ، بجد ونشاط ، بتوحيد مناهج التعليم في البلاد العربية قدر الامكان .. وللوصول الى ذلك يحسن ان تنشيء « مجلس التعليم العام » من بعض رجال التربية والفكر في مختلف البلاد العربية ، لدرس الموضوع بدقة من نواحيه المختلفة ، ووضع منهاج تعليم للمدارس الابتدائية وآخر للمدارس الثانوية ، لتعمل بموجبه هذه المدارس ، في مختلف البلاد العربية .. فتوحيد مناهج التعليم الابتدائي والثانوي ، عامل مهم جداً في ايجاد نشء جديد يشعر ، من الاعماق ، انه ابن امة واحدة ، وان كان من دول عربية متعددة ، ويكون اساساً متيناً للاتحاد العربي ، غير قابل للتصدع او الانقسام ..

وتوحيد التشريع ، وخصوصاً المدني والجزائي والتجاري منه ، مزيل للفوارق القانونية القائمة الآن بين البلاد العربية . وتوحيد هذا النوع من التشريع هين ، ان عمل لذلك باخلاص وجد ، لأن له في جميع البلاد العربية اسساً واحدة هي الشرع الاسلامي مشفوعاً بالاجتهاد . واننا على يقين من ان الشرع الاسلامي ، ان فهم على حقيقته ، وعمل بطرق التشريع فيه ، وهي لا تتقيد بشيء سوى العقل ومصلحة الجماعة ، امكنه الاتيان بقوانين تلائم تماماً مقتضيات العصر الحديث ، مع المحافظة على المبادىء الحقيقية القويمة التي جاء بها هذا الدين الحنيف . لقد عللوا جواز النسخ بأن المصلحة قد تختلف

باختلاف الاوقات ، فاذا كانت المصلحة تختلف في الوقت القصير ايام النبي العظيم ، افلا يجوز ان تختلف على مر السنين والدهور التي تعاقبت منذ ذلك التاريخ ؟ .. بلى . وعليه ، ألا يجب ان يكون باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه في وضع القوانين التي تلائم العصر الحاضر ، دون ان تتضارب مع روح الشرع الحنيف ؟ ..

وفي هذا الميدان مجال واسع لتعمل فيه جامعة الدول العربية .. ولا يتطلب تحقيق توحيد التشريع الانتظار الى ايجاد الاتحاد العربي ، للشروع فيه . وكل ما يلزم الجامعة للقيام بذلك هو النشاط والعمل ..

ويدخل الاعلام العربي ضمن الميادين التي تتنازل عنها الدول العربية للاتحاد .. والاعلام في عصرنا من اهم اسلحة الدولة التي تستخدم لتأمين حقوق الامة ، ولنيل مكانة رفيعة لها بين الامم الراقية .. ولكن توحيد الاعلام العربي لا يتطلب الانتظار الى تحقيق الاتحاد العربي المنشود . فجامعة الدول العربية قائمة ، وجهاز الاعلام فيها موجود ، ومخصصات الاعلام متوافرة .. اما الذي ينقصها فهو تعيين الغاية والهدف لاعلامها ، اللذين ينبغي ان يكونا عربيين ، ثم ايجاد الرجال الاكفاء النشيطين المخلصين للقيام بواجباتهم على احسن وجه .. فهل الدول العربية تمنع الجامعة من تحقيق العمل باتقان وجد ومقدرة ونشاط ؟ ..

التكتلات العربية

ومما لا ريب فيه ان في الامكان تحقيق الوحدة العربية باشكال مختلفة تقرب او تبعد عن الشكل الاتحادي التحالفي الذي عرضنا خطوطه العريضة في هذا الفصل . وفي اعتقادنا ان ما عرضناه عن نوع الاتحاد العربي وكيف يكون ، هو اقرب هذه الاشكال ملاءمة لوضع البلاد العربية ، والنزاعات السياسية السائدة فيها ، في عهدنا الراهن . ومتى توحدت مناهج التعليم في البلاد العربية ، وتقاربت الثقافة وتقدمت الروح القومية العربية فيها ، تحول هذا الشكل الاتحادي التحالفي الى اتحاد خالص ، يمكن البلاد العربية من الوقوف مع الدول الكبرى على قدم المساواة ، واستطاعت القيام بالدور الذي لها في تاريخ العالم وفي تقدم المدنية ..

وللشروع في تكوين الاتحاد العربي المنشود ، يكفي ان تتفق دولتان من الدول العربية او اكثر فيما بينها على تكوين الاتحاد ، ومن ثم تدخل الدول العربية الاخرى ، في هذه الوحدة السياسية ، الى ان تشملها جميعاً .. فالواجب الآن العمل ووضع الاسس ، ثم يتم البناء شيئاً فشيئاً الى ان يصبح تاماً حصيناً شامخاً ..

وما نراه في ايامنا من اتجاهات تقارب بعض الدول العربية ، وتكوين تفاهم بين كتل منها ، لا يتعارض مع هدف الامة العربية من ايجاد الاتحاد العربي المنشود .. فالتكتل الذي نرى خيوطه تحاك ، بين الجمهورية العربية المتحدة ، والجمهورية العربية الليبية ، والجمهورية العربية السودانية ، هو تكتل سليم ، يساعد على ايجاد الاتحاد العربي المنشود ، ولا يحول دونه .. واننا لنرجو ان تتمكن هذه الدول من ان تحقق فيما بينها اتحاداً خالصاً ، او اتحاداً تحالفياً على الشكل الذي أثبتنا اسسه الأولية ..

وكذلك الحال مع التكتل الذي يجري وضع اسسه بين دول المغرب العربي : الجمهورية التونسية ، والجمهورية الجزائرية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية الموريتانية . واننا لنرجو ايضاً لهذه الدول ان تصل في جهودها الى ايجاد اتحاد خالص فيما بينها ، او اتحاد تحالفي ..

ووجود اتحادات عربية على هذا الشكل يسهل الوصول الى الاتحاد العربي المنشود الذي يضم جميع الدول العربية ، كما يصبو جميع ابناء الامة العربية.. واذكر أنني زرت البلاد العربية في شمالي افريقيا وتجولت فيها مدة اربعة اشهر ، مستطلعاً ومتحدثاً ودارساً ، فوجدت لدى ابناء هذه البلاد نضوجاً سياسياً يبشر بمستقبل زاهر ..

ولو ان البلاد العربية في آسيا تستطيع ان تخرج من دائرة النزاع والخصام .. وتعمل لايجاد اتحاد فيما بينها او اكثر من اتحاد ، او ان تنضم كلها ، او بعضها كخطوة اولى ، الى الاتحاد المصري السوداني الليبي ، لكان ذلك خطوة واسعة في اتجاه اقامة الاتحاد العربي الشامل المنشود ..

وبعد انتقال المرحوم جمال عبد الناصر الى جوار ربه ، اخذت الدعاية الغربية الامبريالية والصهيونية ، تبث السموم ، وتدعي بأن مصر ، بعد جمال عبد الناصر ، ستنطوي على نفسها ، ولا تعود تهتم بأمور البلاد العربية الاخرى ، وستبتعد عن فكرة الوحدة العربية ، تلك الفكرة التي تقض مضاجعهم ، لأن في تحقيقها ايجاد قوة العرب ومستقبلهم الباهر ..

وجاء خطاب الرئيس انور السادات ، الذي القاه امام مجلس الامة ، مساء يوم الاربعاء في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، مخيباً لآمال اعداء الامة العربية ، اذ اكد فيه سيادته :

« ان الجمهورية العربية المتحدة وحدوية بايمانها ، وحدوية بعملها ، ووحدوية في كل مقصد من مقاصدها ..

وهي لا تعتبر ان الوحدة العربية دعوى تاريخ فحسب ، وانما هي ضرورة مستقبل ومصير قبل اي شيء آخر ..

ومن هذه المنطلقات ، فان الجمهورية العربية المتحدة لن يتزعزع ايمانها في ان الامة العربية امة واحدة ، حريتها واحدة وتقدمها واحد ، وآمالها في الغد واحدة ..

وفي يقين شعبنا ان كل من يشكك في هدف الوحدة ، انما يشكك في امكانية البقاء العربي واستمرار هذا البقاء ، كما يجب ان يكون البقاء بمعناه الايجابي : حياة وحرية ..

وليس بين جميع اهدافنا — هدف — يتعرض للغارات المعادية كما يتعرض هدف الوحدة ، وتلك شهادة لأصالة هذا الهدف ، كما ان ذلك في نفس الوقت حافز يدفعنا الى حسن الدفاع عنه ، واكثر ما يكون دفاعنا عن هذا الهدف حين نحميه ليس فقط من اعدائه ، وانما من الذين يتظاهرون به وهم لا يقصدون وجهه ولكنهم يناورون لخدمة مغامرات غير مدروسة وغير محسوبة ..

على هذه الاسس قام اتفاق القاهرة بين دول ميثاق طرابلس : الجمهورية العربية الليبية وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية العربية المتحدة ، من اجل ايجاد النواة والقاعدة الصلبة لمستقبل عربي تصنعه وتشكله الارادة الواعية الحرة المتحررة »[1] .

وتبع ذلك ، اثر التغيير الذي حدث في الحكم في سوريا ، ان ذهب السيد حافظ الاسد رئيس الحكومة ووزير الدفاع الى القاهرة ، في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، وتباحث مع الرئيس انور السادات ، وطلب انضمام سوريا الى الاتحاد الثلاثي ، المصري السوداني الليبي ، فلبى رؤساء هذه الدول الطلب ورحبوا بانضمام سوريا الى الاتحاد ، فأصبح الاتحاد الثلاثي اتحاداً رباعياً ..

والوطنيون العرب ، في جميع اقطارهم ، يودون تدعيم هذا الاتحاد والسير به خطوات قوية ثابتة الى ان يصبح اتحاداً متيناً شاملاً . واولى هذه الخطوات اللازمة ، نسبة الى الظروف الحالية الناجمة عن اعتداء اسرائيل ، هي اتحاد سريع بين جيوش هذه

(١) نقلا عن جريدة الاهرام في ٢٠ – ١١ – ١٩٧٠ .

البلاد ، بقيادة واحدة قادرة على اعطاء الاوامر وتنفيذها .. وهم يأملون ان تنضم دول عربية اخرى الى هذا الاتحاد حتى يصبح شاملاً لها جميعها ، فتتخذ الأمة العربية مكانها بين الدول الكبرى ، وتساهم في تقدم المدنية ورقي الانسانية ..

اما فيما يتعلق بانضمام الاردن الى الاتحاد الرباعي فقد رفض الرئيس معمر القذافي ، في تصريحات له ادلى بها في طرابلس يوم اول ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، اشتراك الأردن في الاتحاد . وقال ايضاً « ان الامل بعودة العلاقات الطبيعية بين ليبيا والاردن مفقود تماماً خاصة بعد الدور الذي لعبه الملك حسين في الاحـــداث الاخيرة[1] وتعيينه السيد وصفي التل رئيساً للوزراء »[2] .

ان البلاد العربية تشغل منطقة من اهم مناطق العالم استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً .. وفي اراضيها اكبر احتياطي للبترول في العالم ، وهي غنية بمواردها الاولية الاخرى المتنوعة .. وبأراضيها الزراعية الشاسعة الخصبة .. واليد العاملة فيها متوافرة ، اذ يقطنها مئة مليون عربي .

غير ان هذه البلاد العربية ، الغنية في كل شيء اولي، فقيرة بصورة عامة ، ودولها ضعيفة ، لا مكانة دولية رفيعة لها .. وسبب ذلك كله ان دول الاستعمار جزأت العالم العربي الى دول ودويلات متصادقة فترة ، ومتنازعة فترات ، وان بعض المسؤولين فيها قد تمسكوا بأوضاعهم ، غير مبالين بمستقبل الامة العربية ، وجعلوا يصرفون جهودهم في امور جانبية تضعف البلاد وتؤخرها ..

واني لمن المؤمنين بأن ايجاد اتحاد بين الدول العربية ، يغير ضعفنا الى قوة ، وفقرنا الى غنى ، وكياننا الدولي الوضيع الى كيان دولي رفيع .. ويجعل من اتحاد « الدول العربية المتحدة » الدولة الخامسة بين الدول الكبرى .. وعندئذ لا تستأسد « الفئران » في اوطاننا ، بل تصبح الدول الكبرى التي تخاصمنا اليوم صديقة لنا تخطب ودنا .. وعندئذ يزول خطر الصهيونية ، ووليدتها اسرائيل ، وتعاد حقوقنا في فلسطين السليبة كاملة غـــير منقوصة .. أما اي اتفاق بين دول عربية واسرائيل فانه لا يزيل خطرها ، بل يعطيها متنفساً للاستعداد لاعتداء جديد تحقق معه مكاسب اقليمية واقتصادية وسياسية جديدة..

(١) المقصود بها احداث « المجزرة » ، راجع الفصل الثالث عشر .

(٢) جريدة النهار في ٢ – ١٢ – ١٩٧٠ .

واي اعتراف الدول عربية باسرائيل ، وبحدود آمنة لها ، (! ..) مهما كانت شدة الضغط والقنابل ، انما يثبت الخطر الصهيوني في قلب العالم العربي ، ويضيع حقوق اهل فلسطين في القسم من بلادهم الذي تعترف دول عربية باسرائيل فيه .. وفي ذلك بيع لقضية فلسطين ، ومنع لاهل البلد من المطالبة بحقهم في وطنهم ، والعمل للوصول اليه .. وما يمكن قوله في هذا الموضوع الخطير كثير ..

ولعل سائلاً يسأل :

كيف يمكن للوحدة العربية بأي شكل من اشكال الوحدات السياسية ، ان تتم بين بلاد عربية ، نراها وهي في اشد ايام محنتها والخطر يتهددها جميعاً ، في خصام مستمر وعجز عن مقاتلة العدو الذي يفتك بأبناء الامة العربية ؟!. وكيف يمكن للمسؤولين ، واهدافهم اقليمية ، ان يعملوا مخلصين للوطن العربي وللامة العربية ؟ ! .

هذا سؤال وجيه ، والجواب عليه يتطلب بحثاً مستفيضاً ، وللاختصار اشير الى خطوطه العريضة :

لكيما تتم الوحدات السياسية بين اقطار امة واحـــدة ، ينبغي ان يتوافر النضوج السياسي الوطني القومي ، لدى مسؤولين في الامة ، او لدى قسم كبير من الشعب ..

والوحدات السياسية تتم اما بواسطة زعيم او اكثر متفقين على الهدف الوطني القومي ، او بواسطة الشعب الناضج سياسياً ووطنياً وقومياً ، فيعمل على تحقيق الوحدة السياسية ، اما بحمل المسؤولين ، بطرق متعددة مختلفة ، على تحقيق اماني الامة ، او يحققها دونهم..

لقد ظهر في المقاطعات الجرمانية زعيم مسؤول وطني قومي هو بسمارك ، فعمل بطرقه الخاصة على توحيد المقاطعات الجرمانية ، واقامة الدولة الالمانية الكبيرة .. وظهر في المقاطعات الايطالية زعيم شعبي وطني قومي هو كاريبالدي ، فعمل بطرق خاصة ايضاً ، على توحيد المقاطعات الايطالية وانشأ دولة ايطاليا الحديثة ..

والامة العربية لن تحرم نفسها مدى الدهور من ظهور زعيم وطني قومي مسؤول يعمل لتحقيق الوحدة العربية بشكل من اشكال الوحدات السياسية ، ولا يكون له من وراء ذلك مآرب شخصية او اقليمية .. او ظهور زعيم وطني قومي ، يبغض الاقليميات ويحارب المتاجرة بالشعارات والثراء على حساب الشعب والبلاد ، فيقود الشعب الى تحقيق اتحاد متين بين البلاد العربية ، هدف الامة النبيل ..

* * *

ان ما تضمنته الفصول الثلاثة المتقدمة من حقائق لانقاذ الوضع العربي ، هي من البديهيات التي لا تحتاج الى دليل لاثبات فاعليتها .

ليس في البلاد العربية ازمة رجال صالحين للجندية ..

وليس في البلاد العربية ازمة مال لتموين جيش الدفاع العربي المشترك ..

وليس هناك ازمة حصول على السلاح ..

وليس من ازمة للمدربين الفنيين ، اذ يمكن الاستعانة بدول اخرى لمدنا بما ينقصنا منهم .

وفوائد الاتحاد العربي هائلة واضحة لا يجادل فيها الا عدو للعرب يسوؤه ان يراهم في وضع طيب ..

ومع كل هذا فالدول العربية لم تحقق حتى اليوم ، على الرغم من الاخطار ، شيئاً مما ذكرنا ان فيه مصلحة الجميع ؟ ! . فاذن هناك ازمة في البلاد العربية ، فما هو نوعها؟ واين هي ؟

ان في البلاد العربية ازمة شديدة خانقة هي : ازمة الثقة .

هناك ازمة ثقة بين الجماعات في كل من البلاد العربية ..

هناك ازمة ثقة بين بعض الحكام والمحكومين ..

وهناك ازمة ثقة فيما بين المسؤولين في البلاد العربية ..

وازمة الثقة هذه هي سبب الضعف في البلاد العربية ، وتأخرها في مختلف الميادين..

ان الشعوب العربية في مختلف اقطارها تريد من المسؤولين العمل الايجابي المؤدي الى ازالة آثار العدوان ، والى اعادة جميع الحقوق في الاوطان . وتريد العيش في بلادها برخاء وامان ضمن اتحاد عربي قوي ، يعيد للعرب ما ضاع منهم من مجد سابق ومكانة دولية .

وليتمكن المسؤولون من تحقيق مآرب الشعب ، التي تعود عليهم هم ايضاً بالسعادة والراحة ، يتطلب منهم اولاً حل ازمة الثقـــة في مختلف ميادينها ، والتغلب عليها ، وازالتها من الوجود العربي . والعمل معاً على تحقيق منهاج عربي وطني ، من اسسه ما ذكرنا في الفصول الثلاثة الاخيرة ، وابناء الامة العربية معهم باذلين النفس والنفيس لما فيه مصلحة الامة العربية جمعاء ..

والمسؤولون في مختلف الميادين ، هم المسؤولون عن مصير هذه الامة العربية الابية الكريمة العزيزة ..

لذلك فانني اهيب باصحاب الاقلام الوطنية ، ذوي الفكر المستقيم ، ان يكثروا من الكتابة والتوجيه في هذه الحقائق الوطنية القومية ، وان يبذروا بذور النضوج السياسي الوطني القومي ، وان يحثوا على : تقوية العمل الفدائي ، وايجاد العمل العربي المشترك ، وتحقيق اتحاد بين الدول العربية . وهذه الامور هي اساس قوة العرب ، وعليها يشاد بناء مجدهم ورخاءهم وعزهم ..

على العرب ان يفكروا تفكيراً جديداً وان يقوموا باعمال جديدة ، ان ارادوا لامتهم البقاء ولوطنهم السلامة ولكرامتهم العودة .

الفصل الثاني عشر

مـــا هو الحـــل ؟

ما هو الحل للصراع العربي الاسرائيلي ولقضية فلسطين ؟

هذا سؤال يدور على لسان كل من له علاقة بالموضوع ، وكل من يشغل نفسه به من غير ابناء المنطقة .

والحل معقد يصل الى جواب ملتهب دام ، ان كانت الغاية تحقيق اهداف الصهيونية ومؤيديها ومساعديها من الدول الامبريالية ، والى جواب بسيط يؤدي الى سعادة الجميع ، ان كانت الغاية تحقيق العدالة وتطبيق الديمقراطية في منطقة الشرق العربي .

جبت العالم اكثر من مرة ، واجتمعت بعدد من المسؤولين في دوله ، ومن رجال الفكر والسياسة ، فكان هذا السؤال يطرح علي وكنت اجيب عليه ..

واجتمعت الى دبلوماسي امريكي كبير ، بيني وبينه معرفة منذ سنة ١٩٤٩ ، حينما ذهبت اول مرة الى واشنطن وانشأت فيها السفارة الاردنية . وقد شغل مناصب عالية في وزارة الخارجية الامريكية ، وكان سفيراً لبلده في عدد من العواصم . وهو لا يعمل الآن في الحكومة رسمياً لأنه تقاعد . غير ان وزارة الخارجية الامريكية ، تظل على اتصال بسفرائها المتقاعدين ، وتعهد اليهم ، من حين الى آخر ، بمهمات رسمية للاستفادة من خبراتهم الطويلة ..

وكان معي اثناء اجتماعي بذاك الديبلوماسي الامريكي ، صاحب غربي معروف بتفكيره السياسي العميق غير المتحيز .

وفي اثناء الحديث سألني الدبلوماسي الامريكي السؤال الذي يكرر الامريكان ،

وغير الامريكان ، طرحه على من يقابلون من ابناء الشرق الاوسط ، ما هو الحل للازمة العربية الاسرائيلية ولقضية فلسطين ؟

وقبل ان اجيب عن السؤال قال صاحبي الغربي للدبلوماسي الامريكي :

دعني اجب عن سؤالك ، فانني انظر الى الموضوع نظرة من ليس بفريق فيه ، وغير متحيز لجهة ، ونظرة من يريد تحقيق العدالة ، ويبغي الوصول الى السلام .

وتابع صاحبي قوله :

ليس للأزمة العربية الاسرائيلية وقضية فلسطين حل واحد ، وانما ثلاثة حلول : الحل الاسرائيلي ، والحل الدولي القانوني ، والحل العربي الفلسطيني .

—١—

الحـــل الاسرائيلي

نحن نعرف ان اسرائيل وجدت في فلسطين بقرار من الامم المتحدة ، وقامت على القوة وانه لا حق لها فيما تحتل من بلاد ، ووجودها فيها غير شرعي . وهي واثقة من ذلك وان كانت لا تصرح به .. ولاسرائيل اطماع في الشرق العربي ، وهي تحلم بتحقيق اسرائيل الكبرى ، ما بين النهرين ، النيل والفرات ، وجميع البلاد العربية الواقعة شمالي خط يمتد من جنوبي الكويت الى جنوبي المدينة المنورة .. واسرائيل تعمل لتحقيق هذا الحلم ، وما اعتداؤها يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، على ثلاثة بلاد عربية ، الا خطوة ثالثة في سبيل تحقيق اسرائيل الكبرى . والاسرائيليون لا يخفون ذلك ، وان كانوا في تصاريحهم لا يسفرون عما يضمرون .

والحل الاسرائيلي مبني على اساس تحقيق اسرائيل الكبرى على خطوات ، غير مبالين بما يحدث ذلك من مآس لليهود وللعرب وللعالم ايضاً .. ونحن نرى من خطاب ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، الذي ألقاه في الجمعية العامة للامم المتحدة ، يوم ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ ، ان اسرائيل تريد حلاً يمكنها من التوسع في البلاد العربية ، والتوغل في الاقتصاد العربي ، ومشاركة البلاد العربية في خيراتها ، لا حلاً يؤدي الى سلام حقيقي والى حدود آمنة حقاً .. وهذه الامور ظاهرة بجلاء في النقاط

التسع التي تقدم بها ابا ايبان ، في خطابه ، لحل النزاع العربي الاسرائيلي وقضية فلسطين .

وتابع المفكر الغربي قائلاً :

واني اذكر لك موجزها ، ولا شك انك قد قرأتها ، للوقوف على غرابتها ، ولرؤية اهداف اسرائيل الحقيقية من دعوة السلام التي تنادي بها :

١ ـ ايجاد سلام بين اسرائيل والبلاد العربية ، نتيجة لمفاوضات مباشرة ، تؤدي الى معاهدة صلح توقعها اسرائيل والبلاد العربية ، موصلة الى نتائج سياسية وعمليـة وقانونية .

٢ ـ اتفاق اسرائيل والبلاد العربية على حدود لاسرائيل آمنة ومعترف بها من الدول العربية (تحت ضغط الاحتلال الاسرائيلي) ، تتضمنها معاهدة الصلح .

٣ ـ أن تعقد اسرائيل والبلاد العربية اتفاق عدم اعتداء .

٤ ـ أن تكون الحدود التي يتفق عليها الطرفان مفتوحة ، والمرور فيها حراً للاسرائيليين والعرب ، فيمتزجون ويتجرون ، ويقيمون بين بلادهم سوقاً تجارية مشتركة .

٥ ـ حرية الملاحة في جميع المياه الاقليمية والممرات الدولية .

٦ ـ حل مشكلة اللاجئين بتوطينهم في الشرق الاوسط بمساعدات اقليمية ودولية .

٧ ـ أن تعتبر اسرائيل القدس جزءاً منها لا يمكن فصله عنها ، ولكنها لا ترغب في ان تكون لها وحدها سلطة قانونية على الاماكن المقدسة المسيحية والاسلامية ، وهي على استعداد لاعطاء هذه الاماكن صبغة دولية .

٨ ـ اعتراف الدول العربية بسلامة اراضي اسرائيل واستقلالها السياسي وحقها في حياة قومية . وعلى الدول العربية ، بالتالي ، ان تسحب تحفظاتها ، التي ابدتها عندمـا اشتركت في منظمات دولية ، بأن تواقيعها لا تجري على علاقاتها باسرائيل او بأن اسرائيل غير موجودة .

٩ ـ ايجاد تعاون اقليمي بين اسرائيل والبلاد العربية لتنمية المواصلات واستغلال الثروات المتنوعة في البلاد العربية .

وتابع صاحبي قوله :

وتصاريح المسؤولين الاسرائيليين التي تعبر عن اطماعهم في البلاد العربية كثيرة ،

ومنها ما صرح بـه مؤخراً ابا ايبان في ٥ ـ ٦ ـ ١٩٧٠ ، اذ قال : انه اذا جرت مفاوضات مع الدول العربية ذات يوم ، فإن اسرائيل ستصر عـلى البقاء في القدس ومرتفعات الجولان وشرم الشيخ ، كما ستصر على ايجاد ممر من شرم الشيخ الى ايلات[1] .

فبيان ايبان وتصريحات المسؤولين واعمالهم في المناطق المحتلة تبين اسس السلام الذي تريده اسرائيل ، وهي اسس يبنى عليها تسلط اسرائيل على البلاد العربية ، واقامة حماية اسرائيلية على العالم العربي واقتصاده . لم يذكر ايبان ، مرة واحدة ، كلمة « انسحاب » اي انسحاب قوات اسرائيل من البلاد المحتلة . بل شدد على ذكر حدود آمنة تعترف بها الدول العربية ، وتؤدي الى تنازل العرب عن حقوقهم في الاراضي التي تضمها تلك الحدود الآمنة ، والغاء جميع قرارات الامم المتحدة التي حددت بموجبها حدود اسرائيل حينما اوجدتها ، لتصبح اسرائيل في الشرق العربي قائمة فيه ليس اقحاماً ، بقرار من الامم المتحدة ، وانما باتفاق مع الدول العربية ..

ثم ان السياسة الاسرائيلية هذه لا تعترف بوجود شيء يسمى « القضية الفلسطينية » ، اذ ابدلتها بمشكلة لاجئين تحل بتوطينهم في البلاد العربية ، بأموال تجمع من البلاد العربية ومن دول العالم .. اما القدس والاماكن المقدسة المسيحية والاسلامية التي فيها ، فكلام ايبان عنها واضح ، والوقاحة فيه على اشدها ..

اني اعتقد ان لا احد ، له ضمير حي وبعد نظر سياسي ، يرضى بهذا الحل ، وان كانت الولايات المتحدة ضالعة مع اسرائيل .. واني متأكد من ان العرب لن يقبلوا مطلقاً بالحل الاسرائيلي رغم ضعفهم الحالي .. وان الزعماء العرب لن يفرطوا بشيء من حقوق امتهم لاسرائيل ، ولا بحقوق اهل فلسطين في وطنهم .. وان كانت اسرائيل تظن ان منهم من يساير حلها الى حد ما ، فان اولئك الزعماء لن يستطيعوا حمل الامة العربية على قبول موقفهم ، والنتيجة الحتمية هي تنحيتهم وظهور آخرين ، اقوى شكيمة ، يمشون مع الزعماء الذين يؤكدون ان الاعتداء لن يعطي اسرائيل مكاسب اقليمية او سياسية او اقتصادية في البلاد العربية .. وانه لن يؤدي الى تصفية القضية الفلسطينية ..

ولئن ظلت اسرائيل متمسكة بسياستها الراميـة الى التوسع الاقليمي والسياسي والاقتصادي في البلاد العربية ، معتمدة في ذلك على الدعم الامريكي لها سياسياً وعسكرياً ،

---

(١) جريدة النهار – بيروت في ٦ ـ ٦ ـ ١٩٧٠

فان ذلك يؤدي الى استمرار الحروب بين الصهيونيين من جهة والعرب والمسلمين من جهة أخرى ، والى اعادة ذكرى الحروب الصليبية في البلاد المقدسة ، التي كانت نتيجتها ، بعد مئتي سنة من قتال مرير ، انسحاب المعتدين وبقاء اصحاب البلد في اوطانهم ..

— ٢ —

الحل الدولي القانوني

وتابع المفكر السياسي الغربي قوله :

اما الحل الدولي القانوني فينبع من المصدر الذي نشأت بموجبه اسرائيل. وقبل التحدث عن مضمونه ينبغي اولاً تذكر الحقائق التالية :

١ — وجدت اسرائيل بقرار الامم المتحدة المعروف بقرار تقسيم فلسطين ، الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧. وشرعية وجود اسرائيل، بالنسبة الى الدول التي اقرته ، هي ضمن الحدود التي رسمها ذلك القرار .

والقرار ذو شقين ، شق لمصلحة اسرائيل ، والشق الآخر لمصلحة اهل فلسطين العرب . ولكيما يكون القرار نافذ المفعول ينبغي ان ينفذ بقسميه . اما تنفيذ القسم الخاص باليهود ، ورفض تنفيذ القسم الخاص بالعرب ، فيؤديان الى ان يصبح وجود اسرائيل غير شرعي حتى بالنسبة الى من ايدوا القرار في الامم المتحدة .

٢ — قسم قرار التقسيم فلسطين الى قسمين : قسم تقام فيه دولة يهودية ، مساحته ٥٦٪ من مساحة فلسطين (مع ان اليهود كانوا يملكون فقط ما هو اقل من ٦٪ من مساحة فلسطين). والقسم الآخر ومساحته ٤٤٪ من فلسطين تقام فيه دولة عربية فلسطينية. وقرار التقسيم لم يمس حقوق السكان العرب في القسم اليهودي الذي يزيد عددهم فيه على عدد اليهود .. غير ان اليهود تجاوزوا ، سنة ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، حدود التقسيم بالاعتداء، واحتلوا اجزاءً من القسم الذي قررت الامم المتحدة بقاءه عربياً. وكانت اسرائيل تحتل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ما مساحته ٨٠٪ من فلسطين.

٣ — قام الصهيونيون بارهاب الفلسطينيين ، اصحاب البلد ، قبل نهاية الانتداب وحملوا

اربعمائة الف عربي على الرحيل عن ديارهم قبل ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ . وبعد ان اسس الصهيونيون دولتهم اعتدوا على اجزاء واسعة من القسم الآخر من فلسطين ، الذي تقرر بقاءه عربياً ، وارغموا اكثرية السكان ، في الاراضي التي احتلوها ، على الرحيل ، فاوجدوا مشكلة اللاجئين ، الذين بلغ عددهم سنة ١٩٤٨ اكثر من مليون لاجىء ..

واثر نشوء مشكلة اللاجئين قررت الامم المتحدة اعادة اللاجئين الى ديارهم وتعويضهم عما لحقهم من اضرار .. غير ان اسرائيل لم تنفذ هذا القرار فبقيت مشكلة اللاجئين قائمة .. وزادت شدة بعد حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .. اذ رحلت اسرائيل اربعمائة الف من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومائة الف من مرتفعات الجولان ، وسببت رحيل نصف مليون من سكان منطقة قناة السويس ..

٤ — وقبل ذكر ماهية الحل الدولي القانوني ينبغي ان نتذكر دائماً ان للصهيونيين نفسية خاصة :

ان الصهيوني احد رجلين : متغطرس متعنت لا انسانية عنده ، يعتز بالقوة ولا يقر للغير بحق ، ولا يفهم الحلول الوسط ، عندما يكون اقوى من خصمه . ومتواضع ، انساني ، محب للسلام ، قابل لاعطاء الغير حقه ، والوصول الى حلول مرضية ، عندما يكون خصمه اقوى منه .

ان هذه النفسية مهم فهمها ومن الضروري اعتبارها عند التعامل مع الصهيونيين.

وبعد ان ذكر المفكر السياسي الغربي هذه الوقائع المهمة قال :

ان الحل الدولي القانوني يتطلب تحقيق الامور التالية :

١ — ان تعمل الدول العربية لتصبح اقوى من اسرائيل ، وان تهيأ لها امكانات ذلك .. اما جعل اسرائيل اقوى من الدول العربية ، كما هو الآن وكما نادى به الرئيس نيكسون ، فمعناه اننا نريد استمرارها في الاعتداء ، واستمرار الحروب في الارض المقدسة .. ومتى تتمكن الدول العربية من ان تصبح اقوى من اسرائيل نأخذ عليها، بعد تحقيق الحل ، ميثاقاً بعدم الاعتداء على اسرائيل بضمان الدول الاربع الكبرى.

٢ — وجدت اسرائيل سنة ١٩٤٨ بموجب قرار من الامم المتحدة بين فيه حدودها .. وهي شرعية ، بالنسبة الى من ايدوا ذاك القرار ، ضمن تلك الحدود . ولم تعترف

اي دولة في العالم بشرعية وجودها في الاراضي التي احتلتها من القسم العربي سنة ١٩٤٨ ، ومن الدول العربية الثلاث سنة ١٩٦٧ .

وبما ان الاعتداء لا يكافأ، وبما انه لا يمكن وجود سلام مع مكافأة الاعتداء، وبما ان العالم كله يريد ان يسود السلام في الشرق الاوسط ، فعلى اسرائيل ان ترجع الى الحدود التي اقرت الامم المتحدة وجودها ضمنها ، وان تكف عن الاعتداء .. وتلك الحدود وحدها حدود آمنة . واي حدود اخرى تكتسب بالاعتداء ، او بصلح اجباري يؤخذ بضغط التفوق العسكري ، لا يمكن ان تكون حدوداً آمنة ، والزمن يغير ميزان القوى ، والضعيف يقوى والقوي يضعف والامور نسبية .. وأمثلة التاريخ لذلك عديدة منها :

انتصرت المانيا في حرب السبعين — ١٨٧٠ — على فرنسا واحتلت باريس .. وبالقوة والاحتلال حملت المانيا فرنسا على توقيع معاهدة معها ، تنازلت بموجبها لألمانيا عن مقاطعتي الالزاس واللورين الفرنسيتين ، واعترفت الحكومة الفرنسية بان المقاطعتين اصبحتا جزءاً من المانيا وليس لفرنسا فيهما حقوق . وافق البرلمان الفرنسي على هذه المعاهدة .. ولكن الروح الوطنية في فرنسا عملت طوال ٤٤ سنة لاستعادة المقاطعتين الفرنسيتين المسلوبتين من فرنسا بالقوة .. وكان ذلك من اهم اسباب الحرب العالمية الاولى .. وبعد الانتصار استعادت فرنسا من المانيا الالزاس واللورين ، واعادتهما الى الوطن الفرنسي ، رغم المعاهدة التي كانت قد وقعتها مع المانيا اثر انتصارها في حرب السبعين ..

يضاف الى ما ذكرت ان على اسرائيل ان تنفذ قرار الامم المتحدة المتعلق باللاجئين ، فتسمح لهم بالعودة الى ديارهم ، وبتعويضهم مما لحقهم من اضرار ، وبدفع ثمن عقارات من لا يريد العودة منهم ..

٣ — اوجدت اسرائيل نفسها في قسم من البلاد العربية ضد ارادة اصحاب البلاد العرب وعليها ، عندما ترجع الى حدودها المبينة في قرار التقسيم ، ان تنسى انها تعيش في محيط عربي ، وان توسع علاقاتها الاقتصادية مع بلاد غير بلاد ذاك المحيط ، وألاّ تفكر مطلقاً في حرية الحدود فيما بينها وبين البلاد العربية ، ولا بالتعامل الاقتصادي معها .. وفي الوقت ذاته ، على البلاد العربية ان تنسى وجود اسرائيل ، والاّ تفكر بها . وهذا من العرب تنازل كبير عن حق سيادتهم على القسم الذي تشغله اسرائيل من فلسطين بموجب قرار التقسيم ..

٤ — يجرى بين اسرائيل ، بعد عودتها الى حدودها ، بحسب قرار التقسيم ، والدول العربية المجاورة لها اتفاق عدم اعتداء، وتضمن هذا الاتفاق الدول الاربع الكبرى.

٥ — اما قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ فلا يؤمن حلاً عادلاً ، ولا يوصل الى سلام دائم . لان القرار وضع ليعطي اسرائيل مكاسب عديدة :

أ — يكسبها الاراضي الواسعة التي احتلتها في سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ من القسم من فلسطين الذي قررت الامم المتحدة ، في قرار التقسيم ، بقاءه عربياً . كما يكسبها اراضي جديدة تحت شعار « الحدود الآمنة » .

ب — يفرض على دول عربية الاعتراف باسرائيل وبوجودها الشرعي ضمن تلك الحدود الآمنة ، فتنال اسرائيل ما تفتقر اليه من الوجود الشرعي القانوني في قلب العالم العربي .

ج — ان الاعتراف باسرائيل وبوجودها الشرعي يصفي القضية الفلسطينية نهائياً ، ويبطل حق الفلسطينيين في وطنهم ، ويجعل من الشعب الفلسطيني لاجئاً ..

د — ان تمكين ، قرار مجلس الامن ، اسرائيل من نيل هذه المكاسب وغيرها ، يقوي لديها الحافز الى اعتداءات جديدة ما دام الاعتداء يربح ، ويزول الامل في ايجاد سلام في الشرق الادنى .

وتابع المفكر الغربي قوله :

وفي اعتقادي ان على العرب الا يقبلوا بقرار مجلس الامن المجحف بحقهم ، وبحق اهل فلسطين ، وان على الدول العربية التي قبلته اثر صدوره ، لضعف عسكري كانت عليه ، الا تقبله بعد ان تحسن وضعها العسكري .. وان على العرب ان يجدّوا في ايجاد القوة ، التي هي الطريق الوحيد لنيل حقوقهم .. وان عليهم ان يتأكدوا من ان اسرائيل ستعتدي وستعتدي ..

قال الديبلوماسي الامريكي :

ولكن من يحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ومن يرجعها الى حدودها المعترف بها في قرار التقسيم؟

فأجاب صاحبي :

— عندما تصبح الدول العربية اقوى من اسرائيل ، وتعدل الولايات المتحدة الامريكية عن التحيز لاسرائيل ومدها بالسلاح ، يصبح الصهيوني الرجل الثاني الذي وصفناه، فتقبل اسرائيل بوجودها ضمن حدودها، ولا تتبع سياسة الاعتداء، فيسود السلام عندئذ الارض المقدسة ، ويعيش الجميع في امان .

— ٣ —

الحـــل العربي الفلسطيني

وتابع المفكر السياسي الغربي يقول :

اما الحل الثالث فهو الحل العربي الفلسطيني . اقول الحل العربي الفلسطيني وليس الحل العربي لانه ينبغي الفصل بين قضيتين مهمتين ، بين الوضع الذي اوجده اعتداء اسرائيل في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وبين قضية فلسطين .

وعليه فالحل العربي الفلسطيني ينقسم الى قسمين : قسمه الاول ازالة آثار العدوان ، وقسمه الثاني استعادة حقوق الفلسطينيين في وطنهم المسلوب .

ففيما يتعلق بازالة آثار العدوان ، يرى العرب ان اسرائيل اعتدت على ثلاث دول عربية يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، واحتلت اجزاء مهمة من بلادهم بما فيها القدس العربية .. وهم يرون ان على اسرائيل ان تنسحب من الاراضي التي احتلتها الى خطوط الهدنة ، دون ان يكون لها الحق في المطالبة باي ربح اقليمي او سياسي او اقتصادي في البلاد العربية ، وذلك بحسب مبادىء القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة .

قال الدبلوماسي الامريكي :

ولكن اسرائيل خرجت من الحرب منتصرة ، وهي تحتل الآن هذه الاجزاء المهمة من البلاد العربية ، فكيف تحمل على الانسحاب دون ربح ؟

اجاب صاحبي :

ان علينا ان نقرر اولاً مبدأ مهماً وهو : هل الاعتـــداء واحتلال بلاد الغـــير يعطي المعتدي حقاً في البلاد التي احتلها او في بعضها ، او اي حق آخر في البلاد المعتدى

عليها ؟ . الجواب عن ذلك ينبغي ان يكون صريحاً واساسياً في قضية كل اعتداء .

فنحن نعلم ان الفتح كان يعطي الفاتح حقاً في البلاد التي يحتلها .. وكان هذا المبدأ معمولاً به حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وكان من اكبر المشجعات على الحروب خلال القرون السابقة .. وقد ضج العالم من الحروب وسئمها ، وظهرت في النفوس بوادر انسانية جديدة ، فرأى بعد الحرب العالمية الثانية ان « مبدأ الفتح يعطي ربحاً »مبدأً ضار ينبغي ان يزول ، اذ لا سلام في العالم ما دام هذا المبدأ قائماً . ولذا تبلور في القانون الدولي مبدأ جديد يقول : ان الاعتداء واحتلال بلاد الغير لا يعطي مكاسب اقليمية او سياسية او اقتصادية ، وان المعتدي لن يكافأ ، وان عليه ان ينسحب الى بلاده دون قيد او شرط .. وقد سجل المؤتمرون في سان فرنسسكو هذا المبدأ في ميثاق الامم المتحدة ، واصبح مبدأ اساسياً في ميثاقها ، حرصاً على العدالة الدولية والسلام العالمي .. هذا المبدأ لا ينبغي ان يكون ذا وجهين يطبق احياناً ، ويبطل مفعوله احياناً اخرى ..

فاذا كان المبدأ الدولي الساري المفعول يدين الاعتداء ويقرر ان على الدولة المعتدية الانسحاب من البلاد التي احتلتها دون قيد او شرط ، وان على مجلس الامن ان يدينها ويطالبها بالانسحاب دون تردد ، وان ضلعت دولة ممن لهم حق « الفيتو » مع المعتدي، فان على الجمعية العامة ادانة الدولة المعتدية ومطالبتها بالانسحاب الفوري ، وعلى مجلس الامن تطبيق العقوبات عليها حسبما يتطلب ميثاق الامم المتحدة . ويضاف الى ذلك ان قرار مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، قد اقر هذا المبدأ ، مبدأ « الاعتداء لا يكسب ارباحاً اقليمية او سياسية او اقتصادية » حين ذكر ان المجلس يؤكد « عدم جواز السماح بالاستيلاء على اراض بالحرب » وطالب « بجلاء القوات الاسرائيلية المسلحة عن الاراضي التي احتلت في الصراع الاخير » .

وبناء عليه فان تشبث اسرائيل بالبقاء في البلاد التي احتلتها في حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، او في اقسام منها ، قائم على غير اساس ، ولا يجوز للهيئة الدولية السكوت عنه ، وعلى اسرائيل ان تنسحب دون قيد او شرط .

ومن المؤسف ان موقف اسرائيل المتعنت قائم على تأييد الحكومة الامريكية لها ، فقد رفضت الموافقة على مشاريع قرارات قدمت الى مجلس الامن والى الجمعية العامة تطالب اسرائيل بسحب قواتها من جميع الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، الى ما وراء خطوط الهدنة ، دون قيد او شرط ، ولا تزال تمد اسرائيل بالطائرات

وبمختلف انواع الاسلحة الهجومية .. ومن المؤسف ايضاً ان نرى ان ٧٥ شيخاً من اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي البالغ عددهم مائة عضو ، وقعوا مذكرة ، في اول حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، طالبوا فيها الرئيس الامريكي نيكسون بتزويد اسرائيل بطائرات فانتوم وسكاي هوك الاضافية التي طلبتها .. وكذلك فعل ٢٢٣ عضواً من اعضاء مجلس النواب البالغ عددهم ٤٣٥ عضواً ! ..

فقال السفير الامريكي :

ان سبب مد الحكومة الامريكية اسرائيل بالسلاح ، وطلب الشيوخ والنواب ارسال طائرات اضافية اليها ، هو ان الاتحاد السوفياتي يمد بعض البلاد العربية ، وخصوصاً مصر ، بمختلف انواع الاسلحة .

فاجاب المفكر السياسي الغربي :

ولكن هناك فرقاً شاسعاً بين الحالتين. فالاتحاد السوفياتي قد مد بعض الدول العربية ، وخصوصاً مصر ، بالسلاح ، لان اسرائيل اعتدت عليها واتلفت سلاحها واحتلت اجزاء كبيرة من بلادها . وهو يمدها بالسلاح للدفاع عن النفس ولاستعادة اراضيها التي ترفض اسرائيل الانسحاب منها .. اما الحكومة الامريكية فتمد اسرائيل المعتدية بالطائرات والسلاح لتزيد قوتها العدوانية ، ولتمكنها من البقاء في بلاد الدول الاخرى التي احتلتها ، وظلت ترفض الانسحاب منها .. وما طلب الشيوخ والنواب من الرئيس نيكسون سوى تزلف لاسرائيل والصهيونيين الذين في الولايات المتحدة الامريكية ، لنيل تأييدهم في انتخابهم اعضاء جدد للكنكرس ، وللحصول على فوائد اخرى .. وهم في ذلك يضحون بمصالح الولايات المتحدة الحقيقية في الشرق الاوسط ، ويقفون مع الاعتداء ضد العرب والحق والعدالة والسلام ..

والعرب على حق في مطالبتهم بازالة آثار العدوان ، واصرارهم على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي التي احتلتها ، يؤيدهم في ذلك القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة .. واما تأييد حكومة الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل في مطالبها التوسعية ، فهو عودة الى قانون الغاب ، وتشجيع لدول اخرى على الاعتداء لتحقيق مكاسب اقليمية او سياسية او اقتصادية .

ومن حق الدول العربية العمل لازالة آثار العدوان . وان لم تتوصل الى ذلك بالطرق السلمية ، فمن واجبها الوطني المقدس استعمال القوة بمختلف الطرق والوسائل ،

لتحقيقها .. وعندئذ لا تكون الدول العربية هي التي خرقت قرار وقف اطلاق النار ، وانما تكون اسرائيل ذاتها قد خرقته برفضها الانسحاب من الاراضي التي احتلتها . وفي عمل الدول المحتلة بلادها بقرار وقف اطلاق النار ، زيادة على ايام معدودات ، ادامة للاحتلال وتثبيت له — وبالتالي جريمة وطنية لا يجوز ارتكابها ..

واذا توصلت الدول العربية الى ازالة آثار العدوان بالطرق السلمية ، فلا يجوز مطلقاً ان يكون على حساب القضية الفلسطينية وحقوق اهل فلسطين في وطنهم المسلوب.

وتابع المفكر السياسي الغربي شرحه للموضوع :

اما القسم الثاني من الحل العربي الفلسطيني فيتعلق بقضية فلسطين .

يرى ابناء فلسطين ان اسرائيل وجدت في بلدهم بالقوة وبقرار من الامم المتحدة . ويرون ان لا حق للامم المتحدة في تقسيم بلدهم واعطاء اكثر من نصفها الى آخرين ، وتشريد السكان الاصليين ، وهم فيما يرون على حق .. ويعتقدون انه ما دام هـذا الاجحاف لاحقاً بهم فلا استقرار ولا سلام ..

ثم قال :

وعلينا ان نعلم ان العرب ليسوا اعداء لليهود ، بل الامر على عكس ذلك .. لقد كانت البلاد العربية ملجأ لليهود في مختلف العصور ، يلجأون اليها كلما لحقهم اضطهاد، وذلك منذ ان انزل الرومان بهم ضربتهم سنة ٧٠ م ، وهدموا الهيكل ، واوقعوا بهم انواع العذاب .. لقد عاش اليهود في البلاد العربية عيشاً رغداً ، فأثروا واستولوا على التجارة ودور المال ، وكان منهم وزراء في حكوماتها .. وظل الحال كذلك الى الحرب العالمية الاولى ، حين ظهرت الصهيونية حركة سياسية عنصرية استعمارية افنائية .. فتنبه العرب الى اخطارها ، وعملوا لمقاومتها ، دفاعاً عن النفس والوطن .. فهم في موقفهم هذا اعداء للصهيونية ومؤيديها لا لليهود .. والدين الاسلامي يعترف بالديانة اليهودية وبالديانة المسيحية ديانتين سماويتين. وبأن موسى وعيسى نبيين على المسلمين احترامهما. في حين ان اليهود لا يعترفون بالديانتين المسيحية والاسلامية ، وقضية السيد المسيح معهم معروفة .. وهم يشنعون على النبي محمد صلاة الله عليه وسلامه .. والعرب لا يعادون اليهود لعنصر او دين ، بل يمدون ايديهم لليهود للعيش معاً بسلام خارج نطاق الصهيونية ..

لقد اظهر اهل فلسطين العرب في السنين الاخيرة ، نضوجاً سياسياً وتفهماً ديمقراطياً

للقضية ، حينما نادى قادة الثورة الفلسطينية بانشاد دولة علمانية ديمقراطية في فلسطين ، يشترك فيها اهل البلد من مسلمين ومسيحيين ويهود ، تكون لهم فيها حقوق متساوية وواجبات متساوية .. ويعيش الجميع معاً في سلام في الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، المتحررة من السيطرة الصهيونية العنصرية ..

واهل فلسطين يريدون ان يسود السلام « بلد السلام » ، وهم يعتقدون بحق ، ان وجود الصهيونية ممثلة بشخص « اسرائيل » ، هو سبب فقدان السلام في الشرق العربي ، لان من اسس الصهيونية ذاتها العنصرية والاعتداء واحتلال بلاد الغير ، وافناء ما يمكنها افناؤه من السكان ، وتشتيت الآخرين ، والتسلط على اقتصاد البلاد العربية .. وان تخلت الصهيونية عن هذه الصفات الضارة المسببة لحروب مستمرة تجردت عن وجودها فلا يعود هناك صهيونية ، وانما يبقى هناك يهود ..

واهل فلسطين يريدون ازالة اسباب الحروب والشقاء التي سادت الشرق العربي ، منذ ان وصلت الصهيونية الى دور تنفيذ منهاجها .. وبزوال تلك الاسباب تزول الحروب والشقاء ويعمل العرب ، من مسيحيين ومسلمين ، واليهود معاً مواطنين في الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، لخير فلسطين وسكانها من يهود ومسيحيين ومسلمين . فخير اليهود والانسانية والسلام ، ان يقابل العرب في دعوتهم هذه مقابلة ايجابية تؤدي الى تحقيق « الدولة الفلسطينية الديمقراطية » . وبين اليهود جماعات ومؤسسات ومنظمات تقاوم الصهيونية ، وتحبذ ايجاد الدولة الفلسطينية الديمقراطية . غير ان الصهيونية واسرائيل تعملان لاخراسها ، وتحرصان على الا يكون لآرائها اثر بين الجماهير اليهودية ..

وتابع المفكر الغربي قوله :

الحقيقة هي ان ما يتقدم به العرب اليوم لحل القضية الفلسطينية بايجاد دولة فلسطينية ديمقراطية لابناء البلد من الديانات الثلاث ، هو الحل الوحيد العملي الديمقراطي الانساني العادل الدائم ، الذي يعيد الى الشرق الاوسط الاستقرار والسلام والرخاء .. لأنه لا يمكن تحقيق هذه الامور والصهيونية واسرائيل موجودتان . ومهما صغرت رقعة اسرائيل او كبرت ، ومهما وقع الطرفان من اتفاقيات او معاهدات ، فالحروب ستبقى بين الصهيونيين والعرب ، لان الصهيونية ومخلوقها اسرائيل ، لا يمكنهما التخلي عن قاعدة وجودهما ، وهي العنصرية والاعتداء والتوسع والعيش على استغلال ثروات الغير ..

ان مصلحة السلام الحقيقي في الشرق الاوسط تتطلب من الحكومة الامريكية ومؤسساتها الديمقراطية ، تأييد الدعوة الى ايجاد دولة ديمقراطية فلسطينية ، بدلاً من تأييد العدوان ، ومن تقديم ثلاثة ارباع مجلس الشيوخ الامريكي رسالة يطالبون فيها الرئيس نيكسون بتزويد اسرائيل بما طلبت من طائرات اضافية ومعدات حربية اخرى ، لاذكاء نيران الحرب ، وتمكين اسرائيل من الاستمرار في الاحتلال والعدوان .. كما طالبه بذلك ايضاً ٢٢٣ عضواً من مجلس النواب ..

قال الدبلوماسي الامريكي :

ولكن اسرائيل موجودة فكيف تقبل ان تزول سيادتها عن البلد ؟

وكذلك العقارات العربية في اسرائيل مستغلة من اليهود فكيف يعاد اصحابها العرب اليها ؟

فأجاب صاحبي :

ان اسرائيل لم يكن لها وجود ، وقد اقيمت على ارض شعب آخر بقرار من الامم المتحدة وهو غير قانوني . ووجودها في بلاد الغير ظلم صارخ ، مزيل للسلام الذي كانت تتمتع به فلسطين « بلد السلام » ، وهو فوق ذلك ، ضار باليهود انفسهم في جميع انحاء العالم .. فالامم المتحدة التي اوجدت اسرائيل بقرار ، يمكنها تصحيح خطيئتها باصدار قرار فيه عدالة بايجاد دولة ديمقراطية في فلسطين ، يتمتع بموجبه جميع ابنائها من يهود ومسيحيين ومسلمين بنفس الحقوق والواجبات ، وفي ذلك مصلحة لليهود في اسرائيل وفي العالم اجمع ، وبذلك يسود السلام « بلد السلام » ، ويعيش العرب واليهود ، في الشرق الاوسط ، متصافين متعاونين ، وفي ذلك خير الجميع ، وخير الامم المتحدة ، وخير الديمقراطية التي تقول الحكومة الامريكية انها تؤيدها في العالم اجمع ..

اما فيما يتعلق بالعقارات فقد كانت العقارات في فلسطين قبل شهر ايار (مايو) ١٩٤٨ مستغلة من اصحابها العرب منذ الف واربعمائة سنة .. ولم يفكر احد من الغرب في ذلك عندما قررت الامم المتحدة ايجاد دولة يهودية في اكثر من نصف فلسطين . فان كان ذلك من السهل احداثه ، في نظر الغرب ، فان من الاسهل اعادة اصحاب البلد الى وطنهم وتسليمهم عقاراتهم ..

ان رفض العرب من مسلمين ومسيحيين التنازل عن حقوقهم في بلدهم فلسطين ،

والخضوع لسلطان اسرائيل ، امر طبيعي ، وغيره لا يتمشى مع العقل وهو ضرب من الجنون ..

ومناداة الثورة الفلسطينية بايجاد « دولة ديمقراطية في فلسطين » لابنائها من الاديان الثلاثة ، يؤيدها الفلسطينيون والدول العربية ، وتتيح فرصة لاحلال السلام العادل الدائم في الاراضي المقدسة . ان الصهيونية ترفض ذلك ، ولكن قبولها به سلماً يتوقف على رجال السياسة في الولايات المتحدة الامريكية : هل سيراعون المصالح الامريكية في منطقة الشرق الاوسط العربي ، ومصلحة السلام القائم على العدل فيها ؟ عندئذ يقفون موقف الصديق المحايد من الدول العربية واسرائيل . ام سيراعون مصالحهم الخاصة فيستمرون في مساعدة اسرائيل على العرب ، ولو كان في ذلك اضرار بمصالح الولايات المتحدة الامريكية ، واستمرار الحروب ..

ان المناداة باقامة « دولة ديمقراطية في فلسطين » فرصة ذهبية ، على الحكومة الامريكية انتهازها ، لاقامة سلام دائم عادل في منطقة الشرق الاوسط العربي ..

ان اهل فلسطين يريدون السلام ، ولذا نادوا بالدولة الديمقراطية الفلسطينية . وثورتهم تهدف الى تحرير فلسطين من الصهيونية ، سلماً ان امكن او بالقتال المستمر ان لم يتم ذلك .. ولا حق لأحد في ان يلومهم ، بل من واجب جميع الديمقراطيين في مختلف انحاء العالم ، من غرب وشرق ، ان يؤيدوهم ويمدوا لهم يد العون ، في سبيل انشاء دولة ديمقراطية في فلسطين تحقيقاً للعدل والسلام الدائم ..

قال الدبلوماسي الامريكي :

لقا اعطاني حديثنا اليوم مادة للتفكير العميق ..

واني لأتساءل : هل يسمح النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية ، للرجال الامريكيين بالتفكير العميق المتحرر من ذلك النفوذ ؟ ..

* * *

وفي رأينا ان اسرائيل مستمرة في تعنتها ومتابعتها سياسة الاستعمار والتوسع ، وفي رفضها انصاف اهل فلسطين .. وعليه فان طريق ازالة آثار العدوان وتحرير فلسطين ، هي النضال المستمر الشديد بنوعيه : الفدائي ، اي حرب التحرير الشعبية التي يقوم بها الفلسطينيون ومن ينضم اليهم من الشباب المناضل الحر من البلاد العربية الاخرى ، والنظامي ، اي الحرب النظامية التي ينبغي ان تقوم بها الجيوش العربية بقيادة موحدة .. ان حدود اسرائيل هي الحدود التي لا تستطيع اختراقها ..

القسم الرابع

المأساة الأردنية

القسم الرابع

المأساة الأردنية

الفصل الثالث عشر

المجزرة

ان الاقتتال الذي حدث في الاردن ، ما بين ١٧ و ٢٧ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٧٠ مأساة أليمة وشيء فريد في تاريخ الامة العربية ، بل هو فريد في تاريخ الامم اجمع !.. وقد اختلف الكتاب في تسميته . فقد سماه البعض « حرباً اهلية » ، وآخرون سموه « مجزرة » . او « مذبحة » . فلنتفق اذن اولاً على التسمية :

تقوم الحرب الاهلية في بلد ما عندما يختلف ابناء الامة على سياسة داخلية معينة ، تتناول نظم الحكم او الاقتصاد او غير ذلك ، ولا يصلون فيما بينهم الى حل ذاك الخلاف بالطرق السلمية ، فينشب الاقتتال بين الفريقين ، لتكون للقوة كلمة الفصل في الخلاف .. او عندما يثور السكان على الحكومة لاختلاف بين ابناء الامة والسلطة على امور داخلية من سياسية او اقتصادية ، وتعمل الحكومة لقمع الثورة بالقوة فينشب الاقتتال ، فالحرب الاهلية .

فهل يدخل الاقتتال الذي حدث في الاردن في نطاق احد هذين الوضعين حتى يسمى حرباً اهلية ؟ .

ان ما جرى في الاردن من اقتتال لم يكن سببه انقسام الشعب على سياسة محلية ، ولم يكن الاقتتال في الاردن بين ابناء الشعب لاملاء فريق منه سياسته على الفريق الآخر ، ولم يثر الشعب على السلطة الحاكمة في الاردن لاختلاف معها على نظم الحكم او على مبادىء اقتصادية ، حتى تعمل الحكومة لاخضاع الشعب بالقوة . فالشعب ، والفدائيون جزء منه ، لم يطالبوا قط بتغيير نظام الحكم في الاردن ، ولم يسعوا للاستيلاء على الحكم أبداً ، وهم لا يريدون ذلك . والشعب اوجد الحركة الفدائية ، وهي ثورة ضد

العدو المغتصب للوطن الفلسطيني ولأجزاء من بلاد عربية اخرى . والحركة الفدائية هي قوة ضاربة ضد العدو ، تمد يدها لجميع الدول العربية ، ومنها الدولة الاردنية ، لتساعدها على عدو العرب جميعاً : اسرائيل وليدة الصهيونية العالمية والامبريالية .

على ان في الاردن رجالاً لا يريدون للحركة الفدائية وجوداً ، وذلك لتحقيق سياسة خارجية هم مرتبطون بها مع دول اجنبية .. فأدى ذلك الى انقضاض قوات عسكرية اردنية على الفدائيين، وعلى السكان في المدن والمخيمات ، بالدبابات والمدافع والطائرات ، والى قتل الوف من ابناء الشعب وجرح الوف اخرى .

فالذي حدث في الاردن لم يكن اذن حرباً اهلية ، وانما هو غير ذلك . واقرب اسم ينطبق عليه هو اسم « المجزرة » الذي اتخذته عنواناً لهذا الفصل ، ليعبر عن الواقع الى ابعد حد .

ويتساءل كل عربي مخلص او انسان :

ما الذي حدث في الاردن ؟ وهل له مثيل في التاريخ ؟ وما هي اسبابه ؟ وما كان موقف البلاد العربية والاجنبية منه ؟ وهل من اجراءات اتخذت لئلا يتكرر وقوع مثله؟

سأحاول ، في الصفحات التالية ، الاجابة عن هذه التساؤلات ، برسم صورة واقعية لمأساة الاردن الأليمة .

— ١ —

ما الذي حدث في الاردن

ان ما حدث في الاردن امور غريبة فريدة في نوعها.. والحجم الذي وصل اليه هذا الكتاب ، وانجاز كتابته قبل وقوع حوادث الاردن ، لا يسمحان بالتوسع في هذا الفصل ، الذي اكتفي باضافته الى الكتاب . كما أن تسجيل ما حدث في الاردن ودراسته وتحليله امور تتطلب مجلداً ضخماً . ولعل مؤسسات تقوم بذلك . وعليه فانني اذكر ما حدث بايجاز ، وأثره في البلاد العربية والأوساط الدولية .

من احداث ما قبل المجزرة

ذكرت في الفصل التاسع من هذا الكتاب ان اربع محاولات قد جرت في الاردن للقضاء على الحركة الفدائية ، او اضعافها . وانه حدث ما بين ٧ و ١١ حزيران (يونيو)

١٩٧٠ اقتتال عنيف بين قوات من الجيش الاردني ، وبين الفدائيين ، ادى الى تدخل مسؤولين في بلاد عربية لايقاف الاقتتال واعادة الحياة الطبيعية الانسانية الى الاردن .. والى انشاء لجنة رباعية ألفها الملوك والرؤساء المجتمعون في مؤتمر طرابلس في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، من ممثلين عن الجزائر وليبيا ومصر والسودان ..

ولوضع حد للاستفزاز ، ولاعادة الحياة الطبيعية الى البلاد ، اخذت المؤسسات الوطنية تطالب بتأليف حكومة يدخلها وزراء يثق الشعب بهم ..

ورأى الملك تغيير الحكومة ، فأعفى حكومة السيد بهجت التلهوني من العمل في ٢٧ حزيران (يونيو) ، واقام حكومة برئاسة السيد عبد المنعم الرفاعي في اليوم نفسه ، دخلها بعض وزراء يثق الشعب بهم ويطمئن الى مبادئهم الوطنية. واخذت الحكومة الجديدة واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية تتعاونان مع اللجنة الرباعية ، لتسوية الازمة بين السلطات الاردنية والمنظمات الفدائية . وفي ١٠ تموز (يوليو) ١٩٧٠ تم الاتفاق بين الفرقاء ، ووقعه رئيس الوزارة الاردنية ورئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، واعضاء اللجنة الرباعية، كما سبق ذكره في الفصل التاسع .. فتنفس السكان الصعداء ، وظنوا ان الطمأنينة عائدة الى البلد لا محالة .

على انها لم تعد ، اذ استمر الاستفزاز وزاد ، وحدثت مخالفات للاتفاق من الطرفين . واخذ الجند ، المشبعون بكره الفدائيين والفلسطينيين ، يقتلون من يستفردونه من الفدائيين ، وتبع ذلك ان اخذ الفدائيون ينتقمون من الجنود الذين يستفردون بهم .. وجرت محاولات عديدة من اللجنة المركزية ومن الحكومة لوضع حد لذلك ..

وقد ادى القتل الفردي ، بمنظمات وطنية اردنية ، الى التيقن من ان بين ضباط الجيش من يتلقون تعليمات من مصادر غير قيادة الجيش لمتابعة الاستفزاز ، وان « القوات الخاصة » لا تخضع في تصرفاتها لقيادة الجيش ، وانما هي مصدر للقلاقل . كما اكدت تلك المنظمات ان عدداً من رجال الامن او ممن يعملون بأمرهم لبسوا البسة الفدائيين ، وقاموا بأعمال ضد القانون ، من قتل واعتداء على السكان ، لتشويه سمعة الفدائيين ، وتنفير السكان منهم . وقد امسكت منظمات فدائية عدداً من هؤلاء المأمورين وهم متلبسون بجرائمهم . كما اكدت تلك المنظمات ايضاً ، ان حول الملك رجالاً ينظمون ويخططون لزيادة الاستفزاز ، وذلك للوصول بالبلد الى الاحتراب بين الجيش والسكان تحقيقاً لأهداف سياسية معينة .. وهم في ذلك يشلون مساعي الحكومة وجهود اللواء

مشهور حديثة رئيس اركان الجيش الاردني، الرامية الى تسوية الخلافات بالطرق السلمية واعادة الطمأنينة الى البلد ..

وجاءت اقتراحات روجرز وقبول مصر بها في ٢٣ تموز (يوليو)، وقبول الاردن بها في ٢٦ تموز، ورفض المنظمات الفدائية لها رفضاً باتاً. فأدّى القبول والرفض الى زيادة التوتر في الاردن بين السلطات العسكرية والمنظمات الفدائية .. «ودعت المنظمات الفدائية الشعب الى ان يكون حذراً وواعياً لما يدبر ضد المقاومة الفلسطينية من مؤامرات التصفية»(1). وقامت في عمان، يوم ٣١ تموز (يوليو)، اكبر مظاهرة شعبية شهدها الاردن، تعبيراً عن رفض المقترحات الامريكية، نظمتها اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، اشترك فيها ستون الفاً من السكان، نادوا بسقوط الحلول الاستسلامية والمبادرة الامريكية ..

وتعاظمت الاستفززات عما كانت عليه، وازداد التوتر، وانتشرت الشائعات من كل جانب .. واخذ عدد كبير من الاغنياء في عمان يغادرونها الى دمشق وبيروت، ليبتعدوا عن الاعصار حين هبوبه ..

ولدعم موقف المنظمات الفدائية اعلنت اذاعة بغداد في ٢٩ تموز (يوليو) ان العراق وضع قواته المرابطة في الاردن تحت قيادة اللجنة المركزية للمقاومة الفلسطينية، كما اعطى اللجنة المركزية اذاعة تبث باسمها من بغداد، بعد ان اوقفت القاهرة والخرطوم بث برامج «منظمة التحرير الفلسطينية» و«منظمة فتح» من اذاعتهما ..

وفي ١٦ آب (اغسطس) حذرت جريدة «فتح»، الناطقة باسم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، من مواجهة جديدة بين الجيش الاردني والفدائيين، واتهمت السلطات الاردنية باتخاذ سلسلة من الاجراءات العسكرية قالت انها تهدف الى تطويق الثورة الفلسطينية «تمهيداً لطعنها من الخلف». وابانت ان من هذه الاجراءات: سحب ثلاث كتائب مدفعية للجيش الاردني من الجبهة ضد اسرائيل وتركيزها حول عمان منذ ما يقرب من اسبوعين. وذكرت وقائع تحرش الجيش بالمدنيين، وقالت: «ان ما يجري اليوم حول عمان لا يمكن الا ان يذكرنا بما جرى حول عمان وداخلها خلال مؤامرة ٧ حزيران (يونيو) ١٩٧٠» ..

---

(1) جريدة النهار في ٢٦ – ٧ – ١٩٧٠ .

وبينما الجو السياسي والعسكري مشحون في عمان خاصة والاردن عامة ذهب السيد ياسر عرفات الى بغداد في ١٦ آب (اغسطس)، بعد ان كان قد زار دمشق. واستقبله، في اليوم التالي لوصوله، الرئيس احمد حسن البكر. وجرت مباحثات بين وفد اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات، وبين المسؤولين العراقيين الممثلين بالسادة شبلي العيسمي الامين العام المساعد لحزب البعث، وصالح مهدي عماش والدكتور عبد المجيد الرافعي عضوي القيادة القومية، والفريق حماد شهاب وزير الدفاع، والفريق سعدون غيدان وزير الداخلية .. وذكرت جريدة «فتح» في عددها الصادر في ١٨ آب (اغسطس) ان العراق «اكد مجدداً وضع قواته في الجبهة الاردنية تحت تصرف الثورة الفلسطينية». وفي ١٩ آب اجتمع السيد ياسر عرفات ايضاً بالفريق حردان التكريتي، وبعد ذلك عاد الى عمان.

وفي اليوم ذاته، الخميس، ١٩ آب (اغسطس)، ذهب الملك حسين والوفد الذي يرافقه الى القاهرة، واجتمع بعد وصوله بقليل بالرئيس جمال عبد الناصر. وفي المساء ذهب الرئيس والملك الى الاسكندرية في قطار خاص، رافقهما فيه اعضاء الجانبين المصري والاردني. وفي اليوم التالي استؤنفت المحادثات، وكذلك في اليوم الثالث من زيارة الملك حسين. ثم عاد الملك الى عمان يوم الاحد في ٢٣ آب (اغسطس).

وتناولت المباحثات العلاقات المتوترة مع العراق، وما يمكن ان ينشأ من وجود قوة عراقية في الاردن تردد انها على استعداد لمساندة المقاومة الفلسطينية. كما تناولت وضع الجبهة الشرقية بصورة عامة، وموقف الاردن من المقاومة الفلسطينية بصورة خاصة ..

ونشرت جريدة الاهرام في ٢٤ آب (اغسطس)، ان الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين اتفقا خلال محادثاتهما على «ان المصلحة القومية تقتضي المحافظة بكل وسيلة على حركة المقاومة الفلسطينية، وانه مهما كان من تجاوز بعض منظمات المقاومة في تصرفاتها، ومهما كان من سوء فهم بعض هذه المنظمات وسوء تقديرها لحسابات التحرك الدولي، فان ذلك كله لا ينبغي الوقوف عنده طويلاً، كما انه يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار ظروف نشاط وعمل المنظمات المقاومة الفلسطينية».

وذهب السيد ياسر عرفات الى القاهرة في اليوم التالي لمغادرة الملك حسين لها، واجتمع بالسيد محمد حسنين هيكل وزير الارشاد القومي ثلاث مرات جرى خلالها بحث موقف المنظمات الفدائية من المقترحات الامريكية، والموقف في الاردن، واعتقاد

المنظمات الفدائية ان السلطة العسكرية في الاردن تعد لضرب المنظمات الفدائيـــة والفلسطينيين ..

وفي ٢٥ و ٢٦ آب (اغسطس) استقبل الرئيس جمال عبد الناصر السيد ياسر عرفات ورفاقه مرتين ، بحضور الاستاذ محمد حسنين هيكل . وسمع الرئيس من السيد ياسر عرفات وجهة نظر المنظمات الفدائية الى مقترحات روجرز ، ثم اعتقادها ان السلطات العسكرية الاردنية تعد لضرب الفدائيين والقضاء عليهم ، وقتل الكثيرين من الفلسطينيين.. وعاد عرفات الى عمان في ٢٧ آب (اغسطس) .

وكانت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد دعت الى عقد دورة استثنائية للمجلس الوطني ، لتدارس الوضع المتفاقم في الاردن ، واتخاذ القرارات المناسبة . وقد عقدت الدورة الاستثنائية في عمان في الساعة ١٧ من يوم الخميس ٢٧ آب (اغسطس) ، حضرها وفود من مصروسوريا والعراق. وكان عدد الحاضرين ٧٠٠ شخص .. عرضت اللجنة التنفيذية تقريراً مفصلاً عن الوضع في الاردن ، وعن موقف اللجنة من قرار مجلس الامن واقتراحات روجرز ، وهورفضهما، مع التأكيد على ان الشعب الفلسطيني لن يلقي السلاح حتى التحرير الكامل .

وانهى المجلس الوطني الفلسطيني دورته الاستثنائية ، مساء اليوم التالي لانعقاده ، باصدار سلسلة من القرارات والتوصيات منها :

– « ان حركة المقاومة الفلسطينية، ممثلة بالمجلس الوطني الفلسطيني واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، هي الممثل الوحيد لشعب فلسطين استناداً الى حقها الطبيعي من كونها الثورة المعبرة عن اماني شعبنا وتطلعاته الاصيلة في تحرير كامل تراب الوطن..».

– واكد المجلس وحدة الشعب في الساحة الفلسطينية الاردنية بقوله : « ان شعبنا يرفض المؤامرات الاستعمارية والرجعية لتمزيق وحدة الشعب والارض والمصير ، ويؤكد رفضه تقسيم البلاد الى دويلة فلسطينية ودويلة اردنية، في محاولة للتغرير بشعب فلسطين وتمرير الحلول التصفوية واقامة دويلات عميلة يستخدمها الاستعمار والصهيونيـــة لضرب حركة الثورة الفلسطينية والعربية ، وصمام امن اسرائيل » .

– دعا المجلس جميع الضباط والجنود في القوات المسلحة الاردنية الى الوقوف مـــع المقاومة، لاحباط ما وصفه بسياسة الاستسلام والانهزامية . كما دعا الى ضرورة تحقيق

« وحدة القيادة ووحدة التحرك النضالي لجميع فصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة » .

– وطالب المجلس الدول العربية المعنية ، مصر وسوريا والعراق ، باطلاق حرية جيش التحرير الفلسطيني ووضعه تحت تصرف منظمة التحرير الفلسطينية .

– وابلغ المجلس الدول العربية ، التي وافقت على المبادرة الامريكيـــة ، ان الالتزام بالثورة الفلسطينية والعربية يكون برفض هذه المبادرة . ودعا الدول العربية ، التي اعلنت رفضها للمبادرة ، الى ترجمة هذا الموقف بمساندة مباشرة للمقاومة الفلسطينية واطلاق حريتها في العمل في شتى الميادين .

– وطلب المجلس من اللجنة المركزية اتخاذ « جميع الوسائل والاجراءات الضرورية من اجل منع الاستمرار في التفاوض القائم الآن مع اسرائيل » . وان على اللجنة المركزية ان تعمل بكل الوسائل لتحويل الساحة الاردنية الفلسطينية الى معقل للثورة .

وفي مساء اليوم التالي لانتهاء الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني الفلسطيني ، ٢٩ آب (اغسطس) ، ألقى الملك حسين خطاباً ، من الاذاعة والتلفزيون الاردنيين ، حذر فيه المقاومة الفلسطينية من اية محاولة تهدف الى تحطيم الوحدة الوطنية « وضرب اسس كياننا » ، وقال : « ان مثل هذه المحاولة ستقمع » . وابان الملك الاسباب التي دعته الى قبول اقتراحات روجرز ، وقال ان في طليعة الاسباب « اننا نعمل وشقيقتنا الكبرى الجمهورية العربية المتحدة يداً بيد في جهدنا الحثيث الطويل . نقبل ما تقبله ونرفض ما ترفضه معاً » .

نذير الايام السود

وبعد مرور ٢٤ ساعة على التحذير الذي وجهه الملك حسين الى الفدائيين « قامت السلطة الاردنية ، مساء الاحد في ٣٠ آب (اغسطس) ، بهجوم شامل على جميع مناطق عمان ومراكز المقاومة . وقد استعملت جميع انواع الاسلحة من الدبابات والمدفعية الثقيلة والرشاشات »[1] . واغلقت مطار عمان ، وقطعت الاتصالات الهاتفية والبرقية بين عمان والخارج ..

وشهدت عمان اول ايلول (سبتمبر) نزوح عديد من العائلات الاردنية الى القرى ،

(١) ناطق باسم فتح في بيروت – جريدة النهار في ١ – ٩ – ١٩٧٠ .

والى دمشق وبيروت ، خوفاً مما ستأتي به الايام المقبلة ، وفزعاً من رصاص الايام الثلاثة الاخيرة .. كما ان الاسواق اغلقت والدوائر الرسمية كانت خالية من الموظفين ، والمدارس من التلاميذ والمعلمين ، ولم تصدر صحيفتا « الدستور » و « الدفاع » ..

وقد نشط الفدائيون في تحصين مراكزهم ، ونصب صواريخ ورشاشات ثقيلة حول مقراتهم الرئيسية ، وسدوا الشوارع المؤدية اليها .. كما اقاموا حواجز على الطرق في بعض احياء العاصمة . وكانت سياراتهم تحمل المدافع الرشاشة وتجوب بعض احياء المدينة وشوارعها ، وفي الوقت نفسه ، كانت سيارات امن اردنية تحمل مدافع رشاشة وتجوب شوارع اخرى من العاصمة ..

وعملت الحكومة واللجنة المركزية لتهدئة الحالة ، فعقدت اللجنة الاردنية الفلسطينية المشتركة، المنبثقة من اتفاق ١٠ تموز (يوليو)، اجتماعاً اكدت فيه ضرورة اعادة الاوضاع الى حالتها الطبيعية ورغبتها في تجنب اي صدام جديد . واتفق الطرفان على ان ينهي كل منهما مظاهر الاستفزاز ..

غير ان حادث ٣٠ آب (اغسطس) كان نذيراً بأيام سوداء مقبلة ، اذ ان الاستفزازات استمرت وزادت شدتها ، بين بعض القوات العسكرية والمنظمات الفدائية ، على الرغم من ان المنظمات الفدائية والحكومة واللواء مشهور حديثة رئيس اركان الجيش كانوا يريدون باخلاص ازالة التوتر واعادة الحياة الطبيعية الى عمان ، غير انهم كانوا غير قادرين على ذلك ، لان السلطة على الجيش كانت في ايد آخرين ..

وبدلاً من ان تهدأ الحالة اشتد ازيز الرصاص ودوي المدافع الرشاشة وانفجار القذائف من جديد في الساعة ١٨ من اول ايلول (سبتمبر) ، ودام الى ما يقرب من منتصف الليل في احياء كثيرة من المدينة . وجاء في بيان اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية « ان القوات الاردنية تطلق النار بغزارة على المواطنين العزل ، وتحاول ارهاب الجماهير في محاولة لفرض شروطها على الثورة . وتلتزم قواتنا موقف رد الاعتداء دون ان تنزل بكل قواها في المعركة » . وقد اغلقت السلطات الاردنية الحدود البرية مع الدول المجاورة، بعد ان اغلقت مطار عمان، وقطعت جميع الاتصالات البرقية والهاتفية بالعالم.

وبينما كانت عمان ذاهلة في جو مرعب ، قطعت اذاعتها برامجها الساعة ٢١ وبثت بياناً ، صدر عن مكتب رئيس الحكومة ، عن محاولة لاغتيال الملك ، وهذا نصه :

« في تمام الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين من مساء اليوم ، وبينما كان موكب

جلالة الملك حسين متوجهاً الى مطار عمان المدني لاستقبال كريمته سمو الاميرة عالية ، اطلق مسلحون النار على موكب جلالته قرب مقطع سكة الحديد عن طريق عين غزال .. » .

وبعد اذاعة هذا البيان قامت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالتحقيق في الموضوع ، ثم اصدرت بياناً نفت فيه ان يكون الملك تعرض لاطلاق النار عليه ، وقالت :

« .. ان احدى سيارات الحرس الملكي التي كانت تسير في مقدمة الموكب لحقت بأربعة فدائيين كانوا يسيرون على جانب الطريق العام سيراً عادياً وبنادقهم كانت في وضع امانة ومعلقة في اكتافهم وفوهاتها الى الاسفل . وفي الحال توقفت سيارة الحرس الملكي واطلقت النار على الفدائيين الاربعة واصابتهم جميعاً في ظهورهم . وقد استشهد في الحال ثلاثة منهم ، وهم عاص محمد ، وابراهيم الزرزور ، وعوض ابراهيم ، واصيب الرابع يوسف محمد بجروح خطيرة . وعلى اثر ذلك بدأت مواقع الجيش الأردني تطلق النار بغزارة من الاماكن المجاورة ، ثم شرعت القوة الاردنية تطلق النار من جميع مواقعها من الاسلحة الثقيلة والمتوسطة على الاحياء الشعبية وعلى مواقع المنظمات الفدائية .. » . وتابعت اللجنة المركزية تقول في بيانها : « والسؤال الذي يطرح نفسه هو: اذا كان هناك نية للاعتداء على الموكب الملكي فهل يجري بهذه السذاجة التي وصفها بلاغ رئاسة الحكومة ؟.. » .

واستيقظت عمان ورأى سكانها مدينتهم وكأنها ساحة حرب ، وكأنها مدينة مهجورة. فقد خلت الشوارع من السيارات على مختلف انواعها ، إلاّ من السيارات التي اصيبت وعطلت .. والمخازن مغلقة ، بعضها مفتوح نصف فتحة لبيع ما يحتاج الاهالي من الضروريات ولاغلاقها بسرعة فائقة . وكان الرصاص وشظايا القنابل منتشرة هنا وهناك في شوارع عديدة .. وكان منظر المستشفيات مؤلماً . كانت السيارات الصغيرة الخاصة والفدائية في باحة المستشفى الجراحي الحكومي في جبل الاشرفية ، تتسلم جثث القتلى بهدوء وحزن رهيبين . واهل الضحايا واقفون امام ذويهم في انتظار الاوراق الروتينية التي تسمح لهم باستلام موتاهم لوضعهم في مثواهم الاخير . والجرحى في غيبوبة ودماؤهم تنزف ![1] .

---

(١) جريدة النهار في ١ - ٩ - ١٩٧٠ .

وفي فجر يوم الاربعاء ، ٢ ايلول (سبتمبر) ، وجهت اللجنة المركزية برقية الى الامين العام للجامعة العربية طلبت فيها « اشعار ممثلي الدول العربية لدى الجامعة العربية بظروف الوضع الخطير في الاردن ، وعقد اجتماع عاجل لمجلس الجامعة للبحث في الوسائل الكفيلة بمنع المجزرة الرهيبة التي تحاك ضد شعبنا الصامد في الاردن وثورته الفلسطينية المكافحة ، ويقصد منع خطر اندلاع حرب اهلية في الاردن ووضع حد لاستنزاف قوى الثورة الفلسطينية » .

ايدت وزارة الخارجية المصرية طلب اللجنة المركزية بمذكرة بعثت بها الى الامانة العامة للجامعة العربية ، قالت فيها ان مصر ترى ان يعقد الاجتماع في اسرع وقت « وهي ترجو ، في انتظار ان يتم ذلك ، ان تتحقق الضمانات الكفيلة بامكان السيطرة على احتمالات الموقف » .

وتلقت الحكومة الاردنية في هذا اليوم مذكرة من الحكومة العراقية هذا نصها :

« ترجو الحكومة العراقية ان تتوقف القوات الاردنية عن اطلاق النار على الفدائيين ، وانه في حال عدم التوقف فلن يكون في وسع الحكومة العراقية منع افراد القوات العراقية من التدخل لمصلحة الفدائيين ، وان موقف الحكومة العراقية والجيش العراقي في الجبهة الشرقية سيكون غير موقفهما الحالي » .

عقدت الحكومة الاردنية جلسة طارئة ، اثر تسلمها المذكرة العراقية ، بحثت مضمونها واشتباكات يوم اول ايلول (سبتمبر). وصرح رئيس الحكومة الاردنية ، اثر انتهاء الجلسة ، بأن المجلس « اتخذ اجراءات فعالة لمنع اطلاق النار في عمان بما يضمن توثيق عرى الاخوة والوحدة الوطنية» بين القوات المسلحة الاردنية والمقاومة الفلسطينية.

وارسلت الحكومة الاردنية الى الحكومة العراقية ردها على مذكرتها نفت فيه ان الجيش الاردني قام يوم الثلاثاء (اول ايلول) بضرب الفدائيين ، وان السلطة الاردنية تعتزم تصفية العمل الفدائي . واكدت الحكومة الاردنية انها تدعم العمل الفدائي وتحميه ، ونفت كل ما اسند اليها في المذكرة العراقية . واسفت الحكومة الاردنية على التحذير العراقي باحتمال تدخل افراد القوات العراقية لمصلحة الفدائيين ، وقالت انه « لا يمكنها ان تقبله » .

اما في دمشق فقد قال حزب البعث الحاكم في بيان له انه يضع كل امكاناته بتصرف المقاومة الفلسطينية والجماهير في الاردن « لحمايتها من كل مؤامرة » .

وفي ليبيا قال الرائد محمد نجم عضو مجلس قيادة الثورة وعضو اللجنة الرباعية ، في كلمة القاها يوم الثلاثاء في بنغازي : « ان الجمهورية العربية الليبية لا تسمح بأن يتحول الدعم المالي الذي تقدمه الى بعض الدول العربية الى رصاص يوجه الى الصدر العربي » . وهو يعني بذلك امكان قطع الاعانة المالية الليبية عن السلطات الاردنية ..

وذكرت « الاسوشيتدبرس » في ٢ ايلول (سبتمبر) ، « ان الملك حسين يخطط لتغيير الحكومة واعلان الاحكام العرفية .. واشارت الى انه يبدو استحالة وقوع صدام بين القوات العراقية والاردنية على الرغم من التهديد العراقي !..

وفي اثناء هذه الحوادث وجه الملك حسين ، مساء ٣ ايلول (سبتمبر) ، كلمة من اذاعة عمان اعلن فيها انه طلب من حكومته ان تتحمل مسؤولياتها في تأمين النظام والامن في جميع انحاء الاردن ، وان تتخذ ما يستدعيه الموقف من اجراءات . وقال « انني وقد حملت الحكومة مسؤولياتها فان لي كامل الثقة بمجلس الوزراء كما لي كامل الاعتماد على رئيس اركان جيشنا وقدرته مع اعوانه على حمل المسؤوليات الموكلة اليه » .

واعرب الملك عن ثقته بأن الحكومة ستقوم بواجبها ، حتى اذا فعلت ذلك انتقلت الى تنفيذ الاتفاق الذي عقد بين الحكومة واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في ١٠ حزيران (يونيو) باشراف اللجنة الرباعية .

ورأى العارفون بتفكير الملك وتكتيكه السياسي الاداري ، ان في طلبه من الحكومة تحمل مسؤولياتها وضعها امام الرأي العام ، موضع العاجز عن القيام بواجباتها — لان ليس لها ولا لرئيس اركان الجيش الاردني سلطة حقيقية على الجيش الاردني — تمهيداً لعزلها ، وتأليف حكومة عسكرية ، واعلان الاحكام العرفية .. ورأوا ايضاً ان تحدث الملك عن ثقته بحكومته وبرئيس اركان جيشه اشعار بالاستغناء عن خدماتهما ، اذ من سياسة الملك اعطاء حكومته الثقة التامة قبيل عزلها ..

وفي هذا الجو القلق ، اتخذت الحكومة الاردنية اجراءات دولية ، وذلك بطلبها المساعدة من الدول الاربع الكبرى : الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفياتي ، وفرنسا ، وبريطانيا ، لمواجهة « التهديد العراقي بالتدخل في الاردن لحماية الفدائيين » . وقالت الوكالة : « ان الحكومة الاردنية وجهت نداءها في رسائل مستقلة الى سفراء الدول الاربع الكبرى . ولم تحدد الحكومة نوع المساعدة التي تريدها ، لكنها في الوقت

نفسه لم تحاول اخفاء قلقها من الانذار العراقي »[1] .

وفي الوقت ذاته قامت الحكومة ورئيس اركان الجيش بجهود لتأمين الامـــن في الاردن . وشهدت الفترة الواقعة بين الطلب من الحكومة تحمل مسؤولياتها وبين اعفائها من العمل في ١٦ ايلول (سبتمبر) ، استمرار التوتر واطلاق النار بين القوات الاردنية والقوات الفدائية ، بصور متنوعة شدة وزمناً ، ولكن دون ان يكون هناك اشتباك كلي بين الفريقين . وشهدت ايضاً مساعي حثيثة واجتماعات عديدة بين الحكومة واللجنة المركزية لتسوية النزاع وتأمين عودة الطمأنينة الى البلد بتنفيذ اتفاق ١٠ حزيران (يونيو).

وفي اثناء ذلك عقد مجلس الجامعة العربية، يوم السبت في ٥ ايلول (سبتمبر) ، جلسة بناء على الطلب الذي تقدمت به اللجنة المركزية ، سمع خلالها ما قاله رؤساء الوفود ، ونوقشت اسباب خرق اتفاق ١٠ حزيران (يونيو) .. وقرر المجلس احياء مهمة اللجنة الرباعية العربية ، موفدة هذه المرة الى عمان من قبل مجلس الجامعة العربية ، كما اضيف الى اللجنة مساعد للامين العام للجامعة ، فأصبحت اللجنة الرباعية لجنة خماسية .

وقد تقرر ان تسافر اللجنة الخماسية الى عمان صباح الاثنين في ٧ ايلول (سبتمبر) ، غير ان رئيس الوفد الاردني في اجتماع مجلس الجامعة العربية اعلم الامين العام للجامعة العربية انه تسلم معلومات من حكومته تفيد بأن الهدوء تام في الاردن ، وان لا حاجة الى ذهاب اللجنة !.. اتصل الامين العام بالوفد الفلسطيني فأكد له من جديد ان الموقف في الاردن خطر جداً وان الواجب يتطلب سفر اللجنة حالاً .

وبالفعل حدثت اشتباكات في نواحي متعددة من الاردن : في عمان واربد والزرقاء ومعان ، وذهبت ارواح عديدة ضحية رصاص قوات اردنية . وفي الزرقاء قتل ثلاثة جنود عراقيين كانوا في المدينة عند نشوب الاشتباكات يوم الاحد في ٦ ايلول (سبتمبر)، وهو اليوم الذي اكدت فيه السلطة الاردنية ان الهدوء تام في جميع انحاء الاردن !..

على ان الحكومة الليبية اعلنت في ٧ ايلول (سبتمبر) رفضها الاشتراك في عضوية اللجنة الخماسية ، وقال ناطق باسم مجلس قيادة الثورة الليبي انه « سبق ان شكلت لجنة على مستوى عال ، ولم يلتزم الطرفان بالتوصيات التي صدرت عنها ولم يفيا بتعهداتهما »

وتابع قوله : « ان السلطات الاردنية اصرت على اعادة اشخاص في قيادة الجيش

(١) نشرت الخبر وكالة الأسوشيتدبرس في ٤ – ٩ – ١٩٧٠ .

الاردني ، كان وجودهم ، في مثل هذا الموقع ، من اسباب النزاع الذي نشب في الاسبوع الاول من شهر حزيران الماضي » . وقال : « ان ليبيا ترى ان اشتراكها في اللجنة مرة اخرى يعد اشتراكاً في مهازل المسرحيات التي تمثل على الساحة العربية ومساهمة في خداع الشعب العربي الذي لا يمكن لثورة الفاتح من ايلول ان تخدعه[1] » .

وهكذا ، بينما كانت الاجراءات تسير في الجامعة العربية ببطء شديد لمقابلة حالة تتطور بسرعة وتندلع فيها النيران بشدة، واجه الشرق العربي حادثاً له اثر دولي قوي ، حادث اختطاف الطائرات . ولا بد هنا من ذكر ذلك ، ثم العودة الى احداث ما بين خطف الطائرات وتنفيذ « المجزرة » .

خطف الطائرات واثره

كان يوم الاحد ، في ٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، يوماً مشهوراً في تاريخ الشرق العربي ، وفي تاريخ الطيران الدولي . ففي هذا اليوم اختطف فدائيون من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ثلاث طائرات وحاولوا اختطاف رابعة ، متجهة كلها الى نيويورك . وكانت عملية الاختطاف عملية هائلة مدهشة مثيرة ، واضخم حادث من نوعه في تاريخ اختطاف الطائرات ، ولربما يظل الرقم القياسي في هذا الميدان . وقد تم الاختطاف في اقل من ساعتين ، مما يدل على ان الخطة اعدت بدقة بالغة وكفاءة عالية وسرية تامة ..

واولى هذه العمليات كانت محاولة اختطاف طائرة « العال » الاسرائيلية المتجهة من تل ابيب الى نيويورك عن طريق امستردام . ففي العاصمة الهولندية صعدت الفدائية ليلى خالد ، وصعد فدائي آخر ، يحملان جوازي سفر هندوراسيين ، فحاولا ارغام الطائرة على التوجه الى الاردن ، وجرى عراك بين الفدائي وحرس الطائرة من قوة الامن الاسرائيلية ، قتل خلاله الفدائي ، الذي تبين انه من الولايات المتحدة الامريكية واسمه باتريك جوزف انقويللو ، انضم الى الفدائيين لمعارضته سياسة بلاده الموالية لاسرائيل ، وقبض على الفدائية ليلى خالد . وقد هبطت الطائرة في لندن ، وتسلمت السلطة البريطانية جثة القتيل والفدائية .. وكانت ليلى خالد موضع اعجاب وتقدير من طلاب الحرية . حاول استاذ جامعي بريطاني وطالبان جامعيان امريكيان مقابلة الفدائية ليلى خالد ، ولكن الشرطة البريطانية حالت دون ذلك . فقال الاستاذ الجامعي :

(١) جريدة النهار في ٨ – ٩ – ١٩٧٠

« اننا نجد ان ما فعلته ليلى خالد بطولي . انها فتاة شجاعة جداً . وليس هناك اي سوء في خطف طائرة شرط ان يتم الخطف من اجل قضية يؤمن بها الانسان باخلاص.» [١]

وثانية هذه العمليات كانت اختطاف طائرة شركة الخطوط الجوية العالمية الامريكية . صعد اليها فدائيون في فرانكفورت ، وبعد اقلاعها امروها بالتوجه الى الاردن ، وهبطت في « مطار الثورة » ، وهو مطار صحراوي جنوبي الزرقاء في منطقة الازرق .

والثالثة كانت خطف طائرة شركة الخطوط الجوية السويسرية . صعد اليها فدائيان من زوريخ ، وطلبا توجيهها الى الاردن ، وهبطت في مطار الثورة ايضاً .

اما الرابعة فكانت خطف طائرة « بان اميركان » من طراز « جمبو جيت » ، اضخم طائرة في العالم . فعندما غادرت الطائرة بروكسل كان فيها ثلاثة من الفدائيين ، امروا ملاحيها بالتوجه بالطائرة الى بيروت . وفي العاصمة اللبنانية تزودت بالوقود . ثم توجهت الى مطار القاهرة وهبطت فيه . وهناك وبعد نزول الركاب ، نسف الفدائيون هذه الطائرة بالديناميت ، الذي تمكنوا من الحصول عليه من زملائهم في بيروت . والفدائيون الثلاثة من سكان القدس وهم : سمير عبد المجيد ابراهيم ، وعلي السيد علي ، ومازن ابو الفهد، وقد عثرت السلطات المصرية، في حطام الطائرة، على وثائق سرية لحلف الاطلسي فصادرتها ..

وفي يوم الاربعاء ١٠ ايلول (سبتمبر) صعد في البحرين فدائيان الى طائرة B.O.A.C البريطانية واختطفا الطائرة ، وبعد ان هبطت في مطار بيروت للتزود بالوقود غادرته ونزلت في مطار الثورة ، وانضمت الى الطائرتين السابق اختطافهما ، وكان فيها ١٠٥ ركاب بينهم ٥٢ راكباً بريطانياً . وهكذا اصبح مجموع الركاب المحتجزين في هذا المطار لدى الفدائيين ٢٩٣ راكباً .

وبعد ذلك افرج الفدائيون عن الركاب الذين هم من جنسيات غير الجنسيات الاسرائيلية والامريكية والبريطانية والالمانية والسويسرية ، وعن الطلاب على اختلاف جنسياتهم ، واحتجزوا الباقين لاستبدالهم بالفدائيين السبعة المحتجزين في بريطانيا وسويسرا والمانيا وبفدائيين محتجزين في اسرائيل . وابتدأت المباحثات بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبين الصليب الاحمر لتحقيق ذلك .

ولتوضيح موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عقد ممثلان عنها ، يوم الاثنين في

(١) النهار في ١٤ - ٩ - ١٩٧٠

٧ ايلول (سبتمبر) ، مؤتمراً صحافياً في مقر الجبهة في عمان قال فيه احدهما : ان الجبهة الشعبية قامت بعمليات اختطاف الطائرات « بهذا الوقت بالذات لاننا نشهد حالياً اخطر المحاولات لتصفية القضية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية » ..

على ان عمليات اختطاف هذه الطائرات اثارت موجة من القلق لدى دول غربية ، خاصة لدى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا الغربية وسويسرا ، بالاضافة الى اسرائيل ، التي انتهزت هذه العمليات وقامت بحملة مسعورة ضد الفدائيين والعرب، وبحض الدول صاحبة الشأن على ألاّ تتهاون مع الفدائيين وألاّ تلبي مطالبهم . فنتج عن ذلك انه بعد ان كانت كل دولة من بريطانيا وسويسرا والمانيا على استعداد لتسليم الفدائيين المحتجزين لديهم ، مقابل الافراج عن رعاياها من المحتجزين لدى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، اخذت تعمل معاً ومع اسرائيل ، في جبهة واحدة ..

واتخذت حكومة الولايات المتحدة الامريكية هذه العمليات ذريعة لاعداد التدخل في الاردن لضرب الفدائيين .. فحشدت قوات الاسطول السادس في القسم الشرقي من البحر الابيض المتوسط ، ووضعته في حالة تأهب ، كما انها ارسلت طائرات ضخمة ناقلة للجنود الى مطار في تركيا ، استعداداً لنقل الجنود الامريكيين الى الاردن ، وطلبت من رعاياها مغادرة المملكة الاردنية .. وكذلك فعلت بريطانيا

امام هذا التطور نسفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الطائرات الثلاث المحجوزة في مطار الثورة ، يوم السبت في ١٢ ايلول (سبتمبر) ، بعد ان اخرجت الركاب منها ، وارسلتهم الى الفنادق في عمان ، واعلمتهم انهم احرار وانه في امكانهم مغادرة البلاد متى ارادوا . وقد احتجزت ٥٤ راكباً من جنسيات امريكية وبريطانية وسويسرية والمانية ، بينهم اسرائيليان .

وقال ناطق باسم الجبهة : « اننا فجرنا الطائرات بعد ان وضح لنا ان هناك خطة لافشال عملية السيطرة عليها من الدوائر الاستعمارية وعملائها .. ولان اللجنة الدولية للصليب الاحمر ، التي كانت تجري المفاوضات مع الجبهة ، واجهت صعوبات من القوى الامبريالية التي كانت تقدم الوعود ثم تنقضها » . وقال « ان اطلاق سراح الركاب جاء استجابة لدوافع انسانية »[١] . وقد وضعت سيدة امريكية ، من ركاب

(١) هذه المقتطفات من جريدة النهار في ١٣ - ٩ - ١٩٧٠ .

الطائرة الامريكية المحتجزة ، مولوداً ذكراً ، وغادرت هي ومولودها البلاد في صحة جيدة ..

وبقي الركاب المحتجزون ، والمفاوضات سائرة للافراج عنهم .. وفي اثناء ذلك قامت الحكومة الاسرائيلية في ١٣ ايلول (سبتمبر) باعتقال ٤٥٠ عربياً من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، بينهم ٨٠ امرأة وفتاة ، انتقاماً من الفلسطينيين لاحتجاز الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين راكبين اسرائيليين بين الركاب المحتجزين . وجواباً لذلك اصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بياناً ذكرت فيه اسباب نسفها للطائرات الثلاث ، وهددت اسرائيل بان الجبهة « ستجد نفسها مضطرة الى الرد باقصى ما تتصوره اسرائيل ويتصوره محرضوها » على اعتقالات العرب في الاراضي المحتلة .. وبعد نحو ثلاثة ايام افرجت اسرائيل عن جميع العرب ، آنفي الذكر ، الذين احتجزتهم.

وبقيت المفاوضات للافراج عن المحتجزين لدى الجبهة تتعثر .. وفي النهاية افرج الفدائيون عنهم ، على ثلاث دفعات ، في ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ ايلول (سبتمبر) ، وغادروا الاردن الى بلادهم .. وتبع ذلك ان افرجت الحكومات البريطانية والالمانية والسويسرية عن الفدائيين السبعة المحتجزين لديهم وهم : ليلى خالد ، امينة دحبور ، ابراهيم توفيق يوسف ، محمد ابو الهيجاء ، محمد الحديدي ، عبد الرحمن صالح ، محمد الحنفي ، ونقلوا الى القاهرة على متن طائرة بريطانية — كومت — تابعة للسلاح الجوي البريطاني ، ووصلوها صباح الخميس في ١ — ١٠ — ١٩٧٠ .

ومهما اختلفت الآراء في اختطاف الطائرات لأسباب سياسية ، فان على الدول الغربية التي اغضبها اختطاف الفدائيين اربع طائرات ونسفهم لها ، فاقامت ضجة عالمية بسبب ذلك ، ان تسأل نفسها : لماذا قام الفدائيون الفلسطينيون بذلك العمل الجريء المتقن ؟ ان كان اختطاف اربع طائرات ونسفها يؤدي الى مثل هذا الاهتمام الدولي ، ومثل تلك الضجة التي صحبته ، فلماذا لم يحرك الرأي العام الغربي ساكناً عندما قامت اسرائيل بالاعتداءات المتتالية على اهل فلسطين ، وايقاع اضرار بهم لا مثيل لها في التاريخ ، وتشريد ما يزيد على مليون منهم ، والاستيلاء على املاكهم واموالهم ؟ . ولماذا تقف بعض الدول الغربية متآمرة مع اسرائيل حين قامت هذه بشن حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ولماذا تؤيد دول اخرى ذلك بسكوتها عنه ، ما عدا فرنسا التي ادان رئيسها الجنرال دي كول يومئذ ، وقائدها العظيم ، اعظم رجل عرفه الغرب في القرن العشرين ، اسرائيل لاشعالها نار الحرب؟ هل لان العرب شرقيون والاسرائيليون من الغرب ؟ والغرب ضد العرب والشرقيين مهما كانت الظروف والاحوال ؟

ان الشعب الذي يلاقي من اسرائيل ، ومؤيديها من دول الغرب ، اسوأ انواع الاعتداء والظلم ، يحق له ان يعمل ، بكل قواه وبكل الوسائل ، لايقاع الاضرار باسرائيل وبمصالح مؤيديها اياً كانت ، وبمصالح الساكتين من دول الغرب عن الظلم الذي توقعه اسرائيل بالفلسطينيين والعرب . لان الدول الغربية المؤيدة لاسرائيل ، او الساكتة عن عدوانها ، قد اثبتت انها لا تسمع الا صوت القوة ، ولا تتأثر إلاّ به .

والواقع انه كان لأعمال الاختطاف هذه ، وللمجزرة التي وقعت في الاردن ، وصمود الفدائيين فيها ، اثرها في الاتجاه الجديد ، الذي حدث في بعض دول الغرب ، الرامي الى الاعتراف بوجود الفلسطينيين ، وانه لا يمكن ان يتحقق سلام في الشرق العربي ، دون انصافهم ودون ان يكون لهم رأي في حل قضيتهم الفلسطينية ..

الخطوات الاخيرة نحو المجزرة

وبينما العالم مشغول بقضية الطائرات المختطفة ، ظلت قوات من الجيش الاردني منهمكة في الاقتتال مع الفدائيين والسكان ، في عمان ومناطق مختلفة من الاردن .. وكانت « سماء عمان ملآنة باللهب » .. وصدر في ٩ ايلول (سبتمبر) كلام صريح من قيادة الجيش الاردني ان بعض عناصر الجيش يتمرد على اوامرها ، ويتابع اطلاق النار على الفدائيين والسكان في المدن ومخيمات اللاجئين .. وعلى اثر انتشار هذه الاقوال منح الملك الفريق مشهور حديثة رئيس الاركان الصلاحيات المطلقة ، لتمكينه من ضبط العناصر العسكرية التي تتخطى الاوامر المتكررة .. فاصدر الفريق حديثة امراً بوقف اطلاق النار في الساعة ١٦ والدقيقة ٣٠ ، وهدد باتخاذ اشد العقوبات ضد من يخالف هذا الامر من القوات المسلحة .. كما اصدر السيد ياسر عرفات امراً الى رجال المقاومة والمليشيا بوقف اطلاق النار فوراً ، ووجه نداءً الى القادة العرب والجماهير العربية لتحمل مسؤولياتهم ووضع حد للأعمال المؤدية الى دمار الاردن .

على ان ذلك لم يغير من الوضع شيئاً ، اذ ان اطلاق النار استمر والاشتباك اشتد ، والضحايا تساقطت .. وذكرت « فتح » في بيان لها ان الفريق حديثة حاول « معاقبة الضباط المسؤولين عن المذبحة الدائرة الآن في الاردن لكنه لم يستطع ذلك ، وعلى الاثر قدم استقالته ، لكنها لم تقبل[1] .

(١) وكالة رويتر : النهار في ١٠ — ٩ — ١٩٧٠ .

ومع ذلك عقدت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اجتماعات يوم الجمعة في ١٠ ايلول (سبتمبر) وليلته ، اتفق فيها الجانبان على وجوب وقف اطلاق النار ، والمحافظة عليه واستمرار الاجتماعات لوضع حد نهائي لحالة التوتر ، واعادة الهدوء والحياة الطبيعية الى البلد . وهكذا امضت عمان ليلة ونهاراً هادئين.. واعلن الهلال الاحمر الفلسطيني ان ضحايا الحوادث الاخيرة التي بدأت في ٣٠ آب ، بلغ ١٥٠ قتيلاً و ٥٠٠ جريح بين مدني وفدائي .

وفي مساء يوم ١٢ ايلول (سبتمبر) عقد الملك حسين اجتماعاً مع ممثلي اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وجه فيه الملك اللوم الى المنظمات الفدائية لانها منقسمة وعاجزة عن اتخاذ موقف مشترك وعن السيطرة على عناصرها .. وطلب احترام وقف اطلاق النار . وركز ممثلو اللجنة المركزية ، من جهتهم ، على ان ليس لدى الحكومة الاردنية سلطة، وان الملك وبعض القادة العسكريين يمسكون كل السلطات[1] .

وفي اليوم التالي لهذا الاجتماع قامت قوة من الجيش الاردني باطلاق النار على قسم من جيش التحرير الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبثت اذاعة عمان ذلك رسمياً في ١٣ ايلول (سبتمبر) بقولها : « ان اشتباكاً وقع اليوم بين قوة من الجيش الاردني وفئة من جيش التحرير الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في موقع الطرة في محافظة اربد شمال الاردن » . وقالت اذاعة عمان ان الحادث ادى الى وقوع عدد من القتلى من الجانبين ، وان رئاسة اركان القوات الاردنية المسلحة ، « اتخذت اجراءات صارمة بحق المسؤولين » عن الحادث . واعربت السلطات الاردنية المختصة عن اسفها الشديد لوقوع هذا الحادث الذي وصفته « بالمستنكر » .

وتبع استنكار قيادة الجيش الاردني الاعتداء الذي وقع على قوة من جيش التحرير الفلسطيني ، ان قامت قوات اردنية يوم الاثنين في ١٤ ايلول (سبتمبر) باطلاق النار على مخيم الوحدات في عمان، وعلى احدى قواعد « فتح » في اربد ، كما ان قوات من اللواء المدرع ٤٠ واللواء « الامام علي » حاصرت بلدة « ملكا » قرب اربد .. واخذت قوات الصاعقة الاردنية تتجمع في عمان ، واقيمت التحصينات على عدد من المباني .. وفي الجنوب وزعت السلطة السلاح على رجال العشائر لمقاتلة الفدائيين .. وقابلت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ذلك بدعوتها الى اضراب عام شامل في الاردن يوم

(١) النهار في ١٤ – ٩ – ١٩٧٠ .

الخميس في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٧٩٠ .

وبينما كانت الاحداث تسير في الاردن بسرعة من سيء الى أسوأ ، كانت اللجنة الخماسية ، التي الفها مجلس الجامعة في ٥ ايلول (سبتمبر) ، تقوم باتصالات مع الملك والحكومة واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .. وقد اثمرت جهودها الى نتيجة ايجابية :

فقد بثت اذاعة عمان ، مساء يوم الثلاثاء ، في ١٥ ايلول (سبتمبر) ، تصريحاً للسيد امين الشبل مندوب السودان في اللجنة الخماسية ، اعلن فيه انه تم التوصل الى عقد اتفاق جديد بين الحكومة الاردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية باشراف اللجنة الخماسية . ويتألف الاتفاق من ١٣ بنداً ، ويقضي بازالة جميع مظاهر التوتر في مدينة عمان والمدن الاردنية الاخرى، اعتباراً من صباح يوم الاربعاء في ١٥ ايلول (سبتمبر) ، على ان ينتهي ذلك في الساعة السادسة مساء . ونص الاتفاق على ما يلي :

- ابدال الحراسة العسكرية القائمة حالياً في مدينة عمان بشرطة مدنيين في جميع المواقع ، بما في ذلك السفارات والمرافق العامة باستثناء الديوان الملكي وقصر زهران والقلعة والحاووز في جبل التاج ، مع خفض الحراسة في المناطق الثلاث الاخيرة .
- سحب جميع قوى الامن التي احتلت حديثاً اماكن في العاصمة ، وسحب كل القوات العسكرية من حول عمان ، وكذلك انسحاب الفدائيين من جميع المواقع التي احتلوها اخيراً في شوارع المدينة .
- رفع الحواجز من كل الطرق العامة وعدم تعرض العناصر الفدائية للافراد المدنيين والعسكريين ، وامتناع الفدائيين عن تفتيش البيوت واعتقال الاشخاص ، وعدم تعرض القوات المسلحة والامن العام لاي عنصر فدائي في اي مكان .
- سحب القواعد العسكرية للفدائيين من عمان ، وتحديد ثلاث مناطق يكون فيها للكفاح الفلسطيني وجود رمزي هي مناطق البريد ومولدات الكهرباء ومولدات المياه في رأس العين .
- تأليف لجنة مشتركة من الحكومة الاردنية والمقاومة ، عدد اعضائها اربعة لكل من الجانبين ، على ان يكونوا من العسكريين ، للاشراف على تنفيذ الاتفاق .

ولو ان الفريقين ، السلطة الاردنية والفدائيين ، قاما بتنفيذ هذا الاتفاق باخلاص لساد الاردن سلام وطمأنينة ، ولما وقعت المجزرة . ولو انهما نفذا اتفاق ١٠ حزيران

(يونيو) ١٩٧٠ ، لما وقعت الحوادث الاليمة خلال الفترة ما بين ١٠ حزيران (يونيو) والمجزرة ..

وانتشرت الانباء بان مستشاري الملك المقربين يرفضون الاتفاق آنف الذكر ، الذي وقعته الحكومة واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وان الملك قرر اتخاذ اجراءات حاسمة .. وفي هذا الجو قام مجلس الامة الاردني باصدار نداء ، بثته اذاعة عمان مساء الثلاثاء في ١٥ ايلول (سبتمبر)، ناشد فيه المسؤولين في الحكومة الاردنية والفدائيين « بذل كل الجهود للقضاء على الفتنة في الاردن وتطويق الازمة وتفويت الفرصة على الاعداء » ، وحمل الجميع المسؤولية « امام الله والتاريخ والامة » . وقال المجلس في ندائه « ان ما مر بنا من فتنة لا يخدم الا اعداء الوطن والامة » .

وعند مولد اليوم التالي ، الاربعاء في ١٦ ايلول (سبتمبر) ، قام الملك حسين باتخاذ الاجراءات الحاسمة التي كثيراً ما نشرت عنها وكالات الانباء . ففي منتصف ليلة الثلاثاء ، وبعد اطلاع الملك على « اتفاق الحكومة واللجنة المركزية » ، الذي تم الوصول اليه وتوقيعه باشراف اللجنة الخماسية ، عزل الملك الحكومة وعين حكومة عسكرية مؤلفة من اثني عشر ضابطاً ، ثلاثة منهم فلسطينيون والآخرون اردنيون ، برئاسة الزعيم (رتبة عسكرية تاج وثلاثة نجوم) محمد داود . ونحى ايضاً الفريق مشهور حديثة عن رئاسة اركان الجيش الأردني، وعين المشير حابس المجالي، مكانه وحاكماً عسكرياً عاماً ، واعلن الاحكام العرفية ..

ورأت اللجنة المركزية لتحرير فلسطين ان هذه الاجراءات موجهة ضد الفدائيين والشعب ، فقامت بتوحيد المنظمات الفدائية ضمن اللجنة المركزية ، وعينت السيد ياسر عرفات قائداً عاماً لقوات الفدائيين .. وقد طالب في اول امر اصدره ، القوات الفدائية الا تطلق النار على القوات الاردنية الا دفاعاً عن النفس . وطلب من الفدائيين ، في امره الثاني « عدم اطلاق النار على اخوانهم من ابناء الجيش الاردني ، واطلاق النار فقط على كل عميل يصوب الرصاص اليهم » .

وعندما وقف اهل عمان ، صباح الاربعاء ، على خبر تعيين الحكومة الجديدة ، اغلق كثير من التجار مخازنهم ، واقفر معظم الشوارع من الناس ومن السيارات ، واخذ الاولاد يلعبون في الشوارع .. واخذت قوات اردنية تتمركز في اماكن استراتيجية ، وقوات فدائية في اماكن اخرى .

وكان اول اجراء قامت به الحكومة هو ان طلبت ، بواسطة الاذاعة ، من رجال

الميليشيا التابعة للمنظمات الفدائية تسليم اسلحتهم الى المنظمات التي ينتمون اليها ... فرفضت المنظمات هذا الامر فوراً ، واجابت بواسطة اذاعة العاصفة من دمشق ، بان الثورة هي التي زودت رجال الميليشيا بالسلاح لا السلطات الاردنية ..

امام هذه الاوضاع طلبت اللجنة الخماسية دعوة مجلس الجامعة العربية الى الانعقاد فوراً للنظر في موضوع عدم تنفيذ الاتفاق ، الذي تم التوصل اليه ليلة الثلاثاء بين الحكومة الاردنية والمنظمات الفدائية .

ولتلافي المآسي المقبلة وجه السيد ياسر عرفات نداء الى الملوك والرؤساء اوقفهم فيه على الاجراءات العسكرية التي اتخذتها السلطة الاردنية لضرب الثورة الفلسطينية وابنائها ، وقال : « واني .. اتوجه اليكم في هذه الظروف الخطيرة والدقيقة ، لتتحملوا مسؤولياتكم القومية والتاريخية والعربية لمساعدة الثورة الفلسطينية التي تواجه الآن اعنف هجمة استعمارية » . وناشدهم قائلاً :

« اننا نناشدكم ان تكونوا عند مسؤولياتكم ، وتتدخلوا لايقاف هذا النزف الدموي ، الذي يخطط له وينفذه كل العملاء وكل القوى المشبوهة في اردننا الحبيب ، مستهدفاً شعبنا الاردني البطل الشجاع .. » .

وهكذا امسى سكان الاردن وعاصمتهم شبه مهجورة ، والاحكام العرفية معلنة ، وقرار الاضراب العام ، ابتداء من الخميس ، امامهم ، والبلاد منقسمة الى قسمين : الاول السلطة العسكرية يؤيدها عدد من العشائر ، والثاني المنظمات الفدائية المتحدة ضمن اللجنة المركزية يؤيدها معظم السكان ، ليصبحوا يوم الخميس في ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ على دوي المدافع ، وهدير الدبابات ، وازيز الرصاص ..

— ٢ —

من حوادث المجــزرة

تعرض الاردن ، مدنه وقراه ومخيمات اللاجئين فيه ، ما بين يوم الخميس في ١٧ ويوم الثلاثاء في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، لمجزرة لم ير التاريخ لها مثيلاً .. وقصة هذه المجزرة تتطلب مجلداً لتسجيل وقائعها ، وليس هذا الكتاب خاصاً بذلك ، ولعل منظمات ذات اختصاص تقوم بوضع ذلك المجلد ، تضمنه تفاصيل حوادث المجزرة

التي ارتكبت في عمان وغيرها من مدن الاردن ، مع ذكر الجرائم على مختلف انواعها ، وبيان الدمار الذي حدث ، والضحايا وكيف قتلوا .. موضحاً كل ذلك بالصور ومثبتاً اياه بالارقام ..

وسأذكر في هذه الصفحات بعض حوادث المجزرة لاعطاء صورة سريعة عن حقيقتها ، وهي متداخلة متشابكة ، ولذلك فانني من اجل الايضاح أتناولها تحت عناوين رئيسية هي :

معركة عمان — وفد مؤتمر القاهرة — معركة الدبابات .

١ — معركة عمان

ايقظ دوي المدافع سكان عمان والمدن الاردنية الاخرى ، ابتداء من الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ .. واعلنت السلطة العسكرية الاردنية منع التجول الى اشعار آخر .. وعزلت الاردن عن العالم الخارجي ، والمدن الاردنية بعضها عن بعض ، وذلك باغلاقها مطار عمان ، وباغلاق الحدود مع سوريا ، وبمنع الاتصالات البرقية والبريدية . ولكي تعزل الشعب عزلاً تاماً ، وتضعه في اوضاع صعبة ، قطعت الكهرباء ، فتوقفت اعمال اسعاف الجرحى في المستشفيات .. ثم ان السلطة العسكرية قطعت الماء عن المدينة ايضاً لتعطش السكان ! وتزيد من شقائهم وآلامهم .. وكانت الوسيلة الوحيدة التي يطلع فيها الانسان على بعض ما يجري في الاردن هي اذاعة عمان ، التي كانت تبث بيانات السلطة العسكرية الاردنية ، واذاعتا دمشق وبغداد ، اللتان كانتا تذيعان بيانات اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ابتدأ هجوم الجيش الاردني على ابناء الشعب الاردني ، بأن ضربت مدافعه المحيطة بعمان مراكز الفدائيين وبيوتاً عديدة اخرى ، بقنابلها .. وتبع ذلك ان دخلت القوات الاردنية بدباباتها وجنودها عمان من طرق مختلفة ، متجهة الى احياء واماكن معينة لكل منها ، وذلك لضربها واخضاعها . واذكر من هذه القوات اربعاً :

القوة الاولى كان قسم منها متجهاً نحو الدوار الثالث في غرب جبل عمان ، ومنه الى الطريق المؤدي الى « رأس العين » ، وقسم آخر كان متجهاً الى الدوار الاول فيه من شارع المطران . والقوة الثانية كانت تتقدم نحو مخيم الوحدات في الجنوب . والقوة الثالثة كانت متجهة نحو الاشرفية من الجهة الشرقية . والقوة الرابعة كانت تسير نحو جبل الحسين الى دوار مكسيم ، ومخيم الحسين ، آتية من جبل النزهة والقصور ، اي من

الجهة الشمالية ، ومن جهة المدينة الرياضية في الغرب .

زحفت الدبابات وحاملات الجنود من ورائها على العاصمة .. وهدمت مئات البيوت بقنابلها وصواريخها على من فيها من السكان .. ودار ، في مختلف انحاء المدينة وفي مخيمات اللاجئين ، قتال بين القوات الاردنية وبين الفدائيين واعضاء الميليشيا من الوطنيين .. وتبع ذلك ان اشتعلت النيران في كثير من احياء عمان حتى امتلأ سماؤها باللهب والدخان .

نموذج للمعارك

واذكر ، فيما يلي ، موقعة من هذه المواقع ، كما جاءت في مذكرات فدائي عن المعارك التي دارت في جبل الحسين (دوار مكسيم) ومخيم الحسين ، نشرتها مجلة الهدف التي تصدر في بيروت ، في عددها الصادر في ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ .

قال الفدائي عن معركة يوم الخميس في ١٧ ايلول (سبتمبر) :

« .. مات كثيرون اليوم ، وسيكون من المستحيل ان تصمت البنادق غداً ..

« .. وفي نحو الساعة الخامسة صباحاً قال لنا الرفيق ابو علي أن الدبابات آخذة في التقدم من طريق عين غزال ومنطقة صويلح ، وهي تتحشد خلف تلال المدينة الرياضية ، وقد بدأ الرمي قبل ان ينتهي من كلامه ، ويبدو ان فوهات مدافع الدبابات كانت مصوبة سلفاً على مكاتب المنظمات .

« .. تقدير الرفاق ، فيما بعد ، ان خمسين شاحنة محملة بالمشاة تسير وراء نحو ٤٠ دبابة سنتوريون وباتون وثلاثين مجنزرة . ثم بدأ شباب فتح يضربون بالهاون ، وسكتت الدبابات ١٥ دقيقة ، وفي السادسة تقريباً نزل المشاة واخذوا يقتربون تحت نار الدبابات المتجددة لتطهير المكاتب في الشميساني ، وهي بالترتيب من جهة الطريق : الشعبية ، جيش التحرير ، الديمقراطية . ان الهجوم استهدفها معاً على درجة واحدة ، خصوصاً وان المدفعية اخذت تقصف عن بعد ، وكانت معظم القذائف تنزل في الكفاح المسلح وقيادة جيش التحرير .

« اختلطنا ، وفجأة ضاعت الحدود بين التنظيمات ، وصرنا نتقابل في الخنادق ووراء الحيطان وعلى اطراف الركام من تنظيمات مختلفة ، ونعمل معاً دون تردد . وقد انتظرنا حتى اقترب المشاة ، ولا اذكر ان احداً اطلق رصاصة ، ثم انهمرت نيران

رشاشاتنا ، وبعد نحو دقيقتين اخذ المشاة يتراكضون الى الوراء ، وقد ساعدتنا انفجارات قنابل الدبابات والمدفعية على رؤيتهم وضربهم ، وقد تمترسوا وراء الدبابات من جديد .

« في الساعة السابعة صباحاً كان رجال افراد الحراسة التابعين لقيادة جيش التحرير في الشميساني يدافعون عن مكتب القيادة باستبسال لم ار له مثيلاً ، وقد دمرت الدبابات معظم جدران المكتب وكانت تطوقه على بعد يسير ، ولم نر احداً يفر الى ان انسحبوا جميعاً من الركام ، وكان الضباط معهم .

« نحو الثامنة انتهت ذخيرة ل ـ ١٠ م ـ د الموجود لدى جبهة التحرير العربية ، واتضح انفتاح ثغرة ، ثم بدأ جيش التحرير يقصف بمدافع الهاون ، واطلقنا نحن لأول مرة ، من غرينوف ، واطلق رجال فتح عدة مدافع دوشكا . توقفت الدبابات ولم نفهم لماذا الا حين اخذت المدفعية تقصف مجدداً بكثافة ، ويبدو ان هذا القصف ادى الى تدمير عدة رشاشات ثقيلة للجبهة العربية ، وانتهى ما كان لديهم من قذائف هاون .

« كنت مع رجلين من فتح وواحد من الجبهة وواحد من الديمقراطية حين اخذت الدبابات تتقدم وكأنها تلال حديدية متحركة ، لم نعهد في عمرنا هذه الكثافة الرهيبة من النار . وفي الساعة الثامنة والدقيقة ٤٠ هدمت قذائف الدبابات مكتب الجبهة وسوته بالارض ، وانسحب مجموع رجال الهيئة العاملة الى الخلف ، وظل الكثيرون متمركزين حتى وصلت الدبابات الى دوار وزارة الداخلية وتمركزت هناك وصارت عملياً خلف مكاتب المقاومة .

« .. لقد احتلت الدبابات خطاً امامياً لا قيمة له ، وعليها كي تتقدم ان تشتبك معنا كل شبر .. وبالفعل حين اخذت الدبابات تتقدم اشتبكنا معها ، وفجأة حدث ما لم يكن في حسابنا : اخذت مدفعية الدبابات وقذائفها تفتك بالبيوت فتكاً اعتباطياً وحشياً دونما تمييز . وكان المنظر مروعاً بعث فينا الشلل . كانت الدور تسقط ، وكنا فجأة نرى بين الركام غير المنتظر اشياء الناس الخاصة والصغيرة .. وسط ذلك الجحيم اخذنا نسمع اصواتاً :

« يا رفاق انقذونـــا » .. « انجرحت يا رفاق » ، « قتلني الجيش يا رفاق » ..

« .. ويبدو ان الصدمة كانت مروعة ، اذ اخذ الرجال ينسحبون امام الدبابات ، وبدا لنا ان المفاجأة فعلت فعلتها ، وكادت الفوضى تعم .

« وفجأة حدث شيء نادر : اندفع ابو عمار الى شارع الحسين ، وطلب من

المقاتلين الذين كانوا آخذين بالانسحاب زرع الالغام وبناء سدود من السيارات وانابيب الغاز وتنكات البنزين ، وقد ارسل من يحضر سيارته ودفعها بنفسه مع آخرين وسط الطريق . وفجأة دبت روح عالية واخذ الرجال يعودون . وصاح ابو عمار : ساعتين بس يا جماعة ، والله حنّديهم درس عمرهم ما حينسوه .

« ومن بين البيوت عاد الشبان مع مدافع ال ر ن ج الى دوار مكسيم . وقد انقلب الى جهنم لا يتصوره عقل ، واخذت الدبابات تتقهقر بسرعة .. وخلت كل المنطقة وعادت الى مراكزها الصباحية قبل المعركة واخذت تقصف ، من هناك ، البيوت المحيطة بدوار مكسيم حيث لقناهم درساً فريداً .

« واعادت الدبابات الكرة نحو الواحدة ظهراً ، واتجهت نحو دوار مكسيم .. من بين البيوت . ووقفت اربع دبابات الى البيت المجاور لمبنى القيادة العامة ج.ش ، وفجأة انطلقت قذيفتا ربـج من مكان قريب ، والتهمت النار اثنتين ، واخذت الاثنتان الباقيتان تنسحبان على التو وهما تطلقان النار ، وكنا نعرف انهما فوجئتا ، وانهمــا ستعودان ، فانسحبنا من المكان الذي اطلقنا منه القذائف . وفعلاً عادت الدبابتان واطلقتا صواريخهما على البيوت المجاورة ، هدموا واحداً بصورة كاملة ، وقتل صاحبه تحت الانقاض فيما ظل اطفاله الثلاثة احياء ، وجلسوا على الركام وحدهم ، وكان منظرهم محزناً .. وفجأة اطل « ابو حسين » من وراء الركام مباشرة خلف الاطفال واخذ يناديهم ولكنهم لم يلتفتوا اليه ، واخيراً وصل اليهم فجذب احدهم نحوه ، وتناول ايدي الآخرين الصغيرين واختفوا جميعاً ، وعندها اطلقنا قذيفة واحدة ، وفوراً اخذت النار ، وسط دوي هائل ، تلتهم الدبابة .. واخذت الدبابة الاخرى تدور حول نفسها وتطلق النار بجنون على البيوت المحيطة بها ، وحين صارت على مسافة كافية اطلقت نحو عشرة صواريخ وهدمت بيوتاً كثيرة .

« في الوقت نفسه اخذ طابور جديد من الدبابات يعود لمحاولة خرق دوار مكسيم ، ولكنه تقهقر من جديد امام المقاومة الضارية .. واتخذت الدبابات تشكيلاً خاصاً واخذت تضرب الطريق العام .. وقد شبت النار على جنبات الطريق ، وفي كل مكان على طول الحي ، وظل الفدائيون في امكنتهم ، وكنت اسمع انيناً في كل مكان .. طلب مني ان اعود الى المخـيم ..

« وبدأ قصف المخيم (الحسين) مع وصولي اليه ، طوال العصر . وانهالت القنابل

على المخيم دون رحمة ومثل مطر من النار . فجأة يفقد الموت معناه ، وينتاب المرء شعور بأن الناس انما ينامون ، يرتاحون ، على قارعة الطريق .

« الموت والدمار ، الغبار ، البارود ، الدم الجاف الذي شبه وحل احمر اللون ، الوجوه الصفراء ، الرعب .. كل ذلك يضحي خلال ساعات قليلة عادة يمكن للمرء ان يتعايش معها .

« افرزنا وحدات خاصة ، ونقلنا معظم القتلى والجرحى الى المدارس ، والى مراكز تموين وكالة الغوث .

« وكنت في امس الحاجة ، نحو الخامسة مساء ، لذلك الامر الذي تلقيته من قيادة الجبهة : اذهب الى بيتك ونم جيداً الليلة ، نحتاجك غداً طوال النهار ..

« غداً ؟ من يدري ! » .

ان ما ذكره الفدائي صاحب المذكرات عما وقع في جبل الحسين من تدمير للبيوت وقتل للناس ، ومن ضرب مخيم اللاجئين في الحسين وهدم البيوت على رؤوس هؤلاء الذين طردتهم اسرائيل فالتجأوا الى شرق الاردن ، القسم الثاني من وطنهم ، هرباً بارواحهم من غدر العدو .. هو نموذج لما وقع في احياء عمان الاخرى ، وفي مدن الاردن ، وفي مخيمات اللاجئين العديدة ..

وقد اعلمني احد هواة اللاسلكي انه سمع باذنيه مخابرات عديدة بين قواد القوات الاردنية الضاربة في عمان ورؤسائهم في القيادة العسكرية، وما تصدره هذه القيادة من اوامر الضرب والهدم والفتك ، ما لا يستطيع الانسان تصديقه .. من تلك الاوامر :

صدرت الاوامر للقوة المتقدمة نحو مخيم الحسين عبر جبل النزهة بقصف المخيم من بعيد . فسأل قائد القوة المتقدمة نحو المخيم رئاسته عن « وجهة القصف » ، فكان الجواب آمراً : اضرب شمال يمين فوق تحت ولا تبق شيئاً ! ! ..

وارسل لاسلكي القوة المتقدمة نحو مخيم الحسين اشارة لقيادته قال فيها :

ان احد افراد الجيش الاردني رابض في عمارة مكونة من طابقين بجانب حاووز مياه جبل النزهة ، ومعه رشاش ٥٠٠ ، يرمي امام القوات الاردنية المتقدمة نحو المخيم . فأجابت القيادة : اصدروا له الامر بالنزول من البيت وان لم يخرج منه فدمروا المنزل على من فيه ..

مناشدة التدخل لوقف المجزرة

وانتهى اليوم الاول من المجزرة ، كانت فيه عمان بكاملها ميدان قتال ، وسماؤها مغطاة بدخان الحرائق والانفجارات ، والخسائر في الارواح تتصاعد كل دقيقة ، والجرحى من المدنيين وعددهم عشرات المئات كانوا في وضع يرثى له ، لانه لم يكن في الامكان نقلهم الى المستشفيات بسبب منع التجول ، وتساقط القنابل ، وانتشار زخات الرصاص ، في كل مكان ..

وفي الساعة ١٦ بثت اذاعة اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، أن القوات الاردنية تقصف الاحياء المأهولة بالسكان في عمان بنار المدفعية والدبابات ، وناشدت اللجنة المركزية في بيانها « جماهير الامة العربية العمل على وقف المجزرة الرهيبة التي يتعرض لها شعب الاردن والتي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً » .

واصدر الهلال الاحمر الفلسطيني بياناً قال فيه : « نتيجة للمجزرة الرهيبة التي تدور الآن في عمان فقد سقط اليوم (الخميس) مئات الشهداء والجرحى . ان الهلال الاحمر الفلسطيني يناشد كل المنظمات الدولية التدخل فوراً لوقف المجازر الدموية في عمان » .

وقالت الاذاعة الفلسطينية « ان الطائرات الامريكية تهرع لتزويد (٠٠٠) بما يحتاجون اليه من ذخيرة . ونريد ان نسأل هل هرعت واشنطن يوماً لتزويد الاردن بمدفعية مضادة للطائرات لتصد غارات العدو على مناطق اربد والسلط وجرش ؟ . كم تمنى الجيش العربي الباسل ان تكون بين ايدي رجاله مدفعية مضادة للطائرات يصدون بها غائلة الغدر الصهيوني على اهلهم وعليهم » .

مضى هذا اليوم ، والقتال على اشده ، ولم تتدخل فيه قوة عربية لوقف المجزرة الرهيبة .. فبثت اذاعة الثورة نداء ناشد فيه الفدائيون القوات العراقية المرابطة في الاردن التدخل الفوري في المعركة .. غير ان القوة العراقية لم تتدخل على الرغم من الوعود السابقة ..

لم ينم سكان عمان والمدن الاخرى ومخيمات اللاجئين ، التي ظلت ترميها المدفعية الاردنية بقنابلها المتنوعة . وبزغ فجر يوم الجمعة ، في ١٨ ايلول (سبتمبر) ، وهم حائرون لا يدرون ماذا يفعلون . لا ماء عندهم ولا كهرباء في بيوتهم ، ولا يستطيعون الاتصال بالتلفون ، ولا السير على الاقدام الى اي مكان بسبب منع التجول .. وظلوا في

بيوتهم مذهولين ، يسمعون طوال اليوم هدير المدافع ، وازيز الرصاص ، ودوي الصواريخ ، واصوات سقوط البيوت على من فيها ، وصراخ المنكوبين وانين الاحياء تحت الركام ..

وفي هذا اليوم اشتد القتال ، في مدن عديدة في الاردن وفي جميع المخيمات وانحاء عمان ، كما اشتد ضرب المدفعية الاردنية لها . وكي تنهي السلطة الاردنية المهمة بسرعة دفعت بقوات جديدة الى مجزرة عمان ، وجرى في انحائها قتال عنيف ولا سيما في جبل اللويبدة وجبل الاشرفية . وعلت منهما السنة النيران ، وتجمع فوق عمان دخان كثيف . غير ان القوات الاردنية لم تستطع ، في هذا اليوم ولا في الايام التي تبعته ، قهر القوات الفدائية ، وما قامت به من هجوم قد صُدّ ، وظل الفدائيون يدافعون بشدة على الرغم من هدم المدافع كثيراً من مراكزهم ومن بيوت السكان ..

ولما عجزت السلطة الاردنية عن حمل الفدائيين على الاستسلام ، اكدت اذاعة اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ان القوات الاردنية قصفت بعض احياء عمان ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين بقنابل الفوسفور والنابالم لارغام سكانها على التسليم ! ..

وبثت اذاعة اللجنة المركزية نداء من جمعية الهلال الاحمر موجهاً الى الصليب الاحمر الدولي والمنظمات الدولية جاء فيه « عمان تحترق بالقنابل الفوسفورية من قبل السلطات الاردنية . مئات القتلى والوف الجرحى دون اسعاف . نناشدكم المساهمة الفورية لانقاذ الجرحى » . وبثت الاذاعة ايضاً ان « مخيم البقعة يقصف الآن بالقنابل المحرقة من نوع النابالم وهناك اصابات ادخلت المستشفى » .

ومن الاكيد ان الذين نظموا هجوم الجيش على الفدائيين والمخيمات والسكان ، كانوا قد اكدوا للملك ان في امكان الجيش ان يقضي على القوات الفدائية ومؤيديها من السكان في يوم او يومين على الاكثر ، قبل ان يبدأ التحرك العربي لمصلحة الفدائيين .. غير ان هؤلاء قد فوجئوا عندما رأوا التصميم الشديد لدى الفدائيين على الصمود والعزم الاكيد على القتال حتى النهاية ..

وفي هذا اليوم الجمعة في ١٨ ايلول (سبتمبر) ، وبينما عمان تحترق ، ومدن اخرى تضرب بالقنابل ... نشرت وكالة الانباء « رويتر » ما نصه :

« يجري الملك حسين ، وهو من هواة اللاسلكي ، اتصالات منتظمة مع زملائه من الهواة في انكلترا وامريكا برغم الازمة الحالية في الاردن » . وقالت « ان الملك حسين

اتصل ليلة امس الجمعة بمنزل السيد موريس مارغوليس في احدى ضواحي لندن ليقول له : « كل شيء هنا تحت السيطرة ، ولا خوف على حياتي . » واضافت الوكالة ان مارغوليس قال لرويتر : « ان الملك حسين من هواة الراديو المعروفين وقد تبادلنا الحديث بالراديو مراراً . لكنني دهشت عندما اتصل بي ليلة امس في الظروف الحالية. »[١]

استجابات لمساعي وقف اطلاق النار لم تثمر

وقد استمر القتال في عمان ومدن اخرى يوم السبت في ١٩ ايلول (سبتمبر) ، وتمكنت المنظمات الفدائية من مد وحداتها بتعزيزات جديدة من الرجال والذخيرة .. وفي الوقت نفسه استجاب السيد ياسر عرفات لنداء الرئيس جمال عبد الناصر بوقف اطلاق النار ، فأصدر بيان اعلن فيه ان : « الثورة الفلسطينية على استعداد لاتخاذ الترتيبات اللازمة لايقاف اطلاق النار حتى يتسنى لموفد الرؤساء الثلاثة الفريق محمد صادق القيام بالمهمة التي اوفد من اجلها . ونحن نطالب السلطة بوقف اطلاق النار في المقابل حقناً للدماء البريئة وحتى لا تدخل بلادنا حرباً اهلية طويلة وتدخلات اجنبية ، وكذلك لانقاذ البلاد من خطر الاوبئة الممكن انتشارها لوجود آلاف الجثث تحت الانقاض وفي الشوارع من دون دفن . اننا نترك للفريق محمد صادق اتخاذ الخطوات والترتيبات الكفيلة بوقف اطلاق النار من الجانبين ونحن سنلتزم بذلك بمجرد ابلاغنا اياه واعلانه » ..[٢]

وفي الساعة ١٨ ، واثر مساعٍ كبيرة من الرئيس جمال عبد الناصر ، بثت اذاعة عمان امراً بوقف اطلاق النار صادر عن المشير حابس المجالي هذا نصه : « الى كل القطاعات العسكرية في القوات المسلحة الاردنية والامن العام وافراد الجيش الشعبي . آمركم جميعاً بوقف اطلاق النار اعتباراً من الساعة السادسة من مساء اليوم السبت ١٩–٩–١٩٧٠ ، باستثناء معالجة مصادر النيران التي تحول دون تنفيذ واجباتكم الانسانية ». غير ان القوات الاردنية لم توقف اطلاق النار ، واكدت اذاعات الثورة الفلسطينية ان امر وقف اطلاق النار ، الذي اصدرته السلطة الاردنية ، كان شكلياً لارضاء الرؤساء العرب والرأي العام في البلاد العربية ، اذ ان القوات الاردنية في الحقيقية ،

(١) جريدة النهار في ١٩ – ٩ – ١٩٧٠ .
(٢) الاهرام في ٢٠ – ٩ – ١٩٧٠

استمرت في اطلاق النار ..[1]

وفي معارك عمان اسرت القوات الاردنية يوم السبت في ١٩ ايلول (سبتمبر) السيد ابراهيم بكر احد اعضاء اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويوم الاحد في ٢٠ ايلول اسرت السادة : صلاح خلف (ابو اياد) الرجل الثاني في حركة فتح ، وفاروق القدومي (ابو اللطف) رئيس التنظيم الشعبي في فتح ، وبهجت ابو غربية (ابو سامي) زعيم جبهة النضال الشعبي .

اصبح يوم الاثنين في ٢١ ايلول (سبتمبر) ، اليوم الخامس للاقتتال ، والاشتباكات الدامية لا تزال شديدة واذا كانت قوات الجيش الاردني قد سيطرت على احياء في عمان ، فقد ظل قلب المدينة في يد الفدائيين وكذلك احياء اخرى ومراكز عديدة في العاصمة .

وكتب الفدائي في مذكراته يقول :

« ان الدبابات لا تزال خارج خطوطنا .. اننا واقفون الآن لليوم الخامس .. امس دارت معركة ضارية حول مكتب فتح وكان محصناً جداً ، وقد هدمت المدفعية كل الدور المحيطة به ، وقصفت دون هوادة كل شبر في المنطقة الواقعة بين مخيم الحسين والجبل ، حيث يوجد معسكر لاشبال الجبهة الديمقراطية .. اليوم تركت رسالة ابو اياد وقعاً شديداً وادت الى ان خيم على الجميع شيء يشبه الوجوم . نسفوا جميع مكاتب المنظمات . تضاءلت كمية ذخائر الاسلحة م/د . قصفوا مخيم الحسين ومخيم النزهة ووادي الحدادة بشدة لا مثيل لها . في الواقع لم يعد احد يهتم بدفن الموتى .

« في المساء اخذت مكبرات الصوت تدعوا للاستسلام .. ان شيئاً مثل هذا لم يحدث في التاريخ : انهم يدعون الفدائيين والشباب للاستسلام ! الشباب ؟ هذه مساواة فذة ، ولكنها تبدو اشارة الى نية افناء لا تخفي نفسها ولا تستحي ، والواقع انهم هدموا المخيمات ، هكذا ، بالسحق والمحق .

« المزج بين الفدائيين والشباب ، والمزج بين المقاومة والمخيمات .. اليس لذلك

(١) جريدة النهار في ٢٠-٩-١٩٧٠ .

معنى ؟ . ومع ذلك فالرفاق واقفون . رجال الجبهة في كل مكان ، الوجوه كلها تتشابه في التعب والارهاق والغبار ، وفي التصميم ايضاً .

« قررت اليوم بلحظات تساوت فيها اشياء لم اكن احسب انها تتساوى في كل عمري : جرعة الماء ، والرصاص ، وكسر الخبز . النوم ، والموت . الرفاق والمخيم » .

وبما ان الجيش الاردني لم يتقيد بوقف اطلاق النار الذي امر به المشير حابس المجالي يوم السبت في ١٩ ايلول (سبتمبر) ، رغم الرسالتين اللتين ارسلهما الرئيس جمال عبد الناصر يوم الاحد في ٢٠ ايلول الى الملك حسين ، فقد ارسل الرئيس جمال عبد الناصر رسالة مهمة وخطيرة ، في ٢١ ايلول (سبتمبر) ، حملها الى الملك حسين الفريق محمد صادق رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة المصرية ، شدد فيها الرئيس على ضرورة وقف اطلاق النار والمحافظة عليه ، فأصدر الملك حسين في الساعة ١٧ والدقيقة ١٥ امراً عسكرياً الى القوات الاردنية في عمان بوقف اطلاق النار فوراً .

وعلى الرغم من هذا الامر فان القتال لم يتوقف اذ ظلت قوات الجيش الاردني تطلق النار على مراكز الفدائيين .. وفي الساعة ١٨ والدقيقة ٤٥ اكد السيد ياسر عرفات ان القتال لم يتوقف ..

اول رسالة من عمان

وفي هذا اليوم ، ٢١ ايلول ، سمحت السلطة الاردنية برفع منع التجول جزئياً من الساعة ٦ الى الساعة ١٨ .. بعد ان رفعته في اليوم السابق جزئياً ايضاً مدة ثلاث ساعات .

وكان يقيم في فندق الاردن في عمان نحو ١٥٠ صحافياً اجنبياً منذ يوم الخميس ، يوم ابتداء القتال .. وقد ارسلوا ، في ٢١ ايلول (سبتمبر) ، رسالة مشتركة ضمنوها انطباعاتهم عن الوضع في عمان جاء فيها :

« خف القتال في عمان اليوم ، لكن وحدات عسكرية كانت تفتح نيران المدفعية والرشاشات على الجيوب الفدائية ، فابقت المدينة في حالة رعب .. مطار عمان لا يزال مغلقاً ، لكن طائرة مصرية ، على الاقل ، استطاعت الهبوط وهي تحمل اللوازم الطبية لنحو خمسة آلاف اصابة في المدينة .

« ومن الفندق كانت اصداء صراخ الجرحى وانينهم تسمع بوضوح عبر الوادي الصغير المقابل .. وقد رفع الجيش حظر التجول في القطاع الجنوبي من المدينة لمدة ثلاث ساعات امس واستطاع الصحفيون المشي في الشوارع للمرة الأولى .

« كانت الشوارع مغطاة بالقذائف الفارغة ومعظمها من رشاشات ذات عيار ٥٠ ، اما الارصفة ، فكانت مغطاة بقذائف المدافع من عيار ١٦ ملليمتراً .

« وخلال وقف اطلاق النار خرجت امرأة فلسطينية من منزل امام جندي من البدو وتمسكت بسرواله وراحت ترجوه ، والرعب باد عليها ، الكف عن اطلاق النار على منزلها . وقالت المرأة ان في المنزل ثلاثة اطفال وقريبين عجوزين وليست لديهم اية بندقية ، وعلى مقربة من هذا المشهد الهستيري سقطت قذيفة هاون وادخلت المرأة فندق الاردن حيث تولى شخص من الصليب الاحمر العناية بها ..

« وخلال حظر رفع التجول امس خرجت النساء من منازلهن ورحن يقرعن الابواب بحثاً عن طعام . كن يحملن سلالاً للتبضع ويعبرن بالموتى والمصابين فيما جيش الملك حسين يصطاد الفدائيين من دون رحمة ..

« ومن الفندق كان يمكن بسهولة رؤية دبابة من طراز صلاح الدين تقصف مجموعة من المنازل ، طبقة بعد اخرى ، وكانت آثار قذائف المدفعية ظاهرة في كل المباني ، والحرائق تشتعل على التلال .

« ان القتال من اجل عمان ، ومن اجل عرش ، هو في مراحله النهائية ، لكنه كلف من الوقت والارواح اكثر بكثير من معركة اليومين التي كان يتوقعها قـادة الجيش . »(١)

وظلت عمان والمخيمات على هذا الحال : هجوم قوات الجيش على الفدائيين والفلسطينيين ، ودفاع هؤلاء المستميت .. على الرغم من اعلان وقف اطلاق النار في الاذاعة مراراً .. وكتب الفدائي ، صاحب المذكرات ، يوم ٢٢ ايلول ، اليوم السادس من القتال يقول :

« كانت المقاومة ضعيفة اليوم في الجبل – الحسين – ، ولكنها مستبسلة ويائسة وحتماً عالية البطولة في المخيم – الحسين – .. لقد مات الكثير من الرفاق ، وشح الرصاص ، ونقص الأكل ، وليس ثمة لحظة نوم . كانت مكبرات الصوت اليوم تطلب من المخيم الاستسلام ، ولا احد يعرف معنى هذه الكلمة ، اذ كيف يمكن لمخيم ان يستسلم ؟ كيف ؟ ولمن ؟ هل ثمة استسلام اكثر من الاستسلام لحياة مخيم ؟

(١) جريدة النهار في ٢٢ – ٩ – ١٩٧٠ .

« الموت في كل شبر في الحسين وكذلك الجوع والعطش .. اما الاقسى فهو ان يضع المرؤ عينيه في عيون الاطفال المذهولين » .

وبعث مراسل وكالة الشرق الاوسط في ٢٢ ايلول ايضاً رسالة قال فيها :

« ان الضحايا بالآلاف والجثث مبعثرة او مطمورة تحت الانقاض ، بعضها جمد الموت دماءها ، وبعضها لا يزال الدم ينزف من جراحها » ..

وفي فجر هذا اليوم ، الساعة ٣ والدقيقة ٤٢ ، بثت اذاعة صوت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بياناً رسمياً للسيد ياسر عرفات ، قال فيه :

« لقد اعلنت السلطة (...) في الاردن وقف اطلاق النار في الوقت الذي لا تزال هذه السلطة توالي قصفها لعمان ، وخاصة مخيماتنا في الوحدات والحسين وبقية الاحياء الشعبية . ويرتفع عدد شهدائنا الى نحو ثمانية آلاف شهيد وعشرات الآلاف من الجرحى. ان هدف السلطة من بيانها الثاني المضلل بوقف اطلاق النار ليس الا خدعة جديدة لتشتيت الجماهير والرأي العام العربي » .

ووجهت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، في اليوم نفسه ايضاً ، نداء الى اللجنة الدولية للصليب الاحمر وجمعيات الهلال والصليب الاحمر والمؤسسات الدولية جاء فيه :

« برغم الجهود التي تبذل لاخلاء آلاف الجرحى من الشوارع ومن تحت الانقاض في الاردن ، فان السلطات الاردنية دمرت اكثر من ثلثي مدينة عمان ومدينة الزرقاء ومخيمات اللاجئين في الحسين والوحدات والهاشمي والبقعة وغيرهما من القرى والمدن مما ادى الى وفاة آلاف الجرحى الذين يتركون من دون اسعاف . » ووصف النداء الموت والجوع والعطش . وقالت الجمعية « اننا نهيب بجميع المؤسسات الدولية التدخل فوراً لايقاف حرب الابادة في الاردن ، وانقاذ المصابين .. » .

نقف هنا قليلاً عن تتبع حوادث معركة عمان ، لنعرض جهود مؤتمر القمة في القاهرة لوقف اطلاق النار عن طريق وفد ارسله الى عمان .

٢ – وفد مؤتمر القاهرة

المرة الاولى :

وبينما كان القتال على اشده في الاردن ، والمجزرة في افظع ادوارها ، اشتد النشاط السياسي في القاهرة ، وقرر الرؤساء والمجتمعون فيها ، يوم الثلاثاء في ٢٢

ايلول (سبتمبر) ارسال وفد الى عمان مؤلف من ممثلين عن اربع دول ، برئاسة الرئيس السوداني الفريق جعفر النميري ، وعضوية السيد الباهي الادغم رئيس وزراء تونس ، والشيخ سعد الله السالم الصباح وزير الدفاع الكويتي ، والفريق محمد صادق رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة المصرية . وكانت مهمة الوفد الرئيسية الوصول الى وقف اطلاق النار فوراً .

غادر الوفد مطار القاهرة مساء يوم الثلاثاء ، الى عمان .. وفي الليل ابتدأ اجتماعه مع الملك حسين في قصر الحمر .. ولم يتمكن الوفد من الاجتماع بالسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات المنظمات الفدائية .. غير ان السلطة احضرت الى قصر الحمر الاسرى الاربعة السادة : صلاح خلف ، وفاروق القدومي ، وبهجت ابو غربية ، وابراهيم بكر ، ليلة الثلاثاء في ٢٢ ايلول ، ووقعوا رسالة موجهة الى الملك يطلبون منه فيها الوصول الى تسوية سلمية بين السلطة الاردنية والمنظمات الفدائية على اسس اربعة هي :

— انسحاب الفدائيين الى خط المواجهة والجيش الى مراكزه المعتادة .
— منع وجود قواعد فدائية في عمان والمدن والقرى الاخرى .
— التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني .
— تطبيق انظمة الدولة وقوانينها وسيادتها التامة على الجميع .

ومن الجدير ملاحظته ان هذه الاسس هي التي كانت تتقدم بها السلطة الاردنية لتكون اساساً للتسوية بين السلطة والمنظمات الفدائية ، وكانت هذه المنظمات لا توافق عليها ، لان في تنفيذها ، كما تعتقد ، تقييد حرية العمل الفدائي ، وتمكين السلطة من القضاء عليه ..

وفي الساعة الثامنة من صباح يوم الاربعاء ٢٣ ايلول (سبتمبر) وجه الملك حسين من اذاعة عمان رسالة الى المنظمات الفدائية عرض فيها الاسس الاربعة المذكورة ، وقال انها قدمت اليه من عدد من قادة فتح والعمل الفدائي الفلسطيني للوصول بموجبها الى حل سلمي ، وانه يرى انها تصلح لان تكون اساساً للتعاون بين الحكومة الاردنية والمقاومة الفلسطينية . وبثت الاذاعة ، بعد كلمة الملك ، تسجيلاً لرسالة بصوت السيد صلاح خلف ، تضمن اجراء تسوية سلمية على الاسس الاربعة التي ذكرها الملك في كلمته المشار اليها .

وفي الساعة ١٧ ، من اليوم نفسه ، بثت اذاعة عمان كلمتين القاهما الملك حسين والرئيس جعفر النميري ، واعلنا فيهما التوصل الى اتفاق لوقف اطلاق النار فوراً .

وذكر الملك ان الاتفاق تم في الاجتماع الذي عقد مع وفد الرؤساء العرب المجتمعين في القاهرة برئاسة الرئيس جعفر النميري ، وبحضور قادة العمل الفدائي الفلسطيني — الاسرى الاربعة — على الاسس التي ذكرها في رسالته الصباحية .

وقال الرئيس جعفر النميري في كلمته :

« لقد اطلع وفدنا على الرسالة التي وجهها جلالة الاخ الملك حسين صباح هذا اليوم ، وما اشتملت عليه من قرارات ارتكزت على المقترحات التي قدمها الاخ صلاح خلف (ابو اياد) لجلالته في رسالته عند منتصف ليلة امس . واننا لنبارك هذه القرارات ونؤيدها باسم القادة العرب والشعوب العربية وندعو بأخوّة واخلاص لاعتمادها والتمسك بها واتخاذها اساساً لاي تنظيم تفصيلي مقبل . وقد اتفقنا جميعاً على وجوب وقف اطلاق النار وانهاء القتال الدائر على الفور والى الابد .. » .

وفي الساعة ٢٠ والدقيقة ٥٠ من يوم الاربعاء ٢٣ ايلول وصل وفد الرؤساء الى القاهرة عائداً من عمان وبرفقته الزعماء الاربعة بعد ان افرجت عنهم السلطة الاردنية .

على اثر اعلان الاتفاق ، آنف الذكر ، بثت اذاعة دمشق بياناً للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية فندت فيه الاتفاق ، وابانت انه لا يربط اللجنة المركزية والمنظمات الفدائية الاعضاء فيها ، لانها لا علم لها به ، وانها حاولت الاتصال بوفد مؤتمر القاهرة فلم تنجح .. ووجهت رسالة الى الرئيس النميري اوضحت فيها ان المعلومات التي قدمت اليه في عمان هي من طرف واحد ، وانها تدعوه الى الاجتماع بممثلين عن حركة المقاومة ليشرحوا له حقيقة ما يجري في الاردن .

وارسل السيد ياسر عرفات برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر هذا نصها :

« فوجئنا الآن باتفاق لا علم للثورة به يعلن باسم اخوة هم في الواقع اسرى لا يمثلون الثورة حالياً ولا يمارسون مسؤولية ولا يعرفون مواقعنا ولا مواقع الطرف الآخر . يعلنون للمرة الرابعة وقف اطلاق النار ولا يلتزمون به . المؤامرة خطيرة جداً . يرجى تدخلكم . يجب ان يتم الاجتماع بيننا وبين وفد مؤتمر القمة . المذبحة ما زالت مستمرة حتى الآن في عمان ، وفي اربد بدأت تتخذ شكلاً خطيراً » .

وعقد السيد يوسف النجار (ابو يوسف) مؤتمراً صحفياً في بيروت ، بعد ظهر الاربعاء في ٢٣ ايلول ، تلا فيه بياناً رسمياً جاء فيه :

« .. وضع الاخوة ابو اياد، ابو اللطف ، ابراهيم بكر ، بهجت ابو غربية ، سمير الخطيب ، وعبد الرحمن العرموطي في ظروف انعزالية جعلتهم لا يرون من الصورة الا ما عرضه لهم الطرف الآخر ، وتحت تأثير هذه الظروف اجبروا على تقديم هذا الاقتراح..

« ان بن بيلا ورفاقه عندما كانوا في الاسر لم يكونوا يمثلون الشعب الجزائري في المفاوضات برغم مواقفهم القيادية .. ان الطرف الوحيد المخول التعبير عن رأي الثورة هم قادتها في اللجنة المركزية الذين يملكون الحرية الكاملة لارادة التعبير عن مشاعر جماهير شعبنا المناضل وآرائهم .

« لذلك فان الثورة تعتبر ان ما صدر عن الاخ ابو اياد واخوانه انما هي اقتراحات ليست ملزمة لقيادة الثورة الفلسطينية »[١] .

ومما قاله ابو يوسف رداً على الاسئلة التي اعقبت تلاوة بيانه :

« ان المعركة الدائرة الآن في الاردن ، ليست الا نتيجة لتصميم (...) ، على تصفية ثورتنا وتصفية شعبنا خدمة لاسرائيل التي عجزت عن القيام بهذه المهمة ، وتنفيذاً للحل السلمي ومشروع روجرز الذي يشترط وجود حدود آمنة من ضربات ثوارنا .. » [١]

الوفد مجدداً

على اثر عودة الوفد من عمان عرض على الرؤساء نتيجة الاجراءات التي اتخذت في عمان .. وكان الملك فيصل قد وصل الى القاهرة في ذلك اليوم ، ٢٣ ايلول ، وحضر اجتماعات المؤتمر واشترك في مداولاته . على ان البرقيات التي وصلت الى الرئيس جمال عبد الناصر من السيد ياسر عرفات ، والتي اكدت فيها ان السلطة الاردنية لم تتقيد بقرار وقف اطلاق النار ، وان مجزرة الجيش الاردني للفدائيين والفلسطينيين قائمة على اشدها ، وان الوضع خطر جداً ، جعلت المجتمعين في المؤتمر يرون ان يعود الوفد من جديد الى عمان . ولخص المتحدث الرسمي المصري نتائج اجتماعات الزعماء العرب في مساء ٢٣ ايلول (سبتمبر) بالبيان التالي :

(١) جريدة النهار في ٢٤ – ٩ – ١٩٧٠ .

« ان الملوك والرؤساء العرب في اجتماعاتهم امس – ٢٣ ايلول – تدارسوا الموقف في ضوء الاخبار المتناقضة الواردة حول نقض اتفاق وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه يوم ٢٢ ايلول (سبتمبر) ، واتفقوا على ان يسافر الرئيس جعفر النميري الى عمان مرة اخرى على رأس وفد يضم السيد الباهي الادغم رئيس وزارة تونس، والسيد حسين الشافعي عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ، والشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الدفاع الكويتي ، والسيد رشاد فرعون مستشار الملك فيصل ، والسيد فاروق ابو عيسى وزير خارجية السودان ، والفريق محمد احمد صادق رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة المصرية ، وذلك لتقصي الحقائق والعمل بكل الوسائل من اجل وقف اطلاق النار ، وسوف يعود الملوك والرؤساء الى الاجتماع مرة اخرى صباح ٢٥ سبتمبر (ايلول) للنظر في النتائج التي يتوصل اليها الوفد »[١] .

وبينما كان الوفد في مطار القاهرة استعداداً للسفر الى عمان في ٢٤ ايلول (سبتمبر)، ومعه السيد ابراهيم بكر ، وصلت برقية من القيادة الفلسطينية في عمان تطلب عودة الرئيس النميري على وجه السرعة ، على ان ينزل في عمان وليس في قصر الحمر المقر الصيفي للملك حسين ، وعلى الا يسافر معه احد من القادة الفلسطينيين الاربعة الذين كانوا في الاسر . واكدت البرقية ان القوات الاردنية لم توقف قصف المخيمات الفلسطينية ، وان القصف يزداد شراسة ويزداد معه عدد الضحايا . جاء في البرقية ان الوضع يحتاج الى وقفة اكثر صلابة ، وان يحدد النميري ، عند وصوله ، مكاناً لاجتماع مندوب عن الثورة به ، وان يتم ذلك بواسطة الاذاعة او السفارة المصرية .

سلمت البرقية الى الرئيس النميري فطلب من السيد ابراهيم بكر البقاء في القاهرة .. وصل الوفد الى عمان .. واجتمع بالملك حسين .. كما اجتمع بالسيد ياسر عرفات .. وتمكن الرئيس النميري من الوصول الى اتفاق لوقف اطلاق النار ، أقره الملك حسين والسيد ياسر عرفات .. وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠ من يوم الجمعة في ٢٥ ايلول (سبتمبر) بثت اذاعة عمان ، ان وفد تجمع القاهرة قابل الملك حسين وعرفات ، وانه نتيجة « للجهود المباركة التي بذلها الوفد برئاسة اللواء جعفر النميري ، تم بحمد الله الاتفاق الشامل على وقف اطلاق النار » .

لم يتمكن وفد مؤتمر القاهرة من الوصول الى هذه النتيجة – التي لم تنفذ – الا

(١) جريدة الاهرام في ٢٤ – ٩ – ١٩٧٠ .

بعد اجراءات دراماتيكية واخطار واجهها رئيس الوفد واعضاؤه ، ذكرها الرئيس النميري في تقريره الذي قدمه الى الملوك والرؤساء ، المجتمعين في القاهرة ، الذين قرروا ان يقوم الرئيس النميري بعرضه على الرأي العام في مؤتمر صحافي . وما عرضه الرئيس النميري في مؤتمرة الصحافي الخطير ، يوم السبت في ٢٦ ايلول (سبتمبر) ، وهو وثيقة مهمة في تاريخ القضية الفلسطينية وموقف السلطات الاردنية منها ، ينبغي قراءة ما جاء فيها بدقة وامعان وتفهم عميق .. وانني استند في عرض ما قام به الوفد في عمان يومي ٢٤ و ٢٥ ايلول (سبتمبر) الى ما ذكره الرئيس النميري في مؤتمره الصحافي آنف الذكر :

« .. وصلت اللجنة الى عمان في الساعة السابعة مساء نفس اليوم — ٢٤ ايلول — واجتمعت فور وصولها بجلالة الملك حسين .. واوضحت اليه ان الاردن لم يلتزم بما اتفقنا معه عليه بشأن وقف اطلاق النار ، وهذا قد حتم علينا العودة العاجلة الى عمان للتعرف على وجهة نظره ، كما المحت اليه ان من مهامي وزملائي الاتصال بالسيد ابو عمار ، وهو ما لم نتمكن منه في زيارتنا الاولى .. »

تحدث اعضاء الوفد ايضاً مع الملك ، وكانوا جميعاً ، كما قال الرئيس النميري ، متفقين على : ضرورة ايقاف القتال — ان سلطة الدولة الاردنية على اراضيها امر لا مجال للشك او المناقشة فيه — ان القضية ليست قضية دستورية تهم الاردن وحده ، ولكنها مسؤولية تاريخية وانسانية تتعلق بمصير امة العرب بأسرها — ان الاتفاق الذي توصل اليه قد تم باغراء او ممارسة ضغط على اشخاص اسرى — ان الاجتماع بالسيد ياسر عرفات ضرورة ملحة تحتمها ظروف المأساة وتجعل من الاتفاق معه اتفاقاً مع الفدائي الحقيقي — على الملك حسين ان يذيع بياناً يؤكد فيه التزام القوات الاردنية المسلحة التزاماً تاماً بوقف اطلاق النار حالاً .

وقال الرئيس النميري ان وجهة نظر الملك حسين كانت تتلخص فيما يلي :

— ان هناك عناصر تبغي تدمير هذا البلد وهي ليست فدائية ، ولكنها مدسوسة على العمل الفدائي ، وان سوريا والعراق تشنان في اذاعاتهما حملات تحريض متواصلة عليه .

— ان المناطق الشمالية محتلة وخاصة مدينة اربد ..

— فيما يختص بالاتصال بالسيد ياسر عرفات قال الملك : « ان هذا ليس من شأنه ولكنه يترك للجنة ان تبذل ما تريده من مساعٍ في هذا السبيل ، وانه لا مانع عنده من ان

يسمح بتوجيه الرسالة عن طريق الاذاعة ، وذكر بأنه يحمل السيد ياسر عرفات المسؤولية الكاملة في كل ما حدث . وقال حول ما تردد من ان هناك مخاطر تستهدف حياة السيد ياسر عرفات ان هذه المخاطر واردة . وختم حديثه في هذا الخصوص بقوله الى اللجنة : حاولوا بذل ما تستطيعون من جهود ، ولكني سائر في اتخاذ ما قررته من اجراءات . وكرر هذه العبارة ثلاث مرات. »[1] .

وبعد ان سمع الوفد وجهة نظر الملك حسين ، غادر قصر الحمر ، واتخذ من سفارة الجمهورية العربية المتحدة مكاناً لاجتماعاته ، مستعيناً بأجهزة اللاسلكي والراديو . وارسل الرئيس النميري رسالة الى السيد ياسر عرفات بواسطة الاذاعة الاردنية هذا نصها :

« الاخ المناضل ياسر عرفات . باسمي شخصياً ونيابة عن الوفد الذي وصل عمان هذه الليلة ارجو منكم ان تقترحوا كيف يمكننا الاتصال بكم ومكان وموعد الاجتماع وبأي وسيلة متاحة . وبما ان الامر هام وعاجل ارجو تحقيق ذلك حالاً ، اكرر حالاً وشكراً » .

وجاء رد السيد ياسر عرفات نحو الساعة ٢٣ والدقيقة ٣٠ ، محدداً وقت الاجتماع الساعة الواحدة من صباح ٢٥ ايلول ، ومكانه في جبل اللويبدة . ونص الرد هو :

« سيادة الاخ الرئيس جعفر النميري . سمعت نداءكم الموجه الينا من اذاعة عمان من اجل لقاء عاجل وفوري يجمعنا . وتلبية لندائكم ارى ان يكون الاجتماع الليلة وفي حدود الواحدة . ونقترح ان تصلوا بسيارتكم عبر الطريق الموصل من فندق كارافان الى مدرسة عالية الى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في جبل اللويبدة . سيصلكم مندوب عنا يرافقكم الى مكان الاجتماع . لقد اعلنا على جنود الثورة الفلسطينية وقف اطلاق النار وشددنا عليهم ، وارجوا ان تشددوا على الطرف الآخر ان يلتزم بوقف اطلاق النار في جبل اللويبدة والى اللقاء . اخوكم ياسر عرفات » .

بعد ذلك اتصل الرئيس النميري بالملك حسين وطلب اليه ان يؤمن للوفد سيارات تنقله الى مكان الاجتماع ، وطلب ايضاً تأمين عدم اطلاق النار في منطقة الاجتماع .. وقال الرئيس النميري :

---

(١) جريدة الاهرام في ٢٧ – ٩ – ١٩٧٠ .

« تأخر الملك ولم يف بوعده بارسال العربات ولا المسؤول الكبير في قواته المسلحة الذي طلبت منه ان يكون في رفقتنا حتى الثانية والربع ، مما دفعني لتأجيل الموعد مع ابوعمار الى ما بين الثانية والثانية والنصف بدلاً من الواحدة ، بل فكرنا في الغاء الموعد حرصاً على حياته بعدما بلغنا ان نفس منطقة الاجتماع ستكون عرضة للقصف في الخامسة صباحاً ، ولكن وصلت العربات اخيراً وقررنا الذهاب » .

وصل الوفد الى مكان الاجتماع في الساعة الثالثة صباحاً. وبحث مع ابو عمار الأمور التالية :

رأيه في وقف اطلاق النار ، وفي بنود الاتفاقية المتعلقة بذلك ، وفيما اذا كانت له رغبة في البقاء في الاردن ام الذهاب مع الوفد الى القاهرة . وانه اذا تمت الموافقة على وقف اطلاق النار فان الوفد يسعى لسحب الجيش والفدائيين من المدينة ، وانه ستعين لجنة لمراقبة توزيع المؤن الغذائية والأدوية .

وقال الرئيس النميري انه عندما تكلم السيد ياسر عرفات «كان متأثراً تأثراً بالغاً بالنكبة والمأساة » . وكشف ما ذكره السيد عرفات عن حقيقة المؤامرة موجزاً بما يلي :

— ان غزو الجيش فظيع ووحشي ، والموقعة تشبه موقعة كربلاء ، وهناك تصفية وابادة تامة للشعب الفلسطيني ، اذ ان هناك خمسة وعشرين الفاً بين قتيل وجريح .

— أخلت السلطات عمان من الاردنيين قبل الضرب .. « بينما كنت انت مجتمعاً مع الملك حسين في مقر الحمر ، نسف الجيش في تلك اللحظة ، بيتي حيث كنت اختبىء » .

— بعد توقيع الاتفاقية مع الحكومة الاردنية بواسطة اللجنة الخماسية، بساعة واحدة، عزل الملك حكومة الرفاعي وعين الحكومة العسكرية .

— كان اول ما طلبته منا حكومة الملك العسكرية ان نسلم السلاح . في عام ١٩٤٨ سلمنا السلاح . خدعونا .. هذه المرة لن نسلم السلاح .. افراد من الجيش اعتدوا على النساء وهتكوا الاعراض وسرقوا البيوت ..

— كل ما طلبته هو وقف القتال ٤٨ ساعة فقط لدفن الجثث ، ولكني اراهن على انكم لن تستطيعوا تحقيق هذا لأن المسألة مدبرة ومخططة . وعلى كل حال اوافق على وقف اطلاق النار وسآمر بهذا واضمن لكم تنفيذه الفوري التام شرط ان يفعل هو بالمثل .. اوافق على خروج الجيش والفدائيين من عمان ، ولكن لا اقبل خروج الميليشيا لان له ميليشيا هو ايضاً .

— لا بد من ضمانات لتنفيذ قرار وقف اطلاق النار ، ونقترح اداة لتنفيذه من جيوش الدول العربية .. وفي ظل هذه القوة العربية يتم انسحاب الجيش الاردني والفدائيين من عمان ، ثم نعيد الوحدة للشعب بقيام حكومة وطنية .

— ضحايا الجيش ليسوا اقل من خمسة آلاف مقاتل ، والخسائر في المعدات بلغت ٩٣ دبابة ، بالاضافة الى العربات والآليات الاخرى ، والجيش معبأ ومشحون بالكراهية للفدائيين والفلسطينيين .

— الفدائيون يسيطرون على اللواء الشمالي بأكمله ، وهم قادرون على حرب العصابات ..

وفي هذا الاجتماع سلم السيد ياسر عرفات الى الرئيس النميري امراً بخطه وتوقيعه موجهاً الى القوات الفدائية بوقف اطلاق النار حالاً . غير انه اعتذر من مرافقة الوفد الى القاهرة قائلاً : ان مكانه بين المناضلين .. وقال الرئيس النميري : بما انه لم يكن في امكان السيد ياسر عرفات العودة في تلك الليلة الى مكانه فقد رافق الوفد الى مقره في سفارة الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك الساعة الرابعة والدقيقة ٣٠ .

وفي الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ من صباح يوم الاربعاء في ٢٥ ايلول ، اتصل الرئيس النميري بالملك حسين تلفونياً واعلمه انهم اكملوا مهمة الاتصال مع « ابو عمار » وانهم في طريقهم الى الاجتماع به .

وصلوا مقر الحمر في ساعة ٩ والدقيقة ١٥ ، وظلوا ينتظرون ٢٥ دقيقة مقابلة الملك لهم .. قال الرئيس النميري :

« وصلنا مقر الحمر في الساعة ٩ والدقيقة ١٥ ، وطلع علينا الملك حسين في الساعة ٩ والدقيقة ٤٠ ، فحدثته عن التدمير الفظيع الذي شهدته وشهده معي زملائي بأعينهم والذي احدثته الدبابات والمدفعية ، ودعوته الى اذاعة بيان بصوته ، على ان اقرأ انا بيان الأخ ابو عمار ، وقلت له ان ما قام به الوفد وخصوصاً كبار السن في فجر اليوم من مجهود ومشي على الارجل في سبيل حقن الدماء يجب تقديره تقديراً كبيراً ويحتم ضرورة التصرف بحكمة » ..

ولكي يضمن الوفد تنفيذ وقف اطلاق النار ، اقترح الرئيس النميري انشاء لجنة مراقبة عسكرية من القوات المسلحة لبعض الدول العربية ، فوافق الملك على ذلك .. وتم تشكيل لجنة الرقابة العسكرية العربية ..

وبعد ذلك قرأ الرئيس النميري ، من اذاعة عمان ، نص النداء بوقف اطلاق النار الذي سلمه اياه السيد ياسر عرفات .. ثم تكلم الملك حسين من الاذاعة ، واعاد تأكيد وقف اطلاق النار .

واختتم الرئيس النميري بياني الملك وعرفات بقوله في الاذاعة :

« ايها الاخوة المواطنون بالاردن الشقيق ،

«لقد سمعتم للبيانين الموجهين اليكم من الاخ جلالة الملك حسين والاخ ياسر عرفات بوقف اطلاق النار فوراً حقناً للدماء. وصوناً لوطننا من اخطار المؤامرات الاستعمارية ، وحماية للثورة الفلسطينية الباسلة ، اناشدكم جميعاً ، باسم اخواني الملوك والرؤساء العرب المجتمعين حالياً بالقاهرة ، وباسم جماهير امتنا العربية المناضلة ، التي تتجه اليكم بقلبها ووجدانها ، ان تتقيدوا بالوقف الفوري لاطلاق النـــار ، تمهيداً لتنفيذ الاتفاق الذي ارتضيناه جميعاً .. وفقنا الله لما فيه خير امتنا .. والله المستعان » ..

وقبل عودة الرئيس النميري واعضاء الوفد من عمان الى القاهرة مساء ٢٥ ايلول (سبتمبر) ارسل رسالة لاسلكية الى الملوك والرؤساء المجتمعين في القاهرة قال فيها : ان الجيش الاردني خرق اتفاق وقف اطلاق النار ، الذي اتفقنا عليه اليوم واستـــأنف القتال ! ..[1]

ولنقف الآن عن التحدث عن الجهود الاخرى لمؤتمر القاهرة ، لنعود اليها في القسم التالي من هذا الفصل ، ولنتابع حوادث معركة عمان والمخيمات من حيث توقفنا .

٣ ـ عود الى حوادث معركة عمان

جاء يوم الاربعاء ٢٣ ايلول (سبتمبر) ، والوضع في عمان شبيه بوضعها في الايام السابقة من ايام المجزرة ..

الصحافيون يؤكدون ويصفون

في هذا اليوم خرج اول صحافي اجنبي من عمان وهو مراسل « اليونايتدبرس » ومعه رسالة وضعها في العاصمة الاردنية قبل خروجه منها جاء فيها :

(١) جريدة الاهرام في ٢٦ ـ ٩ ـ ١٩٧٠ .

« منذ اسبوع وهذه المدينة التي تضم ٦٠٠ الف نسمة ، ساحة قتال ، خندقي هو فندق الاردن . ارفع رأسي فلا اجد زجاجاً غير مكسور او جداراً غير مثقوب بالرصاص ، وشوارع عمان معبدة بالركام والرصاصات الفارغة والموتى ..

« بعض العمانيين يحدثني عن جنود حطموا المنازل وكسروا اصابع جميع الرجال والاولاد في المنازل التي عثروا فيها على قذائف فارغة ، وهو دليلهم عـــلى نشاط الفدائيين ! .

« انا بنفسي استطيع رؤية بعض القتلى . لا احد يبدو قادراً على تحديد عددهـــم بالضبط . والحرب في عمان لم تنته بعد .

« في الشوارع اشاهد سيارات دمرتها دبابات الجيش وجعلتها علباً من التنك . اسمع صراخ الجرحى المستلقين يائسين . ارى قوات من البدو تطوق الفتيان الفلسطينيين.

« نحن الآن في انفراج حظر التجول .. يقف الناس خارج منازلهم يتأملونها ، ثم يتطلعون الى منازل جيرانهم . احياناً ، هناك القليل مما يستطيعون رؤيته سوى الانقاض . منازل برمتها اختفت ، اخرى انهارت ..

« اسمع صدى اصوات المدافع عبر التلال ، هذا هو صوت المدينة ، الاخطـــار الاخرى لا صوت لها : الجوع ، العطش ، المرض ..

« ثمة واد وراء الفندق ، ومنه كانت تتصاعد صرخات الجرحى وطلبات النجدة . يبدو ان احداً لا يجيب ..

« ارى مدافع الجيش من عيار ٧٥ ميلليمتراً أو ٥٠ ميلليمتراً تصوب على الأكواخ الواقعة في منحدرات الوادي خلف الفندق .. » .

وقال مراسل رويتر في رسالة له بعث بها من عمان في ٢٣ ايلول ايضاً :

« بعد ستة ايام وست ليال من القتال والمعارك ، باتت عمان مدينة من الدمار والموت والعذاب .. وكان ذلك برغم سلسلة اوامر وقف اطلاق النار الصادرة عن الملك حسين والادعاءات الرسمية ان الجيش بات يسيطر على المدينة ..

« وبرغم الهجوم العنيف من جنود البادية الذين يستخدمون كل أنواع الاسلحة من المدفعية الى الرشاشات ، فان الفدائيين كانوا لا يزالون يسيطرون على منطقة كبيرة من المدينة ، وعلى بعض المناطق الاخرى ..

« وتنتشر الجثث في كل مكان ، ورائحة العفن منبعثة من القتلى في الشوارع . وبين الجثث كثيرون من الجرحى الذين تسمع اصواتهم الخافتة التي تطلب المساعدة .. ومن المستحيل احصاء عدد الاصابات . ولكن تقدير القتلى بنحو ١٥ الف قتيل هو تقدير قريب من الحقيقة .

« وعند السير نحو قلب المدينة يبدو من الصعب ان يجد المرء منزلاً واحداً لم يصبه القصف الوحشي .. لكن من الواضح ان الجيش مني بخسائر فادحة ايضاً . وفي الامكان رؤية السيارات المصفحة وهي محطمة او محترقة في المدينة وحولها ..

« وهناك معاقل للفدائيين ومراكز قناصة في المستشفيات وعلى سطوح المنازل المأهولة وامام الحدائق .. ولم يتردد الجيش ، وهاجم تلك المواقع بمنتهى القوة . وكان السكان حول الفدائيين يقتلون بالآلاف .

« وأسوأ قصف مدفعي كان ضد جبل الحسين وجبل الوحدات ، حيث تقوم مخيمات اللاجئين الرئيسية ، وحيث معاقل الفدائيين .

« كان الدخان متصاعداً في الافق والوهج الشديد يضيء السماء فوق المخيمات خلال الليل . ويمكن القول ان هذه المخيمات تحملت اشد قصف وحشي خلال القتال ».

وارادت السلطة الاردنية تخفيف شدة وقع ارقام الضحايا في نفوس سكان الارض فاعلنت ، على لسان الحاكم العسكري ، ان عدد ضحايا الاشتباكات يتراوح بين ١٣٠٠ و ١٦٠٠ قتيل وجريح ، وان الارقام التي نشرت في الخارج مضخمة ومبالغ فيها . وكأن ارواح ١٦٠٠ قتيل وجريح هي شيء زهيد ! .. وقد اكدت المصادر المطلعة ، فيما بعد ، ان عدد القتلى على ايدي الجيش الاردني زاد على خمسة عشر الف قتيل ! ..

واكد مراسل الصحافة الفرنسية ان الملك حسين يوجه بنفسه العمليات العسكرية في عمان والشمال[1].

وكتب ، في هذا اليوم ايضاً ، مراسل الاسوشيتيدبرس رسالة قال فيها :

(١) جريدة النهار في ٢٤ - ٩ - ١٩٧٠ .

« زعزعت قوات الملك حسين ، التي تشق طريقها في عمان يتقدمها قصف مدمر ، مقاومة الفدائيين الفلسطينيين لكنها لم تسحقها .. ولا تزال قوات البدو الموالية للملك حسين مشتبكة مع جيوب المقاومة والقناصة ..

والمنازل التي اشتبهت القوات المسلحة بأنها مأوى للفدائيين هدمتها مدافع الدبابات والمدافع الثقيلة طبقة طبقة ، على من فيها واصبحت ركاماً .

« .. وكانت الحرائق تندلع باستمرار من مخيمات اللاجئين في ضواحي عمان وتحول سواد الليل الى نهار .. وهذه المخيمات قصفت بلا ضمير بقذائف فوسفورية ومتفجرات ثقيلة .. ان عمان تشبه ميدان معركة في الحرب العالمية الثانية ..

« ودخلت قوات الملك العاصمة كقوات اجنبية غازية تطلق النار في كل اتجاه وعلى كل شيء متحرك ، حتى رفرفة ستائر النوافذ كانت هدفاً لاطلاق زخات من الرصاص » .

اما الفدائي صاحب المذكرات فكتب في هذا اليوم ، ٢٣ ايلول قائلاً :

« اقتحم المشاة المخيم وتمترسوا خلف الركام المحيط به فيما كانت الدبابات تواصل القصف . لا ذخيرة في المخيم بالمعنى العملي ، وظل القتال من بيت الى بيت . دفعوا ثمن كل شبر تقدموه ، ودفعنا لذلك الشبر ثمناً يستحقه . لقد اعدموا عدداً كبيراً من الشبان ، عدداً لا استطيع احصاءه ، وثمة نواح يكتسح المخيم ، نواح الثكالى ، والجوع والعطش ، والرعب وانتظار المجهول ، وان يترك الانسان العاجز ليموت وحده تحت مطرقة لا قبل له باحتمالها ، ولكن هذا الشعب اعطى درسه للجبناء وللذين ينتظرون .

« طلب مني ان اسلم مكاني للرفيقة (س) ، وان احاول الوصول للوحدات الذي قيل انه في وضع اصلب ، ولكن الطريق الى الوحدات موت . وكذلك الوحدات ، مثلما هو الحسين ، ولست ادري ان كنت استطيع العبور » .

ولم يعرف بعد ذلك شيء عن صاحب المذكرات ..

استقالة رئيس الوزراء واستمرار اطلاق النار

وفي ٢٤ ايلول (سبتمبر) استقال رئيس الوزارة الاردنية الزعيم محمد داود وهو في القاهرة ، وذهب لاجئاً سياسياً الى ليبيا .. وقبل الملك حسين استقالته .. ونشرت

جريدة الموند ، بالتاريخ المذكور ، رسالة للمسيو اريك رولو قال فيها : ان الملك ابلغه على انه لن يتردد « في طلب مساعدة الدول الكبرى الصديقة اذا شعرت ان السيطرة على الوضع افلتت مني » . ونسب رولو الى الملك ان الاستخبارات الاردنية ضللته بشأن قوة الفدائيين .. وان الملك قال له ، قبل استقالة الزعيم محمد داود ببضع ساعات « لا اعتزم في المستقبل المنظور على الاقل ان استدعي السياسيين الى الحكم » .. وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) عين الملك السيد احمد طوقان رئيساً للوزارة ومعه ١٢ وزيراً بينهم ستة من العسكريين ..

وبعد اعلان وقف اطلاق النار ، في ٢٥ ايلول (سبتمبر) ، وجهت ادارة مستشفى الاشرفية في عمان نداء الى وفد مؤتمر القاهرة ، قبل مغادرته عمان ، هذا نصه :

« الى الاخوة الرئيس النميري واعضاء الوفد العربي . للمرة العشرين يخترقون ما اعلنوه عن وقف اطلاق النار . ومنذ الصباح فتحوا نيران مدفعيتهم الثقيلة ومدفعية الدبابات والرشاشات على اهلنا وشعبنا في كثير من المواقع . والآن في هذه اللحظة يتحركون بدباباتهم وآلياتهم والمشاة تجاه مستشفى الاشرفية بينما يتصدى الثوار لهم . ولسنا نستبعد على الاطلاق ان يقصف المستشفى الذي يزدحم بالمئات من الجرحى . ان دل هذا على شيء فانما يدل على نيتهم المبيتة في الاستمرار بالمجزرة ، ولتسمعوا ولتشهدوا ولتتحركوا . تحركوا فوراً لايقاف هذه المجزرة » .

ووزعت قيادة الثورة بياناً قالت فيه انه بينما كانت الدبابات الاردنية تشن هجوماً على مستشفى الاشرفية « تسلل عدد من المشاة تحت ستار كثيف من القصف المدفعي واطلقوا النار على المرضى وضربوهم بالبلطات ، مما ادى الى موت عدد من الجرحى .. واختطفوا الاطباء والممرضين والممرضات وعدداً من الجرحى ، وذلك بعد الظهر » . وطالب البيان الرئيس النميري بحماية المخطوفين ..

وعقد السيد خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية مؤتمراً صحفياً في دمشق يوم السبت في ٢٦ ايلول (سبتمبر) قال فيه :

« .. ان التاريخ لم يعرف مجزرة في دنس مثل هذه المجزرة التي يعيشها الاردن الآن . » واشار الى مهاجمة القوات الاردنية مستشفى الاشرفية وخطفها الاطباء والممرضين وقتلها الجرحى بالبلطات ، واكد « ان الذي تشهده عمان اليوم ليس من تخطيط الملك حسين وحده بل بالاشتراك مع الدول الاستعمارية ، وهو تخطيط يهدف الى

تصفية الشعب الفلسطيني تمهيداً لحل مشكلة فلسطين (...) ان ذلك يرجع الى ان هذا الشعب رفض ، منذ عشرين سنة ، المشاريع الامريكية الهادفة الى ان يبيع شعب فلسطين وطنه » .[1]

وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) اكد مراسلا وكالة الصحافة الفرنسية كرافيبه بارون وميشال غاران ، انه بعد عشرة ايام من بدء الاشتباكات لم يخرج احد منتصراً من « معركة عمان » . فالقوات الاردنية لم تستطع ابادة الفدائيين في العاصمة ، وهؤلاء لا يزالون يحتلون عدداً من المراكز فيها ، ويسيطرون على المدينة القديمة في عمان ، وهي قلب العاصمة .

من فظائع المجزرة

ذكرت وكالات الانباء والمراسلون الصحافيون ، فيما ارسلوا من رسائل ، الكثير من الفظائع التي ارتكبتها قوات الجيش الاردني في عمان ومخيمات اللاجئين ، وقد جاء ذكر بعضها ، في الصفحات السابقة من هذا الفصل ، غير انهم لم يذكروا فظائع كثيرة اخرى ارتكبتها قوات الجيش الاردني ، وذكرها من خرج من عمان ، في اثناء المجزرة وبعدها هرباً من الجحيم .. واكمالاً لعرض الوقائع ، ولتكون الصورة واضحة قدر الامكان ، اسجل بعضها فيما يلي بايجاز كما اكدها اردنيون من الضفة الشرقية :

ان من اعظم الجرائم عند الانسان ، سيما عند العربي ، الاعتداء على الاعراض .. لقد شهدت مدن الاردن هذه الجرائم بكثرة . ففي عمان دخل جنود بيوتاً كثيرة ، وكان منهم من يقتلون الرجال او يربطونهم ، ويأمرون الصبايا من النساء بخلع ثيابهن ، والرفض كان الجواب ، فينقضون عليهن ويمزقون ثيابهن عنهن ، ثم يغتصبونهن .. امام اعين من ربطوا من رجالهن ، او امام جثثهم .. وقوات الجيش في البلاد مسؤولة عن الامن وسلامة السكان ..

وشمل الاعتداء على الاعراض الفلسطينيات والشرق اردنيات على السواء .. ومن هذه المناظر المؤلمة الشنيعة التي لن ينساها انسان عرف بها ، دخول اربعة جنود بيت اردني معروف كريم ، متزوج من فتاة اردنية ابنة رجل محترم وموظف كبير في الدولة ، وله مكانة مرموقة بين السكان .. ربط الجنود الرجل وهو يقاوم وزوجته تصرخ

(١) جريدة النهار في ٢٧ – ٩ – ١٩٧٠ .

وتستغيث ولا من مجيب . ومن يجيب ؟ .. ولما انتهوا من ربط الرجل مسكوا الزوجة الاردنية ومزقوا ثيابها وانقضوا عليها واحداً بعد الآخر .. ولما انتهوا مما يريدون تركوها مطروحة على الفراش منهوكة القوى مريضة .. وخرجوا . علم الاب بما حدث ، وكان خارج الاردن ، فعاد اليه فوراً ثائراً ثورة الرجل الشريف..

ولم يقتصر الاعتداء على النساء البالغات ولكنه تعداه الى الاعتداء على البنـات الصغيرات . لقد اكد لي كثيرون ان ٢٢ بنتاً سنهن بين ٨ سنوات و ١١ سنة ، أُدخلن المستشفيات وهن في حالة خطرة نتيجة اعتداء رجال من قوات الامن عليهن . قال الذين اكدوا ذلك ان عائلات كثيرة ممن اعتدي على بناتهم فضلوا السكوت ومعالجة البنات في البيوت ، ودفن من متن منهن نتيجة الاعتداء في ساحات البيوت ..

ثم ان قوات عسكرية هدمت بيوتاً عديدة للفلسطينيين في الاحياء التي احتلتها في عمان، لا لسبب إلا لأنها ملك للفلسطينيين.. وقد نهب الجنود ما استطاعوا نهبه من اثاث البيوت الضخمة ، واتلفوا ما لم يستطيعوا حمله .. وقد شمل النهب بيوت الفلسطينيين والاردنيين .. ومن البيوت التي نهبت بيت رئيس وزراء سابق .. اما الاحياء التي كانت في حماية الفدائيين فلم يمس اهلها ضرر ما ، ولم يمس ما في البيوت وان كان سكانها عنها غائبين .. وكثيراً ما انجد الفدائيون سكان بيوت كانت في عوز شديد الى الطعام والماء والعلاج .. هذه حقائق يعترف بها الجميع ..

وهناك جنود هدموا بيوتاً على من فيها .. وآخرون دخلوا بيوتاً وقتلوا من فيها .. ومن هذا القبيل دخول اربعـة جنود بيت السيد عبد المجيد العدوان (ابو سلطان) زعيم عشيرة العدوان ، وهو من اصحاب النفوذ في البلد ، شغل مراكز عالية في الدولة ، واطلقوا عليه النار فخر صريعاً .. وكان ابنه السيد محمد العدوان في البيت ، فأخذ رشاشه بسرعة فائقة وقتل من الجنود اثنين واسر الاثنين الآخرين ..

اما الجوع والعطش والموت في الطرق فقد وصف المراسلون الاجانب كل ذلك في رسائلهم .. وكثيرون من السكان والمرضى في البيوت ماتوا لفقدان الغذاء والماء والعلاج، فاضطر اهلهم الى دفنهم في ساحات البيوت ..

وفي ٢٥ ايلول (سبتمبر) عقد اطباء وشهود عيان كانوا في عمان ، مؤتمراً صحافياً في نادي خريجي الجامعة الامريكية في بيروت ، بدعوة من رابطة الخامس من حزيران، وذكر شهود العيان كثيراً من الفظائع التي ارتكبت في عمان .. ومما قاله احد شهود العيان

القس ايليا الخوري في ذلك المؤتمر ، ما نصه :

« .. لن انس ابداً اليوم الخامس للمعركة . سكان الوحدات خرجوا في الليل نساء واطفالاً وهم يرددون : الله اكبر ، الله اكبر ، انهم يقتلوننا . كل المدينة سمعتهم . وبعد وقت قصير سمعت المدافع تدوي ، بدأت اصواتهم تتلاشى ، لقد ماتوا .. » ..

وذكر كثيرون من الكتاب ورجال السياسة والفكر ان ما حدث في الاردن لم يكن له مثيل في التاريخ . فما هي الاسباب التي تحمل على تأكيد هذا القول ؟. هذا سؤال وجيه نتركه الآن لنجيب عنه في قسم آخر من هذا الفصل .

ولنعرض الآن حوادث القتال في الشمال .

٤ ــ معركة الدبابات

بينما كانت معركـة عمان شديدة ، اهتمت السلطة الاردنية ، يوم الجمعـة في ١٨ ايلول (سبتمبر) ، اهتماماً خاصاً بوضع الرمثا ، وخططت لضرب الفدائيين فيها واسترجاعها من ايديهم ، وكذلك استرجاع اربد .. لان الرمثا مركز المواصلات المهم مع سوريا ، وان استولت عليها تمكنت من منع اتصال الفدائيين بسوريا ، ومن منع تدفـق الفدائيين الى الاردن من قواعدهم في سوريا ولبنان ، وبذلك تضعف الفدائيين في الاردن ، ويسهل عليها تنفيذ مخططها الرامي الى القضاء عليهم ، كما يؤكد المسؤولون في المنظمات الفدائية ذلك .

وكانت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد اعلنت ان اللواء الشمالي من الاردن ، الذي فيه الرمثا واربد وجرش ، أضحى « منطقة محررة » ، وانها اقامت في مدنه ادارات تابعة للثورة .. وكانت مدرعات الفدائيين التابعة لجيش التحرير الفلسطيني قد اتخذت مواقع دفاعية لها في المرتفعات المطلة على سهول اربد والرمثا والسلط .. وكان في الرمثا واربد قوات فدائية قوية ..

عززت السلطة الاردنية قواتها المتمركزة في مواقع معينة في اللواء الشمالي .. وما اصبح يوم السبت في ١٩ ايلول (سبتمبر) ، الا وقوات كبيرة من كتيبة اليرموك وكتيبة خالد وكتيبة الحسين وكتيبة الامام واللواء الاربعين ترابط على مشارف اربد ، متمركزة بمدفعيتها الثقيلة في الحوارة الى الجهة الغربية من المدينة .. وفي مراكز استراتيجية اخرى قرب الرمثا وغيرها ..

شعر الفدائيون ان قوتهم الموجودة في شمال الاردن غير كافية لمقاومة القوة الأردنية الجديدة، المزودة بالدبابات الضخمة والمدافع الثقيلة والطائرات، التي ستنقض عليهم. فأخذوا يأتون بقوات جيش التحرير الفلسطيني، التي كانت في سوريا ومصر، واعانتهم سوريا على ذلك، بأن وضعت بعض قواتها الآلية ضمن نطاق جيش التحرير الفلسطيني..

وما اصبح اليوم الرابع من ايام المجزرة في الاردن، يوم الاحد في ٢٠ ايلول (سبتمبر)، الا وكان من اشد الايام حراجة عسكرياً وسياسياً:

ففي هذا اليوم اعلن الاردن ان قواته تخوض معارك مع قوات مدرعة سورية اجتازت الحدود الشمالية، وان الملك حسين ابلغ ذلك رسمياً مرتين يومي السبت والاحد الى الملوك والرؤساء.. اما في سوريا فقد قال الدكتور نور الدين الاتاسي ان الاردن يتحدث عن «معركة وهمية»، وان بلاده ستقدم المزيد من المساعدات والعون بجميع اشكاله للثورة الفلسطينية. وهدد بتدمير المصالح الامريكية في المنطقة، وذكر ان الفدائيين «يذبحون ذبح النعاج» في الاردن..

ان معركة الدبابات في شمالي الاردن، بدأت بعد ظهر السبت، وذكر مراسل رويتر في دمشق، انها بلغت حدتها ظهر يوم الاحد عندما التحمت مدرعات الجانبين.. كما ذكر ان الجنود في الدبابات المواجهة للقوات الاردنية كانوا يرتدون ألبسة ميدان خضراء مع قبعات حمراء، وهي لباس جيش التحرير الفلسطيني، وان الدبابات نفسها كانت تحمل على لوحاتها عبارة جيش التحرير الفلسطيني، بينما تحمل المدافع حرفي «ج ف» اي الجيش الفلسطيني. اما عمان فأكدت ان السوريين هم الذين خاضوا المعركة..

وقال المراقبون في الجبهة ان القوة التي دخلت الاردن من سوريا هي قوة جيش التحرير الفلسطيني التي كان يرابط بعضها في مصر وسوريا، وقد ساندتها قوة سورية، هي قوة اللواء ٢٨، ولكن ضمن نطاق جيش التحرير الفلسطيني..

وكانت اهم الاشتباكات التي وقعت مع اللواء المدرع الاربعين الاردني الى الشمال الشرقي من الرمثا يوم الاثنين في ٢١ ايلول، وقد اسرت فيها سبع دبابات اردنية.. وتلك التي وقعت في بشري والشدلة، ومثلث الرمثا وشرق الحوار وغرب الحصن.

والقوات التي اشتبكت مع المدرع الاربعين الاردني، المؤلف من نحو خمسين دبابة من طراز سنتوريون، هي قوات جيش التحرير الفلسطيني، ومعها قوة اللواء ٢٨ المكون

من ثلاثة آلاف جندي، وابرز آلياته دبابات سوفياتية من طراز «تي يو — ٥٢». وهذا اللواء يضم جنود احتياط ومركزه قرب دمشق، وقيادته خاضعة مباشرة للقيادة القطرية لحزب البعث، ويدين بالولاء للواء صلاح جديد وللدكتور يوسف زعين. اما الطيران التابع لهذا اللواء فلم يشترك في الاشتباكات على الرغم من ضرب الطيران الاردني لآلياته ولآليات جيش التحرير الفلسطيني.. [١]

وكان الفدائيون في هذا اليوم، ٢١ ايلول (سبتمبر)، مسيطرين على الوضع في الشمال.. وقالت وكالة الصحافة الفرنسية ان الملك وضباطه الكبار، قلقون من تطور الوضع في الشمال. ونقلت وكالة «اليونايتدبرس» عن مصادر رسمية في واشنطن ان الملك حسين سأل الولايات المتحدة والدول الكبرى الاخرى مساعدته لمواجهة تدخل القوات السورية.. وبالفعل اخذت الطائرات الامريكية تنقل بكثرة مختلف انواع الاسلحة الى السلطة في الاردن. كما ان كثيرين اكدوا، ان القافلات التي اتت من اسرائيل، على انها تحمل مؤناً، كانت تحمل اسلحة.. واكدت مصادر من فتح ان بين القنابل التي القيت على مخيمات اللاجئين، كانت قنابل اسرائيلية تحمل بقايا اشارة الأسلحة الاسرائيلية !..

وبينما كانت السلطة الاردنية تتهم سوريا بالتدخل بجانب الفدائيين، اتهم المستر روجرز وزير الخارجية الامريكية سوريا بذلك ايضاً. فأصدرت وزارة الخارجية السورية بياناً نفت فيه اتهام الاردن ووزير الخارجية الامريكية وقالت:

«ان حكومة الجمهورية العربية السورية تنفي هذه الادعاءات وتعتبرها توطئة لتدخل عسكري امريكي في المنطقة».. وتابعت القول في البيان: «ان السلطات (...) في الاردن ماكانت لتجرؤ على ضرب الفدائيين وقصف مخيماتهم بالقنابل وارتكاب مجزرة بشرية بشعة، لولا اعتمادها على تشجيع الولايات المتحدة الامريكية ودعمها، مما دفعها الى القيام باستفزاز بعض المواقع السورية وقصفها ايضاً.».

واستمرت اشتباكات الدبابات وضرب المدن ومواقع جيش الفدائيين بالقنابل والطائرات..

وفي يوم الاربعاء، ٢٣ ايلول (سبتمبر)، اخذت الآليات الفلسطينية والسورية

(١) جريدة النهار في ٢١ - ٩ - ١٩٧٠.

تنسحب من شمال الاردن الى سوريا ، وهي تقاتل في طريق انسحابها ، وذلك بسبب الضغط الذي واجهته سوريا من دول عربية ودول غربية ..

وبذلك انتهت معركة الدبابات ، وظل الفدائيون يسيطرون على اربد والرمثا وجرش ، وظل القتال مستمراً بين القوات الاردنية وجيش التحرير الفلسطيني والفدائيين ، الى ان وقع اتفاق القاهرة واتفاق عمان والبروتوكول المتفرع منه ، الذي عقد بين الحكومة الاردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وشرع في تنفيذه في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ..

وفي يوم الخميس ، ٢٤ ايلول (سبتمبر)، عزف الرئيس نيكسون على البيانو ليدلل على ارتياحه الى ان المراحل الخطرة في الشرق الاوسط قد مرت .. وقال في حفلة جواباً عن اسئلة وجهت اليه عن احتمال التدخل العسكري الامريكي : « انني سعيد الآن لان في امكاني القول اخيراً ان الحالة تحسنت وانها مستقرة الآن »[1] .

وصرح الناطق الصحافي باسم وزارة الخارجية الامريكية السيد روبرت ماكلوسكي : « ان الجيش الاردني متفوق على الفدائيين في الصراع ، بعد المساندة التي جاءته في شكل ضغط ديبلوماسي من الخارج ، والمخاطر العسكرية التي ارغمت سوريا على وقف الغزو الذي بدأته يوم الاحد الماضي »[1] .

وكانت الحكومة السوفياتية قد اتصلت بالحكومة السورية ونبهتها الى المخاطر التي تنجم عن تدخل دول اخرى في الصراع في الاردن . وقال مسؤولون في واشنطن انه « يبدو ان الزعماء السوريين كانوا متخوفين من المضاعفات التي قد تترتب على اتساع نطاق القتال في الاردن بسبب تدخلهم . ويعتقد ان السوريين كانوا يخشون ان تتدخل قوات اخرى . وانهم كانوا يتوقعون تدخلاً من اسرائيل اكثر من قيام الولايات المتحدة بتحركات عسكرية »[1] .

ومن الاكيد ان الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل كانتا قد رسمتا خطة للتدخل

(١) جريدة النهار في ٢٠-٩-١٩٧٠ .

في الاردن ، اذا لم تنسحب القوات السورية من المنطقة الشمالية ، والخطة كانت ان تدخل قوات اسرائيلية الاردن وتحتل المنطقة الشمالية منه ، وتقضي على القوات السورية والفدائية فيه .. وتمنع بذلك كل اتصال بين الفدائيين في الاردن والخارج .. وفي الوقت ذاته تقوم الطائرات الامريكية بحماية الاجواء الاسرائيلية ، كما يقوم الاسطول السادس بحماية شواطىء اسرائيل ، لمنع اي محاولة لاعتداء قوات عربية على تلك الاجواء والشواطىء » ..

وذكرت وكالة « الاسوشيتدبرس » ان العميد عبد الله الغصيب قائد القوات الأردنية في الشمال قال : « ان طائرات الاسطول السادس كانت تحلق فوق الميدان الذي التحمت فيه الدبابات السورية والاردنية في معركة خلال حوادث الاردن الاخيرة » . واوضح : «كنا نستخدم طائرات هوكرهانتر للهجوم تحميها طائرات ف – ١٠٤ ، وفوق هذه الطائرات كانت تحلق طائرات الاسطول السادس . وقد حصلت الطائرات الامريكية على احسن الصور »[1] ! .

* * *

وظل الاقتتال المرير في عمان والمدن الاردنية الاخرى حتى جاء اتفاق القاهرة في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، ووضع حداً نسبياً لهذه المجزرة المروعة .. وبعد ذلك وصلت اللجنة العربية العليا برئاسة السيد الباهي الادغم الى الاردن ، وقامت بأعمال التهدئة وتوصلت الى توقيع اتفاق عمان وبروتوكوله بين الحكومة الاردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .. وانشأت لجنة الرقابة العسكرية العربية ، لتأمين استمرار وقف اطلاق النار ، والعودة بالاردن الى الحياة الطبيعية.. وكان ذلك كله نتيجة جهود الملوك والرؤساء في مؤتمر القاهرة ..

لنر الآن اذن كيف تم اجتماع القاهرة والجهود التي بذلت فيه ، والنتائج التي توصل اليها .

(١) جريدة النهار في ٢٣ – ١٠ – ١٩٧٠ .

— ٣ —

مؤتمر القــاهرة

كان مؤتمر القمة الذي عقد في القاهرة اهم مؤتمر قمة عربية بعد مؤتمر الخرطوم ، وقد جاء نتيجة اتصالات عالية ، وقد بذلت فيه جهود عظيمة متواصلة لوقف اطلاق النار في الاردن ، ووضع حد للمجزرة التي دارت فيه مدة عشرة ايام مظلمة مفجعة في تاريخه ، بل في تاريخ الامة العربية ..

١ ــ الاتصالات الاولى

عندما ابتدأ هجوم الجيش الاردني على الفدائيين الفلسطينيين في المدن والمخيمات ، كان الرئيس جمال عبد الناصر في مرسى مطروح ، يستريح ويستجم ، اذ كان مريضاً ، ولم يكن احد يعرف بذلك سوى القلائل من المقربين اليه ..

وقد دعت خطورة الموقف السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام للقوات الفدائية ، الى ارسال ثلاث رسائل الى الرئيس جمال عبد الناصر ، تلقى ردوداً عليها ، ولإرسال نداء قال فيه :

« ان اخوانكم يطلبون تدخلكم الفوري وبكل الوسائل ، لايقاف المؤامرة بتصفية الثورة الفلسطينية ولضرب شعبنا في الاردن . ان الموقف خطير ، ولقد بدأوا الهجوم على عمان في الساعة الرابعة صباح اليوم ــ الخميس ــ وبكل الاسلحة الثقيلة والمدرعات ، وهناك امر من الملك بقصفها وتدميرها » ..

وحملت انباء المجزرة الرئيس معمر القذافي على الذهاب تواً الى مرسى مطروح ، في ١٧ ايلول (سبتمبر) ، وعقد اجتماع مع الرئيس جمال عبد الناصر ، بحث فيه الوضع في الاردن ، وما ينبغي عمله لايقاف سفك الدماء العربية فيه . وفي هذا الاجتماع اتفق الزعيمان على الخطوط الرئيسية للخطوة المشتركة ، وأجريا اتصالات بالرئيس جعفر النميري للتشاور معه وتنسيق الجهود ، ليكون التحرك موحداً بين العواصم الثلاث : القاهرة وطرابلس والخرطوم . واتفق على عقد اجتماع بين الرؤساء العرب في ليبيا لمتابعة البحث ، واتخاذ الاجراءات المؤدية الى وقف الاقتتال ، وايجاد التعاون بين الفدائيين والسلطة الاردنية ، وهو التعاون الضروري تجاه العدو المتربص للقضاء على الجميع ..

وبناء على الخطوة المشتركة بين الزعماء الثلاثة ، ارسل الرئيس جمال عبد الناصر ، مساء ١٧ ايلول (سبتمبر) ، الفريق محمد صادق رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية الى عمان ، حاملاً رسالة من الرؤساء الثلاثة الى كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات .

وذكر الرؤساء الثلاثة في رسالتهم الى الملك حسين وجهة نظرهم في الوضع الخطير في الاردن ضمن ثماني نقاط جاء فيها :

ان المعارك الدائرة في الاردن بين الجيش ومنظمات المقاومة الفلسطينية تشكل موقفاً بالغ الخطورة ، بل انه من اكثر المواقف خطورة منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وان عوامل عدة في الميزان منها : الدماء الغزيرة التي تسفك ، وأمن الشعب الاردني ، ووطنه ، ومسؤوليات السلطة الرسمية في الاردن وحقوقها ، وشرعية المقاومة الفلسطينية وحقها ، وامكان ابقاء الحد الادنى من الفاعلية لمواجهة العدو على الجبهة الشرقية . وان حماية المقاومة واجب مقدس مهما كانت اخطاؤها . وان الرؤساء الثلاثة يناشدون الملك ان يوقف اندفاع الحوادث الى صراع خطير بين قوات الجيش الاردني وقوات المقاومة ، وهي في النهاية قوة واحدة ذات هدف واحد . وان استمرار الصراع على هذا النحو يحول الجبهة الشرقية من جبهة حرب مع العدو الى جبهة حرب اهلية بين العرب ، يتفرج عليها العدو ولا يهمه من يخسر ولا يكسب لانه المنتصر في الحالتين ، وان استمرار الصدام يفتح الباب امام مخاطر دولية تؤدي بالنضال العربي الى موقف هو بالتأكيد آخر ما يحقق مصالح ومطالب نضاله المستمر المتصل . وذكر الرؤساء في البند الاخير من كتابهم : « ان ما نطلبه في الدرجة الاولى الآن هو وقف الصدام ، واتاحة فرصة لمشاورات اعمق واوسع تضع اساساً صلباً لعمل المستقبل وآماله .. » .

غادر الفريق محمد صادق القاهرة الى عمان في طائرة خاصة ، ولما وصلت مطار عمان لم يسمح لها بالهبوط فيه ، فتحولت الى قاعدة المفرق وهبطت هناك . وعلى الرغم من ان الفريق محمد صادق حاول كل جهده ان يصل عمان بالسيارة باقرب ساعة ، فانه لم يتمكن من ذلك الا بعد ظهر اليوم التالي ، الجمعة في ١٨ ايلول (سبتمبر) ، حينما سمح لطائرته بان تنتقل من مطار المفرق الى مطار عمان . وعلى الاثر ذهب الى قصر

الحمر وسلم الملك الرسالة الخاصة به . ولم يتمكن الفريق صادق من مقابلة السيد ياسر عرفات ..

وفي الاجتماع بين الملك حسين والفريق محمد صادق ، شرح الملك وجهة نظره مركزاً على :

ان كيان الاردن كان معرضاً للانهيار بسبب شلل السلطة فيه ، وانه كانت هناك حالات تمرد في الجيش الاردني لاحساس الجنود والضباط بالاهانات التي تعرضوا لها ، وانه حاول مراراً ان يتصل بزعماء المقاومة لكن محاولاته فشلت .

وتحدث بعد ذلك الفريق محمد صادق الى الملك مركزاً بدوره على :

ان الامة العربية تواجه موقفاً خطراً ، وان هذا الموقف يتعدى بمخاطره ما يمكن اعتباره مسؤولية دولة واحدة . وان المقاومة الفلسطينية قامت ، ويمكنها ان تقوم في المستقبل بدور اكبر بالغ الاهمية في النضال العربي ، ويكفي انها جسدت اصرار الشعب الفلسطيني على البقاء . وانه ليس هناك منتصر او منهزم في المعركة الدائرة الآن ، لان التكاليف باهظة بل هي مخيفة . وان هناك مؤامرات دولية تتربص بالعرب ، وتربصها هذا يمس مصير الامة العربية كلها . وان الملك حسين شخصياً ما زال قادراً على القيام بدور سوف يسجله له التاريخ ، اذا هو استطاع تجنيب الامة العربية عواقب استمرار هذه الحرب الاهلية الدائرة الآن .[١]

وقد ركز الفريق محمد صادق في نهاية حديثه مع الملك ، على الضرورة القصوى والملحة للوصول ، في اسرع ما يمكن ، الى وقف المعارك بما يفسح المجال امام اتصالات ومشاورات تستطيع ان تجد مخرجاً للازمة غير الحرب الاهلية .

سمع الملك ومستشاروه ذلك ، وقال الملك انه سيأمر بوقف اطلاق النار .. وتوجه الفريق محمد صادق ، بعد ذلك ، الى دار السفارة المصرية .

وبينما كان الفريق محمد صادق مجتمعاً بالملك كان مندوب عن الفريق مجتمعاً بقيادة اللجنة المركزية لتحرير فلسطين ، وقد افادته انها على استعداد لوقف اطلاق النار حالاً حينما يأمر الملك جيشه بوقف اطلاق النار .

---

(١) المعلومات مستقاة من جريدة الاهرام في ١٨ و١٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

ومن السفارة المصرية اتصل الفريق محمد صادق بالقاهرة ، واطلع الرئيس جمال عبد الناصر على نتيجة اتصاله بالملك حسين ، واعلمه انه لم يتمكن من مقابلة السيد ياسر عرفات ..

وعلى اثر ذلك ارسل الرئيس جمال عبد الناصر ، يوم الجمعة في ١٩ ايلول (سبتمبر) برقيتين احداهما الى الملك حسين والثانية الى ياسر عرفات ، تعزيزاً لموقف الفريق صادق ، ركز فيهما على طلب وقف اطلاق النار فوراً .

وقال الرئيس في برقيته الى الملك :

« ان الفريق محمد صادق .. لم يتمكن حتى الآن ، بسبب ظروف خارجة عن ارادته ، من الاجتماع بالأخ ياسر عرفات .. برغم ان هذا اللقاء ، من وجهة نظرنا ، ضروري وحيوي لانجاح الجهد الذي نحاول القيام به لوقف الصراع الدموي بين الاخوة في الاردن .

« ونحن بامانة المسؤولية لا نستطيع ترك الموقف على هذا النحو . ولهذا فانني اتوجه اليكم مباشرة بنداء عربي صادق مخلص بان يتوقف اطلاق النار باسرع وقت ولو لمدة ٢٤ ساعة ، لكي يتيح لامتنا فرصة نحتاج اليها وطنياً وقومياً وحتى انسانياً ..

« انني اكرر النداء اليكم .. ورجائي ان يتمكن — الفريق صادق — من الاتصال بالاخ ياسر عرفات لكي يستطيع التنسيق ..

« ان مسؤوليتكم التاريخية في هذه الساعات حاسمة والله يعيننا على ان يقوم كل منا بواجبه » .

واعلم الرئيس السيد ياسر عرفات في البرقية التي ارسلها اليه انه ابرق الى الملك حسين واعلمه ان الفريق محمد صادق لم يتمكن من مقابلة السيد ياسر عرفات ، رغم ان هذا الاجتماع ضروري .. وقال الرئيس في برقيته هذه :

« ان الجمهورية العربية المتحدة تعتقد ان الشعب الفلسطيني هو العصب الحساس في النضال العربي المعاصر كله ، وان المقاومة الفلسطينية هي تجسيد حي لوجود هذا الشعب ولدوره ولآماله . ان الجمهورية العربية المتحدة تحرص حرصاً كاملاً على المقاومة الفلسطينية ، حرصها على جنود الجيش الاردني وضباطه . فالكل ابناء هذه الامة وهم رجالها . وفوق ذلك فلقد تلقينا تفاصيل محزنة عما يعانيه اهلنا المدنيون في عمان

وغيرها ، لسبب ما يجري الآن فيها . ولهذا كله فانني طلبت من الملك تعاونه في وقف اطلاق النار فوراً ، بما يعطينا جميعاً متنفساً .

« ورجائي اليكم ايها الاخ ان تساعدونا من جانبكم في تحقيق ذلك ، حتى نستطيع تجنب موقف متفجر كما هو محزن . وآمل ان يتمكن الفريق صادق ، بعد ذلك ، من الاتصال بكم والتنسيق معكم .

« ان الجمهورية العربية المتحدة سوف تقرر موقفها بطريقة حاسمة ، نتيجة لما تلقاه من استجابة لجهد تقوم به الآن منزهاً عن الهوى ، يقصد وجه الحق وحده ويستهدف امن امتنا ومقدرتها على مواصلة النضال » .

وكان لنتيجة البرقية التي ارسلها الرئيس جمال عبد الناصر الى الملك حسين ، وجهود الفريق محمد صادق التي سبقتها ان ارسل الملك حسين ، يوم السبت في ١٩ ايلول (سبتمبر) ، رسالة مطولة الى الرئيس جمال عبد الناصر جاء فيها :

« وانا لذلك ابادر على الفور الى الاستجابة اليكم ، وسآمر بوقف اطلاق النار في عمان ، بعدما سيطر الجيش على الوضع ، الا في وجه اية نار موجهة الى القوات المسلحة والمواطنين ، فيما نعمل لمعالجة متطلبات الوضع الانسانية الماسة ، آملاً ان يستجيب الطرف الآخر الى جهودكم المخلصة وسعيكم الكريم » . بعد ذلك اذاع المشير حابس المجالي امراً ، الى كل القطاعات العسكرية في القوات المسلحة الاردنية والامن العام وافراد الجيش الشعبي ، بوقف اطلاق النار اعتباراً من الساعة السادسة من مساء يوم السبت في ١٩ – ٩ – ١٩٧٠ « باستثناء معالجة مصادر النيران التي تحول دون تنفيذ واجباتكم الانسانية » . ولكن هذا الامر بقي صوتاً خافتاً وبقي صوت اطلاق النار عالياً ، لان القوات الاردنية لم تتوقف عن اطلاق النار .. وفي اليوم نفسه امر السيد ياسر عرفات القوات الفدائية بالتوقف عن اطلاق النار .. كما سبق ان ذكرت في القسم السابق من هذا الفصل .. ولم تؤد الجهود العظيمة التي بذلت لوقف اطلاق النار الى ايقافه ..

وفي ٢٠ ايلول (سبتمبر) ارسل السيد ياسر عرفات رسالة بخط يده الى الرئيس جمال عبد الناصر قال فيها :

« تلقيت رسالتكم التي وصلتني في هذه الظروف الدقيقة الحاسمة التي تتعرض فيها ثورتنا الفلسطينية لاخطر تصفية تهدد كيان وجود شعبنا اللاجيء الفلسطيني . وما يحز في النفس ان الرصاص العربي هو الذي يحاول ان يتمم ما عجزت عنه قوى الصهيونية

والاستعمار طوال خمس سنوات .. » .

« .. فأعطيت الاوامر فوراً بايقاف اطلاق النار .. ولكننا فوجئنا بان اطلاق النار لم يتوقف منهم منذ ساعة اعلان الحكومة الاردنية ذلك ، مما يوضح بما لا يدع مجالاً للشك ان نية السلطة في الاردن هي السير في خطتها النهائية ، مستهدفة تصفية الثورة الفلسطينية .. » .

« ان ما يحدث الآن لهو عمل خطير للغاية ، وما لم تقف منه امتنا العربية ، وشخصكم بالذات لما لكم من رصيد ومحبة ، فان العواقب الخطيرة تهدد ليس شعبنا فحسب بل كل امتنا العربية . ويستدعي العمل السريع التدخل الفوري بكل الوسائل لايقاف هذا النزيف الدموي الرهيب بين ابناء الشعب الواحد .. »[1]

اطلع الفريق محمد صادق الرئيس جمال عبد الناصر على حقيقة الوضع في الاردن.. وان اطلاق النار لم يتوقف ، فتأثر الرئيس جمال عبد الناصر من ذلك وارسل في ٢٠ ايلول (سبتمبر) برقيتين الى الملك حسين . قال في الاولى :

« جلالة الملك حسين بن طلال .

ان آخر التقارير التي تلقيتها من الفريق محمد صادق تظهر لي ان هناك مخاطر كبيرة كامنة في ما يجري الآن في عمان . وهذه المخاطر سوف تؤثر على امتنا ومسيرتها ونضالها وآمالها الى مدى كبير .

« ان عناصر من الجيش الاردني ما زالت تواصل اطلاق النار برغم ما تلقيته من تأكيدات جلالتكم ، وذلك في الوقت الذي اعلن ان قيادة اللجنة المركزية لتحرير فلسطين قبلت وقف اطلاق النار .

« ولست اخفي على جلالتكم انني اشعر ان الفريق محمد صادق لا يجد الفرصة لاداء مهمته في عمان على النحو الذي ارجوه ، وهو امر يسبب لنا جميعاً قلقاً بغير حدود .

« انني ارجو تدخل جلالتكم الشخصي والفوري لكي تلتزم وحدات الجيش الاردني بوقف اطلاق النار ، وارى من واجبي ان ارفع صوتي محذراً من خطورة النتائج التي يمكن ان تترتب على عدم تنفيذ ذلك .

---

(١) جريدة الاهرام في ٢٥ – ١٢ – ١٩٧٠ .

« انني اطلب بكل حق قومي ونضالي وتاريخي ان تقفوا الآن وقفة حاسمة لمصلحة سلامة وحدة امتنا وأمنها وجهادها الذي يجب ان يستمر ضد العدو ».

وقال الرئيس في البرقية الثانية :

« جلالة الأخ الملك حسين بن طلال .

لقد تلقيت من الفريق محمد صادق انه، بعد جهد طويل وبعد مخاطر عدة، تمكن من ترتيب لقاء مع الأخ ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك ضمن مهمته التي كلف القيام بها من الاخوين معمر القذافي وجعفر النميري ، والتي تستهدف وضع حد للحرب الاهلية في الاردن . ثم علمت الآن ان المكان الذي رتب فيه الاجتماع يتعرض هذه اللحظات لقصف عنيف من جانب عناصر من الجيش الاردني ، وذلك وضع اعتقد ان جلالتكم لا يمكن ان ترضوا به وتقبلوه . كما ان جميع العرب معكم ومعي في انه وضع لا يمكن احداً ان يرضى به او يقبله .

« انني اناشدكم مرة اخرى ان تساعدونا على تفويت هذه المحنة ، بما الحقته بنا جميعاً حتى الآن من آلام وكوارث .

« ان اي خطأ في التقدير او الحساب يمكن ان يجرنا الآن جميعاً الى حيث لا نريد والى حيث لا تريد امتنا ، وعلينا جميعاً ان نتدبر موقع خطانا قبل ان يسوقنا تداعي الحوادث الى مضاعفات بالغة الخطورة .

« انني اتمنى من كل قلبي ان تتخذوا من القرارات الفورية ما هو كفيل بوضع حد لما يجري الآن، ويكفي هذه الامة ما عانته من عذاب خلال الايام الاخيرة ، وادعو الله ان يوفقكم ويسدد خطاكم » .

جواباً على هاتين البرقيتين ارسل الملك حسين برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر ، اذاعتها اذاعة عمان في الساعة ١٧ والدقيقة ٣٥ من اليوم ذاته جاء فيها :

« .. ولئن كنت مع اخي آخر من يرضى باراقة نقطة دم عربية واحدة في غير ساحة النضال ضد العدو المشترك ، فانني واثق من ان اخي هو اول من يرفض ان يقدم الاردن لقمة سائغة لذلك العدو وهدية رخيصة لاطماعه في التوسع والاحتلال .

« لقد كنت جاداً ومخلصاً عندما طلبت من القوات المسلحة الاردنية اصدار الامر

بايقاف اطلاق النار امس — السبت في ١٩ ايلول — ويؤسفني ان يكون الطرف الآخر قد اعرض عن كل نداء ..

« ويسرني ان انقل الى سيادة الأخ ظهور بوادر مشجعة لتحقيق لقاء بين الاخوة ، ارجو ان يتم فيه التوصل الى ما نبغي جميعاً ونريد .

« وقد طلبت من الحكومة اشراك الأخ الفريق محمد صادق في الجهود واطلاعه على كل النتائج . اكرر شكري لأخي والله المستعان » .

مضى يوم ٢٠ ايلول ولم يتوقف اطلاق النار ..

امام هذا الوضع ، وضع استمرار القوات الاردنية في قصف المدن والمخيمات وازهاق الارواح ، بعث الرئيس جمال عبد الناصر ببرقية خطيرة الى الملك حسين، في ٢١ ايلول (سبتمبر) ، وطلب من الفريق محمد صادق ان يسلمها الى الملك ويعود فوراً الى القاهرة .

ولدى وصول البرقية اللاسلكية الى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في عمان ، بعد ظهر يوم ٢١ ايلول ، طلب الفريق محمد صادق مقابلة عاجلة مع الملك ليسلمه فيها رسالة اخيرة وخطيرة من الرئيس جمال عبد الناصر.. سلم الفريق محمد صادق البرقية الى الملك حسين بحضور السفير السيد عثمان نوري . قرأ الملك البرقية بامعان وتأثر مما جاء فيها .. فرفع سماعة التلفون وامر قائد جيشه بوقف اطلاق النار حالاً ..

عاد الفريق صادق والسفير عثمان الى السفارة، واجتمعا فيها بالسيد ياسر عرفات، الذي وصلها بعد ان خاطر بحياته في طريقه اليها، وأوقف الفريق محمد صادق على حقيقة الوضع في الاردن ، والاهداف التي ترمي اليها السلطة من شنها حرباً على الفدائيين والفلسطينيين.. وعاد الفريق محمد صادق مساء اليوم ذاته، الاثنين في ٢١ ايلول (سبتمبر) الى القاهرة .

وكان الملك حسين قد طلب من الفريق محمد صادق الا يُنشر او يذاع ما جاء في برقية الرئيس جمال عبد الناصر اليه . ولقد استجابت القاهرة الى طلب الملك حينئذ . وقال الاستاذ محمد حسنين هيكل في مقاله الاسبوعي في الاهرام ، يوم الجمعة في ٢٥ — ١٢ — ١٩٧٠ ، « ولكن الظروف المتغيرة الآن وضرورات احقاق الحق قد تتطلب

نشرها اول مرة » ، ونشرها في مقاله . ونظراً لما تضمنته من امور مهمة ، فانني اسجلها كما نشرت :

« الاخ جلالة الملك حسين بن طلال ،

ملك المملكة الاردنية الهاشمية .

لقد طلبت الى الفريق محمد صادق ان يبلغ جلالتكم بقراري اليه ان يغادر عمان بعد التطورات المؤسفة والمحزنة التي لا زالت مستمرة والتي لا نجد سبيلاً لوقفها على نحو نرضاه .

واذا كان لي ان اقول لجلالتكم شيئاً في هذه اللحظات الخطيرة من حياة امتنا، فانني اضع تحت تصرفكم ما يلي :

١ – ان استمرار العمليات العسكرية بالطريقة التي جرت وما تزال تجري في عمان ينبغي ان يتوقف ، وكان يجب ان يتوقف منذ وقت طويل ، وكان يتحتم على السلطة الاردنية ان تكون اقدر على ضبط النفس ، خصوصاً بعد ان توصلنا الى اتفاق لوقف اطلاق النار .

ان المسألة ليست مسألة السلطة ، ولكن هناك عوامل وطنية وقومية وانسانية لها حرمتها ولها احترامها ، ولست اتصور كيف يمكن ان تقوم سلطة في الاردن او تستقر على الانقاض والاشلاء وعلى دم يراق بغير حساب .

٢ – ان جلالتكم تذكرون ، منذ لقائنا في الاسكندرية في ٢١ اغسطس الماضي ، انني اوضحت لكم وجهة نظري كاملة في انه ليس من المصلحة الآن ، ولا في صالح نضالنا المستقبل ، ان تتعرض المقاومة الفلسطينية لأية عمليات تؤدي الى تصفيتها او تحمل شبهة مثل ذلك القصد ، ولقد احسست اني اوضحت رأيي امامكم وان اقتناعكم به كان بادياً .

ومن سوء الحظ ان شكل الحوادث ، منذ بدأ تشكيل حكومة عسكرية في الاردن ، خلق انطباعاً معاكساً لهذه الروح ، ثم توالت التصرفات بعد ذلك بما لم يكن هناك مبرر له .

اني ادرك انه وقعت من الجانب الآخر اخطاء ، ولكن الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع ان تقبل بأن يكون الرد على ذلك بما يظهر للكل وكأنه ضربة للمقاومة كلها .

٣ – انني لا املك الا مصارحة جلالتكم بأن الظروف الاخيرة دفعت الى مواقع المسؤولية في الاردن بعناصر لا اظن انني قادر على الاطمئنان الى حسن نواياها ، ولست اعتبر ان النصيحة التي يمكن ان يقدمها مثل هؤلاء نصيحة صائبة او خالصة ، ومع انه ليس من حقي ان أتدخل في الشئون الداخلية للأردن، فانني لا استطيع بمسؤولية الظروف غير ان اصارحكم بذلك ، وتقديري ان خطر هذه العناصر لا يتربص بالمقاومة الفلسطينية فقط ، ولكن يمكن ان يؤدي الى مخاطر على الاردن نفسه وعلى مؤسساته الوطنية .

٤ – ان الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بأهمية دور المقاومة الفلسطينية ، وتؤمن بشرعيتها ، وتعتقد بفاعليتها في النضال المستمر ضد العدو ، وفي هذا كله فان الجمهورية العربية المتحدة كانت ترى دائماً وما زالت ترى حماية المقاومة الفلسطينية من كل اعدائها ، ومن بعض الذين يتظاهرون – لمآربهم – بصداقتها ، بل ومن بعض العناصر المنتمية اليها ذاتها ، وكنا نقول وما زلنا نقول ان المقاومة الفلسطينية ظاهرة من انبل الظواهر التي اسفرت عنها نكسة ١٩٦٧ .

وكنا نريد ولا زلنا نريد ان تتصرف كل القوى العربية على هذا الاساس ، حرصاً على امل وحفاظاً على حق وتجسيداً لوجود الشعب الفلسطيني في ساحة الصراع .

٥ – ان الفريق محمد صادق سوف يقدم الى جلالتكم نداء اخيراً بوقف اطلاق النار ، لكي نستطيع جميعاً ان نعيد تقدير موقفنا . ان استمرار تداعي الحوادث على هذا النحو يعرض مئات الالوف من ابناء الشعب العربي لأهوال مروعة، ثم انه يفتح الباب امام مضاعفات قومية ودولية لا بد من ان نحذر منها .

وكرجاء نهائي ارجوكم الاستجابة الى هذا النداء بأسرع وقت ، وحفاظاً على مستقبل هذه الامة وامنها وكرامتها .

اننا لا نملك ان نتابع ما يجري الآن في الأردن ساكتين ، ولا نستطيع تقبل ترديه ساعة بعد ساعة .

واريدك بأمانة ان تعرف اننا لن نسمح بتصفية المقاومة الفلسطينية ، ولن يكون في مقدور احد ان يصفيها ، وسنجد انفسنا في حرب اهلية عربية بدلاً من حرب مع العدو ، وهذه محنة رهيبة لا اريدك ان تتحمل مسئولياتها ، واعتقد مخلصاً انه ما زال في يدك ان تتجنبها .

انني اعرف لك مواقف مشرفة ، ولقد سمعتك اكثر من مرة تتحدث عن شعبك وعن امتك، وهذه فرصة اخيرة متاحة لنا جميعاً لتكون تصرفاتنا على مستوى مسؤولياتنا التاريخية . وليكن توفيق الله معك فيما تقرر .

جمال عبد الناصر »

على الرغم من امر الملك حسين لقائد الجيش الاردني بوقف اطلاق النار حالاً ، وعلى الرغم مما احتوت عليه البرقية ، فان اطلاق النار لم يتوقف والمجزرة استمرت ..

فكرة عقد المؤتمر

بينما كان الرئيس جمال عبد الناصر منهمكاً في موضوع وقف اطلاق النار في الاردن ، كان القلق في تونس ظاهراً على وضع الفدائيين في الاردن ، وعبرت تونس عن قلقها باجراء اتصالات على مستوى عال لعقد مؤتمر قمة عربية في القاهرة ، لبحث الوضع في الاردن واتخاذ الاجراءات المناسبة لوقف القتال ومنع نشوبه من جديد .

ففي الساعة ١٥ والدقيقة ٢٠ ، وفي الساعة ١٩ — بتوقيت القاهرة — من يوم السبت في ١٩ ايلول (سبتمبر) ، اتصل السيد الباهي الادغم رئيس الوزراء التونسي ، وتحدث في المرة الاولى مع السيد انور السادات نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وفي المرة الثانية مع الرئيس جمال عبد الناصر ، ونقل رسالة من الرئيس الحبيب بورقيبة اقترح فيها عقد مؤتمر على مستوى القمة لرؤساء وملوك الدول العربية ، في اسرع وقت في القاهرة ، لبحث الموقف المتردي في الاردن ، على ان يتم ذلك بحضور الملك حسين والسيد ياسر عرفات . وافاد السيد الباهي الادغم ان الحكومة التونسية استطلعت رأي الرئيس القذافي والملك الحسن الثاني والرئيس هواري بومدين في اقتراحها وانهم جميعاً قبلوا به .

ابدى الرئيس جمال عبد الناصر موافقته على الاقتراح وقال : ان القاهرة يسعدها في كل وقت ان تستقبل الملوك والرؤساء العرب للبحث في قضايا مصيرية ، والقيام بكل جهد في سبيل تجنيب الامة العربية ويلات حرب اهلية كالتي تجري في الاردن ..

وتلقى الرئيس جمال عبد الناصر، بعد ذلك ، رسالة من الرئيس معمر القذافي يعلمه فيها باتصال السيد الباهي الادغم به وانه وافق على الاقتراح .

وبدأت القاهرة الاتصال بالرئيس النميري، والملك فيصل ، والامير صباح السالم الصباح ، والرئيس نور الدين الاتاسي ، والرئيس القاضي عبد الرحمن الارياني ، معلمة اياهم باقتراح الرئيس حبيب بورقيبة ، وداعية لحضور مؤتمر القمة .

وفي اليوم ذاته ، يوم الاتصالات لعقد مؤتمر القمة ، تلقى الرئيس القذافي برقيات من الرؤساء نور الدين الاتاسي وهواري بومدين ، واحمد حسن البكر ، تتعلق بموضوع ما كان يجري في الاردن ..

وفي يوم الاحد ٢٠ ايلول ، كان قد وافق على حضور القمة كل من رؤساء مصر والسودان وليبيا وتونس والكويت ولبنان واليمن والاردن .

وغادر ، في هذا اليوم ، السيد حسين الشافعي عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي القاهرة الى الرياض ، ومعه رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر الى الملك فيصل ، تتعلق بمؤتمر القمة المقترح وبأهمية حضور جلالته . وبعد ان قام السيد حسين الشافعي بمهمته عاد الى القاهرة في اليوم التالي .

واخذت الوفود العربية تصل القاهرة ابتداء من مساء يوم الاثنين في ٢١ ايلول (سبتمبر) . وكان اول من وصل العقيد معمر القذافي الذي هبطت طائرته مطار القاهرة في الساعة ١٨ والدقيقة ٢٥ بتوقيت القاهرة ، وتلاه، بعد عشر دقائق الدكتور نور الدين الاتاسي الذي اتى للتشاور في اجتماعات خاصة مع الرؤساء جمال عبد الناصر واللواء جعفر النميري والعقيد معمر القذافي ، ولم يشترك في المؤتمر .. ثم وصل السيد الباهي الادغم نيابة عن الرئيس الحبيب بورقيبة ، الذي لم يتمكن من الحضور شخصياً بسبب مرضه . ووصل بعد منتصف الليل الرئيس جعفر النميري . وفي اليوم التالي ، ٢٢ ايلول (سبتمبر) ، قدم القاهرة امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح ، والرئيس الاستاذ شارل الحلو، وكان هذا اليوم آخريوم له في رئاسة الجمهورية اللبنانية، وعاد الى بيروت في ٢٣ ايلول واتى مكانه في اليوم التالي الرئيس الجديد الاستاذ سليمان فرنجية ، مبتدئاً ولايته بالسفر الى القاهرة . ومؤتمر القاهرة هذا هو الفريد في التاريخ الذي يحضره في يومين متعاقبين رئيسا جمهورية واحدة ضمن رئاستهما الرسمية القانونية . اما جلالة الملك فيصل فقد وصل القاهرة في صباح يوم الاربعاء في ٢٣ ايلول ، ووصلها كذلك القاضي عبد الرحمن الارياني رئيس المجلس الجمهوري في اليمن .

واذاع راديو عمان في ٢١ ايلول ان الوفد الاردني لمؤتمر القاهرة تألف برئاسة الزعيم محمد داود رئيس الوزراء . وعلى اثر ذلك ارسلت القاهرة رسالة عاجلة الى الملك حسين

تعلمه فيها ان حضوره الاجتماعات مسألة ضرورية . على انه لم يحضر بل وصل القاهرة في ٢٢ ايلول رئيس الوزراء الاردني . واتفق المجتمعون في القاهرة على ان حضور السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية امر ضروري . وبما انه لم يتمكن من الحضور، فقد قرروا الاّ يحضر وفد الاردن جلسات المؤتمر ..

٢ ــ اجتماعات المؤتمر

عقد الرؤساء المجتمعون في القاهرة اول اجتماع رسمي لهم قبل ظهر يوم الثلاثاء في ٢٢ ايلول (سبتمبر) في فندق هلتون ، الذي اعد لاستقبال الرؤساء والملوك ، ولعقد اجتماعات المؤتمر . وكان المجتمعون من الرؤساء غير واقفين على حقيقة ما كان يجري في الاردن .. وقد عرض عليهم الرئيس جمال عبد الناصر حقيقة الوضع كما جاء في التقرير الذي رفعه له الفريق محمد صادق ، اثر عودته من عمان مساء ٢١ ايلول . وابان لهم الرئيس عبد الناصر ان ما يجري في الاردن هو حرب ابادة حقيقية للفدائيين والفلسطينيين .. وشرح لهم وقائع ذلك .. وقد ذكرت عدداً من تلك الوقائع في الصفحات المتقدمة .. وتأكد المجتمعون ان وقف اطلاق النار لم ينفذ ، على الرغم من مناشدة جميع الرؤساء للفريقين بايقافه . وتبينوا ان الخطة التي وضعت في عمان كانت ترمي الى عدم وقف اطلاق النار قبل تحقيق الهدف المرسوم ..

الوفد والمؤتمر الصحافي

قرر المجتمعون إرسال وفد عال برئاسة الرئيس جعفر النميري الى عمان ، لتحقيق وقف اطلاق النار . وكان الوفد رباعياً ، ذكرت فيما تقدم اسماء اعضائه . سافر الوفد في اليوم ذاته ، الثلاثاء في ٢٢ ايلول (سبتمبر) .. لم يدخل الوفد عمان ، ولم يطلع على حقيقة ما كان يجري فيها ، بل ذهب من المطار الى قصر الحمر ، حيث يقيم الملك حسين.. كما ان الوفد لم يتمكن من الاجتماع بالسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية والقائد العام لقوات المقاومة الفلسطينية .. بل قُدم للوفد اربعة اسرى من قادة المقاومة .. واتفق الجميع على شروط اتفاق وقف اطلاق النار واعلن من الاذاعة ، كما اوضحت ذلك في القسم السابق من هذا الفصل .. وعاد الوفد الى القاهرة في ٢٣ ايلول (سبتمبر) .

عرض الوفد على الرؤساء ما تم التوصل اليه في عمان.. واطلع المجتمعون على البرقية التي أرسلها السيد ياسر عرفات الى الرئيس جمال عبد الناصر ، التي اكد فيها ان وقف

اطلاق النار لم يتم ، وان الجيش مستمر في قصف المدن والمخيمات .. وانه يركز بشكل مخيف على اربد التي تهددها مذبحة جديـــدة .. ولذلك سارع الرئيس النميري بارسال برقية باسم الرؤساء الى الملك حسين قال له فيها :

« ان هذا ، اذا صح ، يعتبر مخالفاً لما اتفقنا عليه من وقف فوري شامل لاطلاق النار وبوجه خاص في اربد، الذي ابلغت به اخكوتكم الملوك والرؤساء العرب المجتمعين في القاهرة » .

وقد رد الملك قائلاً انه لا يوجد قتال بين الجيش والمقاومة في اربد ..

« ومع ذلك ، فان الحقيقة قد رددتها جميع وكالات الانباء التي شهد مراسلوها في مناطق الحدود القتال العنيف في منطقة اربد ، وتلقى الرؤساء ما يؤكد استمرار القتال في عمان واربد وغيرها ..

وقرر الرؤساء ، ازاء ذلك ، ان يُحسم الموقف بصفة قاطعة، وان يعود الوفد الى عمان للمرة الثانية وعلى وجه السرعة ، بعد ان زادوا عدد اعضائه بحيث يمثـــل جميع الرؤساء والملوك الحاضرين، وان يجتمع بالسيد ياسر عرفات ويحقق وقف اطلاق النار..

وبينما كان الرؤساء منهمكين في اجتماعات يتدارسون فيها الوضع في الاردن وما ينبغي عمله تجاهه ، ويقررون عودة الوفد الى عمان ، فوجيء الرأي العام باستقالة رئيس الحكومة الاردنية الزعيم محمد داود من منصبه ، وزاد في المفاجأة انها كانت في ظروف مثيرة :

غادر الزعيم محمد داود ، في سيارته الرسمية ، يوم الخميس ٢٤ ايلول ، فندق هلتون حيث يقيم ، وذهب الى السفارة الاردنية واجتمع بالسفير الاردني وسلمه رسالة الى الملك حسين ، تتضمن استقالته من رئاسة الوزارة الاردنية . ثم خرج من دار السفارة، وقال لمرافقه الخاص انه لا يريد السيارة اذ سيعود الى الفندق سائراً على قدميه . وطلب منه ان يدخل جناحه الخاص في الفندق ، ويأخذ مغلفاً موضوعاً على منضدة في مواجهة الداخـــل الى الصالون ، وان يسلم الرسالة الى المسؤول عن المركز الصحافي ، الذي اقيم للخدمات الصحافية ، في مقر اجتماع الملوك والرؤساء في الفندق .

ولقد كانت مفاجأة المركز الصحافي بالغة ، عندما وجد الرسالة هي خطاب من رئيس الوزراء الاردني يطلب فيه اذاعة نبأ استقالته ، وانه قام بذلك لعدة اسباب بينها

« ان الحكومة العسكرية التي شكلت برئاستي في الاردن حُملت بما لا ذنب لها فيه ، ولم يكن بيدها من امر توجيه الامور شيئاً » . وانه يريد ان يفسح المجال لتشكيل حكومة وطنية مدنية تستطيع ان تعيد السلام الى الاردن ، وان توجد ظروفاً يمكن معها احترام وقف اطلاق النار ..[1] .

وصل وفد الرؤساء الى عمان .. وقام باعمال مهمة عرضته للخطر .. ذكرت تفاصيلها فيما تقدم .. واذاعت اذاعة عمان قرارات وقف اطلاق النار ، على ان اطلاق النار لم يقف ، وعاد الوفد مساء ٢٥ ايلول (سبتمبر) الى القاهرة ، ومعه السيد ياسر عرفات .. وكان الوفد متألماً مما جرى في عمان .. وعرض على الرؤساء تقريراً واضحاً عما قام به في عمان وما رآه . كما استمع الرؤساء الى تقرير سريع قدمه السيد ياسر عرفات بين فيه تفاصيل دقيقة للحرب الموجهة ضد المقاومة الفلسطينية ، التي قدر ضحاياها ، حتى اليوم الثامن بنحو ٢٥ الف قتيل وجريح .. تأثر المجتمعون مما سمعوا .. وقرروا ان يعقد الرئيس جعفر النميري مؤتمراً صحافياً يعرض فيه على الرأي العام العربي والدولي ما جاء في تقريره ، وذلك بمثابة ادانة للسلطات الاردنية ..

وعلى اثر هذا القرار الذي اتخذ فجر يوم ٢٦ ايلول (سبتمبر) ارسل الرئيس جمال عبد الناصر برقية الى الملك حسين هذا نصها :

« جلالة الملك حسين بن طلال

« باسم رؤساء الدول العربية المجتمعين في القاهرة ، يؤسفني ان ابلغكم قلقنا الشديد بعد التقرير الذي استمعنا اليه من الاخ الرئيس جعفر النميري وبقية اعضاء الوفد الممثل لنا الذين عادوا من عمان الليلة .

« ان التقرير الذي استمعنا اليه منهم جميعاً يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك عدة حقائق :

١ — ان هناك اصراراً من جانب السلطة الاردنية على مواصلة اطلاق النار ، برغم كل المحاولات التي بذلت .

---

(١) جريدة الاهرام في ٢٥ — ٩ — ١٩٧٠ .

٢ — ان كل الوعود التي قطعت لنا هدرت هدراً كاملاً ، وافرغت من اي قيمة حقيقية لها .

٣ — ان هناك مذبحة مروعة تجري في الاردن منافية لكل القيم العربية والانسانية .

٤ — ان وفد الرؤساء الذي عاد من عمان يشعر انه تعرض لمراوغات لم يكن يجب ان يتعرض لها .

ازاء ذلك كله فاننا اتفقنا الآن على ان يعقد الأخ الرئيس جعفر النميري مؤتمراً صحافياً يذيع فيه باسمه وباسم كامل الاعضاء اللجنة التي شاركته في مهمته تفاصيل تقريره الينا .

اننا نشعر بحزن شديد ان تصل الامور بيننا الى هذا الحد .. ولكن ما يجري الآن لا يترك لنا مجالاً لغيره .. فالحق احق ان يقال ، وستبقى امتنا اكبر من كل شيء واقوى من كل تدبير . »

وقد اجاب الملك حسين على هذه البرقية ببرقية الى الرئيس جمال عبد الناصر ، اذاعتها اذاعة عمان ، نفى فيها الملك ان تكون القوات الاردنية تواصل اطلاق النار على الفدائيين الفلسطينيين .. واكد التزامه باتفاق وقف اطلاق النار .. ونفى الملك انه فكر او يفكر في تصفية المقاومة الفلسطينية ، وقال انها « منا ولنا ونمت وترعرعت برضانا وفي حمانا » .

عقد الرئيس جعفر النميري مؤتمره الصحافي بحضور اعضاء الوفد ، ظهر يوم السبت في ٢٦ ايلول (سبتمبر) .. وفي القسم المتقدم من هذا الفصل عرضت ما قاله الرئيس النميري في مؤتمره الصحافي .. ووقفنا عند ما جاء عن انطباعاته وانطباعات اعضاء الوفد الشخصية ، وفيما يلي ايجاز لها :

قال الرئيس النميري :

« وفي طريق عودتنا من قصر الحمر الى مقر سفارة الجمهورية العربية المتحدة ، بعد هذا الاجتماع — مع الملك — وبعد اعلان بيانات اوامر وقف اطلاق النار بالراديو ، كان القصف مستمراً والرصاص يدوي في مختلف مناطق عمان وجبالها ، وبصورة رهيبة خاصة في اماكن تجمعات الفلسطينيين وفي احياء الاشرفية وجبل اللويبده وحي

المصاروة ، كما تم قصف مستشفى الاشرفية ونقل مئات من الاطفال والنساء والعجزة ووضعوا بالطريق ، وأُحضرت الآليات لسحقهم . كما قاموا بعملية خطف للاطباء والممرضين والممرضات ، وهددت حياتهم ما لم يخل الفدائيون الفلسطينيون المنطقة باسرها » .

« فظللنا نرقب الموقف ونتابعه حتى الساعة الواحدة والنصف ، حين صدر بيان عن المشير حابس المجالي الحاكم العسكري العام يدعي فيه ان ما يسمع من دوي الرصاص والمدفعية ما هو الا عمليات يقوم بها سلاح المهندسين لتفجير الطلقات العمياء والالغام التي كانت مزروعة في تلك المنطقة » .

ومضى الرئيس النميري يقول :

« ولم يجد اعضاء اللجنة مفراً سوى الاتصال بمقر القيادة العامة ولفت نظرها . وقد لفت نظرهم الى ذلك الفريق صادق متحدثاً اليهم باسمي مرة ثانية ، موضحاً لهم اننا قد اسكتنا الضرب من جانب الفدائيين ، بينما هم يتعرضون لضرب مركز من القوات المسلحة الاردنية ، ويتعرضون للقتل والشهادة الجماعية » .

« وفي نفس المعنى تحدث اليهم الشيخ سعد العبد الله ، ثم تحدث الباهي الادغم ، وقال ان هذا مخطط اجرامي يقومون بتنفيذه نيابة عن اسرائيل . انها حرب ابادة للشعب الفلسطيني .. » .

وتابع الرئيس السوداني قوله :

« ان هذا حدث في وقت لم يجف فيه مداد الحبر الذي كتبت به الاتفاقية ، وانهم يواصلون الضرب والتقتيل على العزل والابرياء دون شفقة او رحمة ، وان الملك حسين يتحمل وحده المسؤولية الكاملة عن كل هذا » .

« وتبع هذه المحادثات من الاعضاء مع القيادة العسكرية الاردنية العامة بدقائق ضرب مكثف موجه لمقرنا في السفارة استمر دون انقطاع ، مما سبب قلقاً ويأساً بالغين دفعاني على الفور الى الاتصال شخصياً بالملك حسين ، وابلغته خطورة الموقف والخطر الذي كان يهدد حياة افراد اللجنة بل أسمعته دوي الرصاص على التلفون فسكت . وقال : انني اقوم بالواجب الآن . فبعث الينا باللواء محمد خليل نائب رئيس الاركان واحمد طوقان رئيس الديوان وزيد بن شاكر نائب مدير العمليات وزهير مطر مدير

الامن ، الذين تحدثوا الى ادارة العمليات العسكرية بالتلفون من مقرنا ، وطلبوا وقف اطلاق النار فوراً لانهم قد شاهدوا بانفسهم ما يجري » .

« ومن الاشياء المستغربة ان القصف علينا وقف بسرعة خيالية بعد اتصالهم مع مدير العمليات ، وهذا يؤكد لنا انه مخطط قصد به اجبارنا على الرحيل فوراً ، ويؤكد ايضاً ان المزاعم التي كانت تقولها السلطات الاردنية من ان ايقاف ضرب النار يجد صعوبة كبيرة في توصيل الاوامر والتعليمات الى الجنود في المناطق المختلفة ، وهذا يأخذ وقتاً طويلاً . هذا ايضاً قد اكد لنا ان التعليمات تصل الى الجنود بسرعة ، وان سلطة القيادة جيد للغاية في الجيش الاردني . »

وتابع الرئيس النميري يقول :

« .. وفي طريقنا الى المطار من السفارة ، كنا نركب سيارة مصفحة . وايضاً من الامور المستغربة ان الجيش اطلق علينا الرصاص باطلاق النار على هذه السيارة . »

« وقد غادرنا عمان في السابعة مساء ٢٥ ايلـول وسط الانزعاج والضرب المستمر والقصف الشديد من المدفعية والدبابات ومدافع الماكينة المختلفة الخفيفة منها والمتوسطة والثقيلة . وشاهدنا ونحن في المطار عمليات الاستكشاف المختلفة تسلط على جبل الاشرفية ومخيم الوحدات لتحديد اهداف المدفعية لضربها مرة اخرى وجرفها ودكها . »

« على كل حال خرجنا من عمان بانطباع جماعي بان هناك مخططاً كاملاً لابادة كافة رجال المقاومة الفلسطينية الباسلة ، وكافة الفلسطينيين الموجودين في عمان . ويجري تنفيذ هذا المخطط بالرغم من كل الوعود والاتفاقات ، وليس هنالك اي شيء سوف يوقف تنفيذ هذا المخطط . »

« لقد خرج الوفد بنتائج على ضوء كل هذه التفاصيل تجعله على يقين بان ما يجري في الاردن مؤامرة مدبرة ، وتخطيط مسبق لسحق الشعب الفلسطيني كما قلت ، وتصفية المقاومة الفلسطينية ، وان السلطة الاردنية كانت وما زالت وستظل تراوغ وتخادع لكسب الوقت حتى تستطيع ان تنفذ مخططها » .

« لقد علمنا ان تقدير الموقف الذي وضعته السلطة الاردنية كان قد خرج بنتائج تفيد بان هذه الابادة سوف ينتهي منها في ظرف ثلاثة ايام على الاكثر ، ولكن هذه النتائج او الوصول الى هذه النتائج خطأ ، لأن ثمانية ايام قد مرت ولم تستطع القوات

الاردنية ان تسيطر على عمان ، وسوف لن تستطيع ان تسيطر عليها لمدة ثلاثة اشهر اخرى ، وهذا رأيي الشخصي » .

وبعد ان عرض الرئيس جعفر النميري تقريره عن الحالة في الاردن على الصحافيين اجاب عن الاسئلة التي وجهت اليه . ومن اجاباته :

« ان ما يجري في الاردن يستحق ان تقوم الدول العربية باجراء خاص لايقاف المخطط او الابادة التي تجري الآن » .

« ان ما اعتقده شخصياً ان الملك حسين ، وهو جزء من السلطة الاردنية ، شريك في هذا المخطط لانه يصر وتصر السلطة الاردنية على التمادي في ابادة الشعب الفلسطيني ، والمخطط لابادة الشعب الفلسطيني مخطط كبير ، الاردن جزء صغير من الاجزاء التي تقوم بتنفيذ هذا المخطط » .

« والحقيقة احب هنا ان اضيف شيئاً : انا لا استطيع ان اعرف ما هي سلطات الملك حسين ، هل هو ملك ، ام رئيس وزراء ، ام قائد عام ، ام رئيس هيئة اركان حرب ؟ فهو يقوم بكل هذه الاشياء .. فالحكومة في الاردن ما شهدت مثلها ، فالملك حسين هو كل شيء ، ملك ، وقائد ، وحكومة ، وكل شيء » .

« ان العدو الاول للامة العربية هو الصهيونية المتمثلة في دولة اسرائيل ، ودولة اسرائيل كما نعلم جميعاً لها مطامع كبيرة ومطامع توسعية في البلاد العربية ، ودولة اسرائيل هي ربيبة للولايات المتحدة ، وتعمل معها متضامنة متعاونة في التآمر على الشعوب العربية ، وانا اقول ان هذا المخطط هو مخطط هاتين الدولتين اللتين تستهدفان ليس الاردن فحسب ، بل كل الدول العربية في المنطقة وخصوصاً التقدمية منها » .

وقال السيد حسين الشافعي في المؤتمر الصحافي :

« ليس لدي ما اضيفه على تقرير الاخ جعفر النميري الذي سجل فيه عمل اللجنة ، واسجل مشاعري بالحزن العميق على المآسي التي يتعرض لها المواطنون العزل والسكان ، وبصفة خاصة الذين لا يجدون الماء او الغذاء او الامن على حياتهم ، او القدرة على الانتقال من مكان الى آخر بسبب توزيع القوات التي لا تدع شارعاً الا وهو مضروب بالنار ، حتى ان تحركنا لمقابلة الاخ ابو عمار كان نوعاً من المغامرة » .

وقال السيد الباهي الادغم في المؤتمر الصحافي ايضاً :

« .. كانت مهمتنا تتعلق بالاجراءات التي ينبغي انجازها في المستقبل لمواجهة وقف القتال ، فوجدنا حالة اخرى اوسع نطاقاً وابعد مدى ومتشعبة غاية التشعب ، ولها انعكاساتها ومضاعفاتها بالنسبة للوضع السياسي في الجبهة ، لان المنطقة اصبحت اليوم على وشك تحول خطير من جراء تطور هذه الحالة التي ظهر انها خرجت على نطاق ارادة المتسببين فيها . يظهر انهم كانوا يتصورونها عملية قمع بسيطة ، عملية تطهير واذا بالمسألة تتطور الى ابادة »[1] .

رد فعل الملك حسين

سمع الملك حسين ما قاله الرئيس جعفر النميري في مؤتمره الصحافي وشعر بان الامور تتطور في مؤتمر القاهرة .. فأرسل في اليوم نفسه ، ٢٦ ايلول ، برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر ، بثتها اذاعة عمان حال ارسالها .

قال الملك حسين في برقيته :

انه فوجىء بوقائع المؤتمر الصحافي . ونظراً الى ان المغالطات والاتهامات التي ذكرها الرئيس النميري والتي تعتبر « تعريضاً بنا وبسياستنا وتجريحاً لشعبنا وجيشنا وبلدنا » ، ونظراً الى خطورة الاقوال التي ساقها في هذا المؤتمر فقد طالب المبادرة الى تصحيح ما ورد من مغالطات . « واوجه انتباهكم جميعاً الى المسؤوليات المترتبة على الاغراق في تحريف الحقائق » .

واضاف الملك : « كنت انتظر ان يكون جهد الملوك والرؤساء العرب بناء ، يوقف تيارات التحريض والاثارة والتدخلات الفعلية والدعائية مما يذكي نار الفتنة (...) ، وكنا ولا زلنا ننتظر منكم مساعدة شعبكم في الاردن . غير اننا مع الاسف الشديد سمعنا ما قيل في المؤتمر الصحافي وقد كان عكس ما كنا نأمل » .

وبعدما اشار الى انه اتهم بانه استهدف ويستهدف القضاء على الشعب الفلسطيني ،

---

(١) المعلومات عن المؤتمر الصحافي الذي عقده الرئيس جعفر النميري مستقاة من جريدة الاهرام في ٢٧ - ٩ - ١٩٧٠ .

اكد ان كل ما قيل في المؤتمر هو « مناقض لحقائق الوضع » .

وتبرأ الملك حسين من مسؤولية « الفتنة الاخيرة في الاردن » ، وقال ان مسؤولياتها تقع على من سماها عناصر المؤامرة . واعلن في ختام رسالته انه مع المقاومة الفلسطينية [1] »

لم يجب الرئيس جمال عبد الناصر عن هذه البرقية ، واستمر المجتمعون في القاهرة يتداولون الامر ويبحثون الاجراءات الواجب اتخاذها لوقف المجزرة السائرة في الاردن ..

ورأى الملك حسين ، ازاء الموقف الجديد في القاهرة ، ان يذهب الى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ويحضر المؤتمر فيها ، فاتصل تلفونياً واعلم القاهرة بانه قادم صباح الغد .

وصل الملك حسين ومرافقوه القاهرة وكلهم بالبدل العسكرية ، الا واحداً ، وهو عسكري ايضاً ..

اليوم الاخير

وكان هذا اليوم ، الاحد في ٢٧ ايلول (سبتمبر)، اشد ايام المؤتمر توتراً ونشاطاً وارهاقاً ، ولولا مهارة الرئيس جمال عبد الناصر وقوة اقناعه وحزمه لما نجح المؤتمر .. وكانت هناك اتصالات لا تنقطع بين الرؤساء بدأت منذ الصباح قبل موعد الجلسة الاولى لهم ، واستمرت فيما بين الجلستين المسائيتين .. وكان جناح الرئيس عبد الناصر في فندق هيلتون ، حيث يقيم الرؤساء ويعقد المؤتمر اجتماعاته ، مركزاً لهذا النشاط المتواصل ..

افتتح الرئيس جمال عبد الناصر الجلسة الاولى ، الساعة ١٣ والدقيقة ١٥ ، بتحديد موقف الجمهورية العربية المتحدة من الصراع الدائر في الاردن ، وما تهدف الوصول اليه فيه ، وهو :

١ — وقف سفك الدماء في الاردن ، والمساعدة على تخفيف آلام المحنة .

٢ — ضمان وجود المقاومة الفلسطينية وحرية عملها ، ، تجسيداً لنضال الشعب الفلسطيني .

(١) جريدة الاهرام وجريدة النهار في ٢٧ — ٩ — ١٩٧٠ .

٣ — الخروج من الوضع الخطر في الاردن الى وضع يحقق تعبئة كل قوة عربية ضد العدو الاسرائيلي .

ثم وضع الرئيس عبد الناصر قواعد لسير المناقشة في الجلسة ، حتى تتم في نظام ولا يفلت سياقها ، ويضيع الهدف منها . وكانت تلك القواعد على الشكل التالي :

١ — ان اللحظات التي نعيشها اخطر من محاولات تسجيل الموقف ، لاننا امام كارثة وقعت ، واذا تركت كما هي ، فان مضاعفاتها سوف تكون سلسلة من الكوارث .

٢ — ان الحساب على ما جرى لا يمكن ان يضيع ، وان الامة العربية والتاريخ سوف يحاسبان ، ولكن هذا الاجتماع يجب ان يوجه الى وقف ما يمكن ان يحدث ، بدلاً من الوقوف امام ما حدث ، وخصوصاً لان هناك شهداء بغير قبور ، وجرحى بغير دواء ، واطفالاً بغير امن ولا بيت ولا طعام ، وهذا لا يمكن احتماله .

٣ — اننا نفهم من رغبة الملك حسين في المجيء الى القاهرة انه يريد حلاً ، كما نفهم من موافقة المقاومة الفلسطينية على مجيء الملك الى القاهرة ، انها هي الاخرى تريد حلاً ، واذا كان الامر كذلك فان المناقشات يجب ان تتجه الى وضع حد للكارثة لا الى زيادة مضاعفاتها المحزنة .

وبعد هذا التحديد لسير النقاش في الجلسة ابتدأت المناقشات وتخللها لحظات حادة.. وفي بدء هذه الجلسة امتنع الملك حسين والسيد ياسر عرفات عن مخاطبة احدهما للآخر ، ثم تبادلا الكلام واخذ الملك حسين ينادي السيد ياسر عرفات « الاخ ابو عمار » وعرفات ينادي الملك حسين « الاخ ابو عبد الله » ..

وفي هذه الجلسة قدم السيد ياسر عرفات « الطلبات الفورية » الآتية :

اولاً — وقف اطلاق النار فوراً ، على ان تلتزم به السلطات الاردنية خاصة بعد خرقها المتكرر لوقف اطلاق النار ، وان تقدم الدول العربية الضمانات لالتزام السلطة الاردنية بوقف اطلاق النار .

ثانياً — سحب جميع قوات الجيش الاردني من عمان الى مواقعها في جبهة القتال مع العدو .

ثالثاً – وقف حملات التفتيش التي تجريها السلطات الاردنية بحجة البحث عن الفدائيين والاسلحة .

رابعاً – اطلاق جميع المعتقلين الذين بلغ عددهم حتى الآن عشرين الف معتقل في عمان وحدها .

خامساً – عزل جميع العناصر العسكرية والمدنية في السلطة الاردنية المدبرة والمنفذة للمذابح وتوقيفها ومحاكمتها .

سادساً – اعادة الفريق الركن مشهور حديثة رئيساً للاركان بكامل صلاحيات القائد العام للجيش .

سابعاً – تشكيل لجنة تحقيق عربية تتولى التحقيق فوراً في الاحداث الاخيرة .

ثامناً – تشكيل حكومة اردنية مدنية موثوق باخلاصها وقدرتها على تنفيذ كل ما تقدم ، وتمارس صلاحياتها الدستورية فوراً » .

وفي نهاية النقاش اسفرت الجلسة عن وضع الخطوط العريضة لاتفاق يوقف الكارثة ويحول دون استمرار الفتك بالناس وايقاع الضحايا . وقام الملك فيصل بتلخيص النقاط الصالحة لان يقوم عليها الاتفاق .

وما ان حانت الساعة ١٦ الا وكانت الخطوط العريضة لمشروع الاتفاق قد وضعت. ثم عهد الى لجنة ، مؤلفة من الرئيس جعفر النميري والسيد الباهي الادغم وضع الصيغة النهائية للاتفاق لعرضها على جلسة ثانية للرؤساء والملوك .

وضعت اللجنة صيغة الاتفاق ، وفي نحو الساعة ١٧ والدقيقة ٣٠ ، توجه الرئيس النميري والسيد الباهي الادغم لعرض مشروع الاتفاق على الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو في غرفة النوم يستريح من تعب شديد .. فاستدعى السيد ياسر عرفات الى حضور مناقشة المشروع ، وانضم الى المجتمعين الرئيس معمر القذافي .. وتمت الموافقة على مشروع الاتفاق .. وبعد ذلك عقدت الجلسة المسائية للمؤتمر الساعة ١٨ والدقيقة ١٥ بحضور الرؤساء والملوك وحدهم في اجتماع مغلق ، ومعهم السيد ياسر عرفات .. ناقشوا بنود الاتفاق حتى الساعة ٢٠ والدقيقة ٤٥ ثم وافقوا عليها .. وعندئذ رفعت الجلسة المغلقة ، وعقدت جلسة علنية حضرها جميع اعضاء الوفود ، وشهدها الصحافيون والمصورون . وفي هذه الجلسة تم توقيع الاتفاق نحو الساعة ٢١ حسب توقيت القاهرة .

وكان اول من وقع الاتفاق الملك فيصل ، بناء على اقتراح الرئيس جمال عبد الناصر ، ثم تلاه الملك حسين ، فالرئيس جمال عبد الناصر ، ثم السيد ياسر عرفات ، فالرئيس معمر القذافي ، والرئيس جعفر النميري ، والسيد الباهي الادغم ممثل الرئيس التونسي ، ثم الرئيس سليمان فرنجية ، ثم السيد احمد الشامي عن اليمن .. وعرف هذا الاتفاق باسم « اتفاق القاهرة » .

وقد تبادل الرؤساء التهنئة بالنتيجة التي توصلوا اليها ، كما تسلموا نسخاً من الاتفاق الذي تم في ختام اليوم السادس لاجتماعات القاهرة ، لوضع حد للمأساة والخروج من المحنة بأحسن حل ممكن ، كما ان الملك حسين والسيد ياسر عرفات تعانقا بعد توقيع الاتفاق .. وقرأ الجميع الفاتحة ، بناء على طلب جلالة الملك فيصل ، في محاولة لتصفية القلوب ..[1] .

وتقديراً للجهود الحثيثة الطيبة التي قام بها السيد الباهي الادغم رئيس الوزارة التونسية والممثل للرئيس السيد الحبيب بورقيبة في مؤتمر القمة ، ارسل الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد توقيع الاتفاق ، برقية الى الرئيس حبيب بورقيبة هذا نصها :

« الاخ الرئيس حبيب بورقيبة .

لقد توصلت اجتماعات الرؤساء والملوك في القاهرة الى نتيجة مرضية ، ادعو الله عز وجل ان يكتب لها التوفيق ، رعاية لأمتنا وحفاظاً على مستقبلها وتدعيمها لانتصارها. ولقد نص الاتفاق الذي تم التوصل اليه الآن ، على تكوين لجنة خاصة لمتابعة التنفيذ ، واستقر رأينا جميعاً على استئذانكم في اختيار الأخ الباهي الادغم رئيس وزراء تونس للقيام برئاسة هذه اللجنة .

« وباسم الملوك والرؤساء المجتمعين في القاهرة فانني ارجوكم الموافقة على ذلك الاختيار ، ويشجعنا على ذلك ان اجتماع القاهرة بدأت فكرته من تونس ، كما ان الأخ الباهي الادغم قام بدور ممتاز في مداولاتنا .

ولكم اصدق التحية والشكر واطيب اماني الصحة » .

وقد اجاب الرئيس حبيب بورقيبة على برقية الرئيس جمال عبد الناصر بموافقته على تنفيذ تعيين السيد الباهي الادغم رئيساً للجنة المتابعة العربية العليا ، واعرب عن ان

(١) المعلومات السابقة عن « اليوم الاخير » مستقاة من جريدة الاهرام في ٢٩ – ٩ – ١٩٧٠ .

تونس تقدر الشرف الذي أسبغ عليها بهذا التعيين . كما انه اقترح على الرئيس جمال عبد الناصر تعيين ثلاثة نواب لرئيس اللجنة .

الوداع الاخير

شعر الرئيس جمال عبد الناصر بارتياح نفسي عظيم عقب توقيع الاتفاق وانتهاء مهمة المؤتمر في موضوع محزن أليم .. غير انه شعر في الوقت نفسه بتعب جسماني شديد لا يقوى الانسان على المكابرة في تحمله . وكان الرئيس عبد الناصر في امس الحاجة الى راحة تامة يقضيها في السرير دون مراجعته في امور مهما كانت مهمة ، وقد اشار عليه بهـا المقربون منه ، العارفون بمرضه الذي لا يسمح له بالقيام بما قام به خلال الايام العشرة الاخيرة ، والذي يتطلب منه اللجوء الى الراحة توا ً ، مهما كانت الواجبات .. وبينما كان على وشك ان يدخل غرفة نومه افتقد الرئيس معمر القذافي فسأل عنه، فقيل له انـه ذهب الى المطار ليعود الى طرابلس، وانه لم يشأ ازعاج سيادته بوداعه . لم يقبل الرئيس ذلك ، وطلب الاتصال بالمطار واعلام الرئيس القذافي بقدومه ، وايقاف الطائرة عن الطيران ان لزم ذلك ..

ذهب الرئيس الى المطار ، وهو في حالة اعياء ، وودع الرئيس القذافي ثم عاد ، والتعب الشديد باد عليه . والرئيس جمال عبد الناصر كان من الرجال الذين لا يتوانون عن الواجبات الرسمية ، ويقومون بها على اتم وجه واحسنه ، وان كانت حالته الصحية لا تسمح بذلك .. ثم ذهب الى غرفة نومه ونال قسطاً من الراحة التي هو في امس الحاجة اليهـا .

ونهض في صباح اليوم التالي ، الاثنين في ٢٨ ايلول (سبتمبر) وهو تعب ، اذ ان ما ناله من راحة في تلك الليلة لم يكن كافياً لازالة التعب المتراكم .. واخذ يذهب الى المطار مع كل رئيس دولة مودعاً .. وكان يوماً شاقاً عليه . ولو علم الرؤساء بمرضه لما سمحوا له مطلقاً بتحمل عناء الذهاب مع كل واحد منهم الى المطار ووداعه ، وهو في اشد الحاجة الى الراحة التامة .. وكان آخر من ودع سمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح ، في الساعة ١٥ والدقيقة ٣٠ . وان نظرة الى الصورة التي اخذت له وهو

يقبل سمو امير الكويت مودعاً ، وهي آخر صورة اخذت له ، تظهر ما كان يعانيـه الرئيس جمال عبد الناصر من تعب وارهاق ومرض ..

عاد الرئيس من المطار الى منزله في منشية البكري .. واعتذر لحرمه عن تناول الغداء مع افراد عائلته ، الذين كانوا في انتظاره لتناول الغداء معه ، وقال انه بحاجة الى الراحة ، واستدعي طبيبه .. وفي الساعة ١٨ والدقيقة ١٥ فارق الحياة بسبب ازمة قلبية مفاجئة .. وكتب الاستاذ محمد حسنين هيكل مقالات في جريدة الاهرام وصف فيها الساعات الاخيرة للراحل البطل العظيم .. وهي خير ما يمكن وضعه عن تلك الساعات الاليمة المبكية ..

ودع الرئيس جمال عبد الناصر الملوك والرؤساء العرب الذين حضروا المؤتمر ، وتجلت في تصرفاته عظمته وتقديسه للواجب مهما كانت الظروف .. فهل كان يشعر ان ذلك الوداع هو الوداع الاخير ؟ .

وما ان سمع ابناء الامة العربية ، في جميع اقطارها ، في الساعة ٢٢ والدقيقة ٥٥ بتوقيت مصر ، صوت نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة السيد انور السادات يقول :

« فقدت الجمهورية العربية المتحدة وفقدت الامة العربية وفقدت الانسانية كلها رجلاً من اغنى الرجال ، رجلاً من اغلى الرجال واشجع الرجال واخلص الرجال ، هو الرئيس جمال عبد الناصر ، الذي جاد بأنفاسه الاخيرة في الساعة السادسة من مساء اليوم ٢٧ رجب ١٣٩٠ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، بينما هو واقف في ساحة النضال يكافح من اجل وحدة الامة العربية ومن اجل انتصارها .. »

إلاّ وانتابهم جميعاً الذهول ، تبعه شهيق الالم والحسرة ، ثم انهالت الدموع من اعين الكثرة الساحقة منهم .. وخرجت الجماهير تلك الليلة ، وفي الايام والليالي التي تلتهـا ، في كثير من مدن الاقطار العربية ، الى الشوارع مكبرين مهللين باكـين غاضبين ، مطلقين رصاص الحزن في بعض المدن ، ومقيمين حرائق الآلام ، ومصلين في الجوامع وفي عدد من الكنائس .. ولم يشهد العالم مطلقاً حزناً عم ابناء امة مثل الحزن الذي عم ابناء الامة العربية على فقيدها البطل الراحل جمال عبد الناصر ..

ولا بد للمفكر من ان يقف هنا ويتساءل لماذا كان ذلك ؟

ان الشعوب تقدس زعيماً وتتفانى في حبه لأمور ترجع الى ثلاثة :

لما في ذاته من صفات نبيلة اولاً . ولما قام به من خدمة للامة ثانياً . ولما يأمل الناس منه ان يقوم به في سبيل عظمة الامة وتقدمها وتحقيق آمالها ثالثاً .

يتطلب العرب ان تتوفر في الرجل الزعيم صفات شخصية لينال ثقتهم ويكسب محبتهم واحترامهم . ومن هذه الصفات الشخصية ، ان يكون الحاكم او الزعيم نظيف اليد عفيف النفس اميناً ، لا يأخذ ما ليس له ، ولا يضع يده على شيء من اموال الدولة او الاموال العامة المخصصة للانفاق على مصلحة الشعب وخدماته ويحولها الى ملك خاص به .. وان يكون صادقاً لا يكذب ولا يفسق ولا يتلاعب بالكلمات .. وان تكون حياته العائلية شريفة وان يكون مخلصاً لأهله ، شريفاً في معاملته لهم ، وان لا تكون له علاقات جنسية غير شرعية وان تكون نظيفة في شرعيتها .. ثم ان يكون الحاكم او الزعيم شجاعاً ضد الاعداء جريئاً في الحق مقدماً .. وان يكون وطنياً ، كل الوطنية ، لا يمالىء في الحق ولا يتساهل في مصلحة الوطن ، مهما كانت الظروف والصعوبات ، وبالتالي ان يكرس الحاكم او الزعيم كل وقته وجهده للمصلحة العامة ، ولا يتخذ من السلطة او المركز وسيلة لتحقيق مصالح خاصة .. فهذه الصفات الخاصة ، التي يتطلب ابناء الامة توفرها عند الحاكم او الزعيم ، كانت متوفرة تماماً في الزعيم البطل الراحل الرئيس جمال عبد الناصر ..

ويقدر ابناء الامة الحاكم او الزعيم بما قام به من اعمال في خدمة الوطن والامة ، ولما انجز من خدمات لهما .. وما قام به الرئيس جمال عبد الناصر من اعمال وخدمات في مصر ، وللامة العربية ، هو الموضوع الايجابي لحياة عبد الناصر الذي كتبت فيه وستكتب المجلدات الطوال .. فالرئيس جمال عبد الناصر قد طور الحياة في مصر تطويراً كبيراً .. واثر ذلك في حياة بقية الاقطار العربية على درجات متفاوتة ..

ويقدر ابناء الامة الحاكم او الزعيم لما في امكانه من وصول الى اهداف الامة وتحقيق

لآمالها .. ومن اهداف ابناء الامة العربية الوصول الى اتحاد فدرالي وثيق بين بلادهم .. وكانوا يرون ان الرئيس جمال عبد الناصر هو المؤهل اكثر من غيره لتحقيق الاتحاد العربي ، لما في شخصه من صفات الزعامة ، ولما لمصر من مكانة رفيعة بين البلاد العربية لأسباب متنوعة ..

فأبناء الأمة العربية حزنوا على وفاة الرئيس جمال عبد الناصر اشد حزن ، وبكوه بكاء الثكالى والايتام ، لما كان يتحلى به من من صفات شخصية ، هي عندهم مثال الصفات التي ينبغي ان يتحلى بها الحاكم او الزعيم .. ولما قام به من خدمات كبيرة .. ولما كانوا يأملون ان يحققه.. بكوا الزعيم البطل لصفاته ولانجازاته ولفقدانه قبل ان يصل بهم الى هدفهم الكبير ويحقق آمالهم السامية ..

وبوفاة الرئيس جمال عبد الناصر خسرت الامة العربية زعيماً بطلاً خالداً « من اغلى الرجال ومن اشجع الرجال ومن اخلص الرجال » ..

— ٤ —

اتفاقان وبروتوكول

اثمر مؤتمر القاهرة الاتفاق الذي عرف باسم **اتفاق القاهرة** . ذلك الاتفاق الذي جاء نتيجة جهود هائلة بذلها الرئيس جمال عبد الناصر وآخرون ، وكلف الامة العربية حياة زعيم من اعظم الزعماء الذين عرفهم تاريخ العرب .. وفي عمان وقع الملك حسين والسيد ياسر عرفات اتفاقاً آخر عرف باسم **اتفاق عمان** ، ثم وقعت الحكومة الاردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بروتوكولاً منبثقاً من الاتفاق، عرف باسم **بروتوكول عمان** .

اتفاق القاهرة

لقد حاول واضعو اتفاق القاهرة التوفيق بين وجهات النظر العسكرية لكل من من السلطة الاردنية ومنظمات المقاومة الفلسطينية . وارادوا ان يصلوا عن طريق الاتفاق « الى حقن الدماء نتيجة لما حدث في المملكة الاردنية الهاشمية خلال الايام العشرة السابقة

لهذا الاتفاق ، وصون امن وسلامة الامة العربية لما تتعرض له من مؤامرات استعمارية ، وتحقيق الاستقرار في الاردن الشقيق الذي يتعرض للتمزق والآلام » . وتلت هذا التمهيد بنود الاتفاق وعددها اربعة عشر بنداً وهي :

اولاً — انهاء كل العمليات العسكرية من جانب القوات المسلحة الاردنية وقوات المقاومة الفلسطينية فوراً ، مع انهاء كل التحركات العسكرية التي لا تحتمها مقتضيات النشاط المعتاد ، وايقاف كل الحملات الاعلامية التي تتنافى مع اغراض هذا الاتفاق .

ثانياً — السحب السريع لكل القوات الاردنية من عمان ، وارجاعها الى قواعدها الطبيعية ، مع سحب جميع القوات الفدائية من عمان وتركيزها في اماكن تلائم العمل الفدائي .

ثالثاً — فيما يتعلق بمدينة اربد وغيرها من المدن ، تعود الاوضاع العسكرية والمدنية الى ماكانت عليه قبل الحوادث الاخيرة .

رابعاً — تتحمل سلطات الامن الداخلي حفظ الامن تحت الادارة المدنية .

خامساً — اطلاق المعتقلين لدى الجانبين فوراً .

سادساً — تكوين لجنة عليا لمتابعة هذا الاتفاق الاساسي مع ما قد ينبثق منه من اتفاقات فرعية ، مع ممارسة تنسيق العمل والعلاقات بين كل من السلطة الاردنية والمقاومة الفلسطينية ، حتى يستتب الامن وترجع الامور الى حالتها الطبيعية . كما ان لهذه اللجنة الحق ومسؤولية التوجيه في اتخاذ كل ما تراه من تدابير عملية واجرائية كفيلة بما يحقق عودة الوفاق بين الاطراف المعنية وعودة الحياة الى حالتها الطبيعية .

سابعاً — تكوّن لجنة المتابعة العليا ثلاثة مكاتب فرعية تابعة لها وتأتمر بأمرها على النحو التالي :

١ — مكتب عسكري يمارس جميع الشؤون العسكرية لتنفيذ بنود هذا الاتفاق .

٢ — مكتب مدني يعنى بالشؤون المدنية التي تهم العلاقات الاخرى غير العسكرية بين الطرفين .

٣ — مكتب الاغاثة والاسعافات ويتولى الاشراف على توزيع المؤمن والمساعدات التي تصل اليها من الدول العربية وغيرها على الضحايا والمصابين والمحتاجين

ثامناً — تقوم اللجنة العليا للمتابعة باعداد وابرام اتفاق ملزم للطرفين ، يضمن استمرار النشاط والعمل الفدائي واحترام سيادة البلاد في حدود القانون ، فيما عدا الاستثناءات اللازمة للعمل الفدائي .

تاسعاً — القرارات التي تتخذها اللجنة العليا للمتابعة ، تنفيذاً لهذا الاتفاق ، تكون ملزمة نهائياً وتماماً لكل من الطرفين .

عاشراً — تمارس اللجنة العليا للمتابعة مسؤولياتها المشار اليها سلفاً وفوراً ، على ان ترفع تقارير عنها الى الملوك والرؤساء العرب ، من وقت الى آخر ، حول ما تقوم به من مهمات وما تتخذه من مقررات ، وعن مدى سير هذا الاتفاق وتقيد الأطراف بــه .

حادي عشر — تتألف اللجنة العليا للمتابعة برئاسة السيد الباهي الادغم رئيس وزراء جمهورية تونس ، وعضوين آخرين احدهما يمثل السلطة الأردنية يعينه جلالة الملك حسين ، والثاني يمثل المقاومة الفلسطينية ويعينه السيد ياسر عرفات . وللجنة العليا ان تستعين بمن تشاء .

ثاني عشر — تهيئة الجو المناسب لتنفيذ هذا الاتفاق ، مما يجعل الوصول الى ما رمى اليه من اهداف سامية ممكناً وشرعياً ، ويلتزم الطرفان بانهاء كل الاوضاع الاستثنائية والحكم العسكري .

ثالث عشر — في حالة اخلال اي من الطرفين الاردني والمقاومة الفلسطينية بأي بند من بنود الاتفاق او عرقلة تنفيذه ستقوم كل الدول العربية الموقعة باتخاذ اجراءات موحدة وجماعية ضده .

رابع عشر — دعم الثورة الفلسطينية والوقوف معها حتى تحقيق اهدافها في التحرير الكامل ودحر العدو الاسرائيلي الغاصب » .

وفي صباح يوم الاثنين في ٢٨ — ٩ — ١٩٧٠ وصل السيد الباهي الادغم رئيس لجنة المتابعة العربية العليا الى عمان ، واخذ فوراً يعمل ، بنشاطه المعروف ، لتنفيذ الاتفاق واعادة الهدوء الى الاردن ، فقام باتصالاته بالمسؤولين ... وكان السيد ياسر عرفات قد عين السيد ابراهيم بكر عضواً في لجنة المتابعة ممثلاً للمقاومة الفلسطينية ، وعين الملك حسين السيد رياض المفلح عضواً في اللجنة ممثلاً للسلطة الاردنية ..

وفي هذا اليوم ايضاً بدأ مئة ضابط من ضباط خمسة بلاد عربية ، يؤلفون قوة السلام العربية بقيادة العميد احمد عبد الحميد حلمي رئيس لجنة المراقبة العسكرية العربية ، اقامة مراكز مراقبة لهم في عمان لتنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار ..

وعرفت عمان ، بفضل اتفاق القاهرة ، اهدأ ليلة منذ ١٧ ايلول (سبتمبر) ، يوم ابتداء الاشتباكات الدامية الأليمة بين القوات الاردنية والفدائيين الفلسطينيين ..

واخذت الحياة شبه الطبيعية تعود الى الاردن ببطء غير مريـــح ... لاستمرار اشتباكات متفرقة بين قوات اردنية وقوات للمقاومة الفلسطينية .. وسعى الرئيس الباهي الادغم لوضع حد لذلك، فعمد الى وضع اتفاق جديد بين الحكومة والمقاومة الفلسطينية.

اتفاق عمان

قام الرئيس الباهي الادغم بترتيب واجراء مفاوضات بين السلطة الاردنية والمقاومة الفلسطينية ، باشرافه ، لوضع اتفاق جديد ، كما نصت المادتان الثامنة والثانية عشرة من اتفاق القاهرة ، يضمن استمرار العمل الفدائي واحترام سيادة الدولة . وعقدت عدة اجتماعات للوصول الى ذلك ، ابدى فيها كل من الطرفين وجهة نظره وتقدم بمطاليبه .

وكان من مطاليب السلطة الاردنية ان يكون للحكومة الحق في ملاحقة الافراد الذين كان لهم ضلع في الاحداث الاخيرة ، وان تكون مواقع القواعد الفدائية غربي طريق الاسفلت الممتد من شمالي البلد حتى جنوبيه .

اما المقاومة الفلسطينية فقد اصرت على ان تكون قواعدها القتالية غربي الخط الممتد من الرمثا – جرش – صويلح – ناعور – مادبا – الكرك – وادي موسى ، وان تكون قواعدهـــا التدريبية في الخط الممتد من المفرق شمالاً الى معان جنوباً . وشددت على ان تكون الميليشيا تابعة للقيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية وبعيدة عن ايـــة سيطرة اخرى ، وان تصدر جريدة « فتح » دون ان يكون لقانون المطبوعات الاردني سلطة عليها . كما اشترطت المقاومة الفلسطينية الغاء الحكم العسكري وتشكيل حكومة مدنية وطنية ، والافراج عن جميع المعتقلين ..

ولما تم التفاهم على بنود الاتفاق دعا الرئيس الباهي الادغم الى اجتماع رسمي في دار السفارة التونسية في عمان، لتوقيع الاتفاق في ١٣ – ١٠ – ١٩٧٠ . وحضر الاجتماع الملك حسين ورئيس الوزراء وعدد من الوزراء ، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنـــة

المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية وعدد من اعضائها ، واعضاء لجنة المتابعة العربية العليا والعميد احمد عبد الحميد حلمي رئيس لجنـة المراقبة العسكرية واعضاؤها ، ورؤساء البعثات الديبلوماسية العربية في عمان .

وفي هذا الاجتماع وقع الملك حسين الاتفاق عن المملكة الأردنيـة الهاشمية في الساعة ٢٠ والدقيقة ١٥ ، ووقعه السيد ياسر عرفات القائد العام للثورة الفلسطينية عن اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والسيد الباهي الادغم رئيس لجنة المتابعــة العربية العليا ..

وعرف هذا الاتفاق باسم « اتفاق عمان » لتنظيم العلاقات بين اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الاردنية .

وكان قد سبق هذا الاتفاق اتفاقية بين الطرفـين وقعها كلاهما ، في عمـان في ١ – ١٠ – ١٩٧٠ ، تتعلق بانسحاب القوات الاردنية والفدائية من المدن الى مواقعها.. وقد اعتبرت هذه الاتفاقية من ملحقات اتفاق عمان .

واتفاق عمان مقسم الى اقسام . قسمه الاول « قواعد عامة » . وقسمه الثاني « شؤون العمل الفدائي » وقسمه الثالث « التنقل والتحركات » ، وقسمه الرابع « مواقع وقواعد قوات الثورة » .

جاء في قسم **القواعد العامة** ان « الاردن بضفتيه ، ارضاً وشعباً ، وحدة واحدة لا تتجزأ ، وهو القاعدة الاساسية للثورة الفلسطينية وللنضال من اجل تحرير فلسطين . ولتحقق ذلك « تسخر الطاقات الشعبية والعسكرية في الاردن لخدمة هدف تحرير فلسطين » . وان « الوجود والتعبئة والتنظيم الشعبي والقتالي وحرية العمل والتنقل السياسي والعسكري والاعلامي والاجتماعي والمالي من الامور الاساسية للثورة الفلسطينية، وتمارسها بحرية » . وان « الشعب الفلسطيني وحده، متمثلاً في الثورة الفلسطينية، هو صاحب الحق في تقرير مصيره . » . و « ان الثورة الفلسطينية هي قوة وطنية نضالية ، وهي من المستلزمات الاساسية للمعركة ضد العدوان من اجل التحرير ، ولهذا ينبغي تعضيدها وتصعيدها » . و « تتعهد الحكومة بأن لا يقوم او يعمل اي جهاز او تنظيم او اي جهة في الاردن ضد مصلحة الثورة الفلسطينية والوحدة الوطنية » . وان من الواجب « تعميق الوحدة الشعبية الوطنية، بممارسة المساواة التامة في الحقوق والواجبات ، بين كل ابناء الشعب في كافة ميادين

الحياة ومؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، دون اي نوع من انواع التمييز » .

وتعرض اتفاق عمان، بعد ذلك، لامور تتعلق بالعمل الفدائي ذكرها في قسم **شؤون العمل الفدائي** . وهذه الامور هي : انه « تعتبر عمان المقر الرئيسي للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بجميع فروعها السياسية والعسكرية والاعلامية والاجتماعية وغيرها..» و « تنشيء اللجنة المركزية مكاتب فرعية لها في مدن وقرى المملكة، بحسب ما ترى ذلك مناسباً . » و « وتتكون قوات الثورة الفلسطينية من قوات جيش التحرير الفلسطيني وقوات الفدائيين ، وتتولى القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية المعينة من قبل اللجنة المركزية مسؤولية هذه القوات بأجمعها .. » . وان « اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي المسيطرة والملتزمة والمسؤولة عن الثورة الفلسطينية .. » . وان « ما تلتزم به اللجنة المركزية نحو الحكومة الأردنية يكون ملزماً للثورة الفلسطينية بكافة قواتها ومؤسساتها. وما تلتزم به الحكومة نحو اللجنة المركزية يكون ملزماً لكافة اجهزة الدولة.. ». وان « حرية وحماية العمل الفدائي وتأمين سلامته وحقه في التعبئة الشعبية والوطنية تضمنه الحكومة الاردنية بما لا يمس سيادة البلاد في حدود القانون مع مراعاة الاستثناءات اللازمة للعمل الفدائي » . وانه « تعتبر المؤسسات التالية مؤسسات رئيسية للجنة المركزية وتمارس عملها بحرية تامة » .

والمؤسسات هي : مؤسسة الهلال الاحمر الفلسطيني ، ومؤسسة الميليشيا ، ومؤسسة الفتوة والاشبال، ومؤسسة رعاية اسر المجاهدين والشهداء ، وجريدة واذاعة «فتح» والخدمات الطبية لقوات الثورة الفلسطينية ، والمؤسسات الانتاجية الخاصة للثورة الفلسطينية ، ومؤسسة الدراسات والبحث العلمي .

ثم تناول الاتفاق تنظيم « **التنقل والتحركات** » واكد انه « تؤمن حرية التنقل والتحرك لقوات الثورة على جميع الطرق الرئيسية والفرعية الى جميع قيادات ومواقع وقواعد قوات الثورة، بما في ذلك الطريق المؤدي الى داخل البلد وخارجه، ولا يجوز اقامة الحواجز والموانع من كلا الطرفين على هذه الطرق » . وانه « يسمح بمرور سيارات قوات الثورة الفلسطينية داخل المدن والقرى سواء اكانت مسلحة ام غير مسلحة، على ان يكون لديها امر مهمة موقّع بحسب الاصول من المرجع المختص لدى قيادة الثورة .. » .

« يسمح للمجازين بارتداء اللباس العسكري في اثناء تنقلهم على ان يتم التنقل دون سلاح، ويستثنى من ذلك القادة والسياسيون والعسكريون .. » .

وجاء في هذا القسم من الاتفاق بند نص على ما تلتزم به الحكومة وتراعيه في فقرات تضمنت : « عدم التعرض لافراد قوات الثورة الفلسطينية .. » . و « اعتماد الوثائق الصادرة عن اللجنة المركزية والقيادات العسكرية واجهزتها .. » . وان « المخالفات العسكرية والانضباطية يبت فيها من قبل قيادة الثورة الفلسطينية ويخضع افراد الفدائيين فيما عدا ذلك الى المحاكم المدنية الاردنية .. » . وانه « تقوم مديرية الامن العام بتبليغ قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني لدى توقيف اي فدائي من جراء ارتكاب جريمة من الجرائم الداخلة في اختصاص المحاكم المدنية والجزائية النظامية » . وانه « في الجرائم التي لها مساس بالقوات المسلحة الاردنية يجري تحقيق مشترك من قبل الطرفين، ويحال المتهم الى المحكمة ذات الاختصاص . » . و « يعامل افراد قوات الثورة الفلسطينية المعاملة اللائقة التي يعامل بها افراد القوات المسلحة الاردنية ، ويكون لقوات الثورة الفلسطينية نفس الحقوق والتسهيلات العائدة للقوات المسلحة الاردنية » .

وتلا البند المتقدم بند ثان تضمن التزام اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بمراعاة « عدم التعرض للمواطنين وممتلكاتهم ، بأي شكل من الاشكال، من قبل اي فرد، ينتمي لقوات الثورة الفلسطينية » وعدم التعرض لأي فرد من القوات المسلحة الاردنية، من قبل اي فرد ينتمي الى قوات الثورة الفلسطينية » . و « التقيد بالقوانين والانظمة المرعية مع مراعاة الاستثناءات اللازمة للعمل الفدائي ». و « تمنع الجباية من قبل الافراد، ويعتمد اسلوب الجباية الموحدة المقررة من اللجنة المركزية » . و «كل فدائي يرتكب جرم الاعتداء على مواطن واملاكه يسلم الى المحاكم الاردنية المختصة » . وان « يحمل كل فدائي هوية تثبت شخصيته وتحمل صورته الشمسية، على غرار الهوية المعتمدة في جيش التحرير الفلسطيني » . وان « يجري ترقيم كافة السيارات التابعة لقوات الثورة الفلسطينية من المرجع المختص في اللجنة المركزية او القيادة العامة لقوات الثورة ، ويترتب على كل سائق ان يحمل شهادة قيادة سيارة اما مدنية صادرة عن دائرة السير ، او عسكرية صادرة عن قيادة الثورة، على ان يراعى توحيد علامات السيارات واماكن تثبيت العلامات على السيارات » . و « عدم حمل السلاح من قبل كافة افراد قوات الثورة الفلسطينية في المدن، الا في الحالات الواردة في البنود السابقة » . و « عدم القيام بأي تظاهرات عسكرية » .

و « عدم اطلاق الرصاص او اجراء المناورات والتدريب بالذخيرة الحية داخل المدن والقرى والاماكن الآهلة بالسكان » .

وجاء في الاتفاق بعد البنود المتقدمة انه « بما ان البند الخامس من اتفاقية القاهرة يقضي باطلاق سراح المعتقلين فوراً ، فانه لا يجوز مستقبلاً اعتقال او توقيف اي فرد بسبب الحوادث الاخيرة .. » .

وبعد ذلك سجل الموقعون في الاتفاق انه « انطلاقاً من الرغبة المشتركة في تنفيذ اتفاق القاهرة نصاً وروحاً وهذه الاتفاقية ، ومن اجل معالجة اي قضية تنشأ ، تؤلف لجنة مشتركة دائمة تتكون من ممثل عن حكومة المملكة الأردنية الهاشمية ، وممثل عن اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويرئسها رئيس لجنة المتابعة العربية العليا .. » .

« ويتفرع عنها بنفس تركيب اللجنة الدائمة (١) مكتب سياسي دائم الانعقاد يعنى بكل الشؤون غير العسكرية . (٢) مكتب عسكري دائم الانعقاد يعنى بجميع الشؤون العسكرية .. (٣) . مكتب اغاثة يعنى بجميع شؤون اغاثة المواطنين ومساعدة المنكوبين في الحوادث الاخيرة .. » .

وتبع هذه الاقسام المتقدمة من اتفاق عمان قسم عن **مواقع وقواعد قوات الثورة** .. وبنود هذا القسم لم تنشر .

وبعد ان تم توقيع اتفاق عمان ، في اجتماع رسمي ، القى الرئيس السيد الباهي الادغم كلمة ، صادقة حارة ، وجهها الى « جلالة الملك حسين بن طلال » ، والى « حضرة الاخ المجاهد ياسر عرفات » والى « الاخوة الافاضل » ، واشار فيها الى الانجازات الاولية التي انجزتها لجنة المتابعة العربية العليا ، ثم قال :

« ويسعدني في هذا اليوم المبارك ان ازف ، الى الشعب الاردني العربي في الاردن خاصة والى الشعوب العربية عامة ، البشرى بتوصلنا الى توقيع اتفاق بين حكومة المملكة الاردنية الهاشمية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بضبط العلاقات بينهما على اسس سليمة دائمة ، قوامها الاحترام المتبادل والثقة والعمل على درب النضال ، من اجل انقاذ كرامتنا ومقدساتنا واسترجاع كل حقوقنا السليبة ، وهو اتفاق يحترم للدولة الأردنية سيادتها ويضمن لها ممارسة شؤونها ، كما يدعم الثورة التحريرية الفلسطينية ويوفر لها مناخ النضال والكفاح في نطاق النظام والتعاون ، وهو الى ذلك اتفاق يملأ الأنفس بالثقة

ويزيل عنها التخوف والشكوك ويبعث في القلوب الامل بعد ان غمرها اليأس والقنوط » .

ثم قال : « ان مسؤوليتكم اليوم ايها الاخوان لمسؤولية تاريخية كبرى ، فأنتم اليوم في مفرق الطرق ، ومصير العالم العربي مرتبط بما ستؤولون اليه » .

وختم قوله : « واني اناشدكم ان تتخذوا من استشهاد ابنائنا في تلك المحنة التي مررنا بها عبرة .. » .

ولكن هل عاد السلام الى البلد ؟ وهل سادت الطمأنينة النفوس ؟.. وسعياً وراء الوصول الى ذلك ، تم توقيع بروتوكول عمان .

بروتوكول عمان

ولتنفيذ بنود اتفاق عمان رأى الرئيس الباهي الأدغم ، وضع بروتوكول يبين فيه طرق ذلك ، وقد صاغ بالاشتراك مع الفريقين ، الاردني والفلسطيني ، نصوص البروتوكول . وفي ٢٢ – ١٠ – ١٩٧٠ وقعه السيد الباهي الادغم رئيس لجنة المتابعة العربية العليا ، ووقعه عن الحكومة الاردنية السيد رياض المفلح ممثل الحكومة في لجنة المتابعة ، واللواء محمد خليل عبد الدائم رئيس اركان القوات الأردنية المسلحة ، كما وقعه عن المقاومة الفلسطينية السيد ابراهيم بكر ممثل اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لجنة المتابعة ، والعميد عبد الرزاق اليحيى رئيس اركان جيش التحرير الفلسطيني .

وامل العرب ، في الاردن وخارجه ، ان يسود الاخلاص الجميع ويقوم الفرقاء بتنفيذ ما جاء في هذه الاتفاقات ، اذ لا يجوز مطلقاً ان يراق الدم العربي في غير ساحات القتال مع العدو الذي اغتصب الأوطان واهان سكانها والأمة العربية جمعاء ..

— ٥ —

الاقتتال مجدداً

غادر السيد الباهي الادغم رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة عمان في ٢٨ – ١١ – ١٩٧٠ الى تونس ، على ان يعود الى الاردن في منتصف كانون الاول (ديسمبر) .. وظن الرأي العام العربي ، خارج الاردن ، ان الاوضاع قد استقرت فيه ..

وابتدأ الملك حسين ، يوم الثلاثاء في ١ – ١٢ – ١٩٧٠ ، رحلة طويلة زار خلالها المملكة العربية السعودية ، والجمهورية العربية المتحدة ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة الامريكية ، وفرنسا ، والمانيا الغربية ، ثم رجع الى بريطانيا ، وعاد منها الى عمان في ٢١–١–١٩٧١ .. وجلالته يقضي شهر كانون الاول (ديسمبر) من كل سنة في ربوع اوروبا وبريطانيا .. واعتبر الرأي العام سفر جلالته دليلاً على ان الاستقرار قد عاد الى الاردن .

فهل عاد السلام الى الاردن والطمأنينة الى سكانه بعد اتفاقي القاهرة وعمان وبروتوكولها ؟ .

١ – تجدد الاقتتال الاول

قامت السلطة العسكرية الاردنية ، بعد اتفاق القاهرة ، بوضع نقاط تفتيش عديدة على جميع الطرق في الاردن ، ولا سيما في شماليه ، حيث تنتشر مراكز المنظمات الفدائية . وبواسطة نقاط التفتيش هذه كانت تمنع الفدائيين من حرية التنقل ، وتحول دون وصول المؤن والماء والذخيرة اليهم ، حتى جاع الكثير منهم وعطشوا ...

وذكرت وكالة الصحافة الفرنسية : « لقد بقي اكثر الفدائيين في جبال عجلون بدون طعام مدة ثلاثة ايام ولولا المطر لظلوا ايضاً بدون ماء .. ما سبب كل ذلك ؟ . يبدو ان الجيش الاردني تلقى اوامر بتجويع الفلسطينيين . وتقوم قوات خاصة بمراقبة الطرق المؤدية إلى عجلون والقرى المجاورة .. »[1] .

وكان سكان عمان والمدن الاردنية الاخرى وسكان المخيمات في قلق دائم وتخوف مستمر .. وفي يوم الخميس ٣ – ١٢ – ١٩٧٠ ظهرت شرارات النار في عمان ، وسمع ازيز الرصاص ودوي القنابل بصورة متقطعة .. فعاد الذعر الى سكان العاصمة ، على ان الهدوء النسبي رجع اليها في اليوم التالي ..

ورأت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في هذه الاشتباكات ، وفي تحرك قوات اردنية الى شمال الاردن ، حيث توجد مناطق معينة لاقامة قوات من المقاومة الفلسطينية ، تقوم منها بأعمالها ضد اسرائيل ، نذيراً لأعمال جديدة ضد قوات المقاومة

(١) جريدة النهار في ١٤ – ١٢ – ١٩٧٠ .

الفلسطينية . فقررت لفت النظر الى ذلك ، واتخاذ اجراءات تحول دون وقوع اشتباكات جديدة . فقدمت يوم ٥ – ١٢ – ١٩٧٠ مذكرة الى اللجنة العربية العليا المكلفة بتطبيق الاتفاقات « اتهمت فيها السلطات الاردنية بعدم احترام هذه الاتفاقات ، واعلنت انها علقت اشتراكها في اجتماعات اللجنة العربية العليا للمتابعة »[1] .. وطالبت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في مذكرتها عودة السيد الباهي الادغم رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة الى عمان فوراً ، ليتلافى ما قد يحدث من اشتباكات تريد جهات في السلطة الاردنية احداثها لمتابعة ضرب الفدائيين » .. ووجه السيد ياسر عرفات القائد الاعلى للثورة الفلسطينية نداءً الى جميع قوى الثورة يدعوها الى احترام « النظام العسكري » ، واتباع « الحذر في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر فيها الثورة »[1] .

اقتتال في جرش

وما كانت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية تخشى وقوعه قد وقع في مدينة جرش ومنطقتها :

ففي ظهر يوم الاحد في ٦ – ١٢ – ١٩٧٠ قامت احدى دوريات الجيش الاردني المتحركة بالرماية على مواقع الفدائيين في منطقة جرش ، تساندها قوات الجيش المتمركزة في ثغرة عصفور والردار بالرشاشات والمدافع .. وفي الوقت نفسه اطلقت قوات الجيش المتمركزة في مبنى مقاطعة جرش النار على شوارع المدينة التي كانت في يد الفدائيين .. ودار اشتباك بين قوات اردنية وقوات فدائية دخلت خلاله القوات الفدائية مبنى مخفر الشرطة في جرش واحتلته .

واستمر القتال في جرش خلال اليوم التالي الاثنين ٧ – ١٢ – ١٩٧٠ ، استعادت فيه قوة من الجيش الاردني مبنى الشرطة وفتحت طريق المواصلات .. وانسحب الفدائيون من المدينة الى جبال عجلون ..

وامتد الاقتتال ، في هذا اليوم ايضاً ، الى قواعد الفدائيين في عجلون وجبالها ، حينما قامت قوة من الجيش الاردني بضربها بالقنابل في الساعة الرابعة صباحاً .. كما قصفت ايضاً مخيم « سوف » ومخيم لاجئي غزة .. واندفعت قوات مدرعة في اتجاه ثغرة

(١) جريدة النهار في ٦ – ١٢ – ١٩٧٠ .

عصفور وطريق المفرق .. وادى ذلك الى اشتباك الفدائيين معها ..

وتوجه فريق من المراقبين العسكريين التابعين للجنة الرقابة العسكرية العربية الى جرش للتحقيق في الحوادث التي وقعت فيها ..

وفي الساعة ١٥ عقدت لجنة الرقابة العسكرية التي يرئسها العميد عبد الحميد حلمي ، وتضم ممثلين عسكريين عن الحكومة الاردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، اجتماعاً ناقشت فيه الوضع في جرش ، واتخذت اجراءات لاعادة الامور الى طبيعتها فيهـا .

وكان الرئيس انور السادات يتابع ما يجري في الاردن .. فأعاد السفير السيد عثمان نوري الى عمان يحمل رسالة الى ولي العهد الامير حسن ، اعرب فيها عن قلقه الشديد بسبب تدهور الوضع في الاردن ، واشار في رسالته الى ان حوادث الاردن الجديدة تخالف تماماً ما اتفق عليه في القاهرة مع الملك حسين خلال زيارته الاخيرة .. وابلغ الأمير حسن السفير المصري انه يجري حالياً اتخاذ الاجراءات الكفيلة بوقف القتال ومنع تكرار الاشتباكات بين القوات الاردنية والفدائية ..

وقد ارسل الرئيس انور السادات برقية الى الرئيس حبيب بورقيبه يرجوه فيها ان يعود السيد الباهي الادغم ، بأسرع وقت ممكن ، الى عمان ليعمل في تهدئة الاوضاع في الاردن ، ومنع تكرار اطلاق النار ..

وفي الليل صرح ناطق باسم وزارة الداخلية بأنه ، نتيجة لتدخل اللجنة العسكرية العربية العليا ، تم الاتفاق بين الحكومة الاردنية واللجنة المركزية ، على وقف « عمليات الاستفزاز » وانهاء حالة التوتر « بعد الحوادث المؤسفة » التي وقعت في اليومين الماضيين.

على ان صباح يوم الثلاثاء في ٨ – ١٢ – ١٩٧٠، لم يكن مشجعاً ، ذلك بأنه في الساعة ٨ والدقيقة ٣٥ اطلق فدائيون النار على سيارة دوريـــة عسكرية كانت تسير في طريق عمان – البقعة – جرش ، واستمر الاشتباك حتى الساعة ٩ والدقيقة ١٥ حينمـــا توقف اثر تدخل اللجنة العسكرية العربية العليا ، وبعد الاوامر الشديدة التي صدرت الى القوة الاردنية بوقف اطلاق النار مهما يكن الموقف ..

اغتيال الشيخ عبد الله ابو ستة

وشهد هذا اليوم ، الثلاثاء ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ ، جناية شنيعة أليمة .

ففي وضح نهاره قتل الشيخ عبد الله ابوستة في مدينة جرش ، فمن هو المغدور ؟ وكيف اغتيل ؟ ولماذا كان ذلك ؟ .

ان الشيخ عبد الله ابو ستة من قبيلة الطرابين التي كانت تسكن بئر السبع واراضيها ، وعائلته من شيوخها الكبار .. تخرج من كلية الروضة بالقدس . ولما اشتعلت نيران ثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ في فلسطين ، عمل في صفوفها .. ثم ناضل في القتال الذي دار بين العرب واليهود سنة ١٩٤٧ ..

ولما احتل الصهيونيون النقب انتقلت قبيلته الى غزة والى شرق الاردن .. واشترك الشيخ عبد الله مع الرائد الشهيد مصطفى حافظ في الاعمال الفدائية التي كانت تقوم بها كتيبة الفدائيين في قطاع غزة سنة ١٩٥٥ .. وبعد ذلك شغل مراكز رسمية في الحركة الوطنية الفلسطينية ، وكان من العاملين في المجلس الوطني الفلسطيني الذي انبثقت منه منظمة التحرير الفلسطينية .. وكان قائد قوات التحرير الشعبية في سيناء والنقب .. ثم عين مسؤولاً عن القوات الشعبية في جنوبي الاردن .. ونقـــل بعد ذلك الى مدينة جرش مسؤولاً عن الوحدات التي كانت فيها .. واختاره السيد ياسر عرفات ممثلاً له في جميع لجان العشائر ..

وقاد الشيخ عبد الله ابو ستة عدداً من العمليات داخل اسرائيل بنفسه .. وكـــان الصهيونيون يتعقبونه ويريدون التخلص منه ..

وكانت سياسة الشيخ عبد الله ابو ستة تدعو الى توحيد الصفوف في الاردن ، والتآخي بين قوات الجيش الاردني وقوات المنظمات الفدائية .. وكان معروفاً لدى القصر الملكي وعند الجيش وبين السكان والعشائر في الاردن .. وفي الحوادث الدامية التي سادت الاردن اياماً عديدة قام الشيخ عبد الله بدور كبير لحقن الدماء .. وكانت اوامره لرجال كتيبته القادسية « لا تطلقوا النار الا دفاعاً عن انفسكم فقط » ، على الرغم من الرصاص المستمر الذي كان ينهمر على الكتيبة . وبعد اتفاق القاهرة عمل على تقريب وجهات النظر بين رجال السلطة في الاردن ورجال المقاومة .. لقد كان رسول سلام بين مختلف القوات في الاردن ، وداعية الى توحيد صفوفها ضد العدو ..

وبعد يومين من عودة الاشتباكات في جرش ، توجهت ، يوم الثلاثاء في ٨ كانون الاول ، قوة من القوات الخاصة في الجيش الاردني الى بيت الشيخ عبد الله ابو ستة في

مدينة جرش.. واخرجته منه ووضعته في سيارة عسكرية.. وعلى بعد قليل أطلق أفرادها الرصاص عليه وقتلوه ..

كان لمصرع الشيخ عبد الله ابو ستة، البالـــغ من العمر ٥٧ سنة، وقع أليم محزن في جرش وفي الاردن ، ولدى كل من عرفه .. وقد أغضب ذلك السيد الباهي الأدغم رئيس لجنة المراقبة العربية العليا، وآلمه، فذهب، وذهب عدد من اقارب الشهيد وقابلوا الامير حسن نائب الملك وولي العهد ، وابدوا له شكواهم .. وطالب الرئيس الادغم بتشكيل لجنة للتحقيق في استشهاد الشيخ عبد الله ابو ستة ، فوعد الامير بذلك .. ثم سأل احد افراد اسرة الشهيد :

— اين تتقبلون العزاء ؟ فأجاب الرجل :

— نحن قبائل .. ومن عاداتنا الا نتقبل العزاء الا بعد معرفة القاتل ..[1]

ويسأل الناس لماذا قتلوه ؟

يجيب اردنيون عن هذا السؤال ، واجاب عنه كتاب بقولهم :

ان سياسة الشيخ عبد الله ابو ستة الرامية الى التآخي بين قوات الجيش الاردني والقوات الفدائية ، وبين الاردنيين والفلسطينيين ، وبـــين البدو والحضر في الاردن ، هي التي ادت الى مصرعه ..[1]

اتفاق جديد آخر

عاد السيد الباهي الادغم الى عمان يوم الاربعاء في ٩ — ١٢ — ١٩٧٠ ، واخذ يعمل باستمرار وقوة لتهدئة الاحوال .. فذهب الى جرش وتفقد الاوضاع فيها ، وقابل سمو الامير حسن .. وعقد في مساء هذا اليوم اجتماعاً للجنة العربية العليا للمتابعة ، حضره السيد وصفي التل رئيس الوزراء ، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعدد من العسكريين الاردنيين والفلسطينيين . ودار البحث في طريقة تنفيذ ما جاء في اتفاقي القاهرة وعمان والبروتوكول المنبثق منهما .. وتوالت

---

(١) نشرت جريدة « الجمهوريـــة » الصادرة في القاهرة ، في ١٩ — ١٢ ١٩٧٠ تقريراً عن استشهاد الشيخ عبد الله ابوستة ، ونشرت مجلة « آخر ساعة » تقريراً آخر عن الحـــادث في عددهـــا الصادر في ٢٣ — ١٢ — ١٩٧٠ .

اجتماعات اللجنة العربية العليا ، في الايام التالية ، للوصول الى اتفاق نهائي في هـــذا الموضوع ..

وفي يوم الاحد ١٣ — ١٢ — ١٩٧٠ تم الاتفاق على سلسلة من القرارات اتخذتها اللجنة العربية العليا للمتابعة لتنفيذ ما جاء في الاتفاقات السابقة . منها :

— الزام الحكومة الاردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالقبض على المعتدين في حالة وقوع اي اشتباك جديد ، وبيان هوياتهم وفرض العقوبات عليهم واعلانها .

— تأليف لجنة على اعلى مستوى من الجانبين للتشاور والتنسيق في الشؤون المتعلقة بالحركة الفدائية من حيث حرية العمل الفدائي .

— اعادة الجيش الاردني النظر جذرياً في نقاط التفتيش التابعة للجيش وازالة اية نقطة تفتيش غير ضرورية ، على ان تُعطى النقاط الباقية تعليمات واضحة من جديد وصارمة تؤمن حرية تموين العمل الفدائي وتزويده وتنقله.

— تأليف لجنة توجيه عسكرية مشتركة من الطرفـــين تكون مهمتها ايقاف الحملات الاعلامية ، والتوجيه المعنوي للقوات المسلحة الأردنية والفدائية ..

— تأليف لجنة مشتركة تتفرع عنها لجان تتوجه الى القرى لعقد ندوات توعيه للمواطنين ، ونشر التآخي وازالة اسباب التوتر والتبصير بالمصير المشترك .

— متابعة لجنة الرقابة العسكرية العربية لتنفيذ البند الثاني من اتفاق القاهرة المتعلق بسحب جميع القوات المسلحة الى قواعدها ، والقوات الفدائية الى اماكن تلائم العمل الفدائي ، وان يتم ذلك في وقت لا يتجاوز نهاية الاسبوع .

— تلتزم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالسيطرة عـــلى الميليشيا ، وتنظيمها تنظيماً محكماً ، من حيث الانضباط والسيطرة على السلاح ، حتى يتسنى للحكومة اعادة النظر في التدابير التي اتخذتها بعد وقف اطلاق النار .

— تؤكد اللجنة العربية العليا للمتابعة على اعادة فتح مكاتب اللجنة المركزية في مدينة الزرقاء ، والمكاتب الاخرى المنصوص عليها في اتفاق عمان والبروتوكول المنبثق منه ، ابتداء من ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ . وتقرر اللجنة العربية العليا اغلاق العدد الباقي من مكاتب المنظمات التي كانت في الزرقاء قبل اشتباكات ايلول ، والتي تختارها اللجنة المركزية بالتفاهم مع المتصرف .

– تسجل اللجنة العربية العليا الاتفاق الذي تمّ بين الطرفين في مدينة اربد ، والتزام الحكومة بأحكام اتفاق عمان بشأن فتح مكاتب اللجنة المركزية وغيرها في مدن الجنوب .

– يسلم الفدائيون المعتقلون ، بسبب مخالفات انضباطية او مسلكية ، الى الكفاح المسلح ، ولا يجوز في المستقبل لقوات الشرطة الاردنية اعتقال الفدائيين الذين يرتكبون مثل هذه المخالفات ، بل تسلمهم الى قوات الكفاح المسلح . اما المعتقلون منهم بسبب جرائم اخرى فتبلغ السلطة المعتقلة لهم الكفاح المسلح عنهم . وتعهدت اللجنة المركزية بتسليم من لديها من المحتجزين من المدنيين او من افراد القوات المسلحة الأردنية الى السلطات الاردنية .

امل سكان الاردن ، والمنظمات الفدائية ، بعد هذا الاتفاق ، ان يسود الهدوء البلد ، وان يتمكن الفدائيون من متابعة اعمالهم الوطنية ضد العدو في الاراضي المحتلة .. وامل الرئيس الباهي الادغم ذلك ايضاً .. وقرر القيام بزيارة العواصم العربية لتقديم تقرير الى الملوك والرؤساء العرب عن منجزات اللجنة العربية العليا . فغادر عمان الى القاهرة يوم الخميس في ٧–١ – ١٩٧١ ، ومنها ذهب الى تونس .. وقبل سفره اصدر بياناً ضمنه نداء الى الحكومة الاردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية للتقيد التام « بما التزما به التزاماً لا يحتمل التأويل والنقاش » .. « وان انتهاك التعهدات ، التي ساهم فيها بالتأكيد والتزكية الملوك والرؤساء الممثلون للأمة قاطبة ، سوف يعتبر نيلاً من الامانة التاريخية التي يتحملها الطرفان ، في هذا الظرف ، تجاه المعركة المصيرية » ..

فهل ساد السلام بين القوات الاردنية والقوات الفدائية ؟. وهل عادت الطمأنينة الى السكان ؟ .

٢ – تجدد الاقتتال ثانية

غادر الرئيس السيد الباهي الادغم عمان وهو غير مرتاح الى موقف السلطة العسكرية في الاردن ، لعدم قيامها بتنفيذ ما جاء في اتفاق القاهرة ، وفي اتفاق عمان ، وفي بروتوكول عمان ، وفي اتفاق ٩ كانون الاول ١٩٨٠ . ولاستمرارها في ملاحقة الفدائيين وضربهم في مراكزهم المقررة لهم ..

وتدهور الموقف في الاردن فجأة صباح الجمعة في ٨ – ١ – ١٩٧١ ، وهو اليوم

التالي لسفر الرئيس الباهي الادغم ، دون سابق استفزاز ، فحدثت اشتباكات .. واهتمت دول عربية بالامر .. وقام الرئيس الباهي الأدغم بمساعٍ جديدة .. وتم اتفاق جديد آخر بين الطرفين ..

اشتباكات :

بدأ اقتتال جديد ثانٍ عام على الرغم من جميع الاتفاقات .. وذلك بأن قصفت قوات اردنية مواقع الفدائيين في شمال عمان ابتداء من الساعة السادسة صباحاً .. وشمل القصف منطقة الرصيفة ، والمنطقة الممتدة من مخيم البقعة للاجئين الى جسر جرش ، ومنطقتي طريق جرش القديمة وام الرمان ، ومنطقة السلط .. واشتركت في القصف مختلف انواع الاسلحة الرشاشة ومدفعية الدبابات الاردنية ..

ولايقاف الاقتتال ووضع حد لازهاق الارواح حاول العميد احمد عبد الحميد حلمي رئيس لجنة الرقابة العسكرية العربية التدخل ، فطلب في الصباح مقابلة رئيس الوزراء السيد وصفي التل فلم يسمح له بذلك إلا في الساعة ١٧ ... كما انه لم يُمكن ورجال لجنة الرقابة العسكرية العربية من الذهاب الى المناطق التي يجري فيها الاقتتال .. فقرر العميد احمد حلمي تجميد عمل اللجنة العسكرية احتجاجاً على ذلك .. وصرح بأنه سيعقد صباح السبت في ٩ – ١ – ١٩٧١ مؤتمراً صحافياً في فندق الاردن .. فمنعت السلطة العسكرية الصحافيين المحليين والاجانب من دخول الفندق .. والغي المؤتمر الصحافي دون تفسير علني للإلغاء ..

امام هذا الهجوم الواسع ضد الفدائيين وجه السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية رسالة الى الملوك والرؤساء العرب اكد لهم فيها انه :
« في الوقت الذي غادر الرئيس الباهي الادغم عمان قامت السلطة الاردنية فجأة بدفع قواتها الى مهاجمة قواعدنا العسكرية في الاماكن المحددة لها في الاتفاق ، وذلك بقصف شديد ومركز بالمدفعية ومختلف الاسلحة الاخرى ، ودفعت دباباتها وآلياتها وهاجمت قواعدنا في مواقع عدة ، في ام الرمان ، ام العمد ، ام جوزة ، ووادي الحرمية – السلط ، وارميمين ، والصبيحة ، وبعض المواقع في احراج جرش ، من دون سبب او داع ، وكذلك قصفت مدينة الرصيفة .

« ان هذه العمليات تعتبر خرقاً فاضحاً للاتفاقات ، كما تعتبر عمليات خطيرة مستهدفة ثوارنا وشعبنا بملاحقته وتصفيته .

« ولقد بذلنا وما زلنا نبذل ما في وسعنا لاعادة الامور الى مجراها الطبيعي ، ولكن جهدنا ذهب هباء امام اصرار السلطة الاردنية على مجابهة ومحاولة تصفية ثورتنا .

« اننا نهيب بكم ان تتدخلوا لايقاف هذه الجريمة النكراء التي ترتكب في حق الثورة الفلسطينية وشعبنا الصامد البطل ، لكي توجه البنادق وكل الجهود ضد العدو الصهيوني ، وتصان الدماء البريئة فلا تراق او تهدر في غير مكانها . اننا نناشدكم شعباً وثورة وشهداء تحمل مسؤولياتكم القومية والتاريخية لايقاف هذه المجازر الدموية ، التي تقوم بها السلطة الاردنية » .

واستمر الاقتتال في مناطق متعددة في شمال الاردن حتى يوم الخميس في ١٤ — ١ — ١٩٧١ .. ومن ابرز حوادثه ما جرى يوم الاحد ١٠ — ١ — ١٩٧١ في « مخيم البقعة » ، الذي يبعد نحو ١٥ كيلو متراً الى الشمال الغربي من عمان . لقد طوقت ، مع الصباح ، قوات اردنية المخيم بالدبابات والآليات لتفتيشه والقبض على من فيه من فدائيين ، والاستيلاء على ما فيه من سلاح .. وللاحتجاج على ذلك قام سكان المخيم بمظاهرة كبيرة ، فأطلق الجيش الرصاص بغزارة في الهواء اولاً لارهاب المتظاهرين وتفريقهم ، غير انهم لم يتفرقوا ، فأطلق الجيش النار على بعض المتظاهرين فجرح عدداً منهم .. وعلى اثر ذلك اخذت الجماهير شكل مسيرة متوجهة في سيرها الى الارض المحتلة .. وارسل سكان المخيم نداء « الى الامة العربية والضمير العالمي » جاء فيه :

« اكبر التجمعات الفلسطينية يتعرض لحصار الدبابات الأردنية . يريدون تطويق ثورتنا وزرع الرعب في قلوب الاطفال والنساء والشيوخ . نحن نزحنا في اتجاه الارض المحتلة . ذل الاعداء اشرف من ذل الاخوة بألف مرة . يريدون قتل هذا الشعب لكننا لن نركع ولن نستسلم . حقنا اقوى من رشاشاتهم . ان هذه الجماهير الغاضبة ترفض هذا الوضع وتضع الأمة العربية امام مسؤولياتها التاريخية »[1] .

وانتهى الامر بأن فكت القوات العسكرية الاردنية الحصار عن المخيم بعد ان رحلت ٣٨٤ فدائياً من سكانه الى الحدود السورية ..

ووقعت اشتباكات متعددة في مدينة عمان بين قوات الجيش والفدائيين .. وصدر عقب الاشتباكات اعلان رسمي جاء فيه ان القوات الاردنية سفرت يوم الاثنين في

(١) مكتب فتح للأعلام في بيروت ، نشرته جريدة النهار في ١١ — ١ — ١٩٧١.

١١ — ١ — ١٩٧١ مئة فدائي من قوات الصاعقة ، التي يدعمها حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا ، الى الحدود السورية ايضاً ..

اهتمام بلاد عربية

استقبلت القاهرة انباء الاقتتال بكثير من الدهشة ، واتهمت الحكومة الاردنية بالعمل « وفق خطة مبيتة تستهدف العمل الفدائي وتصفية الثورة الفلسطينية» .. واصدرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة بياناً ، حول احداث الاردن ، جاء على لسان المتحدث الرسمي . وبما أنه يرسم صورة شاملة لما حدث اسجل نصه :

« ورد ظهر اليوم (الجمعة ٨ — ١ — ١٩٧١) تقرير من العميد احمد عبد الحميد حلمي كبير المراقبين العسكريين في لجنة الرقابة بين رجال المقاومة الفلسطينية والقوات الاردنية في عمان جاء فيه : ان وحدات من الجيش الاردني قامت بعمليات عسكرية مفاجئة ضد رجال المقاومة في منطقة الرصيفة ، تلتها عمليات اخرى واسعة النطاق استهدفت فتح الطريق الوحيد المؤدي الى مناطق تجمع رجال المقاومة في احراج عجلون وجرش ، وهو طريق جرف عمان .

« وقد توجه العميد احمد حلمي الى منطقة الرصيفة محاولاً الوصول الى مكان العمليات ، على ان السلطات العسكرية الاردنية اعترضت طريقه ومنعته ، بطريق لا يتفق مع اللياقة ، من اداء مهمته والوصول الى تلك المنطقة .

« ثم توالت التبليغات على العميد احمد حلمي ، بقيام عمليات عسكرية اخرى تقوم بها الدبابات في قصف معسكر شنلر للفدائيين في منطقة ماركا قرب مطار عمان . وتلا ذلك اقتحام دبابات الجيش الاردني لمواقع الفدائيين عند منطقة الجسر القديم ، في الوقت الذي تقوم مدفعية الجيش الأردني بقصف مناطق تجمعهم في منطقة أم الجورة ومنطقة جرش .

« وباتساع نطاق هذه العمليات العسكرية ضد رجال المقاومة في الاردن يتضح الموقف على الصورة الآتية :

« اولاً — ان قيام هذه العمليات بصورة مفاجئة وعلى اوسع نطاق شمل اغلب مواقع معسكرات رجال المقاومة ، ومن دون مبرر على الاطلاق ، لا يعني إلا انها جاءت وفق خطة مبيتة تستهدف العمل الفدائي وتستهدف اشعال نار الفتنة من جديد .

« ثانياً ـ ان من الغريب ان تجيء هذه العمليات في الوقت الذي ثبت التزام الفدائيين بالقواعد والاسس التي اتفق عليها مع السلطات الأردنية ، وان تجيء هذه العمليات بعد التوكيدات المتتالية التي تلقاها العميد احمد حلمي من السيد رئيس وزراء الاردن بعدم وجود ايـة نيات عدوانية تجاه رجال المقاومة الفلسطينية في اي مكان ، وان السلطات الأردنية لن تلجأ معهم الى الاسلوب العسكري على اية حال .

« ثالثاً ـ انه من الغريب ايضاً قيام هذه العمليات العسكرية ضد رجال المقاومة في الوقت الذي بدأت عملياتهم داخل الارض المحتلة تقلق السلطات الاسرائيلية .

« رابعاً ـ انه جاء في تقرير العميد احمد حلمي انه قابل صباح اليوم (الجمعة) اللواء قاسم المعايطة نائب القائد العام للجيش الأردني ، وذلك لمحاولة وقف تدهور الموقف ، فاذا به يتأكد ، خلال وجوده معه ، من استمرار صدور الاوامر الى الوحدات الأردنية بالعمل على تطهير منطقة الرصيفة من رجال المقاومة وتدمير بيوتهم ، الامر الذي يعني ان هناك بين السلطات الأردنية من لم يعد يعبأ بوجود لجنة الرقابة العسكرية ، ولا بتحقيق الاهداف التي كلفها القيام بها الملوك والرؤساء .

« هذا وتولى الفريق محمد صادق رئيس هيئة اركـان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة ابلاغ هذه المعلومات فور ورودها الى السيد الباهي الادغم الموجود حالياً في القاهرة ، وكان سيادته وصلها امس .

« كما اصدر الفريق محمد صادق ، على الفور ، تعليماته الى العميد احمد حلمي بتقديم احتجاج كتابي شديد الى رئيس وزراء الاردن والى نائب الملك ، يُحمل فيه السلطات الاردنية مسؤولية النتائج المترتبة على تصرفات الجيش الاردني وما قد تؤدي اليه ـ في هذه الظروف ـ هذه العمليات المبيتة التي تستهدف القضاء على العمل الفدائي وعلى رجال المقاومة الفلسطينية وتخالف نصاً وروحاً اتفاق القاهرة .

« وقد حاولت السلطات الاردنية ان تستر تصرفاتها ، فصدر بيات رسمي عن وزارة الداخلية الاردنية قالت فيه : ان قوات الامن العام الاردنية وصل الى علمها ان بعض العناصر تستعد لنسف منجـم الفوسفات في منطقة الرصيفـة ، فاضطرت الى مهاجمة المنطقة حيث عثر على كميات كبيرة من المتفجرات والصواريخ والاسلحة .

« واذا كان هذا هو بيان وزارة الداخلية الاردنية فانه من الواضح انه يجافي الحقيقة ،

وان هناك من يفتعل الحوادث لتصفية العمل الفدائي وقتل رجال المقاومة بدليل انتشار العمليات العسكرية ضد المقاومة وحدها مع استخدام المدفعية والدبابات ضد تجمعاتهم » .

وبجانب هذا البيان الرسمي ، ارسل الرئيس انور السادات رسائل عاجلة الى الملوك والرؤساء العرب ، الذين حضروا مؤتمر القاهرة في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، يطلب فيها عقد اجتماع في عمان لممثلين عنهم لبحث الوضع بين السلطة الأردنية والحركة الفدائية الفلسطينية ، ووضع حد للاقتتال ..

وقام الرئيس معمر القذافي يوم ٩ كانون الثاني (يناير) باتصالات هاتفية مع عدد من رؤساء العرب . اتصل مع الرئيس انور السادات وتشاورا في الوضع الراهن في الأردن ، وايد الرئيس القذافي الخطوات التي اتخذتها القاهرة لوقف تدهور الوضع في الاردن ، وابدى استعداده لارسال ممثل عنه الى عمان .. واتصل ايضاً بالرئيس هواري بومدين ..

وحذرت سوريا في بيان رسمي ، صدر يوم ٩ ـ ١ ـ ١٩٧١ ، المسؤولـين الاردنيين الاستمرار في مهاجمة قواعد الفدائيين ، واكدت وقوفها إلى جانبهم بكل طاقاتها وامكاناتها . واكد الرئيس حافظ الاسد ذلك أيضاً ، في ١١ ـ ١ ـ ١٩٧١ ، حين قال ان سوريا لن تقف موقف المتفرج من الاحداث الجارية في الاردن ، واتهم السلطات الاردنية بمحاولة تصفية المقاومة الفلسطينية .

ووجه الرئيس جعفر النميري ، الذي كان يزور الكويت ، والشيخ صباح السالم الصباح نداء الى كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات طالبين تدخلهما لوقف القتال فوراً ، والالتزام باتفاقيتي القاهرة وعمان .. وايدا دعوة الرئيس انور السادات الى عقد اجتماع عاجل في عمان لممثلي الملوك والرؤساء الذين اشتركوا في مؤتمر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في القاهرة .

وعقد مجلس وزراء السودان ، ليلة الاثنين في ١١ـ١ـ١٩٧١ ، اجتماعاً خصصه للبحث في وضع الاردن ، وقرر المجلس تقديم اربعين الف جنيه سوداني فوراً الى المقاومة الفلسطينية ومدها بكل انواع الاسلحة والمساعدات ، والقيام بحملة اعلامية في انحـاء العالم لدعم المقاومة الفلسطينية وكشف المخططات الاستعمارية والصهيونية التي تستهدف تصفيتها ..

وقبل ظهر يوم الثلاثاء ، في ١٢ـ١ـ١٩٧١ ، عقد مجلس الوزراء الكويتي اجتماعاً

استثنائياً قرر فيه وقف الدعم المالي الذي تقدمه الكويت الى الاردن ، عملاً بقرارات مؤتمر القمة العربي الرابع الذي عقد في الخرطوم سنة ١٩٦٧ ، « حتى لا يستغل لغير الاهداف التي خصص لها » . واكد المجلس ان الكويت لن تعيد الدعم « ما لم تتوافر ضمانات اكيدة وقاطعة » ، من رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة ، بالتزام الجهات المسؤولة بالاتفاقات المعقودة لوقف اطلاق النار وتمكين الفدائيين من القيام بأعمالهم ضد اسرائيل ..

وفي اليوم ذاته وجه الرئيس هواري بومدين رسائل الى الملوك والرؤساء العرب ، دعا فيها الى العمل لانقاذ الشعب الفلسطيني من التعرض لمجزرة ثانية . واضاف :

« ان الدول لن تستطيع البقاء واقفة من دون مبالاة في الوقت الذي يقتل العرب بأيد عربية وبأسلحة عربية . ان هناك واجباً على العرب يحتم عليهم تجنيد كل طاقاتهم لمحاربة العدو الذي اغتصب اراضيهم ومقدساتهم . ان هناك ابادة جماعية للشعب الفلسطيني كجزء من خطة امبريالية صهيونية ، ومثل هذا الوضع لم يكن مفاجئاً بل هو يؤكد ان كل المشاريع الهادفة الى ايجاد حل لما يعرف بمشكلة الشرق الاوسط لا يمكن تحقيقها الا بتصفية حركة المقاومة الفلسطينية . وان الجزائر لتؤيد كل الخطوات التي تهدف الى تعزيز الكفاح العربي من اجل استرداد الاراضي المحتلة ، كما تؤيد تقوية وحماية الثورة الفلسطينية من الاخطار والتهديدات » .

وفي هذا التاريخ ايضاً اصدرت الحكومة التونسية بياناً اعلنت فيه حرصها على حماية العمل الفدائي ، وتمكينه من التحرك والانطلاق بكامل حريته . وجاء في البيان « ان على السلطات الاردنية الالتزام باتفاقي القاهرة وعمان ، وان تونس تقف في وجه كل محاولة ترمي ، من قريب او بعيد ، الى تصفية المقاومة الفلسطينية » .

وفي هذا اليوم وجه جلالة الملك فيصل نداء الى الطرفين هذا نصه :

« في هذه المرحلة التاريخية التي سيتقرر فيها مصير الأمة العربية لأجيال عدة ، فإننا نناشد المخلصين من ابناء هذه الامة ان يضعوا نصب اعينهم المصلحة العربية العليا ، وان يبعدوا عن صفوفهم جميع العناصر المثيرة للفتنة العمياء العارمة التي يعيشها اخواننا في الاردن الشقيق ، والتي من شأنها اضعاف قواتنا وتفتيت جهودنا وطاقاتنا امام العدو ، الذي لا يزال جاثماً على صدورنا ، وترك الفرصة له لتنفيذ مخططه الاجرامي التوسعي .

« ونناشد جميع الاطراف المعنية في الاردن ان تتقيد باتفاق القاهرة وبروتوكول

عمان وينفذوهما نصاً وروحاً ، سائلين الله ان يلهمنا الصواب وان يهيء لنا من امرنا رشدا » .

وبعث حاكم قطر الشيخ احمد بن علي آل ثاني ببرقية الى كل من الملك حسين وياسر عرفات يناشدهما الالتزام باتفاق القاهرة ، « ووقف نزف الدم في الاردن وتوفير الدم العربي للمعركة ضد العدو » .

ووجه الرئيس صائب سلام ، في ٩ – ١ – ١٩٧١ ، الى كل من السيدين وصفي التل وياسر عرفات برقية ناشدهما فيها « وقف هذا الصراع الدامي المرير صوناً للدماء والارواح التي ينبغي ان تعبأ متضامنة لدفع العدوان ودرء شر المحتل لأراضي عربية مقدسة غالية » .

وبجانب اهتمام الدول العربية الرسمي كان هناك اهتمام شعبي في عدد كبير من الدول العربية. فقد نظمت مظاهرات كبيرة ومهرجانات واسعة في عمان وبيروت ودمشق وبغداد وغيرها .. نددت بسياسة السلطة الاردنية تجاه المنظمات الفدائية واصرارها ، عملياً ، على قتالها وتصفية قواتها .. وطالبت بوضع حد نهائي لأعمال القوات الأردنية ضد القوات الفدائية ، وتمكين العمل الفدائي من القيام بواجباته ، ضد العدو المغتصب ، بحرية تامة ..

وفي يوم الاثنين ١١ – ١ – ١٩٧١ اذاعت اذاعة عمان نص رسالة بعث بها الملك حسين من لندن الى الامير حسن نائب الملك وولي العهد يدعم ويبارك فيها الاجراءات التي اتخذها الامير والمسؤولون الاردنيون في معالجة الوضع في الاردن[1] .

قال الملك في رسالته :

« اننا لا نقبل المساس من قريب او بعيد بكرامتنا وبحق الدولة المطلق في الحفاظ على شعبنا واستقراره وسلامته في كل اراضيه . اننا لا نقبل الوصاية من احد على هذه الارض ، ولا نرضى بأن يدعي اي كان انه احرص منا على الا تراق قطرة دم عربية واحدة في غير ميدان المعركة المصيرية ، اننا لا نرضى بالهمز او اللمز من اي مصدر

(١) جريدة النهار في ١٢ – ١ – ١٩٧٠ .

كان حول موقف اي مسؤول اردني او جندي او مواطن ، او حول موقفنا الواحد جميعاً في ادق مراحل امتنا على الاطلاق »[1] .

مساعي الرئيس الباهي الادغم

وكان الرئيس الباهي الأدغم لايزال في القاهرة عندما نشب الاقتتال في اليوم التالي لمغادرته الاردن، واخذ يتتبع الحوادث فيه.. واول اجراء قام به ان اتصل هاتفياً برئيس الوزارة الاردنية السيد وصفي التل، وابدى له انزعاجه واستغرابه من قيام القوات الأردنية بضرب اماكن الفدائيين ، ناقضة بذلك جميع الاتفاقات .. واتصل ايضاً بالعميد احمد حلمي وطلب اليه تقديم احتجاج شديد لرئيس الحكومة على تعطيل نشاط اللجنة العسكرية.

وعقد الرئيس الباهي الادغم اجتماعاً في ١٠ — ١ — ١٩٧١ مع مندوبي الدول العربية ، التي وقعت اتفاق القاهرة ، دام نحو اربع ساعات ، سلم خلاله السفراء والمندوبين رسائل الى ملوكهم ورؤسائهم شرح فيها تطورات الموقف في الاردن ، والخطوات التي نفذها الجانبان الاردني أو الفلسطيني من اتفاق القاهرة ، والبنود التي لم تنفذ حتى الآن . ودعم الرسائل بوثائق رسمية عن حقيقة تطورات الموقف في الأردن منذ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

وبعد ذلك عقد مؤتمراً صحافياً انذر فيه بالتوقف عن مهمته كرئيس للجنة العربية « اذا لم تتوافر ضمانات عدة لتطبيق اتفاق القاهرة . وقال : ان الخطوة التالية لحل الازمة تتوقف على الملك حسين ، « وانا مستعد للقاء جلالته في اي وقت واي مكان ». وحدد الشروط للاستمرار في مهمته وهي :

اولاً — وقف اطلاق النار فوراً وانهاء العمليات العسكرية والتحركات الاستفزازية في كل انحاء الاردن .

ثانياً — اذا كانت مقابلتي مع الملك حسين ايجابية .

ثالثاً — اذا كانت مهمتي محدودة الزمن ، وعلى اسس تنفيذ القرارات المتخذة من قبل ، حسب الجدول الزمني الذي عرضته وما زلت مصراً على عرضه ومتمسكاً به .

رابعاً — ان تكون مهمتي بمساعدة ممثلي الملوك والرؤساء العرب الموقعة ، او غير الموقعة ، اتفاق القاهرة .

---

(١) المصدر السابق .

خامساً — ان يعاد النظر في تأليف لجنة المتابعة وصلاحياتها على الاسس التي اقترحتها في رسالتي التي بعثت بها اليوم (١٠ — ١ — ١٩٧١) الى الملوك والرؤساء العرب ..

ولتسهيل مهمة الرئيس الباهي الادغم في السفر الى لندن لمقابلة الملك حسين ، وفي تنقلاته الاخرى ، وضعت الحكومة الليبية طائرة خاصة بتصرفه ، فسافر يوم ١٢ — ١ — ١٩٧١ الى لندن، وقابل الملك حسين مرتين في يومي ١٢ و ١٣ كانون الثاني (يناير) . وفي اجتماعه الأول مع الملك قال له انه يعتبر « مهمته منتهية » اذا لم يتم التقيد باتفاق القاهرة .. وبعد اجتماعه الثاني الى الملك صرح بقوله :

«كان اجتماعنا ايجابياً بمعنى ان جلالته يرى انه لا بد من وضع نهاية في أقرب وقت ممكن لاراقة الدماء في الاردن . ويوافق الملك موافقة كاملة على جهود حكومته لاقامة اتصال مع قادة المقاومة الفلسطينية ، وهو يرى انه يجب تحديد وقت زمني لأعمال اللجنة العربية العليا ، واقترح ان ترفع اللجنة في غضون الايام العشرة المقبلة تقريراً تعلن فيه انتهاء مهمتها »[1] .

ويبين هذا التصريح حقيقة ما دار بين الملك حسين والرئيس الباهي الأدغم ... والسلطة الأردنية لا تريد بقاء لجنة المراقبة العربية العليا في الأردن ، ولا لجنة الرقابة العسكرية العربية ايضاً ، وهما اللجنتان اللتان اوجدهما مؤتمر القاهرة لوضع حد للأحداث التي كانت سائدة في الأردن ..

وخرج الرئيس الأدغم من الاجتماع الى الملك دون ان يحقق الشروط التي وضعها لمتابعة عمله كرئيس للجنة العربية العليا للمتابعة في الأردن .. وبدلاً من ان يعود الى القاهرة، كما كان منتظراً ، ذهب إلى تونس وبقي فيها حتى كتابة هذه السطور في ٢٦ — ١ — ١٩٧١ ..

اما موقف اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية فكان موقفاً ايجابياً مع جميع ما جاء في مذكرة الرئيس الادغم وما ابداه في مؤتمره الصحافي ، كما اكد ذلك السيد ابراهيم بكر الناطق الرسمي باسم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في مؤتمره الصحافي الذي عقده في عمان يوم ١١ — ١ — ١٩٧١ ..

ان الوقت الذي قضاه الرئيس الباهي الادغم في الاردن والتجارب التي مر بها

---

(١) جريدة الاهرام في ١٤ — ١ —١٩٧٠ .

بصفته رئيساً للجنة العربية العليا للمتابعة جعلته يعتقد ان سياسة السلطة الأردنية تهدف الى تصفية المقاومة الفلسطينية .. وقد ذكر الرئيس انور السادات ذلك في خطاب ألقاه في جامعة اسيوط ، في ١١ – ١ – ١٩٧١ ، حين قال : « نحن مع المقاومة الفلسطينية ؛ وقد ابلغني السيد الباهي الادغم ان هناك مؤامرة لتصفية العمل الفدائي في الأردن نهائياً » (١)

اتفاق جديد آخر

وبينما كانت الاشتباكات دائرة ، والاقتتال يسفك دم الفلسطينيين والأردنيين ، كان الجانبان، الحكومة الأردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، يجتمعان ، خلال يومي ١٢ و١٣ كانون الثاني (يناير) ، في دار السفارة التونسية ، باشراف العميد احمد حلمي رئيس لجنة الرقابة العسكرية العربية ، للوصول الى اتفاق بين الطرفين يوضع بموجبه حد للاقتتال وايقاف سفك الدماء ..

وادت هذه الاجتماعات يوم ١٢ كانون الثاني الى نداء اصدرته الحكومة الاردنية واللجنة المركزية ، وقعه السيدان وصفي التل وابراهيم بكر ، ناشدا فيه جميع القوات الأردنية والقوات الفدائية وقف اطلاق النار .. على ان النار لم توقف !..

وفي اليوم التالي توصلت الحكومة الأردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى اتفاق عام شامل ، مع جدول زمني لتنفيذ بنوده .

وقبل منتصف ليلة الاربعاء في ١٣ – ١ – ١٩٧١ بثت اذاعة عمان الاتفاق المؤلف من ١٣ بنداً ، ونصها هو :

اولاً – شكلت لجنة مشتركة بغرض تحديد قواعد الفدائيين . وقد تم الاتفاق على اختيار هذه القواعد وحددت وسوف يعود اليها الفدائيون فوراً .

ثانياً – تسلم اسلحة المقاومة الموجودة لدى الحكومة الى المقاومة في ظرف اسبوع .

ثالثاً – توضع موضع التنفيذ الفوري تعليمات القائد العام للقوات المسلحة ورئيس الاركان بخصوص معاملة الفدائيين وسياراتهم على نقاط التفتيش بحيث يعامل

---

(١) جريدة النهار في ١٢ – ١ –١٩٧٠ .

الفدائيون كما يعامل الجيش . وكلف رئيس الاركان ان يعيد النظر جذرياً في كل نقاط التفتيش، في ضوء الشكاوى المتكررة من بعض هذه النقاط، وعددها، بغية تأمين الحرية الكاملة لتحرك العمل الفدائي ولوازمه، على ان يجري التيسير في مدة اقصاها اسبوع من تاريخه والغاء ما لا يراه ضرورياً .

رابعاً – تسليم مبنى الكفاح المسلح في منطقة الرمثا فوراً .

خامساً – تحريم ضرب قواعد الفدائيين ومراكز الجيش مهما كانت الاسباب ومعاقبة المسؤول عن اي ضرب لهذه القواعد والمراكز .

سادساً – تكفل حرية التنقل للفدائيين وسياراتهم على كل الطرق من دون اية عوائق .

سابعاً – اعتماد الاوراق الثبوتية الصادرة عن اللجنة المركزية واحترام هذه الوثائق .

ثامناً – استكمال فتح المكاتب والقواعد المقررة للعمل الفدائي المبينة في اتفاق عمان في مدة اقصاها شهر اعتباراً من اليوم، وعلى الحكومة ان تسهل هذه العملية وتضمنها.

تاسعاً – لمراقبة وتسهيل كل الممارسات في البنود اعلاه يشكل مكتب ارتباط مؤلف من: العقيد الركن سمير الخطيب من اللجنة المركزية ، والعقيد الركن محمد بشير من القوات المسلحة ، والعقيد احمد الرسام من الامن العام .

عاشراً – لا يجوز اعتقال اي فدائي في اي مكان الا في حالة الجرم المشهود ويبلغ انضباط الكفاح المسلح فوراً .

حادي عشر – اطلاق جميع المعتقلين والمحتجزين باستثناء مرتكبي الجرائم قبل نهاية يوم ٢٠ كانون الثاني ١٩٧١ .

ثاني عشر – وقف الحملات الاعلامية فوراً من كل اجهزة الاعلام الصحافية والاذاعية والتلفزيونية والتصاريح والنشرات التابعة للحكومة الأردنية وكل اجهزة اعلام اللجنة المركزية حيثما وجدت .

اما البند الثالث عشر فيتعلق بجمع اسلحة الميليشيا التابعة الى المنظمات الفدائية ، والمقاومة الشعبية التابعة الى الجيش الاردني ، وتخفيف المظاهر العسكرية عن المدينة ، وتعين جدول زمني لتحقيق ذلك ، وهو الجدول الذي طالب به مراراً الرئيس الباهي الادغم . وقد وقع الاتفاق السيد وصفي التل رئيس الحكومة الاردنية ، والسيد ابراهيم

بكر باسم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والعميد احمد عبد الحميد حلمي رئيس بعثة المراقبة العربية .

وفي ١٤ — ١ — ١٩٧١ اخذ سكان الاردن يتنفسون بارتياح يشوبه الحـذر ، ويتساءلون : هل سيعمل الطرفان باخلاص لوقف الاقتتال وتنفيذ جميع بنود الاتفاق ، ام ان نصيب هذا الاتفاق الجديد هو مثل الاتفاقات السابقة ، التي لم تؤد الى وقف القتال وازهاق الأرواح ، برغم حملها تواقيع اكبر زعماء البلاد ؟..

ومما يدعو الى الارتياح ، ان الهدوء عاد الى البلد حتى هذا اليوم في ٢٦ كانون الثاني ، وان كانت النفوس لا تزال تصبو الى ان يعود اليها الاطمئنان ، فيعيش السكان في امان وسلام ، ضمن الوحدة الوطنية ، والعمل معاً ضد العدو المغتصب للوطن المفدى ..

واني لمن يعتقدون ان تحقيق كل هذا في الامكان ، وهو يتوقف على السياسة التي ستنتهجها الحكومة في الاردن.. واني لارجو لها ان تتمكن من اجراء المساواة بين جميع ابناء الوطن .. تلك المساواة التي هي حجر الزاوية في بناء مستقبل الاردن وعـزه وكرامته ..

— ٦ —

اسباب المجزرة ونتائجهـا

وقف العرب حيارى متألمين مذهولين امام المجزرة التي جدت في الاردن ، واخذ الكثيرون منهم يتساءلون عن الاسباب التي دفعت الى هذه المجزرة الفريدة في نوعها في التاريخ ، والتي كان من ضحاياها نحو خمسة عشر الف قتيل من نساء واطفال وشيوخ وشبان ، ونحو مثل هذا العدد من الجرحى والمشوهين !..

لِمَ المجزرة فريدة في التاريخ ؟

وقبل ذكر اسباب المجزرة ونتائجها ، من المستحسن ان نوضح لماذا قال الكتاب ورجال السياسة ان مجزرة الاردن كانت فريدة في نوعها في التاريخ ! ، في حـين ان التاريخ رأى مدناً متعددة هدمت على رؤوس سكانها واحرقت ، وألوفاً من ابناء بلاد

قتلوا وشنع بالكثير منهم ؟ ويذكر لنا التاريخ من مدننا التي هدمت وقتل ابناؤها في احقاب مختلفة ، بغداد ودمشق وغيرهما ، ولم يقل ان ما حدث فيهما كان فريداً في التاريـخ ؟

ان الفرق بين ما سجله التاريخ من هدم مدن وحرقها وقتل ابنائها وبين المجزرة التي حدثت في الاردن هو :

ان ما سجله التاريخ من هدم مدن وحرقها مثل بغداد ودمشق وروما وقرطاجنة وغيرها ، وقتل الكثيرين من اهلها ، كان بيد الاعداء ، وهذا النوع من المآسي والمجازر كثيراً ما حدث في التاريخ . اما ما حدث في الاردن من قصف المدن بالمدافع ، وهدم البيوت على من فيها ، وقتل الكثيرين من سكانها ، فكان بأوامر من السلطة الأردنية ، وبتنفيذ للاوامر من الجيش الاردني ... وهذا هو الامر الفريد في التاريخ ، اي ان التاريخ لم يسجل قط ان سلطة شرعية في بلاد قامت بهدم مدنها وقتل سكانها ، ولهذا سجل الكتاب وصرح رجال السياسة بأن المجزرة التي جرت في الاردن كانت فريدة في نوعها في التاريخ .

وكل ما عرفه التاريخ ، مما له شبه بعيد بذلك ، هو ما سجله عن نيرون حينما احرق بعض البيوت في روما ، بعد ان اخرج سكانها منها ، ليوحي له الحريق قطعة موسيقية !.. غير انه لم يقتل احداً ولم يسبب عمله موت احد .. ومع ذلك فلم يغفر له شعبه ما عمل ، ولم يرحمه التاريخ حتى يومنا هذا ..

عناصر أسباب المجزرة

وبعد هذا الايضاح اذكر بضعة عوامل سادت الاردن والفت عناصر المجزرة :

١ — عندما اتحدت الضفة الغربية (وهي ما تبقى من فلسطين عربياً ، غير قطاع غزة) بالضفة الشرقية ، التي كانت تعرف بشرق الاردن ، الف الفلسطينيون نحو ٧٠٪ من سكان المملكة الاردنية الهاشمية ، وكانت منهم اكثرية المتعلمين في المملكة .. ومع هذا ظلت الوظائف الهامة في الدولة بيد الشرق اردنيين ، وكذلك الجيش ... ولما انتقل المرحوم الملك عبد الله الى جوار ربه وتولى الحكم الملك حسين (بعد جلالة والده الملك طلال) ، وكان شاباً في السابعة عشرة من عمره ، التف حوله رجال من ابناء شرق الاردن ، معروفين بتعصبهم الاقليمي ، وتخوفهم عـلى

مصالحهم من ان يعظم نفوذ الفلسطينيين في الدولة .. واخذوا يتكلمون مع الملك حسين كلاماً ضد الفلسطينيين فيه ما يوحي اليه بألاّ يثق بهم ، وان يبعدهم عن مراكز الدولة ، ليظلوا هم المقربين اليه وذوي التأثير في اعمال الدولة ، والتحكم فيها ، ومن ثم الاستفادة من خيراتها .. فولد هذا التأثير ، عند الملك الشاب ، شعوراً غير مريح تجاه الفلسطينيين .. اخذ يعظم مع الوقت بسبب تلك التأثيرات ..

٢ — وبجانب هذا التأثير الداخلي في الملك ، هناك تأثير خارجي ايضاً :

ان الدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، لاتريد للفلسطينيين كياناً او وجوداً ، حرصاً منها على تصفية القضية الفلسطينية ، وتثبيتاً لاسرائيل في قلب العالم العربي .. ولاضعاف الفلسطينيين في المملكة الأردنية الهاشمية ، ولاضعاف القضية الفلسطينية ، تحدث كثيرون من رجال هذه الدول ، الى الملك ، حديثاً هدفه تشكيك الملك في اخلاص ثلاثة ارباع رعيته ، وهم من الفلسطينيين ، حتى لا يقربهم اليه ، بل ليبعدهم عن مراكز الدولة ولاضعافهم ، وتيسير البطش بهم ... وهم بذلك ايضاً يهدفون الى ابعاد الملك عن التيار الوطني في الاردن والبلاد العربية ، حتى يظل في حاجة اليهم ، وحتى يظل لهم نفوذ في المملكة ..

وعندما كنت سفيراً للمملكة الاردنية الهاشمية في خمس عواصم غربية سمعت، في الخمسينات والنصف الاول من الستينات، من كبار رجال الدولة في تلك العواصم ، ان الفلسطينيين في الاردن غير موالين للملك وانهم هم الذين يعملون لقلب نظام الحكم في الاردن . وكانوا يدهشون عندما اجيبهم بأن المعلومات التي لديهم غير صحيحة، لأن الفلسطينيين موالون للملك كل الولاء ، لأنهم يريدونه، ولأن مصلحة قضيتهم تتطلب منهم ذلك ايضاً.. وكنت ادلل على صحة ما اقول لهم بأن الذين حكموا بالخيانة العظمى وادينوا بها وحكم على بعضهم بالاعدام، كانوا من رجال الدولة من ابناء شرق الأردن لا من الفلسطينيين .. وكانت دهشة من يسمعون اجابتي ، ليس لأن ما أقوله لا يعرفونه حق المعرفة ، وانما لانني جرؤت على تخطئة أقوالهم ، وان كانت اقوالهم تخالف حقيقة ما يعرفون !. وهم لم يتعودوا ان يجابهوا بقول الحقيقة !..

فتأثير الاردنيين الذين يحملون رايات العداء للفلسطينيين ومنظماتهم، والاجانب الذين يتعاونون مع هؤلاء للغاية نفسها ، وان اختلفت الاسباب، كان من عناصر الاسباب التي

ادت الى محاولات تصفية العمل الفدائي اربع مرات ، كانت خامستها « مجزرة » ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

٣ — يريد الغرب ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية ، ان يكون الاردن ، في جميع تصرفاته ، ضمن نطاق المخطط الامريكي للشرق العربي .. والمخطط يرمي الى ان يجعل من الاردن ، مرتكزاً له بجانب اسرائيل لتحقيق الاهداف الاستعمارية الامريكية والصهيونية :

لقد اعلن المستر روبرت مكنامارا وزير الدفاع الامريكي ، امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ، في ١١ نيسان (ابريل) ١٩٦٧ « انه في حال تحرك من الجبارين الشيوعيين ، الاتحاد السوفيتي والصين ، لقلب استقرار منطقة الشرق الاوسط ، يصبح من الضروري على الولايات المتحدة المساعدة على الحفاظ على التوازن عن طريق وقف التحرك الشيوعي بطريقة ما . وحين سئل مكنامارا عما اذا كانت اشارته لوقف المد الشيوعي تعني ايران ، قال كلا اني اشير الى دول كاسرائيل والأردن[1] . وكل محب للملك ومخلص للوطن والامة لا يريد ذلك ولا يقبل به مطلقاً ..

٤ — عظم شأن المنظمات الفدائية بعد حرب الايام الستة ، وازعجت اعمالهم ، في الاراضي المحتلة وفي اسرائيل ذاتها ، الحكومة الاسرائيلية .. فعمدت الى حربهم بالطائرات ، فلم يؤد ذلك الا الى زيادة قوتهم والنقمة على اسرائيل .. فأرسلت قوة برية للقضاء على مراكزهم في الغور فكانت معركة الكرامة التي فشل فيها الاسرائيليون وخرج الفدائيون منها أقوياء ابطالاً .. فرأت اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية انه لا بد من قوة غير القوة الاسرائيلية للقضاء على الفدائيين ..

٥ — قبلت الحكومة الاردنية قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . ورفضت المنظمات الفدائية هذا القرار ورأت في تنفيذه تصفية للقضية الفلسطينية ، وقضاء على حركة المقاومة الفلسطينية ، وعلى أمل الفلسطينيين واستعادة اوطانهم ، والعودة بهم الى لاجئين مشردين .. كما رأى ذلك ايضاً رؤساء دول عربية عديدون .. ورأت امريكا واسرائيل انه لا يمكن تنفيذ قرار مجلس الامن ، الرامي الى اعتراف دول عربية باسرائيل ، والى انهاء حالة الحرب وعقد

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ صفحة ٧٠٣ ونيويورك تايمز في ١٢ — ٤ — ١٩٦٧ .

سلام دائم معها ، مـــا دام الفدائيون موجودين يعملون بحرية من الاردن ضد اسرائيل .. فضربهم والقضاء عليهم امر لا بد ان يسبق تنفيذ قرار مجلس الامن ، ونيل اسرائيل مكاسب اقليمية وسياسية واقتصادية جديدة في بلاد عربية ..

٦ – ان الجبهة الشرقية اخطر جبهة على اسرائيل من الناحية الاستراتيجية .. وهي ان نظمت وزيدت قواتها المقاتلة ومعداتها ووضعت تحت قيادة واحدة ، امكنها النيل من اسرائيل وايقاع خسائر كبيرة فادحة في مدنها وقواتها ومعداتها ... وعليه رأى الاسرائيليون والامريكيون انه ، لازالة اخطار الجبهة الشرقية عن اسرائيل ولاضعاف الجبهة الغربيـــة ، ينبغي ضرب الجبهة الشرقية من داخلها ، وتفكيك قواتهـــا المؤلفة من قوات دول متعددة ومن قوات الفدائيين ، وذلك بان تضرب احدى قوات هذه الجبهة قوة اخرى فيها .. فكان ان قام الجيش الاردني بضرب الفدائيـــين الفلسطينيين والشعب الفلسطيني في الأردن الذي يمد المقاومة الفلسطينية بالرجال وبالتأييد .. وبذلك اوجد واضعو الخطة ومنفذوها البغض بين الجيش الأردني وقوة المقاومة الفلسطينية ، وهما دعامة الجبهة الشرقية ، وفي تحابهما وعملهما معاً ، بروح الوطنية العربية ، خطر كبير على اسرائيل ، احست به في موقعة الكرامة ..

٧ – ورأى الاسرائيليون والامريكيون ايضاً ، ان بقاء الجماعتين المؤلفتين لسكان المملكة الأردنية الهاشمية ، الفلسطينيين والشرق اردنيين ، في تفاهم ومحبة يؤلف شرقي اسرائيل قوة تهددها باستمرار ، وتزداد شدة خطرها بتعاونها مع الدول العـــربية الاخرى .. ولاضعاف هذه القوة عمدوا الى ايجاد البغض بين الجماعتين .. فكانت مجزرة الفلسطينيين في الاردن .. ويهدف الاسرائيليون والامريكيون من وراء ذلك ايضاً الى ان ينفروا الفلسطينيين من نظام الحكم في الاردن ، ويطالبوا بانشاء دولة خاصة بهم في الضفة الغربية منفصلة عن الدولة الاردنية ، وفي ذلك اضعاف لهم واضعاف للدولة الأردنية التي تعود الى ما كانت عليه حينما كانت دولة « شرق الاردن » .. وتصبح الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية تحت رحمة اسرائيل .. ويقوم الصهيونيون فيها بالادوار التي جابهتها فلسطين كلها ابتداء من سنة ١٩١٨ .. والخطة التي وضعت وادت الى « المجزرة » في الاردن لا تريـــد خيراً للملك ، ولا تريد خيراً للفلسطينيين ، ولا خيراً للشرق اردنيين ، بل تريد ايقاع الاضرار بالاردن كله ، وبالبلاد العربية بأجمعها .

٨ – قال كثيرون من زعماء العرب ورجال الدولة بينهم ان الثورة الفلسطينية هي اروع ظاهرة من ظواهر الكفاح العربي ضد العدو الصهيوني ، واقدس حركة قوميـــة تحررية بعد حرب الايام الستة .. وانه كان لهـــا اثر في الحركات الوطنية العربية وتقويتها في الشرق العربي ، وقد نالت تأييداً واسعاً في البلاد الاشتراكية ، وعطفاً من سياسيين واحزاب في دول غربيـــة .. ورأى الاسرائيليون والامريكيون ان ضرب هذه الثورة قبل ان يتعاظم امرها يساعد كثيراً على اضعاف الحركات الوطنية في البلاد العربية .. فضرب الثورة الفلسطينية هو تمهيد لضرب الثورة العربيـــة الوطنية .. فكانت « المجزرة في الاردن » ..

٩ – ارتكب الفدائيون اخطاء عديدة في تصرفاتهم الاجتماعية « والكلامية السياسية » في الاردن ، وفي تصرفاتهم مع رجال قوى الجيش الاردني .. وليست هذه الاسطر مجالاً لتفاصيل ذلك .. وهذه الاخطاء ادت الى ما يشبه الشلل في الادارة الحكومية الاردنية .. وهذه التصرفات ادت الى اعطاء من يريدون القضاء على المنظمات الفدائية الفرصة للقيام بذلك ، وسهلت عليهم نشر روح العداء لدى الجيش ولدى طبقة من سكان شرق الاردن للمنظمات الفدائيـــة وللفلسطينيين ، ومكنتهم من ضرب الفدائيين والفلسطينيين والقيام بالمجزرة بدعوى اعادة النظام وهيبة الدولة ..

الأسباب

ان العناصر المتقدمة وغيرها ، جعلت رؤساء دول عربية ، وعدداً من رجال السياسة والفكر والقلم في البلاد العربية ، وكتاباً سياسيين في العالم ، يرون ويؤكدون ان اسباب المجزرة في الاردن ترجع كلها الى سببين : اولهما حقيقي وثانيهما ظاهري .

السبب الحقيقي :

هو القضاء قضاء تاماً على الثورة الفلسطينية ، بالقضاء على المنظمات الفدائية وحركة المقاومة الفلسطينية ، ووضع الفلسطينيين في ظروف لا تمكنهم من القيام بنشاط سياسي فلسطيني ، والقضاء على آمالهم في تحرير بلادهم والعودة اليها ، وذلك تنفيذاً لفرع من فروع المخطط الصهيوني الامريكي الواسع الرامي الى التسلط عـــلى الشرق العربي ، والاستيلاء على اقسام منه وضمها الى اسرائيل ، والسيطرة على منابع الثروة فيه ..

وفي صفحات متقدمة سجلت اقوالاً لرؤساء دول عربية ، ولرجال السياسة والفكر من عرب واجانب ، تؤكد هذا السبب الحقيقي . وقد اظهره بوضوح الرئيس جعفر النميري في مؤتمره الصحافي الذي عقده في القاهرة يوم ٢٦–٩–١٩٧٠ ، وتكلم فيه باسم الرؤساء والملوك المجتمعين في عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، لاتخاذ اجراءات تؤدي الى وقف « المجزرة » في الاردن ..

السبب الظاهري :

هو ان الحكم في الاردن كاد يتفكك وينهار بسبب اخطاء وتصرفات المنظمات الفدائية واعمال الفدائيين ، فكان على السلطة الاردنية ان تضرب الفدائيين ضرباً تأديبياً لاعادة النظام وهيبة الدولة ..

ويقول الزعماء العرب ، واكد المراقبون السياسيون انه لو كان هذا السبب هو الدافع لما حدث في الاردن ، لوقف الضرب عند حد ، ولما اصبح « مجزرة » للفدائيين ، ولما امتدت ملاحقة الفدائيين والفلسطينيين وضربهم بعد اتفاقي القاهرة وعمان ، في الاماكن التي خصصت لهم حرية العمل فيها ، وفي المدن والمخيمات .. ولما استمرت تلك الملاحقة ، حتى كتابة هذه الاسطر .. على الرغم من احتجاج رؤساء دول عربية ، ولجنة المتابعة العربية العليا ، ولجنة الرقابة العسكرية العربية ، على ذلك ..

النتائج

ويتساءل المتتبعون لما حدث في الاردن ، هل ادت « المجزرة » الى النتائج المتوخاة من تنفيذها؟ احاول الاجابة عن ذلك بذكر بعض النتائج بايجاز :

١ – لم تقض المجزرة على الثورة الفلسطينية وحركة المقاومة فيها . فالثورة الفلسطينية فرع من الثورة العربية متأصلة في روح الشعب الفلسطيني وغيره من الشعوب العربية ، ومتأججة في نفوسهم ضد الصهيونيين واسرائيل ومؤيديها .. عازمة على العمل لتحرير فلسطين مهما عظمت العقبات وطال الزمن ... على ان المجزرة اضعفت حركة المقاومة .

٢ – اعادت المجزرة هيبة الدولة في الاردن ، لكنها هيبة قائمة على الارهاب .. وهي لم تعد الطمأنينة الى النفوس والسلام بين السكان ..

٣ – ادت المجزرة الى ازهاق ارواح نحو ١٥٠٠٠ مواطن وجرح نحو هذا العدد من نساء واطفال ورجال من ابناء فلسطين الذين لجأوا الى الاردن هرباً من الاذى الاسرائيلي .. واستمرار ضرب القوات الاردنية ومخيمات اللاجئين حمل هؤلاء على القول في نداء : « نحن نزحنا في اتجاه الارض المحتلة . ذل الاعداء اشرف من ذل الاخوة الف مرة »[1] .. ومن اهداف « المجزرة » الوصول الى هذه النتيجة حتى يقبل الفلسطينيون بالحلول الاستسلامية ..

٤ – ادت حوادث المجزرة في الاردن الى تفسخ الجبهة الشرقية وازالة مفعولها ضد اسرائيل ، وجعلت اسرائيل في مركز اقوى لمجابهة مصر ، ولإملاء شروطها على البلاد العربية ..

٥ – كما كان من نتائج المجزرة في الاردن عزل الاردن عن البلاد العربية ، والحاق اضرار به ..

٦ – قررت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في ١٩ – ١ – ١٩٧١ ، تغيير موقفها من سياسة الجمهورية العربية المتحدة الرامية الى ازالة آثار العدوان ، واتباع سياسة عدم المعارضة لها في ذلك ، وفي الوقت نفسه تظل المنظمات الفدائية رافضة لقرار مجلس الامن ولاقتراحات روجرز .. قال الناطق باسم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية : « ان التزامنا بالكفاح المسلح هو التزام فلسطيني لا يشكل قيداً على محاولات مصر لازالة آثار عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ما دام ذلك لايحد من استمرار نضال الشعب الفلسطيني » .

* * *

ان ما حدث في الاردن اضر بالملك حسين .. وبالاردن ذاته .. وقسم شعب الاردن على نفسه .. والحق اضراراً بالقضية العربية وبموقف العرب تجاه اسرائيل .. وما حدث في الاردن من اقتتال ومجزرة يؤلم كل عربي مخلص للوطن والامة وكل صديق للعرب ، ولم يفد الا اعداء العرب الصهيونيين ومؤيديهم من الامريكيين الاستعماريين ..

على ان الوقت لم يفت لاعادة وحدة الصف الاردني ووحدة الصف العربي .. وكل عربي مخلص ، من اردني او فلسطيني او من ابناء الامة العربية في جميع اقطارهم ،

---

(١) جريدة النهار في ١١–١–١٩٧١ .

يود من صميم القلب ان يرى الوحدة الوطنية قد عادت في الاردن ، وان قوات الجيش الاردني وقوات الثورة الفلسطينية قد تصافت ووقفت معاً في الخطوط الامامية تقاتل العدو مغتصب الوطن ومحتل القدس الشريف .. وكل عربي مخلص ينادي انه من العار على العربي اطلاق النار على عربي آخر ، وان جميع النار ينبغي ان تطلق على الاعداء الصهيونيين الذين لا يريدون لأي قطر عربي خيراً .. بل يريدون اذلال العرب واحتلال بلادهم وسكناها والاستيلاء على خيراتها ..

واني اعتقد انه لا يزال في امكان جلالة الملك حسين تحقيق الوحدة الوطنيـــة في الاردن ، وجمع قوات جميع ابنائه ، والعمل مع قوات الدول العربية الاخرى لتحرير الاراضي المحتلة ، وتأمين حقوق اهل فلسطين في وطنهم المسلوب .. فيسجل التاريخ ان الملك حسين انقذ موقفاً عربياً من اشد المواقف حراجة وخطورة .. وان كل عربي مخلص ، وكل محب حقيقي للملك ، يتمنى لجلالته ان يقوم بذلك وينجح فيه ..

الخاتمة

ان بين المؤرخ والكاتب السياسي فرقاً كبيراً . فالمؤرخ يسعى وراء الحقيقة ويدونها ، لا لاطلاع ابناء عصره والتأثير في تفكيرهم ، وانما لايقاف الاجيال ، على مدى العصور على ما جرى في وقت ما او اوقات بعينها من وقائع ، سارة كانت او مؤلمة ، وما كان لها من آثار .. اما الكاتب السياسي فيدون الحقائق بالطريقة التي يجعلها تؤثر في تفكير القارىء التأثير الذي يريده ، تمشياً مع الفكرة السياسية التي يحملها ، او المبادىء الاقتصاديـــة والسياسية التي يدين بها ويعمل لنشرها بين ابناء الامة .

واني في فصول هذا الكتاب سعيت وراء الحقيقة ودونتها كما هي ، دون النظر الى ما يؤدي اليه ذلك من ارتياح او امتعاض ..

وهناك حقائق ينبغي ان يدين بها كل عربي ، وان يعمل على نورها ، لما فيه مصلحة الوطن العربي والامة العربية . واشير فيما يلي الى بعضها :

١ ــ ان فلسطين ، منذ التاريخ ، قطر من الاقطار العربية ، سكنته قبائل عربية بأسماء مختلفة ، اتت من الجزيرة العربية وكونت سكانه . والقبائل او الجماعات التي اتت فلسطين ، من عناصر غير عربية وسكنتها ، مثل الفلسطينيين والحثيين والحوريين ، استعربت واندمجت في السكان العرب . اما الجماعات التي اتت فلسطين لاحتلالها بالقوة وتغيير عنصر سكانها ، من عرب الى غير عرب ، فقد حوربت ، وانتهى امرها بالخروج من فلسطين وهي : اليهود والصليبيون . ففلسطين عربية ، ومن الواجب الوطني العربي المقدس العمل ، بكل الوسائل ، للحفاظ على عروبتها ، وبقاء اهلها فيها ، واعادة من ارغم على النزوح عنها اليها .

٢ – ان الدول الاستعمارية لا تريد بالعرب خيراً ، بل تحارب جميع جهودهم الرامية الى الوحدة التي توصلهم الى القوة والتقدم . وقد عملت لهذه الغاية بريطانيا ، التي كانت تتزعم الاستعمار ، فأسكنت في فلسطين جماعات غريبة عن العرب ، لها مطامع واسعة في بلادهم ، لتفصل عرب آسيا عن عرب افريقيا ، فأوجدت « الوطن القومي اليهودي في فلسطين » ، كما عملت لاضعاف الوطن العربي بتقسيمه الى اجزاء متعددة .

وبعد الحرب العالمية الثانية تزعمت الولايات المتحدة الامريكية دول الاستعمار ، فأنشأت دولة اسرائيل ، وذلك بحمل الامم المتحدة على تقسيم فلسطين وخلق اسرائيل . فاسرائيل وليدة قرار من الامم المتحدة في بلاد لا تملكها اسرائيل ولا تملكها الامم المتحدة ، وانما يملكها اهلها الفلسطينيون العرب . فنشأت اسرائيل فريدة في تاريخ نشوء الدول . واسرائيل دولة لا شرعية لوجودها مطلقاً ، من حيث القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة . لقد قامت على القوة ، واستراتيجيتها قائمة على القوة والتوسع والإفناء .

٣ – اصبحت الولايات المتحدة الامريكية ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، اكبر دولة امبريالية استعمارية عرفها التاريخ ، ولكن من نوع جديد . وهي تعتمد في تمكين نفوذها وسيطرتها في مختلف انحاء العالم ، على القوة المتنوعة من جهة، وعلى حلفاء وشركاء لها من جهة ثانية . واتخذت الولايات المتحدة الامريكية اسرائيل اداة وشريكاً لها في الشرق العربي ، تتعاونان على تحقيق سياستهما وتأمين مصالحهما فيه .

ان اسرائيل التي قامت على القوة ، تستعمل القوة استراتيجية لبقائها ، لاعتقادها انها حين لا تستطيع استعمال القوة ضد العرب تذبل وتضمحل . وعليه فان اسرائيل قد وجدت لتضرب العرب ، وفي ذلك تشترك المصلحتان الاسرائيلية والامريكية ، كلتاهما تريد بقاء العرب ضعافاً منقسمين متفرقين ومتعادين ، حتى تبقى اسرائيل اقوى منهم ، وتضمن المصالح الامريكية سليمة في البلاد العربية . فاسرائيل في الشرق العربي سيف الجلاد .

وكما ان اسرائيل وجدت لتضرب العرب ، فانها وجدت لتتوسع في البلاد العربية ايضاً . ومع ان القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة يمنعان توسع دولة في اراضي دولة او دول اخرى فان الولايات المتحدة تقف مع التوسع الاسرائيلي، مقابل ما تؤديه اسرائيل من خدمة لها بضرب العرب واضعافهم . وتعتقد امريكا ان موقفها المؤيد لاسرائيل لا

يؤدي الى الاضرار بمصالحها العديدة في البلاد العربية ، مصالح النفط والتجارة والمواصلات .

فخلاص العرب من سيف الجلاد ، وفسخ الشراكة الاسرائيلية الامريكية ، لا يتمان الا اذا اصبح العرب اقوى من اسرائيل ، واكدوا لامريكا عملياً ان استمرارها في تأييد اسرائيل يؤدي الى الحاق الاضرار الشديدة بمصالحها في البلاد العربية ، وان اسرائيل لا تستطيع اخضاع العرب بالقوة . ان جميع وسائل القوة متوافرة في البلاد العربية ، ويتوقف استخدامها على المسؤولين فيها ، والوقوف معاً صفاً واحداً قوياً تجاه اسرائيل .

٤ – ظهر تأييد الولايات المتحدة الامريكية للتوسع الاسرائيلي على حقيقته السافرة ، في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وما تبعها من اتصالات ثنائية او مداولات دولية ، داخل الامم المتحدة وخارجها .

واظهرت اقتراحات روجرز وما تبعها من احداث ، بصورة جلية ، استمرار موقف امريكا العدائي من العرب . اذ ان من الاسباب البعيدة المرمى التي ادت الى اقتراحات روجرز ، هي الوصول الى وقف اطلاق النار على الجبهة الغربية ، اي الجبهة المصرية . لان نيران تلك الجبهة ازعجت الاسرائيليين كثيراً ، وابعدت عنهم قطف ثمار انتصارهم العسكري . فكانت اقتراحات روجرز التي ادت الى وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية ، فتنفس الاسرائيليون الصعداء .

ثم تلت ذلك المناورات الاسرائيلية الامريكية لبقاء وقف اطلاق النار ، وفي الوقت نفسه ، بقاء الاحتلال الاسرائيلي ، بعرقلة مهمة يارينك وتلاشيها عملياً ، ليتم بذلك القضاء على فكرة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة .

ان الديبلوماسية الاسرائيلية الامريكية تهدف الى بقاء وقف اطلاق النار دوماً ، وبقاء الاحتلال الاسرائيلي معه كأمر واقع . وهي تعمل لتجميد الوضع الحاضر ، لتصبح خطوط وقف اطلاق النار حدوداً نهائية لاسرائيل ، كما حدث عندما جمدت اعمال لجنة التوفيق ، واصبحت خطوط هدنة رودس ، حدوداً لاسرائيل من الناحية العملية .

ولهذا رأينا ان اسرائيل انسحبت من المفاوضات التي يجريها الدكتور يارينك ، والتي تبحث في انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، وانسحبت الولايات المتحدة

الامريكية من مباحثات الممثلين لسفراء الدول الاربع لدى الامم المتحدة – وهي الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفياتي ، وفرنسا ، وبريطانيا – وذلك لقتل الجهود المبذولة لتحقيق انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة . وقد تذرعتا لذلك بالادعاء بأن الجمهورية العربية المتحدة نقضت شروط وقف اطلاق النار بوضعها صواريخ مضادة للطائرات على بعد ٣٠ كيلو متراً من القناة . واكدت اسرائيل انها لا تعود الى الاشتراك في مباحثات يارينك الا بعد ان ترفع مصر تلك الصواريخ من اماكنها ! واسرائيل وامريكا تريدان من مصر ان تزيل صواريخ الدفاع ضد الطائرات حتى تكون الاجواء المصرية مكشوفة لطائرات الفانتوم ، فتضرب ما تشاء من مواقع في مصر ! . فإذاكانت اسرائيل لا تفكر في الاعتداء على مصر من جديد، وكانت حقاً تريد السلام ، فان وجود صواريخ دفاعية ضد الطائرات في اي مكان من مصر لا يضيرها ، ولا يهدد سلامتها . غير انها ابتدعت قصة الصواريخ وضخمتها لتتخذ منها ذريعة للانسحاب من مباحثات يارينك ، وبالتالي تجميد الاوضاع وبقائها في الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ..

وقد رأينا ان الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل قاومتا مشروع القرار الذي قدمته ١٥ دولة اسيوية وافريقية ويوغوسلافيا الى الجمعية العمومية للامم المتحدة في اواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، لأن المشروع اكد ، توكيداً صريحاً ، ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كما اكد احترام الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني . ولمناهضة مشروع القرار هذا قدمت الولايات المتحدة الامريكية مشروع قرار معاكس طالبت فيه بتمديد وقف اطلاق النار ثلاثة اشهر اخرى على الاقل ، ولم تشر ، اشارة مباشرة ، الى ضرورة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة ، كما لم تشر الى حقوق الشعب الفلسطيني ، بل اكتفت بالمطالبة بتنفيذ قرار مجلس الامن واستئناف مهمة يارينك . ولما كانت امريكا تعرف جيداً ان مشروع قرارها لا ينال الاكثرية اللازمة لنجاحه ، حملت دولاً من امريكا الجنوبية على تقديم مشروع قرار آخر يصر على تمديد وقف اطلاق النار . فتقدمت مجموعة من دول امريكا الجنوبية في ٢ – ١١ – ١٩٧٠ بمشروع قرار ضمنته المطالبة بتمديد وقف اطلاق النار ثلاثة اشهر اخرى ، وتنفيذ قرار مجلس الامن ، واستئناف مهمة يارينك .

وجاءت بعض الدول ، ومنها فرنسا ، فأدخلت تعديلات على المشروع الآسيوي الافريقي اليوغوسلافي لينال أكبر تأييد ممكن من الاعضاء في الامم المتحدة . وفي

٤ – ١١ – ١٩٧٠ تم التصويت على المشروعين ، فنال القرار الآسيوي الافريقي اليوغوسلافي الاصوات اللازمة لنجاحه ، فأصبح قرار توصية من الجمعية العامة للامم المتحدة ، وخذل مشروع القرار لدول امريكا الجنوبية ، وطلب سفير الولايات المتحدة الاّ يجري التصويت على مشروع قراره . وانتقدت اسرائيل وامريكا القرار الاسيوي الافريقي اليوغوسلافي ، وصوتتا ضده ، وقال ابيان ان القرار يغير مضمون قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، وان اسرائيل ستعيد النظر في قبولها السابق له! . واكدت كولدا مئير بأن اسرائيل تقبل تمديد وقف اطلاق النار ولكنها لا تشترك في محادثات يارينك الا بعد ان تسحب مصر الصواريخ من منطقة القناة ! . تقول ذلك ، وفي الوقت نفسه يعلن ضابط اسرائيلي مسؤول « ان اسرائيل اكملت العمل في تعزيز وتقوية خطوط تحصيناتها على طول الضفة الشرقية لقناة السويس خلال فترة وقف اطلاق النار » . ويعلن الجنرال بيكال ألون ان اسرائيل اصبحت الآن اقوى مما كانت قبل وقف اطلاق النار ، وان بلاده مستعدة لاية احتمالات عسكرية .

وتهدف سياسة اسرائيل ، في قبولها تمديد وقف اطلاق النار ورفضها قرار الجمعية العامة والاشتراك في مباحثات يارينك ، الى جعل وقف اطلاق النار مستمراً ومتجدداً تلقائياً، يعتاده العرب ويبتعد تفكيرهم عن متابعة الحرب ، وبالتالي تصبح خطوط وقف اطلاق النار حدوداً لاسرائيل ، وهو الهدف من حربها ومن جميع تصرفاتها السياسية والدبلوماسية والعسكرية .. وقد قررت الحكومة الاسرائيلية ، في ٢٨ – ١٢ – ١٩٧٠ ، استئناف اشتراكها في محادثات الدكتور يارينك مناورة منها لتمديد وقف اطلاق النار بعد انتهاء مدته في ٥ – ٢ – ١٩٧١ .. ومن الاكيد انه لا شيء يرجع اسرائيل عن سياستها الا القوة ..

٥ – ان من يعتقد ، في البلاد العربية ، ان من الممكن ان ينال العرب إنصافاً من الامم المتحدة مخطىء في اعتقاده ، لأن الامم المتحدة واقعة تحت النفوذ الامريكي ، وامريكا الواقعة تحت النفوذ الصيهوني تقف موقف العداء من العرب وتقف مع اسرائيل على طول الخط . واسرائيل تتغطرس على العرب ، وتعمل لارغامهم على قبول توسعها في بلادهم ، وحملهم على الاعتراف بها والقبول بشرعية وجودها في اقسام من وطنهم بالقوة ، لأنها تستند في ذلك الى الولايات المتحدة الامريكية .

وجدت اسرائيل لها شريكاً تستند اليه في قتالها مع العرب ، وتحقيق مطامعها في

بلادهم . وتقف الدول العربية حائرة لا تعرف تماماً ما الذي عليها عمله ! . ان العلاقات الدولية مصالح . واسرائيل قد عرفت اين تجد مصلحتها ، افما آن للدول العربية ان تعرف بوضوح اين تجد مصلحتها العربية الحقيقية ، التي تقيها من الزوال او الاستعباد؟. تستند اسرائيل في تحقيق اطماعها في البلاد العربية الى قوة امريكا ، ولم تجد الدول العربية بعد الدولة او الدول التي تسندها كلياً في الدفاع عن اوطانها وحقوقها واستعادة ما اغتصب منها . وكل ما تم هو ان الجمهورية العربية المتحدة تمكنت من ان يسندها الاتحاد السوفياتي في دفاعها ضد العدوان الاسرائيلي . وهذا امر على غاية من الاهمية ، ولكن بقاء الامة العربية ، عزيزة الجانب غير مهانة في اوطانها ، يحتاج إلى ما هو اكثر من ذلك .

٦ – تحتاج الدول العربية الى اصدقاء ، يكون بعضهم من الدول الكبيرة التي يمكنها ان تمد العرب بمختلف انواع السلاح ، من دفاعي وهجومي ، وتدريبهم على استعماله احسن تدريب . كما تمدهم بالخبراء الأكفاء ، ليتمكنوا من رد العدوان واستعادة ما فقدوه من الاوطان . والعرب ، وهم في معركة المصير ، لا يجوز ان يشغلوا انفسهم بنظم البلاد التي يمكن ان تساعدهم ، اذ ان التفكير كله ينبغي ان يكون في النصر على العدو .

ان الدول الاشتراكية صديقة للعرب ، وفي البلاد الغربية دول صديقة ايضاً ، وعدد آخر من دول العالم يريد صداقة العرب. ولكن الصداقة بين الدول تقوم على المصالح . فالاتحاد السوفياتي قد اثبت صداقته للأمة العربية اكثر من مرة ، كما ان فرنسا غيرت سياستها السابقة القديمة ، وعملت لنيل صداقة العرب . فعلى الدول العربية ان تعمل لتمكين صداقتها مع الاتحاد السوفياتي ومع فرنسا ، ومع غيرهما من دول الشرق والغرب التي تريد حقاً مساعدة العرب ضد عدوهم اسرائيل . وتمكين الصداقة لا يكون الا بتأمين المصالح المشتركة بين البلاد العربية وبين الدول التي تساعدها . فعلى البلاد العربية اذن ان تؤمن تلك المصالح وتدعم بها مساعدة دول للعرب ضد اعدائهم .

٧ – ونخرج من ذلك كله بالقول الموجز التالي :

أ – لا يجوز للدول العربية ان تنتظر من الامم المتحدة انصافاً .

ب – ان رد العدوان الاسرائيلي ليس مسؤولية الدول القريبة من « فوهة البركان » ، وانما هي مسؤولية الدول العربية جميعاً .

ج – لا يمكن للدول العربية ان تنال حقاً الا اذا تقوت واصبحت اقوى من اسرائيل .

د – ان كل وسائل القوة متوافرة في البلاد العربية ، واستعمالها يتوقف على المسؤولين العرب .

هـ – كي تصل الدول العربية الى مركز القوة ، على المسؤولين فيها ان يتركوا جميع الامور الجانبية التي تشغلهم ، ويعملوا معاً للوصول الى مركز القوة .

و – والوصول الى مركز القوة يتطلب تقوية الاعمال الفدائية ، وايجاد حلف عسكري عربي على غرار حلف الاطلسي ، والعمل لايجاد اتحاد بين البلاد العربية .

ز – وبجانب ذلك ، يتطلب التغلب على العدو تقوية الصداقة بين البلاد العربية واصدقائها : الاتحاد السوفياتي وفرنسا وغيرهما ، وتأمين المصالح المشتركة بين هذه الدول والبلاد العربية ، لتعمل مع العرب وكأن الدفاع عن مصالح العرب دفاع عن مصالحها هي ايضاً .

ح – متى تمكن العرب من تحقيق ذلك ، تعدل الولايات المتحدة الامريكية عن معاداتها لهم ومساندتها لاسرائيل ضدهم ، وتعمل عندئذ لنيل صداقة الامة العربية .

ط – من المهم جداً ان يتأكد المسؤولون في البلاد العربية ، انه مهما كانت نتيجة التسوية التي يُسعى لايجادها بحسب قرار مجلس الامن ، فان اسرائيل لن تكف عن اعتداءاتها ، في المستقبل ، على البلاد العربية ، سعياً وراء التوسع فيها . وعليه فان الدول العربية ملزمة بأن تكون دائماً في مركز القوة ، حفاظاً على النفس والوطن ، ما دامت الصهيونية موجودة .

وقصارى القول ، ان مستقبل الامة العربية بيد المسؤولين فيها ، ومصلحتهم مع مصلحة الامة . ومصلحة الامة تتطلب منهم العمل معاً لرد العدوان واستعادة الاوطان ، وذلك يتم بتوحيد الصفوف ووضع جميع الامكانات في معركة المصير . والا ، فان بقاء الانقسامات والانشغال بأمور جانبية يؤديان الى ان يحل بالشرق العربي ما حل بالعرب في الاندلس . وفي تاريخ الاندلس وتصرف المسؤولين فيها دروس وعبر ..

فهرس الأعلام

— أ —

— ب —

– ت –

– ج –

– ح –

– خ –

– د –

– ر –

– ز –

– س –

— ل —

— م —

— ن —

— ه —

— و —

— ي —

فهرس الامكنة

ـ أ ـ

— ب —

— ت —

— ج —

— ح —

— خ —

— د —

— ر —

فهرس الموضوعات

القسم الثاني

حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧

القسم الثالث

ما ينبغي عمله وما هو الحل ؟

القسم الرابع

المأساة الاردنيـــة

تم طبع الكتاب في ٢٨ – ١ – ١٩٧١

مطابع دار الكتب – بيروت – لبنـــان

كشف الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨١	٨	فينلادي	فينلاندي
١٤٠	٩ و ١١	سدود	اسدود
١٦٥			–١– توضع فوق : التوسع الاقليمي
١٦٧	٧	وينكا	وينكلوا
١٨١	١٨	والمدينون	والمدنيون
١٨٨	١٢	يفهما	يفهمها
٢٢١	٢١	حزيران	أيــــار
٢٢٤	٢٥	يختلفون	يختلف
٢٢٧	في الهامش	شارل	شالز
٢٥٢	١٤	صافي	صافية
٢٦٠	١٥	العائية	العالمية
٣٢٠	١٠	التصاريحات	التصريحات
٣٤٨	٦	زلام	لازم
٤٩٩	٩	الصبفة	الضفة
٥٠٨	١٩	لقا	لقد
٥٤٦	١	يوسف	محمد
٥٧٦	٤	الحضو	الحضور